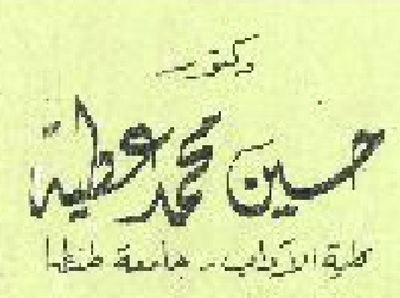


إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون

١١٧١ - ١٢٦٨ م / ٥٦٧ - ٦٦٦ هـ

دكتور



حسين محمد عطية

كلية الآداب - جامعة طنطا

تقديم

الأستاذ الدكتور

جوزيف نسيم يوسف

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتور

بيتر وليام إدبوري

كلية الآداب - جامعة ويلز



الطبعة الأولى

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية

مكتبة التاريخ الوسيط
(١)

إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون

١١٧١ - ١٢٦٨ م / ٥٦٧ - ٦٦٦ هـ

تأليف
دكتور حسين محمد عطية
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة طنطا

تقديم

دكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دكتور بيتر وليام إدبوري
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
كلية الآداب - جامعة ويلز

الطبعة الأولى
١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الشاطبي

بسم الله الرحمن الرحيم

اهـــــــداء

الى زوجتى ...

وابنتى تســــنيم .

العطاء الدائم .. والامل المتجـــدد .

تقـــديم

الاستاذ الدكتور/جوزيف نسيم يوسف

كاتب وكتاب يسعدنى أن اقدمهما الى قراء العربية الكرام . أما الكاتب فهو الدكتور حسين محمد عطية حسن مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة طنطا . واما الكتاب فهو مؤلفه امارة انطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١ ـ ١٢٦٨ م/٥٦٧ ـ ٦٦٦هـ) .

والدكتور حسين عطية باحث فى الدراسات التاريخية من الطراز الاول ، اتوقع له مستقبلا مرموقا فى مجال تخصصه . وهو من ابناء كلية الآداب بجامعة الاسكندرية . حصل على درجة الليسانس من قسم التاريخ فى مايو ١٩٧٢ . واجتاز السنة التمهيدية للماجستير فى فرع التاريخ الوسيط فى مايو ١٩٧٣، وفى أكتوبر ١٩٨١ حصل على درجة الماجستير فى تاريخ العصور الوسطى، تحت اشرافى فى موضوع «امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الاسلامية المجاورة (١٠٩٨ ــ ١١٧١م/٤٩٢ ــ ٥٦٧هـ) » . وفى يناير ١٩٨٣ سجل ، تحت اشرافى ، للحصول على درجة الدكتوراة فى التاريخ الوسيط فى موضوع هذا الكتاب ، الذى هو امتداد لرسالة الماجستير .

وفى فبراير ١٩٨٣ تم تعيين الباحث فى وظيفة مدرس مساعد فى تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة طنطا ، وفى عام ١٩٨٤ حصل على بعثة اشراف مشترك فى جامعة ويلز بالمملكة المتحدة وفقا لنظام القنوات العلمية ، حيث أمضى هناك الفترة من سبتمبر ١٩٨٤ الى أغسطس ١٩٨٦ تحت اشراف الدكتور Peter W. Edbury المتخصص فى تاريخ الحروب الصليبية بالجامعة المذكورة . وقد ساعده تواجده فى انجلترا فى جمع المادة العلمية من مختلف المصادر والمراجع التى لا تتوفر فى منطقة الشرق الاوسط ، وفى حضور العديد من السمنارات والندوات وحلقات البحث العلمى فى مجال تخصصه ، وفى زيارة أهم المكتبات مثل مكتبة بودليان باكسفورد ومكتبة المتحف البريطانى ومكتبات الجامعات

البريطانية الأخرى ، وفى الاتصال بالاساتذة المتخصصين فى تاريخ العصور الوسطى بصفة عامة وتاريخ الحروب الصليبية على وجه الخصوص .

وفى فبراير ١٩٨٧ حصل الباحث على درجة الدكتوراة فى تاريخ العصور الوسطى . وفى ابريل ١٩٨٧ تم تعيينه مدرسا فى هذا التخصص ، الذى سار فيهمنذ بداية حياته الجامعية ، فى كلية آداب طنطا . فكان هذا تتويجا لحياة جادة دءوبة امتدت أكثر من خمسة عشر عاما متواصلة ، أثبت فيها الدكتور حسين عطية كفاءة واضحة ومقدرة علمية مبدعة مع تمتع بتذوق تاريخى ممتاز ودماثة فى الخلق وحسن السلوك .

هذا عن الكاتب . أما الكتاب الذى بين يدى القارىء فهو يتسم بأسلوبه الرفيع ومنهجه العلمى الصحيح ، ويشتمل على خمسة فصول تسبقها مقدمة ودراسة تحليلية نقدية مقارنة لأهم المصادر . وبآخر الكتاب الخاتمة وعدد من الملاحق الهامة ، وقائمة المصادر والمراجع . ويتخلله عدة خرائط ورسوم تخطيطية قيمة .

وفى المقدمة تحدث عن أهمية الموضوع وسبب اختياره له ، وحدوده الزمنية والجديد فيه . ثم قدم دراسة تحليلية لأهم المصادر من عربية ولاتينية وبيزنطية وارمينية وسريانية وفارسية تتميز بقيمتها الفائقة ، وتعتبر اضافة لها وزنها الى الدراسات الوثائقية والببليوجرافية المتعلقة بتاريخ الحركة الصليبية بعامة وتاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية على وجه الخصوص . وأعتقد أنها ستكون هديا لكل من يعمل فى هذا الميدان الخصيب .

وعنوان الفصل الاول « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين حتى نهاية الدولة الفاطمية (١٠٩٨ — ١١٧١م/٤٩٢ — ٥٦٧) » ، وهو يعتبر مدخلا لبقية الفصول ، تحدث فيه عن سقوط انطاكية فى قبضة الصليبيين وتاسيس امارة لاتينية بها ، ورد الفعل الاسلامى . كما ركز على سياسة أمراء انطاكية اللاتين حيال جيرانهم المسلمين منذ تأسيس الامارة وحتى نهاية الدولة الفاطمية ، فى مصر . وعنوان الفصل الثانى « الامارة وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين

فى فترة الانحسار الصليبى فى بلاد الشام (١١٧١ ـ ١٢٠١م/٥٦٧ ـ ٥٩٧هـ)».
وعالج فيه عدة قضايا من بينهـــا الاسباب التى ادت الى فرض الدولة البيزنطية حمايتها على امارة انطاكية اللاتينية ، واثر ذلك على العلاقات السياسية بين حاكم انطــاكية وقتهـــا وهو بوهيمنـــد الثالث وبين كل من نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبى فى وقت بدأت فيه حركة اليقظة الاسلامية فى المشرق الاسلامى وفى وقت بدأ فيه توازن القوى فى الصراع بين المسلمين والصليبيين يعتدل لصالح المسلمين. ومن النقاط الهامة التى عالجها فى هذا الفصل وتوصل فيها الى آراء محددة : الحمـــلة الفلمنكية وآثارها ، وانتهاء الحماية البيزنطية على امارة انطـاكية ، وسياسة صلاح الدين تجاه الامارة والنتائج المترتبة عليها . وانهى الفصل بالحديث عن الحملة الصليبية الثالثة ودور بوهيموند الثالث فيها .

أما الفصل الثالث فعنوانه « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتهـــا السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين (١٢٠١ ـ ١٢٣٣م/٥٩٧ ـ ٦٣٠هـ) » . وقد تناول فيه المؤلف بالدراسة التحليلية امارتى بوهيموند الرابع الاولى والثانية فى انطاكية ، مع تفسير الهدوء النسبى الذى ساد العلاقات بين افرنج انطاكية وجيرانهم المسلمين اثناء امارته الاولى ، ثم تحليل موقفه من الحملتين الصليبيتين الخامسة والسادسة وموقفه من كل من الارمن وسلاجقة الروم اثناء امارته الثانية . وجعل عنوان الفصل الرابع « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة التفكك الصليبى والاسلامى (١٢٣٣م/٦٣٠ ـ ٦٥٦هـ) » . ويغطى هذا الفصل فترة امارة بوهيموند الخامس وبدايات امارة بوهيمند السادس . وتناول فيه المؤلف عدة قضايا هامة ، من بينها تحالف بوهيموند الخامس مع جماعة الفرسان الاسبتارية ضد المسلمين مع تحليل أسباب هذا التحالف والنتائج المترتبة عليه ؛ وأيضا تحـــالف امير انطاكية مع الفرسان الداوية ضد ارمن قيليقية وانعكاس ذلك على العلاقات الانطاكية الاسلامية . ومن القضايا التى عالجها فى هذا الفصل موقف الامير الانطاكى من الصراع بين الخوارزميـــة والايوبيين فى بلاد الشام ، والسياسة السلمية التى انتهجها حيال المسلمين فى الفترة الواقعة بين عامى ١٢٤٤ و ١٢٥١م (٦٤٢ ـ ٦٤٩هـ) ، مع تحليل دوافعهـــا والآثار المترتبة عليها .. واختتم الفصل باستعراض الاحداث التى شهدتها

امارة بوهيمند السادس فى بدايتها ، وبخاصة الحملة الصليبية السابعة على مصر ، ومدى انعكاس ذلك على العلاقات بين امارة انطاكية الصليبية والمسلمين .

وفى الفصل الخامس والاخير من الكتاب وعنوانه « سقوط امارة انطاكية (١٢٥٩ - ١٢٦٨م/٦٥٧ - ٦٦٦هـ) تناول بالدراسة المدققة موضوع التحالف الانطاكى الارمينى المغولى ضد المسلمين وآثاره وتوصل الى رأى جديد - على عكس ما ذهب اليه المؤرخ الفرنسى رينيه جروسيه ومن حذا حذوه فى ذلك - يثبت انه لم يكن من الممكن قيام تحالف بين الصليبيين فى بلاد الشام وبين المغول ضد المماليك فى مصر ، وذلك بتتبعه لموقف المغول من كل من المسلمين والصليبيين فى آن واحد . ومن النقاط التى عالجها سياسة الدولة المملوكية فى مصر تجاه انطاكية بعد موقعة عين جالوت ، وأحوال الامارة قبل سقوطها فى أيدى المماليك ، الى أن انتهى الامر بسقوطها وانتهاء الامارة اللاتينية فيها سنة ١٢٦٨م/٦٦٦هـ . وفى الخاتمة ركز على موضوعين هامين : أولهما تحديد الخطوط العريضة للعلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين فى ضوء توازن القوى فى الصراع بين الطرفين ، الصليبى والاسلامى . كما استعرض فيه مواقف الامارة حيال مختلف القوى التى تعاملت فيها ابان الفترة الزمنية موضوع الدراسة ، والتى املتها عليها الظروف التى كانت سائدة وقتها . أما الموضوع الثانى فقد حدد فيه المؤلف أهم القضايا التى تعرض لها ، وأبرز الآراء والنتائج والاستنتاجات التى تم التوصل اليهـا .

لقد تصدى المؤلف لموضوع صعب ، متشابك الاطراف ، متعدد القوى ، متنوع المصادر والاصول ، ملىء بالقضايا والنقاط التى لم يسبق الوصول فيهـا الى آراء حاسمة قاطعة . وقد تمكن بحاسته التاريخية الممتازة أن يعالج قضايا البحث بموضوعية وحيدة وأمانة ، مبديا رأيه فيها ، موثقا اياه . وتوصل الى نتائج واستنتاجات تتسم بدقتها وجدتها وأصالتها ، وتساعد على القاء المزيد من الاضواء على كثير من الامور التى شابها الغموض ، و التى وقفت أمامها الدراسات التاريخية الحديثة ، وفى مقدمتها مؤلفات كلود كاهن ورهرشت ، دون الاخذ برأى قاطع فيها ،

أو التزمت حيالها الصمت التام . ولقد حالف المؤلف التوفيق فى الوصول الى نتائج واضحة محددة ، ازالت الكثير من الغمـــوض الذى اكتنف العلاقات السياسية بين امارة انطاكية فى ظل الحـكم الصليبى لها وبين القوى الاسلامية المختلفة فى الشرق الادنى وذلك عن طريق عقد المقارنات والموازنات التاريخية بين مختلف المصادر ، العربية والاجنبية ، بغيـة الوصول الى الحقيقة التـاريخية البحتة التى نجح فعلا فى ابرازها . وسـاعده على ذلك دراسته للغــة اللاتينية أثنـاء السنة التمهيـدية للماجســتير وطوال اعداده لدرجتى الماجستير والدكتوراه ، وكذلك دراسته للغة الفرنسية القديمة اثناء تواجده فى بعثة الاشراف المشـترك فى بريطانيا .

وكانت حصيلة ذلك ان الدكتور حسين عطية قدم لنا أول دراســة مستقلة قائمة بذاتها ومتكاملة فى هذا الموضوع الحيوى الهام تسد فجوة واضحة فى تاريخ الحركة الصليبية بوجه عام وتاريخ العلاقات الصليبيـة الاسلامية على وجه الخصوص .

دكتور جوزيف نسيم يوسف

استاذ تاريخ العصور الوسطى

الاسكندرية فى ٢١ سبتمبر ١٩٨٨م كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

FOREWORD

By

Dr. Peter William Edbury

There is no doubting the importance of Antioch to Byzantines, Muslims and Crusaders alike. Its strategic position and its economic role made it of vital significance. It was the first major city in the Near East to be captured by the armies of the First Crusade, and the Christian princes held it continuously from 1098 until 1268. **Dr. Hussein M. Attia's** study is the first large-scale investigation of the history of Antioch under the Crusaders to be published in any language since Professor Claude Cahen's justly famous work, **La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche** (Paris : Institut français de Damas), which appeared as long ago as 1940. This new book is doubly welcome : it takes into account both Christian and Muslim materials, some of which were not readily available in 1940, and it provides a reassessment of the history of the principality in the light of the large quantity of recent research which has come out on the crusading movement in general, the other regions conquered by the Christians in Palestine and the coastal areas to the north, and the fortunes of the neighbouring Islamic peoples. Writing about Antioch is not easy : contemporary European writers were more interested in Jerusalem and the Christian Holy Places; Arabic writers more interested in the Muslim princes in the surrounding territories. In consequence the sources are diffuse and uneven. The patient scholarship which has had to go into this book makes it all the more worth while.

Peter W. Edbury **University of Wales. College of Cardiff**
October 1988

بســم الله الرحمن الرحيم

« قاتلوهم يعــــذبهم الله بايديكم وينصركم عليهم ويشف صــدور قوم مؤمنــــين »

صـدق الله العظيم

مقـــدمة المؤلف

اذا كان موضوع العلاقات بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى ابان الحقبة الوسيطة من التـاريخ من الموضوعات التى تحتـــاج الى دراسات مستفيضة ، فان الحركة الصليبية كانت اهم ظاهرة من مظاهر تلك العلاقات . فهى من جهة ، كانت أقصى رد فعـل لأوربا المسيحية تجاه العالم الاسلامى بعد ظهور الاسلام . ومن جهة أخرى ، فانهـا لم تقتصر عـلى علاقات الصليبيين السياسية بالمسلمين ، بل اشتملت أيضا على المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية . ولما جذبت الحركة الصليبية أطرافا أخرى من غير المسيحيين الغربيين الى الصراع الدائر فى الشرق الادنى الاسلامى من بيزنطيين وارمن ومغول ، فقد ادى كل ذلك الى تعقد وتشابك الموقف فى بلاد الشام التى كانت مسرحا لهذا الصراع . ولما شغلت الحركة الصليبية ثلاثة قرون من الزمان ، تطــور فيها المجتمع الصليبى فى بلاد الشام ، نتيجة لمروره بظروف متباينـة ارتبطت فى المقام الاول باحوال كل من المسلمين فى الشرق والمسيحيين فى الغرب ، فقد كشفت تلك الفترة الطويلة عن معنى الحركة الصليبيـــة الحقيقى من خلال تلك العلاقات التى سادت بين الصليبيين والمسلمين من جهة ،و بين القوى الصليبة من جهة أخرى .

وامارة انطاكية الصليبية ، موضوع هذا الكتاب ، واحدة من أربع امارات صليبية تكون منها الكيان الصليبى فى بلاد الشـام . وعاصرت الامارة تقريبا كل العصر الصليبى فى الشرق الادنى الاسلامى ، ولعبت دورا بارزا فى تطور العلاقات بين الصليبيين والمسلمين . كمـا اسهمت سياسة أمرائها فى تطور أحوال الصليبيين من حيث القوة أو الضعف . وشاركت أيضا فى تشكيل السياسة الصليبية العامة تجاه المسلمين كمـــا شاركت فى غالبية الصراع الصليبى الاسلامى بصورة غير مباشرة أحيانا ، وبصورة مبـاشرة وفعالة فى أغلب الاحيـان ، مما يدفع الى الاخذ بان تاريخ امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالقوى الاســلامية المجاورة يمثل تاريخا يدفع دارسه الى التعرض لتاريخ الحروب الصليبية كلهــا .

كل ذلك دفعني الي اختيار « امارة انطاكية الصليبية والمسلمون »

فيمـــا بين عـامى ١١٧١م/٥٦٧هـ و ١٢٦٨م/٦٦٦هـ ، موضـــوعا للدراســـة . الى جانب ذلك ، فهنـــــاك عدة اســـباب تجعـــل هذه الدراســة تحظى باهمية خاصـــة . ومن بين هـــذه الاسباب خلو المكتبـة العربيـة من بحث قائم بذاته فى هذا الموضــوع . كمـا أن ما كتبه المؤرخون الغربيون الحديثون لا يعبر الا عن وجهة النظر الغربية فحسب ، كما أن هؤلاء المؤرخين الغربيين قد تناولوا تاريخ العـلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانهـا المسلمين بصفة عامة وشـاملة ، ضمن استعراضهم السريع والعام لتاريخ الحروب الصليبية ، وما واجه الصليبيين من مشـاكل داخلية وخارجيـــة ، وعلاقات هؤلاء السياسية والحربية بالمسلمين بصفة عامة ، الامر الذى يجعل من الصعب تحـديد دور هذه الامارة تحديدا اقرب الى الدقة . وبالاضـــافة الى ذلك فانه لا يوجد مصدر تاريخى واحد معاصر لاحداث الفترة موضوع الدراسة ، انفرد بسرد تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكيـــة الصليبيـــة والمسلمين على حدة ، بل أشار جميع المؤرخين المعاصرين ، عربا كانوا أم غربيين ، اليها ضمن ما أورده عن العلاقات بين الصليبيين والمسلمين بصفة عامة . واذا كانت هناك بعض المصادر اللاتينية قد تنـاولت تاريخ أحد أمراء انطاكية أو سجلت أعماله فى الشرق ، فقد كان ذلك فقط خلال العقدين الاولين من تاريخ وجود الصليبيين فى الشام . اما عن الفترة موضوع الدراسة ، فان امارة انطاكية لم تخرج لنا المؤرخ الذى يكتب تاريخهـا الخاص ، فى الوقت الذى تركز فيه اهتمام مؤرخى الحركة الصليبيـة المعاصرين فى سرد أحوال المملكة الصليبية فى بيت المقدس ثم فى عكـا ، دون أحوال الصليبيين فى شمال الشام . وهكذا ظل تاريخ امارة انطاكية الصليبية فى حاجة الى المزيد من الدراسة والبحث لالقاء الضوء على ما أغفلت ذكره المصادر الصليبية ، أو جاء مبتورا وغامضا من تاريخ امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها بالمسلمين فى روايات من تعرضوا لتـاريخ الحروب الصليبية من المؤرخين الحديثين .

أما عن الدراسات السابقة والجادة التى تعرضت لتـاريخ امارة انطـاكية الصليبية على حدة ، نذكر منهـا بحثى رأى « تاريخ أمراء

انطاكية »(١) « وسادة امارة انطاكية »(٢) ، ومقالة دى ماس لاترى « بطاركة انطاكية اللاتين »(٣) . الا أن هذه الدراسات لا تفى بالغرض . وهى فى حقيقتها معالجات غير مباشرة لموضوع البحث . كما ان تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين لم يكن الموضوع الاساسى لهذه الدراسات ، ان لم يكن بعيـدا كل البعد عن ذلك . فبحث راى الاول تعـرض لتاريخ أمراء انطـاكية وجذورهم الاولى فى أوربا ، ونسب كل منهم وعلاقاته بالطوائف الصليبية من جماعات الرهبـان العسكرية الى الجاليات الايطالية والكنيسـة اللاتينيـة فى امارته . أما البحث الثانى ، فقد عالج بايجاز شديد ما أوجده الفرنج فى انطـاكية من وظائف عسكرية ومدنية ودينية . ويعد ثبتا لسادة انطاكية من كونتات وكندسطبلات وبطاركة الامارة اللاتين وغيرهم من موظفيها . بينما جاء بحث دى ماس لاترى عبارة عن ثبت لبطاركة انطـاكية اللاتين وتاريخ ونسب كل منهم . وهكذا كانت كل هذه الدراسات ـ بالرغم من الجهد الواضح فى انجازها ، وبالرغم من كونها تخدم موضوع البحث بصـورة غير مباشرة ـ بعيدة كل البعد عن تاريخ العلاقات السياسية بين صليبيى انطاكية وجيرانهم المسلمين . أما أقرب الدراسات السابقة لموضوع البحث واكثرها جدية فهى ما قام به المؤرخ الفرنسى « كلود كاهن » والتى تحمل عنوان « سوريا الشمالية زمن الحروب الصليبية ، وامارة انطـــاكية الفرنجية »(٤) . وفى الحقيقة فقد جاءت هذه الدراسة جادة الى حد بعيد . فهى تعالج تاريخ امارة انطـــاكية منذ نشأتها فى عام ١٠٩٨م/ ٤٩٢هـ وحتى سقوطها فى أيدى المماليك فى عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ . ونجح كلود كاهن فى ربط تاريخ الامارة الصليبية بتاريخ المنطقة التى تقع فيها من بلاد المسلمين وهى شمال الشام ، وايضا بتاريخ المستعمرات الصليبية

(١) E.G. Rey, Résumé de L'Histoire des Princes d'Antioche, in R.O.L., Vol. IV, Paris, 1896.

(٢) E.G. Rey, Les Dignitaires de La Principaut de Antioche, in R.O.L., Vol. VIII, Paris, 1900-1.

(٣) L. De Mas Latrie, Les Patriarches Latins d'Antioche, in R.O.L. Vol. 11, Paris, 1894.

(٤) Claud Cahen, La Syrie du Nord a L'Epoque des Croisades et La Principaute Franque d'Antioche, Paris, 1940.

الأخرى فى الشرق الادنى الاسلامى بشكل يجعل من دراسته تاريخا للحروب الصليبية بصفة عامة ، وليس كما يوحى عنوان دراسته بانه دراسة للامارة وسوريا الشمالية فقط . كما يظهر بجلاء حرص المؤرخ على الرجوع الى مختلف المصادر المتعلقة بموضوع البحث بصورة طبعت دراسته بطابع الجدية والاصالة ورغم ذلك ، فهناك من الاسباب ما أبقى تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة لها فى حاجة الى دراسة جديدة . وفى الحقيقة لم تتضح كل هذه الاسباب امامى منذ الوهلة الاولى التى رجعت فيها الى كتاب كلودكاهن. بل اتضح ذلك بعد جمع المادة العلمية الخاصة بموضوع هذا الكتاب . الا أن أول ما دفعنى الى التفكير فى التعرض لهذا الموضوع ، بالرغم من معالجة كاهن له ، هو أن دراسة كاهن الممتازة له قد ظهرت فى عام ١٩٤٠م . أى أن هناك قرابة نصف قرن لابد وأن يكون قد ظهر خلاله الجديد من الوثائق والمادة العلمية التى لم تتوفر لكلود كاهن حين قام بدراسته . أو تكون قد تمت دراسات حديثة ربما تعالج ما يخدم هذا الموضوع ولو بشكل غيرمباشر والتى لم تكن قد تمت من قبل . وتأكد ذلك لى حين اتممت جمع المادة العلمية الخاصة بالموضوع . كما تأكد أن هناك ما يؤخذ على المؤرخ الفرنسى الكبير . فبالرغم من المجهود الواضح الذى بذله كاهن فى ربط تاريخ امارة انطاكية بالاطار العام لتاريخ المنطقة مسرح الاحداث بما احتوته من قوى صليبية واسلامية جنبا الى جنب ، فان حرص كاهن على القيام بذلك جرفه أحيانا الى التبحر فى دراسة ظروف كل من المسلمين فى مصر وبلاد الشام فاطميين وأيوبيين ومماليك ، الى جانب سلاجقة العراق والشام وآسيا الصغرى والجزيرة ، ثم المغول والخوارزمية ايضا، الامر الذى جعله يبتعد أحيانا عن معالجة أحوال امارة انطاكية ، خاصة فى القرن ١٣م/٧هـ ، بنفس الدقة التى عالجها بها فى معرض حديثه عن تاريخها فى القرن ١٢م/٦هـ . وبذلك ترك لنا بعض النقاط دون معالجتها أو الاخذ برأى قاطع فيها . ومثال ذلك عدم تحديد الفترة الحقيقية التى انتهت فيها الحماية البيزنطية على امارة انطاكية الصليبية ، وعدم تتبع دور بوهيمند الثالث أمير انطاكية فى تشكيل السياسة الصليبية العامة تجاه المسلمين ، واسهامه فى هذه السياسة وموقفه منها ، وأثر ذلك على الكيان الصليبى فى بلاد الشام . ونفس الشىء

ينطبق على كل من حكم فى انطــــاكية من أمراء جاءوا بعد بوهيمنـد الثالث . الى جانب ذلك ، فقد ترك كاهن بعض الاحداث دون وضـع تاريخ محدد لوقوعها .

وربما يرجع ذلك ــ الى جانب انشـغال كاهن بمعالجـة احوال مختلف أطراف الصراع الصليبى الاسلامى ــ الى عدم اكتمال النصوص التى توفرت لديه من المصادر الغربية والعربية ، أو عدم تحديد المصادر الصليبية أو الاسلامية لتواريخ وقوع بعض الاحداث ، الامر الذى يتطلب وجود النصوص الكاملة التى يمكن الخـروج منها باستنتاجات معينـة بعد تمحيص رواياتها المختلفة . وربما رجع كاهن الى بعض ترجمـات المستشرقين للمصادر الاسلامية المعاصرة لفترة الدراسة مثل ما قام به كل من كاترمير وبلوشيه من ترجمات لبعض نصوص هذه المصادر . أو لما توفر لدى كاهن من شذرات المصادر الاسلامية التى نشرت فى مجمـوعة المؤرخين الشرقيين ، والتى لا تفى بالغرض . واخيرا ، فان معـالجة كاهن لاحوال امارة انطاكية الصليبية منذ العقد الثالث من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى لم تعطنا صـورة واضحة لاحوال الامارة بعد استرداد بوهيمند الرابع لهـا من الارمن عام ١٢١٩/٦١٦هـ وحتى سقوطهافىأيدى المماليك عام١٢٦٨م/٦١٦هـ ، وأثر ذلك على سياسةأمراء انطاكية تجاه المسلمين والقضيةالصليبيةبشكلعام.كلذلكلميجعلمندراسة كلود كاهن نهاية المطاف بالنسبة لدراسة تاريخ العلاقات السياسية لامارة انطاكية الصليبية بجيرانها المسلمين . وفى الحقيقة فبالرغم من ذلك فانه اذا كان على أن اقوم بسد الثغرات واماطة اللثـام عن بعض الحقـائق التى شابها الغموض فى دراسة كلود كاهن ، فان تتبـع اثر هذا المؤرخ الكبير قد اجهدنى بشكل كبير ، وبالتحديد فيما يخص محاولة الحصول على كل المصادر الاصلية التى رجع هو اليها . ففى الوقت الذى تمكنت فيه من الحصول على بعض الوثائق ، أو الرجوع الى بعض المصادر التى لم تتوفر لدى كلود كاهن لكونها لم تنشر الا حديثا ، أو لم تتوفر لديه كاملة ، وخاصة الاسلامية منهـا ، فاننى لم اتمكن من الحصـول على بعض المصادر الاصلية التى رجع اليها كاهن فى دراسته لعـدم امكانيـة الحصول عليها أو لعدم الوقوف على اماكن نشرها ، ولحسن الحظ ان هذه

المصادر لا تتصل اتصالا مباشرا بموضوع الكتاب . وبالرغم من ذلك فقد ساعد ما لمكن الحصول عليه من مادة علمية متنوعة على القاء الضوء على ما يشوب جوانب الموضوع من غموض .

وللقيام بذلك تناولت وجهتى النظر العربية والغربية فى حيــدة وانصاف بعيدا عن الميــول والاهواء . واستتبع هذا القيام بتمحيص الروايات التى وردت فى المصادر الاسلامية والمسيحية ، والتاكد من صحتها من خلال وضعها فى الاطار العام للاحداث التاريخية التى سادت منطقة الشام ابان الفترة الزمنية موضوع الدراسة ولقد اتبعت منهــاجا يختلف تماما عن المناهج التى اتبعها الباحثــون الغربيون ، ويتفق وطبيعــة موضوع الكتاب وحدوده الزمنية . فعلى الرغم من أن الموضــوع يتعلق أساسا بالعلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين ، الا انه استلزم بالضرورة دخول أطراف عديدة فى هذا المجال بشكل مباشر أو غير مباشر ، بحيث لا يمكن اغفال أى منها عند التعرض للعــلاقات بين طرفى الصراع . وعلى سبيل المثال الدولة البيزنطية المطالبة بحقها فى انطاكية التى اسس النورمان أعداء الامبراطورية امارة بها ، والتى ظلت حمايتها على الامارة الصليبية حجر الزاوية فى تشــكيل سياسة المسلمين تجاه انطاكية لفترة ليست بالقصيرة . وأيضا الارمن الذين كانت ممتلكاتهم حدودا فعالة بين البيزنطيين فى انطاكية والسلاجقة فى آسـيا الصغرى ، والذين تمكنــوا من انتزاع الامارة من أيدى الصليبيين لمدة ثلاث سنوات . وأخيرا المغول الذين اجتــذبهم قادة الصليبيين فى أوربا وانطاكية وأرمينيــا الصغرى - الى جانب ظروف المغول انفسهم - الى دائرة الصراع . الا أننى ، بالرغم من تشابك الاطراف وتداخل الاحداث ، قد أشرت الى مختلف القوى بالقدر الذى يسمح بالقاء الضوء على طبيعة العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين . الى جانب ذلك ، فقد كان تحديد طبيعة دور وموقف أمراء انطاكية - كل بدوره - من القضية الصليبية وسياساتهم الخاصة تجــاه المسلمين ، من القضايا التى لم تنل اهتمام المؤرخين الحديثين عربا كانوا أم غربيين .

ولذلك يعتبر وضع الكتاب محاولة لتتبع تاريخ الامارة وعلاقاتهــا السياسية بجيرانها المسلمين منذ نشأتها الى أن سقطت فى أيدى المســلمين

كبداية لسقوط الكيان الصليبى كله فى الشرق . ولقد كان دور امارة انطاكية بارزا فى الصراع الصليبى الاسلامى فى بلاد الشام . فقد شكلت الامارة فى البداية درعا حاميا فى شمال الشام لكونتية طرابلس ومملكة بيت المقدس فى وسطه وجنوبه أمام ردود الفعل الاسلامية المتتالية . وكان أمراء انطاكية اللاتين أكثر العناصر الصليبية رغبة فى التوسع على حساب المسلمين . وكان للسياسات التى اتبعها هؤلاء الامراء أكبر الاثر ــ بما عقدوه من تحالف مع بعض القوى الاسلامية ــ فى زيادة الفرقة بين صفوف المسلمين ، وعجزهم عن تسديد الضربة القاضية للوجود الصليبى لفترة طويلة . كما كان لامارة انطاكية دورها الفعال فى تدعيم موقف القوى الصليبية فى بلاد الشام بما قدمته من مساعدات لسائر الطوائف الصليبية فى المنطقة . وكان لأمراء انطاكية دورهم فى اثارة الحمية الصليبية لدى حكام غرب اوربا بما كانوا يبعثون به من رسائل طلبا للعون والمساعدة ، الامر الذى ترتب عليه قيام حملات صليبية جديدة لايقاف المد الاسلامى الذى بدأ فى عهد عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود واكتمل فى عهد صلاح الدين الايوبى الذى وجه الضربة القاضية لمملكة بيت المقدس الصليبية التى لم تقم لها قائمة بعد ذلك . وقبل ان يحل القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى وحين قدر للفرنج انفسهم أن يساهموا ، بما قام بينهم من نزاعات وما حرصوا عليه من مصالح شخصية طغت على الصالح الصليبى العام ، فى فتور الروح الصليبية ــ الى جانب ظروف اخوانهم فى أوربا ــ كان لامراء انطاكية النصيب الاوفر فى الاسهام فى فشل اعادة بناء أركان مملكتهم ، بالرغم من مشاغل خلفاء صلاح الدين فيما شجر بينهم من نزاعات . كما كان لهم دورهم (امراء انطاكية) فى اثارة الفرقة بين صفوف الصليبيين فى عهد صلاح الدين من قبل . وكان لمشاركة أمراء انطاكية مع الارمن أكبر الاثر فى اجتذاب المغول ، وتمهيد الطريق أمامهم ، كطرف جديد فى الصراع لم يفد منه الصليبيون ، بل كان سببا فى ان تصبح أملاكهم هدفا لمشروعات المماليك للقضاء على الكيان الصليبى المتداعى فى الشرق . وهكذا لم تغب امارة انطاكية الصليبية عن الصراع الصليبى الاسلامى فى بلاد الشام بالرغم من انتهاء دور القوى السياسية فى شمال الشام وفى العراق ، وتوجه الانظار الى مصر كقاعدة للجهاد الاسلامى ضد الصليبيين ، وكهدف للحملات الصليبية التى تلت الحملة الثالثة . والخلاصة ، فان تاريخ امارة انطاكية السياسى منذ نشأتها وحتى سقوطها

فى أيدى المسلمين ، وعلاقاتها السياسية بالقوى الاسلامية المجاورة ، يمثل مظهرا من مظاهر الصراع بين الشرق والغرب فى عصر الحروب الصليبية ، ويعتبر حلقة من حلقات ذلك الصراع .

هذا بالنسبة لموضوع الكتاب ، وأهميته ، والجديد فيه . أما بالنسبة لحدوده الزمنية ، فمن الملاحظ ان تاريخ امارة انطاكية الصليبية يشغل الفترة الممتدة من عام ١٠٩٨م ٤٩٢هـ الى عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ ، أى ما يقرب من القرن وثلاثة ارباع القرن . ولطول هذه الفترة وازدحامها بالوقائع والاحداث المتشابكة ، فقد كان من الاوفق ان يبدأ الموضوع بعام ١١٧١م/٥٦٧هـ ، خاصة وأننى كنت قد تناولت الفترة من عام ١٠٩٨/ ٤٩٢هـ وحتى نهاية الدولة الفاطمية كدراسة لتاريخ «امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الاسلامية المجاورة » وذلك فى بحث مستقل . وعام ١١٧١م/٥٦٧هـ الذى يبدأ به موضوع البحث هو العام الذى شهد نهاية الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية فى مصر ، أى تلك الدولة التى حلت محل الدولة الفاطمية كطرف جديد من أطراف الصراع الصليبى الاسلامى ، له دور مخالف عن دور الفواطم قامت به فى ظروف جديدة ومغايرة تماما لسابقتها . فقد أصبحت مصر هى مركز الثقل بالنسبة للعالم الاسلامى ، ونقطة انطلاق المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين . كما أصبحت بذلك هدفا للحملات الصليبية بدءا من القرن ١٣م/٧هـ الامر الذى كان له اكبر الاثر فى انحسار الضوء عن شمال الشام والعراق — كمراكز للجهاد الاسلامى — من جهة ، وفى تحول الهدف الصليبى من بيت المقدس فى فلسطين الى القاهرة فى مصر من جهة اخرى . وهكذا كان عام ١١٧١م/٥٦٧هـ نقطة تحول فى تاريخ الصراع الصليبى الاسلامى ، وهو انسب تحديد لبداية الفترة الزمنية موضوع هذا الكتاب . اما عن نهايته ، فقد كان من الطبيعى أن تنتهى العلاقات السياسية بين امارة انطاكية والمسلمين فى عام ١٢٦٨م/ ٦٦٦هـ . ففى ذلك العام تمكن المسلمون من استرداد مدينة انطاكية واعادتها الى الحظيرة الاسلامية ، والقضاء على الوجود الصليبى فى شمال الشام . وعلى هذا فالحدود الزمنية لموضوع البحث تبدأ بعام ١١٧١م/٥٦٧هـ وتنتهى بعام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ .

وقد قسمت هذا الكتاب الى فصول خمسة . يعالج الفصل الأول وعنوانه « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين حتى نهاية الدولة الفاطمية (١٠٩٨م - ٤٩٢/١١٧١ - ٥٦٧هـ) » الفترة التى تعتبر مدخلا هاما وضروريا لموضوع الكتاب يساعد على تفهم كثير من القضايا التى عالجها بالمناقشة والدراسة ، خاصة وأن جذورها تعود الى الفترة التى اتعرض لها فى هذا الفصل . وفى هذا هذا الفصل القى الضوء على أهمية عام ١١٧١م/٥٦٧هـ كبداية لموضوع الكتاب وعلى أحوال امارة انطاكية المتردية ، الامر الذى يحتم الرجوع الى الوراء قليلا لتفهم أسباب ذلك . وابدأ الفصل بالحديث عن مدينة انطاكية وأهميتها العسكرية والاقتصادية والدينية لكل من أطراف الصراع حولها ، الى جانب أحوالها السياسية والاجتماعية . ثم يلى ذلك الحديث عن استيلاء الصليبيين على المدينة واقامتهم اول امارة صليبية فى بلاد الشام - فى انطاكية - وأهميتها بالنسبة لملكة بيت المقدس الصليبية فى قلب فلسطين . ثم أتعرض لسياسة أمراء انطاكية تجاه جيرانهم المسلمين منذ تاسيس الامارة حتى نهاية الدولة الفاطمية فى مصر ، وحدود الامارة التى وصلوا بها فى بلاد المسلمين. واخيرا فقد تناولت قضية من اهم القضايا التى لم تتم مناقشتها بشكل تام ومستقل من قبل، وهى دور امارة انطاكية الصليبية فى تدعيم موقف جماعات الفرسان الرهبان ، وجاليات المدن الايطالية التجارية فى منطقة الشرق الادنى ، والآثار المترتبة على ذلك بالنسبة لعلاقات الامارة بالمسلمين . فقد كان من الضرورى ابراز دور الامارة فى دعم الكيان الصليبى على حساب المسلمين ، الامر الذى تم بطريقة غير مباشرة عن طريق دعم الطوائف العسكرية والتجارية الصليبية ، وليس فقط عن طريق قتال أمراء انطاكية للمسلمين . ولم يتم معالجة ذلك الدور فى الابحاث التاريخية لاعتياد المؤرخين الحديثين على الاكتفاء بابراز علاقة انطاكية بجماعات الفرسان الرهبان والجاليات الايطالية فقط من خلال تعاون الطرفين فى اعمال عسكرية ضد المسلمين . ولما كان لامارة انطاكية دور كبير فى دعم الكيان الصليبى عن طريق دعمها لهذه الطوائف الصليبية من خلال علاقات امراء انطاكية بقادة هذه الطوائف بعيدا عن قتال المسلمين ، فان الاكتفاء بمعالجة ذلك من خلال علاقات هؤلاء جميعا بالمسلمين لا يكشف عن حقيقة الدور الانطاكى فى دعم موقف هذه الطوائف بشكل كاف . لذا فقد عالجت هذه القضية

بمنهج مختلف تماما عما اتبعه المؤرخون الحديثون . فلم يقتصر الامر على احصاء الامتيازات والهبات والمساعدات التى قدمها أمراء انطاكية لهذه الطوائف الصليبية . بل كان من الضروري تتبع تطور هذه المنح وتلك الامتيازات ، واثر ذلك على تثبيت اقدام هذه الطوائف فى بلاد المسلمين ، مما ترتب عليه تثبيت أركان المماليك الصليبية فى بلاد الشام ، الامر الذي يصعب تتبعه بمجرد ذكر مساعدات امراء انطاكية لهذه الطوائف الصليبية المختلفة .

اما الفصل الثانى وعنوانه « الامارة وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة الانحسار الصليبى فى بلاد الشام (١١٧١م - ١٢٠١م/ ٥٦٧ - ٥٩٧هـ) فقد بدأته بالحديث عن الحماية التى فرضها البيزنطيون على امارة انطاكية ، واثر ذلك على علاقات الامارة بالمسلمين . ثم تتبعت موقف بوهيمند الثالث تجاه صلاح الدين خلال فترتثبيت مركزه فى بلاد الشام . ثم ناقشت قضية هامة ، وهى انتهاء الحماية البيزنطية على امارة انطاكية واثر ذلك على علاقة بوهيمند الثالث بجيرانه المسلمين من خلال الحديث عن الحملة الفلمنكية فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ . ثم عالجت سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية قبل موقعة حطين ، وموقف بوهيمند الثالث من هذه السياسة . واتممت هذا الفصل بالحديث عن الحملة الصليبية الثالثة عام ١١٩١م/٥٨٧هـ وأثرها على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية والمسلمين منذ موت صلاح الدين وحتى موت بوهيمند الثالث ، الذى يعد تحديد دوره فى الصراع الصليبى الاسلامى من القضايا الهامة التى تناولها البحث بالدراسة .

أما بالنسبة للفصل الثالث وعنوانه « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين (١٢٠١ -١٢٣٢م/٥٩٧ - ٦٣٠هـ) ، فقد تناولت بالدراسة التحليلية امارة بوهيمند الرابع الاولى فى انطاكية ، والهدوء النسبى فى الصراع بين افرنج انطاكية وجيرانهم المسلمين وأسبابه الحقيقية ، بما يلقى الضوء على طبيعة الحركة الصليبية وتغير مفهومها لدى صليبيى الشام منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى . ثم موقف

الايوبيين فى حلب من الحرب الاهلية فى انطاكية (١٢٠١م/٥٩٧هـ) ، واثر التحالف بين بوهيمند الرابع والظاهر غازى صاحب حلب ، ضد الارمن ، على امارة انطاكية (١٢٠١ - ١٢١٦م/٥٩٧ - ٦١٣هـ) وعلاقاتها بالمسلمين . ثم عرضت تاريخ امارة ريموند روبين واثرها على العلاقات السياسية الانطاكية الاسلامية (١٢١٦ - ١٢١٩م/٦١٣ - ٦١٦هـ) ، ثم امارة بوهيمند الرابع الثانية ، وتناولت خلال ذلك موقف بوهيمند الرابع من الحملة الصليبية الخامسة واثره على علاقات انطاكية بالمسلمين (١٢١٩ - ١٢٢١م/٦١٦ - ٦١٨هـ) . ثم سياسة بوهيمند الرابع أيضا تجاه كل من الارمن وسلاجقة الروم ، واثر هذه السياسة على علاقاته بالمسلمين فى حلب (١٢٢١ - ١٢٢٧م/٦١٨ - ٦٢٤هـ) ، وأخيرا موقف الامير الانطاكى من الحملة الصليبية السادسة واثره على علاقة امارته بجيرانها المسلمين حتى نهاية عهده (١٢٢٨ - ١٢٣٣م/٦٢٤ - ٦٣٠هـ) .

وجعلت عنوان الفصل الرابع « امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة التفكك الصليبى والاسلامى (١٢٣٣ - ١٢٥٨م/٦٣٠ - ٦٥٦هـ) » ، وهو يغطى فترة امارة بوهيمند الخامس (١٢٣٣ - ١٢٥١م/٦٣٠ - ٦٤٩هـ) وبدايات فترة امارة بوهيمند السادس . وبدأته بالحديث عن تحالف بوهيمند الخامس مع الاسبتارية ضد المسلمين فى بعرين فى عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ واسبابه والنتائج المترتبة عليه . ثم تحالف الامير نفسه مع الداوية ضد أرمن قليقية (١٢٣٤م/٦٣١هـ) ،وانعكاس ذلك على علاقات انطاكية بالمسلمين . ثم موقف بوهيمند الخامس من الصراع بين الداوية وبين الايوبيين فى حلب (١٢٣٣ - ١٢٣٧م/ ٦٣٠ - ٦٣٤هـ) ، واسبابه ونتائجه.وتتبعا لدور هذا الامير فى الصراع الصليبى الاسلامى عالجت بالدراسة موقف الامير الانطاكى من الصراع بين الخوارزمية والايوبيين فى بلاد الشام (١٢٤١ - ١٢٤٤م/٦٣٨ - ٦٤١هـ) . ثم تناولت بالدراسة سياسة بوهيمند الخامس السلمية تجاه المسلمين واسبابها ونتائجها (١٢٤٤ - ١٢٥١/ ٦٤٦ - ٦٤٩هـ) . وتعد معالجة ذلك من اهم القضايا التى تناولها هذا الكتاب لاهميتها فى الوقوف على أحوال امارة انطاكية الصليبية فى القرن ١٣م/٧هـ الامر الذى لم ينل اهتمام المؤرخين الحديثين . ثم أبرزت دور

الحملة الصليبية السابعة على مصر (١٢٥٢ ــ ١٢٥٤م/ ٦٥٠ ــ ٦٥٢هـ) ، وأثرها على العلاقات بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين . وأخيرا موقف بوهيمند السادس من الحرب الاهلية بين الصليبيين فى مملكة بيت المقدس وأثره على علاقات امارته بالمسلمين (١٢٥٤ ــ ١٢٥٨م/ ٦٥٢ ـ٦٥٦هـ) .

اما آخر فصول الرسالة ، وهو الفصل الخامس فعنوانه « سقوط امارة انطاكية الصليبية (١٢٥٩ ــ ١٢٦٨م/٦٥٧ ــ ٦٦٦هـ) . ففاتحته تعالج أهم قضايا البحث وهى التحالف الانطاكى الارمينى المغولى ضد المسلمين (١٢٥٩م/٦٥٧هـ)وآثاره . وفى هذا الصدد حاولت الوقوف على طبيعة هذا التحالف وأثره على علاقة انطاكية بالمسلمين ، مع مناقشة الآراء التى تتعلق بهذه القضية والتى وردت فى كثير من الدراسات التاريخية الحديثة . ثم تناولت بالتفصيل سياسة المماليك تجاه امارة انطاكية بعد موقعة عين جالوت (١٢٦٠ ــ ١٢٦٨م/٦٥٩ ــ ٦٦٦هـ) . ثم أحوال امارة انطاكية قبيل سقوطها فى أيدى المماليك ، ثم تبعت ذلك الحديث عن سقوط مدينة انطاكية وعودتها الى السيادة الاسلامية (١٦٢٨م/٦٦٦هـ) . وكان من الطبيعى أن أتعرض فى هذا الفصل ــ بايجاز ــ لأحوال امراء انطاكية الصليبيين فى طرابلس التى لجأوا اليها بعد فتح المسلمين لانطاكية (١٢٦٨ ــ ١٢٨٩م/٦٦٦ ــ ٦٨٨هـ) ، وانتهاء النفوذ الصليبى فى شمال الشام حتى سقوط طرابلس فى أيدى المماليك (١٢٨٩م/٦٨٨هـ) .

وفى الخاتمة عرضت الخطوط العريضة للعلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين وحددت مواقفها ــ بتركيز شديد ــ حيال مختلف القوى التى تعاملت معها ، مع تقييم الموقف بصفة عامة . ثم استعرضت أهم القضايا والنقاط والمشاكل التى تعرض لها موضوع الكتاب ، مع ابراز الآراء والاستنتاجات التى استطعت التوصل اليها . وأخيرا ذيلت الكتاب ببعض الملاحق التى مازالت بلغاتها الاصلية ولم تنشر بلغات حديثة بعد ، وقد قمت بنقلها للمرة الاولى الى اللغة العربية ، وهى تلقى الضوء على القضايا التى تمت مناقشتها خلال البحث .

ولما كانت طبيعة موضوع الكتاب هى صفحة من صفحات العلاقات السياسية بين انطاكية الصليبية والمسلمين ، فقد استتبع ذلك الرجوع الى المصادر الصليبية والاسلامية . ولما كانت غالبية المصادر الصليبية مدونة باللغتين اللاتينية والفرنسية القديمة ، وغير متـوفرة بارض الوطن ، وكان من الضرورى الحصـول عليها ، فلم يتمن ذلك الا بالسفر الى المملكة المتحدة من خلال جامعة طنطا . وقمت بزيارة مكتبـات المتحف البريطانى ، ومعهد الدراسات التاريخية ، ومدرسة الدراسات الشرقية والافريقية التابعة لجامعة لندن ، ومكتبة البودليان التابعـة لجـامعة اكسفورد . ولا شك انى حصلت من هذه المكتبات على غالبية المصـادر المتعلقة بموضوع البحث . ولم يبخل المسئولون فيهـا بتقـديم العون والمساعدة اللازمين . وانى لانتهز الفرصة لاذكر بالشـكر الجهود التى قدمها القائمون بالعمل فى هذه المكتبات الى جانب القائمين بالعمـل فى مكتبة جامعة كارديف ومكتبة المتحف الاهلى بمقاطعة ويلز (بمدينـة كارديف) ، على ما قدموه من عون للحصول على المصادر الغير متوفرة بالمملكة المتحدة واستعارتها من مكتبات موجودة فى بلدان اوربية اخرى. ولا شك أن مكتبات كلية الآداب والمكتبة العـامة لجامعة الاسـكندرية ، ومكتبة محافظة الاسكندرية ، ومكتبة جامعة القاهرة ومكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ومكتبة الجامعة الامريكية ، ومكتبـة كل من دير الآباء الدومنيكان ودير الآباء الفرنسيسكان بالقاهرة ، قد قدم المسئولون فيها كل التسهيلات وامدونى بكل ما هو متـاح لديهم . ولعـل هذه الدراسة تكون اضـافة الى المكتبـة العربية ، وتكون ذات فائدة لأمتنـا الاسلامية ، بالقائها بعض الضـوء على مرحلة هامة من مراحل تاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية خلال ثلاثة قرون من الزمان (الحادى عشر والثانى عشر والثـالث عشر الميـلادية/الخامس والسـادس والسـابع الهجرية) .

وختاما لا يسعنى الا أن اقدم شـكرى وعظيم امتنـانى وعرفانى لاستاذى الفاضل ، الاستاذ الدكتـور/جوزيف نسيم يوسف استاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الذى رعانى وعاوننى وشجعنى طوال اثنى عشر عاما . وكان لتوجيهاته ولتشجيعه اياى اثر كبير فى مواصلتى البحث والدراسة ، وكانت توجيهاته لى هى خير عون

وخير دليل فى كشف غوامض البحث وفى اخراجه الى حيز الوجود .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان الى استاذى الدكتور/بيتر ادبيورى ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ويلز بالمملكة المتحدة ، الذى عملت تحت اشرافه اثناء تواجدى بالمملكة المتحدة فى بعثة علمية . فقد كان لجهده وتوجيهاته اثر كبير فى وقوفى على كثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بموضوع الدراسة ، وأخيرا على كل ما قدمه لى من عون ومساعدة لمعالجة مختلف جوانب موضوع الكتاب ، ومراجعة كافة النصوص والوثائق المتعلقة بهذه الدراسة والمدونة باللغة اللاتينية واللغة الفرنسية القديمة .

كما اخص بالشكر كل من الاساتذة بروفيسور جوناثان رايلى سميث والراحل بروفيسور ر.س.سميل ، والدكتورة روزالين هيل ، والدكتور دافيدمورجان اساتذة تاريخ الحروب الصليبية بجامعة لندن والدكتور ا . بيتس استاذ تاريخ أوربا العصور الوسطى بجامعة ويلز على ما أسدوه لى من نصح ، وما قدموه الى من عون وارشاد فى سبيل اتمام هذا البحث .

واننى لأتقدم بالشكر والعرفان والتقدير لأستاذى الفاضل الاستاذ الدكتور/عمر عبد العزيز عمر عميد كلية الاداب بجامعة الاسكندرية ، على مساعدتى ومنحى الفرصة للسفر الى المملكة المتحدة - أثناء عمادته لكلية الآداب جامعة طنطا - حتى أتمكن من انجاز هذا العمل .

واننى لأدين بالفضل لجامعة طنطا التى أوفدتنى فى بعثة علمية الى المملكة المتحدة نتج عنها هذا العمل الذى كان مبلغى من العلم . وأسأل الله العلى القدير أن ينفع به أمتنا الاسلامية . والله ولى التوفيق .

حسين عطية

الاسكندرية - أكتوبر ١٩٨٨

دراسة تحليلية نقدية مقارنة لاهم مصادر البحث

ـ المصـــادر الاجنبيـــة :

١ ـ الخطابات والوثائق الصليبية .
٢ ـ المصادر اللاتينية .
٣ ـ المصادر البيزنطية .
٤ ـ المصادر الارمينية والسريانية .
٥ ـ المصادر الفارسية .

ـ المصـــادر العربيـــة :

١ ـ المصـــادر المعـــاصرة .
٢ ـ المصـــادر المتاخرة زمنيا .

ولما كان موضوع البحث يتنــــاول طرفا من العلاقات بين الشرق والغرب في فترة زمنيــة محددة في تاريخ الحـركة الصليبية ، لذا تحتم الرجوع الى مصادره الغربية والشرقية على قدم المساواة ، سـعيا وراء الحقيقة التاريخية • وعمد الباحث الى الموازنات والمقارنات التاريخيـة التى استقاها من تاليف المعاصرين لهذه الفترة من مراسلات ووثائق رسمية وحوليات ، لضبط الاحداث ، وسد الثغرات ، والرد على كافة التساؤلات التى فرضت نفسها على موضوع الدراسة •

ولما جذبت الحركة الصليبية أطرافا متعددة للصراع ، فقد استتبع ذلك الرجوع الى المصـادر الاصلية المتنــوعة من لاتينية وفرنسية قديمة وبيزنطة وارمينية وسريانية وفارسية وعربيـــة ، هذا بالاضــافة الى المنابع العربية المتأخرة نسبيا عن الحقبة موضوع الدراسة •

واهم المصادر الغربية التى افاد منها الباحث هى مجموعة الرسائل والوثائق المتبـادلة بين مختلف أطراف الصراع • وترجع أهميـة هـذه المراسلات والوثائق الى انها سدت فراغا كبيرا ، كثيرا ما تركته الحوليات المعاصرة على فترات متباعدة خلال الفترة موضوع البحث • فقد كانت هذه المراسـلات وتلك الوثائق هى مصـــدر المعلومات الوحيد بالنسبة للباحث ، حين تصمت المصادر المعاصرة عن ذكر التفاصيل التى تساعد على الوقوف على حقيقة الامور وطبيعة العـلاقات بين أطراف الصراع بصفة عامة ، وبين الصليبيين والمسلمين بصفة خاصة ، أو حين يتعلق الامر بقرارات تتخذ ، أو علاقات واتفاقيات تقوم ، بين قادة مختلف اطراف الصراع ، ويصعب وصولها الى صفحات بعض الحوليات المعاصرة • وهكذا ساعدت هذه المراسلات وتلك الوثائق على القاء الضوء على ما شــابه الغموض من نقاط البحث ،او على مناقشة احدى قضاياه ، والاخذ فيها برأى قاطع وجديد • اما عن المراسلات ، فانها عديدة ومتنوعة ، ويأتى فى مقدمتها الخطابات التى تم تبادلها بين كل من أندرونيقوس كومنـين واسحق انجيلوس امبراطورى بيزنطة وبين صلاح الدين الايوبى فى عـام ١١٨٥م/٥٨١هـ • وترجع اهمية هذه الخطابات الى انها احتوت عـلى مشروع تحالف بين البيزنطيين والايوبيين ضد الصليبيين فى بلاد الشام • وأكدت فى نفس الوقت دور بوهمند الثالث فى أن يفقد الفرنج مسـاعدة

بيزنطة المسيحية فى التصدى لصلاح الدين واضعاف مركز الفــرنج فى حطين ، بعد ان تسببت سياسة بوهمند فى حرمان الصليبيين من مساعدة كل من الارمن والقبارصة أيضا مما عجل بضياع بيت المقدس من قبضتهم .

اما عن أهم المراسلات الصليبية فقد تم تبادلها بين بابوات روما من جهة وبين كل من بوهمند الرابع وليو الارمينى وقادة الفرنج من رجال دين وعلمانيين فى بلاد الشام من جهة أخرى . وكانت هذه المراسلات ، التى لم ترد نصوصها فى حوليات المؤرخين اللاتين المعاصرين ، ذات أثر كبـير فى الوقوف على حقيقة الصراع بين بوهمنـد الرابع والارمن حول انطاكية ، واثر ذلك الصراع على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة لها .

وكان للبابا انوسنت الثالث النصيب الاوفر من هذه المراسـلات التى تفوق الحصر . وأهم هذه المراسلات الخطاب الذى بعث به هـذا البابا الى الملك الظاهر غازى الايوبى ملك حلب فى ٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ ، ويطلب فيه البابا من الملك الظاهر العمل على حماية بطريرك انطاكية اللاتينى وكنيسة انطاكية من سطوة أمير أنطاكيـة . ووجه الاهمية فى هذا الخطاب أنه يوضح سياسة البابا لابعاد الملك الظاهر عن حليفه بوهيمند الرابع حتى لا تنطلق يداه بعد أن ساء موقف منافسه ليو الارمينى المحروم من الكنيسة ، وحرص البابا على اعتـدال ميزان القوى بين بوهيمند والارمن ، مما أدى الى عدم استقرار الامور فى امارة انطاكية ، ولم يعد فى امكان اميرهاالتفرغ الكامل لاسـترداد ما اقتطعه المسلمون من املاكها ، او المساهمة فى دعم الموقف الصليبى العام الآخذ فى الانهيار آنذاك .

وكان للمعلومات التاريخية التى وردت فى ثنايا المراسلات التى تمت بين البابا هنوريوس الثالث وبين الفرنج فى بلاد الشام اثر كبير فى استكمال تفاصيل قصة الصراع بين بوهيمند الرابع والارمن حول انطاكية ،واثر ذلك على علاقات بوهيمند بجيرانه المسلمين ، وأسباب تطور هذه العـلاقات بسبب اختلاف وتباين موقف البابوية والقيادات الصليبية فى بلاد الشـام من مشكلة أنطاكية . ومن أهم خطابات البابا هنوريوس الثـالث ذلك

الذي بعث به في ٩ يوليو ١٢٢١م/١٦ جماد أول ٦١٨هـ الى مندوبه بيلاجيوس الذي جاء على رأس الحملة الصليبية الخامسة . فقد طلب البابا في خطابه ان يكون بيلاجيوس حريصا في تعامله مع بوهيمند الرابع ، اي ان يتخلى المندوب البابوي عن صلفه وتمسكه برايه ، الامر الذي ادى الى فشل الحملة على مصر ، وحتى لا يلقى بوهيمند بنفسه في احضان المسلمين ، وتضيع انطاكية التي يفوق ضياعها من الصليبيين ضياع اكثر من دمياط واحدة . وهذا الخطاب يبين مدى اهتمام البابوية — والحملة الخامسة لازالت مجهولة المصير في مصر — باستقرار احوال امارة انطاكية التي يعد بقاؤها كمعقل صليبي في شمال الشام اهم من دخول الارمن في كنف كنيسة روما ، على عكس ما رأى البابا انوسنت الثالث ، بل اهم من دمياط نفسها كما رأى البابا هنوريوس الثالث .

ويلي خطاب البابا الى بيلاجيوس ، الخطاب الذي بعث به الكاردينال جاك دى فيترى « Jacques de Vitry » الى البابا نفسه(١)

(١) ولد جاك دى فترى في عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ ، وتلقى تعليما دينيا وتقلد العديد من المناصب الدينية ، وكان تأثيره على الحركة الصليبية في بدايات القرن ١٣م/٧هـ لا يقل عن أثر بطرس الناسك في زمانه ، وكان جاك من الداعين للحملة الالبيجنسية التى قامت في جنوب فرنسا وكان داعيا ومبشرا للحملة الصليبية الخامسة وحضر اجتماعات مجلس اللاتيران ، وفي عام ١٢١٦م/٦١٣هـ ، عين أسقفا لعكا وصاحب الحملة الهنغارية عام ١٢١٧م/٦١٤هـ ، والحملة الخامسة على مصر . وعاد الى روما في عام ١٢٢٧م/٦٢٤هـ ، حيث أصبح كاردينالا ومندوبا للبابا في فرنسا والمانيا ، ثم عين بطريركا لبيت المقدس، ولكنه مات في مايو ١٢٤٠م/شوال ٦٣٨هـ ، قبل ان يتسلم مقاليد منصبه . وبعث جاك بسبع رسائل الى البابا هنوريوس الثالث ، رجعنا الى الثانية والثالثة منها . أما الاولى منها فكانت في أوائل أكتوبر ١٢١٦م/اواخر جماد ثان ٦١٣هـ والرابعة في ٢٢ سبتمبر ١٢١٨م/٣٠ جماد ثان ٦١٥هـ ، والخامسة في سبتمبر ١٢١٩م رجب ٦١٦هـ ، والسادسة في ربيع ١٢٢٠م/٦١٧ ، والسابعة ١٨ ابريل ١٢٢٦م/١٢ صفر ٦١٧هـ انظر :
Jacques de Vitry, Lettres, ed, R; B. C. Huygens, Leiden, 1960, pp. 52-55.
وعن حياة جاك دى فترى انظر : محمود سعيد عمران ، الحملة الصليبية الخامسة الاسكندرية ١٩٨٥م ، ص ٢٩ — ٣٠ .

فيما بين : نوفمبر ١٢١٦م ، وفبراير ١٢١٧م/٢٢ شعبان وذى الحجة ٦١٣هـ، يخبره فيه عن جولته التى قام بها فى مدن الشام يدعو الى المسيحية من يقابلهم من المسلمين ، ويحث الفرنج على الاستعداد لمرافقة قوات الحملة الخامسة الى مصر . ويكشف هذا الخطاب عن فتور الحماسة الصليبية بين الفرنج فى بلاد الشام ، وتفوق المكاسب التجارية لديهم على الهدف الصليبى والصالح الصليبى العام . ويتجلى ذلك باضطرار جاك دى فترى الى الاستعانة بمترجمين حتى يتوسطوا الحديث بينه وبين التجار المسلمين الذين قابلهم فى طرابلس التى اصبحت العربية هى اللغة السائدة فيها . ويؤكد جاك دى فيترى للبابا فتور حماسة الفرنج فى خطابه الذى بعث اليه به فى ٢٤ أغسطس ١٢١٨م/٣٠ جماد أول ٦١٥هـ ، يخبره عن أحداث الحملة الهنغارية التى صاحب جاك قواتها فى عام ١٢١٧م/٦١٤هـ للاستيلاء على قلعة جبل الطور من المسلمين ، والتى كان حرص بوهيمند الرابع على استعادة مدينة انطاكية من الارمن سببا فى افشال هذه الحملة . ومن بين الخطابات التى تبادلها البابا جريجورى التاسع مع قادة الصليبيين فى بلاد الشام يبرز خطاب جيرولد بطريرك بيت المقدس (١٢٢٥ — ١٢٣٩م) ، الذى بعث به الى البابا فى ١٨ فبراير ١٢٢٩م/٢٣ ربيع أول ٦٢٦هـ ، كواحد من أهم الوثائق الصليبية المتعلقة بموضوع البحث . ففى هذا الخطاب يطلع البطريرك البابا على بنود الاتفاقية التى عقدها الامبراطور فريدريك الثانى مع الملك الكامل محمد سلطان مصر والتى عرفت باتفاقية يافا ، والتى ساعدالوقوف على آخر بنودها فى معرفة سبب استبعاد امارة انطاكية من هذه الاتفاقية . ويلى ذلك أهمية الخطاب الذى بعث به بوهيمند السادس امير انطاكية الى هنرى الثالث ملك انجلترا فى ١٤ مايو ١٢٥٥م/٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ ، يطلب فيه مساعدة الملك الانجليزى لانقاذ مدينة انطاكية . ويعطينا الخطاب صورة واضحة لأحوال امارة انطاكية وعاصمتها فى أواسط القرن ١٣م/٧هـ فى وقت انصب فيه اهتمام مؤرخى الشرق الصليبى على احوال مملكة عكا الصليبية دون شما لالشام ، الامر الذى انعكس على الكتابات التاريخية الحديثة التى تناولت تاريخ الصليبيين فى بلاد الشام . ولا يقل الخطاب الذى بعث به هولاكو خان مغول فارس الى الملك الفرنسى لويس التاسع فى سبتمبر ١٢٦٠م/رمضان ٦٥٨هـ ، اهمية عما سبقه من خطابات. ويعد الاطلاع على فحوى هذا الخطاب من اهم الاسانيد التى تمت على

أساسها مناقشة واحدة من القضايا الهامة التى تناولها موضوع البحث ، وهى مدى امكانية قيام التحالف بين الصليبيين والمغول ضد المسلمين فى بلاد الشام ومصر من عدمه . وقد دعم الرأى الذى تم التوصل اليه فى هذا الصدد ثلاثة خطابات أخرى بما جاء فيها من معلومات تاريخية لم تذكرها المصادر اللاتينية التى دونت فى الشرق اللاتينى . وهى حسب ترتيبها الزمنى خطاب توماس آجنى أسقف بيت لحم ، ومندوب البابا أوربان الرابع فى بلاد الشام ، الذى بعث به الى ملوك اوربا ورجال الدين فيها يخبرهم بما ورد فى انذار هولاكو لصليبى عكا . والخطاب مؤرخ بأول مارس ١٢٦٠م/١٥ ربيع أول ٦٥٨هـ . ثم خطاب توماس بيرار «Thomas Berard» مقدم جماعة الداوية فى عكا الذى بعث به الى اماديوس «Amadeus» رئيس الجماعة فى انجلترا ، والذى يخبره فيه عن أحوال الصليبيين ابان الغزو المغولى لبلاد الشام ، وأرخ خطابه بالرابع من مارس ١٢٦٠م/١٨ ربيع أول ٦٥٨هـ . وأخيرا الخطاب الذى بعث به مسيحيو الشرق اللاتينى الى شارل كونت انجو شقيق لويس التاسع فى ٢٢ ابريل ١٢٦٠م/٩ جماد أول ٦٥٨هـ يطلبون فيه مساعدته العاجلة قبل أن تلقى الاملاك الصليبية نفس المصير الذى آلت اليه املاك المسلمين فى بلاد الشام على أيدى المغول . والخطابات الثلاثة تعطينا صورة واضحة لحقيقة العلاقات بين المغول والصليبيين ، وتؤكد عدم امكان قيام تحالف بين الطرفين فى الوقت الذى هدف فيه المغول الى اخضاع كل منطقة الشرق الادنى بما تضمه من أملاك مسيحية واسلامية على حد سواء .

الى جانب ذلك ، فهناك بعض الوثائق ساعد الوقوف على ما جاء فيها من معلومات تاريخية على مناقشة عدة قضايا أخرى لم تتناولها الدراسات الحديثة بالدراسة والتحليل . ومن هذه الوثائق رد الامبراطور الالمانى فريدريك بربروسا على خطاب الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين اليه فى عام ١١٧٧م/٥٧٢هـ . الى جانب الوثيقة التى تتعلق بمصاريف اقامة الضيوف السياسيين فى لندن لدى الملك الانجليزى هنرى الثالث ، والمتعلقة بشخص يدعى روبرت جاء الى لندن كمندوب عن كل من بوهيمند الثالث أمير انطاكية والامبراطور البيزنطى مانويل كومنين . وما جاء فى هاتين الوثيقتين ساعد على تحديد الوقت الذى شعر فيه الانطاكيون بعدم قدرة بيزنطة على فرض سيادتها عليهم ، والوقت

الحقيقى الذى انتهت فيه الحمـــاية البيزنطية على امارة انطاكيـــة الصليبية ٠

اما عن بقية الوثائق الصليبية التى ساعدت على القاء الضوء على كثير من نقاط البحث وغوامضه ، فهى تتعلق بالمنح والامتيــازات التى قدمها امراء انطاكية لسائر الطوائف الصليبية من جمــاعات الفرسـان الرهبان وجاليات المدن الايطالية فى بلاد الشام ٠ وهذه المنح والهبـــات حددت طبيعة العــلاقات بين امراء انطاكيـــة وهذه الطوائف الصليبيـة المختلفة ، الامر الذى انعكس فى النهاية على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين ٠ كما ساعد ما جاء فى بنود هذه الوثائق على مناقشة كثير من قضايا البحث ، واهمها دور امارة انطاكية فى دعم موقف جماعات الفرسان الرهبان وجاليات المدن التجـارية الايطـالية فى بلاد الشام ، وهى واحدة من القضايا التى لم تتم دراستها بصورة مســتقلة من قبـــل ٠

وفى الحقيقة ، لم يكن من السهل الحصول على ما سبق ذكره من مراسلات ووثائق تناثرت فى صفحات السجلات التاريخية المختلفة ، أو فى طيات بعض الحوليات الاوربية المتعلقة بتاريخ العصور الوسطى ، والتى لم يتـوفر اغلبهـــا فى مكتبـــاتنا بأرض الوطن - لذا تجدر الاشـــارة الى مجموعات السجلات والحوليات التاريخية التى ضمت بين طياتها تلك الوثائق الصليبية الاصلية الهامة ٠ فبالنسبة لمراسلات الاباطرة البيزنطيين فقد سجلها العالم الالمانى فرانزدلجر «Franz Dolger» فى خمسة أجزاء يهمنا الجزء الثانى منها ، كما وردت نصوصها فى بعض الحوليات الاوربية التى تضمنتها مجموعة التاريخ الالمانى «Monumenta Germaniae Historica» أما عن مراسلات البابوية ، فقد جاءت خطابات ووثائق البابا انوسنت الثالث فى ثلاثة أجزاء (جـ ١٤ ، جـ ١٥ ، جـ ١٦) من مجمـــوعة مينى «Migne» التى تتعلق بتاريخ آباء الكنيسة اللاتينية «Patrologia Latina» اما بقية البابوات الذين أتوا بعد انوسنت الثالث فقد وردت وثائق كل منهم فى سجل خاص بها (١) اما عن خطابات جاك دى فيترى الى البــــابا

---

(٢) انظر قائمة المصادر والمراجع ٠

هنوريوس الثالث فقد نشرها ، باللغة اللاتينية ، مع بقية رسائله السبع ، الالمانى رهرشت فى Zeitschrift Fur Kirchen Geschichte فيما بين عامى ١٨٩٤ و ١٨٩٦م . أما الطبعة الحديثة فقد نشرها هيجنز فى كتابه « خطابات جاك دى فيترى » Lettres de Jaques de Vitry فى عام ١٩٦٠م باللغة اللاتينية أيضا وهى الطبعة التى رجعنا اليها . اما عن وثائق الحملة الصليبية السادسة بما فيها خطاب بطريرك بيت المقدس الى البابا هنوريوس الثالث فقد وردت فى مجموعة هويلارد بريهول (٧ أجزاء) والتى تحمل عنوان « التاريخ الدبلوماسى لفريدريك الثانى » Historia Diplomatica Friderici Secundi .

اما عن خطاب توماس بزرار مقدم الداوية فى عكا الى مقدم الجماعة فى انجلترا ، الى جانب خطاب بوهيمند السادس الى الملك الانجليزى هنرى الثالث فقد وردا فى حوليات بيرتون Annales de Burton الانجليزية . أما خطاب مسيحيى الشرق اللاتينى الى شارل كونت انجو فقد نشره باللاتينيــة ديلابور Delaborde فى « دورية الشرق اللاتينى » «Revue de L'orient Latin» اما خطاب هولاكو الى لويس التاسع فقد اكتشفه بول ميفيرت Paul Meyvaert حديثا ، ونشره باللاتينية فى دورية « عابر السبيل » «Viator» .

وفيما يتعلق بالوثائق التى حررها امراء انطاكية ، والتى قدموا بمقتضاها الكثير من المنح والامتيازات لجمــاعات الفرســان الرهبــان ومختلف الجاليات الايطالية ، فقــد تضمنتها عدة سـجلات مختلفة . فبالنسبة لجماعتى الداوية والاسبتارية ورد ما يتعلق بهما من وثائق فى « السجل العــــام لاسبتارية جمــــاعة القــــديس جان بيت المقــــدس Cartulaire Général des Hospitaltiers de L'Ordre de Saint-Jean de Jérusalem اما عن وثائق جماعة التيوتون فقد وردت فى « مســــجلات جمــــاعة التيــــوتون » «Tabulae Ordinis Theutonici» التى حفظها ارنست شتلكه «Ernest Strehlke» (١) . أما وثائق جمــاعة

---

(١) وارنست جوتفريد ويلهام شترلكه . ولد فى برلين فى ٢٧ سبتمبر ١٨٣٤م/وفى عام ١٨٤٥م صحب اباه (فريدريك شترلكه) الى مدينة دانزج Danzig حيث يعمل أبوه مدرسا بها . وهناك =

القديس العازر «Saint Lazar» فقد وردت فى « أرشيف الشرق اللاتينى «Archives de L'Orient Latin» . كما شمل كتاب سجل ملوك بيت المقدس «Regesta Regni Hierosolymitani» الذى نشره هرشت ، غالبية هذه الوثائق والمراسلات . كذلك نشر كل من جافى «Jaffé» وبوتاست «Potthart» ملخصـــات وثائق البـــابوات ، ونشر تافل وتوماس Tafel (G.L.F.) & Thomas (G.M.) الكثـــير من الوثائق المتعلقة بجاليات المدن الايطالية وخاصة البنادقة منهم .

هذا عن أهم الوثائق والمراسـلات التى خدمت موضــوع البـحث ، ومصادرها . اما عن المصادر اللاتينية الاصلية التي روت تاريخ الحروب خلال الفترة موضوع الدراسة ، وتناولت فيمــا روته تاريخ العـــلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة ، فبالرغم من كثرتها ووفرة المادة التاريخية التى امدتنا بها فان ذلك لم يكن بصورة مستمرة ودائمة . فاحيانا يجد الباحث فى تاريخ الحـروب الصليبية من المؤرخين اللاتين الذين اهتموا بسرد تاريخ الشرق اللاتينى ، وفى أحيان أخرى يقتصر الامر على قلة من المؤرخين قد يصــــل عددهم الى مؤرخ واحد ، مما يشـكل صعوبة بالغـة فى الوقوف على الحقيقة التاريخيـة الكاملة ، خاصة اذا ما أهمل بعض المؤرخين اللاتين ذكر أحوال شـمال الشمال بما يضمه من أملاك صليبية ، تاركين هذا الدور للوثائق والمراسلات

= قابل تيودور هرش Theodor Hirsch مدرس التاريخ فى مدرسة دانزج الذى غرس فيه حب التاريخ . وعكف ارنست على دراسة تاريخ بروسيا . ومن عام ١٨٥٢ الى عام ١٨٥٦م درس شترلكه التاريخ فى جامعة برلين . وبعد انتهاء الحرب الروسية عمـل ارنست كسكرتير للارشـيف السرى الملكى البروسى حيث اطلع على كثير من السجلات والوثائق . وفى ١٨٦٦م انتهى من تجميع سجل جماعة التيوتون من مختلف السجلات والوثائق ومات فى ١٨٦٩م وهو العام الذى طبع فيه عمله الكبير . كما ظهرت طبعة حديثه لهذا السجل نشرتها جامعة تورنتو بكندا تحمل نفس صفحات الطبعة القديمة مع مقدمة عن حياة شترلكه للمؤرخ الالمانى هانز ماير فى عام ١٩٦٦م ، واعيد طبعهـا فى بيت المقـدس فى عام ١٩٧٥ .

H. Mayer life and works of Ernest *strehlke*, in *Ordinis* Theutonici, Canada, 1966, pp. 9-26.

الصليبية أو للحوليات التى دونت فى غرب أوروبا أو للمصادر الاسلامية المعاصرة . لذلك فان تناول أعمال مؤرخي الحروب الصليبية بصفة عامة ، بالنقد والتحليل يعد فى حد ذاته دراسة للكتابة التاريخية زمن الحروب الصليبية .

فلحسن الحظ أن تأثير دعوة البابا أوربان الثانى للمجتمع الاوربى الغربى للاشتراك فى الحملة الصليبية الاولى ، لم ينحصر على الحكام والعامة من طوائف هذا المجتمع . بل تعدى هؤلاء الى طائفة أخرى لا يقل دورها فى حقيقته عن دور المقاتلين الصليبيين أنفسهم . ان لم يكن قد فاقه أهمية بالنسبة لدارسى تاريخ الحروب الصليبية . فقد شارك بعضهم سائر الطوائف التى هبت تلبية لدعوة البابا للقتال ضد المسلمين وساهموا فى تحقيق هدف الحملة الصليبية الاولى ونجاحها الذى لم تصادفه حملة صليبية أخرى . وهؤلاء هم مؤرخو الحملة أنفسهم الذين سجلوا تاريخها وأعمال الفرنج فى الشرق الادنى الاسلامى منذ قدومهم اليه وحتى تثبيت أقدامهم فيه . وكان عدد هؤلاء المؤرخين الوفير من المزايا التى تميزت بها هذه الحملة عما تلاها من حملات . فهم شاهدو عيان لأحداثها ، ومن اتباع قادتها ، ويسر ذلك لهم الاطلاع على مختلف القرارات الصليبية ، وتعد أعمالهم - الى جانب الوثائق الصليبية - أهم مصادر المعلومات التاريخية أصالة . واذا كانت وفرة المعلومات التاريخية تشكل عبئا على الباحث فى التاريخ بصفة عامة ، لما تحتاجه من تمحيص لرواياتها ، ومقارنة لنصوصها المختلفة حتى يتم الوقوف على الحقيقة خالصة ، فان الامر يختلف بالنسبة لدارسى تاريخ الحروب الصليبية التى تعددت أطراف الصراع فيها ، وتداخلت أحداثها وتشابكت وقائعها الى جانب تعدد وتباين أهواء وميول مؤرخيها المعاصرين طبقا لانتماءاتهم وجنسياتهم المختلفة . اذا كان لابد من الرجوع الى اكثر من مصدر معلومات واحد ، حتى يتسنى الأخذ بالحقيقة وحدها .

وهكذا أمدتنا الحملة الصليبية الاولى بوفرة من المؤرخين اللاتين الذين سجلوا لنا تاريخ الشرق الفرنجى منذ خروج الصليبيين من بلادهم فى عام ١٠٩٦م/٤٩٠هـ ، وحتى عام ١١٢٧م/٥٢١هـ . وينقسم مؤرخو هذه الفترة الى قسمين ، الاول منهما ويضم ثلاثة مؤرخين شاهدى عيان

وهم المؤرخ المجهول صاحب كتاب « أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس «Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum» (٤)

وريموتواجيل صاحب كتاب « تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس « Historia Francorum Qui Ceperum iharusalem (٥)

ثم فوشيه أوف شارتر الذى وضع كتاب « أعمال الفرنجة الحاجين الى بيت المقدس Gesta Francorum Iherusalem Peregrimantium (٦)

---

(٤) كان المؤرخ المجهول تابعا لبوهيمند النورماندى وجاء من جنوب ايطاليا ، وهو سليل احدى الاسر النورماندية التى تبعت أسرة تنكريد اوف هوتفيل الى جنوب ايطاليا فى القرن الحادى عشر الميلادى . وقد ظهرت لهذا الكتاب عدة طبعات رجعنا الى الطبعة التى قامت بترجمتها المؤرخة الانجليزية روزالين هل فى عام ١٩٦٤م . راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى ، الاسكندرية ، ١٩٧٦ ، ص ٢ - ٣ .

(٥) ينتمى المؤلف الى آجيل «Aighuile» فى مقاطعة اللوار الأعلى Haute بفرنسا ، وقد انضم الى المندوب البابوى ادهيمار عند اشتراكه فى الحملة الصليبية الاولى ، ثم أصبح كاهنا لريموند كونت تولوز . وبدا فى كتابة مؤلفه أثناء حصار الصليبيين لانطاكية فى عام ١٠٩٨م/٤٩٢هـ ، وأتمه فى نهاية عام ١٠٩٩م/٤٩٣هـ ، بموقعة عسقلان . انظر :

Jean Richard, Raymond d'Aguilers, Historien de La Première Croisade, in J.S., 1971, pp. 206-212.

راجع أيضا جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٧ .

(٦) ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا فى عام ١٠٥٩م/٤٥١هـ . واصبح كاهنها ، وحضر مجمع كليرمونت ، ثم توجه الى الشرق عند قيام الحملة الصليبية الاولى فى صحبة روبرت النورماندى . وبعدعبورالصليبيين لآسيا الصغرى صحب بولدوين شقيق جودفرى دى بوايون الى الرها ليؤسس الاول بها امارته الصليبية ، واصبح فولتشر كاهن كنيسته . وظل فوشيه ملازما لبولدوين حتى وفاة الاخير فى عام ١١١٨م/٥١٢هـ . انظر جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ٧ ، ص ٨ حاشية رقم ٢ . راجع أيضا

Cahen, La Syrie du Nord, P. 10; Oliver J. Tatcher, Critical work on the Sources of the First Crusade, in A.R. A.H.A, Vol. 1, 1900, pp. 502-503; Harold S. Fink, Fulcher of Chartres, Historian of The Latin Kingdom of Jerusalem, in S.M.G, Vol. 5, 1975, pp. 53-55.

والكتاب منشور فى الجزء الثالث من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) وقد اعتمدنا فى هذا البحث على طبعة أخرى باللغة الانجليزية . انظر :

=

وهؤلاء أمدونا بمعلومات عن الحملة الصليبية الاولى منذ خروجها من أوربا وحتى سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين . وقد حظى فتح اللاتين لانطاكية ، وتأسيسهم امارة صليبية بها ، وعلاقات الصليبيين بكل من البيزنطيين والارمن والمسلمين بنصيب وافر من كتابات هؤلاء . واذا كان مؤلفا الاول والثانى منهما يتوقفان بذكر أحداث استيلاء الصليبيين على مدينة عسقلان (١٢ أغسطس ١٠٩٩م/١٤ رمضان ٤٩٢هـ) وانتصار الفرنج على القوات الفاطمية ، فان كتاب فوشيه يغطى الفترة حتى عام ١١٢٧م/٥٢١هـ . وفيما يخص الفترة بين عامى ١١٢٠م/٥١٤هـ و ١١٢٧م/٥٢١هـ يعتبر تاريخ فوشيه هو المصدر اللاتينى الوحيد المعاصر ، ويعد أيضا تاريخا لكل الامارات الصليبية في بلاد الشام . وتمتاز روايات هؤلاء بالاصالة لكونهم شهود عيان ومشاركين في الاحداث التى كتبوا عنها .

اما عن القسم الثانى من المصادر اللاتينية التى عالجت هذه الفترة فنورد منها ما سجله البرت دكس عن تاريخ حملة جودفرى دوق اللورين السفلى وأول حكام بيت المقدس اللاتين بعنوان « كتاب الحملة المسيحية لأخذ وتطهير واسترداد مدينة بيت المقدس »
«Liber Christianae Expeditionis Pro Erepitione,
Emundatione et Restitutione Sanctae Hierosolymitanae
Ecclesiae (٧) وكتاب رادولف دى كان « أعمال تنكريد في الحملة الى بيت المقدس « Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitena (٨)

= Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem (1095-1127). Trans. by Rita France Ryan, Tennessee, 1969.

(٧) لا نعرف على وجه التحديد الاسم الكامل لهذا المؤرخ ومكان مولده . وكل ما عرف انه كان أمينا لخزانة مدينة أكس Aix وانه عاش فيما بين عامى ١١١٩م/٥١٣هـ ، ١١٥٠م/٥٤٤هـ ، وهى الفترة التى من المحتمل ان يكون قد وضع فيهما تاريخه (ربما بدأ ذلك في عام ١١٢٥م/٥١٩هـ) . ويتميز كتابه بالدقة البالغة والمعلومات الوفيرة عن الشرق اللاتينى بالرغم من أن عمله يتسم احيانا بسمة أسطورية . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ١٥ ، ١٦ ، حاشية ٢ ، راجع أيضا :
Cahen, La Syrie du Nord, p. 12,; Oleiver J. Tatcher, Critical work, p. 508.

(٨) لم ير هذا المؤرخ شيئا مما رواه لنا . فقد ولد حوالى ١٠٨٠م/ =

واخيرا كتاب ابكهارد دورا « بيت المقدس » Hierosolymita (٩) واذا كان هؤلاء لم يشاهدوا وقائع الحملة الصليبية الاولى فان الاول منهم مع انه وضع تاريخه فى اوروبا ولم يحضر الى الشرق ، الا أنه استقى معلوماته من مصادر اصلية مثل اعمال كل من المؤرخ المجهول وريمون داجيسل وفوشيه دى شارتر . كما استمع الى روايات من عادوا من الصليبيين الى أوربا ، ويغطى كتابه الفترة حتى عام ١١٢٢م/٥١٦هـ . أما رادولف فقد كان كاهنـا خاصـا لتنكريد الذى روى له ذكرياته عن الحملة الاولى واحداثها ، فوضع تاريخا لاعمال سيده تنكريد ، أصبح تاريخـا لامارة انطاكية التى تولى تنكريد الحكم فيها بعد موت خاله بوهيمند الاول . وينتهى كتابه عند عام ١١٠٥م/٤٩٩هـ . أما ايكهارد فقد اتى الى فلسطين عام ١١٠١م/٤٩٥هـ . وعاد الى اوربا ليضع كتابه الذى اعتمد فيه عـلى ذكرياته الشخصية فى الشرق ، وروايات الآخرين التى تتفق مع روايات كثيرة صحيحة ودقيقة وذكرها غيره من المؤرخين اللاتين .

= ٤٧٣هـ بمدينة كان Caen بفرنسا وانخرط فى سلك الرهبنة ، ويسر له ذلك أن يدرس الاعمال اليونانية واللاتينيـة القديمـة سواء كانت تاريخيـة أو شعرية ، وتأثر بهـومروسوفكليس وفيرجيل وهيرودوت وغيرهم ، وانعكس ذلك على كتابته التى غلب عليها تفخيم الاسلوب والتفاصح . ورافق قوات بوهيمند فى حملته ضد بيزنطة فى ١١٠٧م/٥٠١هـ ثم وصل الى بلاد الشام فى ١١٠٨م/٥٠٢هـ ، ولازم تنكريد ودخل فى خدمته ووضع كتابه بعد عام ١١١٢م/٥٠٦هـ . وتوفى رادولف بعد عام ١١٣١م/٥٢٥هـ انظر :

Henri Glaesener, Raoul de Caen, Historien et Ecrivain, in R.H.E., Vol. 46, 1951, pp. 5-21.

وكتاب رادولف منشور فى الجزء الثالث من مجمـوعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) .

(٩) قدم ايكهارد «Ekkehard» « راهب دير أورا » «Oracha» لتلك المدينة الواقعة على نهر مان «Main» الاعلى بالمانيا ، الى الشرق فى عام ١١٠١م/٤٩٥هـ حاجا الى بيت المقدس . واستغل فرصة وجوده فى الحصول على ما يمكنه جمعه من معلومات عن الحملة الصليبية الاولى من شهود العيان . وعنـد عودته الى بلدته فى المانيا وضع كتابه ليكون جزءا من كتاب عن تاريخ العـالم كان يفكر فى تاليفه . والكتاب منشور فى الجزء الخامس من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . انظـر :
Tatcher, Critical work, p. 503; Cahen, La Syrie du Nord, p. 11.

وممن كتبوا عن أحداث الحملة الصليبية الاولى دون أن يشـاركوا فيها او يأتوا الى الشرق أبدا كان المؤرخ النورماندى أوردريك فيتاليس «Ordric Vitates» الـذى وضـع كتـابا بعنـوان « تاريخ الكنيسـة » «Historia Ecclesiastica» (١٠) الذى يدل على انه كان ذا ثقافة عالية . فقد نقل عن أكثر من خمسين مصدرا تاريخيا (١١) الى جانب ما استقاه من الوثائق والروايات الشفهية . وبالرغم من عدم التزامه بالترتيب الزمنى للاحداث ، وعدم التزامه بخطة عامة لوضع تاريخه ، الا ان كتابه على جانب كبير من الاهميـة بالنسبة لتاريخ الحملة الصليبية الاولى ، وعلاقة بيزنطةبالصليبيين . وتعد المعلومات التى أوردها عن الحمـــلة الاولى وما تلاها من أحداث حتى عام ١١٢٣م/٥١٩ هـ . أهم المعلومات التاريخية الاصلية . فقد استقاها من روايات من عاد من الفـرنج الى فرنسا ، ومما وصل الى اوربا من تقارير عن أحداث هذه الفترة . وكان

---

(١٠) يعد فيتاليس من المؤرخين الانجلو نورمان ، فمع أنه عاش فى نورمانديا الا أنه ولد فى انجلترا فى عام ١٠٧٥م لأب نورماندى (Odelerius d'Orleans) وام انجليـزية (Angligena) جاء أبوه الى انجلترا فيما بين عامى ١٠٦٦م و ١٠٦٨م/٤٥٨ و ٤٦٠هـ . وفى سن الخامسة درس أوردريك فى كنيسة شروسبرى «Shrewsbury» . وفى العـاشرة أرسـله أبوه الى نورمانديا حيث اصبح راهبا فى دير القـديس افرول St. Evroul وعاد الى انجلترا فى زيارة قصيرة فى عام ١١١٥م/٥٠٩هـ . واثر ارتباطه بانجلترا على كتاباته التاريخية لارتباط انجلـترا بنـورمانديا (وطن النورمان الاصلى) ثقافيا وسياسيا فى عصره ، وتأثر كثيرا بالمؤرخين الانجليز . وكرس كتابه لسرد تاريخ كنيستى انجلترا ونورمانديا . ووضعه بنـاء على طلب روجـر اوف لى سـاب «Roger of Le Sap» اسقف دير القديس افرول (١٠٩١ — ١١٢٧م) . ويتكون الكتاب الذى وضعه أوردريك من ثلاثة عشر فصلا ، تغطى الفترة من ١ — ١١٤١م . ووضعه أوردريك فيمـا بين عامى ١١١٤م و ١١٤١م . وقد تأثر أوردريك فى كتابته ببعض المؤرخين الانجليز مثل بيده «Bede» ووليم اوف مالمسـبرى ، وبعض المؤرخين النورمان مثل وليم اوف بواتييه «William of Poitiers» ومات فيتاليس فى عام ١١٤٣م . وللمزيد عن حياة فيتاليس وأعماله . انظر :

Antonia Gransden, Historial writing in England C. 550 to C. 1307, 2 Vols, London, 1974, Vol. 1, pp. 151-165.

(١١) Ibid, p. 160.

فيتاليس محايدا بالنسبة لمشكلة انطاكية التى قامت بين الكسيوس وبوهيمند ثم تنكر يد من بعده • وأكدت روايته عن تلك المشكلة حسن نية الامبراطور البيزنطى تجاه الفرنج وعدم تخليه عن الحملة كما اتهمه الفرنج بذلك •

والى جانب فيتاليس – من المؤرخين الذين لم يشتركوا فى الحملة الصليبية الاولى وكتبوا عنها فى أوربا – هنـاك المؤرخ الانجلونورماندى وليم راهب دير مالمسبرى «William of Malmesbury» الذى وضع كتاب « أعمال ملوك الانجلـيز » «Gesta Regum Anglorum» (١٢) الذى تناول فيه احوالهم لوك انجلترا وعلاقاتهم بملوك أوربا والبـــابوية • وترجع أهمية الكتاب الى اعتماد المؤلف على مصادر معلومات مفقودة • وقد أمدنا وليم بمعلومات قيمة عن سقوط انطاكية فى ايدى اللاتين • وكان المؤرخ الوحيد الذى وقف على مادار بين كربوغا وكونتبلوا من محادثات حين بعث قادة الصليبيين بالاخير الى المسلمين طلبا لرجوع كربوغا عنهم بعـد أن حاصرهم داخل انطاكية • كما اكدت المعلومات التى اوردها وليم بعض التواريخ التى جاءت فى أعمال غيره من مؤرخى الحملة الاولى اللاتين •

والى جانب هؤلاء رجع البـاحث الى عدة مؤلفـات لاتينية ألقت الاضواء على بعض نقاط البحث بما أوردته من معلومات تاريخية تخدم موضوع الدراسة بطريقة مباشرة أو غير مبـاشرة فيمـا يتعلق بالتـاريخ المبكر للشرق الفرنجى • ومن هذه المؤلفات كتاب « تحرير مدن الشرق » «Leberatis Civitatum Orientis» للمؤرخ الجنوى كفارو (١٣) •

---

(١٢) ولد وليم فى عام ١٠٩٥م/٤٨٩هـ ، لوالدين أحدهما نورماندى والآخر انجليزى • وبدأ حياته راهبا فى دير مالمسبرى ، حيث عمل مساعدا للاب جود فرى (رئيس الدير) فى ترتيب مكتبة الدير ، ثم تولى ادارة المكتبة بعد موت جود فيرى • وكان لعمله بالمكتبة اثر كبير فى ميل وليم الى الكتابة التاريخية • ويعـد كتابه « اعمال ملوك الانجليز » تاريخا لانجلـترا منـذ قدوم السكسون اليها (٤٤٩م) وحتى عام ١١٢٧/٥٢١هـ • كما وضع وليـم عدة كتب اخرى أهمها « أعمـال أساقفة الانجلـيز » «Gesta pontificum Anglorum» ومات وليم فى عام ١١٣٤م/٥٣٨هـ ، انظر :
Antonia Gransden, Historical Writing, Vol. 1, pp. 167 ff.

(١٣) ينحدر كفارو من اسرة جنوية • أتى الى الشرق سنة ١١٠٠م/٤٩٤هـ وعدة مرات أخرى • وضع كتابه فى عام ١١٥٥م/٥٥٠هـ =

وكتــاب « أعمـــال الفــرنج التى أدوها بفضـــل الرب « «Gesta Dei Per Francos» الذى وضعه «جيبرت دى نوجان» Guibert de Nogent (٤)
ويضاف الى هؤلاء كتاب ثالث يحمل عنوان « القســم الثانى من تاريخ بيت المقدس » «Secunda Pars Hierosolymitanae» ينسب الى الى شخص يدعى ليزيا الفورى (١٥) .

واذا كان بعض مؤرخى الحملة الصليبية الاولى المعاصرين قد وصلوا باعمالهم حتى منتصف العقد الثالث من القرن الثانى عشر الميــــلادى / السادس الهجرى ، فقد مدنا الشرق الفـــرنجى بنوع آخر من المؤرخين اللاتين ، وهم المؤرخين الذين نشأوا فى الشرق اللاتينى . ويأتى فى مقدمة هؤلاء والتر (جوتييه) المستشار Walter The Chancellor ويعــــد الكتاب الذى وضعه بعنوان « الحرب الانطاكية » «Bella Antiochena» من اكثر المصادر اللاتينية ، المتعلقة بتــاريخ امارة انطاكيــة الصليبية ، أصالة (١٦) . فقد وضع والتر كتابه بناء على رغبة سيده أمير انطاكيــة روجر الانطاكى . وترجع اهمية الكتاب الى أن صاحبــه كان من لاتين انطاكية ، وكان على علم تام بجغرافية وأحداث بلاد الشام فى عصره . وكان مستشارا لروجر الانطاكى وكتابه يعالج السنوات من ١١١٤م الى ١١٢٢م ،

= كما وضع حوليات جنوا وهو كتاب يعــالج الفترة من ١١٠٠م/ ٤٩٤هـ الى ١١٦٣م/٥٥٩هـ . وكتــابه « تحرير مدن الشرق » منشور فى الجزء الخامس من مجمــوعة مؤرخى الحــروب الصليبية ، (المؤرخون الغربيون) . انظر :
Cahen, La Syrie du Nord, p. 11.

(١٤) ولد جيبرت فى مدينة كليرمونت ووضع الى جانب كتابه بعض المؤلفات فى علم اللاهوت . وكتابه يعالج السنوات من ١٠٩٥م/ ٤٨٩هـ الى ١١٠٤م/٤٩٨هـ والكتاب منشور فى الجزء الرابع من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . انظر : Fulcher of Chartres, p. 46.

(١٥) الجزء الاول من هذا الكتاب والذى يعالج السنوات من ١٠٩٥ - ١٠٩٩م/٤٨٩ ، ٤٩٣هـ) يبدو أنه مفقود . وعاش مؤلفه فى مدينة لاون Laon فى عام ١١٦٨م . والكتاب يعد تنقيحا لكتــــاب فوشيه ، الا انه اضاف اليه كثيرا من المعلومات التاريخية الهامة . انظر :
Fulcher of Chartres, p. 48.

(١٦) الكتاب منشور فى الجزء الخامس من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) .

وهى من الفـترات التى زخرت باهم العـلاقات السياسية بين انطـاكية والمسلمين • والتى حقق فيها اللاتين اقصى اتساع لاماراتهم الصليبية على حساب المسلمين • ويعد كتابه ثبتا دقيقا لعلاقة روجر بالمسلمين • وهو آخر من انجبه شمال الشام اللاتينى من مؤرخين ، وآخر من اهتم بسرد تاريخ امارة أنطاكية الصليبية •

واذا كانت الحملة الصليبية الاولى قد أخرجت العديد من الاعمـال التاريخية اللاتينية ، التى أمدتنا بالمادة العلمية الوفيرة التى تمـيزت بالدقة والاصالة ، والتى ساعدت ـ مشاركة فى ذلك ، المصادر الاسلامية المعاصرة لها ـ على رسم صورة واضحة لأحداث تلك الفترة وحتى العقـد الثالث من القرن ١٢م/٦هـ ، وعلى تحديد طبيعة العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، فان الشرق اللاتينى ، منذ توقف كتاب فوشيه اوف شارتر وحتى عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ لم يخرج لنا سوى مؤرخا لاتينيا واحدا ، يرجع اليه الفضل فى الوقوف على كثير من الحقائق التى رسمت صـورة دقيقة لأحوال افرنج الشرق وعلاقاتهم السياسية بالمسلمين • ولم يكن هذا المؤرخ الا وليم الصورى «William of Tyre» (١٧) الذى يعتـبر كتـابه

(١٧) ولد وليم الصورى فى مدينة بيت المقدس فى عام ١١٣٠م/٥٢٤هـ ، ومن المحتمل أن يكون أحد أجداده قد شارك فى الحملة الصليبية الاولى • ولا نعرف الموطن الاصلى لاسرته ، فلم يكن حريصا على ذكر أصله كما كان حريصا على ذلك بالنسبة للآخرين • وكل ما نعـرفه عن اسرته أن أمه ماتت فى عام ١١٨١م/٥٧٦هـ ، وأن اخاه رالف «Ralph» مات فى احدى المعارك ضد المسلمين • ويمكن معرفة القليل عن حياته الاولى وثقافته مما ذكره بنفسه فى احد فصول كتابه (فصل ١٩ فقرة ١٢) الذى يضمه مخطوط واحد فقط من بين مخطوطات الكتاب والذى اكتشفه حديثا Huygens فقد أمضى وليم ـ الابن الاكبر لوالدين يعيشان فى سعة ورغد من العيش ـ عشرين عاما من حياته (١١٤٥ ـ ١١٦٥م/٥٣٩ ـ ٥٦٠هـ) مسـافرا فى فرنسا وايطاليـا طلبا للعلم • فدرس علم اللاهوت والفلسفة والرياضيات فى باريس وشارتر وأماكن أخرى • كما درس الكلاسيكيات فى أورليانز والقانون فى بولونيا • وفى عام ١١٦٥م/٥٦٠هـ عاد الى الشرق حيث تقلد عدة مناصب هامة فقد شغل وظيفة رجل القانون الكنسى فى عكا ، ورئيس شمامسة فى بيت لحم وصور • وفى عام ١١٧٠م/٥٥٦هـ أصبح مربيا ومعلما =

« تاريخ الاعمال التى تمت فى بلاد ما وراء البحر منذ وقت خلفاء محمد (صلى الله عليه وسلم) وحتى عام ١١٨٤ من الميلاد »
«Historia rerum in Partibus transmarini gestarum a tempore successorum Mahumeth usque ad annum Domini MCLXXIV»

من أكثر المصادر اللاتينية دقة وشمولا . وقد وضعه وليم بتكليف من عمورى الاول ملك بيت المقدس (١١٦٣ — ١١٧٤م/٥٥٩ — ٥٦٩هـ) ليكون سجلا لأعمال الملك الصليبى(١٨) ويبدأ الكتاب بالفتح الاسلامى لسوريا كمقدمة للحروب الصليبية ، ثم غطى فترة الحملة الصليبية الاولى

= لبولدوين الرابع ملك بيت المقدس . ابن الملك عمورى الاول . ومنذ عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ أصبح مستشارا للمملكة الصليبية ورئيسا لأساقفة صور . وبالاضافة الى ذلك فقد كلفه بولدين الرابع بمهام رسمية الى القسطنطينية ، والى مجلس اللاتيران الثالث . وفى ١١٨٠م/٥٧٦هـ حدثت تغيرات سياسية فى المملكة اطاحت بآماله فى أن يصبح بطريركا لبيت المقدس ، المنصب الذى شغله البطريرك هرقل لينتهى الدور المؤثر لوليم الصورى فى مملكة بيت المقدس . ومات وليم فى عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ . انظر :
R.B.C. Huygens, Guillaume de Tyre étudiant Un chapitre (XIX, 12) de son «Histoire» retrouvé, in Latomus, t. 21, 1962, pp. 811-829; R.H.C. Davis, William of Tyre, in Relations between East and West in the Middle Ages, ed. by Derek Baker, Edinburgh, 1973, pp. 64-76, R.C. Smail The Crusaders in Syria and the Holy Land, Great Britain, 1973, p. 187.
راجع أيضا : عمر كمال توفيق : المؤرخ وليم الصورى ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ٢١ لسنة ١٩٧٠م ؛ مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦٩م ، ص ١٨ — ٢٠ .

(١٨) وضع وليم الصورى كتابا آخر بعنوان « تاريخ الحكام الشرقيين » «Historia Orientalium Pricipum» ولكنه مفقود . أما كتابه «Historia» فهو منشور فى الجزء الاول من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) . وقد اعتمدنا على نسخة اخرى باللغة الانجليزية . انظر :
William Archbishop of Tyre. A History of Deeds done beyond the sea, 2 vols, Trans. and annoted by Emily babcock and A.C. Krey, New York, 1943; R.B.C. Huygens. Editing william of Tyre, in S.E., Vol. 27, 1984, pp. 461-473.

حتى عهد بولدوين الثانى ، معتمدا فى ذلك على ما جاء فى كتب من سبقوه من المؤرخين اللاتين مثل المؤرخ المجهول وريمون داجيل وفولشر أوفشارتر والبرت دكس ووالتر المستشار ، الى جانب ما أمده به الملك عمورى من كتب المؤرخين المسلمين(١٩) . لذلك لم يكن وليم الصورى يجهل أحداث الفترة المبكرة على الحروب الصليبية وحتى عهده هو . ثم استمر وليم فى تاريخه حتى عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ . وما كتبه وليم منذ أحداث ١١٦٧م/ ٥٦٣هـ يعد أكثر أجزاء تاريخه قيمة تاريخية وأصالة ، فقد كان شاهد عيان لما جرى من أحداث فى هذه الفترة . وكان محل ثقة البلاط الصليبى ، ومستشار المملكة ،ومربى الملك الطفل ، وصاحب النفوذ الاكبر فيها ، الامر الذى جعله مشاركا فى القرارات السياسية الصليبية . لذا يعد كتابه سجلا تاريخيا دقيقا للشرق الصليبى كله . ولا غرو أن ينقل عنه كل من تناول تاريخ الصليبيين فى القرن ١٢م/٦هـ . وكان لكتابه تأثير كبير فى الكتابات التاريخية فى أوربا . فترجم الى الفرنسية القديمة فى القرن ١٣م/٧هـ ، وصارت هذه الترجمة معروفة لدى كل المثقفين فى كل أنحاء أوربا . ولا عجب ان يتأثر به كل من جاك دى فترى ومتى الباريزى وحتى جان دىجوانفيل ودانتى اليجيرى(٢٠) .

لذلك كله كان لابد وأن يكون لتاريخ وليم الصورى عظيم الفائدة بالنسبة لموضوع البحث . فقد أمدنا وليم على امتداد كتابه بمادة وفيرة لم ترد فى أعمال من سبقوه من المؤرخين ، بالاضافة الى ما نقله عنهم خاصة فيما يتعلق بتاريخ العلاقات بين انطاكية والمسلمين منذ قدوم الصليبيين الى بلاد الشام وحتى نهاية الدولة الفاطمية . أما عن الفترة التى عاصرها وليم ، فقد ساعد ما أورده من معلومات تاريخية على الوقوف على أحوال الفرنج المتردية فى بلاد الشام فى عام ١١٧١م/٥٧٦هـ،فى الوقت الذى لم يغفل فيه وليم — بحسه السياسى الذى لم يتمتع بمثله قادة الفرنج

---

(١٩) من المحتمل أن يكون الفرنج قد حصلوا على هذه الكتب ضمن ما استولوا عليه من أمتعة أسامة بن منقذ التى كانت فى السفينة الغارقة بالقرب من عكا ، والتى وضع بولدوين الثالث يده عليها فى عام ١١٥٤م/٥٤٩هـ : انظر : A.C. Krey,
William of Tyre, p. 154, note. 1.

(٢٠) Ibid, p. 166.

انفسهم - أحوال المسلمين وازدياد قوتهم وما انجـزه صـلاح الدين من نجاحات فى توطيد كلمة المسلمين تحت لوائه . وساعد تتبع وليم الصورى لانجازات صلاح الدين على تحديد طبيعة سياسة صـلاح الدين تجـاه انطاكية قبل حطين . وقد حظى بوهيمند الثالث امير انطاكية بالنصيب الاكبر من بين امراء الفرنج باهتمام وليم الصورى ، وساعدت المعلومات الدقيقة التى امدنا بها المؤرخ الكبير على التاكد من حدوث الاتفـاق بين كونت الفلاندرز وريموند كونت طرابلس وبوهيمند الثالث على محـاولة الاستيلاء على حارم فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ دون الاشتراك فى الحمـلة البيزنطية الصليبية المشتركة المزمع قيامها ضد مصر ، الامـر الذى اكد ان سلطة بيزنطة وحمايتها على امارة انطاكية قد انتهيتـا قبـل موت مانويل كومنين بثلاث سنوات . وهى احدى القضايا الهامة التى ناقشها موضوع البحث . وهكذا كان بوهيمند الثالث صاحب النصيب الاوفر من النقد الذى وجهه وليم الصـورى لســادة الفـرنج المهتمين بمصالحهم الشخصية دون الصالح الصليبى العام فى الوقت الذى طوقهم فيه صـلاح الدين استعدادا لتوجيه ضربته القاضية الى مملكتهم الصليبية . وبين فى ذلك قصور سياسة بوهيمند الثالث ، واثر ذلك فى الاضرار بصالح الكنيسة والمملكة الصليبيتين . كما تميز تاريخ وليم الصورى عما لحقه من حوليات صليبية بوفرة المعلومات التاريخية . فلم ير المؤرخ الصليبى غضاضة فى ذكر تفاصيل ما دار من معارك بين الفرنج والمسلمين حتى التى انتهت منهـا بانتصار المسلمين . ومن أسف أنه لم يشهد استيلاء صلاح الدين على أملاك الفرنج بعد حطين وان كان تنبأ بكل ذلك . فمنـذ عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ وبعد عودته من أوربا وبيزنطة ، وجد تغيرا كبيرا فى مملكة بيت المقدس . فالملك بولدوين الرابع مريضا بالجذام ، وسيطر حزب امه آجنيس دى كورتينـــاى على الامور ، وتم تعيين هرقل بطـــريركا للمملكة بعـــد موت البطريرك عمورى (١٦ اكتوبر ١١٨٠م/٢٤ جمادى أول ٥٧٦هـ) . وبذلك انتهى دور وليم المؤثر فى سياسة المملكة وانتهى معه أمله فى اعتلاء كرسى بطريركيـــة بيت المقــــدس . وكان لذلك تاثيره على كتـــابته التاريخية(٢١) فبالرغم من تفرغه لاتمام تاريخه ، فقد انتابه الحـزن

---

(٢١) P.W. Edbury and J.G. Rowe, William of Tyre and the Patriarchal election of 1180, in E.H.R., Vol 366, 1978 pp. 1-25.

وتميزت توقعاته بالنسبة لمستقبل الفرنج فى الشرق باليأس والتشاؤم(٢٢). فلم يهتم سوى بأحوال المملكة ، ونلمس فى نهـايات تاريخه عدم وجود انطاكية الا بما يقوم به اميرها بوهيمند الثالث من اعمال تضر بالصـالح الصليبى فقط . ومات وليـم الصـــورى دون ان يكمـــل تاريخه ، أو بالأحرى تاريخ مملكة بيت المقدس . وربما كان ذلك عقابا حتمته الصدفة ، للمملكة التى لم ترد له صنيعه اليهـــا بتحقيق حلمـــه فى اعتـــلاء كرسى بطريركيتها . وبتوقف تاريخ وليم الصورى ينتهى آخر التواريخ اللاتينية التى دونت عن الحروب الصليبية . ليبدأ ما يعرف بالحوليات التاريخيـــة لتروى بقية قصة الحركة الصليبية ، بنمط جديد ، وبلغة جديدة .

وبانتهاء تاريخ وليم الصورى تنتهى الكتابة التاريخية اللاتينيـــة الشاملة . فقد كان وليم الصورى حريصا على تدوين كل ما يشـاهده أو يسمع به سواء كان ذلك لصالح المسلمين أو الصليبيين على حد سواء . ولم يتـــورع عن ذكر تفاصيل انتصـــارات المســلمين عـــلى بنى جلدته حسبما اسلفنا . فهو يورد كل ما يعرفه توخيا لذكر الحقيقة كاملة . وعلى العكس من ذلك نجد ما كتبه من جاء بعده من المؤرخين اللاتين فى الشرق - فالى جانب اهتمامهم بأحوال المملكة الصليبية فى بيت المقدس ثم فى عكا دون الاهتمام بأحوال الصليبيين فى شمال الشام بالقدر المطلوب ـ ربما كان ذلك بسبب تركز قوة المسلمين فى مصر بقيادة الدولة الايوبية فيها ، وبعد ان انحسرت الاضواء عن العراق وحلب كمركز ثقل للمقاومة الاســلامية ضد الصليبيين ـ فقد جاء ما ذكره هؤلاء المؤرخين عن افرنج شمال الشام مختصرا ولا يشفى غلة الباحث . واحتلت خلافات الفرنج التى شجرت فيما بينهم ، واخبار الحملات الصليبية التى جلبت الى بلاد الشـــام ، والمواجهة الاسلامية للصليبيين فى فلسطين ، صفحات حوليـــات هؤلاء المؤرخين ، ولم يرد ذكر صليبى شمال الشام الا حين كان امراء انطاكية ـ طرابلس ينغمسون فى كل ذلك . وطالعتنا الحوليات الصليبية التى دونت فى الشرق اللاتينى باللغة الفرنسية الوسيطة بالنذر اليسير من المعلومات

---

(٢٢) كتب فصلا واحدا من الكتاب الثالث والعشرين انظر :
D.W.T.C. Vessey, William of Tyre and the art of Histriography, in M.S., Vol. 35, 1973, pp. 433-455.

التاريخية التى تساعد على تتبع أحوال امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها بجيرانها المسلمين تاركة هذا الدور لبعض المصادر الاسلامية المعاصرة وللوثائق الصليبية السابق الاشارة اليها والحوليات الاوربية . واذا كان ذلك ينطبق على المصادر الصليبية والاسلامية خلال العقود الثلاثة الاولى من القرن ١٣م/٧هـ ، فانه بظهور الخوارزمية ومن بعدهم المغول ، فقد شارك المؤرخون المسلمون مؤرخي الصليبيين فى اغفال الحديث عن أحوال الصليبيين فى انطاكية وطرابلس ، ولم تحتل امارة انطاكية فى كتابات الجميع سوى النزر اليسير من الصفحات ، وربما كان الاهتمام بالحديث عن الخطر المغولى الذى شغل بال الجميع فى الشرق الادنى وحتى فى غرب أوربا ، قد طغى على الكتابات التاريخية الاسلامية الصليبية معا . ولم يساعد على رسم صورة واضحة ــ بقدر الامكان ــ عن أحوال امارة انطاكية بدءا من العقد الرابع من القرن ١٣م/٧هـ وحتى سقوطها فى ايدى المماليك سوى كتابات بعض الرحالة الذين عرجوا الى بلاد الشام فى طريق عودتهم من شرقى آسيا أو من أوربا الى الشرق الادنى الاسلامى . هذا الى جانب بعض المراسلات والوثائق الصليبية ، وما جاء فى حوليات المؤرخين الاوربيين من تقارير عن أحوال الفرنج فى بلاد الشام بعث بها قادتهم الى حكام أوربا ورجال الدين فيها .

وقد استتبع ذلك الرجوع الى مختلف المصادر التى دونت فى الشرق اللاتينى أو غرب أوربا . ومن المصادر التى وضعها مؤرخون أقاموا فى الشرق الفرنجى ، كانت هناك عدة تذييلات على تاريخ وليم الصورى وضعت كلها باللغة الفرنسية الوسيطة . ويأتى فى مقدمة هذه التذييلات كتاب « حولية ارنول وبرنارد وكيل الخزانة »
(٢٣) «Chronique de Ernoul et de Bernard Le Trésorier»

---

(٢٣) برنارد هو وكيل خزانة القديس بطرس فى دير كوربى «Corbie» بفرنسا كما يخبرنا فى آخر سطور الكتاب . ووضع الكتاب استنادا الى مخطوط مفقود وضعه شخص يدعى ارنول بعنوان « حروب صلاح الدين » (التى تحتل جزءا كبيرا من الكتاب) ويتوقف عند عام ١٢٣١م/٦٢٧هـ . انظر :
Chronque de Ernoul et de Bernard Le Trésorier, ed. L. de Mas-Latrie, Paris, 1871, p. 472.

الذى كان الهدف من وضعه هو توضيح الكيفية التى فقد بهـــا الصليبيون مملكة بيت المقــدس فى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، ثم اعادة تكوين الشرق اللاتينى على الساحل السورى وفى جزيرة قبرص(٢٤) • ويبدأ الكتـاب بسرد تاريخ مملكة بيت المقـدس حتى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ بشكل غير منتظم • وبعد ذلك يسرد الكتاب تاريخ الاربعين عاما التالية بتركيز شديد على الحملات الصليبية • كما يشمل الكتـاب استطرادات عن بيزنطة وحياة أمراء غرب أوربا الذين كان لهـم تاثير على دول الشرق وملوك فرنسا وانجلترا وخاصة اباطرة غرب أوربا • اما فيمـا يخص موضـوع البحث ، فان كتاب ارنول ــ برنارد ساعد على التاكد من بعض المعلومات التى وردت فى المصادر الأخرى وخاصة فى بقية تذييـلات تاريخ وليـم الصورى ، والتى تتشابه نصوصها مع نصوص كتـاب أرنول بصـورة مستمرة • ولا يؤخذ على الكتاب سوى الايجـاز الشـديد الذى يشـوب رواياته ، وانتقاله من الحديث عن موقعة الى الحديث عن أخرى دون ذكر التفاصيل الهامة لكليهما مما أخل بوحدة موضوعه •

اما التذييل الثانى على كتـاب وليم الصـورى فهـو تاريخ هرقل Estoire de Eracles (٢٥) الذى يعد المصدر الاساسى الذى يعـالج

---

(٢٤) Cahen, La Syrie du Nord, p. 20.

(٢٥) يعالج الكتاب الفترة من ١١٨٤م/٥٨٠هـ الى ١٢٧٧م/٦٧٥هـ • ويتكون من النصوص التى وردت فى عدة مخطوطات تحمل أرقام A,B,C,G,D •وتبدأجميعها بآخر فصول كتاب وليم الصورى، ولأن وليم بدأ تاريخه بالحديث عن الامبراطور هرقل، فقد ظن مكمل تاريخ وليم أن الاخير وضع كتابه باسم الامبراطور البيزنطى • لذا وضع لتذييله على تاريخ وليم الصورى اسم « تاريخ هرقل »• ويتكون المتن فى هذا التاريخ مما جاء فى المخطوطات A,B,C,G أما ما جاء فى المخطوط D فقد نشر فى الهامش الاسـفل من الكتاب • وعندما يختفى هذا المخطوط من الهامش فذلك يعنى أنه يتفق تماما مع ما جاء فى المتن وينتهى المخطوط «A» عند عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ بينما ينتهى المخطوط B عند عام ١٢٦٤م/ ٦٦٢هـ فى حين ينتهى المخطوط C عند عام ١٢٧٥م/٦٧٣هـ وينتهى المخطوط G عند عام ١٢٧٧م/٦٧٥هـ • وفيما يخص المخطوط D فقد رجعنا الى نسخة مدينـة ليون التى قامت بنشرها روث مورجان وهى تغطى الفترة من عام ١١٨٤م/٥٨٠هـ =

تاريخ الصليبيين فى بلاد الشام والحملات الصليبية التى جاءت الى الشرق بعد موقعة حطين وحتى عام ١٢٧٧م/٦٧٥هـ . وبالرغم من ذلك فانه مثل بقية المصادر الصليبية المعاصرة ، فقد اهتم بسرد أحوال الفرنج فى مملكة عكا الصليبية وعلاقاتهم بالمسلمين بدءا من صلاح الدين وحتى الظاهر بيبرس بتفصيل أكثر مما روى لنا أحوال أمراء انطاكية وعلاقاتهم بجيرانهم المسلمين . وجاءت رواياته عن فتوح صلاح الدين فى امارة انطاكية بعد حطين ، وكذلك سقوطها فى أيدى المماليك فى ايجاز شديد . وبالرغم من أنه أمدنا بمعلومات عن قبائل التركمان وعلاقاتهم بانطاكية ـ الى جانب ما أورده متى الباريزى وما جاء فى خطاب بوهيمند السادس الى هنرى الثالث ملك انجلترا من معلومات ـ مما ساعد على رسم صورة واضحة لاحوال امارة انطاكية فى أواسط القرن ١٣م/٧هـ ، وما أمدنا به من معلومات عن علاقات أمراء انطاكية بالارمن والجماعات العسكرية الرهبانية ، بالرغم من كل هذا فان تاريخ هرقل بدءا من عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ وحتى نهايته لا يعد تاريخا بالمعنى الدقيق بقدر ما يعد جمعا للمادة التاريخية ، الامر الذى يجعله يشبه حوليات بيت المقدس من حيث الايجاز ، الى جانب اتسام رواياته بالاضطراب ، وتتفق رواياته الاخيرة تماما مع ما ورد فى مآثر القبارصة من روايات .

أما آخر تذييلات تاريخ وليم الصورى فهو التاريخ الذى يحمل عنوان « مخطوط روتلان » Manuscript de Rothelin (٢٦) الذى يعالج الفترة من عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ الى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ . وموضوع

= الى عام ١١٩٧م/٥٧٤هـ وقد أشرنا اليها باسم « تكملة وليم الصورى » «Continuation de Guilliaum de Tyre» أما بقية المخطوطات فقد رجعنا الى نسخة تاريخ هرقل المنشور فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (الغربيون) وأشرنا اليه باسم « تاريخ هرقل » «Estoire de Eracles» انظر

R. Morgan, The chronicle of Ernoul and the Continuations of William of Tyre, Oxford, 1973, pp. 185 ff; Cahen, La Syrie du Nord, pp. 21-25.

(٢٦) الكتاب منشور فى الجزء الثانى من مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (المؤرخون الغربيون) .

الكتاب الاساسي هو حملة لويس التاسع على مصر والشـــام ، وكل ما يسبقها من روايات يعد مقدمة للكتاب ، وما ورد بعدها من روايات جاء فى ايجـاز شـديد وتم وضـع هذا الكتـــاب فى فرنســا فى عام ١٢٦١م/ ٦٥٩هـ(٢٧) . واذا اختصت مذكرات جوانفيل بالاهمية بالنسبة لحمـلة لويس ، فان اهم ما أمدنا به روتلان هو المعلومات عن خلافات البنـادقة والجنوية التى جذبت اليها كل طوائف وقادة الشرق اللاتينى فى اواسط القرن ١٣م/٧هـ .

وبالاضافة الى تذييلات كتاب وليم الصورى ، فان أهم الحوليات الصليبية التى دونت فى الشرق ، والتى تعالج بصفة اساسية أحداث القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى ، فهو المصنف الذى يحمل عنوان « مآثر القبارصة » Les Gestes des Chiprois» (٢٨) والذى ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاول منها بعنوان « حولية الارض المقدسة » «Chronique de Terre Sainte» ويغطى الفترة من عام ١١٢٢م/٥١٦هـ الى عام ١٢٢٤م/٦٢١هـ . وواضح أن كاتبه اعتمد اساسا على تاريخ هرقل فى تدوين معلوماته ، مما يتفق تماما على ما جاء فى حوليات الارض المقدسة(٢٩) . أما القسم الثانى فيحمل عنوان « تاريخ الحرب التى وقت بين الامبراطور فريدريك ويوحنا ابلين » «Estoire de la guerre qui fu enter L'empéreur et Johan d'Ibelin» . ويغطى الفـــترة من عام ١٢٢٨م/ ٦٢٥هـ الى عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ . وقد صنفه فيليب دى نافار «Philip de Navare» (٣٠) وهو عبارة عن اقتبـاس للسـيرة الذاتية لفيليب .

---

(٢٧) Cahen, La Syrie, p. 25.

(٢٨) الكتاب منشور فى الجزء الثانى من مجموعة الوثائق الارمينية

(٢٩) Cahen, La Syrie du Nord, p. 26.

(٣٠) ولد فيليب دى نافار حوالى عام ١١٩٥م/٥٩١هـ ومات بعد عام ١٢٦٥م/٦٦٣هـ . وينتمى اصلا الى المدينة اللومبـاردية التى تحمل اسم نوفاريا «Novaria» (فى اللغة اللاتينيـة) ونوفير «Novaire» (فى الفرنسية القديمة) ونوفارا «Novara» (فى الايطالية والفرنسية الحديثتين) . وينحدر فيليب من اسرة نبيلة . اتى الى قبرص ودخل فى خدمة أحد النبلاء هناك يدعى بيير شاب «Pierre Chappe» ، وصحبه فى حصار الفرنج لدمياط فى عام ١٢١٨م/٦١٥هـ . وشد انتبـاه سـيده بموهبته فى قراءة الروايات بصوت عال، واكتسب بذلك صداقة اول حاكم طبرية =

اما الجزء الثالث والاخير من الكتاب فهو عبارة عن تذييل للقسمين السابقين ، ويغطي أحداث الفترة من عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ وحتى عام ١٣٠٩م/٧١٠هـ . وضعه شخص مجهول اعتاد المؤرخون على تسميته باسم « جيرارد دي مونتريال « «Gerard de Montréal» ، ربما كان يعمل كاتبا لدى مقدم الداوية وليم بوجيه . ومع أن عمله يعد أقل قيمة من عمل فيليب من الناحية الادبية ، الا أن افق كاتبه أوسع من افق فيليب . وواضح انه عرفشهود عيان كل ما رواه من روايات ، الامر الذى يجعل كتابه يتسم بالاصالة . ويجعل منه أثمن مصادرنا لتاريخ الشرق فى منتصف القرن ١٣م/٧هـ ، ويكاد يكون مصدره الوحيد حتى نهاية القرن(٣١) .

وفيما يخص موضوع البحث ، فان القسمين الاخيرين من « مآثر

= الذى يعد أكثر رجال عصره علما بالقانون الاقطاعى ، والذى علم فيليب الصغير المبادىء الاولى لهذا العلم الذى قدر له أن يتفوق فيه . وأمام دمياط ارتبط فيليب بآل ابلين الذين ظل طوال حياته تابعا مخلصا لهم . ومن المؤكد أن فيليب قد قام بدور كبير فى حرب آل ابلين ضد الامبراطور فريدريك الثانى وأتباعه فى سوريا وقبرص . فنراه بعد انتهاء هذه الحرب يحتل مرتبة عالية لدى الابلين . وفى عام ١٢٢٩م/٦٢٦هـ بدأ فى وضع كتابه القانونى المسمى « كتاب شكل الادعاء « «Livre des Forme de Plait» . وهو العلم القانونى الذى علمه عناصره الاولى حاكم طبرية . واستكمل فيليب هذه الدراسة بعد انتهاء الصراع بين الابلين وأتباع الامبراطور الالمانى ، وسرعان ما برع فيها واصبح فى نهاية حياته اشهر مدع بين رجال القانون الصليبيين . وفى سنة ١٢٤٧م/٦٤٥هـ حزن فيليب حزنا شديدا لموت صديقهوراعيه باليانابلينحاكمبيروت(١٢٣٦ — ١٢٤٧م/٦٣٣ — ٦٤٥هـ) وبقى على علاقات حميمة بخلفاء باليان من أمرة ابلين حتى وفاته . وللمزيد عن حياة فيليب دى نافار السياسية والادبية ، انظر :

Gaston Paris, Les Memoires de Philippe de Novare, in R.O.L., vol. 9, Paris, 1902, pp. 194-205; Cahen, La Syrie du Nord, p. 25; L. de Mas Latrie, Histoire de L'île de Chypre sous le régne de princes, de la maison de Lusignan, 3 toms, t. 1 Histore, t. 2-3, documents, Paris 1855-1861. t. 1, p. 403.

(٣١) Gaston Paris, Les Memoires, pp. 164 ff; Cahen, La Syrie du Nord, p. 26.

القبارصة » قدما لنا معلومات تاريخية بالغة الاهمية لم ترد فى تذييلات تاريخ وليم الصورى · وكان أهم هذه المعلومات ما تعلق بعــلاقة امراء انطاكية بغيرهم من قادة الصليبيين فى قبرص وبلاد الشام · وبينما امدنا فيليب دى نافار بمعلومات دقيقة عن موقف بوهيمند الرابع من الامبراطور فريدريك حين كان فى قبرص ، وهروب بوهيمند من الجزيرة ، وموقفه من صراع الامبراطور وأسرة ابلين ، فقد أمدنا كاتب الداوية بمعلومات وفيرة عن أمراء انطــاكية وموقفهم من الحرب الاهلية التى نشبت بين الجنوية والبنادقة التى تورط فيها كل قادة الصليبيين فى الشرق · كمــا أمدنا الكاتب نفسه بمعلومات نادرة عن علاقة بوهيمند السادس باتباعه من حكام جبيل ، وأخيرا عن علاقة المماليك بامارة انطاكية حتى سقوطها فى أيديهم · وساعد ما أورده من معلومات على رسم صورة واضحة لامارة انطاكية فى أواسط القرن ١٣م/٧هـ الى جانب ما أمدنا به كل من متى الباريزى وماريتوسانودو وفنسنت دى بوقيه · وكل ما يؤخذ على كاتب الداوية هو ايجازه الشديد للروايات التى تتعلق بالنصف الثانى من هذا القرن وخاصة فيما يتعلق بأحوال الفرنج فى شمال الشام وخاصة بعــــد ظهور المغول ، وهو ما شارك فيه غالبية المصادر الصليبية والاســلامية المعــــاصرة ·

أما آخر ما دون فى الشرق من حوليات لاتينية فهو ما يحمل عنوان « حوليات الارض المقدسة » «Annales de Terre Sainte» (٣٢) · وهى عبارة عن مختصر لأحد المصادر التى اعتمد عليهــا كاتبو تذييلات تاريخ وليم الصورى · واقتصر كاتب هذه الحوليات — المجهول — على تحديد السنوات التى وقعت فيها أهم أحداث التاريخ الصليبى فى بــلاد الشام ، مثل تواريخ الحملات الصليبية ، واستيلاء الصليبيين على مدينة من المدن الاسلامية ، او استرداد المسلمين لها · هذا ، الى جانب تواريخ وفاة أشهر الشخصيات الصليبية أو الزيجات التى تمت بين أفراد البيوت الصليبية الكبرى · وبالرغم من الايجاز الذى اتسمت به الحوليات ، الا انها ساعدت على التاكد من بعض التواريخ التى اختلف حولها المؤرخون بصفة عامة · والحوليات تغطى فترة الوجود الصليبى فى الشرق كلهــــا (١٠٩٥ — ١٢٩١م/٤٨٩ — ٦٩٠هـ) ·

---

(٣٢) نشره رهرشت فى الجزء الثانى من ارشيف الشرق اللاتينى ·

واذا كانت احوال الفرنج فى انطاكية وشمال الشام فى القرن ١٣م/٧ﻫ لم تحتل من صفحات الحوليات الصليبية التى دونت فى الشرق اللاتينى القدر الذى كانت تحتله من صفحات كتب مؤرخى القرن ١٢م/٦ﻫ اللاتين ، فقد كان من الضرورى الرجوع الى الحوليـات اللاتينيـة التى دونت فى اوربا ، والتى احتوت على معلومات تاريخية هامة عن الصليبيين فى بلاد الشام عن طريق التقارير والروايات التى وصلت اوربا خلال مراسلات قادة الطوائف الفرنجية المختلفة . ويرجع الفضل الى هذه الحوليات فى سد النقص الذى تركتـه لنا تذييـلات تاريخ وليم الصـــورى وكتب « مآثر القيارصة » وحوليات الارض المقدسة . كما أن ما جاء بها من معـلومات ساعد على التأكد من تواريخ الاحداث التى اختلف عليها أو أغفلها مؤرخو الشرق اللاتينى . هذا الى جانب ما ورد فى الحوليـــات الاوربيـــة من معلومات لم يذكرها الاخيرون بالمرة .

ويأتى فى مقدمة الاعمال التاريخية الاوربية الكتاب الذى جمع بين صفات الحولية والتاريخ وكتب الرحالة معا ، والذى يحمـل عنـــوان « كتاب أسرار المؤمنين بالصليب لاسترداد الاراضى المقدسة والاحتفاظ بها»
«Liber Secretorum Fidelium Crucis Super Terre Sanctae Recuperatione et Conservatione».
وضعه مارينو سانودو «Marino Sanudo»(٣٤) الذى لم يكن مجـرد كاتب

---

(٣٣) ظهرت لهذا الكتاب طبعتان الاولى فى الجزء الثانى من مجموعة J. Bongars, Gesta Dei per Francos, Hanover, 1611. والثانية فى بيت المقـدس فى عام ١٩٧٢ مع مقـدمة ليونجـارز واخرى ليوشع براور وتحمل هذه الطبعة نفس صفحات طبعة بونجارز .

(٣٤) ولد مارينو سانودو فى عام ١٢٧٠م/٦٦٨ﻫ ، فى مدينة البندقية ، ومات فى عام ١٣٤٣م/٧٤٣ﻫ ، وهو ابن ماركو سانودو تورشيللو Marco Sanuto Torsello احد التجار الايطاليين وابن عم لدوق ناكسوس «Naxos» الذى شاركت أسرته فى الحملة الرابعة التى استولت على القسطنطينية . وتعلم مارينو اللغة الفرنسية القديمة وهى لغـــة عصره العالمية الى جانب اللغة اللاتينية وأيضـــا اليونانية . ثم امتهن التجارة كباقى أفراد أسرته . وحضر الى عكا فى عام ١٢٨٥م/٦٨٤ﻫ ، وهو فى الخامسة عشرة من عمره =

تاريخ بل كان سياسيا صليبيا بصورة غير رسمية . فلم يضع تاريخه بناء على رغبة أحد الملوك أو الحكام كما فعل كثير من المؤرخين ، أو حتى لتمجيد شخص بعينه وتسجيل أعماله . بل ان دوافع سانودو كانت صليبية بحتة . والعمل يعد من أكثر ما كتب عن الحروب الصليبية موضوعيـة ودقة . ويزيد من أهميته غزارة المعلومات التاريخيـة والجغرافية التى وردت فيه عن الشرق اللاتينى . فلم يترك المؤلف مصدر معلومات عن الفترة السابقة عليه الا ورجع اليـه ونقـل عنه . وكتب فى تفصيل عن أحوال الصليبيين والمسلمين على حد سواء . فقد كان عليـه – حسب الغرض الذى وضع كتابه من أجله – الا يغفل احوال المسلمين الذين كان كتابه عنهم أكثر منه عن الصليبيين أنفسهم . ففى ٢٤ سبتمبر ١٣٢١م جاء مارينو سانودو الى مدينة افينون «Avignon» الفرنسية ، حيث قدم الى البابا حنـا الثـانى والعشرين (١٣١٦ – ١٣٣٤م) كتـابا كان قد استغرق فى تاليفه الخمسة عشر عاما السابقة . وكان يعبر عن أحد الاراء التى سعت البـابوية الىالاسترشاد بهـا – بعد نجـاح المماليك فى طرد الصليبيين من بلاد الشام – لاعداد غرب أوربا وسلطاته العلمانية ، التى جرفتها مشاغلها الخاصة بعيدا عن القضية الصليبية ، للاشتراك فى حملة صليبية لاسترداد بيت المقدس من المسلمين(٣٥) . والكتـاب فى مجمله

= وبقى بها لمدة عام كامل . وفى ١٢٩٣ – ١٢٩٦م/٦٩٢ – ٦٩٥هـ ، نجده ينوب عن والده فى العمل . وفى ١٣٠٠م/٦٩٩هـ نجده فى بلاد بالرموز وفى روما حيث قابل بها كثيرا من رجال الكنيسة وبقى بها أربعة أعوام . وبعد ذلك توجه الى الشرق وطاف ببلدان شرق أوربا . وزاد ذلك من معـرفته بأحوال تلك البـلاد وجغرافيتها وعاد الى البندقية فى عام ١٣١٨م/٧١٧هـ ، ليكمل تاريخه الذى كرسه من أجل احياء الحماسة الصليبية لدى حكام غرب أوربا . انظر : C.T. Tyerman

Marino Sanudo Torsello and the Lost Crusade : Lobbying in the Fourteenth century, in T.R.H.S., Vol. 32, 1982, pp. 57-73; Marino Sanudo, Liber Secretorum, 2nd edition, Jerusalem, Forward by J. Prawer, pp. V-XVII.

(٣٥) الى جانب عمل مارينو سانودو ، كانت هناك عدة أعمال قدمها أصحابها الى البابوية يوضحون فيها كيف يمكن احياء النزعة الصليبية لدى حكام غرب أوروبا لاسترداد الاراضى المقدسـة من أيدى المماليك . ومن هؤلاء أعمـال كل من بادوا =

عبارة عن مشروع صليبى لاسترداد الارض المقدسة من المسلمين على أن تكون مصر هى الهدف الاولى للحملة الصليبية . فمصر هى مفتـــاح فلسطين ، وهى مركز الثقل للمقاومة الاسلامية ضد الغزو الصليبى . على ان يصحب الهجوم على مصر حصار اقتصادى لها . ففقدان مصر لمركزها التجارى يمنعها من استيراد المواد المستخدمة فى الحرب ، وبذلك تضمحل قوة السلطان المملوكى بها ويتحقق ذلك بحصار مصر الدائم باستخدام أسطول يحاصر كل الطرق التجارية فى شرق البحر المتوســط . وحدد سانودو فى كتابه اهم السلع التى تعتمد عليها مصر فى الحرب ضد الفرنج . واذا كان هناك من يخشى من الصليبيين الكساد التجــارى ، فقــد حدد سانودو المصادر البديلة لرواج التجارة الاوربية التى قد يضر بهــا عدم الاتجار مع مصر ، وكذلك الطـــرق التجــارية الأخرى(٣٦) . الا أن مشروع سانودو قوبل بعدم مبالاة من قيادات الغــرب الاوربى ، ومات مارينو سانودو خائب الامل . وفشل كتابه فى تحقيق الغرض منه . ومع ذلك فقد ترك للمهتمين بتاريخ الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب مادة تاريخية على جانب كبير من الاهمية ومعلومات غزيرة عن الشرق لم ترد فى مصادر من عاصره من المؤرخين .

فبالنسبة لموضوع البحث ، فقد أمدنا سانودو بمعلومات تاريخيــة عن كثـــير من الاحداث التى وقعت فى الشرق اللاتينى وعن الشخصيات

= الفرنسيسكانى ، وجلفـانولينانتى الجنـــوى ، وريمـون لال الاسبانى ، وبطرس ديبوا الفرنسى . الا أن البابوية وحـــكام الغرب الاوربى قد فشـلوا فى انجاز خطط كل هؤلاء لظروفهم الخاصة ، وحرص كل منهم على تحقيق مصالحه الشخصية أولا ، والقصور الذى اعترى هذه الخطط نفسها . وعن هذه المشروعات وصحابها انظر :

A.S. Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages, London, 1938, pp. 31-43, 48-55, 71-72, 74-94.

(٣٦) كما قدم سانودو نسخا أخرى من كتابه الى كل من شارل الرابع ملك فرنسا ، والبابا كليمنت الخامس ، والبابا حنــا الثــانى والعشرين وحكام انجلترا ونابولى وبولونيا ، وملوك وحــكام أرمينيا وبيزنطة ، وسائر رجال وحكام بقية دول أوربا الغربية . انظر :

Tyerman, Marino Sanudo, p. 65.

الاوربية التى أتت اليه . كما ساعدت معلوماته على التاكد من كثير من تواريخ هذه الاحداث التى اختلف حولها المؤرخون خاصة اذا ما غفلت عنها المصادر الاسلامية . من ذلك حديثه عن الحملة الفلمنكية التى جاءت الى بلاد الشام فى عـام ١٢٠٣م/٥٩٩هـ وتضم صليبيين لم يتجهوا الى بيزنطة مع قوات الحمـلة الرابعة ، ونشاط هؤلاء فى شمال الشام . كما كان لما أورده سانودو من معلومات ، الى جانب ما أورده كل من فنسنت دى بوفيه ومتى الباريزى اثر كبـير فى الوقوف على حقيقة أحوال امارة انطاكية الصليبية فى أواسط القرن ١٣م/٧هـ ، وعلاقاتها بقبائل التركمان ، وأثر ذلك على السياسة التى انتهجها أمراء انطاكية تجاه المسلمين فى تلك الفترة ، الامر الذى لم توضحه الدراسات الحديثة . كما أمدنا مارينو سانودو بمعلومات قيمة عن علاقة بوهيمند الخامس بالملك الفرنسى لويس التاسع وأثر ذلك على علاقة انطاكية بالارمن . الى جانب ذلك فقد نجح سانودو وفنسنت دى بوفيه ومتى الباريزى وهايتون الارمينى ، فى رسم صورة واضحة لعلاقة أمراء انطاكية بالمغول ، الامر الذى ساعد على التأكد من عدم امكانية قيام تحالف بين المغول والصليبيين فى بلاد الشام ضد المسلمين وهى احدى القضايا الهامة التى ناقشها موضوع البحث .

ويلى كتاب مارينو سـانودو ، من الكتب التى كان من الضرورى الرجوع اليها لسد النقص فى المعلومات التى أمدتنا بها الحوليات الصليبية التى دونت فى الشرق الصليبى فى الاهمية التاريخية ، الموسوعة الكبرى التى وضعها فنسنت دى بوفييه Vincent de Beauvais (٣٥) والتى تحمل عنوان « المرآة الكبرى » «Speculum Maius» (٣٨) التى تعد سـجلا

---

(٣٧) ولد فنسنت راهب دير دى بوفيه فى فرنسا عام ١١٩٠م/٥٨٦هـ ، ومات فى عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ . انظر :
Henri Peltier, Vincent de Beauvais, in D.T.C., Vol. 15, 1950, Cols. 3026-3033.

(٣٨) تشتمل هذه الموسوعة على ثلاثة اجزاء : الاول منها بعنـوان : « المرآة الطبيعية «Speculum Naturale» والثانى بعنوان « المرآة المذهبية » «Speculum Doctrinale» اما آخر اجزاءها فيحمل عنوان « المرآة التاريخية » «Speculum Historiale» . وهو ما يهمنا فى هذا المقام ويغطى الفترة منذ الخليقة وحتى عـام ١١٤٤م/١٤١هـ ، الذى انتهى فيه فنسنت من كتابة مسودة هذا

للمعرفة المتوفرة للانسان الاوربى فى العصور الوسطى • وما يهمنا هنا هو الجزء الثالث والاخير من هذه الموسوعة وهو « المرآة التاريخية » Speculum Historiales الذى يتكون من ٣٢ كتابا (١٥٢ فصلا) احتوت الثلاث كتب الاخيرة منها على المادة الخاصة بالمغول استمدها فنسنت من مصدرين اثنين فقط للمعلومات وهما « تاريخ المغول «Yostoria Mongalorum» الذى وضعه الراهب الفرنسيسكانى جون أوف بلانوكاربينى «John of Plano Carpin» ، وتاريخ التتار «Histoia Tartarorum» الذى وضعه الراهب الدومينيكانى سيمون أوف سان كوينتن «Simon of Saint-Quentin» • وقد ادمج فنسنت هذين التاريخين فى رواية واحدة • وكثيرا ما أشار الى مصادر معلوماته قبل كتابة كل فصل من الفصول التى تحتوى على ما أخذه من روايات كاربينى وسيمون بقوله « عن حنا » Ex Johanne او « عن سيمون » Ex Simon • واذا كان من السهل الرجوع الى تاريخ كاربينى فى عمل مستقل(٣٩) ، فان كتاب فنسنت يبقى وحده مصدرنا الوحيد لما رواه سيمون عن رحلته الى البلاط المغولى(٤٠) مرورا باسيا الصغرى وبلاد الشام • فقد كانت رواياته ـ مثل روايات كاربينى ـ تتسم بالاصالة والدقة لكونه شاهد عيان لما رواه • وفيما يخص موضوع البحث فقد أمدنا فنسنت عن طريق رواية سيمون

= التاريخ •واستمر فنسنت بعد ذلك فى الاضافة الى المرآة التاريخية وآخر ما أضافه كان فى عام ١٢٥٣م/٦٥٠هـ • ولهذه الاضافات يرجع الفضل فى الحصول على أهم أجزاء هذا الكتاب ،لانه يتضمن المعلومات التاريخية الخاصة بالمغول والاتراك السلاجقة والصليبيين انظر :

Gregory G. Guzman, The Encyclopedist Vincent of Beauvais and his Mongol Extracts from John of Plano Carpini and Simon of Saint-Quentin, in Speculum, Vol. 49, pp. 287-302; Ibid, The Cambron Manuscript of Speculum Historiale, in Manuscripta, Vol. 13, 1969, pp. 95-104.

(٣٩) نشره روكهيل فى عام ١٩٠٠م • انظر قائمة المصادر والمراجع •

(٤٠) خرج كاربينى وسيمون من أوربا الى البلاط المغولى ضمن بعثتين متتاليتين من قبل البابا انوسنت الرابع فى عام ١٢٤٥م/٦٤٣هـ • وعرج سيمون على آسيا الصغرى وبلاد الشام فى طريق عودته الى أوربا • انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٣٨٩ حاشية (٣) ، ص ٣٩٠ حاشية (٣) •

بمعلومات وفيرة ونادرة عن المغول وموقفهم من محاولة البابوية وملوك غرب أوربا لاستقطاب التتار ضد المسلمين فى مصر وبلاد الشام . وساعدت رواياته ـ الى جانب رواية كاربينى وما أورده متى الباريزى ـ على الوقوف على طبيعة العلاقات بين المغول والفرنج ، وأيضا مدى استحالة قيام تحالف بين الطرفين . الى جانب أنها أوضحت حقيقة أحوال امارة انطاكية الصليبية وما اعتراها من ضعف من جراء غارات جموع التركمان عليها ، ومعرفة الاسباب الحقيقية التى دفعت أمراء انطاكية الى انتهاج سياسة سلمية تجاه المسلمين بدءا من عهد بوهيمند الخامس وحتى سقوط انطاكية فى أيدى المماليك . كما يعد كتاب فنسنت أيضا مصدر معلوماتنا الوحيد عن أحوال السلاجقة فى آسيا الصغرى خلال القرن ١٣م/٧هـ التى لم تتعرض لها بنفس القدر من التفصيل المصادر الاسلامية المعاصرة بعد انتهاء تاريخ ابن الاثير الذى حرص على تتبع أحوال السلاجقة فى آسيا الصغرى ، ولم يشارك بقية المؤرخين المسلمين المعاصرين أمثال ابن واصل وسبط ابن الجوزى وأبى الفدا فى الحديث عن السلاجقة فقط حين تكون لهم علاقات بالايوبيين فى العراق والجزيرة وفى بلاد الشام . كما تتضح أهمية كتاب فنسنت دى بوفيه فى ندرة الروايات عن السلاجقة خاصة وأنه لم يتوفر لنا أهم مصدر عالج تاريخ السلاجقة فى القرن ١٣م/٧هـ وهو كتاب ابن بيبى ، كما أمدنا فنسنت بما نقله عن سيمون بمعلومات كثيرة عن الخوارزمية والتركمان الى جانب المغول والعلاقات المتشابكة بين هؤلاء وكل من الارمن والمسلمين والصليبيين فى آسيا الصغرى وشمال الشام .

أما عن آخر الحوليات الاوربية الكبرى ، التى ظهرت فى القرن ١٣م/٧هـ والتى تحظى بأهمية كبرى بالنسبة لموضوع البحث هى الحولية التى وضعها المؤرخ الانجليزى متى الباريزى « Matthew Paris »(٤١) والتى

---

(٤١) ولد متى الباريزى بعد عام ١٢٠٠م/٥٨٧هـ . وانخرط فى سلك الرهبنة فى عام ١٢١٧م/٦١٤هـ حين التحق ـ راهبـا ـ بدير القديس ألبان St. Albans بانجلترا . ومات فى عام ١٢٥٩م/ ٦٥٧هـ . وتقلد عدة مناصب دينية فى كنتـاكس ومستمنستر «Westminster» ، وكانتربرى «Canterbury» ونشستر Winchester . وفى عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ بعثه البابا أنوسنت الرابع الى كنيسة القديس بنيت هولم «St. Benet Holm» فى النرويج لاصلاح النظام البندكتى هناك . كما كان متى الباريزى على =

تحمل عنوان « الحولية الكبرى «Chronica Majora» (٤٢) والتى بدأ فى وضعها عام ١٢٤٠م/٦٣٨هـ، وهى تغطى الفترة منذ بدء الخليقة وحتى عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ ، وهو العام الذى مات فيه متى الباريزى . وحتى احداث عام ١٢٣٦م/٦٣٣هـ اعتمد متى فى تاريخه على حولية المؤرخ الانجليزى روجر اوف وندوفر ، ومنذ عام ١٢٣٦م/٦٣٣هـ ، اعتمد متى فى جمع مادة تاريخه على مصادر معلومات مختلفة منها روايات من وفد من افرنج الشرق الى كنيسة سان ألبان ، الى جانب تقارير الموظفين الرسميين من الانجليز ، ثم رجال الدين الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان . كما حصل متى الباريزى على كثير من الخطابات التى تتعلق بالسياسة الانجليزية الداخلية والخارجية . وتتميز حوليته بالشمولية اكثر من أى عمل تاريخى ظهر فى غرب اوربا فى القرن ١٣م/٧هـ . وبالنسبة لموضوع البحث فقد امدنا متى الباريزى بمادة تاريخية لم ترد فى المصادر المعاصرة صليبية كانت او اسلامية . ومن هذه المعلومات ما أورده عن الغزو المغولى لشرق أوروبا وفارس والعراق . كما امدنا بالكثير عن أحوال امارة انطاكية وعلاقاتها بالمغول والتركمان ، الامر الذى ساعد على رسم صورة واضحة عن احوال

= علاقة حميمة بالملك الانجليزى هنرى الثالث الذى قربه اليه ووثق به لعدالته ورأيه الصريح فى الانظمة السياسية الانجليزية . وعكف متى فى دير سان البان يكتب التاريخ . ووضع عدة مؤلفات أهمها الحولية الكبرى . وفى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ بدأ متى فى وضع مختصر لها بعنوان « التاريخ الانجليزى » Historia Angolorum ويبدأ بالغزو النورماندي لانجلترا وحتى عام ١٢٥٣م/٦٥١هـ . كما وضع تاريخين آخرين هما « مجمل التاريخ » «Abbreviatio Chronicarum» وزبدة التاريخ «Flores Historiarum» المعروف تذييله بتاريخ متى اوف وستمنستر Matthew of Westminester . وقبل عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ ، وضع كتابا بعنوان « كتاب الاضافات » «Liber Additamentorum» الذى يعد تذييلا على الحولية الكبرى . الى جانب ذلك ، فقد وضع متى الباريزى عدة مؤلفات عن حياة القديسين الانجليز . انظر :

Richard Vaughan, Matthew Paris, Cambridge, 1958, pp. 1-6; 59-60; Antonia Gransden, Historical Writing in England, Vol, 2, pp. 356-379.

(٤٢) نشرت هذه الحولية فى سبعة أجزاء من مجموعة سلسلة رولز . انظر قائمة المصادر والمراجع .

الامارة ـ الى جانب ما أورده كل من هايتون وماريتو سانودو وغفست دي يوفيه من روايات ـ في أواسط القرن ١٣م/٧هـ ، وأسباب السياسة السلمية التى انتهجتها أمراء انطاكية تجاه جيرانهم المسلمين في هذه الفترة . وأكد ما أورده من معلومات عن المغول وغزوهم لبلاد الشام ، استحالة قيام التحالف بينهم وبين الصليبيين ضد المسلمين وكل ذلك من القضايا الهامة التى تناولها موضوع البحث بالمناقشة والدراسة .

والى جانب الوثائق والتواريخ والحوليات العامة التى تنـاولت الفترة موضوع الدراسة كان لابد من الرجوع الى الاعمال التاريخية التى عالجت فترات محددة من تاريخ الحـــروب الصليبيـة ، التي تضمنت معلومات تاريخية اتسمت بالدقة والغزارة لكون أصاحبها مشـــاركين في الاحداث ، أو على الاقل شاهدى عيان لها ، وأخذوا ما نقلوه عنها من روايات ممن شارك فيها . وهذه الاعمال التاريخية هي ما كتبـه مؤرخو الحملات الصليبية التى قامت أثناء الفترة موضوع الدراســـة بدءاً من الحملة الصليبية الثانية . فقد كان لكل حملة صليبية من يهتم بتسجيل أحداثها ، كما كان الامر بالنسبة للحملة الاولى ، وان لم يتوفر لأي حملة صليبية ما توفر للحملة الصليبية الاولى من عدد المؤرخين الذين اشتركوا فيها أو كتبوا عنها .

وأول هؤلاء هم مؤرخو الحملة الصليبية الثانية مثل كتاب أودو اوف دويل «Odo of Deuil» عن حملة لويس السابع الذى وضعه بعنوان « رحلة لويس السابع في الشرق «De Profectione Ludvici VII in Orientem» أما عن مؤرخي الحملة الصليبية الثـالثة فمنهم بندكت أوف بيتربورو «Benedict of Peter borough» الذى وضع كتاب « أعمال الملك هنرى الثاني «Gesta Regis Henrici II» ، والذى يغطى الفترة من ١١٨٩م/٥٨٥هـ الى ١١٩٢م/٥٨٨هـ ، ورالف دكيتو «Ralph Diceto» صاحب كتاب « التاريخ الكبير » «Opera Historica» الذى يعـالج أحداث السنوات من ١١٤٨م/٥٤٢هـ الى ١٢٠٠م/٥٩٦هـ ، ووليم أوف نيوبروه William of Newburgh الذى يغطى السنوات من ١٠٦٦م/٤٥٩هـ الى ١١٩٨م/٥٩٤هـ ، وريتشارد ديفيز Richard Devizes صاحب كتـاب « تاريخ عهد الملك ريتشارد الاول » «Cronicon de Tempore Regis Richardi Primi» الـذى يغطى الفـــترة من ١١٨٩م/٥٨٥هـ ، الى

١١٩٢م/٥٨٨هـ · وكل هؤلاء من المؤرخين الانلجيز(٤٣) · والى جانب هؤلاء فهناك ريجورد «Rigordo» الذى عبر عن وجهة النظر الفرنسية فى هذه الحملة فى كتابه « اعمال فيليب اغسطس » «Gesta Philippi Augustis» (٤٤) وكل هؤلاء يعطونا صورة واضحة عن الفترة التى سبقت وصول ريتشارد الى بلاد الشام ، وعلاقة صلاح الدين بالصليبيين · كما ساعدت المعلومات التى أوردوها فى ثنايا كتبهم على التأكد من بعض المعلومات المتعلقة بعلاقات بوهيمند الثالث بصلاح الدين قبيل حطين · اما عن احداث حملة ريتشارد فقد عالجها ـ الى جانب هؤلاء ـ كتاب « رحلة الملك ريتشارد » Itinerarium Regis Ricardi الذى وضعه شخص يدعى ريتشارد «Richard of The Holy Trinity» وقصيدة أمبرواز «Ambroise» التى وضعها باللغة الفرنسية القديمة تحت عنوان تاريخ الحرب المقدسة «L'Estorie de La Guerre Sainte» هذا ، الى جانب التواريخ الالمانية التى عالجت أحداث حملة الامبراطور فريدريك الاول بربروسا وموته ، وتتبعت أحوال فلول جيشه التى وصلت الى انطاكية ثم الى صور - ومنها تاريخ انزبرت «Ansbert» الذى وضعه بعنوان « حملة الامبراطور فريدريك «Expeditio Friderici Imperatoris» وكل هذه المصادر ساعدت على تتبع موقف بوهيمند الثالث من الحملة الصليبية الثالثة ، وكيف استفاد الاميرالانطاكي من وجود هذه الحملة فى بلاد الشام دون أن يورط نفسه فى أحداثها أو يعرض نفسه أو امارته لتحمل تبعاتها ، الامر الذى اكد حرصه على مصالحه هو دون النظر الى الصالح الصليبى العام · وهى سياسته التى اتبعها طوال فترة امارته لانطاكية ·

اما عن الحملة الصليبية الرابعة ، فقد رجعنا الى كتاب ، جودفرى دى فيلها ردوين «Geoffroy de Villehardouin» (٤٥) فتح القسطنطينية

---

(٤٣) نشرت كل هذه الاعمال فى مجموعة رولز الانجليزية · انظر قائمة المصادر والمراجع ·

(٤٤) نشر هذا الكتاب فى الجزء السادس والعشرين من مجموعة « التاريخ الالمانى الكبير «M. G. H.»

(٤٥) كان جوفرى دى فيلها ردوين مارشالا لمقاطعة شامبانيا الفرنسية، وكان قد تلقب بمارشال رومانيا (الامبراطورية اللاتينية فى =

«La Conquéte de Constantinople» . وكتاب روبرت أوف كلارى «Robert of Clary» (٤٦) الذى يحمل نفس العنوان . وترجع اهمية هذين الكتابين الى أن المؤرخين كانا شاهدي عيان لاحداث الحملة ، وان كانت رواية فيلهاردوين ادق لقربه من قادة الحملة ومشاركته فى اتخاذ القرارات التي اثرت فى مصيرها . كما لم تقتصر روايته على تتبع احوال الصليبيين فى بيزنطة ، بل تتبع الصليبيين الذين لم يتوجهوا الى القسطنطينية ، وذهبوا ليجربوا حظهم فى بلاد الشام ، ودخلوا فى خدمة بوهيمند الرابع فى صراعه ضد ليو الارمينى الذى دخل فى خدمته جزء آخر من هؤلاء .

كما كان لمؤرخى الحملة الصليبية الخامسة أهمية خاصة فيما يتعلق بموضـــوع البحث ويأتى فى مقدمة هؤلاء المؤرخ أوليفـر اوف بادربون «Oliver of Paderborn» (٤٧) الذى سجل أحداثها فى كتابه « تاريخ

= بيزنطة) ، وكان احد قادة الصليبيين فى الحملة الرابعة ، وأناب عن الفرنج فى اجراء اتفاقياتهم مع البنادقة لنقل قوات الحملة الى بيزنطة ثم مصر ، كما كان مخططا لها قبل قيامها . ومن المؤكد أنه وضع كتابه فى عام ١٢٠٧م/٦٠٣هـ . ولمزيد عن حياة فيلهاردوين انظر :

Colin Morris, Geoffroy de Villehardouin and The Conquest of Constantinople, in History, vol. 53, 1968, pp. 24-34.

وقد رجعنا الى نسخة مترجمة لكتاب فيلهاردوين . انظر :

Geoffrey of Villehardouin, The Chronicle of the Fourth Crusade, trans. by F. Marzials, London, 1908.

(٤٦) رجعنا الى نسخة مترجمة لكتاب روبرت كلارى . انظر :

Robert of Clary, The Conquest of Constantinople, trans. by E.H. McNeel. New York, 1966.

(٤٧) لا نعلم شيئا عن مولده وحياته الاولى ، ويبدو أنه سليل أسرة نبيلة من بادربورن بالمانيا . وفى عام ١٢٠٠م/٥٩٦هـ نجده يقوم بتدريس علم اللاهوت فى مدرسة النحو فى بلدته . وفى عـام ١٢٠١م/٥٩٧هـ ، يشغل منصب أسقف كولون . وفى عام ١٢٠٧م/٦٠٣هـ ، يذهب الى باريس ليدرس فى جامعتها المزدهرة فى ذلك الوقت . وفى عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ ، يعود الى كولون ويبقى بها حتى عام ١٢١٣م/٦٠٩هـ ، ثم عينه البابا انوسنت الثالث =

دمياط » «Historia Damiatensis» (٤٨) تتنـاول فيه أحداث الحمـلة الصليبية الخامسة ومقدماتها ونتائجها الى جانب ذلك ، فقد امدنا اوليفر بمعلومات هامة عن أحوال بوهيمند الرابع امير انطاكية ودوره في الجهد الصليبي ، وكيف كان حرصه على استعادة امارته من الارمن سببا في افشال حمـلة ١٢١٧م/٦١٤هـ التي اشـترك فيهـا بوهيمنـد

= مبشرا من بين المبشرين للحمـلة الخامسة ، وذهب الى روما ليحضر اجتمـاعات مجلس اللاتيران ممثلا لاسقفيته في عـام ١٢١٥م/٦١١هـ ، حيث أعلن البابا قيام الحملة . وانضم اوليفر الى جموع الصليبيين المتوجهين الى مصر . ووضع كتابه « تاريخ دمياط » فيما بين عامى ١٢١٧م/٦١٣هـ و ١٢٢٢م/٦١٨هـ ، كما قام اوليفـر بتصنيف عدة أعمـال أخرى هي : « وصف الارض المقدسـة » «Descriptio Terre Sancte» . ثم كتـاب « تاريخ بيت المقدس وأحداثه المتغيرة »
«Historia de Ortu Jerusalem et Eius Vari in Eventibus»
الذى يبدأ بعهـد آدم عليه السلام وحتى عام ١٠٩٩م/٤٩٣هـ ، وأخيرا « تاريخ ملوك الارض المقدسة »
«Historia Regum Terre Sancte»
وقد اعتمد في تاليفه على أعمال فوشيه اوف شارتر ووليم الصورى وتاريخ هرقل ، ثم يصف أوليفر في نهاية الكتاب محاولات البابا انوسنت الثالث من أجل قيام الحملة الخامسة ، وما حدث في مجلس اللاتيران . ووضع أوليفر كتابه الاخير بين عامى ١٢١٩م/٦١٦هـ ، و ١٢٢٠م/٦١٧هـ ، كمـا قام أوليفـر بكتـابة عشرة خطابات تعتبر من المصادر الاساسية للباحث في تاريخ الحمـلة الصليبية الخامسـة . وكتب أوليفر هذه الخطـابات بين عامى ١٢١٤م/٦١١هـ ، و ١٢٢٤م/٦٢١هـ ، وبعد فشل الحملة الصليبية عاد أوليفر الى أوربا حيث مات في أغسطس/سبتمبر عام ١٢٢٧م/ رمضان شوال ٦٢٤هـ - . وكل أعمال أوليفر منشورة باللغـة اللاتينية في طبعة واحدة انظر :
Oliverus von Paderborn, Die Schriften des kölner Domscholasters, Späteren Bischofs von Paderborn und Kardinalbischofs von S. Sabina Oliverus, ed. H. Hoogeweg (Bibliothek des Literarischen vereins), Tübingen, 1894.

(٤٨) ويهمنا من أعماله في هذا المقام كتاب تاريخ دمياط الذى رجعنا اليه في طبعة باللغة الانجليزية . انظر :
Oliver of Paderborn, The Capture of Damietta, trans. by Jos. J. Gavigan, Philadelphia, 1948.
وفي مقدمة هذه الطبعة دراسة عن حياة أوليفر وأعماله .

للاستيلاء على قلعة الطور ، الامر الذى اتفقت عليه رواية أوليفـــر مع ما أورده جاك دى فترى مصدر معلوماتنا الثانى عن الحملة الخامسة . كما ساعدت المعلومات التى امدنا بها أوليفر على تحديد طبيعـة موقف بوهيمند الرابع من الحملة التى لم يساهم فيها الا بالقدر الذى يخـدم مصالحه ، وذلك تلبية لنداء بيلاجيوس مندوب البابا لمجرد أن يحصـل بوهيمند على تأييد البـــابوية فى قضية ضـــد الارمن وليس لحماسته الصليبية .

ولا يقل جاك دى فترى Jaques de Vitry (٤٩) أهمية عن أوليفر فى امدادنا بمادة وفيرة تتعلق باهم نقاط البحث ، ان لم يكن قد تفوق عـلى أوليفر فى ذلك . فالى جانب ما أمدنا به جاك عن مملكة بيت المقدس فى وصفه للاراضى المقدسة فى كتابه « تاريخ بيت المقدس »(٥٠) ، فقد كانت رسائله السبع من اهم المصادر التاريخية لأحداث الحملة الخامسـة ، وعكست صـورة واضحة لأحوال الصليبيين فى بلاد الشـام . وسـاعدت المعلومات التى أمدنا بها فى كتابه وفى رسالته الثالثة بصفة خاصة ، والتى تعبر عما رآه بنفسه فى أرجاء المستعمرات الصليبية اثناء تجواله فى بلاد الشام ، ساعدت على الوقوف على الاسباب الحقيقية التى وقعت بالفرنج وأمراء أنطاكية خاصة الى انتهاج سياسة سليمة تجـاه المسلمين ، وكيف فترت الحماسة الصليبية لدى الجميع ما عدا أفراد الجماعات العسكرية الرهبانية ، وكيف حرص الايطاليون على تجاراتهم مع المسلمين قبـل حرصهم على الصالح الصليبى العام ، حتى أن جاك دى فيترى اضطر الى الاستعانة بمترجمين كى يوصلوا ما أراد أن يقوله فى طرابلس الى سكانها حيث كانت اللغة العربية هى اللغة السائدة فى المدينة لكثرة عدد التجار

---

(٤٩) فى عام ١٢١٧م/٦١٤هـ ، شغل جاك دى فيترى منصب أسقف عكا ورافق قوات الحملة الصليبية الخامسة الى مصر . ثم عينه البابا جريجورى التاسع منوبا عنه وأسقفا لكنيسة بيت المقدس فى عام ١٢٢٩م/٦٢٤هـ ، ولم يقتصر دور جاك دى فيترى على ذلك ، بل تميز بحماسته الصليبية ، وطاف ببلدان الشام مبشرا بالمسيحية ومحمسا الصليبيين على التصدى للمسلمين . انظـر ما يتقدم من الفصل الثالث ، ص ٢٤٧ ، حاشية رقم(١) .

(٥٠) نشر هذا الكتاب باللغة الانجليزية فى الجزء التاسع من مجموعة حجاج بيت المقدس . عن رسائله . انظر ما سبق : ص ٢ .

المسلمين بها . وكل ذلك يبين كيف تحول الفرنج عن الهدف الصليبى ، وأصبحت مصالحهم الخاصة أهم من استرداد بيت المقدس بعد أن أصبحت مصر هدف كل حملات القرن ١٣م/٧هـ الصليبية ، وأصبحت مشكلة انطاكية التى قامت بين بوهيمند الرابع والارمن هى المتنفس الوحيد للصليبيين جميعا بعد أن شغلتهم ضمن ما شغلهم من مصالح عن المدينة المقدسة . وهذه احدى القضايا التى ابرزها موضوع البحث وساعدت روايات جاك دى فيترى على القاء الضوء عليها .

واذا كانت حملة فريدريك الثانى (الحملة الصليبية السادسة) لم تجد المؤرخ الذى يكرس لها كتابا يسرد فيه تاريخ أحداثها ، ربما لغضب غالبية المجتمع الاوربى الغربى على الامبراطور المحروم من الكنيسة ، وربما حقدا على المانيا ، التى استولى امبراطورها الخارج على طاعة كنيسة روما ، على السلطة فى ايطاليا وصقلية وقبرص (وبيت المقدس أيضا) عنوة وفرض سيادته على كل هذه الارجاء . واذا كان الامر كذلك بالنسبة للمؤرخين الصليبيين من بلدان أوربا ، فانه لغريب أن لا نجد مؤرخا المانيا يكتب تاريخ هذه الحملة . واذا كانت المانيا لم تخرج لنا اى مؤرخ (غير بعض الرحالة الالمان مثل ويلبراند اوف اولدنبرج) يكتب عن الحروب الصليبية ، ربما لان المانيا لم تكن مصدر حملات صليبية كما كانت فرنسا وبقية بلدان غرب أوربا ، فان الامر كان لابد ون يختلف اذا ما خرج امبراطور المانى مثل فريدريك فى حملة صليبية. فاذا كانت حملة فريدريك الثانى لم تحظ باهتمام المؤرخين (سوى ما جاء عنها فى بعض الحوليات الاوربية من شذرات أو تاريخ هرقل ومآثر القبارصة) فان حملة لويس التاسع على كل من مصر وبلاد الشام (الحملة الصليبية السابعة) كانت أوفر حظـــا لدى المؤرخين الصليبيين . فالى جانب ما ورد عنها فى كتابات مصنف تاريخ هرقل وكاتب الداوية الذى ينتهى بعمله كتاب مآثر القبارصة ، وكتاب فنسنت دى بوفيه ، فقد تناولهـا بدقة وتفصيل بالغين مؤرخها جان دى جوانفيل Jean de Joinville (١) فى

(٥١) ينحدر جوانفيل من احدى الامرات الفرنسية العريقة بمقاطعة شامبانيا ، والتى برز كثير من أفرادها على مسرح السياسة فى فرنسا خلال النصف الاول من القرن ١٣م/٧هـ . ومن المحتمل أن يكون جوانفيل قد ولد فى عام ١٢٢٤م/٦٢١هـ، ومات حوالى =

كتابه « تاريخ القديس لويس Histoire de Saint Louis (٥٢) ، والذى وضعه فى شكل مذكرات يومية عن سيرة سيده وترجع أهمية هذه المذكرات الى أن صاحبها كان شاهد عيان لأحداث تلك الحملة وشارك الملك الصليبى فى اتخاذ غالبية القرارات التى شكلت نتائجها مما يجعل لروايته اهمية تاريخية كبرى . فالى جانب روايته المسهبة والدقيقة عن احداث الحملة على مصر واعمال الملك فى بلاد الشام ، فقد أمدنا جوانفيل بمعلومات وافية جاءت فى ثنايا مذكراته عن امارة انطاكية الصليبية . ومثال ذلك حديثه عن علاقة سيده بالامير بوهيمند السادس ، ومساعدة الملك الفرنسى للامير فى تولى أمور الحكم فى امارته والتخلص من وصاية أمه التى لا تستطيع القيام باعباء الحكم ، وعلاقة لويس ببوهيمند الخامس التى تسببت فى دخول انطاكية ـ فى عهد بوهيمند السادس ـ فى فلك السياسة الارمينية المغولية ، الامر الذى جعل من انطاكية هدفا للاستراتيجية المملوكية . وبكل ذلك شارك جوانفيل كلا من فنسنت دى بوفيه ومتى الباريزى وهايتون الارمينى فى رسم صورة واضحة لاحوال امارة انطاكية فى اواسط القرن ١٣م/٧هـ ، وهى من أهم القضايا التى ابرزها موضوع البحث .

= عام ١٣١٨م/٧١٨ عن ٩٣ سنة تقريبا . ولا نعرف الكثير عن حياته الاولى غير أنه كان قد بلغ الخامسة والعشرين من العمر حين التحق بحملة الملك لويس على مصر . وكان من اقرب المقربين من الملك الفرنسى وموضع محبته ورعايته وثقته ، حتى بعد عودته الى فرنسا حيث كلفه الملك ببعض المهام الدبلوماسية الخاصة به . وقد بدأ جو انفيل فى كتابة مذكراته تخليدا لذكرى الملك لويس بناءا على طلب جين دى نافار Jeanne de Navarre ملكة شامبانيا وزوجة الملك الفرنسى فيليب الرابع (الجميل) وأهدى جوانفيل تاريخه الى ابنها لويس العاشر فى عام ١٣٠٨م/ ٧٠٨هـ ، بعد موت أمه فى عام ١٣٠٥م/٧٠٥هـ . وهكذا انتهى مؤرخنا من كتابة مذكراته وقد جاوز الخامسة والثمانين من العمر . وللمزيد عن حياة جوانفيل وتاريخه انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، هزيمة لويس التاسع فى الاراضى المقدسة ، الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص ٢ وما بعدها .

(٥٢) Jean de Joinville, Chronicle of the Crusade of St. Lewis, ed. and trans by Frank Marzials, London, 1965.

وأملا فى العثور على المزيد من المادة التاريخية التى تخدم موضوع البحث ، والتى ساعدت على القاء الضوء على كثير من نقاطه وقضاياه ، وأفاد منها الباحث فى عمل المقارنات والموازنات التاريخية بين مختلف روايات ، والتى أوردت معلومات لم ترد فى المصادر الأخرى كان لابد من الرجوع الى كثير من الحوليات الاوربية الأخرى مثل حولية روجر أوف هوفدن ، وحولية بيرتون ، وحولية دانستابل ، وحولية ويفرلى ، وحولية بيلروس . وكلها من الحوليات الانجليزية التى دونت فى القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى - هذا الى جانب كثير من الحوليات الاوربية التى وردت فى مجموعة التاريخ الالمانى الكبير Monumenta Germaniae Historica وغيرها من المصادر الاوربية الأخرى(٥٣) .

هذا عن الوثائق والمصادر اللاتينية من معاصرة وغير معاصرة . أما عن المصادر البيزنطية فقد ذخرت هى الأخرى بالمادة الوفيرة فيما يتعلق بطبيعة العلاقات بين الصليبيين والبيزنطيين مما ترك بصماته على العلاقات الصليبية الاسلامية فى تلك الفترة من الزمن . ويأتى فى مقدمة المصادر البيزنطية كتاب « الالكسياد » الذى وضعته الاميرة آن كومنين Anne Comneno (٥٤) عن حياة أبيها الامبراطور الكسيس كومنين

---

(٥٣) انظر قائمة المصادر والمراجع .

(٥٤) ولدت الاميرة آن فى نهاية عام ١٠٨٣م/٤٧٥هـ وتزوجت من نيقفور بريثيوس Nicphorus Bryennius وتوفيت فى عام ١١٤٨م/٥٤٣هـ عن ٦٦ سنة . وهى ابنة الامبراطور الكسيس كومنين من زوجته ايرين دوكاس . وقام أخوها حنا الثانى كومنين بحبسها فى أحد الاديرة بعد وفاة والدها . فعكفت آن على كتابة التاريخ . وهى غزيرة العلم وعلى معرفة بأدب اليونان وكتب اللاهوت والشعر والفلسفة الاغريقية القديمة . ووضعت كتابها باللغة اليونانية السائدة وقتذاك ليكون سجلا لتاريخ حياة أبيها الامبراطور حتى أنها أسمته باسمه . وهو يغطى السنوات من عام ١٠٦٩م/٤٦١هـ . وقد بدأت فى تدوينه فى عام ١١٣٧م/٥٣١هـ وأتمته فى عام ١١٤٨م/٥٤٣هـ وللكتاب طبعتان :

1. Anne Commene, Alexiad, in C.S.H.B., Bonne, 1839
2. Anne Comnene, The Alexiad, English trans. by Elizabeth Dawes, London, 1922.

وقد رجعنا فى هذا البحث الى الطبعة الاخيرة .

وعن حياة آن انظر :

(١٠٨١ – ١١١٨م/٤٧٣ – ٥١١هـ) . ويعتبر الكتاب مصدر ثقة في دراسة العلاقات بين البيزنطيين وصليبي الحملة الاولى وخاصة أميرى انطاكية بوهيمند الاول وتنكريد . وقد امدتنا الكاتبة بمادة وفيرة في ذلك المجال . وأيضا فيما يخص سياسة امراء انطاكية النورمان تجاه كل من البيزنطيين والمسلمين.ولا يؤخذ علىآنكومنين سوى انتصارها الدائملابيهاعلىحساب الحقيقة التاريخية . ولعل ذلك يرجع الى عدم ثقتها في نوايا النورمان أعداء أبيها القدامى .

ويلي كتاب الالكسياد من حيث الاهمية التاريخية فيما يخص موضوع البحث ، مصدرين بيزنطيين آخرين هما كتاب Epitome Historiarum أي « مختصر التاريخ »(٥٥) الذي وضعه حنا كيناموس Ioannes Cenamus (٥٦) . وكتاب Historia أي « التاريخ »(٥٧) الذي وضعه نيكيتاس خونياتيس Nicetas Coniates (٥٨) والمؤرخان يعالجان فترة حكم الامبراطور البيزنطي

= Cahen, La Syrie du Nord, p. 95; Ostrogorsky, G., History of The By Zartine State, Oxford, 1956 p. 311.

(٥٥) للكتاب طبعتان الاولى في مجموعة C.S.H.B والثانية باللغة الانجليزية

John Kinamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. by Charles M. Brand, New York, 1976.

(٥٦) ولد حنا كيناموس بعد سنة ١١٤٣م/٥٣٨هـ ، بفترة قصيرة من أبوين ذي مركز اجتماعي مرموق . وكان كيناموس سكرتيرا للامبراطور مانويل ، ودون كتابه بعد موت الامبراطور . للمزيد عن حياة كينا موس واعماله ، انظر :

Ostrogorsky, History, p. 312.

وأيضا : محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور مانويل الاول ، الاسكندرية ١٩٨٥ ، ص١٢ – ١٦ .

(٥٧) الكتاب مطبوع في مجموعة : C.S.H.B. انظر قائمة المصادر والمراجع . وهناك ايضا دراسة مستفيضة عن حياة نيكتياس ونقدا دقيقا لكتابه . انظر :

محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية ، ص ٧ – ١٢ .

(٥٨) وموطنه « خونيا » Chonae باقليم فريجيا Phrygia ويبدأ هو ايضا كسكرتير امبراطوري . وتبوأ مركزا مرموقا في عهد أسرةانجيلوسانتهىالى اعتلائه منصب أمين الخزانة . ويمتد =

مانويل يومنين (١١٤٢ — ١١٨٠م/٥٣٨ — ٥٧٦هـ) وان كان كل منهمـا قد بدأ كتابه بموت الامبراطور الكسيس ، ثم تناول عهد الامبراطور حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣م/٥١١ — ٥٣٨هـ) بايجاز كمقدمة لكتابيهما . ولكل من المؤرخين مزاياه الخاصة . فبينما يتميز كينـاموس بالعـرض المباشر والاقتصاد في التقديم للاحداث ، نجد نيكيتاس يتميز بالقدرة على الوصف المسهب وكلاهما بيزنطى متعصب لوطنه ، ويظهـــر ذلك من استهجانهما الدائم من اللاتين(٥٩) . اما فيما يخص موضوع البحث فقد كانت المادة التي زودانا بها ذات قيمة تاريخية ، نظرا لما ورد تاريخيهما من معلومات عن علاقة بيزنطة في عهدي حنا كومنين ومانويل بالصليبيين والملاجقة في آسيا الصغرى وفي انطاكية . وأوضحنا دور النفوذ البيزنطى في تحديد سياسة كل من عماد الدين زنكى ومن بعده ابنه نور الدين محمود تجاه الامارة الصليبية في شمال الشام ، واثر الحمـــاية البيزنطية التى فرضت على انطاكية في حمايتها من خطر المسلمين في فترة الانحصـــار الصليبى . والى جانب هذين المصدرين فهناك مصدران بيزنطيان آخران. الاول وضعه « نيو فيتوس برسبيتر Neophytus Presbyter » ، وهو مواطن بيزنطى من قبرص ،بعنوان « كوارث قبرص » Calamitatibus Cypri (٦٠) . والثانى الحولية التى وضعها ليونتيـــوس مخـايراس عن قبرص(٦١) .

والى جانب الاصول اللاتينية والبيزنطية توجد المصادر الارمينيـة

كتابه الي عام ١٢٠٦م/٦٠٢هـ ، ومات نكتياس في نيقية بعـد سقوط القسطنطينية في ايدى الصليبيين في عام ١٢٠٤م/٦٠٠هـ . انظـــر :

Ostrogorsky, History, p. 312; A.S. Atiya, The Crusade : Historiography and Bibliogrohy, Indiana, 1962, p. 40.

(٥٩) Ostrogorsky, History, p. 312.

(٦٠) Neophytus Presbyter, De calamitatibus Cypri [in Preface to Itinerarium Regis Ricardi], in R.S., London 1864, pp. CLXXXI-CLXXXVIII.

(٦١) Makhaeras Leontius, Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus, entitled Chronicle, ed., and trans. by Dawkins, 2 vols, Oxford, 1932.

والسريانيـة التى عادت على البـاحث بكثـير من الفـائدة فيما يخص العلاقات بين أمراء انطاكية الصليبية من جهة وبين الارمن والبيزنطيين والمسلمين والمغول من جهة أخرى ، خاصة فى ارمينيـة وآسـيا الصغرى وشمال الشام . وأمدتنا هذه المصادر بالمعـلومات التى لم ترد فى كتب المؤرخين العرب أو البيزنطيين او اللاتين ، وبصفة خاصة فى الفترة التى كانت تخلو من وجود مؤرخ لاتينى شاهد عيان للاحداث فيما بين فولشر أوف شارتر ووليم الصورى ، أو فى الفترات التى شغلت المؤرخين المعاصرين من لاتين ومسلمين فيما يتعلق بالاخطار التى سببها الزحف الخوارزمى والغزو المغولى على بلاد الشام أو التى وصلت فيها حملات صليبية الى الشرق لفتح مصر خلال القرن ١٣م/٧هـ . ولا شك أن المصادر السريانية والارمينية تشكل جزءا هاما من مجموعة المصـادر التى عالجت تاريخ الحروب الصليبية ، ولا غنى لدارس تاريخ هذه الفترة عن الرجوع اليها ، خاصة وان الارمن استمروا يكتبون عن علاقة حكامهم بكل من البيزنطيين والصليبيين والمسلمين فى آسيا الصغرى وبلاد الشام . فالارمن كانوا اتباع بيزنطة قبل مجيىء الصليبيين الى منطقة الشرق الادنى ، وتحولوا الى جانب الصليبيين الذين وجدوا فيهم سـادة اخف وطأة من البيزنطيين ، حتى ولو طمع الصليبيون فى بلادهم وفرضوا عليهم مذهبهم . وطبيعى أن تكون مصادرهم التاريخية مليئة بالحديث عن البيزنطيين والفرنج الى جانب المسلمين ، لوقوع بلادهم فى ملتقى مناطق نفوذ هؤلاء جميعـا . وباستمرار الصراع الصليبى الاسلامى بقيت المصادر التاريخية السريانية والارمينية حتى نهـاية الوجود الصليبى من أهم مصـادر المعلومات التاريخية لدارسى تاريخ الحروب الصليبية ، خاصة خلال القرن ١٣م/٧هـ ، حين ارتبطت السياسة الانطاكية الصليبية بالسياسة الارمينية ، سـواء بالصراع بين أمراء أنطاكية وملوك أرمينية الصغرى حول مدينة أنطاكية ، أو بدخول الطرفين معا فى تلك السياسة المغولية فى أواسط هذا القرن . وفى الحقيقة لم تتمتع كل من المصادر الصليبية والاسلامية بالاهمية التى تمتعت بها المصادر الارمينية كمصدر معلومات عن حقيقة العـلاقة بين المغول من جهة والارمن وصليبيى أنطاكية من جهة أخرى . وفى الوقت الذى لم يكن لدينا فيه غير مؤرخ مغولى واحد يتتبع بدقة مراحل الغـزو المغولى للعراق وآسيا الصغرى وبلاد الشام متمثلا فى رشيد الدين المهذانى ، كان لدينا من مؤرخى الارمن كل من سمباد وهايتون وميثوم ومن السريان

ابن العبرى . وهؤلاء لم يدانيهم أى من المؤرخين المعاصرين — صليبيين كانوا أم مسلمين — فى دقتهم وغزارة مادتهم التاريخية التى امدونا بها من احداث هذه الفترة .

والمصادر السريانية قليلة لدينا منها ثلاثة فقط . ويأتى فى مقدمتها كتاب ميشيل السريانى Michel le Syrien (٦٢) الذى اتمه مؤرخ سريانى مجهول(٦٣) . والى جانب هؤلاء ، فهناك واحد من اعظم المؤرخين السريان وأقواهم فى عصره ، وهو جريجوار غريغوريوس أو المعروف عند العرب باسم ابى الفرج الملطى او ابن العبرى مؤلف كتاب مختصر الدول(٦٤) وهو من دون المصادر السريانية الاخرى فقد استمر حتى قبيل خروج الصليبيين من بلاد الشام .

---

(٦٢) شغل منصب بطريرك الكنيسة اليعقوبية بانطاكية من سنة ١١٦٦م/٥٦١هـ ، الى سنة ١١٩٩م/٥٩٥هـ . وتمتد حوليته الى تاريخ وفاة صلاح الدين الايوبى . وقد أشار ميشيل الى الفترة السابقة على سنة ١١٠٧م/٥٠١هـ من حوليته بايجاز شديد . واعتمد فى مؤلفه على مؤلفات سريانية مفقودة ، فضلا عن بعض المصادر العربية . ولهذا يعتبر كتابه ذا قيمة تاريخية كبيرة . وكتابه منشور منه شذرات فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية فى الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية . وهناك نسخة كاملة لمؤلفه الكبير قام على نشرها الفرنسى شابو . انظر :
Cahen, La Syrie du Nord, p. 97; Michel Le Syrien, Chronique, trans by J.B. Chabot, 4 toms, Paris, 1899-1910.

(٦٣) Anonymous Syriac Chronicle (ed. by A.S. Tritton), J. R.A.S., London, 1933.
وكان المؤرخ السريانى المجهول احد صغار رجال الدين فى كنيسة الرها . واستمر تاريخه حتى سنة ١٢٣٣م/٦٣٠هـ وقد اعتمد فيه على حولية ميشيل السريانى وتواريخ ارمينية أصلية أخرى. وأن كان أضيق افقا من سلفه العظيم الا أنه أحاط بالظروف السياسية والاجتماعية المحلية للمنطقة ، وامدنا بمعلومات لم ترد فى حولية ميشيل السريانى . انظر :
Cahen, La Syrie du Nord, p. 97.

(٦٤) بدأ ابن العبرى حياته فى ملطية ، وواصلها فى بلاد قيليقية ثم العراق واذربيجان . ووصل الى منصب رئيس الكنائس اليعقوبية فى الشرق فى عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ . وقد كتب قبل موته بقليل فى =

أما عن المصادر الارمينية فهى تتميز بسمتين متناقضتين من حيث المظهر هما حدة المشاعر القوميـــة ، واهميـــة الاستعارات من الآداب الاجنبية . ويمكن أن نميز الكتابة التاريخية الارمينية التى تمت خلال القرن ١٢م/٦هـ عن تلك التى تمت منها خلال القرن التـــالى له . ففى القرن ١٢م/٦هـ كانت الكتابة التاريخية الارمينية وليدة الكتابة التاريخية التى تطورت تحت السيادة البيزنطية ، ومن هنا جاء تأثرها بالنماذج اليونانية . أما فى القرن ١٣م/٧هـ فقد انتهت الاجيال التى خضعت طويلا للسيادة الاجنبية وظهرت ثقافة أرمينية جديدة فى قيليقية . وأعمال هذه الفترة بصفة عامة جاءت فى شكل تواريخ ، أو رسائل خاصة ومقطوعات شعرية أكثر منها تواريخ عامة ، تغلبت عليها الروح الوطنية الارمينيـة التى اثارها وجود حكام أقوياء مستقلين فى قيليقية بدءا من عهد ليـــو الثانى ، وحتى عهد هيثوم الذى خضع للمغول . وكان استرداد الممتلكات الارمينية ، التى أخذها المسلمون فى عهد نور الدين محمود وصلاح الدين وخلفائه وما أخذه سلاجقة آسيا الصغرى ، بمساعدة المغول ، أثره فى ميل مؤرخى الارمن للسادة الجدد ضد المسلمين فى كل كتاباتهم . ويتجلى ذلك فى كتابات سمباد وهايتون وهيثوم وفارتان .

ومن أهم مصادر القرن ١٢م/٦هـ الارمينية تاريخ متى الرهاوى(٦٥)

= سنة ١٢٨٦م/٦٨٥هـ ، تاريخا عالميا ، اعتمد فيه بشكل اساسى فيما يخص أحداث القرن ١٢م/٦هـ ، على حولية ميخائيـــل السريانى وابن الاثير وبعض المؤلفات الفارسية . وتتسم كتابته بالاصالة التاريخية بدءا بأحداث النصف الثـــانى من القـــرن ١٣/٧هـ . وقد رجعنا فى هذا الى طبعتين لكتاب ابن العبرى ، الاولى باللغة العربية والثانية مترجمة عن السريانية (باللغـة الانجليزية) أنظر : ابن العبرى (جريجوريوس الملطى) تاريخ مختصر الدول ، بيروت (مطبعة الاباء اليوسعيين) ١٩٥٨م . راجع أيضا :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 97; Bar Hebraeus, Chronography, ed. and trans. by W. Wallis Budge, 2 Vols, Oxford, 1932.

(٦٥) كان متى الرهاوى Matthew of Edessa رئيسا لأحد الاديرة فى مدينة الرها التى ولد فيها . وتبدأ حوليته بأحداث سنة ٩٥٢م/ ٣٤١هـ وتمتد حتى عام ١١٣٧م/٥٣١هـ . ومات متى فى كيسون سنة ١١٤٤م/٥٣٨هـ . وكتابه منشور فى مجموعة مؤرخى =

الذي أتمه تلميذه جريجوري الراهب(٦٦) ، ومؤلفات نرسيس شنورهالي جاثليق الارمن(٦٧) ، وجريجـوري الرابع دغا(٦٨) ، وصموئيـل دي آني(٦٩) . أما مصادر القرن١٣م/٧هـ ـ الارمينية،فمنها مؤلفات كل من فارتان الكبـير(٧٠) ، وسمباد الكندسطبل(٧١) ، وفهيرام

= الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 98.

(٦٦) [illegible] كتابه حتى عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ ، وهو منشور في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) .

(٦٧) كان [illegible] شنورهالي Nerses Shnorhali جاثليق الارمن [illegible] ١١٦٦ ـ ١١٧٣م/٥٦١ ـ ٥٦٨هـ) ، وخطيبا دينيا وشاعرا ، وقد وضع كتابه على هيئة قصيدة وصف [illegible] حتى نهاية القرن ١٢م/٥هـ ، الى جانب مرثية طويلة عن سقوط الرها في يد عماد الدين زنكي . وقصيدته منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) انظر :
Cahen, La Syrie du Nord, p. 98

(٦٨) كان هو ايضا جاثليقا للارمن بعد نرسيس (١١٧٣ ـ ١١٨٩م/ ٥٦٩ ـ ٥٨٥هـ) وكتب مرثية عن سقوط بيت المقدس وانجازات صلاح الدين ازدحمت بها معلومات دقيقة ، وهي منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) . انظر :
Cahen, La Syrie du Nord, p. 98.

(٦٩) وقد كتب صموئيل Samuel d'Ani حولياته التي وصلت حتى أحداث عام ١١٧٧م/٥٧٢هـ مستفيدا من تاريخ متى الرهاوي ومصادر أرمينية أخرى ، وحولياته منشورة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) . انظـر :
Cahen, La Syrie du Nord, p. 98.

(٧٠) كان فارتان من مواطني قيليقية ، وكان عالم لاهوت ، وبقي راهبا بسيطا ولم يرتق ابدا في الدرجات الكنسية العليا ، ولكن دوره الذي لعبه بين مواطنيه جعله يتمتع بنفوذ سياسي كبير وكان محل ثقة وتقدير قسطنطين الاول ، جاثليق الارمن ورأس أسرة لامبرون . كما حظي فارتان بتقدير وثقة امراء قيليقية ورجال الدين الارمن ، فعهد اليه الملك هيثوم الاول بمناقشة مندوب البابا انوسنت الرابع الذي حضر الى قيليقية بشأن ضم كنيسة ارمينيا الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية في روما . وزادت شهرته =

....

....

= بتأثيره الديني في البلاط المغولي حين زار بلاط هولاكو قبل تقدم المغول غربا الى العراق . وكتب فرتان تاريخا للعـالم يمتد منذ بدء الخليقـة وحتى عام ١٢٦٩م/٦٦٧هـ ، اعتمـد فيه على المؤلفات السريانية والبيزنطيـة والجورجيـة . ونشرت بعض شذرات هذا التاريخ في مجموعة مؤرخي الحـروب الصليبيـة (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) . كما رجعـنا (الى جانب هـذه الشـذرات) الى جـزء من تاريخ فارتان يبدأ بأحداث عام ١٢٢١م/٦١٨هـ وينتهي بأحداث عام ١٢٦٩م/٦٦٧هـ ، ويعد من أهم المصادر المتعلقة بتاريخ المغول في فارس والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى . انظر :

Varton, Histoire Universelle, Extrait, ed. M. Dulaurier, in J.A., vol. 16, 1860, pp. 273-275.

(٧١) ولد سمباد في عام ١٢٠٨م/٦٠٤هـ . وهو ابن قنسطنطين الاول جاثليق الارمن ، وشقيق الملك هيثـوم الاول الذي تزوج من ايزابيلا وريثة ليو الثاني . وحين تولى هيثوم الحكم حلت أسرة لامبرون محـل أسرة روبين في قيليقيـة ، واكتفى قسطـنطين بالتوجيه العام لدولة ابنه ، بينما احتفظ هيثوم بالتاج ، في حين تولى سمباد مركز الكندسـطبل . وفي ١٢٤٦م/٦٤٤هـ ، توجه سمباد الى قراقورم حيث قابل جيوك خان التتار لاعلان ولاء الارمن للتتار . واحتفظ سمباد بوظيفة الكندسطبل حتى عـام ١٢٧٦/٦٧٤هـ وهو العام الذي مات فيه أثناء صده لغارة قام بها التركمان من مرعش على قيليقية . وكتب سمباد تاريخه عن مملكة أرمينية الصغرى ليغطي الفـترة من عام ١١٩٢م/٥٨٩هـ الى عام ١٢٧٤م/٦٧٢هـ ، وقد أكمله مؤلف مجهـول لينتهي بأحداث عام ١١٣٥م/٥٢٩هـ وأضاف اليه بعض الاضافات أدخلها هنا وهناك في متن تاريخ سمباد . كما قام سمباد بترجمة قوانين انطـاكية التي وضعت في عهد بوهيمند الرابع ، الى اللغـة الارمينية . ويعتبر تاريخ سمباد والتاريخ المنفى لفهرام الرهاوي هما كل ما تبقى من الكتابة التاريخية لأرمن قيليقة . وتاريخ سمباد منشور فيمجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) . وعن حيـاة سـمباد راجع المقدمة التي وضعها دولورير لتاريخ سمباد .

Sempad Le Connétable, Chronique du Royaume Petite Arménie, in R.H. C=Doc. Arm., Vol. 1, pp. 605-609; Cahen, La Syrie du Nord, p. 99.

الرهاوى(٧٢) ، والى جانب هؤلاء ، فهناك أهم مؤرخى الارمن على الاطلاق الذين كتبوا عن حداث القرن ١٣م/٧ھ ، والذى تعد روايته على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لدارسى تاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية ، خاصة فى زمن الغزو المغولى للعراق وبلاد الشام . وهذا المؤرخ هو هايتون Hayton أو « هيثوم » Hetoum الذى يعرف فى غرب اوربا باسم هيثونوس موناخوس Haytonus Monachus (٧٣) . والذى تعكس

---

(٧٢) لا نعرف عن فهرام الرهاوى Vahram d'Edessa سوى أنه من مواطنى الرها والتحق بخدمة الملك الارمينى ليو الثالث بصفته مستشارا له ، وبناء على أوامر الملك فقد ألف قصيدته الشعرية عن تاريخ مارك أرمينيا الصغرى . ويبدو أنه كان من علماء اللاهوت ويتضح ذلك من اللقب Rabouni أى « عالم اللاهوت » باللغة السريانية والذى كثيرا ما عرف به والقصيدة تغطى الفترة من عام ١٠٤٠م/٤٣١ھ الى عام ١٢٨٠م/٦٧٩ھ . كما وضع فهرام قصيدة رثاء عن أسر ليسو ابن الملك هيثوم الاول . والقصيدتان منشورتان فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) كما رجعنا الى نسخة باللغة الانجليزية للقصيدة الاولى لفهرام . انظر : Vahram Rabouni, Chronicle of the Armenian Kingdom, in Cilicia, ed. and trans by C.F. Neumann, in Translations from the Chinese and Armenian, London, 1831; Cahen, La Syrie du Nord, pp. 99-100.

(٧٣) ينتمى هايتون الى أسرة من أمراء لامبرون . ورث اقطاع جوريجوس Gorigos بعد موت أخيه جريجورى وتحول اقطاعه الى كونتية . وبعد أن اشترك هايتون فى حروب هيثوم الثانى ضد المماليك ، قرر أن يكرس نفسه للحياة الدينية . وفى عام ١٣٠٥م/٧٠٥ھ ، ذهب الى جزيرة قبرص حيث أصبح عضوا فى طبقة رجال الكنيسة . ثم ذهب فى ١٣٠٦م/٧٠٦ھ الى أوربا حيث زار البابا كليمنت الخامس فى مقره البابوى فى مدينة افنيون Avignon واستقبله البابا بترحاب شديد . وكلفه بتسجيل قصة التتار وحروبهم والممالك التى أسسوها وقصة دول الشرق وبصفة خاصة دولة المماليك فى مصر ، التى حكاها للبابا . فاعتكف هايتون فى أحد أديرة بواتييه بفرنسا ، وأملى تاريخه على شخص يدعى نيقولا فالكون Nicole Falcon الذى ترجمه الى اللاتينية وقدمه للبابا فى ١٣٠٧م/٧٠٧ھ . كما وضع هايتون مصنفا آخرا فى شكل جدول زمنى سجل فيه كل أحداث قيليقية وسوريا زمن الحروب الصليبية . وتاريخ هايتون منشور فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (الجزء الثانى =

كتاباته أكثر الميول الارمينية تطرفا ضد المسلمين وخاصة المماليك منهم ، وتوحى كتاباته بالآمال العريضة فى مساعدة المغول لكل من الارمن والفرنج فى استرداد ما فقدوه على أيدى المسلمين من أملاك . وكانت الصورة التى رسمها هايتون لعلاقة المغول بالملك هيثوم الاول ملك قيليقية الارمينى (١٢٢٦ — ١٢٦٩م/٦٢٤ — ٦٦٧هـ) ذات أثر فى أن يلوم بعض المؤرخين المحدثين الفرنج على عدم القيام بمحاولة للتحالف مع المغول ضد المسلمين فى بلاد الشام ويأتى فى مقدمة هؤلاء المؤرخ الفرنسى رينيه جروسيه . الا ان نتائج حقيقة العلاقات بين المغول والصليبيين فى أوربا وبلاد الشام فى كثير من المصادر التاريخية — التى اقتصر جروسيه فى دراسته لها على رواية هايتون دونها — تدفع الى الاخذ برأى مخالف لرأى جروسيه . ومع ذلك فقد كان تاريخ هايتون مصدر معلومات دقيق وهام لتاريخ المغول وغزوهم للشرق الادنى الاسلامى . والى جانب هؤلاء المؤرخين الارمن فقد رجعنا الى عدة مصادر ارمينية أخرى أفادت موضوع البحث ومن هذه المصادر تاريخ كيراكوس(٧٤) ، وقصيدة الملك هيثوم الثانى(٧٥) ، وتاريخ المغول الذى كتبه جريجور أوف

= من مجموعة الوثائق الارمينية) بينما نشر جدوله الزمنى فى (الجزء الاول من مجموعة الوثائق الارمينية) وعن حياة هايتون واعماله أنظر :

Héthoum comte de Gorigos,
Table Chronologique, in R.H.C. Doc. Arm., Vol. I. pp. 469-470; Cahen, La Syrie du Nord, p. 99.

(٧٤) Kirakos de Ganjak, Histoire d'Arménie (extrait) ed. M. Dulaurier, in J.A., Vol. XI, 1858.

(٧٥) حكم هيثوم الثانى فى قيليقية على فترات متقطعة فيما بين أعوام ١٢٨٩ — ١٢٩٣م/٦٨٨ — ٦٩٢هـ و ١٢٩٩ — ١٣٠١م/٦٩٩ — ٧٠١هـ . وهو الابن الاكبر للملك ليو الثالث (١٢٦٩ — ١٢٨٩/٦٦٧ — ٦٨٨هـ) . وحفل عهده بالاحداث التى اضعفت بلاده بسبب هجمات المماليك المتكررة عليها . ولم يرغب هيثوم فى وضع التاج على رأسه أو حتى التلقب بلقب ملك ، واكتفى بلقب بارون . ووجد راحته فى الصلاة وقراءة الكتب المقدسة وصحبة الرهبان ورجال الكنيسة . وسعى الى ادخال كنيسة بلاده تحت لواء كنيسة روما ، وأثار ذلك الخلافات بينه وبين رجال الدين . وكتب هيثوم قصيدة تعكس صورة قاتمة حزينة لفترة حكمه . والقصيدة منشورة فى مجموعة مؤرخى الحروب =

أكانك (٧٦) .

وكان القــرن الثــالث عشر الميلادى/السابع الهجرى هـ فترة تغير وتطور كبير فى تاريخ الحروب الصليبية بدءا من فتور الحماســة الصليبية لدى الفرنج فى بلاد الشام ، ودخولهم فى منازعات فيمــا بينهم أضعفت من الكيان الصليبى فى الوقت الذى فقدت فيه مدينة بيت المقدس اهميتها كهدف للحملات الصليبية تاركة لمصر الفرصة لتختص بتلك الاهمية بعد أن أصبحت مركز الثقل للمقاومة الاسلامية ضد الوجود الصليبى فى بلاد الشام . وبعد أن فقد العراق وحلب أهميتهما كنقطة انطلاق اسلامية ضد الصليبيين فى عهد عماد الدين زنكى ومن بعده نور الدين محمود . فقد جذبت الحروب الصليبية ومحــاولات البـــابوية اليائسة فى البحث عن حلفائها ، جذبت أنظار طرف جديد من أطراف الصراع وهو المغــول ، فكان لابد من الرجوع الى بعض المصادر التى عالجت تاريخ هؤلاء حتى وصولهم الى بلاد الشام ، وأثر ذلك على العــلاقات الصليبية الاســلامية بصفة عامة ، والعلاقات بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين . وفى مقدمة هذه المصادر المغولية يأتى كتاب « جامع التــواريخ » الذى وضعه رشيد الدين الهمذانى (٧٧) . الذى كلفه بوضعه غازان خان كسجل

= الصليبية (الجزء الأول من مجموعة الوثائق الارمينية) . وعن حياته . انظر :

Poeme de Hethoum II, Roi D'Arménie, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1. pp. 541 ff.

(٧٦) ولد جريجور فى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ ، ومات فى عام ١٣٣٥م/٧٣٦هـ ، وهو رجل دين مثل غالبيــة مؤرخى الارمن . كرس تاريخه عن أمة السهام (المغول) الا أن روايته اقتصرت عـلى علاقة ملوك الارمن بالمغول ، وتحدثت الى جانب ذلك ـ ولكن فى ايجاز شديد ـ علاقة المغول بالمسلمين وأهم ما تحدثته هو علاقة بيبرس بالملك هيثوم الاول . انظر :

Grigor of Akanc. History of : the Nation of the Archers (The Mongols), ed. and trans by R.P. Blake and R.N. Frye, In H.J.A.S., Vol. 12, 1949, pp. 269 ff.

(٧٧) وهو رشيد الدين عماد الدولة أبى الخير . ولد فى مدينة همذان الفارسية فى عام ١٢٤٧م/٦٤٥هـ . ومات فى عام ١٣١٩م/٧١٨هـ . واحترف رشيد الدين الطب مهنة له (يعرفه خواندمير بالطبيب) الى جانب احاطته باللغات الشرقية مثل الفارسية (لغتــه الموروثة) والعربية والمغولية والتركية والعبرية والصينية وهذا مهد له السبيل الى قصر سلاطين فارس المغوليين، وكسب ودهم =

أدبي لتاريخ المغول، وامده غازان بخيرة المصادر واندرها في الامبراطورية المغولية . كذلك استفاد رشيد الدين من الروايات التي كانت تدور محظمها على لسان غازان خان نفسه ، وذلك بحكم منصبه كوزير له . وهكذا جاء كتاب رشيد الدين مدعما بالوثائق المغولية . كما كلفه ألجـايتو خلف غازان بالاستمرار في وضع التاريخ الذي كلفه به غازان ، الى جانب وضع مجلد ثان يشتمل على تاريخ جميع الشعوب التي اتصل بها المغول . واطلق رشيد الدين على المجموعة كلها اسم « جامع التواريخ » . وهكذا اصبح تاريخه اول تاريخ عالمي معـروف بالمعنى الصحيح في العصور الوسطى . والتزم رشيد في كتابه الحياد وعدم التعصب ، فلم يتملق سلاطين المغول ، ولم يجعله عمله مع المغول أو اسلامه يحيد عن جادة الصواب والتأليف العلمي . وتبدو أهمية الكتاب – الى جانب المعلومات الجغرافية عن المناطق الكثيرة في آسيا ، وعن عادات المغول وتقاليدهم التي زودنا بها – بصفة خاصة في الاحداث التي عاصرها المؤرخ . ويتمثل ذلك في نمو دولة المغول وفتوحاتهم وتدمير قلاع الاسماعيلية وحصار بغداد وما دار فيهـا من مذابح على يد هولاكو خان . وهكذا ، كان « جامع التواريخ » أهم مصدر معلومات عن تاريخ المغول ودورهم في تاريخ الحروب

= وتقديرهم وثقتهم فدخل في خدمة أباقاخان ابن هولاكو . وفي عهد غازان خان (١٢٩٥ – ١٣٠٤م/٦٩٤ – ٧٠٣هـ) وصـل رشيد الدين الى أعلى المناصب الادارية في الدولة حيث عينه غازان وزيرا له . وبقي رشيد الدين في هذا المنصب في عهـد الجايتو (١٣٠٤ – ١٣١٦م/٧٠٣ – ٧١٦هـ) وانتهى الامر باعدام رشيد الدين وابنه ابراهيم بتهمة دس السم للخان الجايتو وهي دسيسة حاكها منافسو رشيد الدين . وتم أعدامه في عهد الخان أبو سعيد في عام ١٣١٩م/٧١٨هـ في قرية جوسقدر بالقرب من مدينة تبريز . انظـر : خواندمير (غياث الدين) : دستور الوزراء ، ترجمة وتعليق حربي أمين سليمان ، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٩٤ ، ٢٧٣ – ٢٧٨ ، رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، الجزء الاول ، ترجمة : محمد صادق نشأت وآخرون ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٣ – ٥٥ . راجع ايضا :

John Andrew Boyle, Rashid Al-Din : The First World historian, in I.C., Vol. 44, 1970, pp. 9-17.

الصليبية ، خاصة بتوقف تاريخ الجويني(٧٨) عند استيلاء هولاكو على فارس ، واتسام ما أورده ابن الاثير عن فتوح المغول من حذر وتحفظ منعا ابن الاثير عن التعرض لأحوال المغول في الصين ، وما شاب رواية النسوي من غموض عن هذه الاحداث من تاريخ المغول الاول وهو الذي لم يرغب في سرد تاريخهم وهو يرى عرش سيده جلال الدين منكبرتي ينهار تحت ضرباتهم ووسط أعمال العنف التي قاموا بها ، الى جانب تركيز اهتمام الجويني على أعمال جنكيزخان وهولاكو (حتى دخوله فارس) دون الاهتمام بأصل القبائل المغولية المختلفة . لذا كانت الفائدة كبيرة بالنسبة لموضوع البحث من الرجوع الى كتاب رشيد الدين لتتبع احوال المغول منذ ظهورهم وحتى دحرهم على أيدي المماليك في عين جالوت .

---

(٧٨) وهو علاء الدين عطا ملك الجويني ابن بهاء الدين محمد . ولد في عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ في مقاطعة جوين بخراسان (شمال غربي نيسابور) خدمت أسرته السلاجقة ثم الخوارزمية في فارس . وتولى والده منصب مستوفي ديوان السلطان محمد خوارزمشاه ثم نفس المنصب لدى سلاطين المغول الى أن تولاه اخوه السعيد شمس الدين محمد لدى هولاكو خان ثم لدى ابنه أباقا . كما التحق علاء الدين بخدمة الامير أرغون نائب التتار في ايران ، ثم بخدمة هولاكو في ايران ورافق الاخير في حروبه وسمح له هولاكو بالاطلاع على مكتبة الاسماعيلية الضخمة في قلعة الموت ، واستفاد الجويني مما فيها من كتب عن تاريخ الحسن الصباح مؤسس الطائفة الاسماعيلية وعينه هولاكو حاكما على العراق بعد فتح المغول لبغداد . واستمر الجويني في هذا المنصب في عهد أباقا ابن هولاكو . الا أن الجويني واخاه لم يسلما من دسائس الحاقدين . وانتهى الامر بعزلهما من منصبيهما في أواخر عهد أباقا وأعادهما خلفه أحمد تكودا الى وظائفهما بعد قتل منافسهما مجد الملك اليزدي في عام ١٢٨٣م/٦٨١هـ . ولم يعش الجويني طويلا اذ مات في نفس العام وكتابه يحمل عنوان«جهانكشاي»أي«فاتح العالم» ولم نعثر لهذا العنوان على ترجمة في كتاب خواندمير وولا في كتاب رشيد الدين المنقولين الى العربية . ورجعنا في هذا البحث الى الترجمة الانجليزية له والتي تحمل عنوان « تاريخ غزاة العالم » انظر : خواندمير : دستور الوزراء ، ص ١٠١ ، ص ٣٣٧ — ٣٣٨ ، راجع أيضا :

Juvaini (Ala-adin Ata Malik), The History of the World Conquerers, Trans. by T.A. Boyle, 2 vols., Manchester, 1958, Vol. 1, pp. XV-XXV.

ويلي تاريخ رشيد الدين في الاهمية بالنسبة لتاريخ المغول الكتاب الذي صنفه عطا ملك الجويني وانتهى من كتابته في عام ١٢٦٠م/٦٥٨هـ ، والذي بدأه بذكر ظهور جنكيزخان وانهاه باحداث عام ١٢٥٧م/٦٥٥هـ أي باستيلاء هولاكو على املاك الاسماعيلية في فارس وقبل دخول التتار بغداد بعام واحد . ويتميز الجويني – كما تميز الهمداني – بالحيدة والدقة في اخباره رغم تواجده في بلاط المغول ، فقد وصف الاضرار التي الحقها المغول بديار الاسلام وما جنوه على الحضارة الاسلامية وصفا مجردا من كل غرض وهوى . وقد تأثر كثير من المؤرخين بكتاب الجويني ونقلوا عنه ، ومنهم البغدادي وخواندمير وابن تغري بردي ، وأبو شامة وابن الفرات وابن كثير (٧٩) . وبالنسبة لموضوع البحث فقد ساعدت رواية الجويني على تتبع أحوال المغول منذ عهد جنكيزخان ، وحتى استيلائهم على بلاد فارس وقضائهم على دولة الاسماعيلية هناك . كما ساعد على التأكد من صحة بعض الانساب المغولية من أسرة جنكيزخان وخلفائه .

والى جانب هؤلاء رجعنا الى كتاب « دستور الوزراء » الذي وضعه خواندمير (٨٠) . ومن مؤرخي المغول رجعنا الى ما سجله « شانج تي » مبعوث منكوخان الخان الاعظم في قراقورم الى هولاكو في فارس في عام ١٢٥٩م (٨١) . الا أن المصادر المغولية التي عالجت تاريخ الغزو المغولي لبلاد المسلمين في فارس بصفة عامة ، ثم تتبع بعدها العلاقات بين الطرفين بعد موقعة عين جالوت وحتى نهاية القرن ١٣م/٧هـ ، لم تتعرض بالمرة

---

(٧٩) خواندمير : دستور الوزراء : ص ١٠١ – ١٠٢ ، عباس الغزاوي: التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، بغداد ١٩٥٧ ، ص ١١٢

(٨٠) هو غياث الدين بن همام الدين الحسيني ، ولد في عام ١٤٧٥م/ ٨٨٠هـ ، وتوفي في عام ١٥٣٥م/٩٤٢هـ ، وعمل وزيرا لدى السلطان بديع الزمان ميرزا أحد أفراد الاسرة التيمورية (نسبة الى تيمورلنك) . وله مؤلفات عديدة اهمها كتاب دستور الوزراء الذي يعد شرحا لأحوال وزراء خلفاء الاسلام ووزراء سلاجقة ايران . انظر : خواندمير : دستور الوزراء ، مقدمة المحقق ، ص ١٩ وما بعدها ، عباس الغزاوي ، لتعريف بالمؤرخين ، ص ٢٢٥ .

(٨١) سجل شانج تي كل مشاهداته في رحلته من قراقورم الى بغدا وبالعكس في شكل مذكرات شخصية ورجعنا الى نسخة مترجمة لهذه المذكرات . انظر قائمة المصادر والمراجع .

للعلاقات بين المغول والصليبيين ، وكأنه لم يكن للاخيرين وجود فى بلاد الشام ، واذا لم تكن هنـــاك علاقات تذكر بين المغـــول والصليبيين فى فلسطين ، فانه لمن الغريب ألا تذكر المصادر المغولية شيئا عن علاقة هولاكو بكل من الارمن وبوهيمند السادس أمير انطاكية . ولولا بعض الاشارات فى قليل من المصادر العربية الى جانب التقـــارير التى وصلت الى أوربا والتىأوردها كل من متىالباريزى وماريتو سانودوالىجانبروايات مؤرخى الارمن، لما عرفنا شيئا عن هذه العلاقات.ومع ذلك،فبمعالجة تاريخ الغزو المغولى لبلاد الاسلام ، ألقت المصادر المغولية ـ كمـــا ألقت المصـــادر الصليبية بدورها ـ الكثير من الضوء على جانب كبير من جوانب تاريخ الحروب الصليبية تاركة مع المصادر الصليبية دورا كبـــيرا فى سرد هـــذا التاريخ للمصادر العربية .

وقد كان الانتاج التاريخى العربى أكثر حجما من الانتاج اللاتينى بالنسبة لبلاد الشام زمن الحروب الصليبية . وربما كان ذلك بسبب عدم التناسب العددى الدائم فى بلاد الشام بين الفرنج والسكان الاصليين ، وهو عدم تناسب لم يكن فرنج أوربا لبوضوحه فى أى وقت من الاوقات . واذا كانت الكتابة التاريخية العربية المعاصرة للفترة المبكرة من تاريخ الحروب الصليبية لم تقدم لنا سوى ابن القلانسى أمام الوفرة فى عدد مؤرخى الحملة الصليبية الاولى من اللاتين ، فان بداية النصف الثانى من القرن ١٢م/٦هـ وبداية عهد صلاح الدين يحددان لنا تغيرا هاما فى الكتـــابة التاريخيـــة العربية . فمن ناحية حفظت لنا الاعمال التاريخية بالكامل ، ومن ناحية اخرى تغيرت روح الكتابة التاريخية العربية نفسها . فدولة صلاح الدين ، التى امتدت من بلاد السودان ومكة جنوبا الى جبال طوروس شمالا ، ومن ديار بكر شرقا الى مصر غربا ، رفعت الارواح فوق سياسة التحزب والانقسام ، وكان المؤرخون الذين رووا تاريخها من الاقاليم المختلفة التى تتكون منها هذه الدولة المترامية الاطراف ، غير مرتبطين أسريا بالارض التى يعيشون عليها حياتهم العملية . فاتحدت العقليات فى الوقت الذى توحدت فيه الاراضى تمجيدا لرجل واحد ولقضية واحدة . كمـــا أتاح الاستقرار السياسى للشرق الادنى الاسلامى فرصة تجديد الثقافة وادخال عناصر غير شامية نتج عنها تحسين لغة الكتابة ، وربما وصل الامر الى استخدام المحسنات البديعية فى الكتابة ، كما فى أعمال العماد الاصفهانى.

وأدى توحيد البلاد تحت قيادة واحدة الى ابتعاد الكتابة التاريخية العربية عن الطابع الشخصى(٨٢) . أبسيادة المذهب السنى فى البلاد ، اختفت النزعة الشيعية ـ الى حد كبير ـ فى كتابات المؤرخين المسلمين . وكتب الجميع تاريخ البلاد فى هذه الفترة ـ وحتى نهاية الحروب الصليبية ـ ونقلوا عن بعضهم البعض بلا غضاضة ، الامر الذى جعل تاريخ الحروب الصليبية يظهر واضحا فى كتابات المؤرخين العرب غير المعاصرين لفترة الحروب الصليبية مثل ابن الفرات والعينى والنويرى والمقريزى ، وجعل الكتابة التاريخية العربية تقوم بدورها فى سد النقص الذى خلفته لنا الكتابات التاريخية التى عالجت تاريخ الحروب الصليبية من لاتينية وبيزنطية وأرمينية وسريانية وفارسية .

فاذا كان ابن القلانسى الذى يعد المؤرخ العربى الوحيد الذى عالج تاريخ بلاد الشام منذ غزو السلاجقة له وحتى عصر صلاح الدين ، وكان كتابه « ذيل تاريخ دمشق »(٨٣) هو أهم مصادر معلوماتنا المعاصرة لتاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية منذ مجيىء الفرنج الى بلاد الشام وحتى تصدى نور الدين محمود لهم ، وأمدنا بمادة تاريخية وفيرة ساعدت على تتبع سياسة أمراء انطاكية تجاه جيرانهم المسلمين طوال النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى ، فقد شاركه فى ذلك اثنان من أهم المؤرخين المسلمين الذين حتمت طبيعة أعمالهم التاريخية أن تتضمن كتاباتهم تاريخ هذه الفترة (السابقة عليهم) الى جانب ما عاصروه من أحداث .

ويأتى فى مقدمة هؤلاء ابن الاثير صاحب كتاب « الكامل فى

---

(٨٢) Cahen, La Syrie du Nord, p. 50.

(٨٣) ابن القلانسى : دمشقى الاصل ، ولد عام ١٠٧٩م/٤٧٢هـ ، وشغل العديد من المناصب مثل رئيس ديوان الانشاء ، وخص بكتابه تاريخ مدينة دمشق ، واستكمل به كتاب الهلال الصابى عن تاريخ دمشق الذى تنتهى أحداثه بعام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م . وتوفى ابن القلانسى فى عام ١١٦٠م/٥٥٥هـ . انظر : عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٧٦ ، ص ١٦ ، السيد الباز العرينى،مؤرخو الحروب الصليبية،القاهرة، ١٩٦٢ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

التاريخ »(٨٤) . فقد جاء كتابه شاملا للتاريخ الاسلامي كله ، وكان من الطبيعي أن يمدنا بمعلومات وفيرة عن علاقة الصليبيين بالمسلمين خلال الفترة السابقة عليه ، ولم يرد كثير مما أمدنا به ابن الاثير في كتاب ابن القلانسي ،و قد اعتمد في ذلك على الروايات الشفوية التي أملاها عليه أبوه وغيره ممن عاصروا أحداث هذه الفترة أو سمعوا بها . اما عن الفترة التي عاصرها ابن الاثير فان كتابه يعد مصدر ثقة بالنسبة للاحداث التي روى عنها كما تتمتع معلوماته بالاصالة ، خاصة وانه كان شاهد عيان لبعض الاحداث التي كتب عنها . وفي الحقيقة ، يعد اسلوب ابن الاثير تطورا هاما في الكتابة التاريخية العربية انفرد هو باحداثه . فلم يكن ابن الاثير مجرد ناقل للمعلومات المتعلقة باحداث الفترة السابقة على عهده ، كما لم يكن مجرد راو لتاريخ أحداث الفترة التي عاصرها وما شاهده بنفسه من احداثها ، بل انه كان صاحب رأي وناقدا لبعض الذين نقل عنهم من المؤرخين ، وأيضا لبعض الشخصيات التي حكى أعمالها(٨٥) . الى جانب ذلك فانه على العكس من المؤرخين المسلمين ، لم تشغله أهمية حدث معين ، او أحوال منطقة معينة من بلاد المسلمين ، عن تتبع أحوال ديار الاسلام جميعها - وبذلك تميز كتابه بالشمولية ، وتميز هو بسعة الافق وبدا وكانه يكتب تاريخا لم يعاصره ، وتناوله بالدراسة والتمحيص قبل ان يسجله . فلم يغفل ـ وهو يسرد تاريخ العراق وبلاد

---

(٨٤) ابن الاثير : هو أبو الحسن علي بن ابي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري ، الملقب عز الدين . ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها . وأبوه موظف كبير بالموصل ، وأخوه مجد الدين الفقيه ووزير الافضل ضياء الدين الايوبي في الموصل . انتقل ابن الاثير من جزيرة ابن عمر الى الموصل حيث درس على الفضل الخطيب الطوسي ، ثم سار الى بغداد مرارا ، وانتقل الى بيت المقدس والشام كثيرا . ووضع الى جانب « الكامل في التاريخ » كتابا آخر في الاتابكة الموصل ، وعلى رأسهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود (التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل) ومات ابن الاثير عن خمسة وسبعين عاما ١٢٣٣م/٦٣٠هـ . انظر : السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٢٠ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٨٥) عباس العزاوي : التعريف بالمؤرخين ، ص ٣٥ وما بعدها .

الشـــام ومصر ـ تتبـع أحوال المسـلمين فى آسـيا الصغرى وفى فارس والمغـرب العـربى والاندلس وبذلك امدنا بمعلومات وفيرة عن احوال السلاجقة فى آسيا الصغرى ، وكان مصدر ثقة فى ذلك ، وساعدت المادة التاريخيـة التى امدنا بهـا ـ الى جانب ما سجله فنسنت دى بوفيه من روايات سيمون اوف سان كوينتين ـ على تحديد طبيعة العـلاقات بين السلاجقة والايوبيين وفرنج انطاكية والارمن فى نفس الوقت . كمـا تتبع ابن الاثير احوال الخوارزمية ومن خلفهم المغول وتقدم هؤلاء نحو العراق وبلاد الشام بصورة دقيقة ، ولم يشغله الحديث عن الخطر الذى يشكله هؤلاء على بلاد المسلمين فى العراق وبلاد الشام ومصر عن الحـديث عن احوال الفرنج . ولا غرو ، اذن ، فى أن يكون كتابه مصدر معلومات هام بالنسبة لكل من أتى بعده من المؤرخين المسلمين . وتعتبر رواية ابن الاثير ـ الى جانب روايات كل من العماد الاصفهانى وابن شداد ـ سجلا دقيقا لفتوح صلاح الدين فى امارة انطاكية بعـد حطين فى الوقت الذى تغاضت فيه المصادر الصليبية المعاصرة عن ذكر تفاصيل هذه الفتوح . وربما يرجع ذلك الى عدم حرص مؤرخى اللاتين على تسجيل انتصارات المسلمين ، على العكس من وليم الصورى الذى حرص على ذكر الحقيقة كاملة . كما تميز ابن الاثير بالدقة فى كتاباته ، فقد حدد بدقة ـ ونقل عنه ذلك كل من ابن واصل والمقريزى وابو شامة ـ الفترة التى قضاها صلاح الدين فى دمشق حين دخلها أول مرة (بعد موت نور الدين محمود) فى أكتـوبر ١١٧٤م/ربيع ثان ٥٧٠هـ ، حيث بقى بها شهرا دون أن يتحرك الفـرنج وخاصة بوهيمند الثالث للتصدى لمحاولة صـلاح الدين لتثبيت مركزه فى بلاد الشام بعد استقلاله بمصر . وساعد تتبعه الدقيق لتحركات صلاح الدين ـ كما فعـل ابن واصل ـ على تحـديد تاريخ غارة بوهيمند على شيزر (٩ مايو ١١٧٩م/آخر ذى القعدة ٥٧٤هـ) بعـد أن أغفل كل المؤرخين تحديد ذلك التاريخ . كما انفرد بذكر تفاصيل الغارات المتبـادلة بين التركمان المقيمين بأطراف حلب وبين قوات جماعة الداوية فى انطاكيـة فى عام ١٢٢٧م/٦٢٤هـ ، الامر الذى شغل الداوية عن مناوئة الارمن أعداء بوهيمند الرابع فى قيليقية . وكثيرا ما طالعنا ابن الاثير بروايات تخص الفرنج انفسهم لم يذكرها أى من مؤرخيهم المعاصرين . فقد انفرد بذكر احوال بوهيمند الرابع بعد استرداده لانطاكية من ايدى الارمن ، وعلاقة بوهيمند بالبابا هنوريوس الثالث ، وذلك بفضل حسن علاقة ابن الاثير

بأحد رجال الدين فى انطاكية . فقد حرم البابا هنوريوس ـ كما ذكر ابن الاثير ـ على الداوية التعاون مع بوهيمند ضد الاسبتارية الذين طردهم بوهيمند الرابع من أنطاكية ومنح الداوية نصيبهم فى مدينة جبلة . وحين حاول بوهيمند استرضاء البابا للحصول على مساعدة كل من الداوية والاسبتارية لاطلاق سراح ابنه فيليب من أسر الارمن ، رفض البابا هذا المشروع ، الامر الذى دفع بوهيمند الى التحالف مع السلاجقة المسلمين ضد الارمن المسيحيين .

ويلى ابن الاثير فى الاهمية ابن العديم(٨٦) الذى جاء كتابه « زبدة

---

(٨٦) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن العديم . ولد بحلب فى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ . وتولى أبوه الخطابة بحلب على أيام نور الدين محمود بن زنكي ، ثم تولى الخزانة فى أيام ولده الملك الصالح اسماعيل (١١٦٩ — ١١٨١م/٥٦٤هـ — ٥٧٧هـ) . ثم تولى قضاء حلب واعمالها منذ عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ حتى عام ١١٨٢م/٥٧٨هـ حيث عزل عنه فى عهد صلاح الدين لأن الدولة شافعية والرجل من الحنفية . وصحب كمال الدين والده فى أسفاره ورحلاته ، فزار بيت المقدس ودمشق . وتمتع ابن العديم بثقة الملك الظاهر غازى ملك حلب وابن صلاح الدين وتولى قضائها . وقام بمهام سياسية من قبل الايوبيين فقد سافر فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ رسولا عن الملك الناصر يوسف الثانى صاحب الشام الى الخليفة المستعصم . وفى عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ ، سافر الى مصر رسولا من الناصر بن العزيز صاحب دمشق يستنجد بالمصريين على قتال التتار . وصحب الناصر يوسف صاحب حلب الى برزة هربا من المغول . ثم أتى الى مصر واقام بها حتى تم طرد المغول من الشام على أيدى قطز وبيبرس . وعاد الى حلب ولم يطق المقام بها لما شعر به من حزن على الخراب الذى حل بها ، فعاد الى مصر ومات بها فى عام ١٢٦٢م/٦٦٠هـ ودفن بسفح المقطم . وقد وضع ابن العديم كتابه « بغية الطلب فى تاريخ حلب » ترجمة لمن عاصره ومن جاوره ، ثم جمع اليهم القدماء السابقين . وطلب منه الملك العزيز (١٢١٦ — ١٢٣٧/٦١٣ — ٦٣٤هـ) ان يضع كتابا على السنين وان يختصر تاريخه الكبير ، فلخص لنا البغية ليخرج لنا « زبدة الحلب . انظر : ابن العديم (كمال الدين) : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ أجزاء ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١ ، جـ ١ ، (مقدمة المحقق) ص ١٣ وما بعدها ، ص ٣٩ ، ص ٥٩ — ٦٣ ، السيوطى:حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة،جزءان . =

الحلب من تاريخ حلب » على عكس ما يوحي به عنـوانه . فلم يقتصر الكتاب على تاريخ مدينة حلب وحكامها المسلمين ، بل تناول الحديث عن أحوال المسلمين في العراق وآسيا الصغرى وبلاد الشـام ومصر ، وعلاقة هؤلاء بحكام حلب . وقد نقل ابن العديم عن كثير من المؤرخين المعاصرين الفترة السابقة على تاريخه وان لم يذكر ذلك في « الزبدة » فقد ذكر اسماء هؤلاء في « البغية » . ومن هؤلاء كان الطبرى وابن القلانسى وابن الاثير وابن الجوزى وابن شداد وغيرهم(٨٧) وكتابه مرتب على السنين ، ولم يلتزم بذلك كثيرا ، فقد آثر جمع الحوادث في بعض الاحيان حرصا على تسلسلها وعدم تكرارها ، فجاء كتابه مشابها للفصـول . وقد توقف ابن العديم بكتابه عند احداث عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ وعاش بعد ذلك حوالى عشرين عاما لم يشغله عن تسجيل أحداثها في كتـابه سـوى انصرافه الى السياسة والسفارة بين ملوك المسلمين(٨٨) . ومع ذلك ، فان ما سـجله ابن العديم يعد من أهم المصادر الاسلامية المتعلقة بتـــاريخ الحـــروب الصليبية . فقد أمدنا بمعلومات لم ترد في كتب من نقل عنهم من المؤرخين بالنسبة للعـلاقات الصليبية الاسـلامية خلال النصف الاول من القـرن ١٢م/٦هـ . وبالنسبة للفترة التى عاصرها ابن العديم فقد أمدنا بمعلومات وفيرة لم ترد عند غيره من المؤرخين المعاصرين ، ساعدت على تحـديد طبيعة العلاقات بين مسلمى حلب وصليبى انطاكية أثناء صراعهم ضـــد الارمن . وكذلك عن علاقات امراء انطاكية بجماعتى الداوية والاسبتارية ، ودور هؤلاء في صراع الانطاكيين ضد الارمن . وقد انفرد ابن العديم بذكر كثـــير من الاحـــداث التى أغفـل المؤرخون ذكـــرها . ومن ذلك اشتراك كل من فرسان الداوية والاسبتارية الى جانب الارمن من حصـار حارم ومشاركة بوهيمند الثالث وكونت الفلاندرز في عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ. كما تتبع علاقة قبائل التركمان بالصليبيين في انطاكية منذ عهد الظاهر غازى وحتى قدوم المغول الى بلاد الشام ، فانفرد بذكر غاراتهم عـلى حدود انطاكية في نهاية عام ١١٦٨م/بداية عام ٥٩٥هـ ، وفي عام ١٢٣٦م/

= تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٧٦م/١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .

(٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٨٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٨ .

٦٣٤هـ ، واشترك فى ذلك مع ابن واصل الذى كثيرا ما نقل عنه . كما أكدت روايته التى انفرد بذكرها عن اتفاق بوهيمند الثالث ونواب الملك الظاهر غازى صاحب حلب فى عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ قبالة حصن المرقب على التحالف،اكدت أن كلا من الحاكمين كان فى حاجة الى مساعدة كل منهما للآخر . كما انفرد ابن العديم بذكر غارة الصليبيين ، الذين لم يذهبوا مع الحملة الرابعة الى القسطنطينية ، على اللاذقية فى عام ١٢٠٣م/ ٦٠٠هـ ، ودحرهم على أيدى نواب الملك الظاهر صاحب حلب ، وعدم استفادة بوهيمند الرابع من وجودهم فى صراعه ضد الارمن . كما انفرد بذكر الاتفاقية التى وقعت بين ليو الثانى الارمينى والداوية فى عام ١٢٠٨م/ ٦٠٥هـ . الا انه اغفل ذكر بعض الاحداث التى عاصرها واهمها محاولة وليم مونتفرت مقدم الداوية للاستيلاء على حصن دربساك من المسلمين فى منتصف عام ١٢٣٧م/نهاية عام ٦٣٤هـ ، بالرغم من اقامة ابن العديم فى حلب فى ذلك الوقت . ولم يذكر هذه الواقعة من بين سائر المؤرخين سوى المؤرخ الانجليزى متى الباريزى الذى اطلع على تقارير قادة الداوية فى بلاد الشام الى زملائهم فى انجلترا . كما يؤخذ على ابن العديم الايجاز الشديد الذى غلب على رواياته فى نهايات تاريخه ،وربما رجع ذلك الى كثرة ترحاله بين القاهرة وحلب فى هذه الفترة وانشغاله بأمور السياسة .

وكما كان عهد صلاح الدين الايوبى يمثل وحدة الدولة الاسلامية فى الشرق الادنى الاسلامى ووحدة الهدف والفكر لدى المسلمين ، فقد كان عهد صلاح الدين ذا أثر كبير فى مجال اسلامى آخر ، الا وهو الكتابة التاريخية العربية . فقد اخرج لنا عهد صلاح الدين من المؤرخين المسلمين من سجلوا اعماله وانجازاته الفريدة فى مواجهة الوجود الصليبى فى بلاد الشام كما اخرجت لنا الدولة (الايوبية) التى أسسها من كتبوا تاريخها . وفى الحالتين -تسجيل أعمال صلاح الدين أو تاريخ الدولة الايوبية - فقد كانت الكتابة التاريخية العربية ، منذ عهد صلاح الدين وحتى نهاية النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى ، ما هى الا تسجيلا لتاريخ الشرق الادنى الاسلامى كله .

وفى مقدمة من سجلوا تاريخ صلاح الدين يأتى كاتبه وسكرتيره

ومؤرخ عهده ابن شداد (٨٩) الذى أفرد كتابه « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » لتسجيل سيرة صلاح الدين وأعماله ، وقسم ابن شداد كتابه الى قسمين الاول فى مولد صلاح الدين ونشأته وخصائصه ، والثانى فى تقلبات الاحوال به ووقائعه وفتوحه وتواريخها الى نهاية حياته . واعتمد ابن شداد فى التاريخ للاحداث السابقة على تاريخه على من يثق به ، اما الاحداث التى عاصرها وهو فى خدمة صلاح الدين فقد وصفها كما شاهدها بنفسه . لذلك يعد تاريخ ابن شداد من اوثق المصادر الاسلامية التى تناولت العلاقات بين الصليبيين والمسلمين فى بلاد الشام ، ومصر ، ونجاح المسلمين فى استرداد مدينة بيت المقدس من الصليبيين الى جانب غالبية مملكة بيت المقدس ، ثم الصراع بين صلاح الدين وبين جموع الغرب الاوروبى عن ملوكه وحكامه فى الحملة الصليبية الثالثة . وبالنسبة لموضوع البحث يعد ما أورده ابن شداد — الى جانب روايات العماد الاصفهانى — عن انتصارات المسلمين بعد حطين ثبتا دقيقا لحملة صلاح الدين فى امارة

---

(٨٩) بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ، ولد فى الموصل سنة ١١٤٥م / ٥٣٩ هـ ، وتوفى فى حلب سنة ١٢٣٩م/ ٦٣٢هـ . عرف بابن شداد نسبة الى جده لانه تربى فى كنف أخواله بعد وفاة ابيه فنسب اليهم . نشأ فى الموصل وتلقى علومه الدينية الاولى فيها . وفى عام ١١٧١م/ ٥٦٧هـ وصل الى بغداد حيث عمل مدرسا بالمدرسة النظامية فيها لمدة اربع سنوات وعاد الى الموصل مدرسا بالمدرسة الشهرزورية هناك . وازدادت وعلت مكانته وبعثه اتابك الموصل رسولا الى الخليفة العباسى فى بغداد ، والى صلاح الدين فى مصر . وفى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ سافر الى مكة ومنها الى دمشق حيث استدعاه صلاح الدين الى حصن كوكب أثناء حصاره له ، والحقه بخدمته قاضيا لعسكره وللقدس الشريف الذى كان قد استرده من الصليبيين ، وبقى ابن شداد ملازما لصلاح الدين حتى وفاة السلطان . وبعد وفاة صلاح الدين عينه الظاهر غازى بن صلاح الدين قاضيا لحلب . ولعب ابن شداد دورا بارزا فى التوفيق بين أفراد البيت الايوبى فى مصر والشام ، كلما نشب النزاع بين بعضهم البعض ، ولذلك كان دائم التنقل بين حلب والقاهرة . ولما نال منه الكبر بقى فى حلب ودرس عليه ابن خلكان وأبو شامة وغيرهم . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين) . تحقيق جمال الدين الشيال ، الاسكندرية ١٩٦٤ ، ص ٣ وما بعدها .

انطاكية الصليبية . فقد انفرد ابن شداد بتحديد شروط الهدنة بين صلاح الدين وبوهيمند الثالث فى عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ . الا أنه أخطأ فى تحديد فترة الهدنة بسبعة اشهر . كما كان قربه من صلاح الدين يشغله أحيانا عن ذكر بعض ما يجرى من احداث بعيدا عن مكان تواجد السلطان . فلم يذكر هجوم ريموند كونت طرابلس وكونت الفلاندرز على حماة قبل مشاركتهم لبوهيمند الثالث فى هجومه على حارم فى ١١٧٧م/٥٧٣ . كما اغفل ذكر غارة بوهيمند الثالث على شيزر فى مايو من عام ١١٧٩م/آخر ذى القعدة ٥٧٤هـ.ويؤخذ ايضا عليه ايجازه الشديد فى ذكر بعض الاحداث وعدم وضع تاريخ محدد لها .

واذا كانت شخصية صلاح الدين وعهده وانجازاته لاتزال تلقى اهمية مؤرخى الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب ، منذ بدايات القرن ١٩م وحتى يومنا هذا ، فلا غرو ان يسجل اعماله أكثر من مؤرخ معاصر . فالىجانب ابن شداد كان هناك العماد الاصفهانى(٩٠) كاتب صلاح الدين الذى افرد لتاريخ صلاح الدين وانجازاته مصنفين كاملين من

---

(٩٠) هو أبو عبد الله محمد بن صفى الدين ابى الفرج محمد بن نفيس الدين أبى الرجاء حامد بن عبد الله القرشى الاصفهانى . ولد باصفهان فى عام ١١٢٥م/٥١٩هـ ، وتوفى فى دمشق فى عام ١٢٠٠م/٥٩٧هـ . قدم الى بغداد وهو شاب ودرس بالمدرسة النظامية فيها . واشتغل بصناعة الكتابة وبرع فيها ، وبدأ نجمه فى الصعود فاتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط . وتم اعتقاله ضمن اتباع الوزير بعد موت الاخير فى سجن الخليفة العباسى لمدة عامين (١١٦٤ — ١١٦٦م/٥٦٠ — ٥٦٢هـ) ثم اطلق سراحه فتوجه الى دمشق واتصل بالقاضى الشهرزورى ، ونجم الدين والد صلاح الين . وتولى ديوان انشاء نور الدين محمود فى دمشق فى عام ١١٧٢م/٥٦٨هـ ، الى جانب اشرافه على المدرسة الشافعية بها . وبعد موت نور الدين اتصل بصلاح الدين حين جاء لتخليص الصالح اسماعيل بن نور الدين من حاشية السوء فى عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ . واستكتبه صلاح الدين وقربه اليه وصار من خاصته ، فكان يحل أحيانا محل القاضى الفاضل فى ديوان الانشاء . وبعد موت صلاح الدين اعتزل العماد الحياة العامة وبقى فى دمشق حتى وفاته . انظر : العماد الاصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٢٣ — ٢٧ .

بين مصنفات ست قام بوضعها ، وهما « الفتح القسى » الذى سجل فيه أحداث استرداد فلسطين وبيت المقدس من أيدى الصليبيين ثم القتـال ضد صليبى الحملة الثالثة ، و « البرق الشامى » الذى يعد خطة أوسع «للفتح القسى » . وكلا العملين عبارة عن جمع متزامن لمجموعة من الذكريات الشخصية وسيرة صلاح الدين،ويزخران بكثيرمن نصوص ووثائق صلاح الدين والتى حررها العماد وصديقه القاضى الفاضل(٩١) . وترجع اهميـة هذين المصدرين الى كون صاحبيهما من رجال الادارة فى عهد صلاح الدين ، وأحد كتابه المقربين ، والقائمين على الامور بديوان انشائه والمطلعين على كل مراسلاته ووثائقه . فلا غرو أن ينقل عن العماد ــ وعن ابن شداد ــ كل من أرخ لعهد صلاح الدين من مؤرخى المسلمين نقل ماعرفوه عن صلاح الدين فقد كانت أعمال العماد وابن شـداد تشـكل جزءا كبيرا واضحا من اعمال سبط بن الجوزى وأبى شامة بصفة خاصـة . ونفس الشىء ينطبق

---

(٩١) الى جانب « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » الذى وضعه العماد فى عام ١١٧٥ ــ ١١٧٦/٥٧١هـ كتب العماد خمسة أعمال تاريخية كان أولها هو تاريخا للدولة السلجوقية بعنوان « نصرة الفطرة وأسرة الفترة » طبقا لمذكرات الوزير الفارسى أنوشروان (ت ١١٣٦م/٥٣١هـ) والجزء الاخير منه وحتى وقت مغادرة الكاتب للعراق يعتمد على مذكرات شخصية للعماد . ثم وضـع العماد كتابة « الفتح القسى » وتلاه بكتابه « البرق الشـامى » وعن بدايات عهد خلفاء صلاح الدين وضع العماد كتيبين يعالجان الفترة منذ موت صلاح الدين وحتى عام ١١٩٦م/٥٩٢هـ ، الاول منهما بعنوان « العتبى والعقبى » والثانى « نحلة الرحلة » . ثم دون فى كتـاب أخير تاريخ الوقائع التى حدثت منـذ عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ وحتى وفاته هو فى عا م١٢٠٠م/٥٩٧هـ بعنوان « خطفة البارق وعطفة الشارق » . وقام المؤرخ الفتح بن على البندارى بتلخيص « نصرة الفطرة » فى كتاب بعنوان « تاريخ دولة آل سلجوق » . كما لخص البرق الشامى فى كتاب بعنوان « سنا البراق الشامى » . وقد رجعنا فى هذا البحث فى المقـام الاول الى « الفتـح القسى » وفى بعض الاحيـان الى « البرق الشامى » والاول منهما مطبوع والثانى مخطوط بمكتبة البودليان باكسفورد . انظر العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٣٢ ــ ٣٣ . راجع أيضا :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 51.

راجع أيضا قائمة المصادر والمراجع .

على الكتابة التاريخية اللاحقة . وبالنسبة لموضوع البحث فقد اعتمدنا على كتاب « الفتح القسى » لما يتمتع به من اهمية بالنسبة لعلاقة صلاح الدين بامارة انطاكية الصليبية . فهو سجل لما قام به صلاح الدين من حروب ضد الصليبيين منذ عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ وحتى عام ١١٩٣م/٥٨٩هـ ، أى أنه يتضمن — الى جانب سيرة صلاح الدين التى سجلها ابن شداد — على ثبت دقيق لفتوح صلاح الدين بامارة انطاكية بعد حطين ، ثم علاقة صلاح الدين ببوهيمند الثالث حتى وفاة السلطان . أما عن الفترة السابقة على موقعة حطين ، فالى جانب رواية ابن شداد فقد أمدنا كتاب « البرق الشامى » بمعلومات دقيقة عن علاقة بوهيمند الثالث بالمسلمين ، وخاصة فيما يتعلق بحملة بوهيمند وكونت الفلاندرز وكونت طرابلس على حارم فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ . وأهم ما مدنا به العماد فى كتابه ، وما ساعد على تصحيح بعض الروايات التى أوردها ابن شداد أو التى اغفل ذكرها . ذكره لهجوم كل من كونت طرابلس وكونت الفلاندرز على مدينة حماة قبل مشاركتهم لبوهيمند الثالث فى هجومه على مدينة حارم ، وهو ما اغفل ذكره ابن شداد ، كما ساعدت روايته — الى جانب رواية ابن الاثير — على تحديد تاريخ غارة بوهيمند الثالث على شيرز (مايو ١١٧٩م/ذى القعدة ٥٧٤هـ) التى لم يذكرها ايضا ابن شداد . كما حدد — متفقا فى ذلك مع كل من ابن الاثير وابن واصل — هدنة صلاح الدين مع بوهيمند الثالث (١١٨٨م/٥٨٤هـ) بثمانية أشهر وهو التجديد الصحيح لمدة الهدنة ، فى حين حددها ابن شداد بسبعة أشهر وهو ما لا يتفق وسير الاحداث فى تلك الفترة .

واذا كان كل من ابن شداد والعماد الاصفهانى قد سجل تاريخ واعمال صلاح الدين ، فقد قام ابو شامة (٩٢) بتسجيل جهاد واعمال كل من

---

(٩٢) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان بن ابى بكر بن محمد المقدسى . ولد فى دمشق فى عام ١٢٠٣م/٥٩٩هـ ومات فى ١٢٦٧م/٦٦٥هـ . واشتهر بابى شامة لوجود شامة فوق حاجبه الايسر . وقضى جانبا من حياته فى دمشق ، ولا تقتصر شهرته على التاريخ وحده ، وانما عرف بالحديث والفقه والادب واتم تحصيله فى مصر ، ثم عاد الى دمشق وفيها نال شهرته الفائقة . وقام باختصار تاريخ دمشق الذى وضعه ابن عساكر مرتين : =

عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، ثم انجازات صلاح الدين ضد الصليبيين . ورغم انه لم يكن معاصرا للاحداث التى كتب عنها فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، فقد اعتمد على مصادر مفقودة مثـل كتاب « ابن أبى طىء » الى جانب نقله عن العمـاد الاصفهانى وابن شداد ، لذلك أورد معلومات لم ترد عنـدهما . كمـا وضـع أبو شـامة تذييـلا لكتابه الاول بعنوان « الذيل على الروضتين » (٩٣) ، كسجل للاحداث التى عاصرها وان كان قد نقل عن غيره من المؤرخين مثل ابن الجوزى . وقد أمدنا أبو شامة بمعلومات كثيرة وهامة عن علاقة كل من عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود بامراء انطاكية وغيرهم من الصليبيين . كما زودنا ببيانات لا تقل أهمية عن علاقة صلاح الدين ببوهيمنـد الثـالث بصفة خاصة . وساعدت روايته على توضيح طبيعة موقف بوهيمند الثالث من صلاح الدين قبل حطين ، وما قام من علاقات بين سيبل زوجة بوهيمند وبين صلاح الدين ، وتجسسها لصالح السلطان على حسـاب الصليبيين ، الامر الذى أضر بموقف بوهيمند وجعله عدوا للكنيسـة اللاتينية ، واكد رأى وليم الصورى فى بوهيمند الذى لم يأت الا بما يضر الصالح الصليبى العام فى وقت كان صلاح الدين يستعد فيه لتوجيه الضربة القاضية لمملكة بيت المقدس الصليبية .

وكما حظى عهد صلاح الدين باهتمام بعض المؤرخين المسلمين ، فقد حظى تاريخ الدولة التى اقامها ، واستمرت لمدة تقرب من المائة عام من بعده ، باهتمام البعض الآخر من المؤرخين . ويأتى فى مقـدمة هؤلاء

= الاولى فى عشرين مجلد والثانية فى عشر مجلدات . ولم يطق معاصروه احتماله ، فوقع تحت طائلة منافستهم حتى قتلوه . انظر : أبو شامة (شاهب الدين) : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان فى مجلد واحد ، القاهرة (مطبعة وادى النيل) ١٢٨٧هـ ، ص ٢٤٧ ، عباس العزاوى : التعريف بالمؤرخين ، ص ٨٤ — ٨٥ .

(٩٣) وقد أفرده المؤرخ لذكر الاحداث التى تبدأ بعام ١١٩٤م/٥٩٠هـ أى بعد وفاة صلاح الدين وحتى وفاة المؤرخ (١٢٦٧م/٦٦٥هـ) . وان كان قد أوجز فى سرد هذه الاحداث ، فقد جاء كتـابه فى المقام الاول كتراجم لمن توفى من أعلام المسلمين فى هذه الفترة . وقد نشره السيد عزت العطار تحت عنـوان « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » طبعة ثانية ، بيروت ١٩٧٤ .

المؤرخ ابن واصل(٩٤) . الذى يعتبر كتابه « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » أهم مصدر عربى يتضمن تاريخ ملوك بنى أيوب منذ ظهورهم على مسرح الاحداث فى الشرق الادنى الاسلامى وحتى نهاية دولتهم على ايدى المماليك . ويتميز كتاب ابن واصل عن كتب من سبقوه ممن أرخوا للدولة الايوبية مثل العماد الاصفهانى وابن شداد وابن الاثير ، وكتب من عاصروه وكتبوا تاريخ هذه الدولة حتى نهايتها مثل سبط بن الجوزى وابن العديم وأبى شامة وأبى الفدا ، فى ان بعض هذه الكتب ارخ لصدر الدولة الايوبية وسنواتها ، الاولى ، أو لمنشئها ومؤسسها ، أو للنصف الاول منها فحسب ، والبعض الآخر لم يقصد مؤلفوه الى التاريخ لبنى أيوب قصدا ، وانما استهدف وضع تواريخ عامة ، أو تواريخ مدن ، منهجها التاريخ للعالم الاسلامى جملة ، سنة بعد سنة ، وما تضمنته من تاريخ بنى أيوب هو جزء من كل(٩٥) . وقد أرخ لبنى ايوب مؤرخون آخرون لاحقون لابن واصل نعرف منهم عز الدين العسقلانى صاحب كتاب « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » ، الا أنه لا يرقى الى مرتبة كتاب ابن واصل : فابن واصل مفصل وهذا موجز ، وابن واصل معاصر وهذا متأخر عنه ، الى جانب

---

(٩٤) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل الحموى . ولد فى عام ١٢٠٨م/٦٠٤هـ فى مدينة حماة ، ومات فى عام ١٢٩٨م/٦٩٧هـ . طوف ببلدان الشرق الادنى الاسلامى وشاهد حملة لويس التاسع على مصر وهو فى القاهرة وشاهد أنتهاء الدولة الايوبية وقيام الدولة المملوكية . له مؤلفات عديدة منها « التاريخ الصالحى » الذى يبدأ بعهد آدم عليه السلام وينتهى بذكر مناقب الملك الصالح نجم الدين أيوب . واهم مؤلفاته « تاريخ الواصلين » أو « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » وقد نشر الدكتور جمال الدين الشيال جانبا منه فى ثلاثة أجزاء (حتى سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م) ونشر الدكتور محمد حسنين ربيع الجزئين الرابع والخامس من الكتاب (حتى سنة ١٢٤٨م/٦٤٥هـ) تحت اشراف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . أما الجزء الباقى من المخطوط فلم يتوفر لنا الرجوع اليه لوجوده فى مركز تحقيق التراث (تحت النشر والتحقيق) . ولمزيد عن حياة ابن واصل وأعماله ، انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٤ ، وما بعدها ، جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٢٥ وما بعدها .

(٩٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٥ .

انه أعتمد على ابن واصل ونقل عنه . فلا غرو أن يكون كتاب ابن واصل محل اعتماد كثير من المؤرخين المسلمين بعده مثـل بيبرس المنصـورى واليونيني وابى الفدا والذهبى والعينى وابن الفرات والمقـريزى وابن تغرى بردى . كما ترجع أهمية كتاب ابن واصل الى انه عاصر العهد الايوبى كله بعد وفاة صلاح الدين الى جانب معاصرته لبدايات العهـد المملوكى ، وعاش متنقلا بين بلدان الشرق الادنى الاسلامى وعواصمه ، وخاصة دمشق وبيت المقدس وحلب والكرك وبغـداد ومكة والمدينـة والقاهرة ، وكلها مدن وعواصم شاهدت الحكم الايوبى وكان لغالبيتهـا علاقات مباشرة مع الصليبيين فى مصر وبلاد الشام . وشاهد ابن واصـل فى ترحاله بين هذه المدن كثيرا من الاحداث التى كتب عنها وشـارك فى بعضها ، مما يجعل من روايته مصدر ثقة ومنحها الاصالة التاريخية . وبالنسبة لموضوع البحث فقد امدنا ابن واصل بمعلومات وفيرة عن صلاح الدين تجاه امارة انطاكية قبيل حطين ، وعلاقة بوهيمند بالمسلمين حتى نهاية عهده . كما تتبع ابن واصل بدقة بالغة تطور العلاقات بين الظـاهر غازى صاحب حلب وعمه العادل فى مصر مما ساعد على التأكد من حاجة كل من بوهيمند الرابع والملك الظاهر الى تحالف كل منهما مع الآخر ، وأن هذا التحالف لم يكن فى صالح طرف دون آخر . وقد انفرد ابن واصل بذكر عدة أحداث تتعلق بموضوع البحث بصورة مباشرة ، ولم يتعرض لها أى من المؤرخين المعاصرين أو المتأخرين زمنيا على حد سواء.من ذلك محاولة بوهيمند الثالث لاسترداد جبلة واللاذقية من أيدى المسلمين فى عام ١١٩١م/٥٨٧هـ . ثم غارة ليو الارمينى على اقليم العمق خارج سـور انطاكية الشمالى فى نهاية عام ١٢٠٢م/منتصف عام ٥٩٩هـ . كما انفـرد أيضا بذكر محاولة ليو لدخول انطاكية فى ٣ ديسمبر ١٢٠٣م/٢٧ ربيـع اول ٦٠٠هـ ، الامر الذى فشل فى تحديده كلود كاهن رغم استشهاده برواية ابن واصل ، بينما حدد ابن العديم العام التالى ـ خطأ ـ تاريخا لهـذه المحاولة . كما انفرد ابن واصل بذكر غارة قوات الاسبتارية على اللاذقية وجبلة فى ربيع عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، ونقلهـا عنه المقـريزى وغيره من المؤرخين المتأخرين زمنيا . كما تعرض ابن واصل لأحوال امارة انطاكية الصليبية فى وقت تركز فيه اهتمـام المؤرخين الصليبيين فى ذكر احوال الفرنج فى عكا وفلسطين دون شمال الشام . فقد انفرد ابن واصل بتوضيح طبيعة العلاقة بين الداوية وليو الارمينى واتفاق الطرفين على عدم تعرض

الداوية - حلفاء بوهيمند الرابع - للارمن حين يدخلون انطاكية لانتزاعها من رجال بوهيمند فى ١٢١٦م/٦١٣هـ . كما أوضح ابن واصل السبب فى تخلى سكان انطاكية عن بوهيمند الرابع فى صراعه ضد الارمن ، مما سهل سقوط مدينتهم فى أيدى الاخيرين حينما أوضح سوء العلاقات بين سكان انطاكية واميرهم الذى عاملهم بجور وظلم . وهكذا كانت المصادر العربية - خاصة فى القرن ١٣م/٧هـ - مصدر معلوماتنا بالنسبة لأحوال الصليبيين فى شمال الشام ، وقدمت لنا معلومات تاريخية لم ترد فى المصادر الصليبية مما يشكل تطورا فى الكتابة التاريخية الصليبية المعاصرة . ورغم كل ذلك ، فهناك ما يؤخذ على ابن واصل وسائر المؤرخين المسلمين . فقد غلب الايجاز الشديد على كتابات هؤلاء عن الاحداث التى وقعت بدءا من العقد الرابع من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى فى بلاد الشام ، بينما حظى الحديث عن الخوارزمية والمغول بالنصيب الاكبر من حديث هؤلاء لدرجة أن اغفل الجميع ذكر حملتى تيبالد وكورنوول الصليبيتين فى عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ والعام التالى له ، ولم يذكرهما غير كاتب تاريخ هرقل ومخطوط روتلان . وليس معنى ذلك أن الكتابة التاريخية الصليبية قد تفوقت على مثيلتها العربية ، فلم يسد النقص فى الكتابة الصليبية المعاصرة والتى دونت فى بلاد الشام سوى ما ورد فى الحوليات الاوربية مثل حولية متى الباريزى وكتابات مارينو سانودو وفنسنت دى بوفيه وغيرهم ، بينما كان العدد الوفير للاعمال التاريخية الاسلامية أثر كبير فى أن تكون المصادر الاسلامية هى مصدر معلوماتنا الاول فيما يتعلق باحداث القرن ١٣م/٧هـ كله التى جرت فى بلاد الشام . فكان كل من هذه المصادر الاسلامية مكملا للآخر ، يمدنا بمعلومات لم ترد فى غيره منها ، وهذا ساعد على الالمام بكل ما جرى من علاقات بين الصليبيين والمسلمين خلال عهد الدولة الايوبية الذى امتد قرابة مائة عام ، ولم يكن يتوفر الوقوف على كل احداثه اعتمادا على مصدر اسلامى واحد .

واذا كانت بعض المصادر العربية قد أرخت للدولة الايوبية بصفة خاصة ، وبعضها ارخ لهذه الدولة ضمن ما سجلة من تاريخ عام ، فقد قامت هذه المصادر بدورها فى سد النقص الذى خلفه من أرخو لدولة بنى أيوب من المعاصرين . ومع أن كم المعلومات التاريخية التى وردت فى هذه المصادر لا يرقى لما ورد منها فى تاريخ ابن واصل ، الا انها (هذه

المصادر) امدتنا بمعلومات دقيقة كان لها اثر فى الاخذ برأى دون الآخر أو الفصل فى احدى القضايا التى تناولها البحث بالدراسة . ومن هذه المصادر كتاب عز الدين العسقلانى الذى يحمل عنوان « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب »(٩٦) الذى اورد رواية أكثر تفصيلا وأكثر دقة مما أورده غيره من المؤرخين ساعدت على تحديد تواريخ الحملة الهنغارية على قلعة جبل الطور فى نهايات عام ١٢١٧م/٦١٤هـ والتى تسبب بوهيمند الرابع امير انطاكية فى افشالها حرصا منه على استرداد انطاكية من أيدى الارمن . كما ساعدت دقة تتبعه لتحركات الملك الكامل على تحديد التاريخ الصحيح لغارة قوات الاسبتارية على بعرين (١٢٣٤م/٦٣١هـ) . وهناك أيضا كتاب ابن نظيف الحموى الذى يحمل عنوان « التاريخ المنصورى »(٩٧) الذى تحدث بافاضة عن احوال بنى ايوب

---

(٩٦) هو قاضى القضاة عز الدين أبو البركات احمد بن ابراهيم ابن نصر الله ابن أحمد الكنانى العسقلانى المصرى الحنبلى . ولد بالقاهرة فى عام ١٣٩٧م/٨٠٠هـ وتوفى عام ١٤٧١م/٨٧٦هـ . وكان قاضى قضاة الحنابلة . وله مؤلفات عديدة اهمها « شفاء القلوب » الذى أهداه لمن يسمى العادل من ملوك الايوبيين المتأخرين فى حصن كيفا . وجعله كتاب تراجم لا حوليات فقد قسم ملوك بنى أيوب الى طبقات ، وترجم لهم طبقة بعد طبقة بعد أن ذكر أصل البيت الايوبى . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ٦ — ٧ ، عباس العزاوى : التعريف بالمؤرخين ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ .

(٩٧) هو ابو الفضائل محمد بن على بن عبد العزيز بن مزهر ابن بركات بن على بن نظيف الحموى . لا نعرف عنه سوى ان موطنه الاصلى هو مدينة حماة . كان شخصية بارزة فى مجتمعه . فقد شغل منصب كاتب وزير دولة الملك الحافظ بن العادل صاحب قلعة جعبر (ت ١٢٤١م/٦٣٩هـ) الذى ساءت علاقته بابن نظيف فاعتقله فى حبسه لمدة عامين (١٢٢٩ — ١٢٣١م/٦٢٦ — ٦٢٨هـ) حتى تشفع فيه الملك المجاهد صاحب حمص (ت ١٢٤٠م/٦٣٧هـ) فالتحق بخدمته وأهدى تاريخه الى الملك المنصور بن المجاهد (ت ١٢٤٦م/٦٤٤هـ) وسماه باسمه (التاريخ المنصورى) اعترافا منه بفضل أبيه عليه . ولابن نظيف عدة أعمال لم يعرف منها سوى اثنان الاول بعنوان « مختصر سير الاوائل والملوك ووسيلة العبيد الملوك » بداه فى عام ١٢٣٥ — ١٢٣٦م/٦٣٣هـ ، وهى =

ليس فقط فى مصر وبلاد الشام وانما أيضا فى العراق واقليم الجزيرة وآسيا الصغرى . كما أمدنا بمعلومات هامة عن أحوال الصليبيين فى أنطاكية لم ترد فى صفحات المصادر الصليبية نفسها . وساعدت هذه المعلومات على ايضاح موقف بوهيمند الرابع من حملة الامبراطور فريدريك الثانى الصليبية حين افصح عن حدوث صلح بين بوهيمند وجماعة الاسبتارية توسط لاتمامه مندوب الامبراطور قبل حضور فريدريك الى الشرق ، الامر الذى ادى الى ميل بوهيمند الى صف الامبراطور فى بداية الامر وقيامه بزيارته حين حضر الى جزيرة قبرص .

ويضاف الى هؤلاء كتاب « البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان » الذى وضعه مؤلف مجهول(٩٨) اعتمد فى الجزء الاول من تاريخه على تاريخ العظيمى وتاريخ ابن القلانسى ، الا أنه أورد معلومات ترجع اصولها الى مصادر اصلية أخرى . وهو يعالج تاريخ بلاد الشام

= السنة التى ترك فيها حمص عائدا الى حماة . والثانى هو « الكشف والبيان فى حوادث الزمان » وهو مفقود . أما « التاريخ المنصورى » فهو تلخيص الكشف والبيان قام به المؤرخ فى عام ١٢٣٣م/٦٣١هـ . وبدايته موجزة جدا استند فيها المؤرخ على كثير من أعمال من سبقه من المؤرخين خاصة العظيمى . الا أنه اعتمد على ما شاهده بدءا من عهد خلفاء صلاح الدين . وقد نقل كثير من المؤرخين عن ابن نظيف دون أن يذكروا اسمه مثل المقريزى وابن واصل ، بينما ذكر اسمه كل من ابن الفرات وابن العبرى . انظر : ابن نظيف (ابو الفضائل) : التاريخ المنصورى تحقيق ابو العيد دودو ، دمشق ١٩٨١م/١٤٠١هـ ، (مقدمة المحقق) ص ٩ وما بعدها .

(٩٨) لا نعرف شيئا عن هذا المؤرخ سوى انه عاصر عهد صلاح الدين وعاش فى حلب وفى مصر ، وانه ربما كان قاضيا ويحمل اسم عماد الدين الاصفهانى الا انه – من المؤكد – مجرد سمى للمؤرخ المشهور . وقد نشر المؤرخ الفرنسى كلود كاهن جزءا من هذا التاريخ (فى مجلة الدراسات الشرقية عن مخطوط موجود فى مدينة اسطنبول) وهو الجزء المعاصر لفترة الحروب الصليبية وحتى نهاية عهد صلاح الدين . انظر :
Claud Cahen, Bustan Al-Djami Li Djami Twarkizaman, *in* B.E.O., Vol. 8, 1938 pp. 113-114.

بصفة أساسية ، ثم تاريخ مصر فى المرتبة الثانية . ويعالج التاريخ العام لدولة الإسلام وحتى نهاية عصر صلاح الدين . وقد بدأ المؤرخ المجهـول فى وضع كتابه فى حلب فى عام ١١٩٦م/٥٩٢هـ وانتهى من كتابته فى العام التالى فى مصر ، ومن تشابه روايتـه مع روايات كل من ابن أبى طىء (ولد فى عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ) وابن الفرات وأبى شامة وابن واصل وابن خلكان ، ولأن كلا من ابن الفرات وأبى شامة يؤكد أنه نقل عن ابن أبى طىء ، فيمكن الاخذ بأن هناك مصادر معلومات مشـــتركة بين مؤلف البستان الجامع وبين ابن أبى طىء ، وأن ابن واصل وابن خلكان قد نقلا عن البستان الجامع(٩٩) . وبالنسبة لموضوع البحث ، فقد أمدنا مؤلف « البستان الجامع » فيما أورده ببعض المعلومات الدقيقة . فقد انفـرد بتحديد عدد أسرى المسلمين الموجودين فى انطاكية الذين عرض بوهيمند الثالث تسليمهم الى صلاح الدين نظير عقد الهدنة معه ، حين حاصر صلاح الدين انطاكية فى عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ . الى جانب ذلك فقد أمدنا مؤرخ البستان بمادة وفيرة عن علاقة صلاح الدين بالحملة الصليبية الثالثة ، وأيضـــا علاقة الارمن بكل من المسلمين فى حلب وبغراس والصليبيين فى انطاكية .

واذا كان هناك من المؤرخين المسلمين من أرخ لصدر الدولة الايوبية أو لعهدها كله ، فهناك من أرخ لنهايات هذه الدولة . فقد وضـع ابن العميد(١٠٠) تاريخا يعالج الاحداث التى جرت فى عهد الدولة الايوبية

---

(٩٩) Cahen, La Syrie du Nord, p. 45.

(١٠٠) وهو جرجس أو عبد الله بن أبى اليسير الملقب بالمكين . ولد فى عام ١٢٠٦م/٦٠٢هـ فى القاهرة ومات بها فى عام ١٢٧٤م/٦٧٢هـ. أتت أسرته من العراق الى مصر ، زمن الخليفة الفاطمى الآمر واتخذت من التجارة مهنة لها الى جانب تولى بعض أفرادها لبعض الوظائف الكنســية ووظائف الادارة . ومات والد المكين وهو موظف كبير فى ديوان الجيش . وفى وقت غير معلوم ، غادر المؤرخ مصر الى دمشق وبقى بها حتى الفتح المغولى لبـــلاد الشام . وفى عام ١٢٦٠م/٦٥٨هـ لجأ الى صور بعد أن هرب الناصر يوسف الايوبى من دمشق أمام الزحف المغولى . ثم عاد ابن العميد الى دمشق مرة أخرى ، وربما قد تم حبسه ، لوجود علاقة بينه وبين المغول ، لدى حكام المماليك فى دمشق فى نفس العام . ولهذا اعتقد الكثيرون أن تاريخه توقف بحبسه . الا أنه أتمه حتى أحداث عام ١٢٦٢م/٦٦٠هـ وقد نشر كلود كاهن الجزء =

وامتد حتى السنوات الاولى من عهد المماليك . ولم يكن هذا التاريخ قد حظى باهتمام المؤرخين حتى وقت قريب(١٠١) ، وربما يرجع ذلك الى أن الجزء الاول منه وحتى موت صلاح الدين لم يتمتع بنفس حجم وثراء تواريخ معاصريه مثل ابن واصل وسبط بن الجوزى اللذين يظـــلان ، بالنسبة لكل المؤرخين اللاحقين لهما ، المصدران الاساسيان للمعلومات . الا أن تاريخ ابن العميد كمصدر معلومات ثانوى فانه يحتل مكانة عظيمة بين كل هؤلاء . فأسلوبه المبسط يتيح له أن يسرد الكثير من الاخبـــار فى سطور قليلة . ولا تقل معلوماته أهمية ـ ولا تختلف فى أســـاسها ـ عن المعلومات التى نجدها فى أعمال معاصرة أخرى ، وتستند كما هو واضح الى روايات رسمية من نفس النزع ، ومع ذلك فانها مستقلة عن التواريخ

= الهام من تاريخ ابن العميد (بدءا من عهد الملك الكامل وحتى بداية عهد بيبرس » فى مجلة الدراسات الشرقية تحت عنـــوان « تاريخ الايوبيين » عن مخطوط بمدينة اسطنبول . انظر :

Claud Cahen, La Chronique des Ayyoubides d'Al-Makin B. Al-Amid, in B. E.O., Vol. 15, 1955-57, pp. 109-112

(١٠١) كان من الطبيعى أن يصل تاريخ ابن العميد (المؤرخ المسيحى) المدون باللغة العربية الى أوربا قبل أعمال المؤرخين المسلمين . ووسط حالة الجهل بين الاوربيين ، فقد كان تاريخ ابن العميـد يحمل معلومات قيمة عن الاسلام رغم ما فى هذا التـــاريخ من ثغرات . وقد نشر تاريخه لاول مرة فى عام ١٦٢٥م ، الا أن هذا النشر قد توقف عنـد أحداث عام ٥١٢هـ/١١١٧ ـ ١١١٨م لموت الناشر اربنيوس Erpeunius ولهذا اعتقد المؤرخون لمدة ثلاثة قرون بعد ذلك أن تاريخ ابن العميد ينتهى بأحداث العـــام المذكور ، حتى اكتشف كلود كاهن مخطوطا فى اسطنبول يمتـد حتى عام ١٢٦٠م/٦٥٨هـ لنفس التاريخ الذى وضعه ابن العميـد وأيضا مخطوطين اخرين فى مكتبة البودليان باكسفورد ومكتبة المتحف البريطانى الذين يمتـــد النص التـــاريخى فيهما حتى أحداث عام ١٢٦٢م/٦٦٠هـ فنشر كلود كاهن من أحد المخطوطين الاخيرين (المتشابهين) الجزء الذى رجعنا اليه (منـذ عهـد العادل وحتى بداية عهد بيبرس) فى عام ١٩٥٤م . وكان كاهن قد رجع فى بحثه عن شمال ســوريا فى عام ١٩٤٠م لمخطـــوط اسطنبول الذى يتوقف بأحداث عام ١٢٦٠م/٦٥٨هـ . انظر :

Cahen, La Chronique d'Ayyoubides, pp. 109-110.

الاخرى وتضيف اليها أو تصحح فى كثير من تفاصيلها . ويختلف تاريخ ابن العميد عن تواريخ معاصريه من المؤرخين الشاميين (ابن واصل ، والسبط) بانه أكثر مصرية عنه شامية . ولولا النصوص الخاصة بسيرة المؤرخ الذاتية ، والفقرات الموجزة جدا عن البطريركية القبطية والاهتمام بتحويل التواريخ الهجرية الى تقويم الشهداء (التقويم القبطى) ، لما امكن أن ينسب تاريخ ابن العميد الى مؤرخ غير مسلم . ومن المؤكد أن تاريخ ابن العميد قد عرف لدى المؤرخين المصريين المتاخرين مثل شافع بن على والنويرى وابن دقماق وابن الفرات والمقريزى الذين نقلوا عنه كثيرا الى جانب المفضل بن ابى الفضائل الذى اكمل هذا التاريخ . وبالنسبة لموضوع البحث فان تاريخ ابن العميد – خاصة فى الاجزاء الاخيرة منه – قد أمدنا بتفاصيل دقيقة ومعلومات هامة عن احوال الايوبيين فى مصر وبلاد الشام . كما انه يعتبر أدق من كتب من المؤرخين العرب عن أحوال المسلمين (الايوبيين) فى مختلف بلدان الشرق الادنى الاسلامى ، بصفة عامة ، وبلاد الشام ، بصفة خاصة ، وقت الغزو المغولى للمنطقة . كما ساعد تتبعه الدقيق لتحركات المغول فى الوقوف على حقيقة موقفهم من الصليبيين فى فلسطين ، واكد استحالة قيام تحالف بين الطرفين الامر الذى يعدمن اهم القضايا التى تناولها البحث بالدراسة، وتتمتع رواياته عن فترة الغزو المغولى بالاصالة نظرا لمعاصرته لاحداثها .

والى جانب كل هؤلاء ، فقد تناول تاريخ الدولة الايوبية عدد آخر من المؤرخين المسلمين ضمن ما كتبوه عن تاريخ العلاقات بين الصليبيين والمسلمين بصفة عامة ، وكان تاريخ العلاقات بين الطرفين يحتل جزءا كبيرا من صفحات كتب هؤلاء . وبالرغم من عدم تخصيص هؤلاء المؤرخين أعمالهم لسرد تاريخ الايوبيين وحده ، فقد امدتنا تواريخهم بمعلومات وفيرة ودقيقة عن أحوال بنى أيوب خاصة بعد صلاح الدين ، والخلافات التى وقعت بين أفراد البيت الايوبى ، وكذلك بعض الوقائع التى جرت بين الصليبيين والمسلمين . ومن هؤلاء كان سبط بن الجوزى صاحب كتاب « مراة فى تاريخ الاعيان »(١٠٢)

---

(١٠٢) هو يوسف قزاوغلى بن عبد الله أبو المظفر شمس الدين الفقيه سبط الحافظ أبو الفرج سبط بن الجوزى ، ولد ببغداد فى عام =

وأبو الفدا الحموى صاحب كتاب المختصر فى أخبار البشر(١٠٣) .

وبانتهاء الدولة الايوبية وقيام دولة المماليك فى مصر ، ودخول بلاد الشام فى حوزة المماليك تتوقف تقريبا كل التواريخ العربية التى سردت تاريخ المسلمين تحت حكم بنى أيوب فى الوقت الذى لم يتبق فيه من الكتابة التاريخية الصليبية التى دونت فى بلاد الشام غير كتاب مآثر القبارصة بعد انتهاء تواريخ مكملى تاريخ وليم الصورى ، بقيت الكتابة

= ١١٨٦م/٥٨٢هـ ومات فى دمشق فى عام ١٢٥٦م/٦٥٤هـ . تتلمذ على يد جده ابن الجوزى ونسب اليه . عمل بالوعظ بمدينتى حلب ودمشق ، وكان مقربا من الظاهر غازى صاحب حلب ومن بعده المعظم عيسى صاحب دمشق . وكتابه عبارة عن تاريخ جامع يبدأ منذ الخليقة وينتهى قبل موت المؤرخ بسنوات قليلة . اعتمد فيما يخص الفترة السابقة عليه على كتاب المنتظم الذى وضعه جده الى جانب ابن القلانسى ، وابن الاثير وغيرهم . وقد رجعنا الى القسمين الاول والثانى من الجزء الثامن من تاريخه الذى نشر فى الهند (١٩٥١ — ١٩٥٢م) انظر : عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٣ ، عباس والعزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ص ٦٩ وما بعدها .

(١٠٣) هو الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن محمود . ولد بدمشق فى عام ١٢٧٣م/٦٧٢هـ ومات بحماة فى عام ١٣٣١م/٧٣٢هـ . كان أبو الملك الافضل على من وجوه البيت الايوبى فى حماة ، ولم يكن ملكا فعلا وانما كان يشارك فى الحكم عن بعد ويستشار فى الامور . شارك أبو الفدا أباه والسلطان المنصور قلاوون فتح المرقب (٦٨٣هـ) وفتح طرابلس (٦٨٨هـ) ، ومع السلطان الاشرف فتح عكا (٦٩٠هـ) وفى ٧١٠هـ/١٣١١م تولى أبو الفدا الحكم فى حماة نائبا عن المماليك وظل كذلك حتى وفاته . والى جانب اشتغاله بالسياسة كان محبا للعلم ، ماهرا فى الفقه والتفسير والشعر . وله تصانيف كثيرة . وتاريخه المختصر ، يبدأ بذكر الانبياء من آدم عليه السلام الى محمد عليه الصلاة والسلام. ثم يتعرض لملوك الامم من الفرس والفراعنة قبل الاسلام ثم بدأ يسرد التاريخ الاسلامى واعتمد على كثير من المؤرخين بالنسبة للفترة السابقة عليه ، مثل الطبرى وابن الاثير وابن مسكوية وابن ابى الدم وابن خلكان وابن واصل والصنهاجى والنسوى وغيرهم . ويشمل تاريخه كل بلاد الاسلام ، ويوجه المؤرخ عناية خاصة بملوك حماة من اهل بيته منذ ايام تقى الدين عمر الى ايامه هو . انظر : صلاح الدين المنجد : أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٣ — ٣٨ .

التاريخية العربية هى المتفوقة فى مجال سرد تاريخ الحروب الصليبية ، وذلك بفضل وجود من يهتم من المؤرخين المسلمين بسرد تاريخ الدولة المملوكية التى حلت محل دولة بنى أيوب فى القيام بمهمة الجهاد ضد الوجود الصليبى المغولى فى بلاد الشام ، والتى قدر لها أن تكون صاحبة الفضل فى تخليص الشرق الادنى الاسلامى من المستعمر الصليبى نهائيا . ويرجع الفضل فى استمرار تفوق الكتابة التاريخية العربية على مثيلتها الصليبية طوال بقية القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى الى اثنين — فى المقام الاول — من مؤرخى المماليك - الاول منهما هو ابن عبد الظاهر(١٠٤) صاحب كتابى « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » و « تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور » والثانى هو شافع بن على(١٠٥) صاحب كتابى « حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة

---

(١٠٤) هو القاضى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان عبد الظاهر السعدى المصرى . ولد فى القاهرة فى عام ١٢٢٣م/٦٢٠هـ ومات فى عام ١٢٩٢م/٦٩٢هـ كان كاتبا فى ديوان انشاء سيف الدين قطز ومن بعده الظاهر بيبرس ورافق قطز فى حملته على سوريا ضد المغول ، وسرعان ما اتصل ببيبرس . وحاز ثقته بعد تولى الاخير الحكم فى مصر وأصبح كاتب سره . واستمر محيى الدين فى منصبه بديوان الانشاء حتى بدايات حكم المنصور قلاوون . ووضع — الى جانب سيرتى بيبرس وقلاوون — كتابا عن سيرة الاشرف ابن قلاوون . والحوادث فى كتابيه عن بيبرس والمنصور قلاوون مرتبة حسب السنوات وكثيرا ما يضع الكاتب عناوين للاحداث . واتاحت وظيفة محيى الدين له أن يقف على وثائق دولتى بيبرس وقلاوون ومقابلة من شاركوهما فى الحكم . وخرج مع كل منهما فى حملاته . الى جانب ذلك ، فقد كانت له مصادر معلومات شفهية مثل روايات بيبرس عن الاحداث التى لم يشاهدها محيى الدين الى جانب روايات قضاة بيبرس ونوابه . ومنها بعض المصادر الاسلامية المتقدمة على عصره والتى استقى منها المعلومات عن كثير من مدن الشام مثل كتب البلاذرى وابن الاثير وأسامة بن منقذ والسمعانى وغيرهم . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦م ، (مقدمة المحقق) ص ٥ وما بعدها .

(١٠٥) هو ناصر الدين شافع بن على بن عباس بن اسماعيل بن عساكر الكنانى المصرى ، ولد فى مصر فى عام ١٢٥٢م/٦٤٩هـ ومات فى عام ١٣٣٠م/٧٣٠هـ . وهو ابن شقيقة محيى الدين ابن عبد =

الظاهرية » و « الفضل المأثور فى سيرة السلطان الملك المنصور » . وواضح من العناوين التى تحملها اعمال كل من المؤرخين انهما أرخا لعهدى كل من السلطان الظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون . ومثل ما كان وجود ابن شداد والعماد الاصفهانى فى ديوان صلاح الدين قد جعل تسجيلهما لتاريخ صلاح الدين ثبتا واضحا لاعماله وانجازات دولة بنى ايوب فى عهده ، فان وجود ابن عبد الظاهر وشافع بن على فى ديوان الانشاء المملوكى يعد تكرارا لما حدث فى عهد صلاح الدين . فالظروف متشابهة فى الحالتين ، فالمسلمون فى نضالهم ضد الصليبيين فى كلا الحالتين ، والمواقع متتالية بين الصليبيين والمسلمين وانتصارات المسلمين بدورها متتالية . وهكذا تضمنت تواريخ معاصرى صلاح الدين ومعاصرى بيبرس العديد من أهم أحداث تاريخ الحروب الصليبية وان زادت الاحداث فى كتب معاصرى المماليك بدخول المغول فى دائرة الصراع امام بيبرس وقلاوون . وهكذا تمتعت المادة التاريخية فى اعمال كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن على ـ كما تمتعت نفس الكتابة فى أعمال كل من ابن شداد والعماد

= الظاهر . بدأ حياته العملية مساعدا لخاله فى ديوان الانشاء ولابنه فتح الدين بن عبد الظاهر بعده . ثم تولى هو نفس الوظيفة حتى عام ١٢٨١ ـ ١٢٨٢م وكتابه عن حياة بيبرس ما هو الا مختصر لكتاب خاله (الروض الزاهر) بداه بعد موت خاله واتمه فى ١٣١٧م/٧١٧ . وأضاف . الى كتاب خاله ما لم يرد فيه من معلومات عمد محيى الدين الى اغفالها . وكثيرا ما أشار الى ذلك قبل ذكر الواقعة التى يضيفها وكثيرا ما نبه القارىء الى بعض مداخل الضعف فى بعض معلومات محيى الدين قبل أن يصححها هو فجاء كتابه نقدا وتصحيحا لكتاب محيى الدين . وقد نشرهعبد العزيز الخويطر فى عام ١٩٧٦م ، كما رجعنا فى بعض المواضع الى نسخة المخطوط الموجودة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٤) أما عن كتابه « الفضل المأثور » عن حياة المنصور قلاون فلازال مخطوطا ، ويبدأ بالحديث عن أصل أسرة قلاوون ، وحياة المنصور الاولى ، وعلاقته بكل من قطز وبيبرس وينتهى بموت المنصور وبدايات حكم ابنه الاشرف . وقد رجعنا فى ذلك الى نسخة المخطوط الموجودة بمكتبة البودليان باكسفورد تحت رقم (٤٢٤) . وعن حياة شافع بن على ، انظر : شافع بن على حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦م ، (مقدمة المحقق) ص ١٤ ، وما بعدها .

الاصفهانى - بالاصالة والقيمة التاريخيـــة لكون المؤرخين معـــاصرين وشاهدى عيان لكل ما كتبا عنه ، ومشاركين فيه ايضا ، من أحداث . وفى الحقيقة ، فانه بالنسبة لموضوع البحث من الاجدى تناول أعمال كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن على - خاصة فيما يتعلق باعمالهما عن عهـد بيبرس - فى آن واحد . ومن الانصاف - قبل قيامنا بذلك - الا نغفـل وضع كتاب ابن عبد الظاهر فى حياة مخدومه السلطان بيبرس ، وأن ذلك الزم الكاتب - الى حد ما - بالميل الى جانب بيبرس فى كثـير من الاحيان ، وان شافع بن على الذى وضع كتابه بعد وفاة ابن عبد الظاهر (بعد عام ١٢٩٢م/٦٩٢هـ) تخلص بذلك من هذا الالتزام وجاء كتابه الى جانب كونه تلخيصا لكتاب ابن عبد الظاهر ، نقدا وتصحيحا له الى جانب كونه توضيحا لما شاب بعض جوانبه من غموض . فبينمـــا كان ابن عبد الظاهر حريصا ، منـذ بداية تاريخه ، على ابراز دور بيبرس فى مقاومة المغول والفرنج حتى فى تعرضه للاحداث التى جرت فى عهـــد السلطان سيف الدين قطز . بما فى ذلك انتصار المسلمين على المغول فى عين جالوت وتحرير مدن الشام من الاحتلال المغولى ؛ فقد كان شـافع بن على منصفا لسيف الدين قطز بنفس القدر الذى مال به ابن عبد الظاهر الى جانب بيبرس . وبالنسبة لانجازات بيبرس ضد الفرنج ، فان كتاب ابن عبد الظاهر يعد ثبتا دقيقا لهذه الانجازات ، ولسياسته الداخلية فى مصر والخارجية توطئة لتوجيه جهوده ضد الفرنج فى بلاد الشـام الامر الذى ساعد كثيرا على تتبع سياسة المماليك تجاه امارة انطاكية بعد عين جالوت ، وحتى استردادهم مدينة أنطاكية وقضائهم على الوجود الصليبى فى شمال الشام . ولا يقلل من دقة واهمية كتاب شافع بن على سـوى ما أملته طبيعة كتابه كمختصر لكتاب ابن عبد الظاهر من اختصـار بعض الاحداث او حذفها بالمرة . وبينما اخطأ كتابه كمختصر لكتاب ابن عبـد الظاهر حين قرر أن الفرنج قد استولوا على ميناء السويدية من صليبيى انطاكية فى يوليو ١٢٦٢/رمضان ٦٦٠هـ ، فقد كان شافع اكثر دقة حين قرر أن المسلمين قد اكتفوا بالاغارة على الميناء واحراق بعض السـفن الراسية فيه . الى جانب ذلك ، فقد انفرد شافع بذكر محاولة هيثـــوم الاول ملك الارمن لعقد الصلح مع بيبرس (فى عام ١٢٦٣م/٦٦١هـ) الذى رفض ذلك ، الامر الذى دفع كلا من هيثـوم وبوهيمنـد السـادس أمير انطاكية الى اللجوء الى هولاكو طلبا لمساعدته لهما ضـد المماليك ، فى

الوقت الذى سعى فيه كل قادة الفرنج فى بلاد الشام الى الحصول على امنهم وسلامتهم من بيبرس ، فتم عزل امارة انطاكية عن بقية الصليبيين ، مما سهل سقوطها فى أيدى بيبرس بعد خمس سنوات دون مساعدة تصلها من بقية الفرنج .

وبينما اخطأ شافع فى تحديد تاريخ حملة المماليك على ارمينيا (سبتمبر ١٢٦٦م/ذى الحجة ٦٦٤هـ) ، فقد كان ابن عبد الظاهر أكثر دقة وتوفيقا فى تحديد هذا التاريخ (٨ أغسطس ١٢٦٦م/٥ ذى القعدة ٦٦٤هـ) . وحين نصل الى ذكر سقوط انطاكية فى أيدى المماليك وخطة بيبرس لتحقيق ذلك ، لا نجد رواية من روايات سائر المؤرخين ، لاتين كانوا أم مسلمين ، تدانى رواية ابن عبد الظاهر ، التى شفعها بنص الخطاب الذى بعث به بيبرس الى بوهيمند السادس يعلمه فيه بما آل اليه مصير مدينة أنطاكية عاصمة امارته الصليبية . وكما ساعدت رواية ابن عبد الظاهر فى تحديد التاريخ الصحيح الذى بدأ فيه حصار المسلمين للمدينة (الاربعاء ١٥ مايو ١٢٦٨م/أول رمضان ٦٦٦هـ) — فى حين يضعه كل من جروسيه ورنسيمان خطأ فى ١٤ مايو/٣٠ شعبان من نفس السنة ، وذلك حسب ما جاء فى خطاب بيبرس الى بوهيمند . ومن رواية ابن عبد الظاهر ايضا نقف على التاريخ الصحيح لسقوط مدينة انطاكية فى أيدى المسلمين (الاحد ١٨ مايو ١٢٦٨م/٥ رمضان ٦٦٦هـ) . فى الوقت الذى فشلت فيه المصادر الصليبية فى تحديد ذلك التاريخ الصحيح ، ونفس الشىء ينطبق على عدد قتلى وأسرى الفرنج فى انطاكية . كما أن خطاب بيبرس الى بوهيمند ، والذى أورده ابن عبد الظاهر — الذى حرر الخطاب بنفسه — يلقى الضوء على أحوال انطاكية بعد دخولها فى دولة الاسلام .

واذا كان تاريخ الحروب الصليبية ينتهى — فى الكتابة التاريخية الصليبية — بانتهاء الوجود الصليبى فى بلاد الشام ، واذا كانت قصة العلاقات بين الصليبيين والمسلمين قد توقفت فى كتب المؤرخين اللاتين بخروج فلول الصليبيين من عكا ومن الساحل الشامى فى عام ١٢٩١م/ ٦٩١هـ ، فان هذه القصة بقيت تحتل جزءا كبيرا من حوليات مؤرخى الثلاثة قرون التالية (ق ١٤ ، ١٥ ، ١٦ م ق ٨ ، ٩ ، ١٠ هـ) المسلمين ، وهم يسردون تاريخ دولة الاسلام الشامل . واذا كان هؤلاء قد

إعتمدوا بشكل أساسى ـ فى سرد قصـــة الحـــروب الصليبية ـ على من سبقوهم من المؤرخين المسلمين ، فانهم بدورهم قد أضافوا الى ما نقلوه عن سابقيهم الكثـير من المعلومات التاريخيـة التى استقوها من بعض المصادر المفقودة ، مما يجعل من الضرورى الرجوع الى بعض النماذج من الكتابة التاريخية العربية المتاخرة فى محاولة ـ بقدر الامكان ـ للوقوف على الحقيقة التاريخية كاملة ٠

ومن مؤلفات القرن الرابع عشر الميلادى/الثامن الهجرى رجعنا الى اعمال كل من ابن أيبك الدوادار ، والنـويرى ، وابن الوردى ، والكتبى ، وابن كثير ، وابن منكلى وبيبرس الدوادار ، والصفدى ، وابن أبى الفضائل ، واليونينى ٠ ومن مؤلفات القرن الخامس عشر الميلادى/ التاسع الهجرى الى اعمال كل من المقريزى ، والعينى ، والقلقشندى ، وابن الشحنة ، وابن تغرى بردى ٠ ومن مؤلفات القرن السادس عشـر الميلادى/العاشر الهجرى مؤلفـات كل من ابن الفرات ، والسيوطى ، وبدر الدين الدمشقى ، والعليمى(١٠٦) ٠

والى جانب المؤرخين كان لابد من الرجوع الى كتب الرحـالة الذين أمدتنا المعلومات التى سجلوها عن مشـاهداتهم فى بلدان الشرق الادنى الاسلامى بصفة عامة ، وبلدان ومدن الشام بصفة خاصة ، بالكثير عن واقع أحوال الفرنج فى مدينة انطاكية وملحقاتها وغيرها من المدن الصليبيـة ما لم يرد فى مصادر المؤرخين ، وما ساعد على التحقق من بعض الآراء التى تم الاخذ بها فى بعض القضايا التى تناولهـا البحث بالمناقشة ، وخاصة أحوال امارة انطاكية الصليبية فى أواسط القرن ١٣م/٧هـ ٠ فالى جانب ما أمدنا به كل من جاك دى فترى الذى جاء مع الحملة الصليبيـة الخامسة ، وسيمون أوف سان كوينتين الذى عبر بمنطقة الشام فى العقد الخامس من القر الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى ، فقد افاد الباحث مما سـجله كل من حنـا فوقاس Joannes Phocas ، وويلبراند أوف أولدنبرج Willbrand of Oldenburg وبوركارد من جبل صهيون Burchard هذا ، الى جانب بعض الجغرافيين مثل المقـدسى ، وياقوت الحموى ،

---

(١٠٦) عن هؤلاء المؤرخين وأعمالهم ، انظر قائمة المصادر والمراجع ٠

والقفطى ، والعمرى ، والقلقشندى ، وابن الفقيه ، وابن الشحنة ، وابن خرداذبة .

هذه دراسة نقدية تحليلية لأهم منابع البحث وأصوله ، من عربيـة واجنبية ، خطية ومطبوعة ، والتى توفرت لدى الباحث . وبالاضافة الى ذلك فقد افاد الباحث من الكثير من المراجع الثانوية المتخصصة فى تناول بعض القضايا التى تضمنتها موضوع الدراسة . ومن بين المراجع الاجنبية مؤلفات كلود كاهن Claud Cahen وورهرشت Rohricht ،ورنسيمان Runciman ، وجروسيه Grousset وماير Mayer ، وبراور Prawer ، لامونت La-Monte وجان ريتشارد Jhean Richar وجونا ثان رايلى سميث Johnathan Riley Smith وسميل Smail وغيرهم . اما عن المراجع العربية فمن حسن الحظ انه توجد مدرسـة متخصصة فى تاريخ الحركة الصليبية اخرجت لنا العديد من الاعمـال التاريخية المتعلقة بتاريخ الحروب الصليبية والتى افاد منها الباحث كثيرا فى موضوع الدراسة .

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالقوى الاسلامية المجاورة
(١١٧١ ـ ١٢٦٨م/٥٦٧ ـ ٦٦٦هـ)

الفصـــل الاول

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها بجيرانها المسلمين
حتى نهاية الدولة الفاطمية
(١٠٩٨ ـ ١١٧١م/٤٩٢ ـ ٥٦٧هـ)

- مدينة انطاكية واهميتها العسكرية والاقتصادية والدينية وظروفهـــا السياسية ٠

- سقوط انطاكيـــة فى أيدى الصليبيين عام ١٠٩٨م/٤٩٢هـ ، ورد الفعـل الاســـلامى ٠

- قيام امارة انطاكية الصليبية ١٠٩٨م/٤٩٢هـ ، واهميتها بالنسبة لمملكة بيت المقدس الصليبية فى الشام ٠

- سياسة أمراء انطاكية تجاه جيرانهم المسلمين منذ تاسيس الامارة وحتى نهاية الدولة الفاطمية فى مصر ٠

- دور امارة انطاكية الصليبية فى تدعيم موقف جماعات الفرسان الرهبان والمدن التجارية الايطالية فى منطقة الشرق الادنى والآثار المترتبة على ذلك بالنسبة لعلاقاتها مع المسلمين ٠

يعتبر عام ١١٧١م/٥٦٧هـ من الاعوام الحاسمة فى تاريخ العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين فى الشرق الادنى الاسلامى ، وذلك لما وقع فيه من أحداث ، أو اتخذ فيه من قرارات ، أو تبلور فيه من نتائج مترتبة على أحداث سابقة . وقد جعل كل هذا ما يتعلق بأحوال طرفى الصراع يبلغ الذروة وجعل ذلك العام جديرا بان يكون بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع الصليبى الاسلامى بصفة عامة ، والصراع بين امارة أنطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة لها بصفة خاصة . ففى ١٠ مارس ١١٧١م/أول رجب ٥٦٦هـ ، أبحر عمورى الاول ملك بيت المقدس اللاتينى (١١٦٢ - ١١٧٤م/٥٥٨ - ٥٧٠هـ) الى القسطنطينية تنفيذا لقرار مجلس باروناته ، فى طلب المساعدة من الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين (١١٤٣ - ١١٨٠م/٥٣٩ - ٥٧٦هـ)(١) ، بعد أن فشلت سياسة عمورى فى الاستيلاء على مصر(٢) . وهى السياسة التى كان قد بدأها بولدوين الاول ملك بيت المقدس (١١٠٠ - ١١١٨م/٤٩٤ - ٥١١هـ) فى عام ١١١٨م/٥١١هـ(٣) ، حين كان فتح مصر يمثل جزءا من

---

(١) جمع الملك عمورى مجلسه لاستشارة بارونات المملكة فيما يتخذه من اجراءات للخروج بالمملكة من حالتها المتردية . وتقرر ارسال المبعوثين الى حكام الغرب الاوربى لشرح الصعوبات التى تواجه الكيان الصليبى فى سوريا وفلسطين ، وطلبا للمساعدة الفورية . فتقرر ايفاد المبعوثين الى الامبراطور الالمانى ، وملوك فرنسا وانجلترا وصقلية واسبانيا . كما تقرر أن يذهب الملك عمورى بنفسه الى القسطنطينية طلبا لعون الامبراطور البيزنطى لأنه أقرب عاهل مسيحى الى الصليبيين ، كما أنه أغنى من اقرانه حكام الغرب ، وفى مقدوره تقديم المساعدة المنشودة . انظر :
William of Tyre, A history of Deeds done beyond the sea, trans. by E.A. Babcock and A.C. Krey, 2 Vols, New York 1976. Vol. 1, pp. 377-378.

(٢) حتى ذلك الوقت كان الملك عمورى قد قام باربع محاولات للاستيلاء على مصر ، انتهت كلها بالفشل ، وتقع بالترتيب فى سنوات ١١٦٣م/٥٥٨هـ ، ١١٦٤م/٥٥٩هـ ، ١١٦٧م/٥٦٢هـ ، ١١٦٨م - ٥٦٣هـ . انظر ص ٢١٩ وما بعدها من هذا الفصل .

(٣) فى عام ١١١٨م/٥١١هـ قام بولدوين الاول بغارة على مصر ، فنهب مدينة الفرما وداهمه المرض عند مدينة تنيس ، ومات عند العريش فى طريق عودته الى بيت المقدس فى ابريل/شوال من نفس العام . انظر :
William of Tyre, Vol. 1, pp. 515-516.

سياسة التوسع الصليبي على حساب المسلمين في المنطقة ابان الحمـلة الصليبية الاولى . وقد اصبحت تلك السياسة ضرورة استراتيجيـة لدعم الكيان الصليبي في مواجهة نور الدين محمود(٤) . وفي سبتمبر ١١٧١م/محرم ٥٧٦هـ ، اتخذ قرار آخر لا يقل اهمية عن قرارات المجلس الصليبي ، ان لم يكن يفوقها أهمية من حيث دلالاته ونتائجه . فقد انضمت مصر بمقتضاه الى املاك نور الدين محمود ، حيث قرر صلاح الدين الايوبي نائب نور الدين محمود في مصر أن يقطع الخطبة للخليفة الفـاطمي ، وأن يدعى للخليفة العباسي(٥) . وبذلك انتهت الدولة الفاطمية في مصر لتصل قوة المسلمين في الشرق الادنى الى الذروة ، بعد توحيـدهم من العراق والشام شمالا الى مصر جنوبا تحت قيادة واحدة ولتقع ــ في نفس الوقت ــ أملاك الفرنج بين شقي الرحى ، فباستيلاء نور الدين محمود على دمشق في عام ١١٥٤م/٥٤٩م(٦) ، تكون أملاكه التي تمتـد تحت زعامة واحدة من الرها شمالا الى حوران جنوبا ، لصبحت توازي الحـد الشرقي لممتلكات الفرنج الممتدة على الساحل السوري من اللاذقية شمالا الى غزة جنوبا تحت امرة زعامات مختلفة(٧) كما أن الخطر الذي كان يهدد امارة انطاكية من جهة حلب في شمال الشام ، اصبح يهدد كل املاك الصليبيين بعد توحيد بلاد الشام(٨) . واذ دخلت مصر تحت لواء نور الدين محمود كبعد استراتيجي الى جانب ثرواتها وموقعها الجغرافي ، وقوتها البشرية ، وقيمتها التجارية ، فقد اصبحت مملكة بيت المقـدس

---

(٤) Baldwin, (Marshal W.), The Latin States under Baldwin III and Amalric I, in Setton, (Kenneth M.), A history of the Crusades, 5 Vol., London, 1969-85, Vol. 1, p. 555.

(٥) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٥٦ ، المقـريزي : السلوك لمعـرفة دول الملوك ، تحقيـق محمـد مصطفى زيادة ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٦م ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٤٣ ــ ٤٦ .

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشـق ، بيروت (مطبعـة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨م ، ص ٣٢٦ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء ، القاهرة (المطبعة الازهرية) ١٣٠١هـ ، جـ ١١ ، ص ٨٨ ــ ٨٩ .

(٧) Runciman (Steven), A history of the Crusades, 3 Vols, Cambridge 1968, Vol. 1, p. 342.

(٨) Cahen (Claude), La Syrie du Nord, Paris 1940, p. 394.

مهددة من كل جانب ، ولم يعد فى مقدورها ان « تهـاجم أعداءها ، أو حتى تتحمل اغاراتهم »(٩) . هذا فى الوقت الذى لم تكن فيه أحوال امارة أنطاكية الصليبية والتى تعد ، منذ استقرار الصليبيين فى سوريا وفلسطين ، مفتاح سوريا الى الجنوب ، والتى أصبحت الآن وبعد فقدان الصليبيين للرها(١٠) الدرع الحامى للوحيد المملكة الصليبية ، لم تكن فيه أحوالها تساعد على بذل أى أمل لملوك بيت المقدس لصد المد الاسلامى من جهة الشمال ، هذا ان لم تكن امارة أنطاكية نفسها قد فقدت الامل فى استرداد قوتها بعد أن بلغ بها الضعف حدا اصبح فى مقدور نور الدين محمود معه أن يتجول فى شمال الشام وحتى ابواب انطاكية دونما خطر يتهدده من جانب الصليبيين فيها . فقد فقدت الامارة جيشها، وانكمشت بعد أن فقدت حدودها شرقي نهر العاصى ، ولم تعد تتجاوز سهل انطاكيـة وساحل البحر الممتد من الاسـكندرونة الى اللاذقية(١١) . وثمـة تساؤل يفرض نفسه هو : ما الذى حدا بامارة انطاكية الصليبية لان تنحدر الى هذه الحالة من الضعف ؟ وللاجابة عن هذا التساؤل ، ولفهم الظروف والاحداث التى أدت الى ذبول الكيان الصليبى فى شمال الشام ممثلا فى

---

(٩) William of Tyre, Vol. 2, p. 377.

(١٠) سقطت الرها فى ايدى عماد الدين زنكى فى سنة ١١٤٤م/٥٣٩هـ . انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ، ابن الاثير : الـكامل فى التـاريخ ، ج ١١ ، ص ٤٤ ـ ٤٦ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ٤ أجزاء القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥هـ ، ج ٣ ، ص ٧١ ، ابن واصل : مفـرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ٣ أجزاء ـ تحقيق جمـال الدين الشيال ـ القـاهرة ١٩٥٣ ـ ١٩٦٠م ، ج ١ ، ص ٩٣ ـ ٩٤ . انظر أيضا :

Michel Le Syrien, Chronique, trans. by J.B. Chabot, 4 tomes, Parisi, 1899-1910, tom. 3, pp. 259-263; William of Tyre, Vol. 2, pp. 140-144; Anonymous Syriac chronicle, ed. by A.S.Tritton, in J.R.A., London, 1933, p.p; 281-286; Nerses Shnorhali, Elegie Sur La prise d'Edesse, in R.H.C. Doc. Arm., Vol. 1, pp. 227 ff.

(١١) حسين عطية : امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الاسلامية المجاورة (١٠٩٨ ـ ١١٧١م/٤٩٢ ـ ٥٦٧هـ) ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٣٦ ، انظـر أيضا خريطة رقم (١) .

امارة انطاكية ، يجدر الرجوع الى الوراء قليلا ، لاستعراض تاريخ تلك الامارة وعلاقاتهـــا السياسية بالقوى الاسلامية المجـــاورة منذ نشاتها فى ١٠٩٨م/٤٩٢هـ وحتى عام ١١٧١م/٥٦٧هـ .

لا شك أن انطاكية كامارة صليبية فى بلاد الشام قد اسهمت بدور بارز فى العلاقات الصليبية الاسلامية فى هذه المنطقة(١٢) . ولتفهم هذا الدور، يجدر رسم صورة واضحة لمدينة انطاكية ، وأحوالها الاقتصادية والسياسية لما لذلك من اثر كبير على تطور أحوالها كامارة صليبية منذ وصـــول الصليبيين أمام أسوارها حتى عودتها الى حوزة المسلمين . فمدينة أنطاكية قصبة اقليم العواصم وحاضرته(١٣) ، بينها وبين حلب من جهة الشرق مسيرة يومين ، وبينها وبين شاطىء البحر من جهة الغرب حوالى ستة أميال(١٤) . والمدينة تحتل سهلا طوله ثلاثة أميال ، تحيط به استحكامات طبيعية تتمثل فى جبل اللكام(١٥) شرقا ونهر الاورنت غربا(١٦) . وهى

---

(١٢) Rey (E.G.), Rsume de l'Histoire des Princes d'Antioche. in R.O.L., Vol. IV, Paris 1896, p. 321

(١٣) قسم الجغرافيون العرب الشـام الى ست كور أو اجنـاد هى : قنسرين وحمص ودمشق والاردن وفلسطين والشراة . « واما قنسرين فقصبتها حلب ، ومن مدنها انطاكية ... » انظـــر المقدسى البشارى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليـــدن ١٩٠٣م ، ص ١٥٤ « والعواصـم جمـــع عاصم ، وهو المانع ، والعواصم : حصون وموانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية ... وسماها الرشـيد حين استخلف العواصم لان المسلمين كانوا يعتصمون بها ... » انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ٤ مجلدات ، وفهرست ، ليبزج ١٨٧٠م ، ج ٣، ص ٧٤١ ــ ٧٤٢ .

(١٤) القفطى (جمـــال الدين يوسف) : تاريخ الحكماء ، ليبزج ١٩٠٣م ، ص ٢٩٦ ؛ العمـــرى (ابن فضـل الله) : مســالك الابصار ، نشره احمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٢٣ .

(١٥) يبدأ جبل اللكام من مكة فيسمى هناك العـــرج ، ثم يمتد حتى يتصل بجبال الروم (طوروس) وعند دمشق يسمى بجبـــل سنير ، وعند بعلبك بجبل لبنان ، وعند طرابلس بجبل عــكار وعند انطاكية بجبل اللكام . انظر : القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشـــاء ، ١٤ جـــزء ، القـاهرة ١٩١٣م ج ٤ ، ص ٨٥ ــ ٨٦ .

(١٦) ويسمى «العاصى» لان أغلب الانهار تتجه الى الجنوب وهذا =

على شكل نصف دائرة قطرها متصل بالجبل ، والاسوار « تصعد مع الجبل » لتتم دائرة يبلغ طولها اثنى عشر ميلا(١٧) يمكن اجتيازها عن طريق عدة أبواب تؤدى الى الطرق الموصلة الى حلب والى اللاذقية غربا والى الاسكندرونة وميناء السويدية شمالا(١٨) . وهكذا توفرت الحصانة لمدينة انطاكية ذات الاسوار القوية بابراجها العالية التى أثارت كل من رآها وطمع فيها ، ووقفت حائلا بينه وبين اختراقهـا . هذا الى جانب وجودها فى الوادى بين النهر والجبل ، فاصبحت صعبة المنال سواء برا أو عن طريق البحر(١٩) . واذا كانت انطاكية قد تميزت بالحصـانة والرخاء ، فانها ايضا تميزت بموقع جغـرافى على درجة كبـيرة من الاهمية ، حيث تقع فى ملتقى الطرق التجارية فى العصور الوسطى . وقد اشتهرت بصناعة المنسوجات الحريرية والبسط والزجاج والصابون(٢٠) .

= يتجه الى الشمال ، ومنبعه عند بعلبك ويصب فى البحر المتوسط عند السويدية غربى انطاكية . انظر : القلقشندى المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(١٧) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢م ، ص ٥٠ ؛ ابن الشحنة : الدار المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، نشره الياس مركيس ، بيروت ، ١٩٠٩م ، ص ٢٢٠ ، ابن بطوطة : تحفة النظـار فى غرائب الامصار ، جزءان ، القاهرة ١٩٥٨ ، جـ ١ ، ص ٤٣ . انظر ايضا :
Wiener (W.M.), Castles of the Crusades, London, 1960, p. 59.
انظر ايضا لوحة رقم (١) .

(١٨) انظر رسم رقم (١) . راجع ايضا :
William of Tyre, Vol. 1, p. 207.

(١٩) القفطى : تاريخ الحكمـاء ، ص ٢٩٦ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ٢٢٠ . انظر أيضا :
Willbrand of Oldenburg: «Itinerarium Terrae Sanctae, ed. J.C.M. Laurent, in peregrinatores medii aevi quatour, Leipzig, 1873, pp. 171-172. CF. also, Rey E.G., Etudes monuments de l'architecture militaire des Croises, Paris 1871, p. 202.

(٢٠) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ليـدن ١٨٨٩م ، ص ١٥٣ . انظر أيضا :
Pirenne (H.), Medieval Cities, trans by Frank D., Princeton 1948, p. 4.
راجع أيضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى حتى الفتح العثمانى ، الاسكندرية ١٩٦١م ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .



لوحة رقم (١)
بقايا أسوار مدينة أنطاكية من الجهة الشمالية
نقـــلاعن :

Downey (G.), A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest, Princeton, 1961.

والى جانب ذلك فقد كان ميناء السويدية هو السلم البحرى للمدينـة ، والذى زاد من أهميتها السياسية والتجارية ، خاصة فى مستهل الحمـلة الصليبية الاولى حيث رست فيه الاساطيل الغربية بالمؤن والعتاد والرجال، وكان وسيلة الفرنج للاتصال بالغرب(٢١) . والى جانب أهميتها العسكرية والاستراتيجية والتجارية ، فقد كانت انطاكية أيضا ذات أهمية روحيـة وصيت ذائع منذ خلفاء الاسكندر ، مما جعلها عزيزة على الوثنية وقبل ظهور المسيحية والاسلام بقرون عديدة(٢٢) . واقد كان فى انتظـــار

(٢١) Caffaro de Cashilone, Deliberation Orientis, in R.H.C-Hocc. Vol. V, pp. 50 ff)

(٢٢) يذكر الراهب اليونانى حنا فوقاس الذى زار انطاكية فى عـام ١١٨٥م كيف كانت انطاكية تخطف الاضواء من كل مدن الشرق من خلال عدد سـكانها الكبـيرة وثرواتهاومعابدها ومسارحها وأروقتها . انظر :

Jaannes Phocas, Compendiaria Descriptio Castrorum et urbium ab urbe Antiochio Usque Hierosolyman nec Sacrorum locorum Syriae, Phoenicine, et in Palaestina, in p. Gr, Vol. 133, p. 927. CF. also, Bouchier (E.S.), Ashort History of Antoich, Oxford 1921, p. 274.

=

انطاكية شهرة من نوع آخر ، واهميـــة لدى المسيحية ، حين استقبلت بطرس الحوارى كاول اسقف لها بمساعدة حبيب النجـار(٢٣) وهكذا كانت مدينة انطاكية بموقعهـا المتميز على ملتقى الطـــرق بين الشرق والغرب ، وبثرواتهـا وتحصيناتها ، معـدة لأن تكون عاصمة قوية لمن يحكمها(٢٤) . فدخلها المسلمون لاول مرة عندما فتحها ابو عبيدة ابن الجراح فى سنة ٦٣٨م/٣٢هـ أثناء فتح الشـام أيام الخليفة ابى بـــكر الصديق(٢٥) . ثم استولى عليها الامبراطور البيزنطى نقفور فوقاس فى سنة ٩٦٩م/٣٥٨هـ(٢٦) ، ثم عادت الى أيدى المسلمين عندما استولى عليها سليمان بن قتلمش السلجوقى فى سنة ١٠٨٥م/٤٧٧هـ(٢٧) . ومنذ دخول انطاكية تحت حكم الملاجقة لم تنعم بالاستقرار السياسى ، شأنها فى ذلك شأن الشرق الادنى الاسلامى فى تلك الفترة فعند ظهور السلاجقة على مسرح الاحداث كانت الخلافتـان العباسية فى بغـداد والفاطمية فى

= وكانت انطاكية مكان الاقامة المفضل للعديد من الاباطرة الرومان وجذبتهم اليها معابدها الشـهيرة ونافوراتهـــا وغابات دافنى المكرسة لغراميات ابوللو ، الى جانب جوها الرائع . انظر :
William of Tyre, Vol. 1, p. 201.

(٢٣) ونزلت الآية : « وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين » (القـــرآن الكـريم) سورة يس آية ٢٠ ، « والقرية » هى انطاكية والرجل هو حبيب النجار » انظـر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٨ مجلدات ، القاهرة طبعة دار الشعب) ١٩٧١م ، جـ ٦ ، ص ٥٥٦ ، « ودعى التلاميـذ مسيحيين فى انطاكية أولا » انظر ، العهد الجديد : سفر أعمـال الرسل ، (١١ ، ٢٦) . راجع أيضا :
Gregory Dgha, Elegy of the Fall of Jerusalem, in R.H.C. Doc. Arm., Vol. I, p. 274.

(٢٤) Cahen, La Syrie du Nord, p. 127.

(٢٥) البـلاذرى (أحمد بن يحيى) : فتـــوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٠١م ص ١٥٤ .

(٢٦) يحيى بن سعيد الانطاكى : تاريخه (وهو ما ذيل به على التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لسعيد بن البطريق) نشره شيخو ، بيروت ١٩٠٩م ص ١١٨ وما بعدها ، ص ١٣٤ انظـر أيضا :
Ostrogorsky (G.), History of the Byzantine State, trans. By J. Hussey, Oxford 1956, pp. 261-262.

(٢٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٥٦ .

القاهرة تعانيان من عوامل الضعف والانهيار ، مما ساعد السلاجقة على بسط نفوذهم في العراق(٢٨) ، كما تمكنوا من انتزاع أغلب الشام من الفاطميين والقضاء على نفوذهم فيه(٢٩) . وامتدت حدود الدولة السلجوقية من فارس شرقا الى حدود مصر غربا . ولكن هذا الامتداد كان يحمل في طياته عوامل الضعف والتفكك ، فقد مات السلطان السلجوقي ملكشاه . وبدأ الصراع بين خليفته بركياروق وبقية اخوته ، لتضعف الوحدة التي حققها السلاجقة في اراضي الدولة العباسية(٣٠) . وقام الصراع بين السلطان بركياروق وعمه تاج الدولة تتش(٣١) الذي حاول

---

(٢٨) بدأ ذلك باستنجاد الخليفة العباسي القائم بالسلطان السلجوقي طغرلبك الذي جاء من فارس ليقضي على حركة التمرد التي قام بها القائد البويهي المظفر البساسيري الذي حاول القضاء على الخلافة العباسية وادخال بغداد تحت سيطرة الفاطميين ، وذلك في ١٠٥٩م/٤٥١هـ . وتزوج طغرلبك من ابنة القائم . انظر : ابن ناصر : أخبار الدولة السلجوقية ، نشر محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣م ، ص ١٨ وما بعدها ، الراوندي(محمد بن علي):راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، نقله من الفارسية ابراهيم امين الشواربي وآخرون ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٥٩ ــ ١٧٦ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، القاهرة ١٩٠٠م ، ص ٥ ــ ١١ .

(٢٩) ابن ميسر : أخبار مصر ، جزءان ، نشره هنري ماسيه ، القاهرة ١٩١٩م ، ١٠ ــ ٢٠ ، المقريزي : اغاثة الامة بكشف الغمة ، نشره بدر الدين السباعي ، حمص ١٩٥٦ ص ٢٣ ــ ٢٦ ، ، وله أيضا : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، بولاق ١٢٧٠هـ ، جـ ١ ص ٣٣٧ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٣ــ ٨٤ . انظر أيضا : عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٣م ، جـ ١ ص ٨١ ، محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٩ . حسين امين : العراق في العصر السلجوقي بغداد ١٩٦٥م ، ص ١٣٠ .

(٣٠) البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٧٦ ــ ٨٠ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ١٠ ، ص ٨٨ ــ ٨٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩ . راجع أيضا :

Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and The Hobyland, U.S.A., 1937, p. 14.

(٣١) تاج الدولة تتش « شقيق السلطان السلجوقي ملكشاه » . وفده السلطان الى الشام خوفا من ازدياد نفوذ اتسز ابن اوق الذي جاء =

توسيع ممتلكاته منتهزا حالة الفوضى التى أمست فيها الدولة السلجوقية . وانتهى الامر بمقتــل تتش فى ١٠٩٥م/٤٨٨هـ ، واستقامت السلطة لبركياروق(٣٢) .وكانت نتيجة ذلك هى التى قررت مصير الحملة الصليبية الاولى . اذ لم يواجه الصليبيون تلك الموارد المشتركة للدولة المتحدة التى أسسها تتش والا أعيد كتابة التاريخ . فقد كانت ممتلكاته الشامية قد حطمها الصراع بين أولاده من بعده(٣٣) . وانغمس ياغى سيان حاكم أنطاكية(٣٤) فى الصراع . وكان فى مقدور ولدى تتش أن يعوضا الشام عن غياب والدهما ـ الذى كان يمثل القوة التى كان من الممكن أن توقف زحف الصليبيين ـ عن مسرح الاحداث ، ولكن لم يكن مقــدرا لعوامل الانقسام أن تنتهى فى بلاد الشام . فظل الصراع بينهم شديدا ، وهذا الصراع هو لب الموقف فى حقيقته عند قدوم الصليبيين الى الشــام ، ونجاحهم فى اجتياحه دون مقاومة فعالة . فبعد موت تتش استولى ابنه رضوان على حلب ، واستولى ابنه الثانى دقاق على دمشق(٣٥) ، وتحول كل منهما وهما يبحثان عن حلفاء لهما فى الصراع الوشيك الى القـــادة الاتراك والزعماء التركمان . وكان ياغى سيان حاكم انطاكية أقوى هذه الشخصيات . ومن المرجح أنه كان سوف يؤازر رضوان صاحب حلب ، الا

= بدوره الى الشام ليستولى على أملاك الفواطم هناك نيابة عن السلطان السلجوقى ألب أرسلان انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ ، العليمى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ ، ص ٣٠٥ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ،ص ٤٥ .

(٣٢) أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢٠٦ .

(٣٣) Gibb (H.). The Damascus Chronicle of the Crusades. London, 1932, p. 22.

(٣٤) ابن واصل (جمال الدين) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١٩ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ .

(٣٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٣٠ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ١٠ ، ابن عساكر (الحافظ) :التاريخ الكبير ، ٦ أجزاء فى ثلاث مجلدات ، دمشق ١٣٢٩ ـ ١٣٤٩هـ ، جـ ٥ ، ص ٢٤٧ ، ٣٢٢ . انظر ايضا : جوزيف نسيم يوسف : الوحدة وحركات اليقظة العربيـــة ابان العـدوان الصليبى ، الاسكندرية ١٩٦٦م ، ص ١٣ ـ ١٤ .

أنه كان على خلاف مع جناح الدولة اتابك رضوان . وهكذا أصبح ياغى سيان حليفـــا قويا لدقاق . وبدأ الصراع بين الاخوين فى سنة ١٠٩٥م/ ٤٨٩هـ ، وهاجم كل منهما أملاك الآخر(٣٦) . وبعد فترة قصيرة وبعد خلاف حدث بين رضوان وأتابكه الذى ترك حلب واستولى على حمص ، بادر ياغى سيان من فوره بعرض خدماته على صاحب حلب واقام نفسه اتابكا له وزوجه من ابنته(٣٧) . وهكذا خسر ياغى سيان رضاء دقاق عنه واستعان رضوان بياغى سيان للهجوم على حمص ودمشق بعد ان تحالف مع الفاطميين فى مصر ضد أخيه صاحب دمشق(٣٨) . وفى هذا الوقت الحرج وردت الاخبار بوصول الصليبيين الى الحدود الشمالية لبلاد الشام ، وأوقعهم هذا النبأ فى اضطراب(٣٩) ، فعدلوا عن القيـــام بحملتهم وتفرق الجيش بدلا من ان يتفقوا على مواجهة العدو المشترك . فعاد رضوان الى حلب ، ليترك ياغى سيان حاكم انطاكية ليواجه وحده الهجمة الاولى لقوات الصليبيين . وهكذا حرمت انطاكية من أية مساعدة من جانب الحكام المسلمين الذين تركز الصراع بينهم فى النهاية بين ولدى تتش ، وانغمس فيه حاكم أنطاكية لتسقط انطاكيـــة فى أيدى الصليبيين ليقيموا فيها ثانى امارة لاتينية فى الشرق الادنى الاسلامى(٤٠) .

---

(٣٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ١٠٢ ، ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ١٣١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ .

(٣٧) ابن القلانس : المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

(٣٨) يذكر ابن العديم أن رضوان أقام الخطبة للخليفة الفاطمى المستعلى فى حلب فى ١٠٩٦م/٤٩٠هـ واستمرت حتى ١٠٩٨م/٤٩٢هـ . وقيل انها لم تدم أكثر من أربع جمع . انظـر : ابن العـــديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ، ابن القـــلانسى : المصـــدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٣٩) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٤٠) عندما وصل الجيش الصليبى الى مرعش بعد أن عبر جبـــال طوروس انفصل عنه بولدوين شقيق جودفرى ، وتنكريد ابن أخت بوهيمند النورماندى حيث اتجه الاول الى مدينة الرها واستولى عليها من ثوروس الارمنى ، واستولى الثانى على أذنه والمصيصة ثم الاسكندرونة . انظر :

Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherusalem (ed. and Trans. by F.R. Rayan, Tennessee, 1969, pp. 88-92; Albert =

كل ما سبق سوف يتاكد عند التعرض لاحداث الحملة الصليبية الاولى التى انتهى الجزء الاول منها فى آسيا الصغرى بكارثة (٤١) ليلحق بمجزؤها الثانى (٤٢) ، وينجح الصليبيون فى الاستيلاء على نيقية ، ودريليوم ، وقونية ، وهرقلية ، من مدن آسيا الصغرى ويسلمونها للبيزنطيين (٤٣) .

= d'Aix, Historia Hierosolimitana, in R.H.C.-Occ., Vol. V. pp. 284-289.

(٤١) كان هذا الجزء يضم الغوغاء والمعدمين وعامة المجتمع الاوربى الغربى بقيادة بطرس الناسك وجوتيه المعدم ، واضطر الامبراطور الكسيس كومنين الى نقلهم عبر البسفور الى آسيا الصغرى حفاظا على عاصمته من أعمال السلب التى قاموا بها ، وفتك بهم السلاجقة دون عناء بالقرب من نيقية . انظر :
Annonymous., Gesta Francorum Hierosolimitanorum trans. by R. Hill, London, 1962, pp. 2-5; Albert d'Aix, Historia Hierosolimitana in R.H.C.-H.Occ., Vol., V. pp. 284-289; Ann Commene, op. cit., pp. 248-256. CF. also,. Chalandon, F., Histoire de La Première Croisade, Paris 1925, pp. 78-80.
راجع ايضا ، جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص ١٥٢ وما بعدها .

(٤٢) جاء هذا الجزء من لوثارنجيا بقيادة جود فرى دوق اللورين السفلى واخيه بولدوين ، ومن فرنسا بقيادة اتين كونت بلوا ، ومن بروفانس بقيادة ريموند دي سان جيل والمندوب البابوى أدهيمار دي مونتى ، ثم النورمان من جنوب ايطاليا بقيادة بوهيمند وابن أخته تنكريد . وعقد الجميع اتفاقية مع الامبراطور البيزنطى على ان يردوا اليه كل ما كان بحوذة السلاجقة من املاك بيزنطية ، وحلفوا له يمين الولاء والتبعية ماعدا تنكريد ، على ان يمدهم الامبراطور بالمؤن والعتاد وان يضمن سلامتهم اثناء المرور فى دولته وان يضع فرقة من جيشه تحت تصرفهم حتى وصولهم الى بيت المقدس . انظر :
Anonymous, Gesta Francorum, pp. 5-7, 10-13; Anne Comnene, pp. 257-267; Albert d'Aix, pp. 304-313.
ويقدم د . جوزيف نسيم يوسف بحثا وافيا عن سياسة الكيس تجاه الصليبيين ، واتفاقية مايو ١٠٩٧م معهم . انظر ، جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ٢١٩ — ٢٢٨ . انظر ايضا ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

(٤٣) Anne Comnene, pp. 268 ff., Anonymous, Gesta Francorum, pp. 13-21, 23-24; Fulcher of Chartres, anonymous, Gesta Fran- =

وبعد أن عبر الجيش الصليبي جبال طوروس ، دخل الصليبيون فى أراضى ياغى سيان ليبدأوا حصارهم لمدينة انطاكية من جهـــة الشرق والشمال الشرقى ، وليتمركز الجيش الصليبى كله أمام أسوار انطاكية فى ٢٢ أكتوبر ١٠٩٧م/٢٩ شوال ٤٩٢هـ(٤٤) . وبعد اختلاف قادة الفرنج بشأن الاسراع والهجوم على المدينـــة أو ارجائه لفـــترة من الوقت ، انتصر الرأى الاخير(٤٥) ، حيث استمر الفرنج فى حصارهم للمدينة ما يقرب من تسعة أشهر وسيكون تتبعنا للاحداث خلال هذه الفترة تتبعا لاحوال الصليبيين ورد الفعل الاسلامى حيالهم . وحتى ظهور أول رد فعل اسلامى تجـاه الفرنج من خارج انطاكية ، جرت الامور بين ياغى سيان والصليبيين على وتيرة واحدة من الاشتباكات الخفيفة دون الدخول فى معركة حاسمة(٤٦)

= corum Iherusalem, trans. by Rita R., Tennessee 1969, pp. 83, 88-89.

(٤٤) Anonymous, Gesta Francorum, pp. 27-28, Fulcher of chartres, p. 89; Raimond d'Agiles, Historia Francorum qui aperunt Jerusalem, in R.H.C.-H.Occ., Vol, III, pp. 242 ff.

(٤٥) رأى كونت تولوز سرعة مهاجمة المدينة حتى لا تتسنى الفرصة أمام ياغى سيان لتقوية دفاعاته ، بينما رأى بوهيمنـــد ارجاء الهجوم لحين قدوم الامبراطور البيزنطى أو لوصول الامدادات من الغرب وأيضا لاراحة القوات بعد رحلتها الشاقة فى ارمينيا ، وكان بوهيمند لا يريد سقوط انطاكية من خلال الجهد المشـترك لكل القوات الصليبية وتضيع فرصته للاحتفاظ بها لنفسه فرأى تأجيل الهجوم حتى يدبر شيئا لصالحه - انظر :
William of Tyre, Vol., p. 206; Raimond d'Agiles, p. 243; Anne Commene, P. 258-278, cf. also., Oman, C.W., A history of the Art of War, 2 Vols, London 1924, Vol. P. 278.

(٤٦) فى منتصف نوفمـــبر ١٠٩٧م/ذى القعـــدة ٤٩١هـ ، قضى بوهيمند على حامية حارم التى قامت بغـارات مفاجئـة على الفرنج الذين كانوا يتوغلون بعيدا عن الجيش بحثا عن الكلأ والطعام مما كلف الفرنج الكثير من الارواح والعتاد . كما تعرض الفرنج الذين خرجوا بحثا عن الطعام عندما بدأت المؤن فى النفاذ نتيجة لافراطهم فى استهلاك ما وجدوه من خيرات فى ســـهل انطاكيـــة ، تعرضوا لغارات الترك الذين خرجوا من الابواب السرية لانطاكية . كما هاجمت قوات ياغى سيان الفرنج عنـــد باب الجسر بعد خروج بوهيمند وروبرت فلاندر بحثا عن المؤن بعد اشتداد المجاعة فى المعسكر الصليبى قبل عيد الميلاد . انظر :
Anonymous, Gesta Francorum, pp. 29-32, Raimond d'Agiles. =

فالفرنج ينتظرون فرصة مواتية لدخول انطاكية ، وياغى سيان من جانبه ينتظر وصول النجدات من حكام المسلمين حوله . واذا امعنا النظر فى الموقف الآن ، نجد انه لم يبق أمام الصليبيين سوى سقوط انطاكية حتى يبلغوا بيت المقدس حلمهم المنشود . كل ذلك والمسلمون لا يدركون طبيعة الحركة الصليبية وهدفها . والسبب هو الانشقاق السياسى والخلافات المذهبية والمصالح التى كانت اقوى من وجود خلافتين اسلاميتين فى المنطقة ، واقوى من تفكير الحكام المسلمين فى الصالح العام لأمتهم الواحدة(٤٧) . لذا نجد أن رد الفعل الاسلامى لدى حكام المسلمين بصفة عامة وحكام الشام بصفة خاصة بطيئا متعثرا(٤٨) . فقد ظهر أول رد فعل اسلامى بعد ثلاثة اشهر من قدوم الفرنج امام اسوار انطاكية ، وكان من جانب دقاق ملك دمشق الذى خرج بصحبة أتابكه جناح الدولة أمير حمص لنجدة انطاكية ، حيث هاجموا قوات روبرت فلاندر عند البارة(٤٩) أثناء عودته من رحلته مع بوهيمند للاغارة على قرى جنوبى انطاكية للحصول على مؤن للجيش الصليبى الذى كان يعانى من قلة الامدادات(٥٠) ،الا أن تدخل بوهيمند فى الوقت المناسب قد انقذ روبرت ، وكان ذلك فى ٣١ ديسمبر ١٠٩٧م/١٦ محرم ٤٩٢هـ(٥١) . وعاد بوهيمد وروبرت الى المعسكر الصليبى دون تحقيق الهدف من حملتهم(٥٢) ، كما

= pp. 242-243; Anselm of Ribmont, Letter no. XV, in Hagenmeger (H.), Epistolae, Hiedelberg 1901, pp. 158-159.
راجع أيضا : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .

(٤٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٩١ . راجع أيضا: Stevenson (W.B), The Crusaders in the East, cambridge 1907, pp. 18-21; Duc De Castries, La Conquête de La tere Saint par les croisée, Paris 1973, p. 151.

(٤٨) Chalandon, op. 189.

(٤٩) « البارة » بلدة من نواحى حلب الى الجنوب الشرقى من انطاكية فيها حصن وذات بساتين . انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٤٩٥ .

(٥٠) Anselm, p. 157.

(٥١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٣١ .

(٥٢) Albert d'Aix, p. 374.

عاد المسلمون الى دمشق دون تحقيق النصر على الفرنج والا كانوا تتبعوهم الى انطاكية(٥٣) . واكد ذلك عدم صدق الرغبة لدى المسلمين واخلاص النية فى الجهاد(٥٤) . وكان التقاعس عن الجهاد وقتها أمرا متوقعــا بسبب ضعف المسلمين وانقسامهم سياسيا ومذهبيا . فمثلا ، لو ان دقاقا أكمل مسيرته نحو انطاكية لكانت فرصته فى النصر اكيدة لتفاقم المجاعة بين صفوف الفرنج ، ولاضطرارهم لقتاله وقتال قوات ياغى سيان فى وقت واحد ، وهم الذين يتضورون جوعا . ففى هذا الوقت كانت المجاعة بين صفوف الفرنج قد تفاقم خطرها ، ومات الكثيرون من الرجال . وانحطت الروح المعنوية بينهم مما أدى الى هرب بعض قادتهم(٥٥) .وزادمن ضعف الصليبيين مؤامرة بوهيمند التى أدت الى رحيل الحامية البيزنطية بقيادة تاتيكوس فى يناير ١٠٩٨م/صفر ٤٩٢هـ(٥٦) ليخلو الجو أمام بوهيمند ليستولى على انطاكية لنفسه(٥٧) . لذا نراه يظهر كفاءته فى القتــال عندما تصدى لرد الفعل الاسلامى لانقاذ انطاكية والذى جاء هذه المرة من جانب رضوان صاحب حلب الذى خرج تلبية لاستنجاد ياغى سـيان به ،

---

(٥٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٥٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٢ . راجع ايضا : محمد محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الاسكندرية ١٩٧٢ ، ص ١١١ .

(٥٥) يذكر انسلم أنه قد تبقى للفرنج فقط ٧٠٠ حصان . انظر :
Anselm, p. 157; Stefen of Blois, Letter no. X, in Hagenmeyer, Epistolae, p. 150; Robert Monachi, Iherosolitana, in R.H.C.-H.Occ., Vol. III, p. 777.
وقد هرب بطرس الناسك ووليم النجار ، الا أن تنكريد تمكن من اعادتهما الى المعسكر الصليبى .

(٥٦) لم يكن رحيــل القــائد البيزنطى هروبا كما اتهمه المؤرخون اللاتين ، والدليل على ذلك أنه عندما قدم تقريره للامبراطور البيزنطى ، امتعد الاخير واتخذ طريقه الى انطاكية . انظر :
Ordric Vitalis, Historia Ecclesiastica, ed M. Chibnall, Oxford, 1975, 6 Vols., Vol. 5, p. 77.
ويعتبر فيتاليس هو المؤرخ اللاتينى الوحيد الذى أنصف تاتيكوس دون قصد .

(٥٧) France, J., The departure of Tatikios from the Crusader army, in B.I.H.R., Vol. 44, no, 110, 1971, p. 139.

حيث انتصر بوهيمند ومعه سبعمائة فارس على قوات حلب فى المنطقة الواقعة بين نهر الاورنت وبحيرة انطاكية ، وذلك فى ٩ فبراير ١٠٩٨م/٤ ربيع أول ٤٩١هـ . وانتهى الامر باستيلاء الفرنج على حصن حارم الذى كان يحمى انطاكية من جهة حلب ، وخسر المسلمون الكثير من الرجال والعتاد(٥٨) واذا كان رد الفعل الاسلامى لدى سلاجقة الشام بطيئا ، فانه لدى الفاطميين كان من نوع آخر ، تجلت فيه روح الانقسام والفرقة بين المسلمين ، وعدم فهمهم لطبيعة الحركة الصليبية . فربما راى الفواطم أن الحملة الصليبية مجرد حملة بيزنطية أخرى لصد المد السلجوقى ، وبعد سقوط انطاكية ربما سمعوا عنها القليل(٥٩) . لذا نجد مبعوثيهم فى المعسكر الصليبى ليحصلوا من الفرنج على اجابة تطمئن الافضل على أملاكه فى فلسطين(٦٠) . وهنا بدأ الفرنج يستغلون عدم فهم المسلمين لحقيقة نواياهم ، حتى يكون الطريق امامهم سهلا الى بيت المقدس(٦١) . وهكذا كان على ياغى سيان ان يتصدى للصليبيين وحده ، بعد أن تقاعس كل حكام المسلمين عن مساعدته . وبالفعل هاجمت قواته بوهيمند وكونت تولوز اثناء عودتهما من ميناء اللاذقية محملين بأدوات البناء والحصار

---

(٥٨) Anonymous, Gesta Francorum pp. 35-38; Raimond d'Agiles, p. 246; Stephen of blois, p. 151. cf. also, Duggan (A.), The Story of the Crusades, London, 1969, pp. 58-60; Oman, (Ch.), A history of the Art of War, Vol. 1, pp. 280-81

(٥٩) Richard (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, trans by J. Sherley, 2 Vols, Oxford 1979, Vol. 2, pp. 13-14.

(٦٠) Anselm, pp. 156-158, CF. also., Michaud (J.F.) History of the Crusades, trans. by W. Robson, 3 Vols., London, 1853, Vol. 1, p. 138 ff.

(٦١) ولا يوجد أى نص لأى اتفاقية وقعت بين الصليبيين والفواطم فى المصادر الاجنبية . الا أن ذلك لا ينفى تواجد رسل الفاطميين فى المعسكر الصليبى خارج أسوار انطاكية كما ذكر غالبية مؤرخى اللاتين ، ومنهم أنسلم الذى كان بصحبة الجيش الصليبى أرسل الفرنج الى دقاق ملك دمشق ، ورضوان ملك حلب يطمئنوهم على أملاكهم ويفهموهم أن غرض الحملة هو استعادة أملاك بيزنطة السابقة . وبالطبع فانهم سلكوا نفس المسلك مع رسل الفواطم . انظر :
William of Tyre, Vol. 1, p. 222.

التى حصلوا عليها من الجنوية . الا أن الفرنج تمكنوا من هزيمة الترك ، وكان ذلك فى مارس ١٠٩٨م/جمادى الاولى ٤٩٢هـ . وتفرغ الصليبيون لاكمال حصار انطاكية(٦٢) .

وحتى ذلك الحين كانت الفرصة مواتية أمام قوات كربوغا حاكم الموصل ، الذى استنجد به ياغى سيان ، لكى يحمل الفرنج على فك الحصار عن انطاكية . الا أن كربوغا أضاع الثلاثة اسابع الاولى من مايو ١٠٩٨م/جمادى الاخرة ٤٩٢هـ فى حصار الرها دون طائل ، بعد أن اصطحب معه قوات كثيرة كان من الممكن أن تحقق نصرا على الفرنج(٦٣) . وبذلك أضاع كربوغا فرصة انجاد انطاكية ، وفقد آخر واكبر رد فعل اسلامى ضد الصليبيين ميزة الحضور فى الوقت المناسب.ففى خلال هذه الاسابيع الثلاثة استطاع بوهيمند أن يوطد علاقاته « بفيروز » الارمينى الذى كان يتولى حراسة برج الاختين ، الواقع فى الركن الجنوبى الغربى من أسوار المدينة(٦٤) ، والذى اتفق مع بوهيمند على أن يسهل له دخول المدينة ليلا ، كما وعده بوهيمند بامتيازات كبيرة(٦٥) . وبالفعل قام بوهيمند مع قواته فى مساء ٣ يونية ١٠٩٨م/أول رجب ٤٩٢هـ

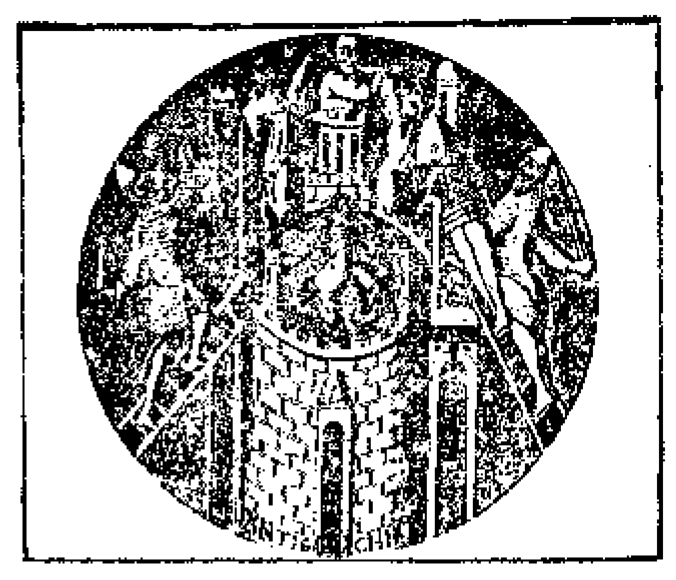
راجع ايضا : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ١١٤.

(٦٢) Caffaro de Cashifetone, Deliberation Orientis Libre, in R.H.C. H.-Occ., Vol. V. p. 50; Albert d'Aix, p, 383; William of Tyre, Vol. I, p. 229; Anonymous Gesta Francorum, pp. 39-40.

(٦٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٣٣ . انظر ايضا : Fulcher of Chartres, p. 101.

(٦٤) وضع أغلب المؤرخين الحديثين برج الاختين بالقرب من باب القديس جورج فى الجهة الغربية من أسوار المدينة خطأ عندما نقلوا عن وليم الصورى . انظر : حسين عطية : امارة انطاكية الصليبية ، ص ١١٠ حاشية رقم (٣) .

(٦٥) عن علاقة بوهيمند بفيروز واصل الاخير انظر:ابن الاثير الكامل، جـ ١٠ ،ص ١٣٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ١ ، ص ١٣٤. وايضا :
Anonymous, Gesta Francorum, op. cit., p. 44; Radulf of Caen, op. cit., p. 652; Anne Comnene, p. 278.



لوحـة رقم (١)

الصليبيون بقيادة بوهيمند الاول يقتحمون مدينة انطاكية

عن طريق برج الاختين (٣ يونيو ١٠٩٨م/أول رجب ٤٩٢هـ)

نقـــلاعن : Michaud (J.F.), Histoire des Croisades, Paris, 1973, p. 91.

بارتقاء سلما الى البرج واستولوا على بقية الابراج المجاورة ، وانتشروا في المدينة ، وفتحوا الابواب لبقية الصليبيين ، لتدور مذبحة رهيبة داخل المدينة راحت ضحيتها أعداد كبيرة من رجال ونساء . وغرس بوهيمند علمه القرمزى فوق القلعة ايذانا بسقوط انطاكية ، بينمـــا كانت تدوى صيحات الفرنج « انها ارادة الله Deus, Vult وكان سقوط انطاكيـــة في ٣ يونية ١٠٩٨م/أول رجب ٤٩٢هـ(٦٦) . وكانت خيانة فيروز ذات فائدة

---

(٦٦) عن سقوط انطاكية . انظر :

Anonymous, Gesta Francorum, pp. 46-48; Raimond d'Agiles. pp. 251-253; Albert d'Aix, p. 205 Fulcher of Chartres. pp. 98-99; Ordric Vitalis, p. 93; William of Malmes bury, Gesta Regum Anglorum (ed. W. Stubbs) in Rolls Series, 2 Vols, London, 1887-1889, Vol. 2, p. 415; Historia Nicenae Vel Antiochenae, in R.H.C.-HOCC., Vol. 5, p. 161.

راجع أيضا : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٥ ، =

مزدوجة بالنسبة للفرنج ، فهي من جهة تمكنهم من الاستيلاء على انطاكية بسهولة،ومن جهة أخرى جنبتهم اقتحامها بالقوة ، لذا بقيت استحكاماتها قوية خاصة وان كربوغا كان في طريقه لحصار المدينة ومعه دقاق ملك دمشق وأتابكة طغتكين وجناح الدولة صاحب حمص ، وارسلان كاش صاحب سنجار ، وسقمان بن أرتق وغيرهم من الترك والعرب بقيادة وثاب بن محمود الارتقي • ومن الملاحظ عدم اشتراك رضوان صاحب حلب في هذا الحلف الاسلامى ، فأكد فساد سياسته في اللحظة التى كادت تحدد مصير الشام بأكمله(٦٧) • واستلم أحمد بن مروان أحد اتباع كربوغا ، قلعة انطاكية ، من شمس الدولة بن ياغى سيان الذى احتمى بها عند سقوط المدينة(٦٨) • وبعد أن فشل كربوغا في اقتحام المدينة من جهة القلعة قرر تشديد الحصار على المدينة(٦٩) • وهنا دارت الدائرة على الفرنج ، حيث اصبحوا محاصرين بداخلها ، وتكررت المجاعة التى عانوا منها وهم خارج انطاكية ليندر الطعام لديهم ، وساءت حالتهم مما دفع البعض الى الهروب نحو ميناء السويدية ليصفوا لمن كان في السفن الغربية حالة الفرنج مما دفع هذه السفن الى الابحار الى ميناء طرسوس حيث قابلوا ستيفن بلوا الذى كان قد هرب اثناء حصار الفرنج للمدينة(٧٠) • فاتجه ستيفن الى اضاليا ومنها الى اسكى شهر حيث قابل الامبراطور البيزنطى الذى

= ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١١٤ — ١١٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٣ — ١٣٥ • وللاستزادة • انظر :

Chalanzon, pp. 202 ff : Runciman, pp. 231-235; Grousset, t. 1, pp. 92 ff.

انظر ايضا لوحة رقم (٢) •

(٦٧) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ، ١٣٦ • وايضا :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 50.

(٦٨) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٦ • أيضا :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 51.

(٦٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٦ • راجع أيضا :

Anonymous, Gesta Francorum, p. 51; Raimondd d'Agiles, p. 252.

(٧٠) Fulcher of chartres, p. 97; Anonymous Gesta Francorum, p. 63

Guibert Nogent, Gesta Dei Per Francos, in R.H.C.-H.Occ., Vol. 4, p. 200.

كان فى طريقه لمساعدة الفرنج ، ودفعه الى العودة الى بلاده قائلا « فكر فى نجاتك ونجاة جيشك »(٧١) واقتنع الامبراطور بكلام ستيفن الذى أفهمه أن الترك قضوا على كل القوات الصليبية داخل انطاكية ، ورأى أن يراعى مصالح دولته دون المخاطرة بالتوغل فى شمال الشام . وهكذا ضاعت آخر فرصة للفرنج لنيل المساعدة ، كما ضاعت آخر فرصة لقيام التعاون بين اللاتين والبيزنطيين . وربما ضاعت بذلك ايضا اهداف البابا أوربان الثانى فى توحيد الكنيستين الشرقية والغربية(٧٢) . ومهما يكن من امر ، فقد كان على الفرنج ان يواجهوا وحدهم قوات كربوغا ، ويتصدوا لحصار المسلمين الشديد لهم بالرغم من المجاعة وسوء حالتهم . الا أن عثورهم على الحربة المقدسة التى طعن بها السيد المسيح فى جنبه اثناء صلبه ، كان بمثابة حافز كبير لهم(٧٣) . كما استغل الفرنج روح التباغض بين قوات كربوغا(٧٤) وأرسلوا اليه بطرس الناسك ليثنيه عن

---

(٧١) Ordric Vitalis, Vol. 5, p. 107. «Consule ergo tibi et genti quam conducis»

كما اتهم مؤرخ الجستا المجهول الكسيوس كومنين بالتخلى عن الصليبيين ، وهذا ليس غريبا ، فالمؤرخ لاتينى ، ورجل بوهيمند النورماندى عدو الكسيس الاول . الا أن فيتاليس القى بالتبعة على ستيفن ، وفيتاليس لاتينى ونورماندى فى نفس الوقت وهو بذلك يؤيد كلام آن كومنين التى التمست العذر لوالدها - انظر :
Anne Comnene, pp. 288.

(٧٢) Brundage (James), An errant Crusader : Stephen of Blois; in Traditio, Vol. XVI, 1959, p. 395; Krey (A.C.), Urban's Crusade success or Failure, in A.H.R., Vol. 53, 1974-1948, p. 288.

(٧٣) عن قصة اكتشاف الحربة المقدسة واختلاف الاراء حولها . انظر :
Anonymous, Gesta Francorum, pp. 57-60; Raimond d'Agiles, pp. 253-255, CF. Also, Runciman (S.), The Holy Lance Found at Antioch, in A.B.,Vol.LXVIII,1950.pp.197-205; Finacane (R.C.), Soldiers of the Faith, London 1983; p. 121.

(٧٤) أساء كربوغا معاملة من كان معه من الامراء الذين يعلمون أنه ليس الا أتابكا ، بينما استاء دقاق من ارسال كربوغا طلبا للمساعدة من رضوان . كما حدث شقاق بين الترك والعرب الذين مع وثاب بن محمود . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١١٤ .

حصار انطاكية الا أن السفارة اصطدمت بعناد كربوغا(٧٥) ،الذى رفض أنياخذ بنصيحة محمود بن وثاب بأن يسرع بمهاجمة الفـــرنج الذين خرجوا لملاقاته من باب الجسر شمالى المدينة ، مفضلا ان يهاجم الفرنج عند خروج كل قواتهم دفعة واحدة . وعند خروج الست فرق التى كونها بوهيمند عن الجيش الصليبى ، لم يتمكن كربوغا من الصمود أمامها ، خاصة وأن الفرنج كانوا قد وعوا أساليب الحرب التركية . وانتهى الامر بهزيمة جيش كربوغا الذى عاد الى الموصل وخسر المسلمون جانبا كبـــيرا من قواتهم وعتادهم ، وليتاكد سقوط انطاكية فى أيدى اللاتين وذلك فى ٢٨ يونية ١٠٩٨م/٢٦ رجب ٤٩٢هـ(٧٦) .

وهكذا ، نتيجة لانقسام المسلمين وتفرق كلمتهم استولى الصليبيون على انطاكية ليقيم فيها بوهيمند النـورماندى ثانى امارة لاتينيــة فى الشرق . واذا كانت انطاكية كمدينة تتمتع باهمية كبيرة على مر العصور ، فانها كامارة صليبية كانت ذات اهمية اكبر بالنسبة للكيان الصليبى بصفة عامة وللملكة بيت المقدس بصفة خاصة ، وعلى وجه أخص خلال الفـترة المبكرة من عمر تلك المملكة . ويتضـح ذلك اذا ما تفحصنا بدقة أحوال المملكة فى تلك الفترة فبسقوط انطاكية ــ مفتاح سوريا الى الجنوب ــ لم تعد هنـاك قوة أمام الفرنج فى طريقهم الى بيت المقـدس(٧٧) . التى

(٧٥) لا نعرف ما هو اكيد مما جرى على لسان كربوغا وبطرس . الا ان وليم مالمسبرى يذكر أن كربوغا رفض الرد على بطـــرس واستمر فى لعب النرد ، وصر على أسنانه وصرف بطرس كمــا جاء . انظر :

William of malmesbery, Vol. 2, p. 419; Beshada (Gregory), Chanson d'Antioche, in A.O.L., Tom. II, pp. 496-498.

(٧٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١١٥ ، ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ــ ١٣٨ . ولقد استانسنا بما جاء فى كتابات ريموندا جيل ومؤلف الجستا عن احداث هذه المعركة لانهما كانا شاهدى العيان الوحيدين لتلك الاحداث . فقد كان ريموندا جيل ضمن الفرقة التى يقودها المندوب البابوى ، بينما كان مؤلف الجستا ضمن فرقة بوهيمند . انظر :

Anonymous, Gesta Francorum, pp. 69-70; Raimond d'Agiles, pp. 259-261, CF. also, Oman, A history of the Art of War, Vol. 1, p. 287.

(٧٧) Prawer (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1972 p. 14.

استولى عليها الصليبيون فى ١٥ يوليو ١٠٩٩م/٢٢ شعبان ٤٩٢هـ ، ليقيموا فيها مملكة بيت المقدس اللاتينية(٧٨) التى كانت اقدارها غير مضمونة وهى محاطة بالمسلمين من كل جانب ، وعلى حد تعبير احد المؤرخين الحديثين « جزيرة فى بحر الاسلام»(٧٩) ، وان اى تركيز مفاجىء للقوى الاسلامية وقتها كان باستطاعته أن يضع نهاية للاستقرار الصليبى فى فلسطين . هذا فى الوقت الذى كانت المملكة تعانى من مشكلة نقص القوى البشرية(٨٠) خاصة فى عدد الفرسان(٨١) . كما أنه لم يصل الى بيت المقدس ممن جاءوا فى حملة ١١٠١م/٤٩٥هـ الا القليل ، وهذا أضاع أمل المملكة فى بناء جيش قوى يدافع عنها . وهكذا اقامت الحملة الصليبية الاولى مملكة صليبية فى الاراضى المقدسة ، ولكنها لم تترك لها الا القليل من الفرسان والمدافعين عنها ، الذين كان امامهم نضال طويل ليحافظوا على ما استولوا عليه من المسلمين ، بينما هم فى انتظار التعزيزات الاوربية التى لم يكن من الممكن ان تصل الا عن طريق البحر . وكان الاستيلاء على مدن الساحل الفلسطينى مهمة صعبة بالنسبة للمملكة . فموانى فلسطين كانت تحصل على الامدادات من مصر ، ومن الصعب حصارها . كما أنه لم يكن من السهل تدخل المدن البحرية الايطالية وبعضها مثل أمالفى كان على علاقات طيبة مع مصر ، كما ترددت البندقية ، وهى نصف حليف مع بيزنطة وزائر معتاد على الاسكندرية فى أن تخاطر

---

(٧٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٧ . انظر أيضا :
Anonymous, Gesta Francorum, pp. 90-91.

(٧٩) James Brundage, The Crusader's Wife revisited, in S.G., Vol. 14, 1967, pp. 24-25.

(٨٠) بعد معركة عسقلان فى أغسطس ١٠٩٩م/رمضان ٤٩٣ رحل كثير من النبلاء الى القسطنطينية فى طريقهم الى اوربا وكان من بينهم روبرت النورماندى وروبرت فلاندرز .كما أظهر المؤرخ فوشيه اوف شارتر خوفه من عدم وجود من يدافع عن المملكة « اذا ما تجرأ المسلمون على مهاجمتنا » . انظر :
Fulcher of Chartres, p. 149.

(٨١) عندما عين بولدين ملكا على بيت المقدس فى ١١٠٠م/٤٩٤هـ كان لديه فقط ٣٠٠ فارس وحوالى الفين من المشاة . انظر :
Fulcher of chartres, p. 150, CF. also., Richard (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. A, p. 15.

بتجارتها المربحة مع الشرق ، فى مساعدة المملكة الا بعد عشر سنوات من تاسيسها وتحقيقا لمصالحها ايضا التى كانت فوق اى اعتبار(٨٢) . اما انطاكية فقد أبعد عنها انتصار الفرنج على كربوغا الخطر الاسلامى لمدة طويلة(٨٣) . كما استطاع بوهيمند أن يضمن مساعدة الجنوية حتى قبل أن يؤسس امارته(٨٤) . وضمن لامارته واجهة بحرية تربطه بالغرب قبل ان يستولى ملوك بيت المقدس على اى من المدن الساحلية فى فلسطين(٨٥) . وهكذا كانت امارة انطاكية تنعم بالاستقرار فى شمال الشام بفضل مجهودات بوهيمند ومن بعده تنكريد اللذين حصلا على وسيلة الاتصال بالغرب بالاستيلاء على اللاذقية من البيزنطيين وهو الامر الذى شجع المدن البحرية الايطالية الأخرى على التسابق للتعاون مع الفرنج فى الشرق . هذا الى جانب ما قام به امراء انطاكية حتى عام ١١٧١م/٥٧٦هـ من جهود لمساعدة ملوك بيت المقدس فى مشروعاتهم ضد المسلمين ، مما منح امارتهم أهمية كبرى للوجود الصليبى فى سوريا وفلسطين . وهذا ما ستفصح عنه الصفحات التالية .

فبمجرد انسحاب كربوغا الى الموصل بدأ بوهيمند أولى خطواته لتثبيت مركزه فى انطاكية فاستلم القلعة من أحمد بن مروان(٨٦) . وكانت خطوته الثانية هى اعلانه صراحة نيته فى الاحتفاظ بانطاكية لنفسه ، ووافقه الامراء اللاتين على ذلك ما عدا كونت تولوز(٨٧) ، فلم يكن

---

(٨٢) Prawer (J.), op. cit., p. 19.

(٨٣) Smail (R.C.), Crusading Warfare, Cambridge 1976, p. 26.

(٨٤) Caffaro, op. cit., p. 56.

(٨٥) استولى تنكريد على ميناء اللاذقية من البيزنطيين فى ١١٠٣م/٤٩٦هـ اثناء أسر بوهيمند . انظر ص ١٢٩ من هذا الفصل .

(٨٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٥ . انظر ايضا :
Anonymous, Gesta Francorum, p. 69.

(٨٧) يرى البرت دكس أن كونت تولوزكان يطمع هو أيضا فى امتلاك انطاكية . انظر :
Albert d'Aix, p. 434.
ارسل الصليبيون سفارة الى الكسيوس برئاسة هيوج دى فيرماندوا فى يوليو ١٠٩٨م/رجب ٤٩٢هـ يطالبونه بالحضور لاستلام انطاكية ، الا انه لم ينتهز هذه الفرصة بل أجل حضوره ليضيع حق بيزنطة فى المدينة . انظر :
Anonymous, Gesta Francorum, p. 72.

هناك ما يجبر الامراء على البقاء على عهدهم للامبراطور البيزنطى(٨٨) . وهنا اشتد الصراع بين بوهيمند وكونت تولوز حول انطاكية ، وبدا وكان أرض الميعاد تقع على ضفاف نهر الاورنت وليس فى بيت المقدس(٨٩) . وبدأ بوهيمند يتصرف كسيد أوحد للمدينة بعقده اتفاقية مع الجنوية فى ١٤ يوليو ١٠٩٨م/١١ شعبان ٤٩٢هـ ، منحهم بمقتضاها امتيازات كبيرة ، نظير مساعدته فى الدفاع عنها ضد منافسيه . وقد حدد البعض بداية تاريخ امارة بوهيمند بتاريخ ابرام هذه الاتفاقية(٩٠) . ولأن البابا أوربان الثانى لم يشر فى خطبته فى مؤتمر كليرمونت الى مصير فتوحات المستقبل عندما خرجت الحملة الصليبية الاولى الى الشرق الاسلامى ، فبدت الثروات الكبيرة التى وعد بها البابا هؤلاء الذين سيتوجهون الى الشرق وكانها اسلابا اكثر منها املاكا(٩١) . وكان اول من أدرك هذه الحقيقة هو بوهيمند النورماندى المعدم الجرىء . فوضع عينه على انطاكية منذ خروجه من القسطنطينية فى ١٠٩٧م/٤٩٠هـ ، لتكون امارة له(٩٢) . وبعد رحيل بقية الجيش الصليبى الى بيت المقدس بقيادة ريموند الصنجيلى(٩٣) ، وبعد محاولة بوهيمند استغلال مساعدة المندوب البابوى الجديد دايمبرت البيزاوى والاسطول الذى جاء معه فى التخلص من الخطر البيزنطى المحيط به(٩٤) ذهب بوهيمند الى بيت المقدس

---

(٨٨) Anonymous, Gesta Francorum, p. 72.
وعلى اية حال ، فقد اختلفت الاراء وثار كثير من الجدل بين المؤرخين المحدثين حول هذه القضية .

(٨٩) Prawer (J.), The Latin Kingdom, p. 14.

(٩٠) Caffaro, p. 56. CF. also, Hagenmeyer, Epistolae, p. 155-156; Rey (E.G.), Résumé de L'Histoire des Princes d'Antioche, in R.O.L. vol. IV, p. 362.

(٩١) Fulcher of charteres, pp. 62-65.

(٩٢) Rey (E.G.) Etudes sur les monuments, p. 184.

(٩٣) رحل الجيش الصليبى من معرة النعمان فى ١٣ يناير ١٠٩٩م/١٧ صفر ٤٩٢هـ . انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ١٤٣ . انظر ايضا : Raimon d'Agiles, p. 271.

(٩٤) حاصر بوهيمند والبيزاوية القوات البيزنطية فى ميناء اللاذقية ، ولما أوشكت الحامية على التسليم حضر روبرت النورماندى وروبرت فلاندرز فى طريق عودتهما من بيت المقدس واجبرا دايمبرت على =

بصحبة دايمبرت وبولدوين كونت الرها فى أوائل نوفمبر ١٠٩٩م/ذى الحجة ٤٩٣هـ ، حيث ساعد دايمبرت على اعتلاء كرسى بطريركية بيت المقدس ، وأصبح تابعا له ، وتلقى منه تقليدا باراضى انطاكية(٩٥) . وبذلك يكون قد ضمن اعتراف العالم اللاتينى وبابوية روما بملكيته لانطاكية(٩٦) . وليؤكد ذلك عاد الى انطاكية وخلع البطريرك اليونانى حنا وعين مكانه البطريرك اللاتينى برنارد أوف فالنس وبذلك صبغ بوهيمند امارة انطاكية بالصبغة اللاتينية(٩٧) . الكاثوليكية ، وكان هذا أحد أهداف الحركة الصليبية .

وهكذا بعد أن ضمن لامارته الصبغة الشرعية ، بدأ بوهيمند فى ارساء اركانها فى شمال الشام بتوسيع حدودها الطبيعية على حساب جيرانه المسلمين . وكانت امارة حلب هى المنافس له فى شمال الشام ، حيث تقع بين الرها وانطاكية . وبدأ بوهيمند نشاطه ضد حلب بالاستيلاء على المواقع الحيوية الهامة للاتصال بين انطاكية ، والاورنتس الأعلى ووسط الشام ، وهى المواقع الواقعة شرقى نهر الاورنت(٩٨) . فضرب الحصار حول أفامية(٩٩) منتهزا فرصة الخلاف بين رضوان وخلف ابن ملاعب صاحبها ، ولكنه فشل فى الاستيلاء على الحصن ، فاتلف زرعه(١٠٠) . ثم توجه لمهاجمة ملاجقة حلب ، حيث تقدم رضوان الى

= فك الحصار واضطر بوهيمند الى سحب قواته . انظر :
Anne Comnene, p. 292-293; Albert d'Aix, pp. 500-505.

(٩٥) Albert d'Aix, pp. 511-512; Fulcher of Chartres, p. 132.

(٩٦) Yewdale (R.B.) Bohemond I, Prince of Antioch, Princeton, 1924, p. 91.

(٩٧) Hamilton (Bernard), The Latin church in the Crusader States The Secular church, London 1980, p. 22.

(٩٨) Cahen, La Syrie du Nord, p. 288.

(٩٩) أفامية : مدينة حصينة من أعمال شيزر غربى حلب . انظر القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جـ ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩٢٣م ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ . انظر أيضا :
Cahen, p. 228.

(١٠٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

الاثارب(١٠١) ، ثم كلا(١٠٢) حيث اجتمع من كان فى الجزر(١٠٣) وزردنا(١٠٤)وسرمين(١٠٥) من الفرنج والتقوا برضوان الذى انهزم ، واستبيح عسكره وقتل خلق كثير ، وأسر قرابة خمسمائة نفس ، وذلك فى ٥ يونية ١١٠٠م/٢٥ شعبان ٤٩٣هـ(١٠٦) . وتمكن النورمان من احتلال برج الحـــاضر(١٠٧) وكفر طاب(١٠٨) . وشجعت هذه الانجــازات بوهيمند فتأهب لحصار حلب نفسها(١٠٩) . وكان من الممكن أن تسقط حلب فى أيدى النورمان بعد أن تمزق جيش رضـوان على حد قول ابن العديم(١١٠) ، لولا أن الظروف قد غيرت من خطط بوهيمند وخلصت حلب من خطر النورمان ، حين وقع بوهيمند فى الاسر اثنـــاء توجهه لمساعدة جبرائيل حاكم ملطية الارمينى ضد الامير غازى كمشتكين بن الدانشمند حيث كان الاستيلاء على ملطية سيتيح لبوهيمند السيطرة على دروب جبل اللكام وهو الطريق الذى يمكن أن تسلكه أى حملة بيزنطيـة ضد انطاكية . وكان أسر بوهيمنــد فى منتصف اغسطس ١١٠٠م/اوائل رمضان ٤٩٣هـ(١١١) حيث سجنه كمشتكين مع ريتشارد أمير سـالرنو فى

---

(١٠١) الاثارب قلعة بين حلب وانطاكية ،بينهاوبين حلب نحوثلاثةفراسخ . انظـر : ياقوت الحموى معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(١٠٢) لم نقف على تحديد لموقعها . وربما كانت قرية صغيرة بالقرب من الاثارب .

(١٠٣) « الجزر » كورة من كور حلب ، أنظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٧١ .

(١٠٤) « زردنا » بليدة من نواحى حلب الغربية ، انظـر : ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢٥ .

(١٠٥) « سرمين » مدينة بالقرب من حلب ، وهى من اجل نواحى حلب انظر : القلقشندى صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٢٦ .

(١٠٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

(١٠٧) « الحاضر » منطقة بظاهر حلب ، بين بنائها وسور حلب رمية سهم . انظر : ياقوت الحموى معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(١٠٨) « كفر طاب » بلدة صغيرة غربى حلب ، على الطريق بين معرة النعمان وشيزر بينها وبين شيزر اثنا عشر ميـــلا . انظـــر : القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٢٥ .

(١٠٩) Stevenson, p. 72.

(١١٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(١١١) Albert d'Aix, pp. 524-525; Fulcher of Chartres, p. 135; Caffaro, Annales Januenses, in M.G.H.SS., Vol. XVIII, pp. 11-12 =

قلعة نيكسار بالقرب من البحر الاسود(١١٢) .

وكان أسر بوهيمند ظرفا مواتيا لكل من المسلمين فى شمال الشـام ولمملكة بيت المقدس نفسها . فبالنسبة للمسلمين فقد تخلصوا من عدو طالما آثار الرعب فى قلوبهم حتى خراسان(١١٣) . وبالنسبة لمملكة بيت المقدس فقد اعقـاها اسر بوهيمنـــد من مواجهة اطماعه واطماع ابن اختـــه تنكريد(١١٤) الذى توجه الى انطاكية فى مارس ١١٠١م/جمادى الاولى ٤٩٤هـ ، بناء على رغبة الافرنج فيها ليتولى أمورها أثنـــاء غيـــاب خاله فى الاسر(١١٥) . ووجد شمال الشام بصفة عامة وانطاكية بصفة خاصة عوضا كبيرا لبوهيمند فى شخص تنكريد الذى لم يكن يقـل عنه حماسة وطاقة وقوة(١١٦) .. وكان التهديد البيزنطى لامارة انطاكية هو كل ما نال اهتمامات تنكريد أثناء فترة وصايته الاولى على انطاكية . وكانت الكارثة التى حلت بالحملة الصليبية التى قامت فى ١١٠١م/٤٩٤هـ ، والتى ساعدت على نهوض الترك من جديد فى آسيا الصغرى خير معين له ، حيث حالت دون قيام بيزنطة بأى تدخل فى شمال الشام(١١٧) . فتمكن تنكريد من الاستيلاء على مدن قيليقية اذنة والمصيصة وطرسوس ، التى احتلها

= Matthew of Edessa, pp. 51-52; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 188-189;
William of Malmesbury, p. 338; CF; also, Grousset, t. 1, p. 378-38.

(١١٢) Albert d'Aix, pp. 525-529, CF. also., Hagenmeyer, p. 356.

(١١٣) Matthew of Edessa, p. 52.

(١١٤) مات جود فرى فى ١١٠٠م/٤٩٤هـ ، وتوج شقيقه بولدوين ملكا على بيت المقدس فى نفس السنة وعين دايمبرت بطريركا للمملكة ، كما تخلى تنكريد عن اقطاعه فى اقليم الجليل على أن ينوب عن بوهيمند فى حكم انطاكية . انظر :
Albert d'Aix, pp. 536-538.

(١١٥) Albert d'Aix, p. 537.

(١١٦) Cahen, Lasyrie du Nord, p. 241.

(١١٧) عن احداث حملة ١١٠١م/٤٩٤هـ ونهايتها انظر :
Ekkehard of Aura, Hierosolymita, in R.H.C.-H.DCC., Vol. 5, pp. 30-32; Ordic Vitalis, Vols. 5, pp. 322 ff., Anne Comnen, pp. 288-290; Albert d'Aix, pp. 559-582. CF. also, p. 232.

البيزنطيون عقب اجتياز الحملة الصليبية الاولى لآسيا الصغرى ، وكان ذلك فى صيف عام ١١٠١م/٤٩٤هـ(١١٨) . ثم استولى تنكريد بمساعدة الجنوية على ميناء اللاذقية فى أوائل عام ١١٠٣م/٤٩٦هـ - وهكذا اكتسب تنكريد لانطاكية واجهة بحرية عريضة فضلا عن ميناء بحرى رئيسى يربطها بغرب أوربا(١١٩) . وساعد على علو مكانة تنكريد مساعدته لبولدوين الاول ملك بيت المقدس فى ربيع ١١٠٢م/٤٩٥هـ ضد الفاطميين(١٢٠) ، ومساعدته أيضا لبولدوين لى بوركونت الرها ضد الاراتقة(١٢١) . وكان المشروع الوحيد الذى لم يقدم عليه تنكريد الوصى ، هو افتداء خاله بوهيمند(١٢٢) الذى أطلق سراحه فى مايو ١١٠٣م/شعبان ٤٩٦هـ نظير فدية قدرها مائة الف بيزنط ساهم فى جمعها بولدوين كونت الرها ، والبطريرك برنارد ، وكواسيل امير كيسوم الارمنى ، وروجر ملك صقلية ، واقارب بوهيمند فى ايطاليا(١٢٣) . وواضح أن تنكريد كان يريد بقاء خاله فى الاسر أطول فترة ممكنة حتى تستمر وصايته على انطاكية .

عاد بوهيمند الى انطاكية ليجد الظروف مواتية ليباشر توسعاته على حساب جيرانه المسلمين ، وخاصة امارة حلب ، التى كان عليها ان تواجه اعتداءات بوهيمند وحدها ، بعد أن استشرى الخلاف بين حكام المسلمين . وتصدعت الجبهة الاسلامية فى الموصل وفى آسيا الصغرى وشمال الشام(١٢٤) ، مما جعل فك أسر بوهيمند فى ذلك الوقت وبالا على

---

(١١٨) Albert d'Aix, p. 582; Radulf of Caen, p. 706; Caffaro, p. 59; Rohricht (R.), Regesta Regni Hierosolymitani, 2 Vols, Insbruck, 1893-1904 Vol. 1, p. 5. CF. also, Heyd, tom. 1, p. 145.

(١١٩) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(١٢٠) Fulcher of Charlres, p. 161; Albert d'Aix, pp. 627-538, 549, 598.

(١٢١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٩ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٢٩ .

(١٢٢) Fink (H.), The Foundation of the Latin States; in Setton, Vol. 1, p. 388.

(١٢٣) Matthew of Edessa, pp. 69-70; Albert d'Aix, pp. 610-613; Rodulf of Caen, p. 709; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 188-189.

(١٢٤) بعد موت كربوغا اشتد التنافس بين زعماء السلاجقة فى الموصل ، كما دب النزاع بين رضوان صاحب حلب وجناح الدولة صاحب =

المسلمين حيث قويت نفوس الفرنج به(١٢٥) . فبدأ بوهيمند على الفور في الاستيلاء على أملاك المسلمين . فاستولى بمساعدة جوسلين كورتيناي صاحب تل باشر على مدينة المسلمية التى تقع شمالي حلب على نهر قويق ، وفرض عليها الجزية(١٢٦) ، وكان قد فرض الجزية على قنسرين(١٢٧) ، واقليم العواصم فور عودته من الاسر(١٢٨) . ويبدو انه كان يفرض الجزية على كل الاقاليم التى يستولى عليها ليسدد قيمة الفدية التى اقترضها رفاقه لفك أسره(١٢٩) . وفي خريف سنة ١١٠٣م/٤٩٦هـ زحف بوهيمند على أملاك ثاتول الارمني الموالي لبيزنطة فاستولى جوسلين على مرعش بينما استولى بوهيمند على مدينة ألبستان شمال مرعش ، كما استولى كونت الرها وجوسلين على مرج الرقة ، وقلعة جعبر في نوفمبر ١١٠٣م/صفر ٤٩٧هـ(١٣٠) . وقد شجعت هذه الانتصارات الفرنج انطاكية والرها على توسيع حدود ممتلكاتهم داخل الطرق ، خاصة وقد اتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكهم بقتال بعضهم بعضا(١٣١) . فنهض افرنج الرها وانطاكية بالاستيلاء على حصن بسرفوت في مارس ١١٠٤م/جمادى الآخر ٤٩٧هـ(١٣٢) . وبذلك قطعوا

= حمص بسبب تقرب رضوان الى الباطنية ، الذين اغتالوا جناح الدولة في حلب . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٢ . كما دب الخلاف بين غازي الدانشمند وسلاجقة الروم حول فدية بوهيمند التى استأثر بها غازي لنفسه . انظر : Albert d'Aix, p. 613.

(١٢٥) ابن الاثير الكامل في التاريخ : جـ ١٠ ، ص ١٤٤ .

(١٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(١٢٧) «قنسرين»كرة من كور الشام بينها وبين حلب مسافة يوم ، على الجهة الغربية لنهر قويق . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٨٤ .

(١٢٨) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ١٤٤ .

(١٢٩) ابن الاثير : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .

(١٣٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٥٤ . راجع أيضا : Ann Comnene, pp. 290-292; Mathew of Edessa, pp. 75, 80; Michel le Syrien, Tom. 3, p. 195.

(١٣١) في ذلك الوقت قام الصراع بين السلطان السلجوقي بركيارق وأخيه محمد . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ ، ١٥٥ — ١٥٦ .

(١٣٢) « بسرفوت » حصن من اعمال حلب في جبال بني عليم . انظر : ـ

الطريق بين حلب وانطاكية(١٣٣) . ولقطع الاتصــال بين المسلمين في فارس والعراق ، ولابعاد الخطر الاسلامي عن كونتيه الرها ، كان لابد للفرنج من الاستيلاء على مدينة حران(١٣٤) . وخــرج بولدوين كونت الرها وبوهيمند وتنكريد وجوسلين بقوات بلغت نحو ثلاثة آلاف فارس وسبعة آلاف من المشاة ليقابلوا قوات سقمان ابن أرتق صـاحب ماردين وجكرمش اتابك الموصل بقوات بلغت عشرة الاف فارس . ونتيجة لتمهل الفرنج في مهاجمة المدينة ، ونتيجة لتناسيهم لاساليب القتال ضد الترك ، وهم زلمتمرسين عليها ، انتهى الامر بهزيمة ساحقة منى بها الفرنج ووقع في الامر بولدوين وجوســلين وهرب بوهيمنــد وتنكــريد الى الرها باعجوبة(١٣٥) . وكانت هزيمة الفرنج ذات نتائج كثيرة لم تتوقف عند حدود حران . وما يهمنا هنا هو أثر هذه النتائج على امارة انطاكيــة الصليبية وعلاقاتها بالمسلمين . فقد كان أكثر المستفيدين من كارثة الفرنج هو رضوان ملك حلب ، الذي استولى على كل المعـاقل الشرقية لامارة انطاكية بحيث انكمشت حدود الامارة ووصلت تهديدات رضوان لهـا حتى جسر الحديد(١٣٦) .وبذلك« أمنت أعمال حلب وتراجع أهلها »(١٣٧)

= ياقوت الحمـوي : معجم البـــلدان ، ج ١ ، ص ١٢١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(١٣٣) Runciman, Vol. 2, p. 40.

(١٣٤) « حران » بلدة كبـيرة ومدينة عظيمة .... تقع عنـد ملتقى الطرق في شرق الفرات ولاسيما طريق الشام وطريق الجزيرة . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣١ . انظر أيضا : لسترانج (جي) . بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمــة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغــداد ١٩٥٤م ، ص ١٣٤ حاشية رقم ٥ .

(١٣٥) عن موقعة حران وهزيمة الفرنج ، انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشــق ، ص ١٤٣ ، ابن الاثير : الكـــامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٦ . راجع أيضا :
Fulcher of Chartres, pp. 177-78; Albert d'Aix, pp. 614-616; Radulf of Caen, pp. 710-711, 713; Michel Le Syrien, t. 3, p. 195; William of Tyre, Vol. 1, p. 459. CF. also, Oman, Vol. 1, pp. 321-323.

(١٣٦) ابن العـديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ — ١٤٩ . راجع أيضا : Radulf of Caen, p. 712.

(١٣٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

وقوى بأس رضوان الذى لم يشغله عن استكمال هجماته ضد انطاكية الا موت أخيه دقاق ملك دمشق(١٣٨) . ومن جهة أخرى انتهز الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين فرصة هزيمة الفرنج فى حران ليسترد من بوهيمند مدن قليقية أذنة والمصيصة وطرسوس وأيضا ميناء اللاذقية(١٣٩) .وهكذا أصبح موقف بوهيمند ضعيفا،بسبب ضغط بيزنطة وحلب عليه من كل جانب . هذا فى الوقت الذى ضاعت فيه قواته فى موقعة حران ، وقواته فى انطاكية اوهن ما تكون ، ويتحمل عبء الرها بعد أسر سيدها ، وهو نفسه غير قادر على توفير القوات للدفاع عن امارته بينما هو مدين بفديته للدانشمند . وهكذا انتهت مصادره وانتهت معها حيله(١٤٠) . فعين تنكريد وصيا لعى أنطاكية وأبحر الى ايطاليا فى ١١٠٤م/٤٩٨هـ ولم يعد الى انطاكية أبدا ، حيث مات فى ابوليا فى ٧ مارس ١١١١م/٢٣ جمادى الآخرة ٥٠٤هـ(١٤١) .

انهى موت بوهيمند عهد واحد من أشجع وأكثر رجال العصر

---

(١٣٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق،ص ١٤٤ — ١٤٥،ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٠ .

(١٣٩) Anne Comnene, pp. 296-297.

(١٤٠) Fink, p. 390.

(١٤١) سافر بوهيمند الى ايطاليا حيث قابل باسكال الثانى (١٠٩٩ — ١١١٨م) وحصل منه على تأييد للقيام بحمل ضد بيزنطة . كما نال مساعدة فيليب الاول ملك فرنسا (١٠٦٠ — ١١٠٨م) الذى زوجه من ابنته « كونستانس » وأرسل شقيقتها « سيسليا » الى انطاكية لتتزوج من تنكريد فى ١١٠٦م/٥٠٠هـ . ثم خرج بوهيمند فى ١١٠٧م/٥٠١هـ بحملته ضد بيزنطة التى انتهت بهزيمته وخضوعه للامبراطور الكسيس بناء على اتفاقية ديفول Devol التى وقعها معه على أن يحكم انطاكية كتابع لالكسيس ولخلفائه من بعده . انظر :

Anne Comnene, pp. 302, 306, 316, 316, 348-359; Albert d'Aix; p. 260; Radulf of Caen. pp. 712-714; Ordric Vitalis, Vol. 5, pp. 103-105, CF. also, Ostrogorsky, p. 324, Rowe (J.G.); Pa'chal II, Bohemond of Antioch and the Byzantine Empire, in B.J.R.L., Vol. XLIX, 1966, pp. 165 ff, Yewdale, p. 133; Godlin (A.R.) Prince Bohemurd's Death, in B., Vol. 52, 1982, pp. 125 ff.

طموحا واهمية(١٤٢) . واتى تنكريد مختلفا فى سياسته عن سلفه . فبينما كان بوهيمند دبلوماسيا واسع الحيلة ، كان تنكريد قائدا عسكريا ذا غرور يصعب تتبع مداه ، الا انه كان ذا طاقة هائلة(١٤٣) . وبدا تنكريد فترة وصايته الثانية على انطاكية بداية طيبة . فقد تمكن من توفير الاموال والرجال(١٤٤) ليبدأ خطواته التالية وهى العودة بحدود امارة انطاكية الى ما كانت عليه قبل موقعة حران . فهزم رضوان ، واستولى على قلعة ارتاح الرئيسية ، وهاجم مدينة حلب نفسها مهددا اياها ، بعد ان تحكم فى الطريق بينها وبين انطاكية ، وذلك فى ١١٠٥م/٤٩٨هـ(١٤٥) وفى العام التالى استولى تنكريد على افامية(١٤٦) . وهكذا استطاع فى فترة قصيرة ان يؤمن حدود امارته الشرقية والجنوبية وأن يسترد لها ، على حساب مسلمى حلب ، ما ضاع فى اثر هزيمة حران ، مما دفع رضوان الى عقد هدنة مع تنكريد فى ١١٠٥م/٤٩٨هـ ، وهى أول اتفاقية تعقد بين المسلمين واللاتين منذ قدوم الحملة الصليبية الاولى(١٤٧) وبعد أن استولى تنكريد على ميناء اللاذقية بمساعدة البيزاوية فى منتصف ١١٠٨م/نهاية ٥٠١هـ ثم على اذنة والمصيصة وطرسوس فى قيليقية(١٤٨) ،

---

(١٤٢) احتل بوهيمند من صفحات الالكسياد جزءا يساوى ما احتله الكميوس كومنين نفسه . فلم تنس ابنته آن كومنين أخطر أعداء أبيها وهى تكتب وهى فى الستين من عمرها فى منفاها فى الدير ، ومع ذلك وصفت عدو أبيهابالجراة والشجاعة . انظر :
Godalin, p. 129.

(١٤٣) Cahen, p. 421.

(١٤٤) حصل تنكريد من اثرياء انطاكية على القروض الاجبارية التى جند بها الرجال من الرها وتل باشر . انظر :
Radulf of Caen, p. 714.

(١٤٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١٨ ، ا بن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ - راجع أيضا :
Radulf of Caen, pp. 714-715; Albert : d'Aix, pp. 620-621.

(١٤٦) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٥١ انظر أيضا :
Radulf of Caen, 717.

(١٤٧) حسين عطية : امارة انطاكية الصليبية ، ص ١٥٩ .

(١٤٨) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، بيروت (مطبعة الاباء اليسوعيين) ١٩٥٨م ، ص ١٩٩ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ، ورقة ١٩ ، راجع يضا : =

يكون قد استعاد الواجهة البحرية لامارته من البيزنطيين ، كما صار هو صاحب السلطة في البلاد الممتدة من جبال طوروس الى الجزيرة ووسط بلاد الشام ، فهو حاكم انطاكية والرها بالوصاية ، كما أصبح حاكم حلب من الخاضعين لسلطته(١٤٩) . ولم تؤد نجاحات تنكريد الى تخوف المسلمين فحسب ، بل والصليبيين أيضا . فقد تحالف بولدين كونت الرها وجوسلين صاحب تل باشر مع جاولي حاكم الموصل(١٥٠) ضد تنكريد ورضوان صاحب حلب . وهكذا نرى تنكريد يتبع كل الوسائل لتحقيق مصالح امارته حتى ولو أدى الامر الى عقد تحالف مع المسلمين ضد أقرانه المسيحيين . وانتهى الامر بصدام مسلح بين أول تحالفين من الصليبيين والمسلمين ، وبانتصار تنكريد ورضوان عند منبج شرق حلب في أكتوبر ١١٠٨م/صفر ٥٠٢هـ(١٥١) وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن المصالح الخاصة للحكام والقادة اللاتين والمسلمين كانت هي الدافع وراء عقد أحلاف صليبية اسلامية ، وتشابك أطراف الصراع في بعضها . ثم واصل تنكريد تدخله في شئون رفاقه الفرنج بانغماسه في الخلاف بين خلفاء ريموند الصنجيلي حول طرابلس(١٥٢) . واذ لم يجن تنكريد شيئا من

= Anne Comnene, pp. 303-304; Röhricht, Regesta, p. 11, William of Tyre, Vol. 1, pp. 448-449. CF. also, Heyd; t. 1; pp. pp. 145-146, 150.

(١٤٩) كل ذلك جعل تنكريد يرفض الالتزام بتعهدات بوهيمند لالكسيوس ويرفض الاعتراف بمعاهدة ديفول . انظر :
Anne Comnene, pp. 303-304.

(١٥٠) أطلق ايلغازي بن ارتق سراح جوسلين في ١١٠٧م/٥٠٠هـ . كما أطلق جاولي سراح بولدوين في العام التالي . انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٥٦ — ١٥٨ . راجع أيضا :
Chron. Anon. Syr., In J.R.A.S., 1933, pp: 81-82; Michal Le Syrien, t. 3, pp. 192, 195-196; Matthew of Edessa, pp. 52, 82-83.

(١٥١) Albert d'Aix, p. 648; Fulcher of Chartres, pp. 180-181.

(١٥٢) قام النزاع حول طرابلس بين وليم جوردان نائب ريموند الصنجيلي وبين ريموند ابن الاخير . وانحاز تنكريد الى جانب وليم ، لولا تدخل ملك بيت المقدس الذى فض النزاع بين الامراء وفوت الفرصة على تنكريد في أن يفرض سيطرته على طرابلس . انظر : =

ذلك عاد الى التوسع ثانية على حساب المسلمين . فبعد ان انتهى من مساعدة بولدوين الاول ملك بيت المقدس فى الدفاع عن الرها ضد مودود اتابك الموصل فى ابريل ١١١٠م/شوال ٥٠٣(١٥٣) ، عاد لتهديد حلب التى جدد صاحبها رضوان الهدنة التى خرقها مع تنكريد ودفع الجزية ، وبذلك خضعت حلب لتنكريد من جديد ، فضاق الامر باهلها فهجروها ومضى بعضهم الى بغداد واستغاثوا فى أيام الجمع مستصرخين بالعساكر الاسلامية على الفرنج(١٥٤) . وفى بداية ١١١١م/٥٠٤هـ تمكن تنكريد من تامين طريق المواصلات بين أملاكه الساحلية جنوبى اللاذقية فى جبلة وبانياس وبين الداخلية منها فى أفامية وكفرطاب بالاستيلاء على حصن بكسرائيل الذى يشرف على منطقة الجبل(١٥٥) . وأخيرا أكمل تنكريد سيطرته على المنطقة الجنوبية لانطاكية بالهجوم على شيزر لانقضاء فترة الهدنة التى عقدها بنو منقذ معه فى العام الاسبق ، وقرر على شيزر الجزية وقدرها عشرة آلاف دينار سنويا(١٥٦) . وهكذا وقع الخوف فى قلوب أهل الشام من تنكريد وافرنج انطاكية(١٥٧) . فاستنجدوا بمودود حاكم الموصل الذى كون حلفا اسلاميا جديدا للتصدى لتنكريد(١٥٨) . الا أنه نتيجة لعوامل الفرقة والحرص على المصالح

= Matthew of Edessa, pp. 86-87; Fulcher of Chartres, p. 181; Chron. Anon., p. 81.

(١٥٣) Albert d'Aix, p. 675; Matthew of Edessa, pp. 89-90.
راجع أيضا : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٩ — ١٧٠ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٠٥ .

(١٥٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٤ ١٥٧ أبو الفدا ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(١٥٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٥٨ . راجع أيضا : Albert d'Aix, pp. 685-686. CF. also, Cahen, p. 260.

(١٥٦) اسامة منقذ : كتاب الاعتبار ، نشره فيليب حتى ، ونستون ١٩٣٠م ، ص ١٢٠ — ١٢١ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(١٥٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٤ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(١٥٨) اشترك فى هذا الحلف مراء الجزيرة وهمذان وخوزستان واذربيجان من ترك وعرب . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، =

الشخصية لم يسفر الامر الا عن مواجهة طيلة اسبوعين بين قوات مودود وتنكريد وبولدوين ملك بيت المقدس ومن جاء لمساعدة تنكريد عن أرض كيسوم ، وذلك عند افامية فى صيف ١١١١م/٥٠٥هـ(١٥٩) . وهكذا فشل مشروع مودود ، ودل على أن اتحاد المسلمين كان ظاهريا . اذ كان كل طرف من أطرافه يهدف من الانضمام اليه الى تحقيق مكاسب شخصية سريعة . كما دل على أن قدرة المسلمين على القيام بهجوم مضاد ضد الفرنج فى شمال الشام أمر غير محتمل ، خاصة بعد تماسك القوى اللاتينية واتحادها بفضل ملك بيت المقدس(١٦٠) . كل هذا ساعد تنكريد على أن يمد سلطته حتى أرمينيا(١٦١) . وكان ذلك آخر أعمال تنكريد ، حيث مات فى ١٢ ديسمبر ١١١٢م/٨ جمادى الاخرة ٥٠٦هـ ، ودفن فى كنيسة القديس بطرس بأنطاكية(١٦٢) . وهكذا مات تنكريد بعد ان قام

= ص ٢٠٥ ، ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٤ ، راجع أيضا :

Matthew of Edessa, p. 69.

(١٥٩) لم يشترك رضوان صاحب حلب فى الحلف الاسلامى واغلق أبواب حلب فى وجه مودود خوفا من نوايا السلطان السلجوقى لميل رضوان الى الباطنية ، كما افسد الامر بين أمراء مودود واتابك دمشق . فتفرق الجيش الاسلامى وبقى مودود ومعه اتابك دمشق فقط . انظر : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٧٥ — ١٧٧ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ، ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ، أسامة ابن منقذ : الاعتبار ، ص ٦٨ — ٦٩ . راجع أيضا :

Albert d'Aix, pp. 682-84; Mutthew of Edessa, p. 97; Fulcher of Chartres, pp. 201-203.

(١٦٠) يرى سبط بن الجوزى أن فشل حملة مودود يرجع الى انه لم يجد فى رفاقه « عزيمة صادقة فى جهاد ولا حمية بلاد » انظر : سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، مخطوط ، ورقة ٢٢ . انظر أيضا :

Runciman, Vol. 2, p. 123.

(١٦١) استولى تنكريد على رعبان من أملاك كواغ باسيل حاكم كيسوم فى فبراير ١١١٢م/شعبان ٥٠٥هـ . وبذلك تحكم فى الطريق بين حلب سميساط . انظر :

Matthew of Edessa, pp. 102-103; Michel Le Syrien, t. 3, p. 199.

(١٦٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨٣ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ١٠ ، ابن العديم زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ . انظر أيضا : =

بدور واضــح في تثبيت دعائم امارة انطاكيـة الصليبية ، وما حققه من اتساع في حدودها على حساب المسلمين والبيزنطيين غفر له حدة الطموح التي تميز بها ، وان كان تاريخ أمراء انطاكية من بعده هو ثمار نشاطه ، الا أننا لا نجد لدى المؤرخين الا القليل من الاسف لوفاته ، فلم يمتدحه كمسيحي الا الارميني متى الرهاوى ، وكفارس لاتيني الا مؤرخه رادولف أوف كاين(١٦٣) .

كان تنكريد صادقا في اختياره لروجر دي سالرنو ليخلفه في حكم انطاكية ، لذلك لم يغير موت تنكريد من الامر شيئا . فقد حظيت الامارة في شخص روجر بحاكم لم يكن يقل عن سلفه طاقة ومهارة وجرأة(١٦٤) . فقد تولى روجر مقاليد الحكم في انطاكية في نهاية ديسمبر ١١١٢م/جمـادى الاخرة ٥٠٦هـ . وبعد أشـهر قليلة ، في يونيو ١١١٣م/محـرم ٥٠٧هـ ، جاءت الفرصة لكي يثبت روجر كل هذه الصفات ، الى جانب كفاءته في الصراع ضد المسلمين ، وليقدم في نفس الوقت لملك بيت المقدس الخـدمة التي قدمها الاخير لتكريد في ١١١١م/٥٠٥هـ ، حين انقذه وبقية جيشه من براثن مودود اتابك الموصـــل وحلفـــائه من دمشـــق وسنجار وماردين(١٦٥) . وعلى الرغم من عدم اشـتراك رضـوان حاكم حلب

= Albert d'Aix, p. 693; Fulcher of Chartres, p. 204; Samuel D'ani, Chronogrophie, in R.H.G-Doc. Arm., Vol. 2, p, 449; Michel Le Syrien, t. 3, p. 203; William of tyre, Vol. 1. pp. 492-493.

(١٦٣) Matthew of Edessa, pp. 103-104; Radulf of Caen, p. 606.

(١٦٤) أوصى تنكريد وهو على فراش الموت بأن يخلفـه في الحكم ابن أخته « روجر دي سالرنو » ابن ريتشارد دي سالرنو ، على أن يتعهد بأن يسلم انطاكية الى بوهيمند الثاني ابن بوهيمند الاول متى عاد الى الشرق ، كمـا أوصى بزواج أرملتـه سيسيليا من بونز كونت طرابلس . انظر :

Radulf of Caen, p. 606; Albert d'Aix, p. 693. CF. also, Rey, Histoire des Princes d'Antioch, p. 340; Cahen, p. 265; Runciman, Vol. 2. p. 125.

(١٦٥) جمع مودود خلفـاءه بنـــاء على طلب طغتكين لمساعدته ضد بولدوين الذي هاجم أملاك دمشق في العام الاسبق ، وتقـــابل الطرفان في اقليم الاردن عند جسر الصنبرة حيث انتصر المسلمون وغرق الفان من رجال بولدوين ،وذلك في يونية ١١١٣م/محرم =

كعادته فى القتال ضد الفرنج ، الا ان روجر أصر على أن يدفع له رضوان الجزية التى كان يدفعها الاخير لتنكريد(١٦٦) . وكيفما كان الامر ، فلم ينته الخطر السلجوقى ضد الفرنج بوفاة مودود(١٦٧) نائب السلطان فى الموصل ، بل لقد تجدد بعد ذلك ، مما ساعد على علو نجم روجر بشكل كبير ، وذلك حين كلف السلطان السلجوقى قائده فى الموصل برسق بن برسق بمهمة ذات شقين ، الاول وهو اخضاع الامراء المسلمين فى الجزيرة والشام ، والثانى وهو محاربة الفرنج(١٦٨) . واذ خشى ايلغازى الارتقى حاكم ماردين وطغتكين اتابك دمشق غضب السلطان السلجوقى(١٦٩) ، فقد سعى الاثنان الى محالفة روجر دون قيد أو شرط . وقد كان من المناسب لروجر التحالف مع المسلمين ضد الخطر السلجوقى الذى ظهرت بوادره أيام تنكريد(١٧٠) . وبمساعدة بولدوين كونت الرها وبفضل المعلومات التى أمده بها لؤلؤ اتابك حلب ، استطاع روجر أن يوقع بقوات برسق هزيمة ساحقة فى تل دانيث وذلك فى ١٤ سبتمبر ١١١٥م/٢٣ ربيع ثان ٥٠٩هـ بعد معركة أظهر فيها روجر كفاءته ووعيه بطرق القتال التركية . وعاد الى انطاكية ، حيث استقبله سكانها وعلى راسهم البطريرك بكل حفاوة(١٧١) . وكان انتصار روجر فى تل دانيث هو أهم انتصار حققه الصليبيون منذ الحملة الصليبية

= ٥٠٧هـ . انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨٤ — ١٨٥ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٨ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٩ .

(١٦٦) كان مبلغ الجزية عشرة الاف دينار . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

(١٦٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٩ .

(١٦٨) Cahen, p. 271; Runciman, Vol. 2, p. 130.

(١٦٩) حاول ايلغازى الاستقلال عن السلاجقة وتحمل طغتكين تبعة مقتل مودود . انظر : ابن الاثير الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١ — ٢١٢ ، ٢١٤ .

(١٧٠) Walter the Cancellor, Bella Antiochena, in R.H.C.-H.Occ. Vol. 5, p. 26.

(١٧١) Walter the Cancellor, p.p. 88-96.

راجع أيضا : ابن الاثير الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢١٥ ، ابن العديم: زبدة الحلب ، جـ ٢ ص ١٧٦ ، أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٧٦ .

الاولى(١٧٢) . فقد وضع هذا الانتصار نهاية للخطر السلجوقي الذى كان يتهدد الفرنج من الرها وحتى بيت المقدس منذ سنوات وبشكل مستمر . فبموت برسق بن برسق فى ١١١٦م/٥١٠هـ ومن بعده السلطان محمد بسنتين تراجع كل ما تبقى من قوة وحماسة السلاجقة فى حرب الفرنج(١٧٣) . كما منح هذا الانتصار الفرصة لبولدوين الاول ملك بيت المقدس للتفرغ لامور مملكته دون خوف على مصير الكيان الصليبى فى شمال الشام والجزيرة(١٧٤) . أما فى سوريا فان روجر هو الذى جنى ثمار هذا الانتصار . فقد انقلب روجر الانطاكى على حلفائه المسلمين(١٧٥) .فاحتل كفر طاب(١٧٦)وتنازل له ياروقتاش الذى خلف لؤلؤ فى اتابكية حلب عن حصن القبة على الطريق بين حلب ودمشق ، كما منحه حق فرض الضرائب على القوافل المتجهة الى الحجاز(١٧٧) . وبذلك أصبحت كل الطرق من حلب الى دمشق تحت سيطرة روجر . واستطاع روجر ، منتهزا فرصة الصراعات بين حكام المسلمين حول حلب التى وقعت تحت سيطرة ايلغازى حاكم ماردين ، أن يبلغ بحدود امارته الى الذروة فى الجنوب والشرق . ففى الجنوب مد سيطرته على المنطقة بين الساحل وبين وادى نهر العاصى بالاستيلاء على حصن بلاطنس المقابل للاذقية ، واضافته الى أملاكه فى صهيون وبكسرائيل وذلك فى صيف ١١١٨م/ ٥١٢هـ(١٧٨) . وأهم ما حازه روجر فى هذه المنطقة كان حصن المرقب الذى يعادل حصن الاكراد فى الاهمية والحصانة وان تميز عنه بوقوعه

---

(١٧٢) Cahen, La Syrie du Nord, p. 274.

(١٧٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٣١ — ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٨ — ١٩٩ ، ٢٠٢ .

(١٧٤) Richard (J.), Vol. A, p. 32.

(١٧٥) يؤكد لنا والتر المستشار مؤرخ روجر أن تحالف سيده مع المسلمين كان ظاهريا الغرض منه صد الخطر السلجوقي فقط . أنظر :
Walter the cancellor, p. 86.

(١٧٦) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٧٥ — ٧٦ .

(١٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٧١٩ .

(١٧٨) « صهيون » قلعة من القلاع المشهورة ، تقع شرقى اللاذقية ، و « بلاطنس » قلعة فى جهة الشمال من طرابلس . انظر : القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١١٩ — ١٢٠ .

على ساحل البحر (١٧٩) .وكان المرقب يشرف على الطريق من اللاذقية الى طرابلس ، وهذا يجعله على قدر كبير من الخطورة على الفرنج اذا ما بقى يوما فى ايد مسلمة (١٨٠) . واما فى جهة الشمال فقد استولى روجر على عزاز فى نهاية ١١١٨م/٥١٢هـ ، وهذا اعطى له السيادة على كل السهل الواقع الى شمالى هذه المدينة والطريق الرئيسى بين انطاكية وتل باشر (١٨١) . وعندما حاصر روجر عزاز « انقطعت قلوب أهل حلب ، اذ لم يكن بقى لحلب معونة الا من عزاز وبلدها ، وبقيـة بلد حلب فى ايدى الفرنج »(١٨٢) خاصة بعد أن استولى روجر على البزاعة الواقعة الى الشمال الشرقى من حلب فى أوائل ١١١٩م/٥١٣هـ ، وبذلك يكون روجر طوق حلب من كل جانب ، وبدا وكأنهـا على وشك الاستسلام له (١٨٣) . وهكذا فى الوقت الذى فقد فيه المسلمون فى شمال الشام القدرة على مواجهة الفرنج اصبح روجر الانطاكى أعظم الامراء الصليبيين فى شمال الشام (١٨٤) . الا أن ذلك لم يدم طويلا ، حيث استنجد أهل حلب بايلغازى الارتقى الذى صار اقوى أمراء الجزيرة وشمال الشام ، والذى تحالف مع طغتكين اتابك دمشق وخرج فى ربيع ١١١٩م/٥١٣هـ لقتال روجر . ونتيجة لاندفاع روجر ، وتخليه عن حذره المعروف به ، وعدم انتظاره لوصول بولدوين الثانى ملك بيت المقدس وكونت طرابلس ، كاد أن يتسبب فى ضياع ما حققه بوهيمند الاول وتنكريد فى شمال الشام. فقد انتصر عليه ايلغازى بعد معركة حاسمة ، انتهت بمصرع روجر ومعه غالبية رجاله ، وأطلق عليها القليلون الذين نجـوا من فرنج انطـاكية

---

(١٧٩) « المرقب » حصن بالقرب من بانياس على ساحل البحر ، بينه وبين طرسوس نحو اثنا عشر ميلا ، وهو حصن يحدث كل من كل من رآه أنه لم ير مثله . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٠٠ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(١٨٠) Cahen. p. 519.

(١٨١) « عزاز » بلد شمالى حلب بشرق على نحو مرحلة منها . انظر : القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٧٢ .

(١٨٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(١٨٣) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٢٨ . وبلغ الضيق بأهل حلب حتى أنه « لم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا » .

(١٨٤) حسين عطية : امارة انطاكية ، ص ٨٤.انظر أيضا : خريطـة رقم (٢) .

اسم ساحة الدم Ager Sanguinis ، وكان ذلك في ٢٨ يونيو ١١١٩م/ ١٦ ربيع الاول ٥١٣هـ(١٨٥) . ولم ينقذ انطاكية سوى حضور بولدوين الثاني ملك بيت المقدس لنجدتها وما قام به البطريرك برنارد أوف فالنس من ترتيبات لحفظ المدينة(١٨٦) .وبفضل جهود بولدوين الثاني لميستول المسلمون من أملاك انطاكية الا على زردنا والاثارب . وكل ما اكتسبوه هو تخفيف الضغط الفرنجي عن حلب(١٨٧) . وتولى بولدوين الثانى الوصاية على امارة انطاكية لمدة سبع سنوات قام خلالها بمحاربة المسلمين وصدهم حفاظا على الامارة ، وادى دوره خير اداء حتى حضر بوهيمند الثانى ابن بوهيمند الاول ليتولى أمور الامارة كميراث شرعى له(١٨٨) .

بموت روجر الانطاكى وتولى بوهيمند الثانى حكم انطاكية،تبدأ في تاريخ الامارة الصليبية فترة جديدة ومغايرة فقد انتهى عصر القوة في تاريخ الامارة الذى بدأ منذ نشاتها في عهد بوهيمند الاول ، ونموها واستقرارها في عهد تنكريد ، وانتهى بوصول حدودها الى اقصى اتساع

---

(١٨٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، ابن العديم: زبدة الحلب ، جـ٢ ، ص ١٨٧ — ١٨٩ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٣٤ ، أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ٤٠ . راجع أيضا :
Walter the Cancellor, pp. 101-113, Albert d'Aix, 683; William of Tyre, Vol. 1, p. 530; Ordric Vitalis, Vol. 5; P. 107 CF. also; Smail, Crusading Warfare, p. 29; Cahen, p. 287.

(١٨٦) Michel Le Syrien, t. 3, pp. 207-210. CF. also, Rey (E.G.), Les Dignitaires de la Principeaute d'Antioche in R.O.L.; Vol. 6, Paris 1900-1901, p. 130; Hamilton, p. 22.

(١٨٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ .

(١٨٨) عن اعمال بولدوين الثانى ضد المسلمين خلال هذه الفترة انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٩٣ — ١٩٦ ، ٢٠٤ — ٢٠٥ ، ٢١٢ — ٢١٨ ، ٢٣١ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ — ٢٠٢ ، ابن منقذ : كتاب لاعتبار ، ١٣١ .
راجع أيضا :
Walter the Concellor, pp. 113, 131; Matthew of Edessa, 127-128, 132-135, 142; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 205; William of Tyre, Vol. 1, pp. 538-541, Vol. 2, p. 24.

لها فى عهد روجر - كما تفقد الامارة صبغتها النورماندية(١٨٩) لتكتسب صبغتها الفرنسية(١٩٠) • واهم ما يميز فترة حكم بوهيمند الثانى ـ وان كانت قصيرة الامد ـ انها واكبت بدايات الوحدة الاسلامية الكبرى فى الشرق الادنى الاسلامى على يد عماد الدين زنكى ، تلك الوحدة التى خلقت فترة « توازن القوى » بين المسلمين والفرنج ، ان لم تكن قد مالت بميزان القوى لصالح المسلمين(١٩١) • وقد نضجت تلك الوحدة فى عهد نور الدين محمود بن زنكى ، ليبدأ المد الاسلامى فى المنطقة ، وليتحسر الوجود الصليبى فى الشام باكتمال وحدة المسلمين فى عصر صلاح الدين الايوبى(١٩٢) وهذا ما سوف يتضح اكثر واكثر فيما بعد • وعلى اية حال ، وبالرغم من ذلك فقد استهل بوهيمند الثانى عهده استهلالا ناجحا ، اثبت فيه تحمسه للهدف الصليبى فكان « بلية على المسلمين »(١٩٣) • فقد اتجه جنوبا واستولى على كفر طاب بمساعدة الجنوية(١٩٤) ثم قام بالاغارة على شيزر(١٩٥) • وهكذا اظهر بوهيمند الثانى حماسة كبيرة فى الحرب ضد المسلمين • ولو توحدت قوى الفرنج فى ذلك الوقت الى جانب هذه الحماسة لكان من الممكن ان يحققوا مكاسب كبيرة على حساب المسلمين خاصة ان القوى الاسلامية كانت متفرقة وقتها ، واكثر من ذلك فقد اظهرت جهود كل من مودود والبرسقى كيف ان اى اتحاد بين ماردين وحلب والموصل وحلب ، يمثل خطرا كبيرا على الوجود الصليبى • الا ان الفرنج لم يدركوا هذه الحقيقة • وفشلوا فى ذلك تماما ، خاصة بعد ان اندلع الصراع بين بوهيمند الثانى وجوسلين كونت الرها ، وحقد كل منهما على الآخر لاسباب كثيرة(١٩٦) • وهكذا أضاع أفرنج

(١٨٩) Haskins (C.H.) The Normans in European History, Cambridge 1915, pp. 15-16.

(١٩٠) Mayer (H.E.), The Cru·ades, Trans. by J. Gillingham, Oxford. 1972, p. 79.

(١٩١) Oman, Vol. 1, p. 260.

(١٩٢) جوزيف نسيم يوسف : الوحدة وحركات اليقظة العربية ، ص٧٢، ٧٨ •

(١٩٣) أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، ١٢١

(١٩٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٢٦٧ ، راجع أيضا :
Rohricht, op. cit; p. 29; William of Tyre, Vol. 2, p. 34.

(١٩٥) ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ •

(١٩٦) William of Tyre, Vol. 2, pp. 34-35; Michel Le Syrien, t. 3, p. 224.

شمال الشام فرصة لا تعوض . ففى هذا الوقت بالذات حظى المسلمون ببطل جديد ، بالغ القوة والحماسة، الا وهو عماد الدين زنكى الذى عينه السلطان السلجوقى حاكما على الموصل فاستولى زنكى على معاقل الاراتقة وعلى حلب ، التى اقلع بوهيمند الثانى وجوسلين عن حصارها بسبب خلافاتهم فى خريف ١١٢٢م/٥٢١هـ(١٩٧) ، والتى قدر لها أن تكون نقطة انطلاق زنكى حتى جنوب الشام ، ومركز قوة المسلمين التى قضمت أطراف الممتلكات الصليبية فى شماله(١٩٨) . وبعد ان ضاعت فرصة الاستيلاء على حلب ، توجه بوهيمند الى الجنوب من اماراته حيث استولى على حصن القدموس من الباطنية(١٩٩) . ثم قام بالاغارة على شيزر فى طريق عودته الى انطاكية ، وذلك قبل اشتراكه مع ملك بيت المقدس فى حملة الاخير ضد دمشق(٢٠٠) . ثم فكر بوهيمند الثانى أن يدعم سلطة انطاكية شمالا فى اقليم قيليقية وجعلها كما كان يهدف كل من بوهيمند وتنكريد ، عائقا أمام تقدم البيزنطيين الذين ربما يعاودون محاولة استرداد انطاكية وهى الشغل الشاغل لهم منذ بداية الحركة الصليبية(٢٠١) . الا أن هذا التفكير قاد بوهيمند الثانى الى حتفه ، حيث باغته الامير غازى بن الدانشمند ، الذى كان فى طريقه لتحقيق نفس الهدف،عند عين زربة وقضى عليه وعلى قواته،وذلك فى فبراير١١٣٠م/ ربيع أول ٥٢٤هـ(٢٠١) . ولا شك أن موت بوهيمند كان خسارة كبيرة

---

(١٩٧) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١٦ ــ ٢٧١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٧١ ــ ٢٧٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٢٥ ــ ٢٨ ، ٢٨ ــ ٤٠ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ٣ ص٢٣٨ ــ ٢٣٩ .

(١٩٨) Mayer, the Crusades, p. 84.

(١٩٩) « القدموس » قلعة بالقرب من منطقة الخوابى شمالى طرابلس- انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٨١ ، القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ١٤٧ .

(٢٠٠) ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، وعن حملة بولدوين الثانى على دمشق انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢١٨ ــ ٢٢٥ ، ابن الاثير : الكامل جـ ١٠ ، ص ٢٧٨ ــ ٢٨٠. انظر ايضا :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 40-43.

(٢٠١) Rey : Histoire des Princes d'Antioche, p. 356.

(٢٠٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٣ ، ابن العديم : =

للفرنج فى شمال الشام(٢٠٣) . كما أدى موته الى اضطراب الاحـوال فى انطاكيـة(٢٠٤) ، الامر الذى مكن زنكى من اقتطاع بعض أملاكهـا الشرقية(٢٠٥) . كما انتهز ليو زعيم الارمن فى سيس فرصة موت بولدوين الثانى وجوسلين كونت الرها المدافعين عن انطاكية(٢٠٦) ، واستولى على أملاك انطاكية فى قيليقية فى ١١٣١م/٥٢٦هـ(٢٠٧) . كما انتهـز نفس الفرصـة كل من سيف الدين بن عمرون صـاحب حصن الكهف ، والتركمان واستولوا على بعض معاقل انطاكية فى الجنوب . وهكذا فقدت انطاكية ميزتها بضياع ممتلكاتها البعيدة فى الشمال وفى الجنوب(٢٠٨) . وفى غمرة هذه الاحداث افتقرت انطاكية الى الامير الذى يدافع عنها ، الا أن ذلك دفع فولك الانجوى ملك بيت المقدس الى اظهار حماسته للدفاع

= زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ ، راجع أيضا :
Michel Le Syrien, t. 3, p. 227; Chron. Anon., p. 99;

(٢٠٣) William of Tyre, Vol. 2, p. 43.

(٢٠٤) مات بوهيمند الثانى دون أن يترك وريثا للعرش بل ترك طفلة تدعى كونستانس لم تبلغ الثانية من عمرها . وحاولت أرملته اليس أن تستقل بحكم انطـاكية وأرسلت الى عماد الدين زنكى ليساعدها على ذلك على أن تكون تابعة له لولا تدخل والدها ملك بيت المقدس . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 44-45; Michel Le Syrien, t. 3 p. 230.

(٢٠٥) استولى زنكى فى هذه الفـترة على معرة مصرين وهاجم ربض الاثارب وخربه ، كما حاصر حارم وصالحه أهلهـا على نصف دخلها . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ ، ابن واصل : مفـرج الكروب ، جـ ١ ص ٤٢ ـ ٤٣ ، راجع أيضا :
Michel Le Syrien, t. 3, p. 230.

(٢٠٦) مات بولدوين الثانى فى أغسطس ١١٣١م/شوال ٥٢٦هـ ، ومات جوسلين فى سبتمبر/ذى‌القعدة من نفس السنة . انظـــر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٢٣ .
راجع أيضا :
Willim of Tyre Vol. 2, p. 95-46; Chron-Anon. pp. 99-100.

(٢٠٧) Gregory the Priest, Continuation of Metthew of Edessa's Chronicle, in R.H.C-Doc-Arm., Vol. 1, p. 152; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 230-23; Sempad Le connetable, Chronique, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol 1, p. 615.

(٢٠٧) Runciman, Vol. 2, p. 200.

عنها وعن الوجود الصليبى فى شمال الشام ، وهى السمة التى تميز بها ملوك بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى . فكان على فولك أن يقوم بالدور الذى قام به من قبل بولدوين الثانى . فتصدى لمحاولة الاميرة اليس للاستقلال بامارة انطاكية(٢٠٩) كما كان على فولك أيضـــا أن يتصدى لهجمات الاتراك المتتابعة على انطاكية(٢١٠) . الا أن الخطر أحدق بانطاكية عندما هاجمها عماد الدين زنكى نفسه فى١١٣٥م/٥٢٩هـ ، حيث استولى على أقرب معاقلها الشرقية الى حلب(٢١١) ، مما دفع ملك بيت المقدس الى الاستجابة لطلب نبلاء انطاكية فى اختيار زوج للاميرة كونستانس ليقوم باعباء الامارة(٢١٢) ، فوقع اختياره على ريمـــوند بواتيه(٢١٣) .

---

(٢٠٩) اجتذبت اليس ، التى عادت الى انطاكية من منفاها فى اللاذقية ، كلا من بونزكونت طرابلس وحكام القلاع الجنوبيـــة للامارة فى زردنا وصهيون الى صفها ضد الملك فولك للاســتقلال بحـــكم انطاكية ، وقامت نزاعات بين الطرفين،وذلك فى ١٢٣١م/٥٢٧هـ. ثم عادت اليس ووحدت جهودها مع البطريرك اللاتينى الجديد لانطاكية رادولف الذى خلف برنارد الذى مات فى ١١٣٥م/٥٢٩هـ، وأرسلت الى الامبراطور البيزنطى يحنا كومنين بشان زواج ابنتها كونستانس من ابنه مانويل.كل ذلك لتحصل على الحماية البيزنطية ضد الملك فولك ونبلاء انطـــاكية الذين كرهوا تصرفات أرملة بوهيمند الثانى . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 53-54, 60-61, 78; Cinamus (John), Epitome Historiarum, in C.S. H.B., Bonne, 1836, p. 17, CF. also, Rey, Dignitaires, p. 193; Mas Latrie, Les Patriarches Latins D'Antioche, in R.O.L., Vol. 2, Paris, 1894, p. 143.

(٢١٠) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ ـ ١٤١ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٢١١) أهمها حصن الاثارب حيث كان من به من الفرنج « يقاســمون أهل حلب على جميع اعمالها » انظر : ابن الاثير : الــكامل ، ج ١٠ ،ص ٢٨٢ .

(٢١٢) William of Tyre, Vol. 2, p. 59.

(٢١٣) وهو الابن الاصغر لوليم التاسع دوق اكويتانيا والمقيم فى بلاط هنرى الاول ملك انجلـــترا . وقد حضر سرا الى انطاكيـــة بمساعدة الاسبتارية حيث تزوج من كونستانس دون علم أليس التى عاشت بقية حياتها فى اللاذقية.وكان وصوله الى انطاكية =

وكانت لحظة وصول ريموند الى انطاكية لحظة خطيرة ، فقد وصل فى وقت كان فيه كل من زنكى وحنا كومنين قد انطلق لتحقيق طموحاته فى الشام(٢١٤) . وكان كل ما تحتاجه امارة انطاكية بالفعل ، هو حسن سياسة ريموند ، فى ذلك الوقت الذى فقدت فيه معاقلها على الحدود الشمالية والجنوبية ، وكان على ريموند ان يضطلع بمهمة المحافظة على كيان الامارة الصليبية فى اشد الاوقات حرجا . ففى الوقت الذى وصل فيه ريموند الى انطاكية كان سوار نائب زنكى فى حلب قد اغار على اراضيها فى ابريل ١١٣٦م/رجب ٥٣٠هـ حتى بلغ اللاذقية ، « وامتلأت حلب من الاسارى والدواب ... »(٢١٥) . وقبل التصدى للمسلمين ، رأى ريموند ان يسترد ممتلكات امارته من الارمن فى قيليقية ، وبذلك يكون قد حقق هدفين فى وقت واحد ، الاول وهو تامين حدوده الشمالية ، خاصة بعد تواتر الانباء عن حملة الامبراطور البيزنطى(٢١٦) ، وبذلك يكون قد حقق هدفه الثانى ايضا وهو تامين ظهره قبل مواجهة مسلمى حلب(٢١٧) . وباقتراب الامبراطور ، كان على ريموند أن لا يبرح انطاكية ، الا انه اضطر الى ترك امارته معرضة للخطر البيزنطى ، وذلك لنجدة ملك بيت المقدس الذى يحاصره زنكى فى قلعة بعرين(٢١٨) .وعاد ريموند الى انطاكية متسللا اثناء حصار الامبراطور لها ، ليرسل الى الاخير رسالة يعترف له فيها بالسيادة ، خاصة بعد أن تلقى استشارة ملك بيت المقدس الذى لم ينكر حق البيزنطيين فى انطاكية(٢١٩) . كما

= فى ابريل ١١٣٦م/رجب ٥٣٠هـ . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 59-60, 78-79. CF. also., Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 359.

(٢١٤) Cahen, p. 357.

(٢١٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ١٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ — ٢٦١

(٢١٦) Nicetas Coniates, Historia, in C.S.H.B, Bonne 1835, pp. 27-35; Cinanus, pp. 14-18.

(٢١٧) Runciman, Vol. 2, p. 201.

(٢١٨) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٥٩ ، راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 85-87, 90-91;

(٢١٩) ارسل فولك الى ريموند بان مطالب الامبراطور صحيحة « حسب الاتفاقيات التى عقدها اسلافنا » انظر :
Vitalis, Vol. 5, pp. 506-508. CF. also, Runciman, The Visit of =

تعهد بترك انطاكية للامبراطور الذى وعده بتعويضه عنها بكل من حلب وشيزر وحمص وحماة اذا ما تمكن من الاستيلاء عليها جميعا(٢٢٠) . وفى الواقع لم تكن هذه الاتفاقية سوى مشروعا بيزنطيا صليبيا ضد مسلمى الشام ، الذى لم ينجم عنه سوى استرداد ريموند لبعض معـاقل امارته الشرقية ، وحصار حلب دون جدوى وكذلك محاصرة زنكى فى شيزر دون طائل(٢٢١) . وهكذا فشل الحلف الصليبى البيزنطى فى الاستيلاء على اى من المدن الاسلامية التى هدف اليهـــا . ويرجع ذلك الى عدم توفر حسن النية بين كل من الفرنج والبيزنطيين(٢٢٢) . هذا الى جانب جهود زنكى فى تفرقة صفوف أعدائه(٢٢٣) الذين انتهز فرصـة انسحابهم عن اقليم شيزر واسترد كل ما كانوا قد استولوا عليـــه من قبـــل شرقى انطاكية(٢٢٤) . بينما لم تنقطع غارات ســوار نائبـــه فى حلب على انطاكية ، وتبادل الطرفان الظفر والخسارة(٢٢٥) .و بذل ريموند كل جهده للحفاظ على بقايا امارته فى وقت تغيرت فيه الظروف فى الشـــام بازدياد قوة زنكى ، وسيطرة البيزنطيين على آسـيا الصغرى . الا انه برحيل الامبراطور البيزنطى ، استطاع التحرك ، فكان له الفضـــل فى

= king Amalric I to constantinople in 1171, in Outremer, p. 155.

(٢٢٠) Nicetas, pp. 36-37; Cinamus, pp. 18-19; William of Tyre, p. 93.

(٢٢١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٦ ، ابن القلانسى:ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٦٤ ، ابن منقذ : كتـــاب الاعتبار ، ص ١١٣ ، ابو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٨ . راجع أيضا :
Cinamus, pp. 19-20.

(٢٢٢) خشى ريموند من نجاح الامبراطور فى الاستيلاء على شيزر التى سيبقى ريموند فيها بالقرب من خطـــر المسلمين ، وعز على جوسلين استقرار ريموند فى حلب وشيزر . لذا لم يجد كل منهما فى مساعدة الامبراطور . انظر :
Runciman, History of the crusades, vol. 2, p. 216.

(٢٢٣) راسل زنكى كلا من الامبراطور والفرنج يخوف كل منهما من الآخر . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠٦ .

(٢٢٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ ، ابن واصـــل ، مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ٨٣ . راجع أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٥٧٤ .

(٢٢٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ .

استيلاء الصليبيين على بانياس فى مايو ١١٤٠م/رمضان ٥٣٤هـ ، والتصدى لحركة زنكى لضم دمشق الى ممتلكاته (٢٢٦) . كل ذلك جعل زنكى يرحل الى الشرق حيث بقى هناك أربع سنوات اقتصر اهتمامه فيها بالموصل التى توسع فيها بفتوحاته على حدود العراق وكردستان وديار بكر (٢٢٧) . وفى خلال فترة غيابه اقتصرت العلاقات بين حلب وانطاكية على غارات مفاجئة لم تغير شيئا من حالة الحدود الموجودة فى عام ١١٣٨م/٥٣٣هـ (٢٢٨) . وفى ١١٤٢م/٥٣٧هـ ، عجل ريموند بغزو مدن قيليقية بعد موت الامبراطور حنا كومنين فى نفس السنة (٢٢٩) . الا أن ذلك وتر العلاقات بين الفرنج والامبراطور الجديد مانويل كومنين ، الذى استرد ما استولى عليه ريموند (٢٣٠) . واستغل زنكى سوء العلاقات هذه ، وكذلك سوء العلاقات بين ريموند وجوسلين الثانى ، واستولى على الرها فى ديسمبر ١١٤٤م/جمادى الاخرة ٥٣٩هـ (٢٣١) . وهكذا بعد أن ساهم ريموند فى استيلاء الفرنج على بانياس ، نجده يتحمل وزر سقوط أول امارة لاتينية قامت فى الشرق الاسلامى (٢٣٢) . ثم استغل ريموند فرصة اضطراب احوال المسلمين بموت زنكى وانشغال نور الدين بترتيب أموره

---

(٢٢٦) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٧١ — ٢٧٣ ، ابن منقذ : كتاب الاعتبار ، ص ١٣٩ ، راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 107-111.

(٢٢٧) ابن الاثير : الكامل : جـ ١١ ، ص ٣٤ — ٣٥ ، ٤٠ — ٤٢ .

(٢٢٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦ .

(٢٢٩) مات حنا كومنين فى ابريل ١١٤٣م/شوال ٥٣٧هـ . انظر :
Nicetas, pp. 56-81; Cinamus, p. 29.

(٢٣٠) Cinamus, pp. 33-34.

(٢٣١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ — ٢٨٠ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ . راجع أيضا :
Michael Le Syrien, t. 3, pp. 259-263; Nerses Shnorhali, Elegie sur la prise D'Edessa, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1, pp. 227 ff; Chron-Anon. Syr. pp. 281-286; William of Tyre, Vol. 2, pp. 140 ffff.

(٢٣٢) Nerses Shnorhali, p. 252.

فى العراق وحلب(٢٣٣) ، وهاجم ريموند حلب حتى أسوارها(٢٣٤) . الا ان نور الدين قام بحملة انتقامية استولى فيها على كل أملاك انطاكية الواقعة شرقى نهر العاصى ، وذلك فى ١١٤٧م/٥٤٢هـ(٢٣٥) . وهكذا اظهر نور الدين محمود أنه لا يقل عن ابيه قوة وعزما ، من شأنهما ان يجعلاه أخطر أعداء الصليبيين بعامة ، وانطاكية بخاصة ، والتى حاول اميرها ريموند استغلال وجود الحملة الصليبية الثانيـــة التى استمدت قوتها الدافعة مثل الحملة الاولى من الشرق(٢٣٦) للهجـوم على حلب وشيزر لكى يخفف الضغط الاسلامى على الجزء الشـمالى من الامارات اللاتينية ، الا انه فشل فى ذلك بالرغم من الحفاوة البالغة التى استقبل

---

(٢٣٣) مات زنكى فى سبتمبر ١١٤٦م/ربيع ثان ٥٤١هـ . انظـــر ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشـق ، ص ٢٨٤ — ٢٨٨ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٥١ — ٥٢ .

(٢٣٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ .

(٢٣٥) استولى على ارتاح وكفر لاثاوبسرفوت والبلاط . انظر ابن الاثير: الكامل ، جـ ١١ ، ص ٥٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ .

(٢٣٦) فى ١١٤٥م/٥٤٠هـ نشر الحجاج العائدون الى أوربا من الاراضى المقدسة الاخبار الحزينة لسقوط الرها . وقد ســـمع المؤرخ أوتو الفريزى أسقف جبلة وهو ينتحب أمام البابا أيوجينس الثالث على أحوال كنيسة الشرق بعد سقوط الرها . كمـا زود أساقفة ارمينيا الذين جاءوا الى البابا بشأن توحيد كنيستهم مع كنيسة روما ، زودوه بمعلومات عن أحوال الشرق اللاتينى بما دفعه الى اصدار مرسوم يعلن فيه قيام الحمـــلة الصليبية الثانية . انظـــر :

Otto, Bishop of Freisigen. Chronica, (ed. Hofmeister), M.G.H. Ss.. in Usum Schalarum, 1912, pp. 363-365.

ومن المعروف أن الحملة الثانية قامت تحت قيادة أكبر عاملين فى أوربا فى ذلك الوقت وهمـا لويس التاسـع ، ملك فرنسـا (١١٣٧ — ١١٨٠م) وكونراد الثالث امبراطور المانيا (١١٣٨ — ١١٥٢م) ، بعد أن راسلهما البابا ايوجينوس الثالث بشـأن الحملة . انظر :

Jaffé, (Philipp) and Samuel Löwenfeld (eds.), Regesta Pontificum Romanorum, 2 Vols. liepzig, 1885-1888, Vol-2, no. 8796.

بها لويس السابع وقواته فى انطاكية(٢٣٧) . كما فشل فى ذلك أيضـــا ريموند الثانى كونت طرابلس وجوسلين كونت الرها(٢٣٨) . وتوجه لويس السابع الى بيت المقدس حيث قام بحملة مع كونراد وملك بيت المقدس ضد دمشق ، فى ٢٤ يوليو ١١٤٨م/٥ ربيع أول ٥٤٣هـ ، انتهت بالفشل التام(٢٣٩) وهكذا احتلت الحملة الثانية مكانا ضئيلا فى تاريخ الحروب الصليبية ، وربما كان النقاش حول أسباب فشلها هو الذى جعلها تحتل مكانا اكبر فى حوليات المؤرخين . وكانت أسباب فشلها خطـــيرة بالنسبة للفرنج . فهى لم تفشل فقط فى استرداد الرها ، ولكنها تسببت فى ميل ميزان القوى ، الذى كان متوازنا لفترة الخمسين عاما الماضية بين المسلمين والفرنج ، لصالح المسلمين . والقى الهجوم الذى قدرت حساباته خطئا ضد دمشق — الحليف الوحيد من بين المدن الاسلامية للفـــرنج — القى بها فى ايدى نور الدين محمود ، الذى دعم مركزه من العراق عبر الشام الى الحدود الشمالية لمملكة بيت المقدس الصليبية(٢٤٠) . وبدأ ضغطه على الفـــرنج عامة ، وكانت أولى الامارات الصليبية واكثرها

---

(٢٣٧) وصل لويس الى انطاكية فى ١٩ مارس ١١٤٨م/٢٧ شوال ٥٤٢هـ بعد رحلة شاقة فى آسيا الصغرى . ويبدو أن بيت المقدس كانت أكثر جاذبيـة للملك ورجاله من تنفيـذ رغبـــات ريموند . الى جانب غضبه من ميل زوجته اليانور الى خالها أمير انطاكية . انظر :

Odo of Deuil, De profectione Ludvici VII in Orientem, trans. by V.G. Berry, New York, 1948, pp. 140-143; William of Tyre, Vol. 2, pp. 180-182.

(٢٣٨) كان جوسلين يأمل فى استرداد الرها ، وريمونة الثانى فى استرداد بعرين التى استولى المسلمون عليها من قبل . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 183.

(٢٣٩) انتهى راى المؤرخين الى أن فشلت الحمـلة الثانيـة يرجع الى المصالح المتضـاربة بين الصليبيين والقيـــادة المنقسمة ، ونقص المعلومات عن البلاد الاسلامية . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 194-195; Michel Le Syrien, t. 3, p. 276. CF. also, King (E.J.) The knights Hospitalers in the Holy Land, London 1931, p. 47; Constable (G.), The second Crusade as seen by contemporaries, in Traditio, Vol. IX, 1953. pp. 266 ff.

(٢٤٠) Prawer (J.), The latin kingdom of Jerasalem, p. 25.

تعرضا لهجماته هي امارة انطاكية . واذ استشعر ريموند ذلك فقد بادر بمهاجمة نور الدين محمود بمساعدة على بن وفا الكردى واتبـــاعه من الباطنية ، الذين حقدوا على نور الدين لابطـاله شـعائرهم فى حلب . واستطاع ريموند اجبار نور الدين على التقهقر الى أفامية ثم الى حلب وذلك فى نوفمبر ١١٤٨م/رجب ٥٤٢هـ ، الا أن هذا النصر لم ينتج عنه أى استرداد للاراضى الانطاكية المفقودة(٢٤١) . بل انه دفع نور الدين الى أن يوجه جهوده مرة أخرى ضـد انطاكية . ولما خرج ريموند لملاقاته ، ونتيجة لنفس السبب الذى وقع فيه روجر الانطـــاكى من قبل ، عرض ريموند قواته للهجوم الاسلامى المفاجىء ، وانتهى الامر بكارثة لانطاكية فقد تمكن المسلمين من ابادة غالبية جيش ريموند واسروا الباقين ، وكان من بين القتلى رينو حاكم مرعش وعلى بن وفا وريموند نفسه ، وذلك عند انب الواقعة شرقى نهـر العـاصى فى ٢٩ يونيو ١١٤٩م/٢١ صفر ٥٥٤هـ(٢٤٢) . وكانت نتائج موقعة انب خطيرة بالنسبة للفرنج فى شمال الشام بصفته عامة ولامارةانطاكية بصفة خاصة .فعلى الفور أوغل نورالدين فى اراضيها حتى وصـل الى مينـاء السويدية(٢٤٣) . وهذا فى الوقت الذى وقع فيه جوسـلين فى الاسر ، وبادر كل من نور الدين محمـــود ومسعود سلطان قونية بالاستيلاء على بقـايا امارة الرها(٢٤٤) . ولم ينقذ انطاكية الا جهود البطريرك ايمرى دى ليموج الذى عقد هدنة مع

---

(٢٤١) ابن منكلى (محمـد) : كتـــاب الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر (مخطوط تصوير شمسى) ، لوحة ٥٢ ، ٥٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٢٤٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ابن منكلى ، كتاب الاحكام الملوكية (مخطوط تصوير شمسى) اللوحة ٥٣ ، بدر الدين الدمشقى : الدر الثمين فى سيرة الدين (مخطوط) ورقة ٥٧ ، ابن العـــديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، انظر أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 196-198; Gregory The Priest, p.161. CF. also, Smail, Op. Cit., p. 33.

(٢٤٣) ابن العـديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٥ . راجع أيضا : William of Tyre, Op. Vol. 2, p. 199.

(٢٤٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣١٠ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٧١ ، انظر أيضا : Chron-Anon., pp. 300-301.

نور الدين على أن يطمع انطاكية ، اذا لم يأت بولدوين الثالث ملك بيت المقدس الذى استدعاه البطريرك لاستلام المدينة (٢٤٥) والذى استطاع دخولها مع الداوية ، وعقـــد هدنة مع نور الدين محمـــود . واستتبت الامور فى انطاكية (٢٤٦) التى فقدت جيشها ، ولم تتعد حدودها سهل انطـاكية وساحل البحر من الاسكندرونة الى اللاذقية (٢٤٧) . لذلك لم يشأ ملك بيت المقدس أن يغادر انطاكية الا بعد أن يطمئن على امورها (٢٤٨) ، فبادر بتدبير زواج الاميرة كونستانس التى رفضت كل من رشح للزواج منها (٢٤٩) لانها كانت قد قررت الزواج من رينودى شـــاتيون ، ذلك الفارس العـــادى الذى فضلته على كل نبلاء الشرق الفــرنجى (٢٥٠) ، والذى تم زواجه منها قبل مايو ١١٥٣م/ربيــع أول ٥٤٨هـ وبذلك أصبح رينو أميرا على انطاكية (٢٥١) .

ولقد واكب عهـد رينو دى شاتيون فى انطـاكية فترة جديدة من تاريخ الامارة الصليبية تميزت بالضعف من جانب الصليبيين ، فى الوقت الذى كانت تظهر فيه بوادر الوحدة القوية من جانب المســلمين ، ولم يحفظ الشرق اللاتينى سوى الحماية البيزنطية . وحقيقة قد تميز عهـد

---

(٢٤٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ : انظر أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 200.

(٢٤٦) Addison (C.H.G.) The knights Templars, London 1842, pp. 43.

(٢٤٧) انظر خريطة رقم (١) . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 199. CF. also. Cahen, op. Cit, p. 384.

(٢٤٨) Mayer (H.E.), Studies in the History of Qeen Melisende, in D.O.P., Vol. 26, pp. 128-129.

(٢٤٩) رشح الملك للاميرة ثلاثة رجال من أوربا كما رشح لها الامبراطور مانويل كومنين زوج أخته المتوفاة . ورفضت الجميع . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, p. 233; Cinamus, p. 178.

(٢٥٠) عن أصل رينو دى شاتيون الذى سماه المؤرخون العرب ارناط ، انظـــر :
Hamilton (B.), The Elephant of Christ, Regnald of Chatillon, in S.C.H. Vol. 15, London, 1978, p. 98,

(٢٥١) اقر رينو للبنادقة امتيازاتهم السابقة فى انطاكية بصفته أميرا لهــا فى مايو ١١٥٣م/ربيع أول ٥٤٨هـ . انظر :
Röhricht, Regesta, p. 72.

رينو في انطاكية بالجراة والاقدام ، ولكنه لم يكن الرجل المناسب للامارة ، ولم يكن هذا ذنبه ، فقد بدد كل طاقاته في القيام باعمال ابعد ما تكون عن الصواب . وقد تمثل ذلك في مواجهـــة نور الدين محمود ، تلك المواجهةالتيكانت تتطلب من رينو آن يركز كل جهودهلزحزحة نورالدين الدين عن المناطق التي استولى عليها من املاك انطاكية بعد موقعـــة انب(٢٥٢) . الا آن رينو اخذ يورط نفسه تباعا في اعمـــال اخرى غير مواجهة نور الدين الامر الذي جعل الفرنج لا يذكرون له الا عيـــوبه واخطاءه ، وهي اغارته على جزيرة قبرص البيزنطية المسيحية(٢٥٣) ، وتنكيله بايمرى دى ليموج بطريرك انطاكية اللاتيني(٢٥٤) . واذا كان رينو قد اشتهر بتهوره واندفاعه الا أننا تلمس له العذر في الحـــادثتين الاخيرتين(٢٥٥) ومهما يكن من آمر ، فاذا كان رينو قد تجنب مواجهـــة نور الدين فانه لم يكن بوسع أي من الحكام الصليبيين ان يقدم على ذلك . فلمتيلاء بولدوين الثـــالث على عســـقلان من الفاطميين في ١١٥٣م/ ٥٤٧هـ(٢٥٦) ، دفع نور الدين الى الاســـتيلاء على دمشق في ١١٥٤م/ ٥٤٩هـ(٢٥٧) . وهذا خلق حالة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين في الشام . بل ان خطر نور الدين الذي كان يهدد انطاكية لصبح يهـــدد كل املاك الفرنج الواقعة تحت أمرة زعامات مختلفة(٢٥٨) . وتجلى

---

(٢٥٢) Stevenson, p. 175.

(٢٥٣) William of Tyre, Vol. 2, pp. 253-254; Sempad, p. 621; Michel Le Syrien, t. 3, p. 315; Cinamus, pp. 197-198.
راجع أيضا : سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١١٥٧ ، ص ١٢ .

(٢٥٤) Hamilton (B.), The Elephant of Christ, p. 98.

(٢٥٥) لم يكن الدافع وراء تصرفات رينو الا حاجتـه الى المال وليس تهوره كما يرى الكثير من المؤرخين . انظر : حسين عطية : امارة انطاكية الصليبية ، ص ٢٤٥ ، ملحق رقم (٤) .

(٢٥٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣١٨ - ٣٢١ ، ابو شامة الروضتين ، جـ ١ ، ص ٨٩ - ٩٠ ، سبط بن الجوزي : مرآة الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٠ - ١٣١ .

(٢٥٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٢٦ ، وما بعدها ، ابن الوردي تتمة المختصر في أخبار البشر ، جزءان ، تحقيق أحمد رفعت ، بيروت ١٩٧٠م ، جـ ٢ ص ٨٧ .

(٢٥٨) Cahen, p. 394.

هذا الاختلاف فى ١١٥٧م/٥٥٢هـ حين تضاربت مصالح الفرنج الشخصية وفشلوا فى الاستيلاء على شيزر(٢٥٩) ، بالرغم من نجاحهم فى الاستيلاء على حارم فى فبراير ١١٥٨م/محرم ٥٥٣هـ(٢٦٠) ،ولاشك أن استرداد رينو لحارم قد ضمن أمن وسلامة انطاكية(٢٦١) . ولم يشغل نور الدين عن انطاكية فى تلك الفترة سوى سقوطه مريضا مرة أخرى ، وتمرد أخيه نصرة الدين ، وتواتر الانباء عن اقتراب الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين الذى كان لحضوره الى الشام عدة نتائج بالغة الاهمية ، وان لم تكن مرضية بالنسبة للفرنج(٢٦٢) . فقد تم تأديب أمير انطاكية على تصرفاته ضد أملاك بيزنطة ، وتم اعترافه بالسيادة البيزنطية على انطاكية(٢٦٣) . وخابت آمال ملك بيت المقدس فى عقد تحالف مع الامبراطور ضد نور الدين محمود الذى عقد معه مانويل هدنة(٢٦٤) . وكانت آخر نتائج حملة مانويل هى وقوع بلاد الشام بأكملها لفترة تقدر بعشرين عاما تحت تأثيرالسياسة البيزنطية(٢٦٥) . وبهدنة نور الدين مع مانويل سادت فترة هدوء نسبى بين المسلمين والصليبيين كانت كل الاعتداءات فيها من جانب الفرنج(٢٦٦) ، الا أنها افقدتهم أميرى الرها

---

(٢٥٩) ابن القلانسى : المصدر السابق : ص ٣٤٩ . راجع أيضا :
Chron. Anon. Syr., p. 302, William of Tyre, Vol. 2, pp. 266-268

(٢٦٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٩٢ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٧٢ - ١٢٨ .

(٢٦١) Cahen, p. 398.

(٢٦٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٥٦ ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ، ص ١٢٢ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٩٥ .

(٢٦٣) William of Tyre, Vol. 2, pp. 276-277; Cinamus, pp. 181-185; Gregory The Priest, p. 188; Vahram Rabuni, Chronique, in R.H.C.Doc. Arm., Vol. 1, p. 505 CF. Also; La Mont (J.L.) to what extent was the Byzantine Empire the suzerain of the Latin crusading states, in B., Vol. Vii, 1932, p. 253.

(٢٦٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣٥٧ ؛ أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٢٣ . راجع أيضا :
Cinamus, pp. 188-190.

(٢٦٥) Cahen, p. 402.

(٢٦٦) Stevenson, p. 182.

وأنطاكية ، وأكدت النفوذ البيزنطى فى شمال الشام • ففى يوليو ١١٦٠م/ رجب ٥٥٥هـ وقع جوسلين الثالث حاكم حارم أسيرا فى قبضة المسلمين اثناء اغارته على حلب(٢٦٧) • وفى نهاية نفس العام وقع رينو أسيرا أثنـاء عودته من اقليم الرها بعد اغارته هنـاك ، ليبقى فى اسر مجـد الدين ابن الداوية نائب نور الدين فى حلب حتى ١١٧٦م/٥٧٢هـ(٢٦٨) •

وفى ١١٦٢م/٥٥٨هـ بلغ بوهيمند الثالث ـ ابن ريموند بواتيسـه ـ الثامنة عشرة من عمره ، وهى السن التى كان يحق له فيها ن يباشر أمور أنطاكية(٢٦٩) • وبدأ هذا الامير عهده بالاشتراك فى العمل ضد نور الدين محمود الذى انتهز فرصة زحف عمورى الاول ملك بيت المقدس الجديد على مصر(٢٧٠) ، وقام بالهجوم على طرابلس ، حيث استطاع الفرنج الانتصار عليه ، وقتل وأسر عدد كبير من قواته بالقرب من حصن الاكراد ، وأفلت نور الدين باعجوبة(٢٧١) • واذا كان بوهمند الثالث قد بدأ اعماله ضد المسلمين بالاشتراك مع الفرنج فى تحقيق انتصار واضح على نور الدين محمود ، فان السـنوات الاولى من حكمه لم تكن كلهـا طيبة بالنسبة له ، اذ أصبحت امارة انطـاكية ضحية السياسة الخارجيـة لمملكة بيت المقدس • فقد تركزت سياسة عمورى الاول فى العمل على الاستيلاء على مصر التى اضطربت أحوالها السياسية(٢٧٢) وهى الغنية بمواردها الى

---

(٢٦٧) Gregory the Priest., p. 195. Chron. Anon. Syr., p. 303.

(٢٦٨) William of Tyre, Vol. 2, pp. 283-284; Gregory the Priest, p. 198.

(٢٦٩) تقرر نفى كونستانس الى اللاذقية لمحاولتها الاستئثار بالسـلطة دون بوهمند • وماتت فى ١١٦٣م/٥٥٩هـ • انظـر :
Chron. Anon. Syr., p. 303.

(٢٧٠) مات بولدوين الثالث ١١٦٢م/٥٥٧هـ • انظر :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 293, 303-304; letter of king Amaury to king of France, dated 1163, in R.H.G.F., Vol. 16, pp. 59-60.

(٢٧١) ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١١٦ ـ ١١٧ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦ • انظر أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 306.

(٢٧٢) Schlumberger (G.), Campagnes du Roi Amaury 1er de Jerusalem en Egypte au XII siécle, Paris 1906, pp. 18-19; Saunders (J.J.), Aspects of the Crusades, New Zeland, 1961, p. 28.

جانب ادراكه بأن استمرار الفرقة بين نور الدين الذى وحد سوريا تقريبا وبين مصر هو الضمان الوحيـــد لبقـــاء الامارات الصليبية فى الشـــام وفلسطين(٢٧٣) . وفى نفس الوقت كان نور الدين يدرك تماما أن انتصاره على الفرنج مرهون بأمر واحد ، وهو المبادرة بالاستيلاء على مصر قبل أن تقع فى أيديهم وبذلك يتم تكتيل الجبهة الاسلامية من أعالى الشـام والفرات شمالا الى مصر جنوبيا ويصبح الصليبيون بين فكى الكماشـة . وهكذا كانت امارة انطاكية هى كبش الفـداء للعـلاقات السياسية بين نور الدين محمود ومملكة بيت المقدس الصليبية . وقدر لانطاكية أن تكون القلب بالنسبة للجسد الصليبى الذى يوجه اليه نور الدين ضرباته كلمـا اراد أن يحد من نشاط الفرنج ضد مصر . و تجلى ذلك فى أغسطس ١١٦٤م/ رمضان ٥٥٩هـ حين انتهز فرصة توجه عمورى الى مصر، واستطاع نور الدين ان يهزم حشدا كبيرا من فرنج الشـام ويأسر كلا من بوهيمنـد الثـالث وريموند كونت طرابلس وجوسلين الثالث والقائد البيزنطى ، واستولى على حصن حارم(٢٧٤) ثم على بانياس فى اكتـوبر/محـرم من نفس العام(٢٧٥) . كل هذا دفع بعمورى الى الجلاء عن مصر والعودة الى الشام حيث أجرى مفاوضات مع نور الدين محمـــود انتهت بفك أسر بوهيمند الثالث الذى عاد الى انطاكية فى صيف عام ١١٦٥م/٥٦١هـ(٢٧٦). ليذهب بعد ذلك الى القسطنطينية طلبا للمساعدة البيزنطية بعد أن فقد فرسانه الذين أصبحوا حفنة صغيرة ليس بوسعها حماية انطـاكية أمام

---

(٢٧٣) Cahen, op. cit, p. 407.

(٢٧٤) أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ٣٣ ١، ابن العـديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ، ص ١٤٣ - ١٤٥ ؛ سبط ابن الجـوزى : مرآة الزمان ، مخطوط ، ورقة ١٥٢ - ١٥٣ . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 307-308; Cinamus, p. 216. CF. also, Nikita (Elicsséeff), Nur AD-Din, 3 tomes, Damascus, 1967, t. 3, p. 741.

(٢٧٥) أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٣٤ ، ١٣٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٢٢ . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 308-310; CF. also, Gibb (H.), The Career of Nur-ad Din, in Setton, op. cit., Vol. 1, pp.524.

(٢٧٦) أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٣٤ . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 311.

هجمات نور الدين محمود(٢٧٧) ولسد النقص في قواته اعتمد بوهيمند على الجماعات الدينية العسكرية مثل الداوية والاسبتارية في الدفاع عن المعاقل التي يشكل الدفاع عنها صعوبة بالغة(٢٧٨) أمام هجمات نور الدين محمود الذي قام في سبتمبر ١١٧١م/محرم ٥٧٦هـ بغارة انتقامية على امارة انطاكية وكونتية طرابلس على اثر نهب افرنج اللاذقية لسفنتين تجاريتين اسلاميتين كانتا في طريقهما من مصر الى الشام . فأرسل قواته الى طرابلس بينما توجه الى انطاكية ، واصاب انطاكية وطرابلس من التخريب وهو ما دفع بالفرنج الى رد ما نهبوه الى المسلمين ، ودفع تعويضات كبيرة(٢٧٩) . وقد كانت هذه هي آخر أعمال نور الدين محمود ضد امارة انطاكية الصليبية .

واذا كانت امارة انطاكية قد قامت بدور كبير في تاريخ العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين في الشام وفلسطين ، فلم يكن هذا عن طريق أدائها لدورها العسكري فقط ضد المسلمين ، ولكنه أيضا بدعمها للكيان الصليبي ، وبدعمها لكل ما كان من شأنه أن يحفظ هذا الكيان . فبقدر ما كانت امارة انطاكية على درجة كبيرة من الاهمية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، فانها كانت على نفس الدرجة من الاهمية لجماعات الفرسان الرهبان والمدن التجارية الايطالية للقيام بدورها في دعم الكيان الصليبي . فقد أنشأ الصليبيون قليلا من المؤسسات في سوريا وفلسطين يمكن القول بانها شرقية النشأة . فقد أخذ الوجود الصليبي كل أفكاره من التجارب الاوربية ، ونادرا ما غامر بابتداعها في الشرق الا اذا أجبر على ذلك نتيجة لظروف محلية(٢٨٠) . ومن التجارب التي خاضها الوجود الصليبي دون الارتكاز على التجارب الاوروبية تجربتان ، أطلق الفرنج

---

(٢٧٧) امده الامبراطور بمبلغ من المال لدفع فديته وحمله بالهدايا كما أرسل معه بطريركا يونانيا لكنيسة انطاكية ليحل محل البطريرك اللاتيني ايمرى الذي توجه الى منفاه بقلعة القصير . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, p. 311 ff., Cf. also Rey, Les Dignitaires de la Principaute Antioche, p. 136.

(٢٧٨) Runciman, Vol. pp. 376-377.

(٢٧٩) ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١٥٤ — ١٥٥ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٠٣ .

(٢٨٠) Prawar (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 252.

العنان لقدراتهم فى خوضهما ، وهما انشاء الجماعات الرهبانية العسكرية، ثم الحرب وبناء الاستحكمات . ومن اكبر واقدم الجماعات العسكرية كانت جماعتا الفرسان الاسبتارية والداوية . ولقد تشابهت وظائفهما فى الفترة المبكرة من وجودهما ، حيث كرست كل منهما نفسها لرعاية الحجاج المسيحيين فى طريقهم من الساحل الى بيت المقدس ثم الى الاماكن المقدسة على ضفاف نهر الاردن ، سواء كحرس لحمايتهم كما كان الامر بالنسبة للداوية ، او لرعايتهم طبيا كما كان يفعل الاسبتارية(٢٨١) . الا أن كلا منهما قد تحولت عن وظيفتها الاصلية الى هيئة فرسان محاربين(٢٨٢) . وفى ذلك الوقت كانت الحاجة ماسة الى الانتفاع بهما . فبالرغم من أن الجيش الصليبى كان اكثر كفاءة وسهولة على تعبئته من قرينه الاوربى ، الا أن حجمه الصغير كان يشكل ضعفا مزمنا ، الى جانب ان جزءا من هذا الجيش كان مشلول الحركة بصفة دائمة(٢٨٣) . فقد كانت مشكلة الصليبيين انهم عندما يدفعون بالجيش فى ميدان القتال ، فقد كانوا بذلك يعرضون المعاقل القوية والتى حرمت من المدافعين عنها للخطر ، فى الوقت الذى اعتمد فيه وجودهم على توفير جيش كامل وحراسات فى نفس الوقت(٢٨٤) .ومن المعروف أن الاتباع الذين يحصلون على اقطاعات الارض كانوا يؤدون نظير ذلك خدمة عسكرية للامير ، بالاشتراك بعدد معين من الفرسان والمشاة فى مشاريعه العسكرية فى الوقت والمكان الذين يحددهما هو نفسه(٢٨٥) . فاذا اخذنا بالارقام التى

---

(٢٨١) Prawer (J. I. The Latin kingdom of Jerusalem, pp. 256-257.

(٢٨٢) كان تحول الداوية الى هيئة محاربين فى عام ١١١٨م/٥١٢هـ . والاسبتارية بعد ١١٣٠م/٥٢٤هـ . انظر :

Prawer, p. 256; Riley smith (J.), The kinghts of st. John in Jerusalem and Cyprus (1050-1310) London, 1967, p. 52.

(٢٨٣) لم تتعد القوات العسكرية القائمة على الخدمة العسكرية الاقطاعية ٦٧٠ فارسا وعدة آلاف من المشاة . انظر :

Prawer, pp. 260-261.

(٢٨٤) فى ١١١٩م/٥١٣هـ قرر ايلغازى مهاجمة الاثارب عندما علم بذهاب سيدها مع فرسانه وايضا مع سادة القلاع الفرنجية الاخرى للتجمع عند انطاكية . انظر :

Walter the Cancellor, Bella Antiochena, p. 99.

(٢٨٥) Smail, (R.C.) Crusading Warfare, p. 90.

أوردها والتر مستشار روجر الانطاكى وشاهد العيان فى معركة ساحة الدم فى ١١١٩م/٥١٣هـ وهى أن عدد قوات روجر كان ٧٠٠ فارس و ٣٠٠٠ من المشاة(٢٨٦) ، واضعين فى الاعتبار أن روجر لتسرعه فى خوض المعركة ضد المسلمين لم يتلق أية معونة من الفرنج الآخرين . اذن فانه بعد هذه الخسائر الدائمة للاراضى لصالح زنكى ومن بعده نور الدين حتى عام ١١٧١م/٥٦٧هـ فان عدد الفرسان الصليبيين قد قل بدرجة كبيرة ، ومع اختفاء كونتية الرها ، فان المصادر الاقطاعية العسكرية للفرنج قد اصبحت اكثر وفرة فى المملكة عنها فى شمال الشام(٢٨٧) . وقد هيأ انخراط جماعات الرهبان فى أمور الحرب أمام الحكام اللاتين فرصة الحصول على مصدر لا ينضب للقوة المقاتلة وخاصة فى شمال الشام(٢٨٨) . فبدأت امارة انطاكية فى الاعتماد على الجماعات العسكرية للدفاع عن معاقلها التى لا تستطيع القيام باعباء الدفاع عنها أمام المد الاسلامى فى عهد زنكى ثم نور الدين محمود من بعده وكان ذلك فى أيام ريموند بواتييه(٢٨٩) . واتبع أمراء انطاكية بعد ريموند سياسة التنازل عن المعاقل الى الداوية والاسبتارية . وذلك فى عهد كل من رينودى شاتيون وبوهيمند الثالث(٢٩٠) . وهكذا فقد قامت الجماعات العسكرية خلال القرن ١٢م/٦هـ بدور كبير فى الدفاع عن حدود امارة انطاكية الصليبية ، ولم لا وهى التى قامت بدور أكبر فى حماية مملكة بيت المقدس نفسها(٢٩١) . ونادرا

---

(٢٨٦) Walter the cancellor, p. 88.

(٢٨٧) Smail, p. 90.

(٢٨٨) تعددت المصادر التى كانت تمد الفرنج بالقوات المقاتلة من الجيش الاقطاعى الى المرتزقة ثم الحجاج المسيحيين وأخيرا الجماعات العسكرية . انظر : Smail, pp. 88, 90-93.

(٢٨٩) King, p. 103, Delaville Le Roulx, p. 47.

(٢٩٠) Riley- smith, p. 166.

(٢٩١) اندهش ثوروس الملك الارمينى حين زار مملكة بيت المقدس فى عام ١١٦٦م/٥٥٧هـ من كثرة أملاك الجماعات العسكرية فى المملكة وقال لعمورى الاول « عندما جئت الى أرضك وسألت عمن تخص هذه القلاع قال البعض « هذه تخص الداوية » ، وقال آخرون : « أنها تخص الاسبتارية » ، وهكذا لم أستطع أن أجد أى قلعة أو مدينة أو بلدة تخصك أنت ماعدا ثلاث ، وكل البقية كانت تخص الجماعات العسكرية » . انظر :
Ernoul Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier, ed. Latrie, Paris 1871, pp. 27-28.

ما تجد حملة يقـــوم بهـــا امير انطاكية الا واشترك فيهـــا الداوية أو الاسبتارية(٢٩٢) . الا أننا اذا ما امعنا النظر فى بنود المنح والامتيازات التى حصلت عليها الجماعتان من أمراء انطاكية تباعا ، نجد أن الامارة قد قامت بدور فعال لا يقل اهميـــة فى تدعيم موقف هذه الجمـــاعات فى الشرق عن دور الجماعتين نفسه فى حماية الامارة . فقد منح ريمـــوند بواتيه فى عام ١١٤٩م/٥٤٤هـ الداوية حق الاعفاء من الضرائب العامة والالتزامات الاقطـــاعية ، وحق نقل ممتلكاتهم داخل وخارج الامارة ، الامر الذى ساهم فى تدعيم موقفهم المالى(٢٩٣) . كما حرص أمراء انطاكية على تأكيد الامتيازات والمنح التى منحها اسـلافهم للجماعتين ، الى جانب ما يضيفه كل أمير من امتيـــازات باسمه هو(٢٩٤) . واهم ما قامت به امارة انطاكية فى دعم هذه الجماعات هو منحها اياهم الاستقلال الذاتى فى شمال الشام . فقد منح بوهيمند الثالث فى ١١٦٨م/٥٦٣هـ للاسبتارية حق عقد الاتفاقيات مع المسلمين أو شن الحرب عليهم دون الرجوع اليه . هذا فى الوقت الذى كان عليه هو فيه أن لا يعقد أى هدنة مع المسلمين دون اخذ رأى الاسبتارية . كما أن الاسبتارية كانوا غير ملزمين بتنفيذ بنود أى اتفاقية للامير مع المسلمين . كما كان لهم حق الاحتفـــاظ بالاسلاب التى يستولون عليها من المسلمين وليس من حق أمير انطاكية ان يطالب بجزء منها . كمـــا اضاف بوهيمند فى هذه المنحة أنه من حق الاسبتارية ان يستوردوا أو يصدروا ، يبيعوا أو يشتروا دون التزام نحوه ، الا فى حالة بيع أو شراء شيء لا يخص الجماعة . كما أعفـــاهم من اداء الخـــدمات العسكرية الاقطاعية(٢٩٥) . وهكذا تمتعت جماعات الفرسان الرهبان فى شمال الشام باستقلال ذاتى فى المناطق الممنوحة لها من أمراء انطاكية ، كمـــا تمتعت باتباع سياسة خارجية مستقلة بخصوص جيرانها المسلمين ، وبذلك

---

(٢٩٢) Rawer, p. 264.

(٢٩٣) Rilley-Smith, p. 145.

(٢٩٤) حدد رينو دى شاتيون كل المنح التى منحها ريموند بواتييه للداوية فى قلعة بغراس . وأجبر الارمن على ردها للجماعة ، وذلك فى ١١٥٦م/٥٥٠هـ . انظر : العينى : عقد الجمان (مخطـــوط تصوير شمسى) ، جـ ١١ ، لوحة ٥٧ — ٥٨ . راجع أيضا : William of Tyre, Vol. 2, p. 254; Michel Le Syrien, T. 3 p. 314.

(٢٩٥) Rohricht, Regesta, p. 112. CF. also, King, p. 93; Riley smith, p. 66.

تكون قد حصلت على مقابل مجز لما تقوم به من دور فى الدفاع عن الامارة ، أكثر مما حصلت عليه فى مملكة بيت المقدس نفسها(٢٩٦) .

واستكمالا لدورها فى دعم الكيان الصليبى فى الشرق ، وفى دعم كل ما من شأنه ان يقوى هذا الكيان قامت امارة انطاكية بدورها فى تعـزيز مركز المدن الايطالية التجارية ومسـاعدتها على تحقيـق أغراضها من الاشتراك فى الحركة الصليبية . وبالرغم من عدم وجود أى مصدر دون فى البندقية أو جنوا أو بيزا أو امالفى يشير الى اى آمال مسيحية كمـا هو معهود فى وثائق ما وراء الالب فى تلك الفترة ، الا أن ذلك لا يثبت غياب الدافع الدينى وراء اشتراك المدن الايطالية فى الحركة الصليبية ، ممـا يوحى بوجود توازن بين الطموح الدينى والجشع المادى كما لاحظ المؤرخ الجنوى كفارو(٢٩٧) . الا أن الهدف الرئيسى للمدن الايطالية التجارية بعد الفـترة المبـكرة من الفتـح الصليبى لسـوريا وفلسـطين هو استخدام المنطقة التى تقع تحت النفوذ الصليبى كقاعدة سياسية واقتصادية وسوق لبضائعهم كمـا لمح المؤرخ البرت دكس(٢٩٨) . ومهمـا كانت الدوافع من وراء اشتراك الايطاليين فى الحركة الصليبية . فقد سـاعدت امارة انطاكية الصليبية هؤلاء فى القيام بدورهم فى هذه الحركة . ولا يتضح ذلك الا اذا دققنا النظر فى بنود العطايا والامتيازات التى منحها أمراء انطاكية لهؤلاء منذ نشأة الامارة وحتى عام ١١٧١م/٥٧٦هـ ففى ١٤ يوليو ١٠٩٨م/١١ شعبان ٤٩١ هـ منح بوهيمند الاول للجنوية نظير قيـامهم بالدفاع عن انطاكية ضد أطماع اقرانه من قادة الحملة الصليبية الاولى ، كنيسة القديس يوحنا فى انطاكية ومعها ٣٠ منزلا واعفاء من اية مكوس حالية أو فى المستقبل وقد تميزت منحته لهم بالشمولية ، فهى تشمل كل جنوى أتى أو ربما سـياتى فى المستقبل الى انطـاكية الامر الذى وفر

---

(٢٩٦) ربما كان يرجع ذلك الى ان حكومات الامارات الصليبية فى شمال الشام كانت أسوأ حالة من ملوك بيت المقدس الذين رفضـوا التصديق على مثل هذه الامتيازات الا خلال القـرن ١٣م/٧هـ حيث انتقل مركز الثقل الاسلامى من العراق وحلب أيام زنكى ثم نور الدين محمود ، الى مصر فى أيام الايوبيين . انظر :
Riley Smith, pp. 465-466.

(٢٩٧) Caffaro, p. 18.

(٢٩٨) Albert d'Aix, p. 45.

للجنوية ضمانا لامتيازتهم فى شمال الشام(٢٩٩) . كما قام امراء انطاكية بدور كبير فى دعم الموقف السياسى للبيازنة فى مملكة بيت المقدس الصليبية، وليس أدل على ذلك من جهود بوهيمند الاول وتنكريد فى سبيل حصول دايمبرت على كرسى بطريركية مملكة بيت المقدس فى عام ١٠٩٩م/٤٩٣هـ وعام ١١٠٢م/٤٩٥هـ(٣٠٠) . كما حرص أمراء انطاكية على استمرار تمتع الجاليات الايطالية فى شمال الشام بامتيازاتها بالاضافة الى كثير من الامتيازات الجديدة ، الامر الذى مكن هذه الجاليات من الاستمرار فى القيام بدورها فى الشرق اللاتينى . فقد جدد تنكريد كل المنح التى حصل عليها الجنوية فى ايام بوهيمند الاول(٣٠١) . ونفس الشىء قام به بوهيمند الثانى أيضا(٣٠٢) . كما جدد بوهيمند الثالث المنح للبزاوية فى عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ(٣٠٣) . وقام أمراء انطاكية بنفس الدور بالنسبة للبنادقة ، فقد منحهم كل من بوهيمند الاول وتنكريد وبوهيمند الثانى الكثير من المنح فى امارة انطاكية وموانيها(٣٠٤) . وجددها لهم كل من ريموند بواتييه ورينودى شاتيون وبوهيمند الثالث(٣٠٥) . كما

---

(٢٩٩) Hayenmeyer, Epistolae, pp. 155-156.
راجع ايضا : حسين عطية ، امارة انطاكية الصليبية ، ملحق رقم (٣) حيث الترجمة العربية للوثائق المتبادلة بين بوهيمند الاول والجنوية .

(٣٠٠) Caffaro, pp. 114-114; Rohricht, Regesta, no. 35, p. 11; William of Tyre, Vol. I, pp. 448-449. CF. also, Heyd, t. I, pp. 145-146, 150.

(٣٠١) Rohricht, Regesta, no. 35, p. 5.

(٣٠٢) وكان ذلك فى عام ١١٢٦م/٥١٩هـ . انظر :
Rohricht, Rogesta, no. 119, pp. 29-30.

(٣٠٣) Rohricht, Regesta, no. 478, pp. 125-126.

(٣٠٤) Tafel (G.I.F.) and Thomas (G.M.), Urkunden zur a teren Handels, 3 Vols., vienna, 1856-1857, Vol. 1, nos. 27; 31; 42;
وهى الاشارة الوحيدة عن هذه المنح والامتيازات حيث ان هذه الوثائق مفقودة . راجع ايضا : قائمة الامتيازات والمنح التى اصدرها امراء انطاكية للمدن التجارية الايطالية فى الملحق رقم (٤) فى نهاية الكتاب .

(٣٠٥) Tafel and Thomas, Vol. 1, no. 46, pp. 102-103, no. 55, pp: 133-35, Rohricht, Regesta no. 197, p. 49, no. 282, p. 72, no. 434, p. 113.

منح بوهيمند الثالث للامالفيين أول امتيــازات لهم فى اللاذقيــة فى عام ١١٦٣م/٥٥٨هـ(٣٠٦) . والى جانب هذه الامتيازات الاقتصادية تمتــع الايطاليون بحقوق قانونية فى امارة انطاكية وفرت لهم سهولة التعــامل مع غيرهم ومنحتهم استقلالا كبيرا فى شمال الشام . فقد كان من حقهم المثول امام محاكمهم الخاصة دون المحاكم الخاصة بامارة انطاكية ، فيما يخص القضايا التى يكون طرفاها من البنادقة(٣٠٧) . ففى عام ١١٦٩م/ ٥٦٥هـ منحهم بوهيمنــد الثــالث محكمة خاصة ، ووعدهم بسرعة البت فى قضاياهم التى تنظر فى محاكمه الخاصة(٣٠٨) . كما منح البنادقة محكمة خاصة فى عــام ١١٦٧م/٥٦٣هـ(٣٠٩) . الى جانب ذلك قامت امارة انطاكية بمساعدة بعض الايطاليين على الاستقرار فى شمال الشام . فقــد استقر فى سوريا وفلسطين كثير من الايطاليين الذين جاءوا الى الشرق ، واستغنوا عن نسبهم الاوربى ، وتزوجوا من ابناء السادة الفرنج وحصلوا على اقطاعات فى مدنهم ، وبذلك انضموا الى طبقة النبلاء والبرجوازية . ومن اشهر الامثلة على ذلك أسرة أمبرياكو التى جاءت الى الشرق زمن الحمــلة الصليبية الاولى واســتقرت فى مدينــة جبيــل من أملاك طرابلس(٣١٠) . ومن بيزا جاء بليبانوس البيزاوى Plebanus the Pisan الذى اشــترى اقطــاع البترون من ريموند الثــانى كونت طرابلس ، وأصبح سيدا لهذا الاقطاع(٣١١) . وحين استولى صــلاح الدين على البترون بعد حطين ، تزوجت ابنة بليبانوس من أحد ابناء بوهيمنـــد الثالث ، واصبح البترون ملكا لهذا الفرع من البيت الانطاكى(٣١٢) . وهكذا ، اذا كانت امارة انطاكية قد حصلت على الواجهة البحرية التى تمكنها من الاتصال بالغرب بمساعدة أساطيل المدن التجارية الايطالية فى الاستيلاء على المدن الساحلية لشمال الشام الى جانب حصولها على

---

(٣٠٦) Rohricht, Regesta, no. 388, p. 102.

(٣٠٧) La Monte (John), Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalqm, New York, 1970, p. 235.

(٣٠٨) Rohricht, Regesta, no. 471, p. 125, no. 680, pp. 181-182.

(٣٠٩) Rohnicht, Regest a, no. 434, p. 114.

(٣١٠) Heyd, t. 1, pp. 162-163; Lamonte, p. 237-238.

(٣١١) La Monte, p. 238.

(٣١٢) Heyd, pp. 321-322.

ادوات الحصار والبخساء والقنوات من هذه الاساطيل ، ثم النشاط التجارى الذى أوجدوه فى الامارة وماتبع ذلك من انتعاش اقتصادى لها ، فانها بدورها ساعدت على استقرار وضع هذه الجاليات فى شمال الشام بما قدمته لها من منح وامتيازات متنوعة ساعدتها على أداء دورها فى دعم الكيان الصليبى ككل .

ومن كل ما سبق نخرج بأن مدينة انطاكية بما تمتعت به من اهمية عسكرية واقتصادية ودينية ، كانت مطمعا لكل غاز لمنطقة شمال الشام . وكان النورمان آخر الطامعين فيها . وقد سقطت المدينة فى أيديهم نتيجة للخيانة وتقاعس حكام المدن الاسلامية المجاورة عن التصدى للخطر الصليبى الذى لم يتفهموا طبيعته الا بعد فوات الاوان . لذلك لم تكن ردود الفعل الاسلامية تجاه الفرنج بالكفاءة وحسن التوقيت لتدفع بخطرهم عن انطاكية لتسقط المدينة فى أيدى النورمان بسهولة ، ليؤسسوا فيها ثانى امارة صليبية فى الشرق الادنى الاسلامى ، لتكون درعا لمملكة بيت المقدس أمام رد الفعل الاسلامى خلال الفترة المبكرة من وجودها . ولم تكد تسقط المدينة حتى أسرع النورمان فى توسعاتهم على حساب المسلمين . فقد بدأ هؤلاء النورمان عهدهم فى شمال الشام وفى ايديهم مدينة انطاكية فقط ، وانتهى بهم الامر الى فرض سيطرتهم على بلاد الشام من شيزر جنوبا الى مرعش شمالا ، ومن حلب شرقا الى ميناء اللاذقية على الساحل غربا . وهكذا ارسى بوهيمند الاول قواعد الامارة ، وحافظ عليها تنكريد ، وبلغ بها روجر الانطاكى الذروة . وقد استخدم هؤلاء كل ما لديهم من خبرة ودراية فى أمور الحروب والسياسة . وأهم ما يميز عهدهم ظهور أول تحالفات صليبية اسلامية فى عهد تنكريد وروجر توضح حرص الحكام المسلمين على مصالحهم الشخصية دون النظر الى الصالح الاسلامى العام فى تلك الفترة . وكانت مدينة حلب هى كبش الفداء الذى قدمه هؤلاء الحكام المسلمون للنورمان ليقتطعوا من املاكها ما يجعلها مجرد مدينة عارية بعد أن كانت مدينة عامرة . وهكذا ميزت عهود بوهيمند وتنكريد وروجر عصر القوة فى تاريخ امارة انطاكية الصليبية التى أصبحت درعا حاميا لمملكة بيت المقدس فى تلك الفترة حسبما أسلفنا .

ولقد اختلف الوضع تماما خلال عهدى بوهيمند الثانى وريموند بواتييه ، وانتهى الامر بفقدان امارة انطاكية حدودها الواسعة بحيث لم

تعد تتجاوز سهل انطاكية . ولم يكن مرجع ذلك الى تقصير أى من هذين الاميرين ، بل الى ظهور بوادر الوحدة الاسلامية الكبرى فى عهد عماد الدين زنكى ثم ابنه نور الدين محمود اللذين بلغا من القوة ما لم يبلغه المسلمون فى عهد أمراء انطاكية السابقين . هذا فى الوقت الذى ادت الى ضعف فرنج شمال الشام تلك النزاعات الدائمة بين أمير انطاكية وكونت الرها . وادى هذا فى النهاية الى ضياع الرها من أيدى الصليبيين الى الابد ، بينما أضحت امارة انطاكية فريسة سهلة للمد الاسلامى الذى دفعها الى الدخول تحت الحماية البيزنطية .

وفى الوقت الذى تمت فيه الوحدة الاسلامية فى عهد نور الدين محمود ، كان على امارة انطاكية الصليبية أن تتخذ موقفا دفاعيا بحتا تجاه المسلمين . فلم تعد الظروف تسمح لملوك بيت المقدس بالاستمرار فى الزود عن كيان الامارة ، وذلك لاتجاه سياستهم جنوبا نحو مصر . وكما كانت حلب هى كبش فداء المسلمين لنورمان انطاكية ، كانت انطاكية بالمثل كبش فداء ملوك بيت المقدس لنور الدين محمود وللبيزنطيين على السواء ، وذلك خلال عهد كل من رينو دى شاتيون والسنوات المبكرة من عهد بوهيمند الثالث .

وكما قامت امارة انطاكية بدورها فى تاريخ العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين ، محاولة دعم الكيان الصليبى بالجهود العسكرية والسياسية ، فانها قامت بدعم هذا الكيان ايضا بصورة غير مباشرة ، وذلك بمساندتها لكل ما من شانه تقوية هذا الكيان . وتجلى ذلك بمساندة امارة انطاكية لجماعات الفرسان الرهبان ، وأيضا لجاليات المدن التجارية الايطالية ، بما قدمته اليها جميعا من منح وامتيازات لم يظفروا بها فى مملكة بيت المقدس نفسها . وستستمر امارة انطاكية فى القيام بدورها هذا حتى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى . وهذا ما ستكشف عنه الفصول التالية .

الفصـــل الثـــانى

الامارة وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى فترة الانحسار الصليبى (١١٧١ ـ ١٢٠١م/٥٦٧ ـ ٥٩٧هـ)

ـ فترة الحماية البيزنطية على امارة انطاكية ، واثر ذلك على العلاقات السياسية بين بوهيمند الثالث وكل من نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبى (١١٧١ ـ ١١٧٤م/٥٦٧ ـ ٥٧٠هـ) .

ـ موقف بوهيمند الثالث تجاه صلاح الدين خلال فترة تثبيت مركزه فى بلاد الشام (١١٧٤ ـ ١١٧٧م/٥٧٠ ـ ٥٧٣هـ) .

ـ الحملة الفلمنكية وانتهاء الحماية البيزنطيـــة على امارة انطـــاكية (١١٧٧م/٥٧٣هـ) .

ـ سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية قبل موقعة حطين وبعـــدها ، وموقف بوهيمند الثالث تجاه هذه السياسة ، والنتائج المترتبة عـــلى ذلك (١١٧٧م ـ ١١٩٠م/٥٧٣ ـ ٥٨٦هـ) .

ـ الحملة الصليبية الثالثة ودور بوهيمند الثالث فيها ، واثرها عـــلى العـــلاقات السياسية بين امارة انطــــاكية وجيرانهــا المســلمين ١١٩١م/٥٨٧هـ) .

ـ سياسة بوهيمند الثالث حيـــال المسلمين فى فترة ما بعـــد صـــلاح الدين (١١٩٢ ـ ١٢٠١م/٥٨٨ ـ ٥٩٧هـ) .

« لم تكن أرض طرابلس ولا انطاكية جزءا من مملكة بيت المقدس »
«La Tiere de Triple ne d'Antioce n'est mie dou roiaume»

هكذا قال ارنول وهو يصف أراضي مملكة بيت المقدس(١) . وبالفعل ، لم نر أبدا أحدا من أمراء انطاكية يخضع لسلطة احد من ملوك بيت المقدس . واذا كان ملك بيت المقدس هو الاول بين أقرانه Primus inter Pares من بارونات المملكة ، فانه لم يكن كذلك بالنسبة لأمراء انطاكية أو كونتات طرابلس الذين لم يدينوا له بالتبعية اطلاقا(٢) . وفي معرض حديثه عن أحداث الحملة الصليبية الثانية ، يظهر المؤرخ وليم الصوري ادراكه لافتقار الصليبيين الى الوحدة بقوله « ان أملاك اللاتين في الشرق تنقسم الى أربع امارات ، وكل منها تحاول التوسع في أراضيها ، والتقدم على الاخرى »(٣) . ويبدو أن الحماسة ووحدة الهدف التي دفعت بالصليبيين من انطاكية الى بيت المقدس في عام ١٠٩٨م/٤٩٢هـ قد خفتت ، ولم تتعد زمن الحملة الصليبية الاولى . وهكذا أسهم المتنافسون من حكام الشرق اللاتيني في فشل الحملة الصليبية الثانية . فلم تساعد بيت المقدس امارة انطاكية ضد مسلمي دمشق ، ولم يثق الفرنج في الشام في قادة الحملة الذين بادلوهم نفس الشعور(٤) . فقد قامت المستعمرات الصليبية الاربع في الجزء الاول من القرن الثاني عشر الميلادي/أوائل القرن السادس الهجري ، على أيدي محاربي الحملة الصليبية الاولى . وقد دبر هؤلاء أمورهم بروح من الرابطة الصليبية والتعاون المشترك تحقيقا للصالح الصليبي العام من وجهة نظرهم . وكانت هناك وحدة عامة للسياسة ، نتجت عن الخوف المشترك من المسلمين ، والارتياب المشترك من بيزنطة ، والاعتماد عليها في نفس الوقت(٥) . وقد قامت بيزنطة بدورها ، كأقوى امبراطورية في الشرق آنذاك ، في دعم الامارات الصليبية التي اعتبرها

---

(١) Ernoul, Chronique de Ernoul et de Bernard Le Trésorier, ed. L. de Mas La trie, Paris, 1871, p. 27.

(٢) H. Prutz, Kulturgeschicte der Kreuzzuge, Berlin, 1885, p. 161.

(٣) « بيت المقدس وطرابلس وانطاكية والرها » وذلك قبل سقوط الرها في أيدي عماد الدين زنكي . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, 182.

(٤) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٤٩ — ١٥١ .

(٥) John L. La Monte, From Crusading Kingdom to Commercial Colony, in B.P.I.A.S.A., Vol. 3, pp: 289-290.

الاباطرة البيزنطيون كدول حاجزة ضد المسلمين ، واعتبروا امارة انطاكية بصفة خاصة امارة تابعة لهم ، وأحيانا كانوا يفرضون حقوقهم عليهـا . وبذل أمراء أنطاكية ما فى وسعهم ليتجنبوا الاعتراف بالسيادة البيزنطية ولم يخضعوا لها الا فى حالة تواجد الجيوش البيزنطية أمامهم(٦) . وأكد سلطة بيزنطة على امارة انطاكية ، خضوع رينودى شاتيون لمانويل كومنين كسيد أعلى له(٧) . ومنذ ذلك الوقت دخلت امارة انطاكية تحت الحماية البيزنطية واقترن ذلك بتبعية الامارة واميرها للامبراطور البيزنطى الذى فرض سلطته عليهما معا . وهنا تبرز عدة تساؤلات : الى متى استمرت حماية وسيادة بيزنطة على امارة انطاكية الصليبية ؟ وهل انتهت تلك الحماية ، وهذه السيادة بموت مانويل فى عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ ، أم قبل ذلك ؟ ومتى شعر امراء انطاكية أنفسهم بانتهاء حماية وسلطة بيزنطة عليهم ؟ والاجابة على هذه التساؤلات تفرض علينا تتبع اثر الحمـاية البيزنطية لامارة انطاكية على الجانب الاسلامى ، ثم استمرار مظـاهر السيادة البيزنطية على الجانب الانطاكى الصليبى فى نفس الوقت . فمن المعروف أن نور الدين محمود قد وضع فى اعتباره الخطر البيزنطى عندما كان يتعامل مع الفرنج عامة وامارة انطاكية بخاصة . فنراه يعقد هدنة مع مانويل فى عام ١١٥٩م/٥٥٤هـ(٨)وفى عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، وبعد انتصاره على قادة الفرنج فى حارم ، وأسرهم جميعا ، لم يشأ نور الدين أن يستولى على انطاكية ، وكان ذلك فى مقدوره ، الا اعتبارا لكون انطاكية تحت الحماية البيزنطية(٩) . لذا ايضا نراه يطلق سراح بوهيمند الثـالث ارضاء للامبراطور ، بينما احتفظ فى أسره ببقية قادة الفـرنج(١٠) .

---

(٦) John L. La Monte, To what extent was the Byzantine Empire the Suzerain of the Latin Crusading States ?. in B, Vol. 7, p. 254.

(٧) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٤ .

(٨) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٤ .

(٩) ليس أدل على ذلك من قول نور الدين محمـود نفسه « اذا ضيقنا عليهم أرسلوا الى صاحب القسطنطينية ، وسلموها اليه ، ومجاورة بيمند أحب الى من جوار ملك الروم » هذا وقد أطلق نور الدين سراح القائد البيزنطى كولومان والاسرى الارمن رعايا بيزنطة . انظر : ابن الاثير : التاريخ الباهر ، ص ١٢٥ .

(١٠) بقى فى أسر نور الدين كل من ريموند الثالث كونت طرابلس، =

وهكذا لم تتعدد العلاقات السياسية بين نور الدين محمود وامارة انطاكية ، منذ ذلك الوقت وحتى عام ١١٧٤م/٥٦٩ — ٥٧٠هـ ملاحظته لتصرفات بوهيمند الثالث (١١) . فبعد دخول مصر فى املاك نور الدين محمود وانتهاء الصراع حولها بينه وبين الملك عمورى الاول ، ركز نور الدين جهوده فى قيليقية والاناضول الى أن مات فى ١١٧٤م/٥٦٩هـ (١٢) . وهكذا حافظت الحماية البيزنطية على امارة انطاكية الصليبية من الوقوع فى ايدى نور الدين محمود الذى نجح فى توحيد الجزيرة والشام ومصر ، تمهيدا للقضاء على الوجود الصليبى فى بلاد الشام . ولم يشأ بفضل الحماية البيزنطية أن يسترد مدينة انطاكية بالرغم من ملائمة الظروف لأن يقوم بذلك ، مما يدل على استمرار الحماية البيزنطية واثرها الفعال على امارة انطاكية الصليبية حتى نهاية عهد نور الدين محمود . وخير ما يثبت اهمية العامل البيزنطى فى بقاء الامارة الصليبية ، بعد كارثة حارم ، واستمرار مظاهر السيادة البيزنطية عليها فى نفس الوقت ، هو تصرف بوهيمند الثالث نفسه . فما كاد يتحرر من الامر فى صيف ١١٦٥م/٥٦١هـ ، حتى توجه الى القسطنطينية لزيارة صهره الامبراطور (١٣) الذى استقبله استقبالا طيبا ، وأعطاه الشىء الكثير ، حتى أن الامير عاد غنيا الى

= وجوسلين الثالث كورتيناى كونت الرها الاسمى . انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٦ .

(١١) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(١٢) فى عام ١١٧٢م/٥٦٨هـ ، استنجد ذو النون ابن الدانشمند فى سيواس بنور الدين ضد هجمات قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم الذى دفعه ولاؤه لبيزنطة الى رفض التحالف مع نور الدين والهجوم على أملاك المسلمين فى آسيا الصغرى والجزيرة-وساند نور الدين بنى الدنشمند بمساعدة مليح أمير قيليقية الارمينى الذى استولى على املاك الداوية وعلى أملاك بيزنطة فى قيليقية وهى مدن أذنة والمصيصة وطرسوس وذلك فى ١١٧٣م/٥٦٩م . واستطاع نور الدين رد السلاجقة ومد نفوذه فى الاناضول وقيليقية . انظر ابن الاثير : التاريخ الباهرة ص ١٦٠ . راجع أيضا :

Sempad, pp. 622-625; Michel Le Syrien, t. 3, pp. 331-337; Vahram pp. 508-509.

(١٣) تزوج مانويل كومنين من مارى شقيقة بوهمند الثالث فى عام ١١٦١م/٥٥٦هـ . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 287.

انطاكية(١٤) وربما تمكن بوهيمند بما حصل عليه من أموال بيزنطية ، أن يدفع فديته لنور الدين(١٥) وعاد بوهيمند من القسطنطينية ومعه أهم مظاهر السيادة البيزنطية على انطاكية ، الا وهو البطريرك اليونانى لانطاكية(١٦) . وبينما كان هذا المطلب البيزنطى القديم يثير بين القادة الفرنج احتجاجا رسميا ، ففى هذه المرة وجد هذا الاجراء ظروفا مواتية لاتمامه(١٧) . وتجلت مظاهر السيادة البيزنطية على بوهيمند فى ذلك حين تصدى لاعتراضات رجال الدين فى اماراته بقيادة البطريرك اللاتينى ايمرى دى ليموج الذى هجر انطاكية ولجا الى قلعة القصير ، احتجاجا على وجود بطريرك يونانى لكنيسة انطاكية وايده فى ذلك رجال الدين اليعاقبة ، وأعلن حرمانه لمدينة انطاكية وأميرها معا(١٨) . ومع ذلك

---

(١٤) William of Tyre, Vol. 2, p. 311.

(١٥) بلغت فدية بوهيمند ما يساوى ١٠٠ الف تهيجان ، وهى عملة أرمينية كانت متداولة فى ذلك الوقت . انظر :

Michel Le Syrien t. 3, p. 326.

(١٦) هو أثناسيوس الثـالث «Athanasius III» الذى بقى فى انطاكية حتى موته بسبب الهـزة الارضية التى حدثت فى عام ١١٧١م/٥٦٧هـ . انظر :

Michel Le Syrien, t. 3, pp. 326, 339. B. Hamilton, The Latin Church in the Crusader States, pp. 45-46.

(١٧) من ناحية كانت امارة انطاكية فى حاجة الى الحماية البيزنطية ضد خطر نور الدين محمـود ، ومن ناحيـة أخرى كانت هذه اللحظة هى التى اعلن فيها عن وفاق رسمى وتقارب بين مانويل والبابا الكسندر الثالث (١١٥٩ — ١١٨١) بشان توحيد كنيستى روما والقسطنطينية . لذا لم يعترض البابا على وجود هيمنـة ارثوذكسية على كنيسة انطاكية اللاتينية . انظر :

Grousset, t. 2, p. 470; B. Hamilton, p. 177.

(١٨) كان بطريرك انطاكية اليعقوبى فى ذلك الوقت هو المؤرخ ميشيل المريانى ، الذى تولى المنصب من ١١٦٦م الى ١١٩٩ م . وزار البطريرك اللاتينى فى قلعة القصير وهو فى طريق عودته من بيت المقدس فى مارس ١١٦٨م . وأظهر له تاييده ورفض ميشـيل دعوة مانويل كومنين للحضـور الى القسطنطينية تضـامنا مع بطريرك انطاكية اللاتينى . انظر :

Michel Le Syrien, t. 3, pp. 326, 332-335; Bar Hebraeus, The Chronography, ed. and trans. E.A. Wallis Budge, 2 Vols. Oxford, 1932, Vol. 2, p. 289.

بقى بوهيمند على ولائه للبلاط البيزنطى بالرغم من تزعزع مركزه فى انطاكية ، وفقدانه لأغلبية مؤيديه من البارونات اللاتين فى الامارة(١٩) . ونراه يزيد من ارتباطه بالبلاط البيزنطى بزواجه من ثيودورا كومنين ، ابنة شقيق مانويل(٢٠) . واذا رجعنا الى السجلات المالية لهنرى الثانى ملك انجلترا (١١٥٤ - ١١٨٩م) عن عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ نتـــأكد من الارتباط الوثيق بين بيزنطة وبوهيمند الثالث . حيث يرد اسـم شخص يدعى روبرت Robertus ، حضر الى لندن ممثلا للامير الانطـــاكى والامبراطور البيزنطى(٢١) وفى نهــاية عـــام ١١٧٩م/٥٧٥هـ نرى الامبراطور البيزنطى يكلف وليم الصـــورى بتبليغ بوهيمنـــد بعض التعليمات ، حين كان وليم فى طريق عودته من روما(٢٢) . وهــكذا نجد ان مظاهر السيادة البيزنطية ، والتى كانت ثمنا للحماية التى تمتعت بها امارة انطاكية فى عهد بوهيمند الثالث قد تعدت فترة العقــد الاول من حكمه . ومات مانويل فى عام ١١٨٠م/٥٧٦هـ . وفور موته هجر بوهيمند زوجته اليونانية(٢٣) . وهذا يوحى بانه قد شعر بان الحماية البيزنطية وبالتـــالى السيادة البيزنطيـــة على امارته قد انتهت . ولكن هل ترك بوهيمند لزوجته اليونانية بعد موت الامبراطور البيزنطى هو الدليل على تاريخ انتهاء الحماية البيزنطية على أنطاكية ؟ وربما كان الرد على هذا التساؤل بالايجاب يعتبر اجابة كافية . فان علاقة بيزنطة بانطــاكية قد انتهت تماما بموت مانويل كومنين . ولكن الاجابة على الشق الثانى من التساؤل الاصلى ربما تدل على ان الحماية البيزنطية المقرونة بالسيادة على امارة انطاكية قد انتهت بالفعل قبل موت الامبراطور مانويل بعـــدة

---

(١٩) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢٠) W.H. Rudtcollchberg, A Fragmentary copy of an unknown recension of the Lignages d'Outre-Mer in the vatican Library, in E.H.R., Vol. 98, pp. 313-319,

(٢١) واضح من اسم المندوب انه افرنجي وليس يونانيا ، مما يؤكد أنه خرج من أنطاكية وليس من القسطنطينية . انظر :
Magnus Rotulus Pipae de Anno Vicesimo Quinto Regis Henrici Secundi (1178-1179, in Pipe Rolls Collection, Vol. 28, p.125.

(٢٢) William of Tyre, Vol. 2, p.451.

(٢٣) William of Tyre, Vol. 2, pp. 452 ff.

سنوات . ولتحديد متى أدرك بوهيمند انتهاء سلطة بيزنطة وحمايتها على امارته ، يجدر معرفة حقيقة أحوال بيزنطة والمسلمين وقتذاك ، وتصرفات الامير الانطاكى نفسه حيال الطرفين . فقد عاصر مانويل كومنين كلا من نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبى من بعده ، كمدبرى السياسة الاسلامية فى تلك الفترة . وقد تأكد فضل الحماية البيزنطية على انطاكية فى عهد نور الدين محمود الذى وضع فى اعتباره الخطر البيزنطى اذا ما حاول الاستيلاء على انطاكية . اما صلاح الدين ، فلأنه كان قد حدد هدفه ، وهو ما أباح به لكاتبه ابن شداد « لما يسر الله لى الديار المصرية ، علمت انه أراد فتح الساحل ، لأنه أوقع ذلك فى نفسى »(٢٤) فقد كان استئصال شأفة الصليبيين من بلاد الشام هو مشروعه الكبير . ولما كانت انطاكية جزءا من الكيان الصليبى ، فانه لم يرتبط أبدا بوضع انطاكية بالنسبة لبيزنطة . وكان الاستيلاء على الامارة الصليبية جزءا من مشروعه الكبير ضد الفرنج . ولقد منحته تجربته فى مصر منذ وصوله اليها لأول مرة ، وحتى موت نور الدين محمود ، قد منحته الخبرة وبعد النظر . فقد أدرك صلاح الدين أن ضعف المسلمين وتشتتهم السياسى هما السبب الرئيسى لاستمرار الكيان الصليبى فى بلاد الشام . فبدأ أولا بتدعيم مركزه فى مصر ، فى الوقت الذى تجنب فيه الالتقاء بسيده نور الدين محمود الذى استشعر فيه الريبة والشك ، ولم تطلق يداه الا بموت الاخير فى عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ(٢٥) واذا كان موت نور الدين قد هيأ لصلاح الدين أن يحل محله كقائد للمسلمين ، فان الاحداث التى وقعت فى شمال الشام والتى تلت موت نور الدين قد هيأت لصلاح الدين الفرصة لأن يبدأ الشق الاول من مهمته ، وهو توحيد القوى الاسلامية تحت زعامته ، تمهيدا لتنفيذ الشق الثانى من هذه المهمة ، وهو القضاء نهائيا على الوجود الصليبى فى المنطقة . كما أجبرته تلك الاحداث على أن يبدأ بتدعيم مركزه فى شمال سوريا ووسطها أولا . ولتحديد دور امارة انطاكية تجاه هذه

---

(٢٤) ابن شداد بهاء الدين : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٤١ .

(٢٥) عن أحوال صلاح الدين فى هذه الفترة . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٨ — ١٧٩ ، ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٢ ، ص ٣٢١ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، السلطانية ، ص ٤٦ — ٤٧ .

المحاولة ، يلزم التعرض لاحوال صلاح الدين فى تلك الفترة (١٧٧٥ - ١١٧٦م/٥٧١ - ٥٧٢هـ) بشيء من التفصيل.فبعد موت نورالدين محمود تنافس أتابكته على الوصاية على ابنه ووريثه الطفل الملك الصالح . كما استولى سيف الدين غازى أتابك الموصل وابن عم الصالح على أملاكه فى اقليم الجزيرة . ولما كان صلاح الدين قد شغل بصد الحملة الصقلية على الاسكندرية ، فقد اكتفى بتهديد أتابكة الصالح بالحضور وتولى الوصاية عليه(٢٦) . ولم يتمكن الفرنج من استغلال فرصة دخول صلاح الدين فى حلقة الصراع حول أملاك نور الدين محمود ، للقيام بعمل من شأنه أن يخدم استراتيجيتهم العسكرية فى مواجهة أملاك المسلمين التى تحيط بأملاكهم من كل جهة وذلك لموت عمورى المفاجيء فى ١١ يوليو ١١٧٤م/ ٩ ذى الحجة ٥٦٩هـ(٢٧) . لذلك تمكن صلاح الدين من اقتحام أملاك نور الدين محمود ، وتثبيت اقدامه فى بلاد الشام . وبدأ بدخول دمشق ، التى استدعاه أتابكها ابن المقدم خوفا من الزنكيين فى الموصل وحلب ، فى ٣٠ أكتوبر ١١٧٤م/أول ربيع ثان ٥٧٠هـ(٢٨) . وبقى صلاح الدين فى دمشق لمدة شهر كامل(٢٩) ومع ذلك لم يستغل الفرنج ، وخاصة فى انطاكية ، هذه الفترة الطويلة ، وعدم استقرار الامور بين صلاح الدين وبين الصالح اسماعيل ،أو حتى بانشغال صلاح الدين بفتح حمص وحماة. وذلك يمر لصلاح الدين حصار حلب التى قاومه أهلها ، واستنجدوا بالباطنية لقتل صلاح الدين ، ولما فشلوا فى ذلك استنجدوا بريموند الثالث كونت طرابلس(٣٠) . ولا غرابة فى أن يستنجد أهل حلب بكونت طرابلس دون بوهيمند امير انطاكية الاقرب اليهم من الكونت . وربما رأى يدركون منذ أيام نور الدين ، كما أدرك المؤرخ وليم الصورى نفسه ، أن

---

(٢٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٠ - ١٨٣ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٧ - ٤٩ .

(٢٧) William of Tyre, Vol. 2, p. 395.

(٢٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، ج ٨ ، فى ٣ أقسام ، حيدر آباد ١٣٧٠هـ ، قسم ١ ، ص ٣٧٢ .

(٢٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٩ - ٢٢ .

(٣٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٨٩ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢١ . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 404-406.

انشغاله فى أمور المملكة بعد موت عمورى . هذا ، بينما كان الحلبيون يدركون منذ أيام نور الدين ، كما ادرك المؤرخ وليم الصورى نفسه ، أن نور الدين لم يحتفظ ببوهيمند فى اسره ليس فقط مراعاة منه لحماية بيزنطة لانطاكية ، ولكن ايضا لان بوهيمند كمحارب صليبى لم يكن يبشر بمستقبل مشرق ، كما أنه من الخير للمسلمين فى شمال الشام ان يبقى بوهيمند والحال هكذ الى حكم انطاكية من ان يختار اهلها حاكما اقوى منه ، اذا ما بقى بوهيمند فى أسر المسلمين ، وربما يسبب من يتولى أمور انطاكية من بعده ، الكثير من المتاعب لنور الدين(٣١) . كما لاحظ الحلبيون أن بوهيمند لم يتحرك لمساعدتهم ضد صلاح الدين . ومهما يكن من أمر فلم يحمل صلاح الدين على فك الحصار عن حلب سوى محاصرة ريموند لحمص(٣٢) . ولفت هجوم صلاح الدين على حلب أنظار الزنكيين فى الموصل الذين رفضوا عرض صلاح الدين عليهم بان يترك لهم حمص وحماة ويحتفظ هو بدمشق نيابة عن الملك الصالح ، وانتهى الامر بمواجهة بين الطرفين انتهت بانتصار صلاح الدين عند قرون حماة فى ابريل ١١٧٥م/ رمضان ٥٧٠هـ ومصالحته مع الحلبيين على أن يكون « له ما بيده من بلاد الشام ، ولهم ما بأيديهم »(٣٣) . وهكذا تاكد وضع صلاح الدين فى وسط الشام وشماله ، خاصة بعد أن وصلته الخلع من قبل الخليفة العباسى المستضىء بأمر الله(٣٤) . ولما لم يرض اتابك الموصل بما حققه صلاح الدين من مكاسب ، فقد جمع قواته وحلفاءه فى الجزيرة وحلب والتقى بصلاح الدين الذى هزمهم جميعا عند تل السلطان فى ٢٢ ابريل ١١٧٦م/ ١٠ شوال ٥٧١هـ ، وفتح صلاح الدين قلعتى بزاعة ومنبج ، ثم قلعة عزاز ، وذلك لتطويق حلب وعزلها عن الموصل فصالحه اهلها على أن يرد اليهم عزاز(٣٥) . وهكذا أمضى صلاح الدين ما يقرب من العام منذ التقائه بقوات الموصل عند قرون حماة ، ولم يحاول أمير انطاكية استغلال

---

(٣١) William of Tyre, Vol. 2, pp. 311, 402.

(٣٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٠ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ١٨٩ .

(٣٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٩٠ — ١٩١ ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ، ص ٢٣

(٣٤) السيوطى (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣٠٧ — ٧١٣ .

(٣٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

الفرص التى توفرت أمامه للقيام بعمل من شانه أن يساعد على صد صلاح الدين وعدم تمكينه من تثبيت اقدامه فى شمال الشام . وبقى بوهيمند فى سباته ، حتى استطاع صلاح الدين أن يمتلك دمشق وبعض القلاع جنوبى انطاكية ، ويعزل حلب عن الموصل ، واخيرا يتصالح مع الزنكيين فى حلب دونما خطر يتهدده من جانب الفرنج . هذا . بينما قام كل من ريموند كونت طرابلس وبولدوين الرابع ملك بيت المقدس ، رغم حداثته ومرضه بالجذام ، بمحاولة للحد من نشاطات صلاح الدين الذى عاد الى مصر فى سبتمبر ١١٧٦م/ربيع اول ٥٧٢هـ(٣٦) . وهكذا قام صلاح الدين بعد أن مات نور الدين محمود بتثبيت اقدامه فى بلاد الشام والحفاظ على وحدة المسلمين فى محاولة لجمعهم تحت قيادته تمهيدا لتحقيق هدفه الكبير فى استئصال شأفة الصليبيين من الشرق الادنى الاسلامى . وكانت سياسته هى عدم الدخول فى معركة حاسمة مع الفرنج الا بعد الاطمئنان على توحيد الجبهة الاسلامية ، اللهم الا اذا فرضت عليه الظروف خلاف ذلك(٣٧) هذا وامارة انطاكية التى يتهددها خطر صلاح الدين كثر من اية امارة صليبية اخرى ، ركن أميرها بوهيمند الثالث الى الراحة ، ولم يستغل الفرص التى اتيحت له لصد محاولات صلاح الدين فى تدعيم مركزه فى شمال الشام . الا ن الفرصة قد توفرت لبوهيمند بعد رحيل صلاح الدين الى مصر . وستكشف الصفحات التالية عن أسلوب بوهيمند فى استغلال هذه الفرصة ، الاسلوب الذى يميز سياسة جديدة لم يتبعها اى من امراء انطاكية السابقين فى علاقاتهم السياسية بجيرانهم المسلمين .

فاذا كان اختفاء نور الدين محمود من على مسرح الاحداث قد ترتب عليه ظهور صلاح الدين كقائد يقوم باعادة توحيد كلمة المسلمين ، والجهاد ضد الصليبيين ، التى بدأها سلفه من قبل ، فان موت نور الدين قد ترتبت عليه نتائج اخرى فى منطقة الشرق الادنى الاسلامى ، وآسيا الصغرى ، انتهت تبعاتها فى شمال الشام واستقرت على بعد اثنى عشر ميلا شرقى

---

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ١٨٩ ، ١٩٧ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٢ ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٤٢ ، ٥٢ .

(٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٥٠ ـ ٥٧١ .

انطاكية ، انتظارا لبوهيمند الثالث ليدلي بدلوه فى تحـديد كل ذلك ، وتحديد نتائجه المحتمة .

واول من تاثر بموت نور الدين هم من كان يحميهم . فقد قتل مليح الارميني على يد قواته المتمردة ، وحل محله ابن اخيه روبين الثالث الذى حافظ على فتوحات عمه فى قليقيـا ، وكان عليـه أن يعترف بنوع من السيادة البيزنطية ، وأظهر خلال الجزء الاكبر من حكمـه أنه حليف مخلص للفرنج(٣٨) . أما فى الاناضول فباختفـاء نور الدين محمـود ، اختفت كل عقبة فى وجه قلج ارسلان سلطان سلاجقة الروم فى قونية(٣٩) . فقد فر عبد المسيح نائب نور الدين فى سيواس الى الموصل ، واتجه ذو النون بن الدانشمند الى القسطنطينية ، وأتى شقيقه شاهنشاه حاكم انقره الى اللاذقية ، بينما احتل قلج ارسلان كل ممتلكاتهم وذلك فى ١١٧٤م/ ٥٧٠هـ(٤٠) . وهكذا ، وبدون أن يوجه ضربة واحـدة ، أصبح قلـج ارسلان طليقا فى الاناضول . الا أن هذه النجاحات لم ترض الامبراطور مانويل كومنين الذى رأى أن ذلك ربما يدفع بقلج ارسلان الى التحرر من وصاية بيزنطة عليه والتى فرضت عليه باتفاقيته مع مانويل أثناء زيارة قلج ارسلان للقسطنطينية فى عام ١١٦٢م/٥٥٨هـ(٤١) . بالاضـافة الى ذلك ، فان مانويل كان قد اتبع سياسة تاييد الصليبيين منذ عام ١١٦٨م/ ٥٦٤هـ ، وتبني قضيتهم بزيارة عمورى الاول ملك بيت المقدس للامبراطور فى عام ١١٧١م/٥٦٧هـ(٤٢) ، وذلك تعويضا لفشل سياسة الاخيرفىأوربا ، ومناوئة الامبراطور الالمانى فريدريك بربروسا (١١٥٢ — ١١٩٠م) له واتصاله بسلاجقة الروم ليؤلبهم ضد بيزنطة(٤٣) . وهكذا حصل مانويل

---

(٣٨) Sempad, p. 624; Vahram, p. 509.

(٣٩) Cahen, La Syrie du Nord, p. 417.

(٤٠) Michel Le Syrien, t. 3, p. 364-375, 373-376. Bar Hebraeus, Chronography, Vol. 2, pp. 303.

(٤١) John Kinamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trans. by Charles M. Brand, New York, 1976, pp. 156-158; CF. also, Michael Angold, The Byzantine Empire, New York, 1984, p. 191.

(٤٣) C. Cahen, Pre-Ottman Turkey, trans. by J. Jones-Williams, London, 1968, p. 103.

على المركز المرموق كزعيم حملة صليبية بتوجيه بيزنطى(٤٤) . وكانت سياسة مانويل للقيام بدوره تتكون من شقين ، الاول وهو التحكم فى طريق الحملات الصليبية عبر آسيا الصغرى ، والثانى وهو ارسال حملة بيزنطية صليبية مشتركة للاستيلاء على مصر . وبدأ مانويل فى تنفيذ الشق الاول من سياسته والذى تطلب القضاء على قوة سلاجقة الروم والاستيلاء على عاصمتهم قونية . الا نه منى بهزيمة كبيرة على أيدى السلاجقة فى مضيق فريجيا بالقرب من حصن ميريوكيفالون وذلك فى ١٧ سبتمبر ١١٧٦م/١١ ربيع أول ٥٧٢هـ ، وبعد أن كان مانويل لا يريد عقد الصلح ، الذى عرضه عليه قلج أرسلان ، فى قونية نفسها ، اضطر الى قبول شروط التسليم التى فرضها عليه السلاجقة وهدم كل ما بناه من حصون مثل دوريليوم وغيرها بعد ان فقد غالبية جيشه . وقد اتفق المؤرخان وليم الصورى ونيكيتاس كونياتيس على ان هزيمة مانويل كانت كارثة(٤٥) ، مما دفع بالمؤرخين الحديثين الى مقارنتها بكارثة ملاذكرد التى حلت بالامبراطور رومانوس الرابع فى عام ١٠٧١م/٤٦٣هـ(٤٦) ، خاصة وقد قارنها مانويل نفسه بملاذكرد فى خطابه الى هنرى الثانى ملك انجلترا فى ١١٧٧م/٥٧٣هـ(٤٧) . وما يهمنا هنا هو نتائج هذه المعركة التى حددت مصير سياسة مانويل تجاه الشرق اللاتينى فى ذلك الوقت . فبالرغم من انه لم ينتج عن هزيمة البيزنطيين أية خسائر اقليمية ، الا انها معنويا جعلتهم يفقدون الامل فى استرداد سيطرتهم على الاناضول(٤٨) . وبذلك يكون مانويل قد فشل فى تحقيق الشق الاول من

---

(٤٤) Cahen, La Syrie du Nord, p. 412.

(٤٥) يذكر المؤرخ البيزنطى نيكيتاس أن « المشهد كان يستحق الدموع ، وكانت الكارثة عظيمة لدرجة انه لم يكن من الممكن الحزن عليها بدرجة كافية » . بينما يؤكد وليم الصورى بان الامبراطور « ظل يحمل فى مخيلته ذكرى تلك الكارثة » . انظر :
Nicetas Choniates, p. 247; William of Tyre, Vol. 2, p. 514.

(٤٦) Vasiliev. History of the Byzantine Empire, University of Wisconsin press, 1961, p. 429; Cahen, Un Famille Byzantine au service des Seldjugides d'Asie Mineur, in Variorum, London, 1974, p. 147.

(٤٧) Roger of Hoveden, Chronica, ed. W. Stubbs, in R.S., 4 Vols, London, 1868-1871, Vol. 2, pp. 102-104.

(٤٨) Cahen, La Syrie Du Nord, p. 417; Angold, p. 192.

سياسته تجاه قضية الصليبيين وهو التحكم فى طريق الحملات الصليبية عبر آسيا الصغرى . ووجد مانويل أنه من الاسلم أن يعوض ذلك الفشل بالاسراع بالبدء فى تنفيذ الشق الثانى من سياسته ، وهو ارسال حملة بيزنطية صليبية للاستيلاء على مصر . وقد كان من الممكن لهذه الحملة أن تحقق أمل الطرفين ، خاصة وانه مضمون لها جدية التعاون بينهما بتعويض خسائر البيزنطيين فى آسيا الصغرى ، والصليبيين الذين رأوا صلاح الدين وهو يعيد توحيد مسلمى مصر وسوريا ، ولن تكون هذه الحملة على الاقل عرضة لما حدث فى حملة ١١٦٩م/٥٦٥هـ . فبعث مانويل بسبعين سفينة الى عكا فى سبتمبر ١١٧٧م/ربيع الاول ٥٧٣هـ لمصاحبة الفرنج الى مصر(٤٩) . الا أن ذلك واكب وصول فيليب كونت الفلاندرز الى بيت المقدس أغسطس ـ جمادى الآخرة من نفس العام) . وبدلا من أن يضيف وجوده الى قوة الحملة ضد مصر ، فقد حدث العكس تماما . فقد رفض فيليب الوصاية على مملكة بيت المقدس التى عرضها عليه الملك بولدوين الرابع الذى يعانى من مرض الجذام ، كما اعترض على أى مرشح آخر . وعبثا حاول الملك اقناعه بالاشتراك فى الحملة ضد مصر ، وعادت السفن البيزنطية الى القسطنطينية دون أن تحقق أى هدف(٥٠) . بينما نجد كونت الفلاندرز يقوم بمهاجمة حماة وشيزر بصحبة كونت طرابلس ، ثم يتوجه ليساعد بوهيمند فى محاولته للاستيلاء على حصن حارم . فهل كان هناك اتفاق بين بوهيمند وفيليب ؟ فاذا كان الامر كذلك ، واذا وضعنا فى الاعتبار أن فيليب قد تسبب فى فشل مهمة البيزنطيين فى الهجوم على مصر كما رأينا من قبل ، فان اتفاق بوهيمند معه ، وبوهيمند يعى تماما مدى ارتباطه بالتبعية مع الامبراطور البيزنطى الذى تتمتع امارة بوهيمند بحمايته ، فان اتفاق الاخير مع كونت الفلاندرز يكون ذى مغزيين : الاول أن بوهيمند يخل بالتزاماته نحو سيده الامبراطور ، ولابد انه شعر بانه لم يعد فى مقدور مانويل أن يفرض عليه سيادته وهو المغزى الثانى من وراء اتفاقه مع فيليب . ولتاكيد ذلك تجدر

---

(٤٩) William of tyre, Vol. 2, p. 422.

(٥٠) William of tyre, Vol. 2, p. 417.

مناقشة تطور الاحداث منذ البداية . فبعد هزيمة مانويل أمام السلاجقة ، بعث بخطاب الى الامبراطور فريدريك بربروسا فى ١١٧٧م/٥٧٤هـ يصف له حالة السلاجقة بالضعف . الا أن فريديريك كان على علم بالحقيقة التى تتلخص فى هزيمة مانويل الساحقة ، ويتأكد ذلك من رده على مانويل بأن « الاباطرة الالمان الذين يرثون سلطانهم عن الاباطرة الرومان الامجاد ، لهم أن يحكموا الامبراطورية الرومانية وأيضا المملكة اليونانية »(٥١) لذا فهو يأمر مانويل أن يعترف بسلطة الامبراطور الغربى عليه ، وأن يخضع أيضا لسلطة البابا الرومانى الكسندر الثالث ، الامر الذى سيؤكده البـــابا نفســه فى المؤتمر الكنسى الثالث فى عام ١١٧٩م/٥٧٤هـ(٥٢) . وفى مايو ١١٧٧م/ذى القعدة ٥٧٢ ، عقد مؤتمر البندقية الذى حضره كل من البابا الكسندر الثالث (١١٥٩ ــ ١١٨١م) والامبراطور فريدريك بربروسا ، وممثلى قومونات المدن اللمباردية بشــمال ايطاليا ، حيث تم الاعتراف باستقلال هذه القومونات ، وتم التصالح بين البابا والامبراطور ، وبذلك تنتهى الخلافات بين البابوية والمانيا والمدن اللمباردية ، تلك الخلافات التى اعتاد مانويل أن ينتفع بها لتحقيق سياسته فى اوربا . وتعتبر هذه الاتفــاقية ضربة موجهــة لسياسة مانويل ، واصبحت بيزنطة هى التى تحتاج الحماية(٥٣) . وهكذا كان موقف مانويل فى أوربا ضعيفا للغاية . فهو عضــو غير مقبــول فىالاسرة الاوروبية أو كحليف للامبراطورية أو للبــابوية التى تهيمن على القضية الصليبيــة . ويؤكد كل ذلك أنه فى ١١٧٩م/٥٧٤هـ وصل الى لندن مندوب عن مانويل وبوهيمند الثالث وربما يوحى ذلك بوصاية بيزنطة على انطاكية ، ولكن يبدو أن وضع مانويل لدى كل حكام أوربا لم يكن بالصورة التى توحى بها هذه السفارة . فمن سجلات هنرى الثانى المالية والتى تضم مصاريف الضيوف السياسيين فى

---

(٥١) Franz Dolger, ed., Regesten der Kaiserurkun des Oströmischen Reiches, Corpus der grieschischen Urkunden des Mittelaters und der neureuzeit, Berlin, 1925, no. 1528, p. 87; Annales Stadenses, in M.G.H.SS., Vol. XVI, p. 349.

(٥٢) Angold, p. 192.

(٥٣) Boso, Life of Alexander III, trans. by G.M. Ellis, Oxford, 1973, p. 104; Angold, p. 194; Peter Munz, Frederick Barbarossa, Astudy in Medieval Politics, London, 1969, pp. 328 ff;

لندن ، نجد أن « روبرت » ممثل الامبراطور وبوهيمند يذكر أولا كممثل لأمير انطاكية ، ثم بعد تسجيل عدد آخر من الاسماء ، يذكر اسمه كممثل للامبراطور البيزنطى ، هذا بالاضافة الى أن ما صرف له من مصاريف اقامتــــه فى لنـــــدن كمنــــدوب للامير ، فاق ما صرف له كمنــــدوب للامبراطور (٥٤) . ومهما يكن من أمر ، فقد وصل كونت الفلاندرز الى الشرق فى أول اغسطس ١١٧٧م/صفر ٥٧٣هـ (٥٥) ، ومن المؤكد أنه جاءت معه الانباء عن اتفاقية البندقية التى تمت فى ابريل ١١٧٧م/شوال ٥٧٢هـ . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فعند وصوله كان كل من بوهيمند وكونت طرابلس فى بيت المقدس (٥٦) . ولابد وأن يكون بوهيمند قد اطلع عــلى ما جرى فى مؤتمر البندقية من تقارب بين البابا وفريدريك ضــد مانويل الذى ضعف مركزه ، وشعر بوهيمند أن الامبراطور البيزنطى لم يعــد بامكانه فرض نفوذه على انطاكية ، وأصبح بوسع بوهيمنــد أن يستغل وجود كونت الفلاندرز ـ وهذه سياسة بوهيمند الثابتة مع كل الحمــلات الصليبية الوافدة الى الشرق اللاتينى ـ لصالحه هو . ولم يعد يهمه أن تفشل الحملة التى يوجهها ويرعاها مانويل ضد مصر . لذا نجده . كمــا يؤكد وليم الصورى ، وبالاشتراك مع كونت طرابلس ، وكلاهما لا تعنيه الحملة ضد مصر ، يجتهدان فى شد انتباه كونت الفلاندرز الى اراضيهما للقيام بعمل مشترك من شأنه أن يزيد من املاكهما فى شمال الشام ووسطه (٥٧) خاصة وأنهما قد وقفا على الاعذار التى انتحلها فيليب كى لا يشترك فى الحملة على مصر ، ووجدا أن المشاريع العسكرية التى يمكن أن يســاهم

---

(٥٤) صرف لروبرت خمس ماركات (٢٠ شـلن) كمنـدوب عن أمير انطاكية ، بينما صرف له شلن واحد كمندوب عن الامبراطور . والمارك يساوى ثلثى الجنيه الانجليزى بينما يســاوى الشلن عشرين بنسا فى ذلك الوقت . انظر :

Magnus Rotulus Pipae de Anno Vicesimo Quinto Regis Henri Secundi (1178-1179) in Pipe Rolls Collection, Vol. 28, p. 125.

(٥٥) William of Tyre, Vol. 2, p. 417.

(٥٦) حضر بوهيمند الى بيت المقدس لوفاة اخته فيليبا Philippa التى تزوجت من همفـــرى دى تورون بعــد أن انفصلت عن اندرونيقوس كومنين . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 416-417, 424.

(٥٧) William of Tyre, Vol. 2, p. 424.

فيها بقواته تنطبق تماما على ما دبراه لانفسيهما من مشاريع . وربمـا يبدو الأخذ برواية وليم الصورى وهو مستشار ملك بيت المقدس والمتحمس للحملة ضد صلاح الدين فى مصر ، ربما يبدو ذلك نقطـة ضعف فى هذا التفسير لمجرى الامور فى ذلك الوقت . ولكن اذا ما تمعنا فى اعذار فيليب كى لا يشترك فى الحملة على مصر ، وأيضا فى ظروف كل من بوهيمند وريموند ، ربما يتاكد لنا قيام الاخيرين بمناورة أدت الى جذب فيليب اليهما مما أدى الى فشل الحملة البيزنطية الصليبية المزمع قيامهـا . وبالتالى يتاكد لنا شعور بوهيمند بانتهاء السلطة والحماية البيزنطية على امارته فى ذلك الوقت ، وليس بعـد موت مانويل فى ١١٨٠م/٥٧٦هـ . فبالنسبة لريموند كونت طرابلس ، فانه كان يطمع فى الوصاية على الملك بولدوين الرابع القاصر المريض ، ولكنه لم يتمكن من ذلك الا بمقتل ميلون دى بلانسى Millon de Plancy صديق عمورى الاول ومستشاره فى نهـاية ١١٧٤م/منتصف ٥٧٠هـ(٥٨) . ثم ضاعت منه الوصاية على المملكة بتعيين رينو دى شاتيون مكانه بعد موت وليم مونتفيرات الذى جاء الى فلسطين فى أكتوبر ١١٧٦م/ربيـع ثان ٥٧٢هـ ، وتزوج الاخير من سـيبل شقيقة بولدوين الرابع ، ومات فى يونيـو ١١٧٧م/ذى الحجة ٥٧٢هـ . وهكذا وجد ريموند نفسه وقد خسر الوصاية على المملكة بعد تعيين رينـو دى شاتيون الذى لا حدود لمطامحه ، كمـا عينه الملك أيضـا قائدا للجيش الصليبى المتوجه الى مصر(٥٩) ؛ أما عن بوهيمنـد فكان قد اتفق مع سعد الدين كمشتكين مقدم عسكر حلب الفرنجى الاصل ، على أن يسـلم اليه الاخير حصن حارم مقابل مبلغ كبير من المال ، وليثبت صدق نيته ، قام بفك أسر رينو دى شاتيون وجوسلين كونت الرها(٦٠) . وهكذا كان الطريق ممهدا أمام بوهيمند كى يستولى على حصن حارم الذى يفصـل بينه وبين حلب . لذلك لم يجد صعوبة فى اقناع كونت الفلاندرز بمساعدته

---

(٥٨) William of Tyre, Vol. 2, pp. 400-404.

(٥٩) William of Tyre, Vol. 2, pp. 415-418.

(٦٠) كان نور الدين قد عين كمشتكين واليا على الموصل عندما اقطعها لابن أخيه سيف الدين غازى ، ثم هرب كمشتكين الى حلب بعد موت نور الدين محمود ، ثم تخلص من أبناء الداية هناك وانفرد بالامور فيها بعد أن نقل اليها الملك الصالح اسماعيل . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٣٤ - ٣٥ .

فى الاستيلاء على هذا الحصن ، خاصة اذا ما عرفنا أن سهولة الاستيلاء عليه تناسب طبيعة المشروعات التى ذكرها فيليب للملك بيت المقدس فى حضور كل من ريموند وبوهيمند الذى من المؤكد أنه قد أطلع فيليب على أحوال حلب ، فالملك الصالح « صبى ، وعسكره قليل ، والملك الناصر بمصر ، ولا ينجدهم الا بعد ان يأخذوا حارم »(٦١) . ولم يقبل فيليب الوصاية على المملكة كى لا يتحمل المسئولية التى ربما تمنعه من العودة الى بلاده . بالاضافة الى انه كان غريبا ـ كما قال ـ عن المنطقة ، ولا يعرف شيئا عن مصر ، الى جانب أنه رأى مشكلة الامدادات ربما تعوق تقدم الحملة على مصر . هذا فضلا عن انه أظهر رغبته فى الاشتراك فى مشاريع عسكرية فى أراض غنية حتى تعم الفائدة عليه وعلى من يشترك معهم فى تلك المشاريع(٦٢) . وربما فكر فيليب فى عدم العودة الى أوروبا دون أن يحقق شيئا ، وربما كان من الانسب له أن يفتح لبوهيمند حصن حارم ، الذى ساعد والده ثيرى كونت الفلاندرز فى استرداده لانطاكية فى ١١٥٨م/ ٥٥٣هـ(٦٣) . وهكذا لم يجد بوهيمند صعوبة فى الاتفاق مع فيليب على مشاركته فى الاستيلاء على حارم من المسلمين ، وهو يعلم بغياب صلاح الدين فى مصر ومن ثم رحل بوهيمند الى انطاكية ليعد نفسه وقواته . وبعد فترة قضاها فيليب فى تضليل ملك بيت المقدس بالتظاهر بالموافقة على الاشتراك فى الحملة ضد مصر ، ثم رفضه مرة أخرى القيام بذلك ، رحل فيليب بصحبة كونت طرابلس ، ومده الملك بمائة فارس وحوالى

---

(٦١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠٢ .

(٦٢) من الواضح أن فيليب كان ينتحل شتى الاعذار كى لا يشترك فى الهجوم على مصر لأن بوادوين ملك بيت المقدس عرض عليه أن يمده بكل الضروريات اللازمة من مؤن وسفن وأسلحة تنقل من عكا بالسفن الى مصر ، وأيضا بالجمال عن طريق البر . كما أنه من الواضح أن قواته مع قوات بيت المقدس بالاضافة الى الاسطول البيزنطى والقوات التى يحملها ، كان من الممكن لكل ذلك أن يضمن النجاح للحملة ، خاصة اذا ما توفرت النية الصادقة لدى فيليب فى قيادة هذه الحملة . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 421-422.

(٦٣) استرد رينو دى شاتيون أمير انطاكية السابق حصن حارم من قوات نور الدين محمود الذى كان قد أخذه من الفرنج بعد مقتل ريموند بواتييه وكان رينو قد صحب ثيرى كونت الفلاندرز فى حملته على حارم . انظر ما سبق من الفصل الاول ص ١٥٤ .

ألفين من المشاة . وبعد فترة راحة فى طرابلس توجها الى حماة فى ١٤ نوفمبر ١١٧٧م/٢٠ جمادى الاولى ٥٧٣هـ ، وحاصراها لمدة أربعة أيام ولم يظفروا بطائل « لشدة مقاومة المسلمين بها »(٦٤) فتوجها الى حارم حيث قابلهم بوهيمند فى الطريق حسبما تم الاتفاق من قبل(٦٥) . واذا نحينا رواية وليم الصورى جانبا لتحامله على فيليب ، فان مسير فيليب وكونت طرابلس الى حارم لمساعدة بوهيمند دون الذهاب الى انطاكية اولا لدليل آخر على وجود اتفاق مسبق بين الطرفين . ومهما يكن من أمر فقد كانت حارم فى ذلك الوقت فى أيدى اتباع سعد الدين كمشتكين الذى قبض عليه الملك الصالح بعد ان انكشف أمره باتفاقه مع لاتين انطاكية على تسليم حارم ، ورفض أصحاب كمشتكين اعادة قلعة حارم الى الصالح(٦٦) . فزحف الفرنج على حارم وانضم اليهم كل حلفاء بوهيمند من الداوية والاسبتارية ، وروبين حاكم قيليقية الارمينى(٦٧) . وبدأوا فى حصارها مباشرة . ولم يحدد المؤرخون بصفة عامة تاريخ بدء هذا الحصار(٦٨) .واذا أخذنا بانهم قد اتفقوا على أن حصار حماة قد استمر

---

(٦٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٦ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ٢٥٧، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢٦ . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, 425.

(٦٥) William of Tyre, Vol. 2, p. 425.

(٦٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٦٧) انفرد المؤرخ ابن العديم بذكر اشتراك كل من فرسان الداوية والاسبتارية وروبين الثالث فى حصار حارم . بينما ذكر وليم الصورى الداوية والاسبتارية فقط . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٣٦ ، راجع ايضا :
William of Tyre, Vol. 2, 425.

(٦٨) رحل الفرنج من أمام حماة بعد أربعة أيام أى فى ١٨ نوفمبر ١١٧٧م/٢٥ جمادى الاولى ٥٧٣هـ . واتفق على ذلك كل من العماد الاصفهانى ، وابى شامة ، وابن واصل . بينما ذكر ابن الاثير انهم رحلوا من حماة الى حارم فى جمادى الاولى ولم يحدد تاريخا لذلك . بينما لم يذكر ابن شداد وقعة حماة بالمرة . ويحدد شهر جمادى الآخرة تاريخا لهجومهم على حارم ، وهذا تحديد يفتقر الى الصحة ، خاصة وأنه يتفق فى تحديده لفترة حصار الفرنج لحصن حارم ،مع بقية المؤرخين،بأربعة أشهر. =

أربعة أيام ، فانه ينتهى فى ١٨ نوفمبر ١١٧٧م/٢٣ جمادى الاولى ٥٧٣هـ(٦٩) . ولما كان بوهيمند على علم بأحوال حارم ، فاسرع مع فيليب وريموند الى حارم مباشرة ودون التوجه الى انطاكية فمن المؤكد أنهم بدأوا فى حصار حارم فى نفس اليوم أى فى ١٨ نوفمبر ١١٨٧م/٢٣جمادى الاولى ٥٧٣ هـ. ومهما يكن من امر ، فقد ظهر تصميم الفرنج على أخذ حارم ، وعدم العودة قبل ذلك ، مما قاموا به من اجراءات عندما وصلوا اليها . فقد شيدوا أكواخا من فروع الشجر وقنوات لتصريف مياه الامطار ، حيث حل فصل الشتاء ، كى لا تفسد المؤن والعتاد . وفى نفس الوقت قاموا بحصار حارم من كل الجهات ليمنعوا خروج أحد منها ، وليمنعوا أيضا وصول الامدادات اليها من اى جهة(٧٠) كما اقاموا المجانيق والسلالم استعدادا لاقتحامها(٧١) كما تسابق المسيحيون المقيمون فى نواحى حارم بحماسة فى مساعدة الفصائل الفرنجية التى تجلب المؤن للمعسكر الفرنجى من انطاكية ومجاوراتها(٧٢) « فندم من بحارم » ، حيث لم يسلموها للملك الصالح(٧٣) ، خاصة عندما رأوا حماسة الفرنج فى حصارهم بعد أن علموا بهزيمة صلاح الدين فى فلسطين(٧٤) واذا كان ذلك يعتبر بداية موفقة للفرنج ، فانهم جعلوها عديمة الجدوى . فبعد أن هاجموا أسوار حارم من الجهة الجنوبية حيث توجد القلعة واستطاعوا

= انظر : العماد الاصفهانى : البرق الشامى ، مخطوط بمكتبة البودليان ، لوحة ٢٥ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص٢٧٥، ابن واصل :مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٦٤ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٣ .

(٦٩) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٨ ، راجع :
William of Tyre, Vol. 2, p. 426.

(٧٠) William of Tyre, Vol. 2, p. 426.

(٧١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٣٦ .

(٧٢) William of Tyre, Vol. 2, p. 426.

(٧٣) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٦ .

(٧٤) خرج صلاح الدين من مصر نجدة لحارم واصطدم بقوات مملكة بيت المقدس عند تل الصافية فى اقليم الرملة فى ٢٥ نوفمبر ١١٧٧م/٣ جمادى الاخرة ٥٧٣هـ . انظر ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ ، العماد الاصفهانى : البرق الشامى ، مخطوط ، جـ ٣ لوحة ٨ .

أن ينقبوه ، وفى نفس الوقت استطاع جزء منهم القيام بنقب السـور من الجهة الشمالية ، الا ان السور انهار على من تحته « فتوقف القتال فى هذه الجهة »(٧٥) الا أن الفرنج ركنوا الى الراحة ، ويبدو أن متع انطاكية كانت أقرب اليهم من الاستيلاء على حارم . فأمضى بوهيمند ، بشـكل غريب ، وفيليب ، الوقت فى التسلية ، الامر الذى لا تسمح به « قواعد الحصار »(٧٦) . وبذلك تمكن أهل حلب من ارسال من يطلب الامان والنجدة من الملك الصالح فى حلب . فبعث الاخير بقوات لدعم حاميـة حارم . فتسلل هؤلاء الى الحصن أثناء الليل ، واحتلوا القلعة وتقوى بهم من كان بحارم ، بعد ان عوضوا خسائرهم فى الرجال أثناء هجمة الفرنج الاولى(٧٧) . وفى نفس الوقت ، احدق جند الصالح بالمكلفين من الفرنج بجلب المؤن الى المعسكر الفرنجى وأخذوا « يتخطفون من يمكنهم أخذه من الفرنج ويحفظون أطراف البلد » . وهكذا انهارت معدات الحصار الفرنجية ، وانهارت معها الروح المعنوية للجنود ، خاصة بعد أن ألح فيليب برغبته فى العودة الى بيت المقدس(٧٨) . وبعد أربعة أشهر من الحصار ، راسلهم الملك الصالح ، وعرض عليهم الرحيل عن حارم مقابل مبلغ من المال يعوضهم عما انفقوه فى حصارهم لها . كما هددهم بوصول صلاح الدين الى الشام « وربما يسلم من بحارم اليه قلعتها »(٧٩) وتحت الحاح فيليب وفرسان الداوية على قبول العرض ، وافق بوهيمند ورحل الفرنج عن حارم فى ١٨ مارس ١١٧٨م/١٩ رمضان ٥٧٣هـ ، ليدخلها الصـالح « واستناب بها مملوكا لأبيه يدعى سرخك »(٨٠) وعاد فيليب الى بيت المقدس(٨١) . بينما عاد بوهيمند الى انطاكية وكل ما غنمه هو مبلغا

---

(٧٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

(٧٦) كثيرا ما عرج بوهيمند وفيليب الى انطاكية للاستحمام والتسلية والعودة ثانية الى المعسكر خارج أسوار حارم
William of Tyre, Vol. 2, pp. 434-435.

(٧٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ص ٣٧ .

(٧٨) William of Tyre, Vol. 2, p. 435.

(٧٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٨٠) العماد الاصفهانى : البرق الشامى ، مخطوط ، ج ٣ ، لوحة ٢٧ راجع أيضا :
William of tyre, Vol. 2, p. 435.

(٨١) بقى فيليب فى بيت المقدس حتى عيد القيامة ، ثم رحل الى =

من المال شاركه فيه - بالطبع - كونت الفلاندرز ، ونصف دخل اقليم العمق من المسلمين(٨٢) . وهكذا بينما كان صلاح الدين يحاول جاهدا أن يثبت اقدامه فى شمال الشام ، لم يوفق بوهيمند الثالث أمير انطاكية بالرغم من عدم ثبات مركز صلاح الدين تماما فى حلب ، لم يوفق بوهيمند فى تغيير حدود امارته باسترداد ما ضاع منها من معاقل منذ أيام نور نور الدين محمود . واستمرارا لسياسته الغير نشطة تجاه المسلمين منذ فك أسره فى ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، ودخوله تحت الحماية البيزنطية ، وربما اعتمادا على هذه الحماية ، وعلى ضعف حلب واضطراب أحوالها ، وهى اقرب المعاقل الاسلامية اليه ، بعد موت نور الدين محمود ، بقى بوهيمند على سلبيته تجاه المسلمين بالرغم من توالى الفرص امامه للقيام بعمل من شانه أن يدعم مركزه ومركز امارته . وحين أراد القيام باول جهوده ضد المسلمين ، وبعد ثلاثة عشر عاما من الراحة ، وبعد ان تاكد من أن بيزنطة لم يعد بمقدورها فرض نفوذها عليه ، اتخذ اجراءا ادى الى فشل الحملة الصليبية البيزنطية التى يرعاها الامبراطور البيزنطى ، وذلك باتفاقه مع كونت الفلاندرز على مشاركته فى الهجوم على حارم ، والتخلى عن الحملة ضد مصر التى كان من الممكن أن تحد من نشاط صلاح الدين المقبل ،وربما تقوض مركزه فى مصر ، وتحمى مملكة بيت المقدس الصليبية وانطاكية نفسها مما ينتظرها من أخطار كان الفرنج كلهم فى غنى عنها . وهذا ما نتج عن سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية الصليبية قبيل موقعة حطين .

واذا كان بوهيمند الثالث قد فشل فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ فى أن يجنى ثمرة جهده الوحيدة ضد المسلمين منذ عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، فانه تسبب فى أن تحظى مملكة بيت المقدس بهذه الثمرة ، وان وجدتها فاسدة . فمن النتائج المباشرة لمشروع بوهيمند ضد أملاك الحلبيين فى حارم نتيجتان ، حددهما المؤرخان وليم الصورى وميشيل السريانى اللذان تميزت الكتابة التاريخية للاول منهما فى هذه الفترة بالتركيز على الخطر الذى يشكله

= اللاذقية ثم الى القسطنطينية ، ومنها وصل الى بلاده فى بداية عام ١١٧٨م . انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 435.

(٨٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .

صلاح الدين على الكيان الصليبى ، بينما تميز الثانى بتحمسه الشديد للقضية الصليبية مشاركا وليم الصورى فى حنقه على بوهيمند لما سببه من كوارث للفرنج بصفة عامة ، وببعد نظره فى تحليل الاحداث الجارية أمامه وما يترتب عليها من النتائج . فكل منهما يرى أن أول هذه النتائج هى فقدان الفرنج للمنفذ الوحيد الذى يمكنهم منه القيام بعمل ضد صلاح الدين وهم على الاقل يضمنون وجود مركز مقاومة موال لهم ، على الجانب الاسلامى ، ضد صلاح الدين . فخسروا بذلك فرصة التحالف مع الحلبيين الذين طالما استنجدوا بهم ضده . والنتيجة الثانية لمشروع بوهيمند الفاشل ، هى أنها جذبت صلاح الدين الى فلسطين(٨٣) ، وقد انتهج لنفسه سياسة شاملة للقضاء على الفرنج فى بلاد الشام . وكان جزء من هذه السياسة يخص امارة انطاكية . وقد مضى صلاح الدين ما يقرب من عام فى مصر قبل عودته الى الشام . وخلال هذه الفترة قام بمتابعة أعمال الدفاع عن مصر توقعا منه قيام الفرنج بالهجوم المشترك عليها(٨٤) . واذا كان صلاح الدين قد علم بحصار بوهيمند لحصن حارم ، وخرج من مصر لهذا السبب ،ففى الوقت نفسه كان ذلك الحصار قد أكد له فشل المشروع البيزنطى الصليبى ضده فى مصر . لذا خرج لانقاذ حارم وربما خوفا على حلب نفسها . وان لم يستطع انقاذ حارم ، فانه على الاقل سينفرد بمملكة بيت المقدس نفسها وقد بعث ملكها بجزء من قواته مع كونت الفلاندرز الى شمال الشام . وهذا ما لاحظه وليم الصورى الذى كان يتتبع تحركات صلاح الدين بيقظة لم يتمتع بها القادة الصليبيون أنفسهم(٨٥) . وبعد حصاره لملك بيت المقدس فى عسقلان ، وقعت به هزيمة مفاجئة نتيجة لافراط قواته فى الاطمئنان والحصول على الاسلاب ، وذلك عندما انقضت عليهم قوات الفرنج أثناء عبورهم أحد الانهار عند تل الصافية بالقرب من الرملة . واستطاع صلاح الدين النجاة بصعوبة وعاد الى مصر فى منتصف نوفمبر ١١٧٧م/منتصف جمادى الآخرة

---

(٨٣) William of Tyre, Vol. 2, p. 435; Michel Le Syrien, t. 3, p. 375.

(٨٤) أمر صلاح الدين ببناء سور كبير حول القاهرة ، ثم زار الاسكندرية ، وأمر بتعمير الاسطول . انظر : المقريزى : الخطط ، ص ٢٣٣ .

(٨٥) William of Tyre, Vol. 2, p. 426.

٥٧٣هـ(٨٦) . وعاد بولدوين الرابع الى بيت المقدس منتصرا(٨٧) . وبعودة صلاح الدين الى مصر ، لم يكن على امارة انطاكية أن تدفع ثمن اعتدائها على حارم . وكان لانتصار الفرنج على صلاح الدين عند تل الصافية أثره فى تشجيع بقية الصليبيين وقيامهم بالغارات على المسلمين فى شمال الشام . فقد قام بوهيمند امير انطاكية بالاغارة على اقليم شيزر . ولم يتفق المؤرخون الحديثون على تحديد تاريخ هذه الغارة . فبينما يذهب المؤرخ ستفنسن الى انها وقعت فى صيف عام ١١٧٨م ويرجعها رنسيمان الى ربيع العام نفسه (١١٧٨م) نجد كلود كاهن يقترب من الصحة عندما يرجعها الى ربيع ١١٧٩م . الا أنه الى جانب عدم تحديده لتاريخ دقيق لوقوع هذه الغارة ، فان روايته يشوبها الاضطراب عندما يذهب الى أن بوهيمند قام بغارته وهو فى طريق عودته من رحلته البحرية الى بيت المقدس . ويستشهد كاهن فى ذلك برواية وليم الصورى . الا أن هذه الرواية تخص أحداث عام ١١٨٠م وليس عام ١١٧٩م الذى كان فيه وليم متغيبا عن المملكة . ولم يذكر أبدا شيئا عن زيارة بوهيمند الى المملكة فيما رواه من أحداث وقعت فى عام ١١٧٩م(٨٨) . وربما يرجع هذا الاختلاف بين المؤرخين الحديثين حول تحديد تاريخ دقيق لوقوع غارة بوهيمند على شيزر الى عدم تحديد المؤرخين المعاصرين بدورهم لهذا التاريخ نفسه . فوليم الصورى المؤرخ اللاتينى الوحيد المعاصر لهذه الاحداث كان غائبا فى روما لحضوره مجلس اللاتيران الثالث(٨٩)

---

(٨٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٦٤ . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 430-433; Michel Le Syrien, t. 3, p. 375.

(٨٧) وتذكر بعض المصادر أن رينو دى شاتيون كان هو الذى يقود جيش الفرنج وليس بولدوين الرابع . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب : جـ ٢ ، ص ٥٩ . راجع أيضا .
William of Tyre, Vol. 2, p. 433.

(٨٨) W.B. Stevenson, The Crusaders in the East, p. 218; Runciman, Vol. 2, p. 418; Cahen, Lasyrie, p. 420.
وعن زيارة بوهيمند لبيت المقدس : انظر :
William of Tyre, Vol. 2, p. 446.

(٨٩) توجه وليم الصورى الى روما لحضور مجمع اللاتيران الثالث الذى عقد فى ١١٧٩م . وكان رحيله من بيت المقدس فى اكتوبر ١١٧٨م/جمادى أول ٥٧٤هـ ولم يعد الى فلسطين قبل أكتوبر =

وبالتالى فانه لم يذكر هذه الواقعة . ومن الملاحظ أنه كان كتوما بالنسبة لما يجرى فى انطاكية منذ عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، ولم يذكر الا ما أتى به بوهيمند من أعمــال لا ترضى الكنيسة ، ولا تتفق ومصــالح مملكة بيت المقدس(٩٠) . أما عن المؤرخين المسلمين ، فانهم أيضا لم يضعوا تاريخا محددا لهذه الموقعة . فقد ذكروها ضمن ما سردوه من حداث وقعت خلال عام ٥٧٤هـ الذى يواكب الفــترة من ١٩ يونيــة ١١٧٨م الى ٧ يونيــة ١١٧٩م . ومن هنا كان اختلاف المؤرخين المحدثين حول تحديد تاريخ قيام بوهيمند بغارته على شــيزر . ومع ذلك فان تتبع تفاصيل روايات المؤرخين المسلمين ، وظروف كل من بوهيمنــد وصــلاح الدين ، ربمــا يساعد على الوقوف على تاريخ محدد لهذه الواقعة . فقد اتفق كل من العماد الاصفهانى وابن الاثير ، وابن واصل ، وابو شامة ، على وقوع هذه الغارة بعد انتصار صلاح الدين على ملك بيت المقدس بالقــرب من دمشــق فى ١٠ ابريل ١١٧٩م/أول ذى القعدة ٥٧٤هـ(٩١) . لذا يمكن استبعاد الرأى الذى يأخذ بوقوع هذه الغارة فى ربيع عام ١١٧٨م/٥٧٣هـ . ولمــا كان بوهيمنــــد متــــواجدا فى بيت المقــــدس مع ريمــــوند كونت طرابلس حتى ١٢ فبــراير ١١٧٩م/٣ رمضــــان ٥٧٤هـ(٩٢) ،

= ١١٧٩م/جمادى الاولى ٥٧٥ . انظر :
William of Tyre, Vol. 2, pp. 436-439.

(٩٠) لذلك يبدو وليم الصورى دائما وهو ناقد لاعمال بوهيمند . انظر:
E.G. Rey, Princes D'Antioche, p. 328.

(٩١) العماد لاصفهانى : البرق الشامى ، مخطــوط ، جـ ٣ ، لوحة ١١٧ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٧٤ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٨ . ولم يذكر ابن شداد هذه الموقعة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(٩٢) يظهر بوهيمند وهو يشهد على عدة وثائق ترجع الى فــــبراير ١١٧٩م/شعبان — رمضان ٥٧٤هـ وخاصـــة بتصـــالح الداوية والاسبتارية لانهاء المنازعات القائمة بين الجماعتين حول بعض الاملاك فى اقاليم غزة وجبلة وشيزر . كما يوثق باسمه منحة لجوسلين الثالث كونت الرها الاسمى فى مجاورات انطاكية . انظر :
Rohricht. Regesta, no. 572, 573, 574, p. 152; E. Strehlke; ed. Tabulae Ordinis. Theutonici, Berlin, 1869, no. 9, p. 10.

فان اغارته على شيزر لابد وأنها وقعت بعد هذا التاريخ . ويقربنــا من الحقيقة قول ابن الاثير « أغار البرنس صاحب انطاكية ولاذقية على حشير المسلمين وأخذه . وكان صلاح الدين على بانيــاس »(٩٣) . ولما كان صلاح الدين ، بعد انتصاره على ملك بيت المقدس ، قد عاد الى دمشق ، ثم فى ٩ مايو/آخر ذى القعدة من نفس الســنة « أغار على حصــن بيت الاحزان ، وعاد بالاسرى والغنائم ، وخيم السلطان بمــرج الشعراء ثم انتقل الى بانياس »(٩٤) ، وهنا علم بغارة بوهيمند ، فان نفس الوقت الذى كان صلاح الدين فيه مشغولا بالاغارة على حصن بيت الاحزان هو أكثر الاوقات ملائمة لبوهيمند ليقوم بغارته على شيزر . ولو كان قد قام بها قبل ذلك لعلم صلاح الدين وهو فى دمشق ، أو فى مخيمه بمرج الشعراء مثلا ، حيث أعتيد أن تصله أخبار الفرنج وتحركاتهم أولا بأول . ونخرج من هذا كله ، بأن غارة بوهيمند على شيزر قد وقعت فى حوالى ٩ مايو ١١٧٩م/آخر ذى القعدة ٥٧٤هـ . ولما كان هدف صــلاح الدين هو هدم حصن بيت الاحزان الذى بناه الفرنج فى أكتوبر ١١٧٨م/جمادى الاولى ٥٧٤هـ ، وذلك لخطره على المسلمين(٩٥) ، ولانه كان فى حاجة الى دعم لقواته من مصر ،فقد اكتفى صلاح الدين فى ذلك الوقت بمراقبة بوهيمند

---

(٩٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠٥ .

(٩٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٧٣ .

(٩٥) كان الفــرنج متخوفين بسبب ضعف حدودهم الشمالية ، فربما تهاجمهم قوات دمشق وبانياس ، فقرروا بناء حصن يكون بمثابة نقطة دفاع ، وقاعدة لهجماتهم ضد المسلمين فى نفس الوقت . وأحسنوا اختيار موقع البناء ، حيث شيدوه على الطــريق بين دمشق وساحل البحر عند مخاضة يعقوب عليه السلام، على نهر الاردن شمالى بحيرة طبرية ، وعلى مسافة عشرة أميال من بانياس ، وعلى مسيرة يوم من دمشق ، ونصف يوم من صفد . فكان يمكنهم بذلك حراسة الطريق الذى ربما يسلكه المسلمون لمهاجمة وادى نهر الاردن ، وعهدوا بحراسته لفرسان الداوية ، بعد أن زوده بالمؤن والاسلحة . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص٢٠٦، ابن واصل : مفــرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٧٢ ، أبو شــامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٣ . راجع أيضا : Ernoul, p. 54; William of Tyre, Vol. 2, pp. 437, 444. C.F, also R. Dussaud, Topographie historique de la syrie antique et médiévale, Paris, 1927, p. 18; Stevenson, pp. 219-220.

وكونت طرابلس وكلف بذلك ابن اخيه تقى الدين عمر صاحب حماة ، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص(٩٦) . الامر الذى مكنه من مهاجمة ملك بيت المقدس وقواته والانتصار عليهم فى سهل مرج عيون فى ١٠ يونية ١١٧٩م/٢ محرم ٥٧٥هـ وأسر كثير من رجالهم . وتوج صلاح الدين جهوده فى ذلك الوقت بهدم حصن بيت الاحزان والتخلص من خطره ، وذلك فى ٣٠ أغسطس ١١٧٩م/٢٤ ربيع الاول ٥٧٥هـ(٩٧) . ثم أغار على اقاليم طبرية وصور وبيروت مستغلا حالة اليأس التى بات عليها الفرنج بعد أن أيقنوا من فقدانهم لحصن الاحزان وبعد أن « فت فى اعضادهم »(٩٨) . وفى الوقت الذى كان صلاح الدين يجنى فيه ثمرة جهوده ، اذ باسطوله يخرج من مصر ويقوم بالاغارة على عكا وذلك فى ١٤ أكتوبر ١١٧٩م/١١ جمادى الاولى ٥٧٥هـ(٩٩) . ودفع هذا ملك بيت المقدس الى طلب الهدنة من صلاح الدين الذى أجابه الى طلبه على أن تشمل هذه الهدنة مملكة بيت المقدس وحدها ، ولمدة عامين ، وتبدأ من

---

(٩٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ، العماد الاصفهانى : البرق الشامى ، مخطوط ، جـ ٣ ، لوحة ١١٧ .

(٩٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ، ابن واصل تمفرج الكروب جـ ٢ ، ص ٨٠ — ٨١ . راجع ايضا .
William of Tyre, Vol. 2, p. 444.

(٩٨) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٢٠٧ .

(٩٩) بالرغم من أن نشأة صلاح الدين لم تمده بالخبرة بالامور البحرية ، الا أنه أدرك بعد تجربته فى مصر وحصاره فى الاسكندرية وتعرضه لحملات عمورى ونورمان صقلية أن استراتيجية القتال ضد الفرنج تتطلب وجود اسطول قوى . فأمر بتعمير الاسطول وتحصين أحوال بحارته ، وعقد اتفاقيات مع بيزا لحصول على مواد بنائه ، كما حصل عليها من بلاد شمال افريقية بمد نفوذه عليها الى جانب حصوله منها على قوات بحرية ذات خبرة فى شئون البحر . وكان أسطوله ينقسم الى قسمين الاول ويتكون من ٥٠ سفينة لحماية شواطىء مصر والثانى من ٣٠ سفينة للهجوم على الفرنج . انظر :
A.S. Ehrenkrutz, The Place of Saladin in the Naval History, in J.A.O.S., Vol. 75, pp. 104-105, Heyd, t. I; pp: 396-397
وعن تقسيم الاسطول المصرى ومهامه فى عهد صلاح الدين . انظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٣٣ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٤٥ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٨ ، ٩٩ .

مايو ١١٨٠م/ذى الحجة ٥٧٥هـ(١٠٠) ٠ وعقد معاهدة لا تشمل كل الفرنج فى بلاد الشام ، انما يدل على أن سياسة ملوك بيت المقدس التى انتهجوها حتى عهد فولك الانجوى ، تجاه الامارات الصليبية فى شمال الشـام ، قد انتهت ، ولم يعد ملوك بيت المقدس يولون امارة انطاكية بالذات نفس الاهتمام أيام كان الخطر الاسلامى يأتيهم من العراق وحلب ٠ ولقد أطلقت هذه الهدنة أيدى صلاح الدين فى شمال الشام ٠ ولأنه لم يكن ليدخر جهدا فى نضاله ضد الفرنج ، فاذا ما ترك جزءا من أملاكهم فى هدوء ، فانمـا يكون ذلك لانه ينوى توجيه نشاطه الى جزء آخر(١٠١) ٠ فقد استغل صلاح الدين عدم شمول هدنته مع الملك الصليبى الشام وهاجم كونتيـة طرابلس بواسـطة أسـطوله ، بينمـا وقف برا ليحـول هو بين الكونتيـة وبين أملاك الداوية والاسبتارية حتى لا يساعد أحدهمـا الآخر(١٠٢) مما اضطر كونت طرابلس الى الاسراع بعقد هدنة مماثلة لهدنة الملك الصليبى مع صلاح الدين(١٠٣) ٠ وهكذا ، ففى خلال الفترة من ١١٧٧م/٥٧٤هـ الى ١١٨٠م/٧٦١هـ كان صـلاح الدين يتبع حيـال الفرنج ما عرف بسياسة الارض المحترقة(١٠٤) حتى يتمكن من تثبيت مركزه فى سوريا وفلسطين ٠ وقام الملك بولدوين الرابع بالرغم من صغر سنه ومرضه الذى أثقل كاهله ، وبقدر ما سمحت به ظروفه بمجهـود لا ينكر فى التصدى لصلاح الدين ، بمساعدة كونت طرابلس أحيانا وبدونها

---

(١٠٠) ابن الاثير : الكامل جـ ١١ ، ٢١٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٩٧ ٠
راجع أيضا : William of Tyre, Vol. 2. p. 447.

(١٠١) William of Tyre, Vol. 2, p. 447.

(١٠٢) احتل الاسطول المصرى جزيرة أرواد المقابلة لمدينة انطرطوس التى اشعل بحارته النيران فى بعض مبانيها وذلك فى يونيـو ١١٨٠م/صفر ٥٧٦هـ بينمـا أحرقت قوات صـلاح الدين مزارع طرابلس ومحاصيلها ٠ انظر أبو شامة : الروضتين،جـ٢،ص١٣،
راجع أيضا : William of Tyre, Vol. 2, pp. 447-448.

(١٠٣) William of Tyre, Vol. 2. p. 449.

(١٠٤) وهى عدم احتلال الاراضى الصليبية والبقاء فيها ، بل تدميرها وحرق محاصيلها وتخريب أملاك الفرنج ٠ فقد كانت نيته تتجه الى توحيد المسلمين تحت قيادته ثم التفرغ للفرنج بعد ذلك ٠ انظر :

J. Prawar, Crusader Institutions, 284.

أحيانا أخرى . أما بوهيمند الثالث فقد بقى على سلبيته تجاه المسلمين دون محاولة منه لاستغلال فرصة انشغال صلاح الدين فى فلسطين ، لتقوية امارته .ولم يقم سوى بغارة على شيزرلم تكن ذات جدوى لانشغال صلاح الدين مع المملكة اللاتينية ، ولعدم اطمئنانه على الاوضاع فى حلب اكتفى فى هذه الفترة بمراقبة تحركات أمير انطاكية (وكونت طرابلس) . لذا كانت امارة انطاكية بمنأى عن خطر صلاح الدين . وازاء تقدم الاخير ، وعدم استجابة أوربا لاستغاثة مملكة بيت المقدس منذ أيام عمورى الأول ، فقد سعى كل من ملك بيت المقدس وكونت طرابلس الى عقد الهدنة مع صلاح الدين . بينما ركنت جماعتا الداوية والاسبتارية الى الهدوء . ولم يحم الصليبيين فى ذلك الوقت سوى أسوار معاقلهم التى اختفوا وراءها(١٠٥) . واذا كان الفرنج قد طلبوا الصلح مع صلاح الدين انذاك ، فذلك لادراكهم عدم استطاعتهم صده ، فقد كان لدى صلاح الدين من الاسباب ما يجعله يقبل هذا الصلح . فقد مرت خمس سنوات متتالية قليلة المطر ، مما أضر باقليم دمشق وقلل من قوات صلاح الدين(١٠٦) . الى جانب ذلك كان عليه أن يؤمن حدود الزنكيين خاصة فى حلب ضد أطماع قلج أرسلان سلطان قونية السلجوقى الذى ما ان تحرر من خطر البيزنطيين على حدوده الغربية بموت مانويل كومنين حتى راح يمد نفوذه فى شمال الشام وانتهى الامر بعقد صلح بينه وبين صلاح الدين(١٠٧) . ثم كان على صلاح الدين أن يقوم بحملة ضد روبين الثالث الارمينى(١٠٨) . ثم عاد

---

(١٠٥) Roben Fedden, Krak of The Knights, in History, Vol. 2, p. 8

(١٠٦) William of Tyre, Vol. 2, p. 447.

(١٠٧) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٠٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ص ٩٦ ، سبط الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ١ ص ٣٦٠ . راجع أيضا :
John L. LA Monte, Taki Ed Din Prince of Hama, in Moslem World, Vol. 31, p. 152.

(١٠٨) هاجم روبين الثالث التركمان فخرج اليه صلاح الدين واستولى منه على قلعة المناقير واسترد الاسرى المسلمين . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٤ ، ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٩ — ١٠٠ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ١ ، ص ٣٦٠ ، راجع أيضا :
Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 310.

صلاح الدين الى مصر فوصلها فى يناير ١١٨١م/شعبان ٥٧٦هـ(١٠٩) . ولم تتوقف مشاغله عن الفرنج عند هذا الحد ، بل شغله تماما ما حدث فى الموصل وحلب(١١٠) . وهنا ايضا لم يشأ بوهيمند أن يتحرك منتهـزا فرصة الخلافات بين أهل حلب وعز الدين مسعود ، بل أنه لم يظهـر أى رد فعل لحماية أملاكه حين هاجم عز الدين مسعود اقليم دربساك وشيح الحديد التى كانت مناصفة بين انطاكية وحلب،واكتفى بصلح مع عزالدين مسـعود يستمر لمدة عامين(١١١) . كل ذلك جعل بوهيمنـد فريسـة لتهديدات صلاح الدين فى ١١٨٣م/٥٧٩هـ(١١٢) . ومهما يكن من أمر ، فان الاسباب التى دعت صلاح الدين لقبول صلح الفرنج فى عام ١١٨٠م/ ٥٧٨هـ ، كان هناك ما يماثلها ــ ان لم يكن أشد خطرا ــ لدى الفـرنج بصفة عامة وامارة انطاكية بصفة خاصة . فاذا كانت انتصارات صلاح الدين المبكرة على الفرنج فى مرج عيـون ، وهدمه لحصن بيت الاحزان ، ثم اغارته على كونتية طرابلس ، كانت كلها بمثابة انذار بالسقوط الوشيك للمملكة ، فان مشكلة وراثة العرش التى ظهرت فى أعقاب ذلك وانقسـام الفرنج حولها ، كانت بمثابة انذار آخر بالكارثة التى حلت بهم فى حطين وما تلا ذلك من خسائر فادحة(١١٣) . وقد قدر لبوهيمند أن يدلو بدلوه فى هذه المشكلة وهو الذى كان كل ما يقوم به من أعمال تضر بالكنيسـة اللاتينية والمملكة وامارتهنفسها ، ذلك فى وقت كان صلاح الدين يسـير فيه بخطى سريعة نحو توحيد القوى الاسلامية تمهيدا لتوجيه الضربة النهائية

---

(١٠٩) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(١١٠) مات كل من سيف الدين غازى صاحب الموصل فى يونية ١١٨٠م/ صفر ٥٧٦هـ ، ولحق به الملك الصالح اسماعيل صاحب حلب فى ديسمبر/رجب من نفس العام . وتولى عز الدين مسعود الحكم فى الموصل وحلب التى تركها بعد ذلك لأخيه عماد الدين صاحب سنجار . انظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٤ ــ ٥٥ ، ابن الاثير : الكامل : جـ ١١ ، ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ ، ٢١٣ ــ ٢١٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٣٩ ، ٤١ ــ ٤٢ ، ٥٢ .

(١١١)« شيخ الحديد » قرية من أعمال العمق . انظر : ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١٢٧ .

(١١٢) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ .

(١١٣) R.L. Nicholson, Joscelyn III and The Fall of the crusader states, Leiden, 1973, p. 88.

للكيان الصليبي المتداعي . فقد تسبب بوهيمند باصطحابه لكونت طرابلس في رحلته الاخيرة الى بيت المقدس دون سابق انذار الى تخوف الملك الصليبي منهما والذى اعتقد انهما يدبران أمر تنحيته عن عرش المملكة والاستيلاء على الحكم ، فسارع بعقد قران شقيقته ووريثته سبيلا «Sibylla» من جى دى لوزينان «Guy de Lusignan» متخطيا بذلك من كانوا أكثر ملاءمة لهذه الزيجة من نبلاء المملكة . وهكذا اندلعت مشكلة وراثة العرش بين الفرنج الذين انقسموا فيما بينهم الى فريقين : الاول يقوده الملك بتأييد من الملكة الأم اجنيس «Agnes» وشقيقها جوسلين دى كورتيناى وهرقل بطريرك بيت المقدس وفرسان الداوية . والثانى يقوده كونت طرابلس بتأييد من بوهيمند وأعضاء أسرة ابلين في الرملة وصيدا وقيسارية (١١٤) . ولاشك أن ذلك ترك آثاره على العلاقات بين كونت طرابلس ومملكة بيت المقدس من الآن فصاعدا . ولا شك ان جهود ريموند واخلاصه للقضية الصليبية كان من الممكن أن تفيد المملكة في صراعها ضد صلاح الدين الا أن ذلك لم يعد موفورا ، خاصة بعد أن ضاعت آمال ريموند في امكانية اعتلاء عرش المملكة أو حتى الوصاية عليها بعد موت بولدوين الرابع (١١٥) . وهكذا أسهم بوهيمند في المشاكل التى أودت في النهاية بمملكة بيت المقدس . ولم تكن هذه هى نهاية المشاكل التى تسبب بوهيمند الثالث في اثارتها للفرنج في فلسطين وطرابلس . بل انه قام بما كان من شأنه أن يشغلهم من بيت المقدس جنوبا وحتى انطاكية شمالا . فبينما أضعف مرض بولدوين الرابع السلطة الملكية في بيت المقدس ، ووقعت المملكة في الاضطراب نتيجة انقسام الفرنج ،بسبب مشكلة وراثة العرش ، لم تكن امارة انطاكية أقل اضطرابا من المملكة . وعرض

---

(١١٤) William of Tyre Vol. 2, p. 464; Otto of Fresing, Chronicon Continuatio Sanblasiana, in M.G.H.SS., Vol: xx, p: 318; Benedict of Peterbrough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed., W. Stubbs, 2 Vols: in R.S., London, 1867, Vol. 1, p. 343; C.F. also Smith, Feudal Nobility and the kingdom of Jerusalem,1174-1277, London, 1973; p. 104-105; J. La Monte, The Lords of Caesarea in the period of the crusades, in Speculum, Vol. 22, p. 151; M.W. Baldwin, Raymond III of Tripoli and the fall of Jerusalem, Princeton, 1936, pp.39-40.

(١١٥) R.L. Nicholson, Joscelyn III, p. 88.

سوء ملوك بوهيمند الامارة النورماندية للخطـر . فبموت الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين سارع بوهيمند بهجـر زوجتـه اليونانيـة تيودورا (١١٦) ليعيش مع سيبل «Sibylle» شقيقة زوجة صاحب حصن بزرية (١١٧) ، والتى تظهر بصورة كريهة فى المصادر المسيحية ، فهى امرأة خاطئة عند ميشيل السريانى ، ومنحرفة لا تتصرف الا باعمـال السحر والشعوذة عند وليم الصورى (١١٨) . وكان ارتباط بوهيمند بها وبالا على الفرنج بعامة ، وعلى امارة انطاكية بصفة خاصة . ويؤكد ذلك ما ذكره ابن الاثير من انها كانت تقوم بالتجسس على الصليبيين لحسـاب صلاح الدين حيث كانت « تراسـله وتهـاديه ، وتعلمه بالامور التى تؤثر »(١١٩) . ويزيد ابو شامة بقوله انها كانت « فى موالاة السلطان ، عينا له على العدو ، وتهـاديه ، وتناصحه ، وتطلعه على اسرارهم ، والسلطان يكرمها لذلك ويهدى اليها انفس الهدايا »(١٢٠) . وبالرغم من ذلك فقد كان بوهيمند مفتونا بها ويرفض كل التوسلات التى رفعت

---

(١١٦) هكذا يسميها وليم الصورى بينما نجدها « ايرين » فى قوانين بيت المقدس انظر :

William of Tyre, Vol. 2, p. 453; Assises and Lignages des Croisades, in R.H.C. Lois, Vol. 2, p. 446.

(١١٧) حصن « بريزية » يقع على بعد ٤٥ كيلو مترا شرقى اللاذقيـة وعلى بعد ٣٠ كيلو مترا شمالى افامية من الجانب الغربى لنهر العاصى ومستنقعات الغاب . وكانت سيبل هى ثالث امرأة ترتبط بها بوهيمند الثالث ، فقد تزوج قبـل عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ من أورجو جليوزا Orgogliosa ابنة وليم فرزنل Guilliaum Fresnel سـيد حارم فى ذلك الوقت وأنجب منهـا ولدين (ريموند وبوهيمند) ، ثم تزوج فى ١١٧٥م/٥٧١هـ من تيودورا كومنين ابنة أخ مانويل كومنين وانجب منها ابنتين (فيليبـا وكونستانس) اما سيبل فقد انجب منها ولدين (وليم وبوهيمند) وابنتين (اكيفا واليس)

Dussaud, pp. 151-152; Rey, Histoire des Princes d'Antioche, pp. 379 ff; W.H. Rudt Colkenberg, A fragmentary copy of an unknown version of the Lignages d'Outre-Mer, in E.H.R., Vol. 98; pp. 313-319, B. Hamiton, The Latin Church, p. 46.

(١١٨) Michel Le Syrien, t. 3, p. 389.

(١١٩) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٨ .

(١٢٠) أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٣١ .

اليه للانفصال عنها ، مما دفع البطريرك اللاتينى لانطاكية ايمـرى دى ليموج ، الى أن يوقع قرار الحرمان على بوهيمند وامارته بصفة الاخير شخصا متزوجا بأكثر من امرأة فى وقت واحد(١٢١)٠الا أن بوهيمند وضع نفسه فى حالة تمرد سافر ضد سلطة الكنيسة ، وبدأ فى اضطهاد رجال الدين والبطريرك ، واستولى على املاك الكنيسة ، وحاصرهم وهاجمهم فى قلعةالقصيرالتى لجأ اليها البطريرك هربا من بطشه ،وهاجمهم«كمالوكان المسلمون هم الذين يقومون بذلك »(١٢٢) ٠ فاضطر رجال الدين الى اللجوء الى حصن المرقب حيث تصدى رينو مازوير «Renoud Masoirc» نائب بوهيمند هناك ، للامير وهزمه ورده الى أنطاكية ، واشتعلت بذلك حرب اهلية حقيقية فى الامارة(١٢٣) ٠ وازاء هذه المشكلة ، وبدلا من التفرغ لمواجهة صلاح الدين ، اضطر الملك بولدوين الرابع الى التدخل لانهاء النزاع بين الامير والكنيسة ٠ ولما كان الملك يخشى ، اذا ما قام باتخاذ اجراء عنيف ضد بوهيمند ، أن يدفع ذلك بالامير الى اللجوء الى صلاح الدين ، فقد أرسل اليه وفدا يضم هرقل بطريرك بيت المقدس ، ورينو دى شاتيون ، ومقدم الداوية ، ومقدم الاسبتارية ، الذين اصطحبوا كونت طرابلس لاحتمال تاثيره على صديقه بوهيمند(١٢٤) ٠ وانتهى الامر بأن يرد بوهيمند ما استولى عليه من أملاك الكنيسة على أن يرفع البطريرك قرار حرمانه عن الامارة دون بوهيمند طالما لم ينفصل عن سيبل(١٢٥) ٠ وعاد المبعوثون الى بيت المقدس ٠ الا أن التوتر بين بوهيمند وباروناته خطين هو محاولته الاستيلاء على مدينة بيروت لعزل امارة انطـاكية قيليقيا ٠ وآواهم الاخير ليبدأ بينه وبين بوهيمنـد خلاف استمر ، مع فترات وفاق متقطعة ، حتى موت روبين ، واستمر أيضا فى عهد خلفه ليو الثانى(١٢٦) ٠ ولحسن حظ الفرنج أن صلاح الدين لم يخرج من مصـر

---

(١٢١) William of Tyre, Vol. 2, p. 454; Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 310

(١٢٢) William of Tyre, Vol. 2, p. 454.

(١٢٣) رينو الثانى (١١٦٠ - ١١٨٣م) انظر :
C. Ducange, Les Familes d'Outremer, ed. E.G. Rey, Paris, 1869, p. 392; Cahen, La Syrie du Nord, p. 423;

(١٢٤) Delaville Le Roulx, Les Hospitaliers, p. 83-96; B. Hamilton, The elephant of christ, p. 101.

(١٢٥) William of Tyre, Vol. 2, p. 456;

(١٢٦) كان من بين من لجاوا الى أرمينيا كل من جويسكارد دى ليل =

فى تلك الفترة التى شغلوا فيها بمشاكلهم الداخلية التى كان لبوهيمند الفضل فى اثارتها الى حد كبير . واذا كانت سياسة رينو دى شاتيون ، كما يذهب كثير من المؤرخين ، قد تسببت فى كارثة حطين ، فان سياسة بوهيمند قد حرمت الفرنج فى بلاد الشام من مساعدة بيزنطة وارمينيا وقبرص ، تلك المساعدة التى كانوا فى حاجة اليها لتجنب هذه الكارثة . ونفس السياسة جعلت بوهيمند فى شغل عن أن يدرك ما يقوم صلاح الدين من أعمال، ولوكان قد تمعن فيها لأدرك انها جزء من سياسة صلاح الدين لتقويض أركان امارته الصليبية . وكان أول ما قام به صلاح الدين تنفيذا لذلك قبيل حطين هو محاولته الاستيلاء على مدينة بيروت لعزل امارة انطاكية وكونتية طرابلس عن مملكة بيت المقدس . كما أن الاستيلاء على بيروت ، فالى جانب أنه سيقسم املاك الفرنج الى شطرين ، فانه سيمد الاسطول المصرى بقاعدة بحرية ممتازة فى الساحل الشامى . وبذلك يمد مجال عمليات السفن المصرية التى ستتمكن من النقص فى امداداتها فى قاعدة بيروت القريبة بدلا من العودة الى مصر بعد طوافها فى المياه الشامية . وهذا الامر سوف يمكنها ايضا من تشديد الحصار حول انطاكية من جهة البحر ، واذا ما استولى صلاح الدين على حلب ، فستقع انطاكية بين فكى الرحى(١٢٧) ففى أول أغسطس ١١٨٢م/ربيع ثانى ٥٨٧هـ ، بدأت السفن المصرية فى حصار بيروت من جهة البحر ، بينما هاجمها صلاح الدين من جهة البر(١٢٨) . الا أنه بعد ثلاثين يوما من الحصار الناجح ، ظهرت ثلاثون سفينة صليبية ، فانسحب الاسطول المصرى دون الدخول فى معركة ، بينما رفع صلاح الدين الحصار برا وعاد الى دمشق بعد أن

= Gouiscard de L'Ile الذى يظهر ككندسطبل لانطاكية فى عامى ١١٧٠م ، ١١٧٢م واوليفر الحاجب «Olivier» الذى كان يحمل لقب حاجب انطاكية فى عامى ١١٧٩م ، ١١٩٠م ، وغيرها من البارونات . انظر :

Michel Le Syrien, t. 3, p. 388-389; C.F. also, E.G. Rey, Les dignitaires, pp. 118, 127;

(١٢٧) A.S. Ehrenkreutz, The place of Saladin in the naval history, p. 108.

(١٢٨) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ١١٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ١ ، ص ١٥ ، راجع ايضا :

William of Tyre, Vol. 2, pp. 475-476.

وجد أن « أمر بيروت يطول وكان قد سبى الاسطول منها وسلب »(١٢٩). وربما اكتفى صلاح الدين بما سلبه من بيروت ، خاصة بعد أن وصلته الانباء من مصر بأن سفينة صليبية آتية من ابوليا ، قد جنحت عند دمياط وأخذ المسلمون منها ١٧٠٠ اسيرا ، وهكذا منعوهم من تقوية صفوف الفرنج(١٣٠) . وربما أراد صلاح الدين أن لا يجهد قواته في حصار بيروت ، ليتجه بعد ذلك الى حلب التى فتحها فى ١٢ يونية ١١٨٣م/١٩ صفر ٥٧٩هـ . وعوض عماد الدين زنكى الثانى صاحبها بعدة مدن فى اقليم الجزيرة،وعهد بحلب الى ابنه الظاهر(١٣١).ولم يلبث من فى قلعة حارم أن سلموها الى صلاح الدين فى ٢٢ يونية ١١٨٣م/٥٧٩هـ خشية أن يسلمها متوليها سرخك الى افرنج انطاكية بعد أن امتنع عن تسليمها الى صلاح الدين(١٣٢) . وبالنسبة لصلاح الدين ، فقد كانت حلب هى مفتاح الطريق الى النصر النهائى على الصليبيين(١٣٣) . وبالنسبة للجهاد ضدهم ، فقد كان فتحه لحلب هدفا غاليا وقد تحقق ، وتنتهى به مرحلة اثنى عشر عاما من الانتظار لتوحيد سوريا ومصر تحت قيادته منذ أن مات نور الدين .وأصبح بامكانه الآن تهديد الصليبيين جميعا . وبالنسبة للصليبيين أنفسهم ، فكما لاحظ مؤرخهم وليم الصورى ، قد اكتملت الدائرة التى خطط صلاح الدين لحصارهم بها(١٣٤) . وبم أن انطاكية هى أقرب الامارات الصليبية الى حلب ، وأكثرها تعرضا لخطر

---

(١٢٩) أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ، ص ٢٩ . انظر أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 476.

(١٣٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ١١٧ .

(١٣١) مؤرخ مجهول : البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان : نشره كلودكاهن ، مجلة الدراسات الشرقية ، جـ ٧ - ٨ ، ص ١٤٤ .

(١٣٢) امتنع سرخك عن تسليم حارم الى صلاح الدين الذى بذل له ما يجب من الاقطاع فاشتط فى الطلب ، وراسل الفرنج يستنجد بهم . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٧٠ . راجع أيضا :
Bar Hebraeus, Vol. 2, 316.

(١٣٣) M.C. Lyons and D.E.P. Jackson, Saladin, The Politics of the Holy War, Cambridge, 1982, p. 202.

(١٣٤) فى فبراير اجتمع مجلس الملك بولدوين وتقرر فرض ضريبة عامة على مواطنى المملكة من رجال دين وعلمانيين دون استثناء لجمع الاموال الكافية لدعم قوات المملكة ضد صلاح الدين . انظر : =

الفتح الاسلامى ، فقد سارع بوهيمند الى عكا طلبا لمساعدة ملك بيت المقدس الذى لم يستطع القيام بشىء سوى امداده بحوالى ثلاثمائة فارس لدعم الدفاع عن انطاكية(١٣٥) . ولم يكن هذا الدعم كافيا ، وسرعان ما عاد الفرسان الى المملكة ، ليبقى بوهيمند وحده فى مواجهة صلاح الدين « ورجفت انطاكية بعد ذلك رعبا »(١٣٦) . ولم يجد بوهيمند بدا من الاسراع الى طلب الهدنة من صلاح الدين بعد ان أطلق « سراح جماعة من المسلمين»(١٣٧)-وخشية احتمال وقوع مواجهة مكلفة معصلاح الدين فى المستقبل ، فقد رأى أن يتنازل عن مدينة طرسوس لروبين الثالث الارمينى نظير مبلغ كبير من المال . فهو بذلك يتخلص من تبعة الدفاع عن مدينة بعيدة عنه ، وفى الوقت نفسه يوفر ما قد يحتاجه من أموال للمستقبل(١٣٨) . اما عن صلاح الدين ، فبعد ان اطمأن الى استقرار الامور فى شمال الشام ، توجه الى دمشق فى ١٤ أغسطس ١١٨٣م/٢٢ ربيع ثان ٥٧٩هـ ، ليقوم بآخر أعماله ضد مملكة بيت المقدس قبل أن يوجه اليها ضربتهالنهائية.وجاء ذلك كردفعللمقام به رينودىشاتيون منأعمالأثارت صلاح الدين وزادت من ضعف المملكة الصليبية . وكان الفضل لما أتى به رينودى شاتيونمن أعمال(١٣٩) أن يدرك صلاح الدين أهمية الاستيلاء

= William of Tyre, Vol. 2, p. 490. C.F. also, B.Z; Kedar; The general Tax of 1183 in the Crusading kingdom of Jerusalem, in E.H.R. Vol. 89. p. 339.

(١٣٥) William of Tyre, Vol. 2, p. 490.

(١٣٦) أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٤٧ ، راجع أيضا :

(١٣٧) William of Tyre, Vol. 2, p. 491.

(١٣٨) Michel Le Syrien, Doc. Arm., p. 393-394. C.F. also, Nicholson, Joscelyn III, p. 94.

(١٣٩) فى يناير ١١٨٢م/رمضان ٥٧٨هـ قام رينو دى شاتيون بالاستيلاء على ميناء ايلة الواقع على خليج العقبة أعلى جزيرة العقبة المواجهة للميناء ، ومنها أغار على ميناء عيذاب المواجه لمدينة جدة وقامت سفنه بنهب السفن التجارية الاسلامية القادمة من جهة اليمن . ثم نزل على الشاطىء الشرقى للبحر الاحمر حيث أغار على القوافل الاسلامية هناك توطئة للاعتداء على الاماكن الشريفة بالحجاز ، الا أن العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه فى مصر ،أخرج الاسطول المصرى بقيادة حسامالدينلؤلؤ الذى استطاع اجهاض محاولة أرناط بعد أن دمر سفن الفرنج . وهكذا انقلبت محاولة ضرب الاسلام فى العمق الى بطولة للاسطول المصرى . =

على حصن الكرك الذى يتحكم فى الطريق من مصر الى الشام قاطعـــا خطوط مواصلات صلاح الدين ، الى جانب تحكمه فى طريق الحج . وفى طريقه الى حصن الكرك استولى صلاح الدين على بيسان فى ٢٩ سبتمبر ١١٨٣م/٩ جمادى الاخرة ٥٧٩هـ . بينما عسكرجى دى لوزنيان الوصى على المملكة عند صفورية فى أوائل اكتوبر/نهاية جمادى الاخرة من نفس السنة ، ولم يجرؤ على مواجهة صلاح الدين(١٤٠) الذى بدأ فى حصـــار حصن الكرك فى أوائل نوفمبر/منتصف رجب مع قوات وصلته من مصر بقيادة أخيه العادل . ونصب عليه المنجنيقات ، وأخذ فى ضربه ، واشتد فى حصاره ، ولم يقلع عن حصاره الا بوصول ملك بيت المقدس وقواته وكل بارونات المملكة الى جانب قوات انطاكية بقيادة بوهيمند وقوات طرابلس مع ريموند الذى أناط اليه الملك قيادة هذا الجيش الكبير وذلك فى أوائل ديسمبر/منتصف شعبان(١٤١) . واذا كانت المشاركة فى نجدة حصـــن الكرك تعد من أعمال بوهيمند التى تحسب له منذ فترة طويلة ، والتى لم يذكرها وليم الصورى صراحة(١٤٢) ، فانه قام قبل ذلك مباشرة باثارة مشكلة وراثة العرش مرة أخرى عندما شارك كونت طرابلس وكثير من نبلاء المملكة فى اقناع ملك بيت المقدس بالغاء وصاية جى دى لوزينيان ، كونت يافا وزوج سيبل شـقيقة الملك ، على المملكة وتم تتويج بولدوين الخامس ابن سيبل الطفل . فقضى بذلك على آمال جى فى الوصاية أو فى

— انظر:أبوشامة:الروضتين،ج٢،ص٣٥، ابن الاثير : الكامل ج١١، ص ٢٢١ — ٢٢٢ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ، ص ٧٩ ، حسنين ربيع : بحر الحجاز فى العصور الوسطى ، مجلة كليـة العلوم الاجتماعية بالرياض ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

(١٤٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٦١ — ٦٣ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ص ٢٢٦ . راجع أيضا :
William of Tyre, Vol. 2, p. 498.

(١٤١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٧٢ ، المقـريزى السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٨١ — ٨٢ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٦٣ ، راجع أيضا :
Ernoul, pp. 102-106; William of Tyre, pp. 603-504.

(١٤٢) اعتاد وليم الصورى على اظهار بوهيمند الثالث بصورة تخضع للنقد وذلك منذ تسببه فى ابعـــاد فيليب كونت الفلاندرز عن الاشتراك فى الحملة البيزنطية الصليبية على مصر . انظــر ما سبق من هذا الفصل ، ص ١٨٣ — ١٨٥ .

عرش المملكة .فاعتكف بعسقلان تاركا يافا للملك الذى أعاد الوصـــاية على المملكة الى كونت طرابلس . وبالطبع لم يكن ذلك ليرضى الحزب المؤيد لجى لوزيغيان . وبذلك زادت حدة الانقسام بين صفوف الفرنج . وكان لبوهيمند دوره فى هذا الانقسام فى الوقت الذى كان الفرنج فيه أشد ما يكونون حاجة الى الترابط(١٤٣) . واذا كانت سياسة بوهيمند قد ساهمت - كما ساهمت سياسة رينو دى شاتيون - فى تعـــريض المملكة الصليبيلة لخطر صلاح الدين بعد ان أضعفتها من الداخل ، فان سـياسة بوهيمند هذه قد حرمت الفرنج من مساعدة كثير من الحلفاء الذين كان من الممكن أن يقفوا الى جانبهم فى أزمتهم المقبلة . وكان هؤلاء هم الارمن والبيزنطيون والقبارصة .فبعد موت مانويل كومنين فى ١١٨٠م/٥٧٦هـ تولت زوجته ماريا شقيقة بوهيمند الثالث الحكم كوصية على الامبراطور الطفل الكسيس الثانى (١١٩٠ - ١١٨٣م) حتى استطاع أندرونيقوس كومنين ، ابن عم مانويل ، الاستيلاء على العرش فى ١١٨٣م(١٤٤) . وفى نفس الوقت ظهـــر اسحق كومنين القـــائد البيزنطى الــذى ثار على أندرونيقوس ، والذى اعتقله روبين الارمينى ، وبتدخل بوهيمند تمكن أسحق من التوجه الى جزيرة قبرص ، واستقل بها عن بيزنطة ولم تصل فديته الى الارمن ، فاحتل روبين أملاك جيرانه من بيت هيثوم فى غربى قيليقيـة والتابعين لبيزنطة - ولما كان بوهيمند يعتبر نفسه نائبا للسلطة البيزنطية العاجزة فى أرمينيا ، فقد استدعى روبين فى ١١٨٥م/٥٨١هـ متظــــاهرا بالاتفاق معه ، واعتقله ، ما جعل ليو الثانى شقيق روبين يدفع فديته الى بوهيمند ويتنـــازل له عن اذنة والمصيصة وطرسوس الى جانب قلعـة سرفنتكار وتل حمدون ، أى ما يقرب من نصف السهل القيليقى . وما أن عاد روبين الى قيليقية ، حتى استرد كل شىء . ولم يستطع بوهيمند الا ان يقوم بعدة غارات دون جدوى(١٤٥) . وباستقلال اسحق كومنين - الذى ساهم فيه بوهيمند - بجزيرة قبرص ، أضيف عدو جديد الى قائمة أعداء ندرونيقوس التى تضم الامبراطور الالمانى فريدريك بربروسا ،

---

(١٤٣) William of Tyre, Vol. 2, pp. 501-502; Ernoul, pp. 96-102.

(١٤٤) Nicetas Choniates, pp. 356 ff. C.F. also Vasiliev, pp. 432-434

(١٤٥) Neophytus de Calamitatibus Gypri (in Preface to I tinerarium Regis Ricardi.), in R.S., London, 1864; P. CLXXXVII;

وحلفاءه نورمان صقلية الذين حاول ملكهم وليم الثانى القيام بحملة لخلع اندرونيقوس عن عرش بيزنطة وكان هؤلاء هم نفس أعداء صلاح الدين • الامر الذى ساعد على التقارب بين بيزنطة ومصر • فعرض اندرونيقوس على صلاح الدين التحالف معه مدفوعا فى ذلك بالشعور بالخطر وذلك فى يونيو ١١٨٥م/ربيع أول ٥٨١هـ(١٤٦) ، على أن يكون لصلاح الدين كل ما يفتحه من أملاك الصليبيين فى بلاد الشام ماعدا عسقلان ، وأن يحوز هذه الاملاك تحت سيادة بيزنطة ، وأن يكون للامبراطور البيزنطى كل ما يستطيع الحليفان أخذه من سلاجقة الروم حتى انطاكية(١٤٧) • ووصل رد صلاح الدين الى القسطنطينية وتسلمه الامبراطور الجديد اسحق انجيلوس (١١٨٥ — ١١٩٥م) الذى اكد تحالف سلفه مع صلاح الدين نظرا لتهديد النورمان للقسطنطينية(١٤٨) • ومما زاد من تقرب البيزنطيين من صلاح الدين دون الصليبيين ، ما قام به بوهيمند وريموند كونت طرابلس حين اعتقلا الكسيوس انجيلوس شقيق الامبراطور البيزنطى فى عكا ، وهو فى طريق عودته الى القسطنطينية بعد أن أقام فترة عند صلاح الدين(١٤٩) • ويتضح اثر ذلك عندما ظهر اسطول بيزنطى أمام قبرص دعما لهجوم صلاح الدين على بيت المقدس فى ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ(١٥٠) • وهكذا كان لبوهيمند النصيب الوافر فى أسباب التباعد

---

(١٤٦) Dolger, Regesten, Vol. 2, n. 1563, p. 91; Magnus, Chronica; in M.G.H.SS., Vol. 17, p; 511; Ralph Niger, Chronica Universali, in M.G.H.SS., Vol. 27, p; 338; Rohricht, Regesta, no. 688, p. 183.

(١٤٧) Magnus, Chronica, p. 511.

(١٤٨) تولى اسحق انجيلوس العرش بعد ثورة البيزنطيين ضد اندرونيقوس نتيجة لاحتلال نورمان صقلية لمدينة سالونيكا فى أغسطس ١١٨٥م • وباعتلاء اسحق عرش بيزنطة ينتهى عهد أسرة كومنين فى الامبراطورية البيزنطية • انظر :
Magnus, Chronica, pp. 511-512. C.F. also, Visiliev, p. 473

(١٤٩) Dolger, Regesten, no. 1607, p. 98.

(١٥٠) قام أسطول صقلى بقيادة مارجريت البرنديزى بمهاجمة الاسطول البيزنطى أمام قبرص • وأعاد صلاح الدين الكسيوس انجيلوس الى بيزنطة بعد أن فتح عكا انظر :
Charles M. Brand, The Byzantines and Saladin, 1185-1192, Opponents of the third Crusade, in Speculum, Vol. 37, p. 170.

بين بيزنطة والفرنج ، ودفع بيزنطة الى التحالف مع المسلمين ضدهم . أما عن الارمن ، فان همجات التركمان الرحل على ارمينيا وشمال الشام كان من شأنها ان قاربت بين بوهيمند والارمن ، فتزوج ليو الثانى الذى خلف روبين الثالث ١١٨٦م/٥٨٢هـ من شقيقة سيبل زوجة بوهيمند(١٥١) . وأثار هذا التقارب بين انطاكية والارمن مخاوف صلاح الدين الذى خشى من وجود حلفاء على حدوده الشمالية فبعث ببعض قواته قبيل موقعة حطين الى شمال الشام لمراقبة تحركات بوهيمند وليو . وكان لذلك اثره فى حرمان صليبى فلسطين من مساعدة بوهيمند او الارمن(١٥٢) . حدث ذلك فى الوقت الذى كانت مشكلة وراثة العرش قد ثارت بين الفرنج من جديد لتزيد من انشقاقهم فيما بينهم وتضعف من جبهتهم أمام صلاح الدين فى الوقت الذى استعد فيه لان يطبق عليهم بكل قوته . فبعزل جى دوزينان فى عسقلان ، عقد كونت طرابلس ، الوصى الجديد على بولدوين الخامس ، هدنة لمدة اربع سنوات مع صلاح الدين (١١٨٥ — ١١٨٩م/٥٨١ — ٥٨٥هـ)(١٥٣) . ومات بولدوين الرابع فى مارس ١١٨٥م/ذى الحجة ٥٨٠هـ ولحق به بولدوين الخامس فى أغسطس ١١٨٦م/جمادى ثان ٥٨٢هـ . وبمساعدة جوسلين الثالث وبطريرك بيت المقدس تم تتوييج جى

---

(١٥١) قامت حركة هجرة واسعة للتركمان الرحل نتيجة لصراعهم ضد الاكراد فى أعالى الجزيرة ، حيث تمكن التركمان بقيادة شخص يدعى رستم من دحر الاكراد واجتاحوا الاملاك الاسلامية والمسيحية على السواء . وبعد مرورهم ببلاد قلج أرسلان الذى لم يتصد لهم بانشغاله فى تمرد أبنائه ضده ، تقدموا فى شتاء ١١٨٦م/٥٨٢هـ الى قيليقية ثم تجمعوا على حدود حلب وانطاكية واندفعوا حتى اللاذقية حيث باغتهم بوهيمند الثالث وهم منشغلين بالغنائم والتى استردها منهم بعد قضائه على الكثيرين منهم ، وهرب الباقون الى بلاد قلج أرسلان : انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٧١ ، راجع أيضا :
Robert d'Auxerre, Chronicon, in M.G.H.SS., Vol. 26, p. 251; Sempad, p. 629, Vahram, p. 510; Benedict, Gesta Henrici, Vol. 2, p. 51.

(١٥٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(١٥٣) جمع ريموند كل بارونات المملكة وقادة الداوية والاسبتارية لأخذ موافقتهم على عقد الهدنة ، ووافقوا على اقتراحه بسبب القحط الذى أصاب أقاليم المملكة . انظر :
Eracles, pp. 12-13; Ernoul, p. 121-128.

وسيبلا ملكا وملكة على بيت المقدس وابعاد كونت طرابلس عن عرش المملكة . مما دفع بريموند الى معاداة جى وعقد هدنة مع صلاح الدين تخص طرابلس وحدها . وأيده فى ذلك بوهيمند الذى استقبل فى انطاكية كل نبلاء المملكة المؤيدين لكونت طرابلس والذين رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للملك جى(١٥٤) . وما لبث بوهيمند ان عقد هدنة تخص انطاكية وحدها مع تقى الدين قائدالقوات التى أرسلها صلاح الدين لمراقبة بوهيمند وليو الارمينى . وتم ذلك فى أواخر ربيع الاول ٥٨٣هـ/أوائل يونيـــة ١١٨٧م(١٥٥) . وهكذا حرمت مملكة بيت المقدس من مساعدة كل من البيزنطيين ، والارمن ، والقبارصة ، ثم طرابلس وانطاكية ، فى مواجهتها مع صلاح الدين فى حطين ، فى الوقت الذى أضعفتها فيه مشـكلة وراثة العرش والوصاية على المملكة ، مما أدى الى تفكك صفوف الفرنج فى بلاد الشام . وقد شارك بوهيمنـــد فى كل عوامل الضعف هذه . لقد كانت مصالحه الخاصة فوق أى اعتبار حتى ولو كان هذا الاعتبار هو الصالح الصليبى العام . وربما أدرك صلاح الدين انه ما من خطر يتهـدده من جانب الصليبيين فى انطاكية وأميرها بوهيمنـد الثالث بالذات ، الامر الذى أدركه نور الدين محمود من قبل ، وأكده المؤرخ الصليبى وليـــم الصورى . لذلك كانت سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية قبل موقعة حطين هى مجرد المراقبة والمهادنة ، حتى يتفرغ لتوحيد القوى الاسلامية فى مصر والشام والعراق تحت قيادته ، تمهيدا للقضاء على مملكة بيت المقدس ثم ليوجه جهوده بعد ذلك الى امارة انطاكية التى لن يقل حظها من سياسته عن حظ المملكة نفسها(١٥٦) . وأما عن موقعة حطين فمعروف

---

(١٥٤) كان على رأس المعـارضين للملك جى بولدوين ابلين صـاحب الرملة الذى اسـتقبله بوهيمنـد ومن جاء معه من فرسان فى انطاكية ، وأقطعهم بعض الاقطاعات فى امارته . انظر :
Continuation de Guilliaum de Tyre, ed. M.R. Morgan, (Documents Relatifs a L'Histoire des Croisades), Paris, 1982, p. 35; Ernoul, pp. 137-139; Gestes des chiprois, in R.H.C.-Doc. Arm, Vol. 1, p. 659.

(١٥٥) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ ، راجع أيضا :
Sempad, p. 629; C.F. also, LA Monte, Taki Ed Din, p. 154.

(١٥٦) كان صلاح الدين بعد عقده الهدنة مع ريموند قد توجه الى العراق حيث هاجم الموصل،وانتهى الامر بمصالحته للزنكيين فى مارس =

أنها وقعت نتيجـة للسياسة الخارقة لرينـو دي شـاتيون • فاستؤنفت الحرب مع صلاح الدين ، وبالرغم من التصالح بين كونت طرابلس وجي لوزينان فقد سحقت قوات صلاح الدين الجيش الصليبي كله في معـركة واحدة ، وذلك في يوم السبت ٤ يوليو ١١٨٧م/٢٤ ربيع ثان ٥٨٣هـ • ثم أسر الملك جي وغالبية قادته(١٥٧) وتوج صلاح الدين جهوده بفتح مدينة بيت المقدس في يوم الجمعة ٢ أكتوبر ١١٨٧م/٢٧ رجب ٥٨٣هـ(١٥٨) لتعود المدينة المقدسة الى السيادة الاسلامية بعد ثمان وثمانين عاما من الاحتلال الصليبي لها ، وليفقدها الصليبيون الذين فقـدوا بعـدها كل المملكة التي لم يتبق لهم منها سوى مدينة صور(١٥٩) وكانت هذه كارثة

= ١١٨٦م/ذي حجة ٥٨١هـ ، وصار عز الدين مسعود من اتباعه • وهكذا أمن صلاح الدين جبهة العـراق واتم توحيـد كل القوى الاسلامية من العراق الى مصر تحت قيادته • انظر : ابن شداد : النـوادر السلطانية ، ص ٦٧ ـ ٧١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ •

(١٥٧) وقع في أسر صلاح الدين كل من الملك جي وأخوه عمـوري دي لوزينـان كندسطبل المملكة ، ورينو دي شـاتيون ، وجيرار ريد فورت مقدم الداوية ، وهيو الثالث امبرياكو صاحب جبيل ، وغيرهم من البارونات ومئات من فرسان الداوية والاسبتارية • بينما هرب اثناء المعركة كل من كونت طرابلس الذي توجه الى صور ثم الى طرابلس ، وبولدوين ابلين حاكم الرملة وجوسـلين الثالث ورينالد حاكم صيدا • عن أحداث موقعة حطين انظر : ابن شـداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ ـ ٧٨ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ١١٨٤ ـ ١٩٢ ، ابو شامة : الروضتين جـ ٢ ، ص ٧٥ ـ ٨٠ ، مجهول : البستان الجامع ، ص ١٧٤ • وايضـا :
Eracles, pp. 68-71; Ernoul, pp. 170-172; De Expognatione Terrae Sanctae per Saladinus Libellus, (ed. Stubbs), in R.S. London, 1871, pp. 31-34; Marino Sanudo, Liber Secretorum Fidelium Crucis, ed. j. Bongars, in G.D.F., Vol, 2, p. 194.

(١٥٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٢ • راجع أيضا :
Ernoul, pp. 174-175, 211; Eracles, pp. 81-99.

(١٥٩) لجأ كل الهاربين من بين الصليبيين في حطين وكان من خرج منهم من المدن التي استردها صلاح الدين الى مدينة صـور ، والتي وصل اليها كونراد دي مونتفيرات من القسطنطينية وتسلم قيادتها بموافقة الفرنج فيها • ورفض تسليمها الى صلاح الدين عندما =

لا سابق لها بالنسبة للصليبيين ، وخير دليل على حجم خسائرهم هو الايقاع الباهر الذى حقق به صلاح الدين فتحه لمدن مملكة بيت المقدس وكونتيه طرابلس حتى بدأ فى دخول امارة انطاكية(١٦٠) . واذا كان من الممكن الاخذ بأن بوهيمند الثالث لم يساهم ابدا فى موقعة حطين(١٦١) ، فانه بعد فتح المسلمين لبيت المقدس مباشرة ، وحسب ما أملته الظروف فى ذلك الوقت ، وليس عن رغبة منه ، وجد بوهيمند نفسه الامل الوحيد للفرنج فى بلاد الشام ، بعد ان اطاح صلاح الدين « بنمط الحياة » Modus Vivendi الذى توصلوا اليه فى الشرق الادنى الاسلامى(١٦٢) . فبعد دخول المسلمين مدينة بيت المقدس ، خرج من

= هاجمها فى ٢٦ نوفمبر ١١٨٧م/٢٢ رمضان ٥٨٣هـ ورحل صلاح الدين عنها لشدة مقاومة الفرنج ولفشل أسطوله فى حصارها عن طريق البحر وهزيمته أمام سطول الفرنج فى صور بسبب اهمال بحارة الاسطول المصرى . وقام كونراد بتقوية تحصينات صور حتى وصلت الحملة الثالثة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٣ - ٨٤ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٤٦ . راجع ايضا :
Ernoul, pp. 179-183; 240-243; Eracles, pp. 74-78, 104-110; C.F. also A.S.E Hrenkrutz, the place of Saldin in the Naval history, in J.A.O.S., Vol. 75, p. 111.

(١٦٠) بعد الانتصار على الفرنج فى حطين بادر صلاح الدين بفتح مدن المملكة فبدأ صبيحة انتصاره فى أخذ طبرية ثم عكا فى ٨ يوليو/ ٢٩ ربيع ثان من نفس السنة . ولم يستغرق سوى شهرين حتى كانت كل مملكة بيت المقدس فى أيدى المسلمين . وبدأ فى اخذ أملاك طرابلس فى ٣٠ مايو ١١٨٨م/ربيع أول ٥٨٤هـ . وفى ١ يوليو/١٤ جمادى الاولى لم يتبق فى أيدى الفرنج فى كونتية طرابلس سوى مدينة طرابلس نفسها وحصن الاكراد . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ - ٨٦ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ١١ ، ص ٢٤١ - ٢٥٤ ، جـ ١٢ ، ص ٢ - ٣ .

(١٦١) Ralph Niger, Chronica Universali, in M.G.H.SS., Vol. 27, p. 336.

(١٦٢) خرج المسيحيون الكاثوليك من بيت المقدس بعد أن دفعوا فدية قدرها عشرة دنانير للرجل ، وخمسة للمرأة ، وديناراً للطفل ، وبقى بالمدينة المسيحيون الارثوذكس واليعاقبة بشرط دفع جزية مماثلة لفدية اللاتين . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٢ .

كان فيها من اللاتين متجهين شمالا الى طرابلس(١٦٣) بعد أن زودهم صلاح الدين بالمؤن وأمر بأن تصحبهم قوة من الجيش الاسلامى لحراستهم، حتى لا يتعرضوا لهجمات البدو حتى حدود طرابلس . وبمجرد ان دخل لاجئو الصليبيين حدود الكونتية ، اعتدى عليهم الصليبيون فى نيفين ، واستولوا على المؤن التى معهم . وحين وصلوا الى مدينـــة طرابلس نفسها ، أمر ريموند بأن تغلق أبوابها دونهم ، ثم خرج فرسانه وسلبوهم كل ما تبقى معهم من أموال أمدهم بها صـلاح الدين(١٦٤) . وهكذا تعرض الفرنج من مملكة بيت المقدس لاعتداءات بنى جلدتهم فى طرابلس. ونالوا معاملة سيئة لم يعاملهم المسلمون بهـــا من قبل . وبقى جزء من اللاجئين خارج أبواب طرابلس لفترة طويلة حتى سـمح لهـم بالدخول اليها ، بينما توجه الجزء الاكبر منهم الى امارة انطـاكية حيث آواهم بوهيمند ، ربما لاستخدامهم فى الدفاع عن انطاكية اذا ما تقدم اليهـــا صلاح الدين(١٦٥) . والى جانب ايوائه للاجئى بيت المقدس ، كان على بوهيمند أن يتحمل أعباء جديدة . فقد مات ريموند كونت طرابلس(١٦٦)

---

(١٦٣) خرج الفرنج فى ثلاث مجموعات الاولى قادها الداوية ، والثانية بقيادة الاسبتارية ، والثالث بصحبة البطريرك هرقل وباليـــان ابلين . انظر : Ernoul, p. 231.

(١٦٤) Eracles, pp. 100-101.

(١٦٥) توجه جزء من هؤلاء الى أرمينية ثم الى القسطنطينية . وأما من خرج من اللاتين من عسـقلان فقد توجهوا الى مصر ، وتم تجميعهم فى الاسكندرية فى داخل معسكر منعزل عن المدينة وتحت حراســـة مشـددة حتى لا يتعـــرض لهم أحد من المواطنين المتحمسين . وتم نقلهم فى مارس ١١٨٨م/محـــرم ٥٨٤هـ الى صقلية على ظهر أسطول مسيحى : انظر .

Eracles, (MS. D) P. 74; Eracles, L'Estoire, p. 100-103; Ernoul, pp. 231 ff., Annales Salimbene, in M.G.HSS, Vol 32, p. 5; Ralph Niger, Chronica Anglica, in M.G.H.SS., Vol. 27, p. 252, Robertus Canonicus. Chronicon, in M.G.H.SS Vol. 26, p. 252;

(١٦٦) اختلف المؤرخون حول وفاة ريموند الثالث . فيضعها رادولف أوف دكيتو فى ١٧ أكتوبر ١١٨٧م/١٢ شعبان ٥٨٣هـ ، ويضعها كفارو فى عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ . ويم أن ريموند قد توجه بعـد فراره من المعركة الى صور حيث بقى فيها فترة كمـــا ورد فى تاريخ بطاركة الاسكندرية ، ويم أن آخر ما ذكر من أعماله هو =

تاركا كونتيتـه ، بناء على وصيته ، لريمـوند الابن الاكبر لبوهيمند الثالث . وهكذا انتهى عهد الاسرة البروفنسالية فى طرابلس التى اضيفت الى أملاك بوهيمنـد فى وقت كان هو بالكـاد يسـتطيع أن يحمى امارته(١٦٧) . ومن هذا المنطلق ولشعوره بانه الوحيد ، من بين قادة الفرنج الذى لم يتاثر بعد بنتائج موقعة حطين ، وربما ترقبا لاخطـار المستقبل القريب ، فقد قام بدوره مع ايمرى بطريرك انطاكية فى حث

= قيامه باصدار منحة للبيزاوية فى طرابلس يكون لهم بمقتضاها الحق فى انشاء محكمة خاصة بهم الى جانب حرية التجـارة وذلك فى أغسطس ١١٨٧م/جمـادى ثانى ٥٨٣هـ ، فلابد وأن وفاته قد حدثت بعد اغسطس وقبل نهاية العام نفسه . وكان اكثر المؤرخين دقة فى تحديد موعد وفاة ريموند هو ابن العـديم الذى حددها برجب ٥٨٣هـ/٦ سبتمبر — ١٥ أكتوبر ١١٨٧م . فى حين وضع بندكت تاريخا خاطئا لوفاة ريمـوند عنـدما ذهب الا أنه مات فور انتهاء معركة حطين . انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٩٤ ، راجع أيضا :

Raldulph of Diceto, Opera Historica, (ed. W. Stubbs), in R.S. ed. W. Stubbs), 2 Vols, London, 1876, Vol. 2, p. 56; Benedict of Peterborough Gesta Regis Henrici III. (ed. Stubbs), 2 vols, in R.S., London, 1867, Vol. 2; pp. 20-23; Caffaro de Cashifelone, Annales Iannensis, in M.G.H.SS., Vol. 18, p. 55; Histoire des Patriarches d'Alexandria, in R.O.L. Vol. XI, p. 27; Rohricht, Regesta, no. 662, p. 176 C.F. also, Heyd, historie de commerce, t. 2, p. 150.

(١٦٧) فى فبراير ١١٨٦م/ذى الحجة ٥٨٢ ، منح بوهيمنـد الثـالث جماعة الاسبتارية ملكية حصن المرقب وحصن القدموس وبلنياس وغيرها من القلاع الجنوبية لامارته ، وذلك لبعدها عن انطاكية نفسها وللتكاليف الباهظة التى يتحملها للدفاع عنها خاصة وقد احاطت بها املاك المسلمين بعد أن ضم صـلاح الدين حلب الى أملاكه . وأكد بوهيمند للاسـبتارية فى منحته حقهم فى عقـد المعاهدات الخاصة بهم مع المسلمين دون الرجوع اليه مع التزامه هو بتنفيذ بنود هذه الاتفاقيات والعكس صحيح اذا ما قام هو بعقد معاهدة مع المسلمين . الى جانب ذلك فقد أعفـاهم من الضرائب المفروضة على المنقولات داخل وخارج امارته . وكانت هذه المنحة نصا صريحا على استقلال جماعة الاسبتارية فى شمال الشام . انظر :

Cartulaire, t. 1, p. 783; Rohricht, Regesta, no 649, pp. 171-172; J. Riley Smith, The knights of St. John, p. 68.

حكام غرب أوروبا على النهوض لانقاذ بقايا الكيان الصليبي في الشرق . فارسل مع البرت كبير أساقفة طرسوس ومستشاره ، برسالة الى مسيحيي أوربا يعلمهم فيها بسقوط بيت المقدس وعسقلان في أيدى صلاح الدين ، وذلك في سبتمبر ١١٨٧م/رجب ٥٨٣هـ(١٦٨) وفي أول سبتمبر ١١٨٧م/ ٢٦ جماد ثان ٥٨٣هـ ، بعث بطريرك انطاكية برسالة مماثلة الى هنرى الثاني ملك انجلترا ، يخبره فيها بما تم من سقوط بيت المقدس ومدن فلسطين في أيدى صلاح الدين وأسر الملك جي وقادة الفرنج ، ويحثه على الاسراع بالحضـــور بنفســـه الى الشرق أو ارســـال النجـدة ، والا سقطت انطاكية نفسها في أيدي المسلمين(١٦٩) وبعد ان ظهر بوهيمنـد كمدافع عما تبقى من الكيان الصليبي ، وبعد أن ضم الى أملاكه كونتية طرابلس ، وتجمع عنده كثير من الفرنج الذين سلموا معاقلهم في فلسطين ، الى جانب كون انطاكية معقلا حصينا يصعب اختراقه ، فقد أصبح في امكان الفرنج في شمال الشام أن يعيدوا تشكيل قواتهم ، مثلما حدث في صور ، استعدادا للقيام بضربة مضادة ضد صلاح الدين ومن الممكن الاخذ بأن كل ذلك دفع بصلاح الدين الى مهاجمة امارة انطاكية في الحال وقبل أن يستفحل أمرها مثل صور . وقد تميزت فتوحات صلاح الدين في شمال الشام على عكس مثيلتها في فلسطين ، بأنها بدأت بسهولة ، لميل السكان المحليين في جنوب امارة انطاكية الى المسلمين ، وخاصة النصيريين في جبل بهرا وفي حصن بكسرائيل الذى استقل به سكانه قبل موقعة حطين ، عن وصاية الفرنج ، واصبح ســكان الجبال وقلعــة أبو قبيس جيرانا لا يمكن ان يســاندهم الاسبتارية في حصن المرقب(١٧٠) . الى جانب ذلك ، فقد تقوى صلاح الدين بوصول امدادات من الموصـــل والجزيرة بقيـادة عمــاد الدين زنكى الثاني صاحب سنجار . وكان صــلاح الدين قد بدأ بالاغارة على امارة طرابلس بادئا بحصاره لحصن الاكراد بينما بعث ابنه الظاهر وابن أخيه تقي الدين الى تيزين قبالة انطاكية لحفظ ذلك الجانب(١٧١) وأغار صلاح الدين

---

(١٦٨) Rohricht, Regesta, no. 663, p. 176.

(١٦٩) Benidict, Gesta Henrici, Vol. 2, p. 36-38.

(١٧٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣ . راجع أيضا : Cartulaire, t. 1, p. 491.

(١٧١) وقد وصل اليه في ذلك الموضع كاتبه ابن شداد الى جانب وجود العماد الاصفهاني وابن الاثير . لذا يتسم وصف حملة صلاح الدين =

على حصن الاكراد يوما واحدا ، بعد أن بقى قبالته شهرا كاملا ينظم أمور جيشه « فما رأى الوقت يحتمل حصاره »(١٧٢) . فاغار على العريمة وصافيتا واليحمور وغيرها . ثم استولى على انطرطوس فى ٣يوليو١١٨٨م/٦جمادى الاولى٥٨٤هـ بالسيف(١٧٣) .ثم بدأ صلاح الدين فى اختراق حدود امارة انطاكية غربى نهر العاصى ، وهى المنطقة التى لم يفتحها نور الدين محمود . وتوجه السلطان الى مدينة جبلة ، التى جاء قاضيها منصور بن نبيل يعرض عليه تسليم المدينة مع حصن بكمرائيل الذى اتفق مع سكانه على ذلك(١٧٤) . فاسرع صلاح الدين منتهزا هذه الفرصة وعبر الطريق الضيق الواقع بين حصن المرقب وساحل البحر ، وكانت هذه محاولة لا تخلو من الخطر خاصة بعد أن وصل الاسطول الصلقى من طرابلس مكونا من ستين سفينة ورسى امام حصن المرقب . وأخذ رجاله يرمون المسلمين بالسهام ، وتمكن صلاح الدين من المرور بقواته عبر المضيق باقامة الطارقيات والجفتيات بين رجاله وبين الساحل(١٧٥) . ووصل الى جبلة فى يوم الجمعة ١٦ يوليو ١١٨٨م/

= فى امارة انطاكية بالوضوح . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٦ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق محمد محمد صبح ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٣٠ — ٢٣١ .

(١٧٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٦ .

(١٧٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

(١٧٤) كان قاضى جبلة مقربا الى بوهيمند ويبدو انه كان يدير شئون المسلمين فى الامارة وهى سياسة غريبة على الفرنج فى هذه الحقبة . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣ .

(١٧٥) الطارقيات والجفتيات هى أنواع من الستائر أو المتاريس والحواجز التى تتخذ كسترة للرجال الذين يستعضد بهم فى جر المنجنيق وما شاكله من أن يرموا بحجارة منجنيق يقابله ، فيحمل عنهم مضرتها ويكفيهم سوء اصابتها وقد جاء وصف هذه الستائر فى مخطوط « تبصرة ألباب الالباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الاسواء ونشر اعلام الاعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الاعداء » الذى وضعه مرضى بن على مرضى الطرطوسى خصيصا لصلاح الدين . وقد نشرت مقتطفات من هذا المخطوط مع ترجمة فرنسية وتعليقات هامة للمؤرخ كلود كاهن . انظر : ابن واصل مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٨ . راجع أيضا : =

١٨ جمادى الاول ٥٨٤ (١٧٦) حيث دخلها بسهولة وترك الحامية الفرنجية بهـا تنسحب مسالمة مقـابل وعـد باعـادة أسرى المسـلمين من انطـاكية ، وذلك فى ١٧ يوليـو / ١٩ جمـادى الاولى من نفس السنة (١٧٧) . ووصل الى جبلة سكان القدموس وبكمراثيـل والجبال ، يعلنون استسلامهم لصلاح الدين . وبذلك يكون قد تم اقامة خط اتصال مع المناطق الداخلية لشمال الشام (١٧٨) . ثم تلا ذلك بايقاع مدهش فتوح أخرى . ففى يوم الخميس ٢٣ يوليو/٢٥ جمـادى الاولى تسلم صلاح الدين ميناء اللاذقية وقلعتيه بعد أن أقنع قاضى جبلة قوات الجاوية الذين اعتصموا مع أهل المدينة وتجـارها الفـرنج بالقلعتين بالاستسلام ، وخرجوا بالامان بعـد أن تركوا ما لديهم من أموال ومؤن وآلات وسلاح (١٧٩) . وفشلت محاولة قائد الاسطول الصقلى فى اثناء صلاح الدين عن المضى فى فتح اللاذقية وسائر اعلاك انطاكية . وقابل صلاح الدين تهديدات القـائد الصقلى له بحضور الجيوش الاوربيـة لنجدة الفرنج بتهديد مماثل لكل من يتجرأ ويحضر الى بلاد المسلمين (١٨٠) . وبعد أن رتب تقى الدين عمر فى اللاذقية ، رحل صلاح الدين وفتح حصـن صهيون بعد ضربه بالمنجنيقات ، وذلك فى يوم الجمعة ٣ يوليو/٢ جمادى الآخرة . ومنح الفرنج فيه الامان مقابل فدية مماثلة لفدية اخوانهم فى بيت المقدس . وتسلم نواب صلاح الدين الحصون التابعة لصهيون مثـل

= Claud Cahen, Un Traité d'Armurérie Compose pour Saladin, in B.E.O., Vol. 12, 1947-48, pp. 155-156.

(١٧٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٩ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٣٣ . وقد أخذنا بروايتهما لمرافقتها لصلاح لصلاح الدين حتى ينتهى من حملته فى امارة انطاكية .

(١٧٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٩ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٣٣ .

(١٧٨) ومنح صلاح الدين جبلة لسابق الدين عثمـان بن الداية الذى كان بحوزته شيزر التى اخذها بعد فتح حلب . انظر : ابن الاثير الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤ .

(١٧٩) ابن شداد المصدر السابق ، ص ٨٩ — ٩٠ ، العماد الاصفهانى : المصدر السابق : ص ٢٣٥ — ٢٣٧ .

(١٨٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٤ — ٥ . انظر أيضا : Eracles, p. 122; Ernoul, pp. 252-253.

العيدو وبلاطنس والجماهيرتين(١٨١) . وفى يوم الجمعة ٦ اغسطس/٩ جمادى الآخرة،فتح صلاح الدين حصن بكاس الذى استسلم من فيه بعد أن يئسوا من مساعدة انطاكية لهم . وفى يوم الثلاثاء ١٠ اغسطس/١٣ جمادى الآخرة تسلم صلاح الدين قلعة الشغر التابعة لحصن بكاس . وفى يوم الجمعة ٢٠ اغسطس/٢٣ جمادى الآخرة فتح المسلمون حصن سرمانية الذى منحه صلاح الدين لابنه الظاهر،ومن الملاحظ أن فتوح صلاح الدين من جبلة الى سرمانية قد تمت كلها فى أيام جمع وخلال فترة تقل عن الشهرين(١٨٢) . واستمر صلاح الدين فى تقدمه شمالا حتى وصل الى حصن برزية وبدأ فى حصاره فى يوم السبت ٢١اغسطس/٢٤ جمادى الآخرة حيث تقرر مهاجمة الحصن من الجهة الغربية لعلو الجبال المحيطة به من جهتى الشمال والشرق ، ووعورة التل الملاصق له من جهة الشرق . ولما فشلت المنجنيقات فى الاضرار بالحصن بعد قذفه لمدة ثلاثة ايام ، قسم صلاح الدين قواته ثلاثة أقسام للتناوب على الزحف على برزية حتى يكل الفرنج بداخلها أمام الهجوم المستمر للمسلمين . وبدات النوبة الاولى بقيادة عماد الدين صاحب سنجار ثم تبعه صلاح الدين بنوبة حيث انضم اليه العادل بالنوبة الثالثة وعماد الدين بنوبته للمرة الثانية ، فلم يمكن الفرنج من الاستمرار فى الدفاع عن الحصن وطلبوا الامان ، وملك المسلمون برزية واسروا من فيه وذلك فى يوم الثلاثاء ٢٤ اغسطس/٢٧ جمادى الاخرة(١٨٣) . وترجع اهمية فتح هذا الحصن الى انه كان فى مقابلة افامية من الجهة الغربية لنهر العاصى ، وكان الفرنج فيه يناصفون افامية فى أعمالها«وكان أهلها أضر شىء على المسلمين،يقطعون الطريق، ويبلغون فى الأذى »(١٨٤) . وكان صاحب برزية هو زوج لشقيقة سيبل زوجة بوهيمند امير انطاكية وقد أطلق صلاح الدين سراح صاحب برزية

---

(١٨١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٠ ـ ٩١ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(١٨٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩١ ـ ٩٢ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ .

(١٨٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ، العماد الاصفهانى : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ، ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧ ـ ٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب : ج ٣ ، ص ١٠٥ .

(١٨٤) حضر ابن الاثير فتح برزية وشاهد وقائعه . انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٦ .

وزوجته حين اقترب من انطاكية ، وربما كان ذلك ثمنا لتعاون سيبل زوجة بوهيمند مع صلاح الدين كما يذكر ابن الاثير (١٨٥) ، وليس استمالة لبوهيمند كما يذكر ابن شداد والعماد الاصفهانى ، فلم تكن هناك حاجة بصلاح الدين لأن يستميل بوهيمند فى ذلك الوقت وهو الذى اقترب من فتح انطاكية نفسها (١٨٦) . فقد اتجه صلاح الدين شمالا حيث وصل الى جسر الحديد خارج أسوار انطاكية من الجهة الشمالية ، واقام عليه اياما ، ثم عبر دركوش الى سهل العمق ، وحاصر حصن دربساك الذى يملكه الداوية وذلك فى يوم الجمعة ٥ سبتمبر/٨ رجب (١٨٧) . وبعد قذفه بالمنجنيقات واحداث ثغرة بالسور ، طلب الداوية الامان ، وامهلهم صلاح الدين لمدة ثلاثة أيام حتى يراجعوا أمير انطاكية الذى يبدو أنهم قد يئسوا من قيامه بأى عمل تجاه المسلمين . وتسلم صلاح الدين حصن دربساك ، بعد أن خرج الداوية وكل منهم « بثيابه التى عليه بغير مال ولاسلاح » فى ١٩ سبتمبر ١١٨٨م/٢٢ رجب ٥٨٤هـ (١٨٨) . ثم عاد صلاح الدين جنوبا الى حصن بغراس الاقرب الى انطاكية ، ورغم تخوف قواده حيث أنه « لا فرق بين حصره وحصرها » (١٨٩) الا أن صلاح الدين قد رتب غالبية قواته لمراقبة انطاكية حتى لا يفاجأ المسلمون بهجوم من الفرنج بداخلها . وصحب بقية جيشه للهجوم على حصن بغراس الذى

---

(١٨٥) « وكانت امرأة صاحب برزية اخت امرأة بوهيمند صاحب انطاكية وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتعلمه كثير من الاحوال التى تؤثر فاطلق هؤلاء لأجلها » انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨ .

(١٨٦) وقد أطلق صلاح الدين مع صاحب برزية وزوجته ابنة لهما مع زوجها وسبعة عشر شخصا آخرين . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٣ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ص ٢٥٢، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٥ . ومنح صلاح الدين حصن برزية لعز الدين ابراهيم بن المقدم صاحب منبج وافامية ، وكفر طاب . انظر : أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

(١٨٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٣ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٥٥ .

(٨٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٣ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(١٨٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٨ .

استسلم من فيه من الداوية فجـــأة بالرغم من عدم تأثر الحصن بضرب المنجنيقات . وخرج الداوية من الحصن على قاعدة دربساك وتســلم المسلمون القلعة بما فيها من مؤن وسلاح وذلك فى يوم الاثنين ٢٩ سبتمبر ١١٨٨م/٢ شعبان ٥٨٤هـ(١٩٠) . وهكذا فتح صلاح الدين كل معـــاقل امارة انطاكية التى لم يكن المسلمون قد اســـتردوها فى أيام نور الدين محمود . وهى المعاقل التىتقعمن الجنوب الى الشمال بين نهر العاصى وساحل البحر . الى جانب حصنى الداوية دربساك وبغراس اللذين كانا يحميان انطاكية من جهة الشمال « وكانا لانطاكية جناحين »(١٩١) . ولم يبق الا فتح انطاكية نفسها ، والتى كانت شبه محاصرة بعـد هذه الفتوحات الاسلامية وعزم صلاح الدين على مهاجمتها ، الا أن بوهيمند راسله طالبا عقد الهدنة معه على أن يطلق بوهيمند كل اسرى المسلمين فى انطاكية « فكان عدتهم ألف أسير »(١٩٢) . وكان رسوله الى صلاح الدين هو شقيق زوجته . فقبل صلاح الدين عقد الهدنة مع بوهيمند . فقد لمس ارهاق قواته ، وخاصة فرق الجزيرة التى يقودها عماد الدين صـــاحب ســنجار الذى ألح فى طلب العودة الى بلاده(١٩٣) . واذا كان ابرام

---

(١٩٠) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، العماد : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

(١٩١) أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ص ١٣٢ .

(١٩٢) انفرد مؤلف البستان الجامع بتحـــديد عدد أسرى المسلمين فى انطاكية ،كما انفرد العماد الاصفهانى يذكر اسم مندوب صلاح الدين الذى ذهب الى انطـاكية وتسلم الاسرى المسـلمين وهو شـمس الدولة بن منقذ . انظر : مجهول : البستان الجامع ص ١٤٧ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٦٠ ، انظر أيضا : خريطة رقم (٣) .

(١٩٣) ابن شداد : النوادر الســلطانية ، ص ٩٤ . ومن الملاحظ أن المصادر الصليبية قد ذكرت فتوحات صلاح الدين فى امارة انطاكية بايجاز شديد ، واقتصرت على ذكر أسماء المدن الهامة فقط التى فتحها صلاح الدين ودون ذكر أى تواريخ محددة لهذه الفتوحات . فلم يكن أى ممن كتبوا تاريخ الشرق الفــرنجى من المؤرخين الصليبيين حريصا على ذكر تفاصيل لانتصارات المسلمين كما كان يفعل وليم الصورى الذى كان يذكر كل ما يراه أو يسمع عنـه بتفصيل ودقة بالغين ، ليظهـــر حقيقة الامور . الى جانب أن شمال الشام بما يضمه من املاك الصليبيين لم يعد محل اهتمـام أحد من مؤرخيهم الذين جاءوا بعـــد وليم الصــورى الا حين =

الهدنة مع بوهيمند لم يكن على رغبة صـــلاح الدين ، فانه فرض على بوهيمند شروطا تجعله المستفيد من الهدنة أكثر من بوهيمند نفسه . فقد تعهـــد بوهيمند باطلاق سراح كل الاسرى المسلمين لديه الى جانب ان الهدنة كانت تخص انطاكية وحدها . كما انها كانت لمدة ثمانية أشهر فقط من أكتوبر حتى ١١٨٨م/شعبان ٥٨٤هـ الى مايو ١١٨٩م/ربيـــع أول ٥٨٥هـ(١٩٤) . ومعنى ذلك أن فترة الهدنة ستنتهى قبل موسم الحصاد « وادراك الغـــلة . فلا يقـــدر الفـــرنج على تحصيلها ونقلهـــــا واعتدادها »(١٩٥) . كما تعهد بوهيمند ان يسلم انطاكية الى صلاح الدين اذا لم يأت من ينصرهم « من غـــرب أوروبا »(١٩٦) . وقد كان هذا الشرط أقل الشروط قيمة لصلاح الدين ، لان بوهيمند ، بالطبع ، لم يكن ليسلم انطاكية دونمقاومة ، وربما كان متأكدا من حضور المدد على الاقل من انجلترا التى رد عليه ملكها يخبره بحضوره قريبا مع ابنه ريتشارد لنجدة بيت المقدس(١٩٧) . وهنا يبرز تساؤل هام : لماذا لم يســتول صلاح الدين على مدينة انطاكية وقد فقدت كل مدنهــا الساحلية والداخلية ، وساءت أحوالها كما لمس المسلمون أنفسهم ذلك . ولم يكن من الصعب فتحها كما يذكر العماد الاصفهانى الذى كان ملازما لصلاح الدين فى ذلك

= يشترك صليبيوا انطــاكية او طرابلس فى أحداث تخص مملكة بيت المقدس . انظر :

Eracles, p. 122; Continuation de Guilliaum de Tyre, p. 57; Ernoul, pp. 252-253.

(١٩٤) حدد كل من العماد الاصفهانى ، وابن الاثير ، وابن واصــل مدة الهدنة بثمانية أشهر . بينما حددها ابن شداد بسبعة اشــهر . وليس هناك أى دليل يساعد على الاخذ باحد الرايين دون الآخر سوى اتفاق العماد وابن الاثير وهما معــاصران للاحداث . لذا اخذنا بهذا الرأى . انظر : العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٦٠ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص ٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٩ — ٢٧٠ ، ابن شـــداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٤ .

(١٩٥) العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٦٠ .

(١٩٦) انفرد ابن شـــداد دون المؤرخين المسلمين بذكر هذا الشرط من شروط الهدنة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٩٤.

(١٩٧) Benedict of Peterborough, Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 38-39 Roger of Hoveden, Chronica, ed. W. Stubbs, in R.S., 4 Vols, London, 1868-1871, Vol. 2, pp. 342-343.

الوقت(١٩٨) ؟ وهل كان طلب قوات الجزيرة بالعودة الى بلادها هو السبب الوحيد وراء قبول صلاح الدين الهدنة مع انطاكية وهى فى هذه الحال ، كما يأخذ غالبية المؤرخين ؟ والاجابة على هذا السؤال تظهر من تتبع أحوال صلاح الدين نفسه . فالى جانب وصول خطاب من الامبراطور الالمانى فريدريك الى صلاح الدين يهدده فيه بوصوله مع كل شعوب أوروبا لنجدة بيت المقدس والفرنج فى بلاد الشام ، وذلك فى فبراير ١١٨٨م/ذى الحجة ٥٨٣هـ(١٩٩) . وبالرغم من رد صلاح الدين المماثل على الامبراطور فى نفس الشهر(٢٠٠) ، الا أن خشية حضور الامبراطور الالمانى كان اول الاسباب التى دفعت صلاح الدين الى قبول الهدنة مع بوهيمند ، وعدم البدء فى حصار مدينة انطاكية ، ويؤكد ذلك ما يشعر به المسلمون عندما وصلتهم الاخبار بوصول حملة فريدريك الى القسطنطينية بعد عام « فاهتم المسلمون لذلك وايسوا من الشام بالكلية »(٢٠١) ، « واشتد ذلك على السلطان وعظم عليه »(٢٠٢) . وهكذا اقلع صلاح الدين عن فكرة حصار انطاكية الذى كان من المؤكد أنه سيستغرق وقتا طويلا نظرا لحصانة المدينة المعروفة لدى المسلمين ، خاصة وأن صلاح الدين لم يكن قد أكمل بعد فتح بقية الحصون التى استعصت عليه فى فلسطين(٢٠٣) . ومهما

(١٩٨) « فلما فرغ السلطان من شغل الحصون ، ، وظفر من فتوحها بالسر المصون ، حول على قصد انطاكية ، فانها كانت مريضة على شفا ، ورسم قوتها قد عفا ، وخلق ثيابها قد انتفى ، والدهر قد انتقم منها واشتفى ، ووجه صلاح الدين عن أهلها قد اختفى فلو صدقها وقصدها ، لحصن دعائمها وحصدها .... وكانت حينئذ انطاكية قد أسعر سعر الغلة ، وقل ساكنوها لما كانوا فيه من القلة ، والغرارة تساوى اثنى عشر دينارا ، والقوم قد شارفوا تبارا وبوارا » . انظر : العماد الاصفهانى الفتح القسى : ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(١٩٩) Benedict of Peterborough, Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 62-63 Radulf of Diceto, Vol. 2, pp. 49-50 Rohricht, Regesta, no. 671, p. 179.

(٢٠٠) Benedict of Peterborough Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 62-63 Rohricht, Regesta, no. 672, p. 179.

(٢٠١) ابو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٨٢ .

(٢٠٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١١٥ .

(٢٠٣) بعد أن فتح صلاح الدين برزية ، بعث بأخيه العادل لفتح حصن الكرك وتم ذلك فى نوفمبر ١١٨٨م/رمضان ٥٨٤هـ ، بينما فتح صلاح الدين بنفسه حصون كوكب فى نوفمبر ١١٨٨م/شوال =

يكن من أمر ، فان سياسة صلاح الدين تجاه امارة انطاكية الصليبية لم تكن تختلف عن سياسته تجاه مملكة بيت المقدس وكونتية طرابلس . فقد اختط لنفسه سياسة واضحة . فبدأ بتثبيت اقدامه فى سوريا وفلسطين بأن وحد القوى الاسلامية تحت قيادته من الجزيرة الى مصر ، ومؤمنا حدوده فى اليمن وشمال افريقية ، حتى يتفرغ للقضاء على الكيان الصليبى الذى انهكته الصراعات الداخلية والتى شارك فيها بوهيمند الثالث بنصيب وافر دون القيام بعمل من شأنه أن يقوى امارته ، خاصة أثناء فترة تشاحن صلاح الدين مع الزنكيين فى حلب والموصل ، ذلك بالرغم من تكرار الفرص امامه ، الامر الذى جعل صلاح الدين يأمن جانبه ، واكتفى بمراقبة امارة انطاكية حتى تفرغ لها تماما بعد أن قضى على مملكة بيت المقدس أولا . وانتهى الامر بانطاكية التى امتدت حدودها فى أيام كل من بوهيمند ، وتنكريد ، وروجردى سالرنو من حدود كونتية طرابلس جنوبا الى قيليقية شمالا ومن أبواب حلب شرقا الى ساحل البحر غربا ، وبعد أن فقدت الامارة الصليبية كل أملاكها ، ولم يتبق الا مدينة انطاكية نفسها ، أصبحت كما وصفها أحد المؤرخين المسيحيين « ترتجف مثل ساق نبات جافة فى مهب الريح »(٢٠٤) .

ان التقييم الوحيد لانجازات صلاح الدين ضد الصليبيين ، الذين لم يتبق لهم من حصاد ما يقرب مائة عام من النضال فى الشرق الادنى الاسلامى سوى مدينة صور من المملكة ومدينة طرابلس وقلعة انطرطوس عن كونتية طرابلس ، ومدينة انطاكية ، وحصن المرقب وميناء السويدية من امارة انطاكية ، هو أن الحروب الصليبية ، بل وتاريخ الامارات الصليبية فى

= ٥٨٤هـ ، وصفد فى ديسمبر ١١٨٨م/ذى القعدة ٥٨٤هـ ، وأخيرا شقيف أرنون فى يوليو ١١٨٩م/جمادى الآخرة ٥٨٥هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٥ - ٩٨ ، ابن الاثير : الكامل ، ١٢ ، ص ١٠ - ١١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٨ - ١١٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٢٠٤) يصف المؤرخ الارمينى جريجورى دغا ما أصاب انطاكية على أيدى صلاح الدين بما يفوق الامر البابلى لليهود . انظر :
Gregory IV, Dgha, Elegy on The Fall of Jerusalem, in R.H.C.Doc-Arm, Vol. I, p. 283

القرنين اللذين أعقبا استرداد صلاح الدين لمدينة بيت المقدس قد عوملت على أنها خاتمة للحركة الصليبية بصفة عامة(٢٠٥) . وبعد عودة بيت المقدس الى السيادة الاسلامية واندحار مملكة بيت المقدس الصليبيـــة والقضاء على جيشها،واكتساح المسلمين لكونتية طرابلس وامارة انطاكية، كان على أوربا أن تسرع لنجدة ما تبقى من ركائزها فى بلاد الشـام . وكان على حكامها أن يتناسوا ما بينهم من خلافات ، وعلى بابويتها أن تنشط من جديد ، لرعاية الدعوة التى تبنتها وبشرت بها ، وبصفة عامة ، كان على الجميع أن يواجهوا صلاح الدين الذى أصبح رجل الساعة(٢٠٦) . وكان للنداءات اليائسة التى خرجت من الشرق اللاتينى الى أوربا بعـد سقوط بيت المقدس أثرها فى حث المجتمع الاوربى على ايفاد ما عرف فى تاريخ الحروب الصليبية بالحملة الثالثة(٢٠٧) .التى دفعتها الى الشرق الادنى الاسلامى حماسة كادت تضاهى تلك التى دفعت بالحملة الصليبية

---

(٢٠٥) كانت كلمة « خاتمة » هى عنوان آخر فصـــول كتاب المؤرخ و . ب . ستفنسن الـذى كرسه للحـــديث عن تاريخ الامارات الصليبية فى القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى . انظر :
Stevenson, The Crusaders in the East, p. 289, J. LA Monte, From Crusader kingdom to Commercial colony, in B.P.I.A. S.S., Vol. 3, p. 288.

(٢٠٦) وصلت الى صلاح الدين رسالة من الامبراطور البيزنطى اسحق الثانى انجيلوس يهنئه فيها بانتصاره فى حطين ، مصحوبة ببعض الهدايا ، ويبدى اعجابه بصلاح الدين بقوله « والآن أرسل اليك هذه الهدايا ، لان من رأى أنك الآن ملك بحق ، وستبقى كذلك» . انظـــر : Magnus, Chronica, p. 512.
وفى نفس الوقت تعرضت البـابوية وحكومات اوروبا لموجة من النقـد الشـديد من قبل المجتمع الاوربى الغــربى لانشغالهم بخلافاتهم دون القضية الصليبية . انظر :
P.A. Throop, Criticism of papal Crusader policy, in Speculum, Vol. 13, p. 382.

(٢٠٧) الى جانب رسائل بوهيمند وايمرى بطريرك انطاكية الى هنرى الثانى ملك انجلترا ، بعث قادة الداوية والاسبتارية برســـائل مماثلة الى حكام غرب اوربا . كما توجه جوسياس رئيس أساقفة صور الى غرب أوربا وقابل البابا وملكى انجلترا وفرنسا بشأن انقاذ صليبى الشام . انظر :
Benedict of Peterborough, Vol. 2, pp. 13-14; Ansbert, Expeditio Friderici, in M.G.H.S., Berlin, 1892, pp. 2-3; Magnus, Chronica, pp. 507-508; Ernoul, pp. 247-248; Chronica =

الاولى(٢٠٨) . فقد تغاضى ملوك أوروبا عن خلافاتهم ، خاصة فيليب اغسطس ملك فرنسا (١١٨٠ – ١٢٢٣م) وهنرى الثانى ملك انجلترا (١١٥٤ – ١١٨٩م) وقررا الذهاب الى الشرق . وتقرر فرض ضريبة عامة ١١٨٨م/٥٨٤هـ عرفت فى غرب أوروبا « بعشر صلاح الدين »(٢٠٩) . ولما تأخر ملكى فرنسا وانجلترا فى الخروج بحملتهما(٢١٠) ، خرج الامبراطور الالمانى فريدريك بربروسا (١١٥٢ – ١١٩٠م) الى الشرق على رأس الشق الاول من الحملة الصليبية الثالثة وذلك فى أول مايو ١١٨٩م/ربيع أول ٥٨٥هـ بصحبة ابنه الاصغر فريدريك دوق سوابيا ، وجيش كبير . وفى يونية/ربيع ثان من نفس السنة دخل فريدريك بربروسا حدود الدولة البيزنطية حيث عبر مضيق البسفور الى آسيا الصغرى فى مارس ١١٩٠م/صفر ٥٨٦هـ بعد أن بثت بذور الحملة الصليبية الرابعة ، ووضعت أسس الامبراطورية اللاتينية فى القسطنطينية قبل قيامها بخمسة

= Colonienses in M.G.H.SS. in Usum Scholarum, 1880, pp. 137-138.

(٢٠٨) J.O. Prestwich, Richard Coeur de Lion; Rex Bellicosus Riccardo Cuor di Leon nella storia et nella Leganda (Academia nazionale dei lincei no. 253) (Rome, 1981) p. 13; C.G. Flahiff, Deus Nonvolt: A Critic of The Third Crusade, in M.S., Vol. 8, p. 161.

(٢٠٩) فرضت هذه الضريبة على كل أفراد الدولتين من رجال دين وعلمانيين ، وهى تقدر بعشرة فى المائة من ضريبة الدخل على المنقولات ، وتجبى لمدة ثلاث سنوات متتالية ويعهد بجبايتها الى جماعتى الداوية والاسبتارية ، على أن يجمعها رجال هنرى الثانى من المواطنين العلمانيين فى انجلترا وفرنسا . انظر :

Benedict of Peterborough, Vol. 2, pp. 30-32; William of Newburgh, Historia Rerum Anglicarum, Vol. 1, pp. 273-274.

(٢١٠) دبت المنازعات مرة اخرى بين ملكى انجلترا وفرنسا ولم تنته الا بموت هنرى الثانى فى ٦ يوليو ١١٨٩م . ولما كان خلفه ريتشارد الاول صادق النية ، فى التوجه الى الاراضى المقدسة ، فقد قبل فيليب ملك فرنسا الصلح معه على أن يشتركا سويا فى الحملة المزمع قيامها . انظر :

Benedict of Peterborough, Gesta Henrici, Vol. 2, pp. 44 ff,
Rigord, Gesta philippi Augusti, in M.G.H.SS., Vol. 26, pp 289-290; Itinerarium peregrinorum et gesta regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1864, pp. 146-149.

عشر عاما(٢١١) . واتخذ فريدريك نفس الطـريق الذى سلكه مانويل كومنين الى كارثة ميريوكيفالون من قبل . وبالرغم مما بذله قلج ارسلان من وعود سابقةلفريدريك ، فانه لم يقدم له أية مساعدة . وبالرغم من أنه قد ترك مدينته قونية ليدخلها فريدريك ، الا أن الجيش الالمانى قد عانى الكثير من اعتداثات قطبالدين بن قلجأرسلان واغارات قواته علىأطراف الجيش الصليبى . وفى نهاية مايو ١١٩٠م/٢٤ ربيـــع ثان ٥٨٦هـ عبر فريدريك جبال طوروس الى رمينيا حيث وصل الى سهل سلوقية ، ليلقى حتفه غرقا فى نهر كاليكادنوس Calcadnus فى ١٠ يونية ١١٩٠م/٦ جمادي الاولى٥٨٦هـ،دون أن يصل الى بيت المقدس(٢١٢) .وتولى قيادة

---

(٢١١) هاجم قطاع الطرق من الصربيين والبلغار من فل من جنـود فريدريك الذى اتهم اسحق أنجيلوس باثارة هؤلاء ضده . واذ بعث فريدريك برسله الى القسطنطينية ليعلنوا عن قدومه اليها ، اتخذهم اسحق رهائن ولم يطلق سراحهم الا عنـــدما علم أن فريدريك طلب من ابنه هنرى فى المانيا أن يعد أسطولا بموافقة البابا للهجوم على بيزنطة وانتهى الامر بالصلح بين الطرفين قبل دخول فريدريك أراضى بيزنطة . انظر :

Nicetas Choniates, pp. 538-544; Ansbert, Expiditio Friderici pp. 67 ff; 85-90; Epistolae de Morte Friderici Imperatoris, in M.G.H.SS., Berlin, 1892, p. 172, p 172-174; Annales Colonienses, in M.G.H.SS., Vol. 17, p 795; Aegido Aureaevalensis, Gesta Episcoporum Leodiensium, in M.G.H.SS., Vol. 15 p. 113; Annales Marbacenses, in M.G.H.SS, Vol, 17, p. 165. CF. Also, J.W. Nesbitt, The rate of March of Crusading Armies in Bourope, in Traditio, Vol. 19, p. 178.

(٢١٢)اختلفت روايات المؤرخين حول موت فريدريك فيرى بعضهم أن ملابسه الحربية ثقلت عليه عندما نزل الى مياه النهر دون خلعها فغرق ومات . بينما يرى البعض الاخر أن برودة المياه سببت لجسده المرهق مرضا فمات بعده ، ويرى آخرون أن التيار الشديد جرفه وجواده فغرق ومات . ويبدو أن الراى الاول هو الاقرب الى الحقيقة ، بحيث يمكن الاخذ باندفاع الامبراطور المجهـد بسبب عبور جبال الامانوس الى المياه ليتعش جسده دون خلع الملابس الحربية الثقيلة ويطلق المؤرخون اللاتين على هذا النهر اسم نهر ساليف Salef . انظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١١٥ ، راجع أيضا :

Ansbert, Expiditio Friderici, pp. 90-92; Epistolae Morte Fri- =

الجيش فريدريك السوابى ابن الامبراطور ، الا أن بعض قادته قرروا العودة الى بلادهم ، كما استقل بعضهم السفن من طرسوس الى صور حيث تجمع الصليبيون بعد حطين . ومضى فريدريك السوابى بمن معه ممن تبقى من جيش والده ليجتاز سهل قيليقية ، حيث رحب به ليو الثانى وجاثليق الارمن جريجورى الرابع دغا ، ومكث دوق سوابيا هناك مريضا لفترة بسبب حرارة الجو ، بينما تحركت قواته الى انطاكية على أن يلحق بها الدوق بعد أن يسترد عافيته (٢١٣) وبوصول بقايا جيش فريدريك الى انطاكية يمكن تلمس موقف بوهيمند الثالث من الحملة الصليبية بصفة عامة . واذا كان لفظ تلمس يوحى بعدم جلاء سياسته ، فذلك لأن سياسته كانت تتسم بذلك وستبقى هكذا حتى نهاية عهده ، خاصة فيما يتعلق بموقفه من الحملات الصليبية التى وصلت الى امارته ، و تلك التى وصلت الى مملكة بيت المقدس . ويمكن التاكد من طبيعة هذه السياسة بتتبع الاحداث التى شارك فيها بوهيمند نفسه . فبعد رحيل صلاح الدين عن انطاكية ، بعد ابرام الهدنة مع بوهيمند بقى فى طرابلس هيرق دى دانزى «Herry de Danzy» الذى جاء مع الاسطول الصقلى لمساعدة الصليبيين بعد حطين فى١١٨٨م/٥٨٤(٢١٤) . كما جاء الى طرابلس الملك جى دى لوزينان ليلحق بزوجته سبيلا ، وذهب الى انطاكية حيث تنامى بوهيمند العداوات القديمة ورحب بالملك وذلك فى يوليو ١١٨٨م/ جمادى الاولى ٥٨٤هـ . وبقى لدى بوهيمند حتى ابريل ١١٨٩م/صفر

= derici Imperatoris, pp. 177-178; Annales Colonienses, in M.G.H.SS., 800; Andrew Marchionensis, Historia Regum Francorum, in M.G.H.SS. Vol. 26, p 211 Annales Placentini, in M.G.H.SS., Vol. 18, p 463 C.F, Also W: M: Ramsay, The Historical Geography of Asia Minor, London, 1890, p. 129, p. 129-130;

(٢١٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٢٤ — ١٢٦ ، أبو شامة الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ ، راجع أيضا :

Michelle Syrien, Doc-Arm., p. 403; Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 334; Sicard of Cremona, Chronicon, in M.G.H.SS. Vol 31, p. 610; Rigord, Gesta Philippi II Augusti, in M.G.H.SS., Vol. 26, p. 292. CF.

(٢١٤) Raduff Niger, Cronica Universali, in M.G.H.SS., Vol. 27, p.336

٥٨٥هـ . وربما تشجع بوهيمند بوجود الملك ومن لحق به من الفرنج الى جانب الصقليين والجنوية(٢١٦) . وبمساعدة الصقليين والجنوية قام بوهيمند بغارة اجتاح فيها اقليم اللاذقية ثم اقليم حارم ونهب المنطقة ، وقتلوا من وجدوه من المسلمين والمسيحيين المحليين على حد سواء(٢١٧) ولم يشر أى من المؤرخين المسلمين الى هذه الواقعة ،كما أن من ذكرها من المؤرخين اللاتين أو السريان ، لم يضع لها تاريخا محددا ، واكتفوا بذكرها ضمن أحداث عـــام ١١٨٩م/٥٨٥هـ(٢١٨) ، ممـا دفع بعض المؤرخين الحديثين الى ذكرها بصورة مقتضبة . فيذكر كلود كاهن أن بوهيمند قد استرد شجاعته بوصول الاسطول الجنوى ووجود هيرقى فى انطاكية ، دون ذكر الغارة-ويرى ستفنسن احتمال قيام صلاح الدين بحملة أخرى على انطاكية فى ذلك الوقت (يناير ١١٨٩م/ذى الحجة ٥٨٤هـ) وهذا أمـر مستبعد لوجود صـــلاح الدين خلال هذه الفـــترة فى حصـــار حصن كوكب(٢١٩) . واذا دققنا فى ظروف كل من بوهيمند وصلاح الدين الى جانب روايات المؤرخين يمكن أن نحدد تاريخ هذه الغارة . فهدنة بوهيمند مع صلاح الدين تنتهى فى مايو ١١٨٩م/ربيع ثان ٥٨٥هـ . وفى ذلك الوقت

---

(٢١٥) أطلق صلاح الدين سراح الملك جى فى يوليو ١١٨٨م/جمـــاد أول ٥٨٤هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٧ ، ٩٨ .

(٢١٦) فى ابريل ١١٨٩م/صفر ٥٨٥هـ ، منح بوهيمند للجنوية حق انشاء محاكم خاصة بهم فى كل من انطـــاكية واللاذقية وجبيل ومن الملاحظ أن الفرنج كانوا يمنحون الامتيازات لجماعات الفرسان الرهبان وجاليات المدن التجـارية فى أملاكهم التى اسـتردها المسلمون على أن يعمـــل بهـذه المنــــح فى حالة استردادها مرة أخرى من أيدى المسلمين . انظر :

Rohrict, Regesta, no. 68, pp. 181-182.

(٢١٧) كان المسيحيون الشرقيون من الارمن والشاميين فى اللاذقيـة قد حصلوا على موافقة صلاح الدين بالبقاء فى المدينة على أن يدفعوا الجزية كأهل ذمة ، بينما سار اللاتين الى انطاكية . انظـر : العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٣٩ .

(٢١٨) Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 330; Itinerarium, p. 26; Michel Le Syrien, Doc.-Arm, p. 403; Radulf Niger, Cronica Universali, p. 336.

(٢١٩) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٥ — ٩٦ . راجع أيضا :
Stevenson, The Crusaders in the East, p. 260; Cahen, La Syrie du Nord, p. 430.

كان صلاح الدين مشغولا فى حصار حصن شقيف ارنون الذى بداه فى ١٠ ابريل ١١٨٩م/٧ ربيع أول ٥٨٥هـ ، وبقى على حصاره لمدة شهرين(٢٢٠) . ولما كان تاريخ المنحة التى قدمها بوهيمند الى الجنوية مقابل مساعدته فى مشروعه المقبل يعود الى ابريل ١١٨٩م/صفر ٥٨٥هـ(٢٢١) ، فلابد وانه قام بغارته فى الشهر التالى مباشرة حيث كانت الظروف مهياة تماما ، فقد انتهت هدنته مع صلاح الدين ، ورحل ملك بيت المقدس والذى من المؤكد أنه من المعروف لدى بوهيمند انه سيقوم بعمل من شانه ان يزيد من مشاغل صلاح الدين . كما ضمن بوهيمند مساعدة الجنوية ، ولديه الصقليين منذ فترة الى جانب وصول الانباء عن بدء تحرك فريدريك بربروسا الى الشرق فى مايو ١١٨٩م/ربيع ثان ٥٨٥هـ ، وصلاح الدين مشغول فى فلسطين لذا يكون شهر مايو ١١٨٩م/ربيع ثان ٥٨٥هـ ، هو أنسب تاريخ يمكن تحديده لهذه الوقعة . واذا كان بوهيمند لم يقم باكثر من غارة دون احراز مكاسب كبيرة على حساب المسلمين فى ذلك الوقت ، فقد كان ذلك يرجع الى وصول تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين الذى كلفه السلطان بان يسير فيمن معه من عساكره ومن ياتى من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكية لئلا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضاء الهدنة(٢٢٢) . وهكذا استغل بوهيمند ، كما فعل مع كونت الفلاندرز من قبل ، وجود الجنوية وبعض نورمان صقلية ، وانشغال صلاح الدين فى فلسطين للقيام بعمل ضد المسلمين واستمر بوهيمند فى سياسته ، فعند وصول بقايا جيش فريدريك بربروسا الى انطاكية ، كانت حالة الالمان سيئة للغاية . فالى جانب مشقة الطريق ، والوصول الى انطاكية سيرا على الاقدام ، قام صلاح الدين بتكليف قوات حلب وبغراس بمباغتتهم ، فتم أسر بعضهم ، ووصلت البقية الباقية منهم الى انطاكية وهى تعانى من انتشار الوباء بين افرادها(٢٢٣) . وفى ٢١ يونية ١١٩٠م/١٦ جمادى الاولى ٥٨٦هـ ، استقبل بوهيمند دوق سوابيا وقواته بحفاوة بالغة ، ويمر

---

(٢٢٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢٢١) راجع ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢١٦ حاشية (٢١٦) .

(٢٢٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .

(٢٢٣) كان صلاح الدين يتتبع أخبار تحركات فريدريك بربروسا =

لهم كل سبل الراحة ، واعلن خضوعه وولائه لفريدريك السوابى ، كما اعلن نفسه تابعا للامبراطورية الالمانية . وترك له بوهيمند حرية التصرف فى مدينة انطاكية وقلعتها التى اودع فيها الدوق كل ما معه من موال(٢٢٤). كما حاول اقناعه بمشاركته فى القيام بحملة ضد حلب ، خاصة ، وان المسلمين كانوا منشغلين فى صراع مع الفرنج حول عكا(٢٢٥) . ثم ان القيام بعمل آخر ضدهم فى اماكن متفرقة من شانه ان يزيد من اعبائهم ويضطرهم الى بعثرة قواتهم مما يتيح للصليبيين فى شمال الشام وفلسطين فرصة احراز مكاسب معقولة(٢٢٦) .وبالرغم من عدم التاكد من احتمال استجابة فريدريك لطلب بوهيمند من عدمه ، فقد فشلت مساعى بوهيمند بوصول كونراد دى مونتفيرات ابن عم دوق سوابيا ، من صور ، والذى اقنع الدوق

= وعندما علم بوصوله . الى الاراضى البيزنطية قام باخلاء بعض المدن التى يصعب عليه الدفاع عنها مثل اللاذقية وجبلة ، كما امر بهدم اسوار بعض مدن فلسطين مثل جبيل وطبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصيدا ، حتى لا يستخدمها العدو ضد المسلمين . وعلم صلاح الدين بوصول الالمان الى قيليقية من جريجورى دغا جاثليق الارمن . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١١٥ ، ١٢٣ – ١٧٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١٣ – ١٤ ، راجع ايضا :

Michel Le Syrien, Doc-Arm, p. 403; Sicard of Cremona, p. 610.

(٢٢٤) Ernoul, p. 259; Ansbert, Expiditio Friderici, p. 92; Eracles L'Estoire, p. 108, Albert Miliol, Cronica impratorum, in M.G.H.SS., Vol. 31, p 650; Annales Marbacensis, in M.G.H.SS., Vol. 17, p 165

(٢٢٥) بعد أن رحل جى من انطاكية وصل الى صور فى ابريل ١١٨٩م/ صفر ٥٨٥هـ ، حيث رفض كونراد مرة اخرى أن يتولى الملك حكومتها ؛ فاتجه جى بصحبة البيزاوية المختلفين مع كونراد وبعض الصقليين الى عكا علة يستردها من المسلمين وهو فى حاجة الى مدينة يعيد فيها تاسيس مملكته . وبدأ فى حصارها فى ٢٨ اغسطس ١١٨٩م/١٣ رجب ٥٨٥هـ حيث استمر الصراع بين الفرنج والمسلمين حول عكا الى ان استردها الفرنج بوصول قوات ريتشارد قلب الاسد وفيليب اغسطس وكانت محاولة جى هى من الاعمال التى تحسب له من وجهة النظر الصليبية بالرغم من تميزها بالمخاطرة . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٥ – ١٦ راجع ايضا :

Ernoul, pp. 358-359; Eracles, pp. 124-127.

(٢٢٦) Itinenarium, p. 94.

بمصاحبته الى طرابلس ليستقلوا السفن بعد ذلك الى فلسطين . فرحل الالمان بمصاحبة كونراد من انطاكية فى ٢٨ أغسطس ١١٨٩م/٢٥ رجب ٥٨٦هـ(٢٢٧) . واشيع أن كونراد كان قد حصل على ٦٠ ألف بيزنط من صلاح الدين نظير اقناعه لفريدريك السوابى بترك انطاكية(٢٢٨) . ولكن هذا الادعاء يمكن التغاضى عنه امام حقيقة ان كونراد لم يكن ليبقى فى شمال الشام تاركا منافسه ، الملك جى ، على زعامة الفرنج ياخذ عكا وحده . وربما يتحول بعد ذلك الى صور ليستردسلطته فيها(٢٢٩) .
وهكذا فشلت مساعى بوهيمند ، وان كانت هذه المرة مقبولة ، للقيام بنشاط ايجابى ضد المسلمين فى شمال الشام ، مستغلا وجود بقايا قوات بربروسا فى مدينته التى غادرها فريدريك وتعرض مع قواته لهجمات قوات حلب واللاذقية وحماة اثناء عبوره الطريق الساحلى « وأيدى المسلمين تتخطفهم من حولهم نهبا ، وقتلا ، وامرا ، حتى أتوا طرابلس »(٢٣٠) . التى بقوا فيها أياما ثم رحلوا الى صور ثم الى عكا حيث وصلوا الى المعسكر الصليبى فى مساء يوم الثلاثاء ٧ أكتوبر ١١٩٠م/٦ رمضان ٥٨٦هـ(٢٣١) . وهكذا انتهى دور الشق الاول من الحملة الصليبية الثالثة(٢٣٢) والذى كان على رأسه الامبراطور الالمانى فريدريك بربروسا

---

(٢٢٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٦ ، راجع أيضا :
Itinerarium, p. 94; Sicard of Cremona, p. 172.

(٢٢٨) Itinerarium, p. 94.

(٢٢٩) الى جانب ان جثة فريدريك بربروسا كانت تتحلل وتقرر فصل عظامه عن لحمه الذى دفن بكنيسة القديس بطرس بانطاكية على أن تدفن عظامه فى بيت المقدس ان تم فتحها ، الامر الذى دفع ابنه الى أن يسرع بالرحيل من انطاكية : انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٦ — ١٣٧ . راجع أيضا :
Arnold of Lubeck, Chronica Slavorum, in Ussum Scholarum, Hanover, 1868, p. 139; Sicard of Cremona, p. 611; Cronica Salembene p. 14; Ernoul, p. 259.

(٢٣٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٧ ، راجع أيضا :
Benedict of Peterborough, Vol. 2, p. 185.

(٢٣١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢٣٢) مات فريدريك السوابى اثناء محاولة الفرنج انتزاع عكا من المسلمين . وذلك فى ٢٠ يناير ١١٩١م/٢٢ ذى الحجة ٥٨٦هـ « وكان عرض له مرض الجوف ، فهلك به » انظر : ابن شداد النوادر السلطانية ، ص ١٥٤ .

دون أن يصل الى بيت المقدس ، هدف الحملة المنشود . وهكذا حاول بوهيمند الثالث استغلال وجود بقايا جيش فريدريك للقيام بحملة ضد حلب مستغلا كعادته انشغال صلاح الدين في صراعه ضد الملك جي وكونراد مونتفيرات حول عكا وفشل بوهيمند في ذلك ربما لانه لم يكن يعنى الالمان - بالرغم من مباهج انطاكية - امور شمال الشام بقدر ما كانت تعنيهم امور بيت المقدس ، الامر الذى طابق تماما مصالح كونراد مونتفيرات مع ملك بيت المقدس حول السيادة على الصليبيين . فقد كان كل منهما يسعى الى تحقيق ذلك قبل وصول ملكى فرنسا وانجلترا .

أما عن الشق الثانى من الحملة الصليبية ، وموقف بوهيمند منه ، فان تتبع ذلك سيقرر ما اذا كانت سياسة بوهيمند تجاه الحملات الصليبية قد تغيرت أم لا . ففى الوقت الذى خرج فيه فريدريك السوابى من انطاكية أواخر اغسطس ١١٩٠م/اواخر رجب ٥٨٦هـ ، كان ريتشارد الاول ملك انجلترا وفيليب اغسطس ملك فرنسا في طريقهما الى الشرق(٢٢٣) وبينما كان ريتشارد في قبرص اذ وصلت الى ميناء ليماسول في ١١ مايو ١١٩١م/

---

(٢٢٣) أبحر فيليب من جنوا بينما أبحر ريتشارد من مرسيليا ؛ ثم التقيا في جزيرة صقلية وقضيا بها حوالى ستة اشهر فرض ريتشارد فيها سيطرته على تنكريد خلف وليم الثاني ملك صقلية النورماندى . وثبت بذلك من جديد روح التنافس بين ملكى فرنسا وانجلترا فتوجه فيليب الى صور ، ومن هناك صحب كونراد مونتفيرات الى عكا التي وصلا اليها في ٢٠ ابريل ١١٩١م/٢٣ ربيع الاول ٥٨٧هـ . أما ريتشارد فقد توجه الى جزيرة قبرص واستولى عليها من اسحق كومنين وتوجه بعد ذلك الى عكا في ٨ يونيو ١١٩١م/١٣ جمادى الاولى ٥٨٧هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٦١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣٠ - ٣١ . راجع أيضا: Itinerarium, pp. 177-204; Benedict of Peterborough, Vol. 2, pp. 162-168; Richard of Devizes, De Rebus Gestis Ricardi Primi, in Chronicles (ed. Howlett), 4 Vols, in R.S., London 1885-1890, Vol. III, pp. 423-426; Neophytus, De Calamitatibus Cypri, p. CLXXXV-CL XXXIV.; Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, trans. By M.G. Hubert, New York 1976, pp. 79-92. CF. also, G.F. Hill, A History of Cyprus, 4 Vols, Cambridge 1940-41, Vol. 1, p. 321.

٥ ربيع ثان ٥٨٧هـ سفينة صليبية تقل عددا من البارونات الصليبيين على رأسهم الملك جي وشقيقه جيفرى لوزينيان ، وهمفرى صاحب تبنين ، وكثير من فرسان الداوية ، الى جانب ليو الارمينى وبوهيمند الثالث مع ابنه الاكبر ريموند . وجاء هذا الفريق من صليبى الشام طلبا لمساعدة ريتشارد ، فقد اتخذفيليب اغسطس جانب كونراد وكان لابد وأن يأخذ ريتشارد جانب الملك جي . وبقى بوهيمند مع ريتشارد حتى غاد معه الى عكا وظل معه هناك لفترة ترك بعدها ابنه ريموند بصحبة الملك الانجليزى وقفل عائد هو انطاكية(٢٣٤) . ولم يشر أى من المصادر الاسلامية أو الصليبية الى أى جهد شارك به بوهيمند الثالث فى أحداث حملة فيليب وريتشارد ، سوى أنه ترك ابنه ريموند بصحبة الملك الانجليزى فى عكا . وفى مقابل ذلك فانه استقبل فيليب اوغسطس فى انطاكية وهو فى طريق عودته الى بلاده ، بعد سقوط عكا فى أيدى الصليبيين(٢٣٥) . وهكذا ، فكما كان بوهيمند محايدا بين كونراد والملك جي ، فانه اتخذ نفس الموقف بين فيليب وريتشارد . لذلك حصل من الملكين على بعض التعزيزات والمؤن فى عامى ١١٨٩م و ١١٩٠م/٥٨٥هـ و٥٨٦هـ(٢٣٦) . ولم تكن هذه هى الفائدة الوحيدة التى حققها من وجود

---

(٢٣٤) اقتصرت غالبية المصادر على ذكر وصول الملك جي فقط الى قبرص . بينما ذكر وصول بوهيمند الى الجزيرة وكذلك بقية النبلاء كل من روجر أوف هوفدن والمخطوط D من تاريخ هرقل ، وأعمال ريتشارد . انظر :

Itinenarium, p. 202; Eracles, p. 167-Roger of Hoveden, Vol. 3, p. 108; Continuation, p. 165; Gesta Regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1867, Vol. 2, p. 105; Ambroise, p. 94.

(٢٣٥) سقطت عكا فى أيدى الصليبيين فى ١٢ يوليو ١١٩١م/١٧ جمادى ثان ٥٨٧هـ . وغادرها فيليب فى ٣١ يوليو قاصدا صور بصحبة كونراد الذى لم يشأ أن يخدم تحت لواء ريتشارد الذى يساند منافسه الملك جي . ثم توجه فيليب الى انطاكية ربما لاسترداد عافيته قبل أن يستكمل رحلته الى اوربا . ويعتقد ابن شداد خطأ أن فيليب مات فى انطاكية . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٩١ . راجع أيضا :

Benedict of Peterborough, 161. 2, p. 193; Itinenarium, p. 335.

(٢٣٦) Benedict of Peterborough, Vol. 2, p. 165, 168.

الحملة الصليبية الثالثة فى الشرق ، والتى لم يشترك فيها لانها لم تخدم مصـالحه الشـخصية ، فقـد اسـتغل فرصـة رحيـل كونراد مع دوق سـوابيا الى فلسـطين ، وتصـاعد العمليـات العسـكرية حول عـكا بين المسلمين والفـرنج ورحيل الظاهر صاحب حلب الى الجنوب لمساعدة أبيه(٢٣٧) ، وقام بغارة على أملاك حلب وذلك قبل اكتوبر ١١٩٠م/منتصف رمضان ٥٨٦هـ(٢٣٨) . الا أن نواب الظاهر فى حلب استطاعوا مباغتته ورده الى انطاكية ، بعد أن قتلوا من قواته خمسة وسبعين رجلا(٢٣٩) . ودفعت هذه الغارة صلاح الدين الى تكليف أسد الدين شيركوه الثانى صاحب حمص بمراقبة الفـرنج فى طرابلس ، الذين « قد أخرجوا دشـارهم وخيلهم الى مرج هنـاك ، وأبقارهم ودوابهم » فقام صاحب حمص بمهاجمة الفرنج « فأخذ منهم أربعمائة رأس من الخيل ، ومائة رأس من البقر ، وعاد الى البلد » ، وذلك فى أواخر فبراير ١١٩١م/أوائل صفر ٥٨٧هـ(٢٤٠) . ولما شعر بوهيمند بيقظة المسلمين له ، استكان حتى العام التـالى . فقد اسـتغل بوهيمند فرصة انشغال المسلمين بقتال الفرنج فى فلسطين ، وسقوط عكا فى أيدى الصليبيين ، وقام بمحاولة لاسترداد جبلة واللاذقية - منفـذا امارته الى غرب أوروبا ومموردها الاقتصادى الكبير - الا أنه هزم مرة أخرى « وكسر كسرة عظيمة ، وقتل منه جماعة ، وعاد الى انطـاكية

---

(٢٣٧) وصل الظاهر الى المعسكر الاسـلامى عنـد عكا فى يوم الاثنين ٥ أكتوبر ١١٩٠م/رمضان ٥٨٦هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤١ .

(٢٣٨) وصل خبر هذه الغارة الى صلاح الدين فى يوم الخميس ٨ أكتوبر ١١٩٠م/١٦ رمضان ٥٨٦هـ . انظر : ابن شداد : المصدر السابق : ص ١٤٣ .

(٢٣٩) لم تذكر المصادر الصليبية هذه الواقعة . بينما ذكرها من المؤرخين المسلمين كل من ابن شداد وأبو شامة نقلا عن العماد الاصفهانى . ولقـد ذكر أبو شـامة عدد قتلى الفـرنج . انظـر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤٣ ، أبو شامة الروضتين : جـ ٢ ، ص ١٦٤ ، وانفرد ابن العديم بذكر العددين . انظر ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٠٩ .

(٢٤٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٥٥ .

مخذولا » وذلك فى أكتوبر ١١٩١م/رمضان ٥٨٧هـ(٢٤١) . وبعد سقوط عكا فى أيدى الفرنج قام صلاح الدين بتخريب بعض المدن التى يصعب الدفاع عنها ، والتى ربما يحتلها الفرنج ويستخدمونها كقواعد للهجوم ضد المسلمين . وكان من بين هذه المدن عسقلان وحصن بغراس ، فالاستيلاء على عسقلان ربما يساعد على استيلاء الفرنج على بيت المقدس وقطع مواصلات صلاح الدين مع مصر وأمر صلاح الدين سليمان بن جندر صاحب حارم بتخريب حصن بغراس واخلائه من حاميته الاسلامية « فهدم بعضه »(٢٤٢) وسارع رجال بوهيمند الى الحصن وحملوا الى انطاكية ما وجدوه من قمح تركه المسلمون عند اخلائهم له بينما احتل ليو الارمينى حصن بغراس الذى لم يكن يهم الانطاكيين الذين كانوا يعانون من شدة القحط فى الامارة(٢٤٣) . وهكذا حاول بوهيمند الاستفادة من وجود الحملة الصليبية الثالثة فى بلاد الشام ، وانشغال المسلمين بالدفاع عن مكاسبهم التى حققوها بعد انتصارهم فى حطين ، للقيام بمحاولات لاسترداد حصن حارم احيانا وجبلة واللاذقية احيانا أخرى ، أو الاغارة على هذه المناطق الا أنه فشل فى كل محاولاته ولم يستطع أن يحقق أية مكاسب على حساب المسلمين فى بلاد الشام . ولم يجنبه رد فعل المسلمين تجاه اعتداءاته الا آخر أعمال الحملة الصليبية الثالثة نفسها ، بالرغم من عدم مساهمته فيها بالمرة .

---

(٢٤١) دخل الصليبيون عكا فى يوم الجمعة ١٢ يوليو ١١٩١م/١٧ جمادى الآخرة ٥٨٧هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص١٦١ - ١٧١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ص ٣١ - ٣٣ ، أبوشامة : الروضتين ، جـ ٢ ص ١٨٨ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ص١٠٥ . راجع أيضا :

Ernoul, pp. 274-274; Eracles, pp. 175-176; Itinerarium, pp.232 234: Benedict, Vol. 2, p. 179; Chronica Regia Coloniensis, p. 154; Ralph of Diceto, Vol. 2, p. 94; Ambroise, pp. 217-218.

(٢٤٢) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، راجع أيضا :

Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 373.

(٢٤٣) مؤرخ مجهول : البستان الجامع ، ص ١٤٩ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, Vol. 2, pp. 336-337.

فبعد صراع دام عامين ، عقد ريتشارد الهدنة مع صلاح الدين ، واصر ريتشارد على «دخول انطاكية وطرابلس فى الصلح »(٢٤٤) . وبالرغم من أن الحملة الصليبية الثالثة قد ساعدت الفرنج على استرداد اقليم الساحل من صور الى يافا ، وانها اعادت تاسيس المملكة الصليبية كقوة سياسيةوعسكرية ،وحفظت بقايا الكيان الصليبى من خطر صلاح الدين وهو فى أوج انتصاره(٢٤٥) ، الا انها لم تحقق انجازا كبيرا . فلم يسترد الصليبيون بمساعدة أكبر الحملات الصليبية واكثرها تنظيما الكثير مما فقدوه بعد حطين . وكان كل ما بقى فى حوزتهم هو شريط ساحلى ضيق . وكان استيلاء ريتشارد على جزيرة قبرص ، هو اهم انجازات الحملة الثالثة . فقد اصبحت قبرص بعدا استراتيجيا للملكة الصليبية ، كما أنها امدت الفرنج فى بلاد الشام بقاعدة بحرية ممتازة وكان ذلك « قوة للفرنج »(٢٤٦) ، كما أنها اوت مؤسساتهم حتى بعد سقوط آخر معاقلهم فى الشرق الاسلامى . وفى النهاية ، لم تسترد الحملة الصليبية الثالثة بيت المقدس ، التى لم تعد هدف الحملات الصليبية فيما بعد ، حيث أصبحت مصر هى هدف أوربا المباشر(٢٤٧) . وربما ادرك

---

(٢٤٤) وقع ريتشارد على وثيقة الصلح فى يوم الثلاثاء ٢ سبتمبر ١١٩٢م/ ٢٢ شعبان ٥٨٨هـ بينما وقع عليها صلاح الدين فى اليوم التالى . واستقر الصلح لمدة ثلاث سنوات وثمانية اشهر ، على أن يكون للفرنج صور وعكا وقيسارية وارسوف وحيفا ويافا . وان تخرب عسقلان . واشترط صلاح الدين دخول الباطنية فى الصلح فى مقابل دخول انطاكية وطرابلس فيه . وللطرفين حرية اجتياز بلاد الطرف الآخر . وأبحر ريتشارد الى بلاده فى ١٩ اكتوبر ١١٩٢م/١٠ شوال ٥٥٨هـ . انظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، العماد الاصفهانى : الفتح القسى ، ص ٦٠٥ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٠ ـ ٤١ . راجع ايضا :

Ernoul, pp. 292-293; Eracles, pp. 198-199; Richard Devize, pp. 444, 449; Itinerarium, pp. 440; Ambroise, p. 447.

(٢٤٥) سعيد عاشور : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٠٢ . راجع ايضا :
S. Painter, The Third Crusade, in Setton, Vol. 3, p. 85.

(٢٤٦) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٣١ .

(٢٤٧) J. LA Monte, From Crusader kingdom to commercial colony, p. 286, 291; K. Norgate, Richard the Lion Heart, London, 1924, p. 269.

بوهيمند كل هذه الحقائق ،فأسرع الى بيروت ليقابل صلاح الدين لتأكيد صلح يافا ، وبمعنى آخر ليضمن صفح صلاح الدين عنه بعد ما قام به من اعتداءات على أملاك المسلمين فى شمال الشام ، خاصة وقد عاد الظاهر الى حلب . فدخل بوهيمند على صلاح الدين فى يوم الخميس ٢٠ اكتوبر ٢١/١١٩٢ شوال ٥٨٨هـ ، ويبين أبو شامة كيف ان السلطان قد تأثر بثقة بوهيمند فيه بقوله « فما أحس به الا وهو واقف على باب خيمته ، وأعجبه استرساله اليه ، ودخوله بغير أمان عليه »(٢٤٨) . ومنحه صلاح الدين اقليم العمق ، وأرزغان ، الى جانب جزء من ريع مناصفات انطاكية ، يبلغ «خمسة عشر ألف دينار »(٢٤٩) .

كان لقاء صلاح الدين ببوهيمند الثالث هو آخر علاقاته بالصليبيين . فلم يلبث أن عاد من بيروت الى دمشق ومات فى صباح يوم الاربعاء ٣ مارس ١١٩٣م/٢٧ صفر ٥٨٩هـ(٢٥٠) . وبموته تبدأ فترة جديدة ومغايرة فى تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية والمسلمين فى شمال الشام ، تميزت بسمتين : الاولى ، وهى عدم حدوث صراع مباشر مع المسلمين الا من خلال صراعاتها المستمرة مع الارمن فى قليقية ، وهى السمة الثانية لهذه الفترة ،فحتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى ، كانت العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية والمسلمين هى نتيجة لعلاقاتها السياسية بالارمن . وهذا يدفع الدارس لتاريخ العلاقات السياسية لامارة انطاكية الصليبية بالقوى الاسلامية المجاورة الى التعرض دائما لأحوال المسلمين ، والارمن ، والصليبيين فى المملكة الصليبية فى عكا . ونبدأ ذلك بدراسة طبيعة العلاقات السياسية بين بوهيمند الثالث والمسلمين فى فترة ما بعد صلاح الدين ، والتى ستنتهى بموت بوهيمند فى عام ١٢٠١م/٦٠٧هـ . فبعد موت صلاح الدين يمكن

---

(٢٤٨) أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ص ٢٠٧ ، ٢٢٣ .

(٢٤٩) وحدد أبو شامة المبلغ بعشرين ألف دينار . انظر : أبو شامة : الروضتين : جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(٢٥٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٢٤٧ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص٤٥ ، مجهول : البستان الجامع ، ص ١٥١ ، أبو الفدا : المختصر جـ ٣ . ص ٢٩٠ . سبط الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ١ ص ٤٢١ ، أبو شامة ، جـ ٢ ، ص ٢١٥، ابن واصل ، جـ ٢ ، ص ٣٧٨ .

اعتبار عصر خلفائه ، وخاصة حتى نهاية عهد بوهيمند الثالث ، فترة توقف المد الاسلامي . فقد كانت فتوحات صلاح الدين ، والتصـــدى للحملة الصليبية الثالثة ، التى تسببت فى قيامهـــا تلك الفتوحات ، قد استلزما جهدا كبيرا سعى خلفاء صلاح الدين الى تجنب القيام به ، وذلك لما دب بينهم من نزاعات(٢٥١) . فعندموت صلاح الدين كانت دولته مقسمة الى أربعة أطراف رئيسية ، الاول ممثلا فى أكبر ابنائه الافضل ، الذى احتفظ بدمشق وفلسطين والساحل الشامي كله ، وكان يتمتع بالسيادة على كل افراد الاسرة لوصاية ابيه له بان يخلفه فى الحكم . ويخضع له صـاحب حمص أسد الدين شيركوه حفيد شيركوه عم صلاح الدين . يأتى بعد ذلك ابنه العزيز الذى احتفظ لنفسه بمصر ، ثم ابنه الظاهر صـاحب حلب الذى يخضع لسلطة صاحب حماة محمود بن تقى الدين عمر . وأخيرا العادل شقيق صلاح الدين ، الذى يحكم فى اقاليم الجزيرة ، وديار بـكر والاردن . والى جانب هؤلاء كان هناك الزنكيون فى الموصل ، وسنجار ، ثم الارائقة فى حصن كيفا وآمد ، وخرتبرت وخلاط(٢٥٢) . ولم يكن اى من هؤلاء - باستثناء الظاهر - يتمتع بالحس السياسي كما كان العادل الذى التزم بسياسة صلاح الدين ، وصقلته التجربة ، الى جانب تمتعه بالذكاء والنشاط . وفضلا عن ذلك فقد كان أقوى شخصية فى الاسرة بعـد رحيل صلاح الدين(٢٥٣) . وكان لابد وأن يبرز العادل كراس للاسرة الايوبية التي لولاه لضاعت كل انجازاتها التى تحققت فى عهد صلاح الدين ، وعادت بذلك الوحدة الى الدولة الايوبية(٢٥٤) . وما يهمنا هنا من نتائج ان الظاهر صاحب حلب بقى خائفا من تدخل عمه فى شئونه وكان هذا هو العامل المسيطر على سياسته كما حدث من قبل مع الصالح بن نور الدين

---

(٢٥١) Radulf Niger, Chronica Anglica, in M.G.H.SS., Vol. 37, p 341 C.F. also, Cahen La Syrie du Nord, p. 579.

(٢٥٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٦ ، ابو شامة : الروضتين ، جـ٢ ، ص ٢٢٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩ .

(٢٥٣) Cahen, La Syrie du Nord, p. 580; R.S. Humphry, From Saladin to the Mongols, New York, 1977, p. 130.

(٢٥٤) عن الخلافات بين ابناء صلاح الدين والعادل انظر : ابن الاثير : الـكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٦ ، ٥١ - ٥٧ ، ٦٥ - ٦٩ ، ٧٥ ، ابن واصل مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٣ - ١٣٤ .

محمود في مواجهة صلاح الدين ، الامر الذي فرض عليه سياسة الحوار مع جيرانه الفرنج . اما عن الفرنج انفسهم فقبل رحيل ريتشارد الى أوربا(٢٥٥) عهد بالوصاية على بيت المقدس الى هنري دى شامبانيا(٢٥٦) الذي ساعدته مشاحنات بني أيوب على القيام بواجبه نحو الصليبيين ، فاستطاع أن يعيد الى مملكة بيت المقدس الجديدة قدرا من الامن . الى جانب ذلك تمكن هنري من المحافظة على امارة انطاكية امام أطماع الارمن فيها . فقد قلبت فتوحات صلاح الدين في شمال الشام ميزان القوى بين انطاكية وقيليقية التي صارت بالنسبة للفرنج في شمال الشام ، مثل جزيرة قبرص بالنسبة للساحل السوري ، هي أقوى المواقع ، وصارت تمثل بعدا استراتيجيا للفرنج عامة(٢٥٧) . وحاول ليو الثاني

---

(٢٥٥) رحل ريتشارد من عكا في ٢٩ سبتمبر ١١٩٢م . وفي طريقه الى بلاده أسره دوق النمسا في ديسمبر من نفس العام ، وسلمه للامبراطور هنري السادس الالماني الذي اعتقله حتى مارس ١١٩٤م . وعاد ريتشارد الى بلاده . واستمر في صراعه ضد فيليب ملك فرنسا ، حتى مات في ٢٦ مارس ١١٩٩م . انظر :
Itinenarium, pp. 439-446; Amberoise, pp. 446-455. C.F. also, J.O. Prestwish, Rex Bellicosus, p. 15; Norgate, Richard Lion Heart p. 446.

(٢٥٦) جاء هنري كونت شامبانيا الى الشرق في صيف ١١٩٠م . وعندما قرر ريتشارد استشارة الصليبيين فيمن يتولى الحكم في المملكة الصليبية اختاروا كونراد دون الملك جي ولم يلبث كونراد أن اغتيل في ابريل ١١٩٢م على أيدي الحشيشية تاركا زوجته ايزابيل شقيقة الملك بولدوين الرابع الصغرى ، وثبت ان قاتلي كونراد كانا من الحشيشية الذين دفعهم الى ذلك هنري كونت شامبانيا حتى يستأثر بالحكم لنفسه . وتزوج هنري بأرمل كونراد ووريثة العرش في المملكة الصليبية . وان لم يتوج ملكا حتى وفاته . بينما منح ريتشارد جزيرة قبرص الى الملك جي بعد أن تركها له الداوية . انظر :
Eracles, pp. 195-198; Ernoul, pp. 290-291. C.F. also, Hill, A History of Cyprus, Vol. 2, pp. 36-38, 67-69; Charles E. Nowell, The Oldman of the mountain, in J.M.S., Vol. 22, p. 508; Patrick A. Williams, The Assassination of Conrad of Montferrat : Another Suspect ? ,in Traditio, Vol. 16, p. 389.

(٢٥٧) يعتبر وصف ويلبراند اوف أولدنبرج الذي جاء مبعوثا من =

الارميني أن يستفيد من هذه الحقيقة للتخلص من السيادة اللاتينية على بلاده . وطمع في امارة انطاكية التي تقلصت تحت حكم بوهيمند الثالث . ففي سنة ١١٩١م/٥٨٧هـ استولى ليـو على حصن بغراس الذي أخلاه صلاح الدين من حاميته الاسلامية خشية سـقوطه في أيدي الصليبيين ، وحصنه بدلا من رده الى فرسان الداوية(٢٥٨) . واثار ذلك مخـاوف بوهيمند حيث كان حصن بغراس يحمي مدخل الامارة الشمالي(٢٥٩) . ولما لم يضم بوهيمند حليفه السـابق ليو الى صلحه مع صـلاح الدين في ١١٩٢م/٥٨٩هـ(٢٦٠) ، الى جانب ما كان يحمله ليـو لبوهيمنـد من ضغينة لأسر شقيقه روبين الثالث من قبل(٢٦١) ، فقد قرر الانتقام من بوهيمند . واستطاع أن يحيك له مكيدة بمشاركة سبيلا زوجة بوهيمند ، التي وعدها بمساعدة ابنها وليم على تولي حكم انطاكية دون ريمـوند وبوهيمند ابناء زوجها من زوجته الاولى(٢٦٢) . وفي أكتوبر ١١٩٣م/ رمضان٥٨٩هـ، اقترح ليو لقاءا لانهاء مشكلة حصن بغراس،وأتى بوهيمند بصحبة زوجته وابنها الى بغراس حيث قبل استضافة ليو له فتم اعتقال بوهيمند والجزء الاكبر من حاشيته(٢٦٣) . واشترط ليو في مقابل اطلاق

= الامبراطور الالماني الى ليو الثاني الارميني ، لحصن بغـراس هو اكثر النصوص معاصرة ، وقد وصفه بقـوله « حصن قوى للغاية ، له ثلاثة أسوار تعتليها الابراج ويحرس مداخل وممرات واراضي ليو الثاني الارميني كما أنه يطل على مدينة انطـاكية مباشرة انظر : Wilbrand of Oldenberg, Peregrenatores, p. 136.

(٢٥٨) مجهول : البستان الجامع ، ص ١٤٩ ، راجع أيضا : Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 336 C.F. also, J. Riley-Smith, The Castle of Baghras, p. 45.

(٢٥٩) Wilbrand of Oldenberg, peregrenatores, p. 136.

(٢٦٠) ربما كان ذلك ردا من بوهيمند على سياسة ليو الذي لم يساعد انطاكية اثناء فتوحات صلاح الدين في أملاكها بعد حطين .

(٢٦١) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٠٤ .

(٢٦٢) يذكر المخطوط D من تكملة وليم الصوري أن ليو وعد سبيلا بالزواج منهـا ، وهذا غير مقبول خاصـة وأن ليو كان متزوجا باختها في ذلك الوقت . انظر : Continuation, p. 167.

(٢٦٣) كان بصحبة بوهيمند كل من ريتشـارد اوف ارمينيا ، وراؤول كندسطبل انطاكية وبارثلميو مارشال انطاكية ، وأوليفر الحاجب وآخرون . انظر : مجهول : البستان الجامع ، ص ١٥١ ، راجع أيضـا :

= Continuation, p. 167; Sempad, p. 631; Michel Le Syrien, Doc-

سراحهم أن يسلم اليه بوهيمند مدينة انطاكية . وبعث ليو بهيثوم حاكم سيس زوج آليس ابنة أخيه روبين ، نيابة عنه الى انطاكية، وبصحبة اثنين من أتباع بوهيمند لتسلمها . هنــا وقع حادث انعكس على تاريخ امارة انطاكية فى القرن ١٣م/٧هـ كله . فسكان أنطاكية الذين اظهروا فى مواجهة الخطر البيزنطى من قبل تمسكهم بالحكم اللاتينى ، اظهروا هذه المرة رد فعلهم ، الذى يتسم بالعنف ، ضد الحكم الارمينى . فقد سهل النبلاء الذين من أصل ارمينى لبارثلميو دخول المدينة ، فقامت ثورة بقيــادة النبلاء اللاتين . وتم طرد الارمن خارج انطاكية واجتمع اهل انطــاكية بقيــادة البطـــريرك ايمـــر دى ليمـــوج «Aymeri de Limoge» فى كنيسة القــديس بطــرس ، واعلنوا قيــام قومون « مجلس شعبى » انطاكية(٢٦٤) . واقسموا يمين الولاء لريموند الابن الاكبر لبوهيمنــد

= Arm., p. 411; Bar Hebraeus, Vol. 2, p. 343; Gestes des chiprois, in R.H.C.Doc-Arm. Vol. 2, p. 666, C:F also, Rey, Dignetairs, pp. 118-121, 127.

(٢٦٤) جمع البطريرك ايمرى دى ليموج سكان انطاكية فى كنيسة القديس بطرس، وتمت موافقتهم على انشاء قومون انطاكية الذى كان يتكون من رئيس (عمدة) واعضاء يمثلون سكان المدينة والذين لابد حضورهم اجتماعات القومون . وكان يعلن عن اجتماع القومون بدق أجراس الكنيســة وانحصرت مهمــة القومون فى الدفاع عن المدينة ضد الغزو الخارجى وادارتها فى غياب الامير . ونرى ذلك فى ١٢٠١م عندما حاول ليو الثانى الارمينى احتلال انطاكية . ويعتبر قومون انطاكية هو اقدم القومونات اللاتينية فى الشرق . فقد ظهر له مثيلان بعد ذلك لهما نفس المهــام - الاول قومون عكا الذى تكون فى ١٢٣١م للتصدى لادعاءات ريتشارد فلانجيزى نائب الامبراطور الالمانى فريدريك الثــانى . وآخر القومونات اللاتينية كان قومون طرابلس الذى تكون فى ١٢٨٨م للمشاركة فى اختيار حاكم جديد بعد موت بوهيمند السابع . انظر :
Continuation de Guilliaum de Tyre, pp. 169-171; Gestes des Chiprois, p. 661; Ernoul, pp. 318-320; Sempad, p. 632; A.T.S. (ed. Rohricht), in A.O:L:, Vol: 2, Paris, 1884, p. 434, C.F. also, L.M: Alishan, Léon Le Magnifique, Premier roi de Sissouan ou de L'Armino-Cilicie, trans. by G. Bayan, Venice, 1888; p. 126; J. La Monte, The communal movement : in 13th century, in Haskins, Anniversary Essay. Boston, New York, 1929, pp. 133, 125 125-129.

الذى أرسل الى أخيه بوهيمند حاكم طرابلس للقـدوم لمساعدته ضـد الارمن(٢٦٥) . ولم يجد ليو بدا من التراجع بعد نهب ضواحى انطاكية . وعاد بأسراه الى سيس وسرعان ما قدم هنرى دى شامبانيا الى شـمال الشام تلبية لاستغاثة الانطاكيين(٢٦٦) . وبعد أن عقد اجتمـاعا مع البطريرك وأبناء بوهيمند توجه الى قيليقية حيث تم الاتفاق على اعتراف بوهيمند بملكية ليو لكل ساحل خليج الاسكندرونة ، وحصن بغراس ، كما أحل ليو من يمين الولاء لبوهيمند . وفى مقابل ذلك يطلق سراح بوهيمند دون فدية . ولتعزيز هذه الاتفاقية تم الاتفاق على أن يتزوج ريموند الابن الاكبر لبوهيمند ، من اليس Alice ، ابنة شقيق ليو ، التى فقدت ، فى ظروف غامضة ، زوجهـا الاول هيثوم حاكم سيس عشية عودته من انطاكية قبل سنة ١١٩٤م/٥٩١هـ . وتم اطلاق سراح بوهيمند الذى جعل البارونات يقسمون يمين الولاء لابنه ريموند كوريث له فى حكم انطاكية بعد موته(٢٦٧) . وهكذا ارتبط مصير انطاكية بمصير قيليقية من الآن فصاعدا . الا أن ليو لم يكن يرى أن هذه المصالحة مع بوهيمنـد تدعم موقفه ،شأنه فى ذلك شأن عمورى دى لوزينان حاكم قبرص(٢٦٨) فاتجه ليو

---

(٢٦٥) Continuation de Guilliaum de Tyre, p. 171.

(٢٦٦) Continuation de Guilliaum de tyre, pp. 171 ff.; Bar Hebaeus, Vol. 2, pp. 345-346; Gests des Chiprois, p. 662; Sempad, p. 632; Ernoul, pp. 343-324.

هذا وقد تلقى هنرى النداء من كل من قومون انطـاكية وولدى بوهيمند الثالث وبطـريرك انطاكية وفى طريقه الى انطـاكية لبى دعوة الحشيشية لزيارتهم لانهاء سـوء التفاهم الذى سببه مصرع كونراد دى مونتفيرات . وبقى هنرى فترة لدى الحشيشية ثم توجه الى انطاكية .

(٢٧٦) تزوج ريموند من اليس فى بداية عام ١١٩٥م/بداية عام ٥٩٢هـ . انظر :

Eracles, p. 213; Ernoul, p. 319; Michel, Le Syrien, Doc-Arm., p. 411;

(٢٦٨) مات جى دى لوزينان فى مايو ١١٩٤م/جماد أول ٥٩٠هـ وتولى الحكم مكانه أخوه عمورى دى لوزينان صاحب يافا الذى تزوج ابنة ايزابيلا وريثة مملكة بيت المقدس وزوجة هنرى دى شامبانيا. ولجأ عمـورى الى هنرى السـادس الالمانى ليتوجه ملكا على قبرص . وتم ذلك بقدوم كونراد أسقف هيلد سهايم فى سبتمبر ١١٩١م/ذى القعدة ٥٩٣هـ ، واعترف عمورى فى مقابل ذلك =

الى الامبراطور الالمانى هنرى السادس الذى كان ينوى القيام بحملة صليبية جديدة تعوض ما فات اباه من مجد . وكان هنرى فى ذلك الوقت هو اقوى حكام غرب أوربا . وكما وعد الامبراطور عمورى من قبل ، فقد وعد ليو بان يتم تتويجه ملكا حين يقدم بنفسه الى الشرق . ولم يحدث ذلك لموت هنرى السادس فى ٢٨ سبتمبر ١١٩٧م/١٤ ذى القعدة ٥٩٣هـ ، الا انه قدم الى سيس كونراد اسقف هيلد سهايم بصحبة المندوب البابوى كونراد اسقف ماينز ، وتم تتويج ليو فى يناير ١١٩٨م/ربيع أول ٥٩٤هـ . وبذلك يكون قد حصل على اعتراف رسمى بسلطته الملكية من المجتمع الاوربى الغربى وأصبح بامكانه الآن أن يتصرف كند للاتين فى الشام(٢٦٩) . واذا كان الصليبيين فى انطاكية والارمن فى قيليقية قد انشغلوا بخلافاتهما التى تدخلت فيها مملكة بيت المقدس ، فان خلافات خلفاء صلاح الدين أيضا قضت على رغبتهم فى القيام بعمل ضد الفرنج فى بلاد الشام . وتم مراعاة هدنة صلاح الدين وريتشارد بالرغم من اعتداءات عز الدين أسامة أمير بيروت ، الذى دأب على نهب سفن الفرنج ، ولم يستطع العادل أو العزيز كبح جماحه أمام شكوى الصليبيين(٢٧٠) الا أن الحملة الصليبية الالمانية التى وصلت الى عكا فى أغسطس ١١٩٧م/شوال ٥٩٣هـ ، قد اثارت الصراع من جديد . واذا

= بتبعيته لهنرى السادس انظر :
Eracles, pp. 209-212; Ernoul, pp. 302-303; Arnold of Lubeck, p. 304; Makhaeras, Leonitus, Recetal Concerning the Sweet Land of Cyprus, entitled Chronicle (ed. and trans. by Dawkins) 2 Vols, Oxford, 1932, Vol. 2, pp. 28-29.

(٢٦٩) كان الامبراطور البيزنطى الكسيوس الثالث انجيلوس (١١٩٥ — ١٢٠٣م) قد بعث بتاج الى ليوسعيا لجذبه الى تبعية بيزنطة وذلك فى بداية المفاوضات بين هنرى السادس وليو . الا أن هذا التاج لم يكن مقنعا لليو لارتباط الامبراطور البيزنطى بالمسلمين (بعث الكسيوس بخطاب الى الملك العزيز بمصر فى عام ١١٩٤م/٥٩٠هـ) ومهما يكن من أمر فقد اصبح معترفا بليو الثانى الارمينى كملك من قبل الامبراطوريتين المسيحيتين . انظر :
Sempad, p. 633; Michel Le Syrien, Doc-Arm., p. 405; Samuel de Ani, p. 458; Vartan, p. 443; Vahram, p. 511;

(٢٧٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٥٩ . راجع أيضا :
Ernoul, pp. 315-316.

كان الصليبيون قد نجحوا فى الاستيلاء على بيروت فى اكتوبر ١١٩٧م/ ذى الحجة ٥٩٣هـ ، بعد هرب أميرها ورجاله ، فقد تمكن العادل من استرداد يافا فى اغسطس/شوال من نفس السنة(٢٧١) . وانتهت الحملة الصليبية الالمانيــة دون أن تحقق نتـــائج حاسـمة(٢٧٢) الا أنها أعادت ربط املاك الفرنج فى فلسطين بطرابلس وبقى أن تتم عمليـة ممـاثلة لربط طرابلس بامارة انطاكية . وكان ذلك يتطلب اسـترداد الفـرنج لجبلة واللاذقية . الامر الذى حاول بوهيمند القيام به . وعندما علم الظاهر صاحب حلب بذلك امر بتقويض قلاع اللاذقية وجبلة ، فاذا لم يسـتطع منع الفرنج من الدخول الى هذه المعاقل ، فانه على الاقل سيحرمهم من استخدامها كقواعد هجوم ضد المسلمين . ولكن بوهيمند الذى توجه الى الصليبيين الالمان عند بيروت لم يحصل منهم على ما يبدو على التعزيزات التى كان يامل فى الحصول عليها . فعاد الى صور عشية الاستيلاء عـلى بيروت . ومر بحصن المرقب حيث اجتمع بنواب الملك الظاهر ثم عاد الى انطاكية واسترد الظاهر جبلة واللاذقية ، لتبقى انطـاكية معـزولة عن

---

(٢٧١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٩ ، ابن واصل : مفـــرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٧٦ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ،ص ٢٣٣ ، مجهول : البستان الجامع : ص ١٥٧ ، راجع أيضا :
Ernoul, pp. 311-317; Eracles, pp. 224-227; Arnold of Lubeck, pp. 208-210; Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H.SS., in Usum Scholarum, p. 160.

(٢٧٢) مات الامبراطور هنرى السادس فى سبتمبر ١١٩٧م/شوال ٥٩٣هـ ولم يات الى الشرق ، وفت فى عضد الالمان الذين سـبقوه الى فلسـطين ، فاسرعوا بالعودة الى بلادهم كمـا مات هنرى دى شامبانيا فى ١٠ سبتمبر ١١٩٧م/٢٦ شوال ٥٩٣هـ قبل أن ينهض لنجدة يافا ، وتولى حكم المملكة الصليبية عمورى دى لوزنيان بعـد أن تزوج من ايزابيــلا أرمل هنرى ، وبذلك وحد جزيرة قبرص ومملكة عكا الصليبية تحت حكمه وذلك فى يناير ١١٩٨م/ ربيع أول ٥٩٤هـ . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ــ راجع أيضا :
Ernoul, pp. 305-310; Eracles, pp. 220-223. CF. Also, Mas-Latrie, Histoire de L'ile de Chypre sous Le regne des princes de la maison de Lusignan, 3 Vols, Vol. I, Histoire, vols 2-3, Documents, Paris, 1852-1861, Vol. pp. 143-146; Hill Ahistory of Cyprus, Vol. 2, pp. 58-59.

طرابلس وبقية أملاك الفرنج على الساحل السورى ، ومحرومة من ميناء اللاذقية الهام ، مما أضعف مواردها الاقتصادية خاصة بعد فقدانها لكل أملاكها بعد حطين . لقد انقص ذلك الامر دخلها ، وقلل من الخدمة الاقطاعية العسكرية التى كان يقدمها النبلاء اللاتين حكام هذه الاملاك(٢٧٣) وكانت محاولة الاستيلاء على جبلة واللاذقية هى آخر علاقات بوهيمند الثالث السياسية بالمسلمين حتى نهاية عهده . فقد مات ابنه الاكبر ريموند فى أوائل ١١٩٧م/أوائل ٥٩٣هـ تاركا طفلا يدعى ريموند روبين من زوجته الارمينية الليس وكان ريموند روبين وريثا لانطاكية بحق ولاية الحكم . وبعث بوهيمند الثالث بالطفل وأمه الى الى أرمينيا لضمان أمنهما ، وربما لابعاد الارمن عن حكم انطاكية . الان المندوب البابوى كونراد الذى توج ليو ملكا فى ١١٩٨م/٥٩٤هـ من قبل وجاء مع الحملة الالمانية ، توجه الى انطاكية حيث دفع بوهيمند الثالث الى أن يجبر نبلاءه على أن يقسموا يمين الولاء لرويموند روبين(٢٧٤) . ولم يعترف بوهيمند حاكم طرابلس بهذا الاجراء . وكان يسانده الداوية لحنقهم على ليو الذى لم يرد اليهم حصن بغراس معقلهم القديم . كما أيده الاسبتارية ، لما بذله لهم من منح (٢٧٥) ، أيضا ، نال تاييد البيزاوية

---

(٢٧٣) ذكرت بعض المصادر الاوروبية مثل روجر اوف هوفدن وأرنولد لوبك أن بوهيمند قد استولى على جبلة واللاذقية بمساعدة الالمان وربما يرجع ذلك الى مبالغة هنرى دوق اللورين الذى جاء مع الحملة الالمانية . وخطابه الى رئيس أساقفة كولون ربما يكون تشجيعا لصليبى أوربا للقدوم الى الشرق وربما تمجيدا لاعمال الحملة الالمانية . وكان رسل الظاهر الى بوهيمند هم غرس الدين قلج صاحب دركوش وبكاس والروج ، وابن طمان أحد قادة الظاهر فى حلب . انظر : ابن العديم/زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٤٠ ـ ١٤٣ . راجع أيضا :

Roger of Hoveden, Vol. 4, p. 28; Arnold of Lubeck, p. 207; Henry ducke of Lurein, Letter of Henry ducke of Lurein to Archbishop of Cologne, in chronica Regia Coloniensis, p. 160-161.

(٢٧٤) Eracles, p. 213; Arnold of Lubeck, p. 210. C.F. also Cahen, La Syrie du Nord p. 591.

(٢٧٥) فى ٢٦ أغسطس ١١٩٩م . منحهم بوهيمند الرابع ملكية حصن مرقية مقابل مساعدته ضد الحشيشية . انظر :

=

لنفس السبب(٢٧٦) . كما كان من الطبيعي أن ينال بوهيمند تأييد قومون انطاكية المعادي للارمن ، مما دفعه في نهاية ١١٩٨م/٥٩٤هـ الى أن يأتي الى انطاكية ويطرد والده،واقسم له اعضاء القومون يمين الولاء. الا أن لجوء ليو الى البابا انوسنت الثالث جعل بوهيمند يعيد والده الى انطاكية بينما عاد هو الى طرابلس . واستطاع بوهيمند أن يكسب ود أبيه الذي اجتمع مع ليو وبطريرك انطاكية الجديد بطرس دي انجوليم «Piere d'Angoulim» (١١٩٦ - ١٢٠٨م) لتسوية مشكلة بغراس(٢٧٧) . ولما رفض ليو اعادة الحصن الى الداوية الا بضمان حق ريموند روبين في حكم انطاكية رأى البطريرك الذي انحاز مع قومون انطاكية الى صف بوهيمند حاكم طرابلس ، أن في ذلك خطر على مركزهم ، وارسلوا جميعا احتجاجا الى البابا(٢٧٨) . وهكذا وجد بوهيمند حاكم طرابلس الظروف مواتية امامه لاعتلاء عرش انطاكية عند موت أبيه بوهيمند الثالث في عام ١٢٠١م/٥٩٧هـ(٢٧٩) الذي اتسمت

= Cartulair, t. I, no. 1031; Rohrich; Regesta, no 759, p. 202-CF. also, J. Riley-smith, The Nights of St. John, p. 152.

(٢٧٦) في ٢٦ اغسطس ١١٩٩م عقد بوهيمند الرابع صلحا مع البيزاوية مقابل منحه اياهم تسعة آلاف بيزنط ووعده اياهم بالعفو عن مواطنيهم الذين تسببوا في وقوع بعض التلفيات في مدينة طرابلس . انظر : Rohricht, Regesta, no. 758, p. 202.
كما ساند بوهيمند الرابع البيزاوية في خلافهم مع بطرس دي انجوليم أسقف طرابلس الذي اشتكى منهم في خطابه الى البابا انوسنت الثالث . انظر :
Innocent III : pope, Regesta, in p. L., Vol. 214, no. 516, Col.476

(٢٧٧) كان بطرس دي انجوليم يشغل منصب رئيس شمامسة طرابلس. وفي ١١٨٩م عند اطلاق سراح الملك جي دي لوزينان صحبه بطرس الى عكا حيث بقي معه كمستشار له حتى تولى جي حكم قبرص في ١١٩٢م فعاد بطرس الى طرابلس وشغل منصب أسقفها. تحت حكم بوهيمند الرابع لمدة أربع سنوات . ولما مات رادولف الثاني بطريرك انطاكية ١١٩٣ - ١١٩٦م تولى بطرس منصب انطاكية . انظر :
Eracles, p. 187; Strehlke, no. 27, pp. 23-24. CF. also, Maslatrie, Les Patriarches Latin d'Antioche, p. 194.

(٢٧٨) Innocent III, Regesta, Vol. 214.

(٢٧٩) يعتبر التاريخ الذي ورد في حوليات الارض المقدسة هو أدق تاريخ لوفاة بوهيمند الثالث وهو عام ١٢٠١م/٥٩٧هـ . ولما =

سياسته تجاه المسلمين بسلبية ملحوظة اعتمادا على الحماية البيزنطية على انطاكية ، والتى تأكدت فى عهده مقترنة بسيادة الامبراطور البيزنطى على بوهيمند وامارته وكان لها اثرها فى الحفاظ على امارة انطاكية امام المد الاسلامى فى عهد نور الدين محمود . ولم يكن لها اى أثر فى عهد خلفه صلاح الدين الايوبى الذى خطط للقضاء على الفرنج بصفة عامة . وبدأ صلاح الدين بتدعيم موقفه فى بلاد الشام بعد تثبيت مركزه فى مصر.واكتفى فى هذه المرحلة بمراقبة انطاكية حينا،ومهادنتها حينا آخر لما لمسه من سلبية بوهيمند الثالث وعدم خطورته على المسلمين بالرغم من الفرص التى توفرت لديه لدعم مركز امارته فى هذه الفترة . وكانت جهود بوهميند القليلة لاسترداد أملاك امارته التى استردها نور الدين محمود للمسلمين فاشلة وضارة بمصالح الصليبيين فى بلاد الشام . وتميزت سياسته بمحاولة استغلال وجود الجيوش الصليبية ضد مسلمى الشام الامر الذى أضعف الصليبيين الذين عانوا من مشكلة الوراثة التى كثيرا ما شارك بوهيمند فى اثارتها حتى استطاع صلاح الدين أن يوحد كلمة المسلمين تحت لوائه ، ثم يوجه ضربته القاضية للصليبيين فى حطين ، ثم يقضى على مملكة بيت المقدس ، ليوجه جهوده بعد ذلك شمالا ليسترد من امارة انطاكية كل ما تبقى لها من املاك غربى نهر العاصى . وهكذا تقلصت حدود الامارة الصليبية ولم تعد تجاوز أسوار مدينة انطاكية نفسها . وفى الوقت الذى شغل المسلمون فيه بخلافاتهم بعد صلاح الدين انغمس بوهيمند الثالث فى خلافاته مع الارمن الامر الذى أضاع فرصة خلفه بوهيمند الرابع فى القيام باسترداد املاك انطاكية فى الوقت الذى اجبرت فيه الظروف بنى ايوب على تجنب الصراع مع الفرنج . وهذا ما ستكشف عنه صفحات الفصل التالى .

= كان آخر مرسوم وثقه بوهيمند يرجع الى مارس ١٢٠٢م/جمادى ثان ٥٩٧هـ واشارة ليو الارمينى الى البابا انوسنت الثالث فى خطابه تبين انه فى يوليو ١٢٠١م/شوال ٥٩٧هـ كان قد مر على اعتلاء بوهيمند الرابع العرش ثلاثة أشهر فلابد وان يكون بوهيمند الثالث قد مات فى ابريل ١٢٠١م/رجب ٥٩٧هـ . انظر : Innocent III, Regesta, Vol. 214, Col. 1003, C.F. also, C Cahen La Syrie Du Nord, p. 594-595, no 3; Rey, Histoire des princes d'Antioche, p. 386.

الفصل الثالث

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين
فى فترة توازن القوى بين الصليبيين والمسلمين
(١٢٠١ ـ ١٢٣٣م/٥٩٧ ـ ٦٣٠هـ)

١ ـ امارة بوهيمند الرابع الاولى (١٢٠١ ـ ١٢١٦م/٥٩٧ ـ ٦١٣هـ) :

ـ الهدوء النسبى فى الصراع بين افرنج انطاكية وجيرانهم المسلمين ، واسبابه .

ـ موقف الايوبيين فى حلب من الحرب الاهلية فى انطاكية (١٢٠١م/ ٥٩٧هـ) .

ـ التحالف بين بوهيمند الرابع والظاهر غازى صاحب حلب ضد ليو الثانى الارمينى .
(١٢٠١ ـ ١٢١٦م/٥٩٧ ـ ٦١٣هـ) اسبابه ، وآثاره .

٢ ـ امارة ريموند روبين الارمينى فى انطاكية واثرها على العلاقات بين انطاكية والمسلمين (١٢١٦ ـ ١٢١٩م/٦١٣ ـ ٦١٦هـ) .

٣ ـ امارة بوهيمند الرابع الثانية (١٢١٩ ـ ١٢٣٣م/٦١٦ ـ ٦٣٠هـ) :

ـ موقف بوهيمند من الحملة الصليبية الخامسة ، وأثره على علاقات انطاكية بالمسلمين . (١٢١٩ ـ ١٢٢١م/٦١٦ ـ ٦١٨هـ) .

ـ سياسة بوهيمند الرابع تجاه كل من الارمن وسلاجقة الروم ، واثرها على علاقات انطاكية بمسلمى حلب (١٢٢١ ـ ١٢٢٧م/ ٦١٨ ـ ٦٢٤هـ) .

ـ موقف بوهيمند الرابع من الحملة الصليبية السادسة ، وأثره على العلاقات بين انطاكية وجيرانها المسلمين حتى نهاية عهده .
(١٢٢٨ ـ ١٢٣٣م/٦٢٤ ـ ٦٣٠هـ) .

لم يجد جاك دى فترى «Jacques de Vitry» ذلك الخطيب الصليبى المتحمس ، من طيب الكلام ما يقوله عن رعايا ابرشيته من افرنج الشرق الذين بدوا ــ فى نظر أقرانهم الوافدين من غرب أوربا لنجدتهم ــ مخنثين بعطورهم وشعورهم المجعدة ، ووجوههم التى تغطيها المساحيق ، ووسائل المعيشة المترفة التى يعيشونها فى بلاد الشام(١) . فهم فى نظره « جيل فاسد ، وأبناء خبثاء منحطون ، لم يرثوا صفات آبائهم ، بل ورثوا ثرواتهم التى بذلوا فى سبيلها الدماء . أما ابناؤهم المسمون بولان «Pullani» (٢) فقد جبلوا على التخنث وحياة الدعة . واصبحوا معتادين على الحمامات أكثر من اعتيادهم على المعارك . وهكذا بددوا ما حققه آباؤهم . فعقدوا المعاهدات مع المسلمين ، ويسرهم كثيرا أنهم فى سلم معهم . ويتعجل الواحد منهم الدخول فى نزاع مع الآخر . وكثيرا ما أهاب بالمسلمين لمساعدته ضد مسيحيين آخرين »(٣) .وفى الحقيقة ،فقد نجح جاك دى فترى فى تحديد طبيعة العلاقات بين الصليبيين والمسلمين ، والتى واكبت الفترة منذ وفاة صلاح الدين وحتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى/منتصف القرن السابع الهجرى . فلقد لعبت الحرب ضد

---

(١) بدأ جاك دى فترى نشاطه الصليبى بالتبشير للحملة الالبيجنسية، ثم كرس جهوده لخدمة القضية الصليبية فى بلاد الشام . وفى عام ١٢١٧م عين جاك أسقفا لمدينة عكا . ورافق قوات الحملة الصليبية الخامسة الى دمياط فى عام ١٢١٨م . وفى عام ١٢٢٩م عين كاردينالا واسقفا لكنيسة بيت المقدس ومندوبا للبابا جريجورى التاسع انظر :

A. Stewart, Preface to the Extract From Jacques de Vitry's Abbreviated History of Jerusalem, in P.P.T.S. Vol.11,p.IV

(٢) تطلق كلمة Pullani أو Poulains على الاطفال المولودين لامهات أوربيات وآباء مسيحيين اطلقها الصليبيون الوافدون الى بلاد الشام على هؤلاء تحقيرا لهم بسبب الفوارق الجنسية والدينية ومعناها « المولدين » وقد اشتقت من كلمة ابوليا Apulia اسم أحد أقاليم جنوب ايطاليا . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، الطبعة الرابعة ، الاسكندرية ١٩٨٤م ، ص ١٠٦ ، حاشية (٣) . راجع ايضا :

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 68.

(٣) Jacques de Vitry, History of Jerusalem, ed. A. Stewart, in P.P.T.S., Vol. XI, pp 64-65

المسلمين دورا ثانويا فى الحوليات الصليبية المتعلقة بهذه الفترة ، بالمقارنة مع الحروب الاهلية التى كثيرا ما شبت بين الصليبيين انفسهم . ولم تحتل الحروب ضد المسلمين الصفحات المناسبة لها الا بحلول المد المملوكى(٤) . وكانت الحروب التى خربت المدن الصليبية فى القرن ١٣م/٧هـ بالدرجة الاولى حروبا تجارية . ولم يكن النضال ضد المسلمين ، ولكن الحرب بين البنادقة والجنوية ، هى التى أثرت كثيرا على حياة الفرج فى الشرق(٥) . واذا كان حنق جاك دى فترى ينصب فقط على بنى جلدته الذين فترت حماستهم الصليبية ، فانهم لم يكونوا وحدهم هم الذين تجنبوا القتال . فالمسلمون بانفسهم شاركوهم هذه السياسة . فحلت الدبلوماسية مكان القوة المسلحة . واذا كان خلفاء صلاح الدين قد تركزت دواقعهم الى ذلك فى النزاعات التى قامت بينهم ، وظل الحذر يشوب علاقاتهم ببعضهم البعض ، فلم يكن الامر بالنسبة للصليبيين بمثل هذه البساطة . فالحملة الصليبية الثالثة لم تحل أى من المشاكل الرئيسية للمجتمع الصليبى فى الشرق الادنى . فهذا المجتمع اذا كان له أن يستمر فى الوجود ، فلابد له من توافر قوات أكبر من أى قوة كان فى مقدور أوربا أن تبعث بها الى بلاد الشام . وكانت المستعمرات الصليبية فى فلسطين وشمال الشام فى حاجة الى القيام بفتوحات لتضمن أمنها وسلامتها . وهذا يعنى مزيدا من الرجال للقيام باعباء القتال والدفاع عن المراكز الامامية للامارات الصليبية ، وأيضا للقيام باعباء الحكم فيها . وطالما لم توفر هذه الاحتياجات ، فان المستعمرات اللاتينية ستبقى غير مستقرة . الى جانب ذلك ، فقد كانت هناك عدة حقائق جعلت الفرنج يميلون الى العلاقات السلمية مع المسلمين وليس الى مزيد من الحروب ضدهم .

---

(٤) John L. La Monte, The Significance of The Crusaders' States in Medieval History, in B., Vol. 15, p. 308.

(٥) قدر روتلان عدد قتلى الفرنج فى الحرب بين الجنوية والبنادقة فى مدينة عكا فى عام ١٢٥٧/١٢٥٨م بحوالى عشرين الف رجل . بينما كان عدد قتلاهم فى موقعة حطين حوالى خمسة عشر الفا .
Rothelin, Continuation de Guilliaum de Tyr de 1229 à 1261, dite du manuscrit de Rothelin, in R.H.C.Occ., Vol. 2, p. 635 Cf. also. Runciman A History of the Crusades, Vol. 2, App. 2, p. 490.

فالمناطق التى تم فتحها ايام الحملة الصليبية الاولى ومازالت فى أيديهم فى بداية القرن ١٣م/٧هـ ، لم تكن اراضى خصبة من الناحية الزراعية(٦) . كما انها لم تتعد كونها شريطا ساحليا ضيقا ، اعتمد اقتصاده على التجارة مع المسلمين فى المناطق الداخلية من بلاد الشام . ولما كانت هذه التجارة فى أيدى الجاليات الايطالية المستقرة فى المدن الصليبية ، ولما كانت هذه الجاليات ضد فكرة الحرب لضمان استمرار مصالحها فى الشرق ، فقد شجعت على استمرار الوجود السلمى المشترك وسط الاهواء الدينية المتشابكة بين الصليبيين والمسلمين(٧) . وخضع حكام الامارات الصليبية لتأثير هذه الجاليات ، حتى لا يفقدوا ما كانوا يحققونه من فائدة من من وراء النشاط التجارى الذى تقوم به فى مدنهم وموانيهم ، خاصة وان استرداد صلاح الدين لمعظم هذه الموانى والمدن الساحلية قد حرم الفرنج من كثير من الاموال التى كانوا يحصلون عليها فى شكل ضرائب أو مكوس فى هذه الموانى(٨) . الى جانب ذلك ، فقد اضطر الصليبيون الى تخفيض قيمة الضرائب لجذب التجار الايطاليين الى موانيهم(٩) كى

---

(٦) J. Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 415.

(٧) James A. Brundage, The Crusades : A Documentary Survey, Wisconsin, 1976, pp. 189-190; Robert, Lopez, The Trade of Medieval Europe, The south, in C.E.H., Vol. 2, Cambridge, 1952, p. 310.

(٨) كان هناك نوعان رئيسيان من الضرائب المقررة على السفن التى كانت ترسو فى الموانى الصليبية . الاول ويعرف «بضريبة الثلث» «Terciaria» وهى تجبى على الحجاج والبحارة الذين تقلهم هذه السفن ، وتقدر بثلث قيمة رسوم النقل لكل منهم . والثانى ويعرف « بضريبة الرسو » «Anchoragia» هذا الى جانب الضرائب المقررة على السلع نفسها والتى تقدر حسب قيمة السلعة نفسها . الى جانب الضرائب المجباة على مرور السلع من بوابات المدن الصليبية الى المناطق الداخلية من بلاد الشام . ومما يذكر أنه فى عام ١١٩٦م منح بوهيمند الثالث جماعة الاسبتارية بوابة فى أسوار طرابلس ، على ن يقوموا بجباية الضرائب على كل أنواع البضائع التى تمر من خلالها . انظر : Rohricht, Regesta, no. 731, p. 195; J. Prawer, The Latin Kingdom, pp. 403-404, J. Riley-Smith, The Feudal Nobility, pp. 89- 89-95.

(٩) كان البنادقة يدفعون ٥٪ من قيمة الاقمشة الحريرية والكتانية، =

تنتعش اقتصادياتهم ، بعد ان استحوذت مصر على الجزء الاكبر من حجم التجارة فى شرقى البحر الابيض المتوسط(١٠) بالرغم من جهود البابوية لحصارها اقتصاديا بتحريم التجارة معها(١١) وفشلها عسكريا ، بعد أن

= و٧٪ من قيمة البضائع الأخرى كضريبة . وخفضت هذه الضريبة فى عام ١١٥٣م الى ٤٪ و ٥٪ . وفى عام ١١٥٤م دفع البيزاوية نصف قيمة الضرائب المقررة على دخول وخروج البضــائع فى انطاكية . ولكنهم تمتعوا باعفاء كامل من كل هذه الضرائب عام ١١٨٧م . كما تمتع الجنوية فى انطاكية وطرابلس بنفس الاعفاء فى عام ١١٩٠م . وفى عام ١٢٠٠م خفض بوهيمند الرابع ضرائب المثلث للبيزاوية الى النصف . كما أعفى الجنوية فى طرابلس من هذه الضريبة . انظر :

Tafel-Thomas, Vol. 1, no. 55, pp. 133-135; Rohricht, Regesta, nos., 292, 662, 695, r69, pp. 74, 176; 185; 205.

(١٠) بالمقارنة مع مصر وبيزنطة ، كانت الامارات الصليبية متواضعة من الناحية التجارية خاصة فى النصف الثانى من القرن ١٢م/٦هـ . ولعل مصر هى الاكثر تفوقا فى هذا الميدان . فبعض الســلع الموجودة فى سوريا اللاتينية كان يفضل شراؤها من مصر لرخص اسعارها ، كما أن بعض السلع لم تكن تتوفر الا فى مصر كالكتان والشب النقى . كما أن موقف أباطرة بيزنطة بدءا من مانويل كومنين من التجار البنادقة ، وما تم من اعتداءات قام بها سكان القسطنطينية ضدهم فى أعوام ١١٧١م و ١١٨٢م جعل البنــادقة يتجهون الى مصر بحثا عن مكان بديل لنشاطهم التجارى مما زاد من تجارة مصر بعد عام ١١٨٤م . ويمكن التأكد من تفوق مصر فى هذا الميدان بتتبع الارقام التى وردت فى سجلات موثق العقود الجنوى جوفانى سكريبا «Giovanni Scriba» والخاصة باتفاقيات جنوا التجــارية مع بلدان الشرق الادنى . فمن بين ١١٢ اتفاقية نجد ٥٨ اتفاقية منها تخص الاسكندرية ، بينمــا يخص سوريا الفرنجية ٣٤ اتفاقية ويخص بيزنطة ٢٠ اتفاقيــة وبذلك يكون عدد الرحلات التجارية الى مصر ضعف عددها الى الامارات الصليبية . انظر :

E.H. Byrne, Genoese Trade With Syria, in A.H.R., Vol 25, p. 202; Cahen, Notes Sur L'Histoire des Croisades, III, in B.F.L.S., no. 8, 1951, p 332; R.S.L. Lopez, The Trade in Medieval Europe, the South, in C.E.H., Vol. 2, p. 310.

(١١) عقد البابا انوسنت الثالث (١١٩٨ — ١٢١٦) مجلس اللاتيران الرابع فى نوفمبر ١٢١٥م فى مدينة روما لاعلان قيام الحملة الصليبية الخامسة ، ومن القرارات التى اتخذها المجلس قرارا =

انحرفت الحملة الصليبية الرابعة الى القسطنطينية بدلا من التوجه الى مصر ، وبذلك حرمت الامارات الصليبية من النجدات التى كانت فى أمس الحاجة اليها(١٢) . وهكذا اضطر الصليبيون فى بلاد الشام الى تجنب القتال ضد المسلمين ، حتى تتمكن اوربا من ارسال القوات الكافية للقيام بذلك . وحتى يتم هذا ، قاموا بتجديد الهدنة التى عقدها ريتشارد مع صلاح الدين فى عام ١١٩٢م/٥٨٨هـ ، عدة مرات(١٣) حتى يتفرغوا لما دب بينهم من خلافات كان أشدها تلك التى كانت بين امارة انطـــاكية والارمن ، والتى شغلت صليبى الشام والارمن وحتى البابوية نفسها . ولحسن حظهم جميعا أن مال المسلمون الى ذلك فقد كان لديهم أيضـا ما يشغلهم عن قتال الفرنج من الخلافات المستمرة . لذلك كله اتسم تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين خلال النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى بسمتين : الاولى وهى عدم حدوث صراع بين الطرفين . والثانية وهى الصراعات

= بتحريم الاتجار مع مصر ، وجاء على لسان البابا « نحن نحرم ونلعن أولئك الافاقين وعديمى التقوى من المسيحيين الذين ينقلون الاسلحة والحديد والخشب الخاص ببناء السفن الى بلاد المسلمين ، وايضا نحرم أولئك الذين يبيعون لهم السفن ، وأولئك الذين يقدمون لهم المساعدات الفنية والآلات وأى شىء آخر مما يضر بالاراضى المقدسة .... ونحن نامر ونمنع كل المسيحيين من أن يرسلوا سفنهم أو يتجهوا الى بلاد المسلمين الذين يعيشون فى الشرق لمدة أربع سنوات وبذلك يحرم المسلمون من المســاعدة التى يحصلون عليها » ومن الواضح أن هذا القرار كان يخص البيزاوية الذين كانوا يمدون صلاح الدين بأدوات بنــاء السفن والمعدات الحربية . وأيضا بقية المدن التجارية الايطالية التى لم تستغن عن سلع مصر أو سلع الشرق الاقصى التى تصــل الى مصر . والذين لم يراعوا أبدا تعليمات البابوية . انظر :

J.A. Brundage, The Crusades p. 217; C.J. Heféle, Histoire des Conciles, ed. H. Leclercq, t. 5, Paris, 1913, pp. 1722 ff.

(١٢) S. Runciman, The Eastern Schism, A study of the Papacy and The Eastern Churches During the XI th and XII th Century, Oxford, 1955, p. 147; H. Gregoire, The Question of The diversion of the Fourth Crusade, in B; Vol. XV, pp. 158-160.

(١٣) Cahen La Syrie de Nord, p. 579.

المستمرة مع الارمن . وليس معنى ذلك ان الحديث سينقطع عن علاقات انطاكية والمسلمين . بل ان الصراع بين بوهيمند الرابع والارمن كان من الاسباب التى قربت بين الاول ومسلمى حلب لفترة ليست بالقصيرة . وكان بوهيمند الرابع بالفعل فى حاجة الى التعضيد من اى قوى كانت ، بعد أن تقطعت به الاسباب ، ويأس من وصول النجدات من أوربا شأنه فى ذلك شأن بقية الفرنج . فقد تغيرت استراتيجية الحروب الصليبية فى القرن ١٣م/٧هـ عما كانت عليه فى القرن السابق . فبينما كانت الاهداف الفكرية والعسكرية للحملة الصليبية الاولى تتركز فى الوصول الى بيت المقدس وأخذها من المسلمين ، فقد كانت عكا — كما حدث فى الحملة الصليبية الثالثة — هى الهدف العسكرى ، وكان لها كميناء تجارى هام الاولوية على المركز الدينى للمسيحية . فاصبحت مدينة بيت المقدس بالنسبة لحملات القرن ١٣م/٧هـ هدفا اصطلاحيا فقط . ووجهت الحملات كلها لفتح مصر ، وفشلت كلها أيضا فى تحقيق ذلك . والذى حققته احداها من انجاز اما أنه لم يكن على حساب المسلمين ، أو أنه تسبب فى بث الخلافات بين صفوف الصليبيين فى بلاد الشام(١٤) . فالحملة الصليبية الرابعة بدلا من التوجه الى مصر كما خططت لها البابوية ، انحرفت الى القسطنطينية واستولت عليها لتحقيق النتيجة الحتمية للانشقاق بين شطرى العالم المسيحى . بعد أن اعتبرها البابا أنوسنت الثالث — ان لم يعتبرها جزءا لكنيسة القسطنطينية على عصيانها لكنيسة روما — مجرد أمر واقع أو شىء قد تم Fait Accomple (١٥) ، كان على الامارات الصليبية فى بلاد الشام أن تنتظر حتى تبعث أوربا بحملة أخرى الى

---

(١٤) J.L. La Monte, From Crusader Kingdom to Commercial Colony p. 291.

(١٥) تغير كل شىء يخص هذه الحملة بدءا من قيادتها الى هدفها . فقد تبنى فكرتها فى ١١٩٩م تيبالد كونت شامبانيا الذى مات فى ١٢٠١م ليحل محله بونيفاس دى مونتفيرات . وكذلك مات مبشرها الاول بطرس كانتور رئيس أساقفة باريس فى ١١٩٧ ليحل محله فولك أوف نويلى Fulk of Neuilly المصلح الدينى . ثم رفض الجنوية نقل الصليبيين بسفنهم من أوربا ليحل محلهم فى ذلك البنادقة . وكان هدف الحملة هو مصر ، الا أنها توجهت الى بيزنطة لتستولى على القسطنطينية وتؤسس فيها الامبراطورية اللاتينية (١٢٠٤ — ١٢٦١) . ويرى المؤرخ =

....
....

= الصليبى أرنول أن الملك العادل قد دفع رشوة للبنادقة كى يبعدوا الحملة عن مصر ، بينما يرى جود فرى اوف فيلها رودين ، أحد المشاركين فى الحملة ومؤرخها الاول والذى كان على رأس الوفد الذى فاوض البنادقة بشأن نقل القوات الى مصر ان البنادقة هم الذين دفعوا بالحملة الى بيزنطة ، متفقا فى ذلك مع روبرت دى كلارى المؤرخ الثانى للحملة والمشارك فيها أيضا . كل ذلك دفع بالمؤرخين المحدثين الى اتهام البنادقة بتحويل مسار الحملة من مصر الى بيزنطة . الا أنه فى الحقيقة ، فان كل قادة الحملة — وليس البنادقة فقط — كان لكل منهم دوافعه للاتجاه الى بيزنطة فبونيفاس مونتفيرات ذهب لينتقم لموت أخيه رينيه مونتفيرات زوج ماريا ابنة الامبراطور مانويل كومنين ، والذى قتل فى الاحداث التى تلت تولى أندرونيقوس كومنين عرش بيزنطة بعد موت مانويل وذلك فى عام ١١٨٣م . كما كان لفيليب دوق سوابيا دوره أيضا . فهو يكره أباطرة بيزنطة ، وكان زوجا لايرينا ابنة اسحق انجيلوس وشقيقة الكسيوس الذى قدمه فيليب الى قادة الحملة لمساعدته على استرداد عرش أبيه من عمه الكسيس الثالث . كما كان للبنادقة أطماعهم فى بيزنطة ، ولم ينسوا الامتيازات التى تمتعوا بها منذ أيام الامبراطور الكسيس كومنين فى القسطنطينية ، ولم ينسوا أيضا ما عاناه تجارهم من اضطهاد فى العاصمة البيزنطية فى أعوام ١١٧١م و١١٨٢م أيام مانويل وأندرونيقوس ، ويبغون الانتقام بالاستيلاء على القسطنطينية التى لم يصدقوا عندما رأوها أن « هناك مدينة فى العالم بهذا الوصف » على حد قول فيلهاردوين . وهكذا تضافرت جهود غرب أوربا لتحويل مسار الحملة الرابعة الى بيزنطة وليس الى مصر . وعن الحملة وأحداثها والاراء التى ظهرت حولها . انظر :

Geofrey of Villehardouin, The Chronicle of the Fourth Crusade, trans. by F. Marzials, London, 1908, pp. 1 ff, 11 ff., 29 47; Robert of Clary, The canquest of Constantionople, trans. by E.H. McNeel, New York, 1966, pp. 34 ff, 57 ff, 67, 79 ff; Nicetas Coniates, pp. 736, 824, 854-855; Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H. in Ussum Scholarum, pp. 157, 202-208; Ernoul, pp. 374-376. Cf. also, Vasilieve, Foundation of the Empire of Trabezon, in Speculum, Vol. 11, pp. 3 ff; Ostrogorsky, pp. 361-362; Luchier, Innocent III : La question d'Orient, Paris, 1907, p. 97; R. Lee Wolf, Baldwin of Flanders and Hainaut, First Latin Empror of constantinople, in *Speculum*, Vol. 27, pp. 281- =

الشرق . واستغرق هذا ما يقرب من خمسة عشر عاما ، كان على الصليبيين خلالها ان يعتمدوا على مواردهم الخاصة ، وأن يرحبوا دائما بعقد الهدن مع المسلمين — الذين كان يرقب كل منهم الآخر في غيرة وحسد وخوف — ان لم يجدوا فيهم حلفاء لمساندتهم ولو ضد اخوانهم من المسيحيين الآخرين . وكان هذا حال امارة انطاكية بصفة خاصة ، التي بحث أميرها بوهيمند الرابع عن حليف يسانده ضد مطامع الارمن في بلاده ، ولم يجد سوى الملك الظاهر صاحب حلب ليقوم بهذا الدور .

في الحقيقة كانت كل الظروف في شمال الشام تحتم وقوع الصدام بين بوهيمند الرابع وليو الاول الارميني . وكان لدى كل منهما ما يجعله يرى الآخر عدوه اللدود . فبالنسبة لبوهيمند ، فقد كان ابنا لبوهيمند الثالث من زوجته أورجيليوس وليس من سبيلا التي كانت تميل الى ليو لمساعدتها في الاستئثار بعرش انطاكية لابنائها هي . وبالتالي لم ينس بوهيمند الرابع ان ليو قام باعتقال أبيه بمساعدتها في ١١٩٣م/٥٨٩هـ(١٦) . وفي الوقت الذي بعث بوهيمند الثالث في ١١٨٧م/٥٨٣هـ بابنه بوهيمند الرابع الى طرابلس ليصبح كونتا لها بعد موت ريموند الثالث كونت تولوز ، عقد النية على ان يحكم ابنه الاكبر ريموند انطاكية من بعده(١٧) . وفي ١١٩٥م/ ٥٩١هـ تزوج ريموند هذا من الاميرة اليس ابنة روبين شقيق الاول . ومات

= 282; Charles M. Brand, A Byzantine Plan for the Fourth Crusade, in Speculum, Vol. 43, pp. 465; Joseph Gill, Franks, Venetians and Pope Innocent III, in S.V., 1970, pp. 87-88; T.S.R. Boas, Kingdoms and Strongholds of the Crusaders, London, 1971, p. 142; M.R. Gutsch, A twelfth century Preacher, Fulk of Neuilly, in Crusades and other Historical Essays Presented to Dana Munro, ed. L.J. Paetow, York, 1928, pp. 183-186.

(١٦) انظر ما سبق من الفصل الثاني ص ٢٣٧ .

(١٧) عندما طلب ريموند كونت طرابلس من بوهيمند الثالث ان يبعث اليه بابنه ريموند كي يتسلم طرابلس لأن الكونت شعر بدنو أجله بعث اليه بوهيمند الثالث بأن ابنه ريموند سيحكم انطاكية وأنه يرسل اليه ابنه الاصغر بوهيمند الذي لديه من الشجاعة ما يجعله أهلا للحفاظ على طرابلس . انظر :
Eracles, pp. 71-72.

ريموند مجنونا فى ١١٩٧م/٥٩٣هـ تاركا زوجته حبلى فى طفل وضعته بعد موت أبيه بفترة قصيرة(١٨) . واتخذ بوهيمند كونت طرابلس فى حياة أبيه لقب أمير انطاكية فى عام ١١٩٩م/٥٩٥هـ بمساعدة البيزاوية(١٩)مما أثار مخاوف ليو الاول الذى كان بوهيمند نفسه يرى خطره يزداد على امارته . فليو قام بالاستيلاء على حصن بغراس فى عام ١١٩١م/٥٨٧هـ(٢٠) وأصبح يطل على مشارف انطاكية نفسها . كما أنه بحصوله على لقب ملك بتأييد من الامبراطور هنرى السادس الالمانى فى عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ(٢١) ، أصبح ندا للامراء اللاتين فى شمال الشام . ولم ينس بوهيمند الرابع مطامع ليو فى انطاكية ومطالبه بها حين أسر والده فى ١١٩٣م/٥٨٩هـ . لذا فعندما مات بوهيمند الثالث فى ابريل ١٢٠١/رجب ٥٩٧هـ ، كانت الاميرة أليس وابنها ريموند روبين فى أرمينيا حيث قام ليو بالوصاية على الطفل وتربيته . وسارع البارونات فى انطاكية والذين كانوا يخشون المطامع الارمينية فى اماراتهم ويحرصون على بقائها لاتينية ، سارعوا باستدعاء كونت طرابلس الذى وصل فى يوم جنازة أبيه « واستدعى قومون انطاكية ، وكل النبلاء والفرسان وطلب أن يعترف به حيث انه كان الوريث الشرعى للامارة التى مات أبوه من أجلها .... فاعترفوا به وأقاموه سيدا وأميرا عليهم »(٢٢) . وبتلقى كونت طرابلس يمين الولاء من القومون لم تعد هناك قيمة لحق ريموند روبين الذى لم يتسلم ميراثه من قبل . وكان ليو فى طريقه الى انطاكية ، وعندما علم بما تم فيها عاد أدراجه الى قيليقية ليلحق به بعد ذلك النبلاء الموالين له من لاتين انطاكية الذين كانوا قد أقسموا يمين الولاء لريموند روبين من قبل ، والذن كان عليهم بعد ذلك أن يحاربوا فى صفوف الارمن ضد بوهيمند الرابع(٢٣) . واذا كان للخلاف أن يقتصر على كونه بين بوهيمند وليو ،

---

(١٨) Continuation de Guilluam de Tyre, pp. 167, 169, 177; Sempad, p. 632.

(١٩) انظر ما سبق من الفصل الثانى ، ص ٢٤٣ .

(٢٠) Bar Hebraeus, p. 336; Eracles, p. 136; Vahram d'édesse. Chronique rimée, in R.H.C.-Doc. Arm. Vol. I, p. 512,

(٢١) Sempad, p. 633; Vartan, L'Histoire Universelle, in R.H.C.-Doc Arm., Vol. I, p. 443.

(٢٢) Erades, p. 313; Sempad, p. 632.

(٢٣) يمدنا المؤرخ سمباد بأسماء كثيرة من بارونات انطاكية اللاتين =

فقد كان منا لمكن حسمه بمعركة أو تصالح يتلوه تنازل معين من احـد الطرفين للآخر كمـا كان يحدث من قبل بين بوهيمند الثالث وروبين شقيق ليو (٢٤) . الا أن هذا الخلاف قد جذب الكثيرين من ذوى المصالح فى شمال الشام ، اخذ بعضهمجانب بوهيمند الرابع ، بينما ساند البعض الاخر ليو الثانى مما ادى الى تصاعد المشكلة واستحواذها على اهتمام الصليبيين والارمن والبابوية وحتى المسلمين ، الامر الذى جعل وضـع حد لهـذا الخلاف يستغرق أكثر من خمسة عشر عاما . وتتبع تطورات هذا الخلاف يلقى الضوء على طبيعة العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين خلال هذه الفترة ، الامر الذى يتطلب عرض الامر بشىء من التفصيل . فعندما تولى بوهيمند الرابع السلطة فى ١٢٠١م/٥٩٧هـ كان يؤيده قومون انطاكية الذى كان من الطبيعى أن يقف اعضاؤه من اللاتين ضد اطماع الارمن فى امارتهم(٢٥) . ثم كان هناك فرسان الداوية الذين استولى ليو على قلعة بغراس اهم أملاكهم فى شمال الشام(٢٦) ، ثم جماعة الاسبتارية(٢٧) واخيرا عرف بوهيمند الرابع كيف يستفيد من تاييد الملك الظاهر صاحب حلب ، الذى لم يتخل عنه لمدة تقـرب من خمسـة عشر عاما . ويتساءل المؤرخ الفرنسى « كلود كاهن » ما اذا كان بوهيمند يدفع

= الذين انحازوا لصف ريموند وبقوا فى أرمينيـا حتى استولى الارمن على انطاكية فى ١٢١٦م وعادوا معهم اليها . ومن هؤلاء أوليفر Olivier الحاجب وروجردى مونت Roger de Monte كندسطبل انطاكية ، وغيرها من الاسماء التى تظهـر فى وثائق ليو وريموند روبين كمنح للاسبتارية فى ١٢١٠م ، مثل روبرت مانسل وآدم حاكم بغراس اللاتينى وايشفارد السرمينى شـقيق اشارى السرمينى حارس انطاكية (قيم الخدم) لدى بوهيمنـد الرابع والذى سيفتح أبواب المدينة للارمن فى ١٢١٦م . انظر : Sempad, p. 639; Rohricht, Regesta, no-843; p. 225.

(٢٤) انظر ما سبق من الفصل الثانى ، ص ٢٠٢ .

(٢٥) Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 392.

(٢٦) J. Riley-Smith, Templars and Teutonic knights in Cilician Armenia, in The Cilician Kingdom of Armenia, ed. T.S.R. Boas, London, 1978, p. 102.

(٢٧) منح بوهيمنـد للاسبتارية ملكية حصن مرقلية بالقـرب من حصن المرقب نظير خدمات تؤديها الجماعة له . انظر :
J. Riley-Smith, The Knights of St. John p. 152, n. 2.

للظاهر ثمنا لحمايته وتأييده لانطاكية ضد الارمن . ويصل كاهن الى أن أحدا لم يستطع التأكد من ذلك(٢٨) . الا نه من الممكن الرد على هذا التساؤل بالتمعن فى ظروف شمال الشام فى ذلك الوقت . فلقد كان من الواضح للجميع مدى طموح ليو الارمينى منذ استولى على قلعة بغراس فى ١١٩٠م/٥٨٦هـ ، وأصبح يشكل بذلك خطـرا على المسلمين واللاتين انطاكية على السواء . وكان من الطبيعى أن يهدف الظاهر الى أن يظل الملك الارمينى بعيدا عن انطاكية ، والا ازداد خطره على حلب باستيلائه على الامارة الصليبية . وكان من الطبيعى أيضا أن يرعى الظاهر مصالح الامير بوهيمند الذى كان فى امكانه أن يسبب الاضطراب ويثير المتاعب ــ من طرابلس ــ لأى من الامراء المسلمين فى حمص و دمشق اذا ما انقلب أحدهم ضد الظاهر(٢٩) . وبالنسبة لبوهيمند فيكفيه أنه فى امكان الظاهر ان يره خطر الارمن . وبذلك كان التعاون المشترك بين الظاهر وبوهيمند الرابع ضرورة أملتها ظروف كليهما ومصالحهما المشتركة . وبذلك لم يكن الامر يحتاج الى أن يدفع بوهيمنت للظاهر ثمن تحالفه معه كما يتساءل كاهن . وفى الحقيقة فقد عرض كاهن أغلب هذه الحقائق الا أنه لم يقدم الاستنتاج الاخير ، ربما لاصراره على الوقوف على دليل مادى يؤكد أو ينفى ما اذا كان هناك ثمنا تقاضاه صاحب حلب من أمير انطاكية ليــكون سنده ضد الارمن .ويبدو أن المؤرخ الفرنسى قد نظــر فى تحليله لهــذا الموقف ، بين ملك حلب وأمير انطاكية ، الى رد فعل الملك الظاهر ، فقط عند ظهور الخطر الارمينى ضد انطاكية . لذا لم ير كلود كاهن فى الامر سوى نجدة الظاهر لبوهيمند ، وبالتالى حدد كاهن العلاقة بحاجة اللاتين فى انطاكية الى نجدة مسلمى حلب ، ولم ير أن كليهما كان فى حاجة الى الآخر . ودليلنا على ذلك أنه منذ تولى الظاهر الحكم فى حلب وحتى عام ١٢١٦م/٦١٣هـ لم يحدث بين انطاكية وحلب ما يعكر صفو العلاقات بينهما سوى احتكاك بسيط بين رعايا حلب من قبائل التركمان وأتبــاع بوهيمند فى اقليم العمق لم ينتج عنه شىء بالمرة ، وانتهى الامر بالمصالحة

---

(٢٨) Cahen, La Syrie du Nord, p. 593.

(٢٩) لم تستقر الامور بين أفراد البيت الايوبى بعد موت صلاح الدين . ويكفى أن سبب مجيىء الحملة السادسة الى الشرق هو الخلاف بين هؤلاء . انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٢٦ ــ ٣٢٧ .

بين الطرفين وذلك فى نهاية ١١٩٨م/بداية ٥٩٥هـ(٣٠) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فعند عودة بوهيمند الثالث الى انطاكية بعد أن قابل قادة الحملة الالمانية التى استولت على بيروت فى عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ ولم يستطع أن ينال منهم أية مساعدة(٣١) ، فقد وصل بحرا الى قبالة حصن المرقب ، ذلك فى الوقت الذى توقع فيه الظاهر أن يأتى بوهيمند بمساعدة الالمان للاستيلاء على اللاذقية وجبلة بناء على ما أعلمه به رسل الملك العادل ، فأمر بهدم حصنى جبلة واللاذقية(٣٢) . واذا كان بوهيمند ، بعد أن تيقن من عدم مساعدة الالمان له ، قد اقلع عن محاولة الاستيلاء على هذين الحصنين ، فكان له أن يتوجه الى ميناء السويدية ومنه الى انطاكية مباشرة . الا انه توقف قبالة حصن المرقب « وطلب غرس الدين وابن طمان(٣٣) فوصلا اليه وكلماه على جانب البحر ، فأشار عليهما بأن لا تهدم اللاذقية ، وأخبرهما أن الفرنج فتحوا صيدا وبيروت ، وعادوا الى صور ، فسير واعلما السلطان وهو بريحا(٣٤) فأمر

---

(٣٠) لم يذكر احتكاك التركمان بالفرنج سوى ابن العديم وارنول . والمح اليه البابا انوسنت الثالث فى خطابه الى بطريرك بيت المقدس واسقف عكا ورئيس أساقفة صور فى ١٨ يناير ١١٩٩م/١٨ ربيع أول ٥٩٥هـ ، وهو التاريخ الذى يضعه كلود كاهن خطئا للتصادم بين الطرفين . فليس المقبول أن تصل الانباء عن ذلك الى البابا فى روما ثم يتحدث هو عنها فى خطابه الآتى الى الشرق فى نفس وقت حدوث الاحتكاك . فاذا كان خطاب البابا قد وثق فى ١٨ يناير ١١٩٩م/١٨ ربيع أول ٥٩٥هـ ، فلابد أن الواقعة قد حدثت قبل ذلك بشهرين على الاقل حتى تصل انباؤها الى ايطاليا ثم تعود فى خطاب البابا . كما انه لم يذكر التصالح بين الطرفين سوى ابن العديم -انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ . راجع أيضا :
Ernoul, p. 322; Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Col.816

(٣١) انظر ما سبق من الفصل الثانى ، ص ٢٤٢ .

(٣٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٣٣) غرس الدين قلج النورى كان من أمراء الملك الظاهر ، وكان صلاح الدين قد منحه قلاع الشغر وبكاس وشقيف دركوش ، ومات غرس الدين فى عام ٥٩٤هـ ، وحسام الدين عثمان بن طمان احد امراء الظاهر فى حلب . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٨١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤١ .

(٣٤) « ريحا » بلدة بنواحى حلب : انظر : ابن العديم زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤١ . حاشية (١) .

ببناء ما استهدم منها »(٣٥) ومن هذا النص يفهم أن بوهيمند قد سعى لمقابلة نواب الظاهر • وأفادهما ببعض المعلومات عن الصليبيين الالمان وطمأنهما على أنه لا ينوى أخذ اللاذقية وجبلة(٣٦) • ويبدو أنه قد تم الاتفاق بينه وبين نواب الظاهر على التحالف ، ربما لأن بوهيمند الثالث قد يأس من الصليبيين فى جنوب الشام ، ومن المعلوم أن بوهيمند الرابع ابقى على اتفاقيات أبيه مع كل الطوائف حتى مع المسلمين • وربما وجد أنه من الاوفق له أن يستمر فى أتفاق ابيه مع الصليبيين • ويؤكد ذلك أن الظاهر نفسه قد طلب من أمير انطاكية أن يمده بعشرة آلاف راجل من مشاته لمساعدته فى الهجوم على ليو وذلك فى عام ١٢٠٦م/٦٠٢هـ(٣٧) • وبذلك يمكن أن نقرر بأن تأييد الملك الظاهر لبوهيمند الرابع فى صراع الاخير ضد ليو الثانى الارمينى لم يكن الا تنفيذا لاتفاقيات تعاون مشترك بينهما ، ولم تكن المساعدة من طرف واحد فقط (من الظاهر صاحب حلب) نظير مبلغ من المال • ومهما يكن من أمر ، فقد بدأ بوهيمند الرابع حكمه لانطاكية مستندا فى ذلك الى تأييد قومون المدينة والبيزاوية ، وجماعتى الداوية والاسبتارية وأيضا الملك الظاهر صاحب حلب • بينما كان ليو يستند الى تأييد بطريرك انطاكية اللاتينى بطرس أنجوليم(٣٨) ،

---

(٣٥) ـ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤١ •

(٣٦) قام الظاهر بتخريب اللاذقية عام ١١٩٨م/٥٩٤هـ وعمر ضياعها : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٤١ •

(٣٧) من بين المؤرخين المسلمين والصليبيين انفرد ابن واصل بذكر طلب الظاهر لجند انطاكية : انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٧١٠ — ١٧١ •

(٣٨) كان بطرس انجوليم ذا خبرة فى الامور السياسية ولكن تعليمات البابا انوسنت الثالث قيدته ، ولم يستطع البطريرك أن يصل الى اتفاق مع قومون انطاكية بعد أن أمره البابا أن يبعد الكنيسة عن هذا الصراع • وبسبب ذلك العداوة بين البطريرك وأعضاء القومون ، وكان لذلك يؤيد مطالب ليو الارمينى لأن البابا أبدى رغبته فى الحفاظ على الاتحاد ، وهذا أثار العداوة بين البطريرك وبين جماعة الداوية أيضا • وكان البطريرك يتزعم الفريق المعارض لبوهيمند الرابع دون أن يظهر ذلك • ولم يبدأ بطرس فى التحرك ضد بوهيمند الا فى عام ١٢٠٦م • انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 241, Col. 474, Vol. 215, Col. 693; Mas Latrie, Les Patriarches Latins d'Antioche, in R.O.L., p. 195.

ثم الى علاقاته الطيبة بالبابوية(٣٩) مع أمله فى اجتذاب القوى الموجودة فى بلاد الشام الى جانبه متى استطاع ذلك(٤٠) .

بدأ الصراع حول انطاكية فى نفس اللحظة التى اعتلى فيها بوهيمند الرابع عرش الامارة . فقد رأى ليو آن الانتظار معناه أن خصمه سيتمكن من تعزيز مركزه ، فأسرع على رأس قواته وعسكر أمام أسوار انطاكية الشمالية . ولما لم يجد أنه فى مقدوره عمل شىء ، عاد الى قيليقية(٤١) . وهدأ الصراع حول انطاكية لمدة عام آخر لهدوء ليو واطمئنانه الى أن المشكلة ستحل لصالحه ، فقد كان هذا ما استشعره الملك

---

(٣٩) عندما توج ليو الثانى ملكا فى ١١٩٧م بواسطة كونراد اسقف هيلد سهايم وكونراد اسقف مينز مندوبى هنرى السادس الامبراطور الالمانى والبابا نوسيوس الثالث استطاع ليو آن يحصل على خضوع الكنيسة الارمينية لكنيسة روما وضمها لها . كما بعث الى البابا انوسنت الثالث فى ١١٩٩م طالبا المساعدة ضد المسلمين ، وأيضا للحصول على حقوق ريموند روبين فى انطاكية ، ورد عليه البابا ردا مطمئنا طالما أن كنيسة أرمينيا تتبع كنيسة روما وتعاليمها بالنسبة لبعض الطقوس الدينية ، كما أرسل اليه البابا احدى رايات القديس بطرس . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Cols. 775-780, 810-815, 819-820; Kirakos de Gantzac, Histoire d'Arménie, in R. R.H. C. Doc.-Arm, Vol I, pp 422-423; Sempad, pp. 633-635. C.F. also, Riley-Smith, Templars and Teutonick Nights, p. 101.

(٤٠) استطاع ليو أن يحصل على تأييد جماعتى الاسبتارية والتيوتون فيما بعد . انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٨ .

(٤١) لم تذكر المصادر الاسلامية هذه الواقعة ، كما لم تذكرها المصادر الارمينية وكل ما ورد عنها جاء فى تاريخ هرقل وخطاب ليو الى البابا انوسنت الثالث أول أكتوبر ١٢٠١م ، والذى يزعم فيه ليو أن بوهيمند قد استنجد بالملك الظاهر صاحب حلب وأيضا بركن الدين سليمان سلطان السلاجقة الذى اعتقل ليو رسل بوهيمند اليه ، وأن ليو انسحب كى لا يقع صراع بين المسيحيين . وواضح ان ليو يثير البابا ضد بوهيمند لتحالف الأخير مع المسلمين وفى الحقيقة لم يكن الظاهر قد أمد بوهيمند بأية مساعدة فى هذه المناسبة لانشغاله مع أخيه الافضل فى خلافاتهما مع الملك العادل حول دمشق فى ذلك الوقت . انظر :

Innocent III, Regesta; in P.L., Vol. 214, Col. 1003; Eracles, p. 313.

الارمينى من رد البابا على رسالتيه السابقتين(٤٢) وبدا أن ذلك ممكنا بوصول المندوب البابوى الكاردينال « سوفريد دى سان براسيدس » «Soffred de St. Praxedis» الى عكا فى خريف ١٢٠٢م/٥٩٩هـ ، الذى بعث فى ١١ نوفمبر ١٢٠٢م/٢٤ صفر - ٥٩٩هـ ، برسالة الى بوهيمند وقومون انطاكية طلبا لترتيب رحلته البحرية الى انطاكية ، ولما لم يتلق أى رد من هؤلاء ابحر بنفسه الى انطاكية ، حيث اجتمع ببوهيمند فى ٢ فبراير ١٢٠٣م/١٧ جمادى ول ٥٩٩هـ ، ولم يصل معه الى حل للمشكلة التى رفض بوهيمند أن يتفاوض بشانها بالرغم من قبوله توسط سوفريد لحل مشكلة الامير مع الاسبتارية فى حصن الاكراد المتعلقة بالضرائب التى زعم بوهيمند انه لم يتسلمها من الجماعة ، وانتهى الامر بان أصدر المندوب البابوى قرارا بالحرمان ضد بوهميند الرابع ، الامر الذى جعل الاخير يتشدد فى موقفه تجاه خلافاته مع الارمن(٤٣) وفى نهاية ١٢٠٢م/ ربيع ثان ٥٩٩هـ استأنف ليو اعتداءاته على أملاك بوهيمند . فقام بغارة على اقليم العمق حتى وصل الى جسر الحديد . ويبدو أنه قد قام بهذه الغارة قبل وصول المندوب البابوى الى انطاكية ، والا كان الاخير قد اتخذ منه موقفا، وعلى الاقل بتريث فى اصدار قرار الحرمان ضد بوهيمند(٤٤) . وحدث فى العام التالى ما جعل ليو يشعر بأن ظروفه مواتية للقيام بعمل

(٤٢) كان ليو قد بعث الى البابا برسالة ثانية فى أكتوبر ١٢٠١م يشكر فيها البابا على راية القديس بطرس وعبر فيها عن ابتهاجه بقرب وصول مندوبى البابا الذين سيقدم لهم ليو أسراه من رسل بوهيمند الى ركن الدين سليمان ، ويطلب من البابا الاسراع بارسال النجدات من الغرب لقتال المسلمين المنشغلين بخلافاتهم ، كما طلب ليو من البابا ان لا يوقع أحد عليه بقرار حرمان الا البابا نفسه ، كما طلب طيلسانا لجريجورى السادس كاثوليك الارمن . ورد البابا عليه مستجيبا لكل طلباته ولم يتحدث عن مشكلة بغراس . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Cols. 1007, 1009; 1012, 1013.

(٤٣) Sofred de St. Praxides (Letter of Sofred to Innocent III), in P.L., Vol. 214, p. CLI ff, Rohricht, Regest, Suppl; no. 789 C., p. 51.

(٤٤) انفرد ابن واصل بذكر هذه الوقعة ولم يحدد لها تاريخا دقيقا . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب : ج ٣ ، ص ١٤٠ .

ضد بوهيمند الذي لم تتوفر له مثل هذه الظروف . فقد قدم الى بلاد الشام حشد من الصليبيين الذين لم يتجهوا الى القسطنطينية مع قوات الحملة الرابعة . فقدم الى عكا أسطول فلمنكي بقيادة جان دي نسل «Jean De Nesle» وذلك في صيف ١٢٠٣م/٥٩٩هـ ، وبعده بفترة قصيرة وصل أسطول آخر قادم من البندقية يحمل فرسانا من فرنسا بقيادة رينارد الثاني دي دامبير «Renard De Dampierre» وستيفن دي بيرش «Stephen De Perche» . ولما كانت هذه القوات مجتمعة قليلة العدد(٤٥) ، فقد رفض عموري دي لوزينان ملك بيت المقدس(٤٦) آن يتصاع الى رغبات قادتها وأن يجازف بخرق الهدنة مع العادل وأن يسارع بقتال المسلمين . وعندما أمرهم الملك بالتريث لحين قدوم التعزيزات بوصول قوات الحملة الرابعة،ثار رينالد وي دامبير،وستيفن دي بيرش وقررا التوجه الى شمال الشام(٤٧) . وصلت القوات الصليبية الى كونتية طرابلس ، وعند بلوغها جبلة خرج حاكمها المسلم لملاقاتهما ولما كان على هدنة مع الصليبيين فقد أمدهم بكثير من المؤن،وعندما عرف آن وجهتهم هي انطاكية ، حثهم على التريث والانتظار حتى يرسل الى الملك الظاهر في حلب حتى يصل لهم على اذن منه بالمرور في أراضيه من اللاذقية الى انطاكية ، الا أن الفرنج لم ينتظروا عودة الرسل وتسرعوا بالتحرك الى اللاذقية بالرغم من تحذير حاكم جبلة المسلم الذي بين لهم مصيرهم بقوله

---

(٤٥) يحدد رنسيمان موعد قدوم هذه القوات الى سوريا بنهاية عام ١٢٠٢م/بدايات عام ٥٩٩هـ . وقد أخذنا برأي فيلهاردوين مؤرخ الحملة الرابعة . انظر :

Villehardouin, pp. 57-58. CF. also, Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 101.

(٤٦) مات هنري دي شامبانيا ملك بيت المقدس السابق في ١٠ سبتمبر ١١٩٧م تاركا زوجته ايزابيلا وريثة المملكة التي تزوجت في يناير ١١٩٨م من عموري ملك قبرص بفضل مساعي كونراد رئيس أساقفة ماينز الالماني الذي هدف الى اخضاع مملكة بيت المقدس أيضا للامبراطور الالماني لخضوع عموري للاخير بقبوله لقب ملك قبرص من الامبراطور في ١١٩٧م . وتم تتويج عموري فور زواجه من ايزابيلا وحكم حتى ١٢٠٥م انظر :

G. Hill, A History of Cyprus, Vol. 2, pp. 58 ff.

(٤٧) Villehardouin, pp. 57; Ernoul, p. 340; Eracles, pp. 246-247.

«يا سادة،انى على هدنة مع المسيحيين ولا اريد ان الام على ما تاتون به ، وساقودكم من ارضى بسلام ، ولكنكم حالما تخرجون من أرضى ستؤسرون أو تقتلون »(٤٨) . فتحركوا « وفى عزمهم ان راوا لهم مطمعا فى اللاذقية ياخذوها »(٤٩) . الا انه بوصولهم الى اللاذقية كمن لهم سيف الدين ابن علم الدين بن جندر حاكمها واخذهم على حين غفلة ، وقتل غالبية الصليبين واخذ الباقون اسرى الى حلب(٥٠) . وبينما لم يستفد بوهيمند بوصول هؤلاء،كان ليو اوفر حظا بوصول جان دى نسل وقواته الى ارمينيا بحرا حيث انضموا اليه فى صراعه ضد انطاكية(٥١) . وكان ليو قد فشل فى ١٣ ديسمبر ١٢٠٣م/٢٧ ربيع ول ٦٠٠هـ - قبل وصول المدد الصليبى - فى دخول انطاكيةالتى جد فى حصارها ، فقد خرج الملك الظاهر من حلب ، وخيم على حارم ، فاتصل ذلك بليو ، فرحل عن انطاكية(٥٢) . وبقدوم الصليبيين اليه ، ولعدم وصول الفريق الاول من الفرنج الى بوهيمند ، الذى لم يتبق له من سند سوى مساعدة الملك الظاهر(٥٣)،

---

(٤٨) Eracles, pp. 247-248.

(٤٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ .

(٥٠) يتفق تاريخ هرقل مع مارينو سانوتو الذى ينقل عنه نفس الرواية فى تحديد عدد الصليبيين « بثمانين فارسا وكثير من المشاة » بينما يجعل مارينو من ستيفن دى بيرش قائدا للفرنج فى الوقت الذى يجعل تاريخ هرقل من رينالد دامبير القائد لهم . ولم يذكر هذه الواقعة من المؤرخين المسلمين سوى ابن العديم فقط - انظر : ابن العديم نفسه . راجع ايضا :
Eracles, pp. 248; Ernoul, p. 341; Marino Sanuto, Liber secretorum fidelium crucis, ed. J. Bongars, in GDF, Vol. 2, p. 203.

(٥١) Eracles, 257, Sanuuto, p. 203.

(٥٢) يضع كلود كاهن هذه الغارة فى ربيع عام ١٢٠٣م/٥٩٩هـ بالرغم من انه يستشهد بابن واصل الذى يضعها فى نهاية السنة نفسها منفردا بذكرها دون بقية المؤرخين المسلمين . انظر : ابن واصل: مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ . راجع أيضا:
Cahen, La Syrie du Nord, p. 602, n. 8.

(٥٣) سعى الاسبتارية الى فرض سيطرتهم على الاقليم الجنوبى لامارة انطاكية فخرجوا من المرقب وحصن الاكراد للهجوم على بعرين ، وخرج الملك المنصور صاحب حماة للاقاتهم بعد حصوله على المدد من العادل ومن الامجد بهرام شاه صاحب بعلبك =

بعد أن توقفت المفاوضات بشأن مشكلة انطاكية(٥٤) ، تشجع ليو وقام في ٢٤ ديسمبر ١٢٠٣م/١٣ ربيع الآخر ٦٠٠هـ بمحاولة لدخول انطاكية مستغلا غياب بوهيمند في طرابلس، وبمساعدة قوات جان دي نسل الفرنسي تمكنت قوة من الارمن من دخول المدينة من بوابة القديس جورج ، وربما بمعاونة البطريرك بطرس انجوليم الذي طلب منه ليو أن يستميل أعضاء القومون الى جانبه ، الا أن فرسان الداوية وبرجوازية انطاكية من اللاتين ظلوا على عداء شديد تجاه ليو ، وتحصنوا بالقلعة ، ثم خرجوا فجأة وتمكنوا من طرد الفرقة الارمينية من المدينة بينما وجه رجال القومون نداء الى الملك الظاهر على جناح طائر(٥٥) ، ووصل المدد الحلبي الى

= والمجاهد صاحب حمص ، والظاهر صاحب حلب ، وتمكن من هزيمة قوات الاسبتارية وأسر عدد كبير منهم وذلك في ١٧ مايو ١٢٠٣م/٣ رمضان ٥٩٩هـ . وتوسط الداوية بين المنصور والاسبتارية لعقد الصلح ولم يقبل المنصور وذلك بالرغم من تهديد الداوية بقدوم كثير من الصليبيين من أوربا وحضور الملك عموري لعقد الصلح بين الارمن وأمير انطاكية وتمكن المنصور في ٣ يونيو/٢١ رمضان من نفس العام من ايقاع الهزيمة بالاسبتارية عندما اغاروا على بعرين وقتل منهم وأسر الكثيرين ولم يشترك بوهيمند بنفسه في أي من المشروعين بالرغم من امكانية مساعدته للاسبتارية حيث يذكر ابن واصل أيضا خروج الفرنج من طرابلس في الواقعة الاولى . وهكذا بدا بوهيمند أمام الملك الظاهر كحليف مخلص:انظر ابن واصل : مفرج الكروب،جـ٣،ص ١٤١، ١٤٣ ، ١٤٥ — ١٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ — ١١٠ . راجع أيضا :

Smith, Knights of St. Jhon in Jerusalem, p. 137.

(٥٤) حضر كل من المبعوث البابوي سوفريد والملك عموري لوزينان وقادة الداوية والاسبتارية الى انطاكية مع كثير من بارونات أوربا لحل المشكلة ، الا أن سوفريد عاد الى المرقب ومنه الى عكا لاشتداد مرض النقرس عليه ، وفتور همته بعد أن ذهب البارونات المذكورين الى أن المشكلة اقطاعية بحتة ، ولم تكن من شأن ممثل كنسي مثل سوفريد وذلك بعد أن استمالهم بوهيمند الى جانبه ، ورفضوا عرض ليو بتقديم عشرين ألف مقاتل مساعدة منه للفرنج ضد المسلمين . انظر :

Sofred, Letter of Sofred de St. Praxides, in P.L., Vol. 214, Cols. CL- 11-CLIV.

(٥٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ص ١٥٥ ، راجع أيضا :
Eracles, p. 257.

نهر العاصى بينما عسكر الظاهر بالقرب من حارم ، فاضطر ليو الى العودة الى بلاده(٥٦) . بعد ذلك مباشرة وصل الى قيليقية قادما من القسطنطينية بطرس كابوانودى سان مارسللو «Pierre Capuano De St. Marcello» يصحبه الاسقف المؤرخ سيكارد دى كريمونا «Sicard De Cremone» ولأن المبعوث البابوى الجديد كان يفتقر الى بعد النظر وحسن التصرف ، فقد فشل فى اخضاع طرفى النزاع لقراراته ، وزاد من تعقيد الامور ما قام به ليو من نهب لاملاك جماعة الداوية فى صخرة رسل «Roche de Riossol» وصخرة وليم «Roche de Guilaumes» فى قيليقية ونهب قطعان الماشية الخاصة بالجماعة وحقولها فى المنطقة(٥٧) . ولم يوافق على اعادة كل هذا الى الداوية الا اذا قبلوا أن يقتصر نشاطهم على المجالات الدينية فقط ، وطلب أن تعتبر مشكلة بغراس ومشكلة انطاكية قضية واحدة(٥٨) . وزاد من تعقيد الامور أيضا ما قام به المبعوث البابوى من تصرف يتسم بالرعونة عندما دعا الى عقد اجتماع فى انطاكية ولم يدع اليه جاثليق الارمن جان كما وعده من قبل ، وعندما رفض ليو تعويض الداوية عن خسائرهم فى قيليقية اوقع عليه المبعوث

---

(٥٦) مرة أخرى يستشهد كلود كاهن بابن واصل فى ذكر هذه الوقعة ، الا أن كاهن يضعها فى ١١ نوفمبر/٤ ربيع أول من نفس السنة . ويضعها ابن العديم خطئا ضمن أحداث عام ١٢٠٤/٦٠١هـ . انظر : ابن واصل مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ — ١٥٥ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٥٥ — راجع ايضا :
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 214, Col. 887; Ann. T.S., in A; O.L., t. 2, part 2, p. 435; Sicard de Cremone, Chronica, in P.L., Vol. 213 p. 535.

(٥٧) تقع قلعتا صخرة رسل وصخرة وليم بالقرب من « طريق الفرنج » «Port — Bonnel» جنوبى أرسوس «Arsuz» أو «Arsus» وارسوس هى بلدة صغيرة يميز بها نهاية جبال الامانوس على شاطىء البحر بين الاسكندرونة ورأس الخنزير شمالى ميناء السويدية . « وطريق الفرنج » هو الطريق الذى يبدأ شمالى رأس الخنزير الى الاسكندرونة . وكان هذا الطريق تحت سيطرة الداوية حتى سقوط انطاكية فى ١٢٦٨م/٦٦٦هـ . انظر :
Dussaud, p. 443; T.S.R, Boas, Gazetter, in The Cilician Kingdom of Armenia, p. 177.

(٥٨) Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Cols. 504, 689-690

البابوى وعلى مملكته بقرار الحرمان(٥٩) . ولم يستطع بطرس كابوانو ان يقوم بشيء سوى اسداء النصح - بناء على نصيحة كل من بطريرك انطاكية والمؤرخ سيكارد - لكل من بوهيمند وليو بعدم العمل على نشوب حرب ليس لهما مبرر ، ورحل الى عكا فى يوليو ١٢٠٤م/ذى القعدة ٦٠٠هـ(٦٠) . وكان هذا الاخفاق ضارا بالشام كله(٦١) . ولهذا استجاب الصليبيون فى عكا لطلب مارى اوف فلاندرز زوجة بولدوين اول اباطرة القسطنطينية اللاتين والتى حضرت الى عكا فى ذلك الوقت . فبدأت المفاوضات من جديد على أن يتولى سوفريد المسئولية هذه المرة . ولان ليو كان يثق به اكثر من ثقته ببطرس كابوانو ، فقد وافق ليو على عقد هدنة لمدة أربعين يوما واعادة صخرة رسل الى الداوية ، بينما رفض بوهيمند ذلك ،كما رفض السماح لمبعوث ليو بالمرور عبر أراضيه الى عكا. وهنا مال سوفريد الى جانب ليو(٦٢) بينما بقى بطرس كابوانو فى صف بوهيمند . ولانقسام مبعوثى البابا لم يكن من الممكن تحقيق أى اتفاق حول مشكلة انطاكية . ورحل المبعوثان الى القسطنطينية فى اكتوبر ١٢٠٤م/ صفر ٦٠١هـ(٦٣) . وكتب ليو والكاثوليك جان الى البابا يثنيان على سوفريد ويشكون من بطرس ، ويطلبان من البابا اجبار الداوية على الاقتداء بالاسبتارية فى موقفهم المحايد من المشكلة(٦٤) . وفى الواقع كانت

---

(٥٩) Sofred De Praxides, Letter of Sofred to Pope Innocent III, in P.L., Vol. 214, Col. CLVIII.

(٦٠) Sofred de Praxides, Letter of Sofred to Pope Innocent III, in P.L., Vol. 214, Col. CLIX.

(٦١) Claud Cahen, La Syrie du Nord, p. 605.

(٦٢) بعث سوفريد بالمؤرخ سيكارد الى كل من بوهيمند وليو . واضطر قسطنطين دى كاما رديامى «Constantin de Camardias» ابن عم ليو ومبعوثه الى الذهاب الى عكا بحرا كما ارسل بوهيمند جيوفرى «Geoffroy» اسقف طرابلس نيابة عنه . ورفض سوفريد تلبية طلب المبعوث الارمينى باصدار قرار الحرمان ضد بوهيمند الذى لم يات مبعوثه باعذار مقبولة لعدم حضوره او بدفاع جدى عن حقوقه . وأعلن سوفريد ميله الى جانب ليو ، الا ان معارضة كبير أساقفة قيسارية والمؤرخ سيكارد جعلت من حرمان بوهيمند أمرا مستحيلا . بينما رفع قرار الحرمان السابق ضد ليو . انظر :
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Col. 509.

(٦٣) Innocent III, Regesta, in P.L., Vol; 214, Col. CLIX.

(٦٤) Innocent III, Regesta, in P.L. Vol. 215, Col. 699.

الازمة قد خرجت من هذه المفاوضات الطويلة أكثر تعقيدا عن ذى قبل وأيضا أكثر تعميما . فقد ارتبط الصراع من أجل انطاكية بمختلف الصراعات التى كانت تمزق الشرق الادنى وقتها . فلم يتمتع بوهيمند الرابع بتاييد الداوية وقومون انطاكية فقط بل أيضا بتاييد الملك الظاهر وسلاجقة قونية ، بينما تمتع ليو بتاييد بطريرك انطاكية والاسبتارية بالاضافة الى تاييد الملك العادل(٦٥) . ففى نهاية عام ١٢٠٤م/جمادى أول ٦٠١هـ ، زادت الامور تعقيدا بالنسبة لبوهيمند ، وذلك بدخول عنصر جديد من عناصر الخلاف الى الصراع بين بوهيمند والارمن . فكان على بوهيمند ، الى جانب مقاومته لمطامع ليو فى امارته ، أن يقاوم ثورة اقطاعية قامت ضده فى اقليم طرابلس قام بها رينوار «Renoart» (٦٦) حاكم نيفين(٦٧) الذى جذب بتمرده على سيده بوهيمند عناصر أخرى الى مشكلة انطاكية بالرغم من أن المشكلة بينه وبين أمير انطاكية كانت اقطاعية بحتة . فقد تزوج رينوار هذا من ايزابيلا «Isabella» ابنة استيفورت «Astefort» حاكم حصن عكار(٦٨) دون الحصول على موافقة سيده

---

(٦٥) أعلن البابا أنوسنت الثالث ذلك فى خطابه الى فيليب ملك فرنسا فى عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، مع أن الملك العادل لم يدل بدلوه فى مشكلة انطاكية قبل ١٢٠٨م/٦٠٤هـ . وربما كان ذلك توقعا من البابا . وان كان كذلك فانه يكون قد اثبت بعد النظر . انظر:
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Col. 698.

(٦٦) كان ول حكام نيفين هو رينوار دى نيفين الذى صحب الملك عمورى الاول الى القسطنطينية فى ١١٦٩م . وثانى الحكام كان ابنه ريموند الذى انجب ثلاثا - الاولى اجلانتين «Eglantine» وتزوجت من روهارت «Rohart» حاكم حيفا . وهلفيس التى تزوجت حنا ابلين حاكم بيروت العجوز ، وأخيرا رينوار الثانى الذى ثار ضد بوهيمند الرابع . انظر :
C.F. Ducange, Les Familles d'Outremer, ed. E. Rey, Paris, 1869, pp. 223, 413-141; J. L. LAMONTE, John Ibelin the old Lord of Beirut, in B. Vol 12., p. 420.

(٦٧) وهى مدينة أنف الحجر الحالية وتقع على بعد ١٦ كيلو مترا جنوبى طرابلس - انظر :
Dussaud, Topographie, p. 77.

(٦٨) حصن عكار يقع شمال شرقى طرابلس - انظر :
Eracles, p. 314, Duassaud, Topographie, p. 88.

بوهيمند كما تقضى القوانين الاقطاعية فى الشرق الفرنجى(٦٩) . ولما رأى بوهيمند أن فى ذلك اهانة له ، فقد أمر باستدعاء رينوار ليمثل أمام محكمة الامير فى طرابلس التى أقرت بأن رينوار قد ارتكب خطأ فى حق سيده بوهيمند ، وأقرت حق بوهيمند فى الاستيلاء على اقطاعيات تابعه ، وبقى ان يتحول هذا الى امر واقع . الا أن رينوار لم يمثل امام المحكمة فبدأ بوهيمند يعدنفسه للقيام بعمل كبير ضد تابعه من ناحية وضد ملك أرمينيا من ناحية أخرى(٧٠) . لذا نجده قد سعى الى توثيق عرى الصداقة بينه وبين سادة جبيل والجنوية ايضا ، بمصاهرة صاحب جبيل(٧١) ، بمنح الجنوية مزيدا من الامتيازات فى انطاكية وطرابلس على ان يحصل منهم على مساعدة مالية مقدارها ثلاثة آلاف دينار بيزنطى(٧٢) وسفينتين شراعيتين وثلاثمائة مقاتل(٧٣) . كما عمل بوهيمند أيضا على التقارب

---

(٦٩) Eracles, p. 314.

(٧٠) Eracles, p. 314-315.

(٧١) تزوج جى حاكم جبيل من أليس Alice شقيقة بوهيمند الرابع الذى كان قد تزوج من بليزانس Plaisance شقيقة جى فى فى ديسمبر ١٢٠٤م . انظر :

E.G. Rey, Les Seigneurs de Giblet, in R.O.L., Vol. 3, Paris 1895, p. 402.

(٧٢) كان الدينار البيزنطى «Solidus» مساويا فى وزنه للدينار الاسلامى (٤٫٢٥ جرام ذهبا = ٦٦ حبة) الذى ضربه لأول مرة عبد الملك بن مروان فى عام ٧٤ — ٧٥ من الهجرة . وكانت العملات البيزنطية والفاطمية تتمتعان بثقة التجار الايطاليين أكثر من الدينارات الايوبية التى لم تكن بدرجة نقاء سابقيتها الا انها كانت مقبولة لدى الاوربيين أكثر من الدينارات الذهبية التى ضربها الصليبيون فى بلاد الشام كعملة رسمية لامارتهم بدلا من العملات الفضية التى سادت اوربا زمن الحروب الصليبية . واختار الصليبيون فى ضرب ديناراتهم أن يقلدوا الدينار الفاطمى لشدة نقائه عن الدينار العباسى . الا أن الدينار الصليبى لم يرق الى مستوى العملات الاسلامية أو البيزنطية . انظر : ناصر النقشبندى : الدينار الاسلامى ، مجلة سومر ، بغداد ١٩٤٥ ، ج ٢ ، ص ١١٨ — ١١٩ . راجع أيضا :

A.S. Ehrenkreutz, Arabic Dinars Struck by the Crusaders, in J.E.S.H.O. 1964, pp. 169-170, 175-180; R.S. Lopez, Back to Gold, in E.H.R. Vol. 9, 1957, pp. 219-221

(٧٣) قدم بوهيمند الى هنرى بسكاتورى «Henry Piscatore» دوق =

مع الاسبتارية ، بأن شجع حملة قامت بها الجماعة على أملاك الظاهر صاحب حلب دون أن يشترك بوهيمند نفسه فى ذلك حرصا منه على أن يبدو مواليا للملك الظاهر الذى يسانده دائمـا ضد ليو الثانى . الا أن مشروع جماعة الاسبتارية هذه المرة كان يختلف عن مشروعاتهم السابقة والتى كانت بمثابة مجرد غارات ضد المسلمين فى حمص وحماة وشبيهة بغارات الملك عمورى نفسه ، التى لم تكن الا استغلالا لهدوء المسلمين بسبب ورود الاخبار بقرب وصول الحملة الصليبية المرتقبة الى بلاد الشام . والتى لم تكن فى ذات الوقت الا مجرد مظاهرات عسكرية يقوم بها الملك ليحفظ مكانته بين المسلمين والصليبيين على السواء(٧٤) . ولم يكن هذا

— مالطة ، الذى كانت تتبعه السفن التى ساعدت بوهيمند ضد سيد نيفين ، حرية التجارة فى انطاكية وطرابلس الى جانب تأكيده لكل امتيازات الجنوية فى الامارة والكونتية التى سبق ومنحوا اياها هناك . الى جانب منحهم شارعا وحماما وكنيسة ومحكمة خاصة بهم فى طرابلس ، ويفهم من ذلك أن الجنوية كانوا يهيمنون على جزيرة مالطة فى ذلك الوقت بينما كان قائد الاسطول الذى ساعد بوهيمند كان يدعى البرتو جالينا Alberto Gulina انظر :
Ogriipanis Annales, in M.G.H., Vol. 18, p. 124-128; Rohricht, Regesta, no, 807, pp. 215-216; Heyd, Histoire de Commerce, t. 1 pp. 322-323.

(٧٤) فى ١٧ مايو ١٢٠٣م/٣ رمضان ٥٩٩هـ تمكن المنصور صاحب حماة من هزيمة الاسبتارية الذين هاجموا بعسرين ، كما تمكن فى ٣ يونية ١٢٠٣م/٢١ رمضان ٥٩٩هـ من هزيمتهم مرة أخرى . الا أن الاسبتارية هاجموا حماة نفسها ونهبوا بلدة « الرقيطا » المجاورة للباب الغربى لحماة فى العام التالى واسروا كثيرا من المسلمين بعد أن هزموا قوات المنصور . كما أغار الاسبتارية فى نفس الصفة على حمص . أما الملك عمورى فانه قام بغارة على مصر فى ٢٠ مايو ١٢٠٤م/١٨ رمضان ٦٠٠هـ ، فوصل بصحبة سبعين سفينة الى فرع رشيد ونهب رجاله مدينة « فوة » . وكان الملك عمورى قد أغار على اقليم الاردن وعزم على قصد بيت المقدس لولا خروج العادل لصده ، وتم الاتفاق بينهما على عقد هدنة فى سبتمبر ١٢٠٤م/محرم ٦٠١هـ تنازل بمقتضاها الفرنج عن نصف كل من صيدا واللد والرملة الخاص بالمسلمين ، الى جانب يافا التى كان قد استولى عليها منهم زمن الحملة الالمانية فى ١١٩٧م/٥٩٣هـ حين استولوا على بيروت . انظر . ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٩٠ — ٩٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ — ١٦٢ ، وأيضا:سعيد =

النوع من الاعمال ضد المسلمين ليهم بوهيمند الذى كان يضمن عدوء أقرب المسلمين اليه وهو الملك الظاهر بتحالفه معه . الا أن مشروع الاسبتارية هذه المرة كان ضد اللاذقية التى كان استيلاء الفرنج عليهـا يؤدى الى اعادة ربط أملاك بوهيمند فى انطاكية وطرابلس وخاصـة من ناحيـة الساحل . لذا لم يجد بوهيمند غضاضة فى منح الاسبتارية عدة امتيازات بسيطة فى الوقت الذى سيبدو فيه هو بعيـدا عن الشبهات أمام ملك حلب(٧٥) . وفى ربيع عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، قام الاسبتارية من حصن الاكراد بهجوم على اللاذقيـة وجبلة ، واستطاعوا أن يجـذبوا قوات المسلمون فى جبلة الى كمين ، وقتلوا من المسلمين جماعة كثيرة ، وعادوا الى طرابلس وقد ملأوا أيديهم بالسبى والغنـائم(٧٦) . وبذلك ضمن بوهيمند حياد الاسبتارية فى خلافه مع تابعه صاحب تيفين ، خاصـة وأن الاخير كان يتمتع بتأييد كل معارضى بوهيمند وخصومه وكان أول هؤلاء بطبيعة الحال هو ليو الثانى الذى رحب بالتحالف مع رينوار ليستطيع

= عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٤٤ ، راجع أيضا :
Eracles, pp. 259-263.

(٧٥) فى ديسـمبر ١٢٠٤م وفى مارس ١٢٠٥م على التـوالى ، وعد بوهيمند كلا من جى حاكم جبيل والاسبتارية بريع وعقارات من الاراضى فى اللاذقية وحصن صهيون اذا ما « ردها الله اليهـم » انظر :
Cartulaire, Vol. 2, no. 1215; Rilley-Smith, The Knights of St. John, p. 138.

(٧٦) ذكر هذه الوقعة من المؤرخين المسلمين ابن واصـل والمقريزى ، وكلاهما ذكر خروج الاسـبتارية من طرابلس ومن المؤكد أن المقصود اقليم طرابلس الذى تقع فيه أملاك الاسبتارية فى حصن الاكراد وحصن المرقب . ومن المؤكد أن المسلمين لم يتاكدوا من تورط بوهيمند فى أعمال الاسـبتارية . والدليـل على ذلك أن هجمة الظاهر التالية وجهت الى أملاك الاسبتارية فى حصن المرقب الذى هاجمه عسكر الظاهر بقيادة مبارز الدين اقجا الذى تمكن من هدم احد أبراج الحصن أعلى الباب المواجه للساحل ، وكاد المسلمون يفتحون الحصن لولا مقتل قائدهم ، وذلك فى أعقـاب غارة الاسبتارية على اللاذقية وجبلة . انظر : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ ، المقريزى : السلوك ، جـ١ قسم ١ ، ص ١٦٥ — ١٦٦ .

تطويق خصمه من شمال انطاكية وجنوبها(٧٧) .والى جانب ليو كان هناك من يؤيدون رينوار من بين سادة الفرنج فى فلسطين ، والذين كانوا معارضين لمزاعم بوهيمند فى السلطة . وكان من بين هؤلاء راؤول «Raoul» حاكم طبرية ، الذى كان شقيقه ايودز «Eudes» فى ذلك الوقت يعمل فى خدمة ليو فى ارمينيا(٧٨) . وأخيرا كان هناك الملك عمورى الثانى الذى حقد على بوهيمند بسبب افساد الاخير لمحاولة عمورى فى حل مشكلة انطاكية التى اشترك فيها بنفسه بصفته ملكا لبيت المقدس(٧٩) . وبهذا التأييد تشجع رينوار وقام بالاعتداء على أملاك سيده فى اقليم طرابلس لعدة أشهر حتى اقترب من ابواب المدينة ، ولم يكن بوهيمند موفقا فى صد تابعه المتمرد ومؤيديه وانتهى الامر بمعركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بوهيمند وانسحابه ، ومقتل صهره هيو شقيق جى صاحب جبيل وذلك فى مارس ١٢٠٥م/رجب ٦٠١هـ(٨٠) . وفى الوقت الذى يأس فيه بوهيمند من نجاح خططه وبدأ يفكر فى استمالة رينوار ، مات الملك عمورى الثانى فى أول ابريل ١٢٠٥م/ ٣ شعبان ٦٠١هـ(٨١) ليفقد رينوار أهم سند له . فقد تولى امور مملكة

---

(٧٧) Eracles, p. 314.

(٧٨) كان راؤول حاكم طبرية منافسا للملك عمورى الثانى على العرش . وفى ١١٩٨م اتهمه ،ذلك بأنه مدبر محاولة اغتياله . فقام بنفيه من المملكة ، فاتجه راؤول الى طرابلس حيث رحب به بوهيمند ، واقطعه اقطاعا هناك الا أنه بعد فشل ثورة رينوار ، اتجه راؤول مع أخيه أيدز الى القسطنطينية ، ثم عاد الى عكا بعد موت عمورى الثانى واشترك مع حنا ابلين فى الحملة الخامسة على مصر ثم مات فى عكا بعد ١٢٢٠م . انظر :
Eracles, pp. 230-231; 314-315; Ernoul pp. 311, CF. also, Rilley Smith, The Feudal Nobility, pp. 156-159.

(٧٩) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٦٤ .

(٨٠) Eracles, p. 315; Gestes des Chiprois, p. 663;

(٨١) مات الملك عمورى الثانى لوزينان اثر تناوله وجبة سمك ، ولحقت به زوجته ايزابيلا التى تركت خمسة أطفال من الاناث تولت ماريا ابنة ايزابيلا من كونراد مونتفرات وكبرى البنات عرش المملكة وتقرر تعيين حنا ابلين حاكم بيروت وصيا عليها . وبذلك يكون قد انفصل تاجا مملكتى قبرص وعكا بموت عمورى الثانى بعد أن آل عرش مملكة قبرص الى ابنه هيو الاول من اشيفا «Escheva» ، احدى سليلات أسرة ابلين ، الذى كان فى العاشرة =

بيت المقدس حنا ابلين Jhon of Ibelin حاكم بيروت(٨٢) . والذى أظهر العداء لرينوار بالرغم من الروابط الاسرية بينهما(٨٣) . الى جانب ذلك فقد حصل بوهيمند على مساعدة الجنوية الذين أمدوه بثلاث سفن حربية واربعمائة مقاتل قادمين من مالطة لحصار نيفين(٨٤) . وفى شتاء عام ١٢٠٥م/٦٠٢هـ قام بوهيمند بحصار رينوار الذى حاول أن يقاوم الا أنه لم يستطع الصمود أمام قوات بوهيمند والجنوية الذين استولوا على نيفين وأسر رينوار بالرغم من اصابة بوهيمند بسهم أثناء القتال افقده احدى عينيه(٨٥) . وعندما وصل الملك المجاهد أسد الدين صاحب حمص بقواته لنجدة رينوار الذى استغاث به ، لم يستطع عمل شىء لسقوط الحصن فى أيدى بوهيمند . فأغار على ضواحى طرابلس حتى حصن الاكراد . «وأخذ من الغنم والمواشى ما لا يحصى»(٨٦) . ثم سلم رينوار حصن جبل عكار

= من عمره وكان الوصى عليه والترمونت بليار كندسطبل مملكة عكا وزوج شقيقته الكبرى بورجون : «Bourgogne» انظر :
Eracles, p. 305; Ernoul, p. 407; Gestes des chiprois, p. 663, Marino Saundo, Liber, p. 205. CF. also, Hill, A History of of Cyprus, pp. 66, 73-74.

(٨٢) حنا ابلين هو ابن باليان الثانى ابلين ، الابن الثالث لباليان الاول الذى جاء الى الشرق مع الملك فولك فى ١١٣١م ، وكان باليان الثانى قد تزوج ماريا كومنين ابنة شقيق مانويل كومنين وأرملة الملك عمورى الاول . لذا يعتبر حنا ابلين حاكم بيروت أخا غير شقيق للملكة ايزابيلا من أمها ماريا كومنين . ويطلق عليه سيد بيروت العجوز تمييزا له عن ابن أخيه حنا ابلين حاكم يافا وواضع مؤلف عن قوانين وعادات مملكة بيت المقدس . انظر :
J. La Monte, John d'Ibelin the Old Lord of Beirut, in B. Vol. 12, pp. 418-419.

(٨٣) تزوج حنا ابلين من هلفيس Helvis شقيقة رينوار قبل زواجه من ميليسند دى أرسوف . أنظر :
Ducange, Familles, p. 222.

(٨٤) Eracles, p. 315.

(٨٥) بدأت المصادر الصليبية تطلق على بوهيمند الرابع لقب بوهيمند « الاعور » «Le Borgne» منذ ذلك الحين . انظر :
Eracles, p. 315; Gestes des chiprois, p. 663; Ann. T.S., p. 435; Ogeriipanis Annales, in M.G.H.SS., Vol. 18, p. 124; Marino Sanudo, p. 205.

(٨٦) لم يذكر استنجاد رينوار بالمسلمين سوى حوليات أوجر واكد ذلك =

الى بوهيمند(٨٧) الذى تفرغ لصد هجمات ليو على انطاكية التى لم يحفظها من السقوط فى ايدى الارمن اثناء انشغال بوهيمند فى قمع ثورة نيفين سوى نجدة الملك الظاهر لها . ففى صيف عام ١٢٠٥م/٦٠١هـ ، وبعد أن أعاد ليو بناء قلعة قديمة فى الممر الواقع شمالى حصن دربساك لتهديد المسلمين فيه ، قام بالهجوم على التركمان النازلين باقليم العمق « فاخذ منهم عالما لا يحصى ، واستاق نعمهم ومواشيهم ، وسار الى دربساك ، فحرق ربضها ، وعاد الى بلاده »(٨٨) ، كوسيلة للضغط على الملك الظاهر ، ولحمله على التخلى عن بوهيمند ، ولتحييده بخصوص الصراع حول انطاكية ، عرض ليو على الظاهر أن يرد اليه ما أخذه من اقليم العمق على أن « يخلى بينه وبين انطاكية »(٨٩).واظهر صاحب حلب قبوله لعرض ليو الذى جاء لحصار أنطاكية التى عانت من هذا الحصار ووقع فيها غلاء عظيم ، الا أن الظاهر استمر فى امدادها بالمؤن حتى قويت(٩٠) . وربما يثير تصرف الظاهر تساؤلا لماذا ترك ليو منذ البداية يهدد انطاكية دون التصدى له ، بينما اكتفى بامداد اللاتين فيها بالمؤن ؟ . والرد على هذا التساؤل يكمن فى أن الظاهر الذى استشعر - دون أن يتأكد - اخلال بوهيمند لمواثيقه معه ، واشتراكه مع الاسبتارية فى الاعتداء على جبلة واللاذقية فى العام الماضى ، أراد أن يشعر بوهيمند بحاجته لمساعدة مسلمى حلب التى مازالت ضرورية للحفاظ على امارته من السقوط فى أيدى الارمن ، ليبقى بوهيمند على ولائه لتحالفه مع الظاهر،فحتى هذه اللحظة كان الظاهر نفسه يحتاج لبوهيمند.فهومن جهة لم يكن يطمئن لمشاعر عمه العادل نحوه ، ويخبرنا ابن واصل بأن الظاهر كان لايزال على خوفه من العادل فى عام ١٢٠٧م/٦٠٣هـ(٩١).

= ذكر ابن واصل لغارة المجاهد . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ . راجع أيضا :
Ogeriipanis Annales, p. 124.

(٨٧) بعد البقاء فترة فى سجن بوهيمند توجه رينوار الى قبرص وعاش هناك حتى موته انظر :
Eracles, p. 315.

(٨٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧٠ .

(٨٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .

(٩٠) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .

(٩١) ترددت الرسل بين الملك الظاهر ، وعمه الملك العادل ، =

ومن جهة أخرى فان الظاهر لم تكن لديه الامكانيات التى يستطيع بها أن يصد هجوم الارمن عن انطاكية ، وفى نفس الوقت يحتفظ بجزء منها فى حلب دفاعا عنها ضد أى هجوم من العادل عليها فى محاولة لأخذها لنفسه ، الامر الذى كان يخشاه الظاهر دائما ، لذا نجده يطلب المدد من بوهيمند ضد الارمن بعد قليل . كما نلمس عدم خروجه بنفسه لمساعدة العادل ضد الفرنج فى العام التالى(٩٢) . الا أن تصرف الظاهر أثار حفيظة ليو الذى وجد أن ملك حلب قد اضاع عليه فرصة الاستيلاء على انطاكية مرتين(٩٣) . وفى يوم الميلاد ٢٥ ديسمبر ١٢٠٥م/١ جمادى الاولى ٦٠٢هـ ، هاجم ليو المسلمين فى حصن دربساك ، وصده المسلمون بعد قتال شرس بين الطرفين ، فاجتاح ليو السهل المجاور للحصن ثم تراجع بقواته الى دروب جبل اللكام مستدرجا خلفه قوة من المسلمين الذين هلكوا بسبب عاصفة ثلجية(٩٤) ، فبعث الظاهر بالتعزيزات بقيادة ميمون القصرى(٩٥) الى حارم ، وبعث بقوة أخرى بقيادة سيف الدين بن علم الدين الى تيزين ، بينما كان ابن طمان يدافع عن دربساك ، واستمرت المناوشات بين الارمن فى بغراس والمسلمين فى دربساك الى أن خرج الظاهر بنفسه فى ابريل ١٢٠٦م/شعبان ٦٠٢هـ(٩٦) . الى حارم ثم الى جسر الحديد حيث طلب من انطاكية عشرة آلاف من المشاة الفرنج ليهاجموا ليو من جهة الجنوب بينما يهاجمه هو من جهة الشرق(٩٧) . كما بعث الظاهر الى عمه العادل يطلب المساعدة ، واستطاع أن يصد هجوم الارمن عند مرج دابق بعد وصول فرقة انطاكية(٩٨) . ولما

= ومكاتبات ، ومعاينات استشعر منها الملك الظاهر . انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٧٤ .

(٩٢) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٢٧٩ .

(٩٣) كانت المرة الاولى فى عام ١٢٠٣م/٦٠٠هـ . انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٦٥ .

(٩٤) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(٩٥) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١١١ — ١١٢ .

(٩٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(٩٧) ابن واصل : مفرج الكروب : جـ ٣ ، ص ١٧١ .

(٩٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ — ١٥٨ . انظر خريطة رقم (٤) .

تحول الظاهر والانطاكيون الى الهجوم ، ولما كان ليو يخشى المجازفة بالتعـرض لغزو اســلامى فرنجى فى قيليقية ، فقد طلب الصلح من الظاهر « على أن يهدم الحصن الذى بناه فى مواجهة دربساك ، وأن يرد جميع ما أخذه فى الغارة ، ويرد جميع أسارى المسلمين الذين فى يده ، وأن لا يتعرض لانطاكية وقرر الصلح الى ثمانى سنين » وذلك فى اغسطس ١٢٠٦م/محرم ٦٠٣هـ(٩٩) . وهكذا تحول الصراع بين بوهيمند الرابع وليو الثانى الارمينى حول انطاكية من خلافات بين المسيحيين وبعضهم البعض الى حرب سافرة بين ملك حلب وملك رمينيا .

وجاء دور بطريرك انطاكية اللاتينى بطـرس كى يدلو بدلوه فى تعقد المشـكلة وفى جذب أطراف أخرى اليهـا من مسلمين وصليبيين ، لتحل مشكلة انطاكية محل الصراع الصليبى الاسلامى فى الشرق الادنى ، ولتصبح هى قضية الساعة وحجر الزاوية فى تاريخ العلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين خلال الفترة التى تلت الحملة الثالثة حتى قدوم الحملة الخامسة ، اى ما يقرب من ستة عشر عاما كانت فيها مشـكلة انطاكية هى المتنفس الوحيد للطرفين . ففى الوقت الذى تصالح فيه الملك الظاهر مع ليو الثانى لم يكن البابا انوسنت الثالث قد تخلى عن محاولة حسم الخلاف بين بوهيمند وليو(١٠٠) . ففى نهـاية ١٢٠٥م/٦٠٢هـ

---

(٩٩) ابن واصل : مفـرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٧١ ، أبو شـامة : الذيل على الروضتين ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ٥٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٥٨ .

(١٠٠) حتى يتجنب البابا معارضة أطراف النزاع العلمـــانيين ورجال الدين كلف فى مارس من عام ١٢٠٥م الى جانب بطــرس دى لوسيديو «Pierre de Locédio» (بطريرك انطاكية فيما بعـد) واحد أساقفة جبل تابور اثنين من العلمــانيين هما برتولد دى كاتزنلنبـــــون «Berthold De Katzenellenbogen» وشخص آخر يدعى جيراردى فورنيفال «Gérard De Fournival» على أن يـحققوا اتفاقا ما بين بوهيمند وليو خلال ثلاثة اشهر واعطاهم سلطة حرمان من يرفض فترة الهدنة اثناء التحكيم ، وكتب الى ليو يعلمه كيف أن هذا فى صالحه . ولم يفلح فى ذلك : انظر :
Potthast, Regesta, Vol. I, nos. 2429, 2430;
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215, Cols. 156-157; Rohricht, Regesta, no. 802, p. 214.

كلف البابا بطرس كابوانو بالعودة مرة أخرى الى الشرق ليرعى مصالح كنيسة بيت المقدس التي هجرها البطريرك الى القسطنطينية في ١٢٠٣م/ ٥٩٩هـ مع غيره من اللاتين العلمانيين ورجال الدين الذين جذبتهم المغانم البيزنطية ، وايضا ليحل مشكلة انطاكية(١٠١) ٠ الا ان المبعوث البابوى ما لبث أن دخل في خلاف مع بطريرك انطاكية بطرس انجوليم حول بعض الوظائف الكنسية ، وانتهى الامر بان اصدر المبعوث البابوى قرار الحرمان ضد البطريرك وحرمه من كل سلطاته الكنسية في انطاكية وذلك في ٣ فبراير ١٢٠٦م/٢٦ جماد ثان ٦٠٢هـ(١٠٢) ٠ وزاد ذلك من دقة موقف البطريرك الذي كان قد فقد عطف قومون انطاكية ايضا بسبب تجاهله لحقوق الجالية اليونانية في انطاكية ، والتي كانت تشكل الاغلبية العظمى من سكان المدينة ، والمعارضة لقرارات القومون(١٠٣) ،

---

(١٠١) مات عمورى الراهب بطريرك بيت المقدس في ١٢٠٢م ورشح بطرس اوف ليموج رئيس اساقفة قيسارية لمنصب البطريرك الا أن سوفريد لم يوافق على هذا الترشيح ، واختير هو نفسه بطريركا لبيت المقدس حتى رحل الى القسطنطينية في ١٢٠٣م ٠ وبقى منصب بطريرك بيت المقدس شاغرا الى جانب موت الملك عمورى في أول عام ١٢٠٥م وزوجته ايزابيلا فرأى البابا ضرورة تعيين بطريرك لبيت المقدس في الوقت الذي لم يكن هناك من يرعى مصالح المملكة او الكنيسة ، حتى عين البرت اسقف فيرسللى بطريركا لبيت المقدس (١٢٠٥ - ١٢١٤م) ولم يصل هذا الى الشام الا في ١٢٠٦م - انظر :
Hamilton, The Latin Church, pp. 248-250.

(١٠٢) شغر منصب رئيس شمامسة انطاكية بموت شاغله غرقا فعين البطريرك أحد أولاد أخيه الذي لم يكن قد بلغ السن الذي يسمح له بشغل المنصب ، بينما عين المبعوث البابوى شخصا يدعى جان ، ورفض تعيين ابن شقيق البطريرك - انظر :
Innocent III, Regesta in p. l., Vol. 215, Cols. 1278-1282; Pothast, Regesta, t. I, no. 3265.

(١٠٣) يذكر تاريخ هرقل أن بوهيمند قد جمع « الفرسان والاعيان الآخرين في ١٢٠١م ولم يذكر رجال الدين مما يدل على توقف هؤلاء عن الاشتراك في نشاط القومون منذ تولي بوهيمند الرابع للحكم ٠ الى جانب ان القومون قد اتخذ من اشتراك رجال الدين (ولو اسميا) في القومون ذريعة لاجبارهم على الافاء بالالتزامات المالية التي تؤديها الجاليات الأخرى بانطاكية ، ولاخضاعهم للقضاء العلماني على الاقل اذا كان الشاكي علمانيا ٠ ولا جدال ان الكنيسة اللاتينية لم تكن لتسمح بمثل هذا التعدي على =

الى جانب كره اللاتين واليونانيين فى انطاكية للارمن حلفاء البطريرك .
وجاءت قرارات المبعوث البابوى ضده كى تزيد من حرج موقفه . ولم يكن بوهيمند الرابع وأعضاء قومون انطاكية يطعمون فى فرصة افضل من هذه . فاستولى بوهيمند على العديد من ممتلكات الكنيسة وذهب الى ما هو ابعد من ذلك بتعيينه لبطريرك يونانى لكنيسة انطاكية يدعى سيمون الثانى «Simon II» ، الامر الذى ناضل من اجله اباطرة الدولة البيزنطية من قبل دون طائل . وأدى ذلك الى التقارب بين المبعوث البابوى والبطريرك اللاتينى الذى عادت اليه سلطاته ، فاصدر قرار الحرمان ضد كل من بوهيمند والبطريك اليونانى وامارة انطاكية أيضا(١٠٤) الا أن هذا لم يكن ذا تأثير لأن منافسيه من أعضاء القومون اللاتين واليونانيين والامير قد اعترفوا بمنافسه البطريرك اليونانى(١٠٥) . ودفع ذلك البطريرك الى اتخاذ تدابير مضادة لبوهيمند . فقد بدأ يعد لقيام ثورة فى انطاكية تاييدا لريموند روبين فى الوقت الذى كان ليو قد ربط فيه طرفا آخرا من أطراف الصراع بقضية انطاكية ولكن لصالح حفيد أخيه ، وكان هذا الطرف هو جماعة الاسبتارية التى طالما حاول بوهيمند تحييدها بينه وبين ليو(١٠٦) . وقرب نهاية عام ١٢٠٧م/منتصف عام ٦٠٤هـ ،

= حقوقها وامتيازاتها العادية . وكان من الطبيعى أن يلقى هذا الموقف اللادينى من القومون تأييد بوهيمند الذى كان يسعى الى تاكيد حقوقه ودخله بالاضافة الى مصيره الذى كان يرتبط بولاء أعضاء القومون له ، مما دفع البطريرك الى تاييد حقوق ريموند روبين فى حكم انطاكية . انظر :

Eracles, p. 313; Innocent III. Regesta, in P.L., Vol. 214, Cols. 512; Cf; also, Rey Histoire des Princes d'Antioche, p. 344.

(١٠٤) وردت رواية هذه الاحداث فى رسالة البابا انوسنت الثالث الى البرت اوف فيرسللى بطريرك بيت المقدس فى ٥ يناير ١٢٠٨م . انظر :

Innocent III. Regesta, in P.L., Vol. 215, Cols; L 278-1282.

(١٠٥) B. Hamilton, The Latin Church in the crusader states, p. 218.

(١٠٦) فى ٢٢ مايو ١٢٠٧م منح ريموند روبين (بتاثير من ليو الثانى) مدينة جبلة (وهى فى أيدى المسلمين فى ذلك الوقت) لجماعة =

قامت ثورة ضد بوهيمند بتحريض من البطريرك ، والاسبتارية ، وكثير من النبلاء المعادين لبوهيمند والذين ادخلهم البطريرك سرا الى المدينة ، وبمساعدة هؤلاء فتحت ابواب انطاكية لقوات ليو وريموند روبين ، واحتل الثوار والارمن الجزء الاسفل من المدينة ، واستقبل البطريرك ريموند روبين فى كنيسة القديس بطرس واعترف به اميرا لانطاكية ، بينما لجا بوهيمند الى القلعة التى يحرسها فرسان الداوية لمدة ثلاثة ايام تمكن بعدها وبمساعدة الداوية من مباغتة الارمن وسحق الثوار وطرد الارمن من المدينة الى حصن بغراس(١٠٧) مع الموالين لهم من نبلاء انطاكية(١٠٨) وفى اعقاب هذا النصر ، اعتقل بوهيمند البطريرك ، وحاول أن ينتزع منه اعترافا بشرعية حكمه للامارة ، وأمام رفضه العنيد ، ألقاه بوهيمند فى السجن حيث مات بعد شرب زيت المصباح لشدة العطش ، وذلك فى ٨ يوليو ١٢٠٨م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٤هـ

= الاسبتارية وكل ما يحيط بها من أملاك ، وأكد ليو بخاتمة هذه الوثيقة ونلاحظ انه من بين من شهدوا على تحريرها كان روبرت مانسل كندسطبل انطاكية (١٢٠٧ — ١٢١٩) مما يدل على أن النبلاء اللاتين من انطاكية كانوا متواطئين مع ليو ضد بوهيمند الرابع الذى لم يعرف ذلك عن الكثيرين منهم . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 823. p. 220. Rey. Les Dignitaires de la pricipaute d'Antioch, p. 119.

(١٠٧) يضع هيثوم وحوليات بيت المقدس وتاريخ أعمال القبارصة هذه الوقائع فى يناير ١٢٠٨م/رجب ٦٠٤هـ . ولما لم يعلم البابا بهما الا فى فبراير من نفس السنة عن طريق رسالة من البرت دى فيرسيللى «Albert De Vercelli» بطريرك بيت المقدس (١٢٠٥ — ١٢١٤م) ، ومع ندرة عمليات السفر الى أوربا فى فصل الشتاء ، فيمكن افتراض وجود فاصل زمنى ملحوظ بين حدوث هذه الوقائع وبين روايتها فى أوربا . انظر :

Héthoum de Gorigos, Table Chronologique, in R.H.C-Doc. Arm., Vol. 1, p. 479; Ann. T.S, p. 436; Gestes des chiprois, p. 664, Innocent III, Regesta, in p. L., Vol. 215. Cols. 1321-1323.

(١٠٨) يمدنا المؤرخ الارمينى سمباد باسماء الكثيرين من نبلاء انطاكية اللاتين ، الذين لجاوا الى قيليقية فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى فى أواخر أيام بوهيمند الثالث وسيطرة بوهيمند الرابع على الامور فى انطاكية فى حياة والده . انظر : =

وبموت بطريرك انطاكية يكون بوهيمند قد تخلص من حد مناوئيه (١٠٩) .

الا ان البطريرك لم يقتصر دوره على التحريض للثورة ضد الامير ، بل انه كان قد ادخل فرسان الاسبتارية فى دائرة الصراع نفسه ، كما فعل ليو (١١٠) . فقام الاسبتارية بالهجوم على حمص فى محاولة للاستيلاء عليها من جهة ، ومن جهة أخرى لشغل المسلمين وخاصة الظاهر ، عن مساعدة بوهيمند ، واختاروا لذلك توقيتا مناسبا كانت فيه الخلافات بين بوهيمند والبطريرك على أشدها . ففى ربيع سنة ١٢٠٧م/٦٠٣هـ أغار الاسبتارية من حصن الاكراد على اقليم حمص وحاصروا المدينة نفسها ، فاستنجد صاحبها المجاهد أسد الدين شيركوه بالملك الظاهر غازى الذى أرسل اليه قوة منعت عنه الاسبتارية (١١١) . واثارت اعتداءات الاسبتارية على حمص الملك العادل الذى لم يكن قد نسى بعد اعتداءات القبارصة على السفن الاسلامية ، وعدم قدرة حنا ابلين الوصى على المملكة الصليبية على السيطرة على الفرنج ، فخرج العادل من مصر (١١٢) . ووصلت اليه الامدادات من حلب وحمص وحماة وبعلبك والجزيرة حتى بلغت قواته عشرة آلاف فارس عسكر بهم على بحيرة قدس ، وفى مايو ١٢٠٧م/شوال ٦٠٣هـ (١١٣) هاجم حصن الاكراد واشتد فى قتاله واستولى على برج

Sempad, p. 639.

=

(١٠٩) لم يعلم البابا بموت البطريرك الا فى يوليو ١٢٠٨م/ذى الحجة ٦٠٤هـ عن طريق رسالة من بطريرك بيت المقدس مؤرخه فى الرابع من يوليو/التاسع عشر من ذى الحجة من نفس السنة . انظر :
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 215. Cols. 1428-1429.

(١١٠) عهد بطرس الى جماعة الاسبتارية بكل ثروته (فى شكل جواهر) التى كان بوهيمند يسعى للاستيلاء عليها . انظر :
Rilley Smith, The Knights of St. John. p. 155.

(١١١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١٧٢ ، ابن واصل :مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ .

(١١٢) قبل خروج العادل من مصر كان القبارصة قد استولوا على عدة سفن للمسلمين واسروا من فيها . فارسل العادل الى حنا ابلين يطلب رد الاسرى ، فاجاب الاخير بأن « أهل قبرص ليس لى عليهم حكم وأن رجعهم الى الفرنج الذين فى القسطنطينية » ولما قصد العادل عكا اضطر الوصى على المملكة الصليبية أن يرد الاسرى الى العادل . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ١٢٧ — ١٢٨ .

(١١٣) لم يخرج الظاهر بنفسه واكتفى كعادته بارسال فرقة من قواته =

اعناز بالقرب منه(١١٤) ، وأسر منه خمسمائة رجل ٠ ثم توجه الى طرابلس واستولى على حصن القليعات(١١٥) ، ثم نازل طرابلس نفسها وحاصرها « وضيق على اهلها اشد تضييق » ، فبعث اليه بوهيمند « يخضع له ، ويعث له مالا وهدايا وثلاثمائة أسير ، ورغب فى الصلح فصالحه » وذلك فى ٢٧ يوليو ١٢٠٧م/٣٠ ذى الحجة ٦٠٣هـ(١١٦)٠ولما انتهى الامر بين بوهيمند والملك العادل بالصلح ، ولما لم يخسر بوهيمند أكثر مما خسر الاسبتارية حلفاء ليو والبطريرك ، ولما كان الاعتماد على السلطة البابوية ، الامر الذى تبقى امام ليو ، ليس له من تاثير سريع فى ذلك الوقت الا ما يلبى احتياجات كنيسة انطاكية دون احتياجات ليو(١١٧) ، لكل ذلك ، لم يكن امام ليو ، الا الاستمرار فى اعتداءاته على اقليم انطاكية ٠ فقد قام بالاغارة على سهل انطاكية منتزعا أشجار

= كالتزام اقطاعى عسكرى يقدمه مقابل اقطاعه كما هو متبع فى النظام الاقطاعى الايوبى ٠ انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ ٠ راجع أيضا :
Hassanein Rabie, The finanncial System of Egypt, London, 1972, p. 32.

(١١٤) يذكر ابن نظيف أنها طاحونة أعناز ٠ وأعناز بلدة بين الساحل وحمص ٠ انظر : ياقوت الحموى ٠ معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣١٦ ٠ ابن نظيف (أبو الفضائل الحموى) : التاريخ المنصورى (تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان) ، تحقيق أبو العيد دودو ، دمشق ١٩٨١ ، ص ٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ ، المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، قسم١ ، ص ١٦٦ ٠

(١١٥) القليعات : حصن يقع شمالى طرابلس بالقرب من الساحل٠انظر :
R.L. Wolf : and H.W. Hazard, Gazatteer, in Setton, Vol. 2, p. 797.

(١١٦) ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، ص ٥٣ ، العسقلانى (عز الدين أبو البركات) : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط بالمتحف البريطانى ، لوحة ٥٩ ب ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ ٠

(١١٧) كتب البابا الى بطريرك بيت المقدس الذى عينه مبعوثا مقيما بالشرق كى يحسم الخلاف بين ليو وبوهيمند ، وأن يحمل بوهيمند على أن يبعد البطريرك اليونانى ، وأن يعيد بطرس الذى لم يكن قد علم بموته بعد ٠ولما علم بعث الى بطريرك بيت المقدس يطلب منه اجراء انتخاب بطريرك جديد لانطاكية ٠ انظر : —
Innocent III, Regesta, Vol. 215, Cols. 1428-1429.

الفاكهة ، وذابحا المكان ، وناهبا كل الاقليم(١١٨) . ويبدو أن غارة ليو كانت مفاجئة لبوهيمند والملك الظاهر فى نفس الوقت ، الى جانب وجود الملك الاشرف موسى صاحب حران وابن الملك العادل فى ذلك الوقت فى حلب فى ضيافة الملك الظاهر وهو فى طريق عودته من دمشق الى حران . ووجود الاشرف فى حلب ووجود العادل فى دمشق كان من الطبيعى أن يثير مخاوف الملك الظاهر(١١٩) . فانه اكتفى بارسال بعض من قواته بقيادة سيف الدين بن جندر الى السلطان السلجوقى كيخسرو ابن قلج ارسلان(١٢٠) حليف الظاهر ، والذى من المؤكد أن بوهيمند قد استغاث به أيضا ، والذى توجه الى بلاد ليو للضغط عليه . واستولى كيخسرو بمساعدة الحلبيين على حصن برتوس «Pertous» (١٢١) بالامان ، وهاجموا قلاعا أخرى(١٢٢) الامر الذى دفع ليو الى الدخول فى اتفاقية مشروطة ، فقد وافق ليو على أن يرد حصن بغراس الى الداوية ، وأن لا يعرض لانطاكية ، وأن لا يعرض لبلاد السلطان الملك الظاهر(١٢٣) . وبالرغم من ذكر هذه الوقائع بهذا الوضوح ، الا أن المصادر العربية لم تذكر شيئا عن غارة ليو على انطاكية سبب حدوث هذه الوقائع . وقد وضع المؤرخ كلود كاهن غارة ليو فى عام

---

(١١٨) نقل كاهن هذه الرواية عن ابن أبى طى وابن شداد (كتاب الجغرافيا) : انظر : Cahen, La Syrie du Nord, p. 614.

(١١٩) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص ١٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ — ١٨٤ .

(١٢٠) وهو غياث الدين ابن قلج أرسلان . استولى فى عام ١٢٠٤م/٦٠١هـ على قونية من قلج أرسلان ابن أخيه ركن الدين سليمان الذى مات فى العام السابق . انظر : ابن الاثير الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٩١ ، ٩٣ .

(١٢١) حصن برتوس ويسميه ابن واصل بفرقوس وابن العديم برتوس . وهو على بعد ١٥ ميلا من مرعش من جهة الشمال الشرقى . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ . راجع أيضا :
R.L. Wolf and H.W. Hazard, Gazetteer, in Setton, Vol. 2, p. 795

(١٢٢) لم يحددها ابن العديم او ابن واصل . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص ١٨٧ .

(١٢٣) انفرد ابن العديم بذكر تفاصيل الاتفاقية بينما لم يذكرها غيره من المؤرخين : انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .

١٢٠٨م (جماد ثان ٦٠٤ ـ جماد ثان ٦٠٥هـ) وعام ١٢٠٩م (جماد ثان ٦٠٥ ـ ٦٠٦هـ) ، بينما وضع حملة كيخسرو فى ربيع ١٢٠٩م/رمضان/ شوال٦٠٥هـ.وفى كلتا الحالتين،فقد افتقرت روايته الى الصحة.أما عن غارة ليو ، فلابد وأنها وقعت فى عام ١٢٠٨م/٦٠٥هـ ولم تتكرر فى العام التالى له . فليس من المقبول أن ينتظر الملك الظاهر أن يغير ليو على انطاكية دون أن يتحرك الا عند تكرار هذا الهجوم وهو (الظاهر) الذى يهمه وجود بوهيمند حاكما لانطاكية.الى جانب ذلك فان المصادر العربية التى يستشهد بها كاهن فى ذكره لغارة السلاجقة والحلبيين تضع هذه الغارة ضمن أحداث عام ١٢٠٨م/٦٠٥هـ(١٢٤).واذا كان عام ٦٠٥هـ يواكب جزءا من عام ١٢٠٩م ، فان لما أورده ابن واصل بان عودة المسلمين عن بلاد الارمن لم تحدث الا لما « وقع الثلج »(١٢٥) يؤكد أن الحملة انتهت فى شتاء عام ١٢٠٨م/٦٠٥هـ لأن شتاء ١٢٠٩م يقع فى منتصف عام ٦٠٦هـ. ومن هذا كله نخرج بان ليو قد اغار على انطاكية فى خريف عام ١٢٠٨م/ ٦٠٥هـ ، وان حملة السلاجقة والحلبيين ضده كانت فى شتاء العام نفسه. .

واذا كان سلاجقة الروم قد بدوا يدلون بدلوهم فى الصراع حول انطاكية ، فان الملك العادل نفسه بدأ كذلك يتدخل فى نفس الامر ، وكل منهم يسعى لصالحه الخاص ، فالسلاجقة يهمهم أن يحدوا من قوة ليو جارهم المشاكس ، فى الوقت الذى يرى العادل أن خطر ليو فى شمال الشام يشغل الظاهر عن مناوئة عمه . لذا سارع الملك العادل،الذى راسله ليو والتجأ اليه ، الى ارسال تعليماته الى كل من كيخسرو والملك الظاهر لعقد الصلح مع ليو(١٢٦) . وهكذا أصبح الصراع بين ليو وبوهيمند حول انطاكية مجالا لكل القوى الموجودة فى بلاد الشام ، وفرصة للجميع لتحقيق المصالح الذاتية . فاذا كان الاسبتارية وبطريرك انطاكية اللاتينى قد اتخذا صف ليو منافسة لقومون انطاكية والداوية الذين انحازوا لبوهيمند ، فان الملك العادل قد عمل على بقاء ليو كمصدر قلق لابن أخيه الغير خاضع له بدرجة كافية . ولم يكن تصرف العادل ، كما يرى كلود

---

(١٢٤) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ ، ابن العديم ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(١٢٥) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ .

(١٢٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ .

كاهن(١٢٧) انحيازا الى صف ليو . فلم تكن حملة العادل على أراضى طرابلس سوى حملة ضد الاسبتارية حلفاء ليو نفسه . وليس أدل على ذلك أكثر من تدابير الملك الارمينى الذى وجد ان سلوك العادل تجاهه يشوبه كثير من التحفظ.وان كان العادل يميل الى مساعدته،فان نجدته له ليست قريبة منه بدرجة كافية . وفى النهاية فان التحالف مع حاكم مسلم مهما طال أمده ، فانه بالنسبة لحاكم مسيحى غير مأمون الى النهاية ، والجميع يتوقع قدوم حملة صليبية من غرب أوربا فى أى لحظة. كل ذلك جعل من اتفاقية ليو مع كيخسرو حبرا على ورق ، كما دفع ليو الى البحث عن حلفاء آخرين يكون لهم ثر فعال أكثر من الاعتماد على مساندة الملك العادل.ففى ١٢١٠م/٦٠٦هـ بدأ ليو بالاسبتارية حيث شكرهم على مساعدته فى صد هجوم السلاجقة ومنحهم حصن سلوقية Silifke (١٢٨) والحصن الجديد «Norport = Castellum Novum» ، وكماردیس «Camardias» (١٢٩) . ولكى يكمل ليو تكوين تخم للاسبتارية غربى قيليقية بينه وبين أملاك السلاجقة ، فقد استغل فرصة موت غياث الدين كيخسرو ، وارتباك خلفه عز الدين كيكاوس(١٣٠) ، وحاول الاستيلاء

---

(١٢٧) Cahen, La Syrie Du Nord, p. 614.

(١٢٨) تقع سلوقية على ربوة تطل على نهر ساليف ، والجسر الذى عليه الى الجنوب من ميناء اياس . انظر :
R. Fedden and J. Thomson, Crusader Castles, London, 1957, pp. 103-105.

(١٢٩) يقع الحصن الجديد وكماردیس شمالى سلوقية على نهر ساليف وهما قلعتان تتبعان مدينة سلوقية.كما أضاف ليو الى هذه المنحة حق الاسبتارية فى شن الحرب أو عقد اتفاقيات السلام مع السلاجقة فى قرمان دون الرجوع اليه . كما منحهم حرية خرق الهدن المعقودة بينه وبين المسلمين طالما يتطلب صالح الاسبتارية ذلك الى جانب أن الاسلاب التى يأخذونها من غاراتهم ضد المسلمين تكون لهم دون أن يطلب ليو منها شيئا . انظر :
Cartulair, Vol. 2, p. 118, CF. also, T.S.R. Boase, Gazatteer, in The Cilician Kingdom, of Armenia, p. 158; J. Riley-Smith, The knights of St. John, p. 132.

(١٣٠) بعد أن استولى كيخسروا على مدينة انطاكية التى تقع على الساحل الجنوبى لاملاك السلاجقة فى آسيا الصغرى ، وانتصر على تيودور الاول لاسكاريس الامبراطور البيزنطى فى نيقية ، قتل كيخسرو اثناء عملية المطاردة فى ظروف غامضة وترك ثلاثة أبناء،عزالدين كيكاوس الذى خلفه فى الحكم ، وعلاء الدين كيقباذ صاحب =

على قرمان «Karaman» التى وعد بها الاسبتارية أيضا(١٣١) . الى جانب ذلك ، فقد جعل ريموند روبين — عندما بلغ سن الرشـد — يؤكد للاسبتارية منحة جبلة مضيفا اليها حصن بكمرائيل(١٣٢) . واذا كان ليو قد ضمن بتلك الامتيازات مساندة الاسبتارية له فى موقفه من مشـكلة انطاكية ، فانه لم يلبث أن اتخذ عدة اجراءات اضعفت مركزه تماما.فقد كان البابا قد مل المشكلة برمتها وعهد الى بطريرك بيت المقـــدس فى ١٢٠٩م/٦٠٦هـ بالوصول الى عقد هدنة بين ليو وبوهيمند(١٣٣) . كما كتب الى ليو فى نوفمبر١٢١٠م/جمادى‌الاولى ٦٠٧هـ يخبره أنه قد طلب من بوهيمند أن يضع قلعة انطاكية فى عهدة الداوية والاسبتارية وبطريرك انطاكية اللاتينى الجديد بطرس دى لوسيديو «Pierre de Locidio» الذى لا يمكن الشك فى حيدته ، لكونه حديث العهد بمنصبه(١٣٤) . ورفض بوهيمند تنفيذ تلك وانتهز ليو هذه الفرصة وقبل عقد هدنة مع بوهيمند الذى رفض تنفيذ تعليمات البابا ، وأصبح موقف ليو أفضل من ذى قبل(١٣٥) . كما قام ليو أيضا بالرد على البابا بايفاد ثلاثة مبعوثين

= توقات ، وابراهيم . واستغل ليو مع ظاهر الدين بن الدانشمند ومغيث الدين حاكم ارزن الروم تمردكيقباذ على‌كيخسرووساندوا الاخير . الا أن كيخسرو استطاع أن يخضع أخاه ، وحبسه ، ثم صالح لاسكاريس . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١١٧ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ١٧٣ . راجع أيضا :
Hethoum de Gorigos, p. 482. CF. also, Cahen, Pre-Otman Turkey, pp. 119-120.

(١٣١) قرمان هو الاسم التركى لها والاسم اليونانى هو لاراندا «Larada» وهى تقع فى الجنوب الغربى من هرقلية . انظر : —
Cartulair, Vol. 2, p. 118, CF. also, Rohricht, Regesta, no. 843, p. 225; Delaville Le Roulx, Les Hospitlliers, p. 433.

(١٣٢) Cartulaire, Vol. 2, p. 122, CF. also, Rohricht, Regesta, no. 845, p. 226.

(١٣٣) Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Cols. 18-19.

(١٣٤) لجا مجلس أساقفة انطاكية الى قلعة القصير الخاصة بكنيسة انطاكية حتى عين البابا فى ١٢٠٩م بطرس أسقف دير لوسيديو بطـريركا لانطاكية (١٢٠٩ — ١٢١٧م) انظر :
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Cols 54-56. CF. also Rey, Les Dignitaires, p. 139.

(١٣٥) تعلل بوهيمند فى رفضه بانه يتبع الامبراطور البيزنطى.وهى =

الى روما أخبروا البابا أن ليو لم يستطع قتال المسلمين طالما أن عدم حل المشكلة يترك على حدوده مصدر خطر دائم ، فبعث البابا بالاسقف سيكارد مرة أخرى الى الشرق لحل هذه المشكلة وكان ذلك فى ١٢١٠م/ ٦٠٦هـ . الا أن الاخير لم يستطع عمل أى شىء(١٣٦) . واضاع ليو على نفسه الفرصة فى أن يحوز رضاء كنيسة روما فى الوقت الذى فقده فيه بوهيمند ، بل انه ذهب الى ابعد من ذلك فعندما حاول بطريرك بيت المقدس أن يحل مشكلة بغراس أمر ليو على حل مشكلة انطاكية أولا ، ورفض المثول امام البطريرك . ثم تجاوز حدوده واستولى على « طريق الفرنج المسمى «Port Bonnel» » (١٣٧) التابع للداوية وكل أملاكهم تقريبا فى قيلقية وسهل انطاكية ، وهاجم فرقة من قواتهم كانت تحمل المؤن لحصن صخرة وليم الذى لم يكن قد أخذه منهم بعد . وقتل الارمن أحد فرسان الداوية ، وجرح مقدم الجماعة وليم اوف شارتر «William of Chartres» نفسه وكثير من أعضاء الجماعة وذلك فى بداية ١٢١١م/ منتصف ٦٠٧هـ . وبذلك تحول قرار الحرمان الذى كان حتى الآن يتخذ شكلا نظريا ، الى أمر واقع عندما أرسل البابا الى أساقفة سوريا وقبرص بنشر قرار الحرمان وأن يصبح نافذ المفعول ، كما أرسل الى الملك جان دى برين «Jean De Brienne» ، فى ١٥ يونيو ١٢١١م/١ محرم ٦٠٨هـ لمساعدة الداوية فى حملة ضد ليو لاستعادة حقوقهم فى قيليقية(١٣٨) . ولما كان البابا يعلم أن بوهيمند يتمتع بتأييد الداوية ،

= حجة اتخذها لأن ذلك لن يضيره شيئا طالما ان التأثير البيزنطى قد انتهى بموت مانويل . انظر :
Luchaire, Innocent III, pp. 40-41; Grousset, t. 3, p. 259.

(١٣٦) كانت رسالة ليو الى البابا فى غسطس ١٢١٠م بينما كانت رسالة سيكارد فى سبتمبر من نفس السنة . انظر :
Innocent III, Regesta, in p. l., Vol. 216, Cols. 310-311.

(١٣٧) عن موقع ذلك الطريق انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٦٥ حاشية (٥٧) .

(١٣٨) جان دى برين هو احد اتباع فيليب ملك فرنسا . رشحه فيليب للزواج من ماريا وريثة مملكة بيت المقدس وكان عمره وقتذاك قد ناهز الستين عاما وتوج ملكا فى أكتوبر ١٢١٠م . وكانت رسالة البابا موحدة للجميع . انظر :
Eracles, p. 317. CF. also; Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. =

فقد خشى أن تتحول القوة التى يستمدها بوهيمند من هذا التحالف الى مكاسب تأتى على حساب الكنيسة ، بعد أن تحرج موقف منافسه ليو بحرمانه رسميا . لذا اتخذ البابا اجراءا غريبا بالنسبة لهذه الظروف ، يجعلنا نرى نموذجا جديدا لدبلوماسية الحروب الصليبية عندما نرى أنه مما يتناقض مع وظيفته ان يراسل أحد الحكام المسلمين لصالح الكنيسة(١٣٩) . فكتب فى ٧ مايو ١٢١١م/٢١ يونيو ٦٠٨هـ خطابا الى الملك الظاهر ملك حلب يرجوه أن يعمل على حماية بطريرك انطاكية اللاتينى ، والعمل على أن لا يناله أى شخص بأى ضرر ، وأن يحمى كنيسة انطاكية(١٤٠) . واذا كان تصرف البابا هذا يثير الدهشة الى حد ما(١٤١) ، فانه فى نفس الوقت يثير تساؤلا هاما : هل كان الظاهر ملك حلب المسلم ، الذى كان منقذا لبوهيمند والسياسة اللاتينية فى مواجهة الارمن سيصبح مخلصا للكنيسة اللاتينية فى مواجهة اليونانيين واللاتين من بارونات انطاكية واميرها أيضا(١٤٢) ؟ والاجابة على هذا التساؤل تتضح من التمعن فى موقف البابا نفسه من مشكلة انطاكية . فمن الواضح أن انوسنت الثالث كان يسعى الى حماية استقلال الكنيسة اللاتينية وسط التيارات السياسية المتناقضة وكانت هذه أحد الاركان الرئيسية للحركة الصليبية نفسها(١٤٣) . ومن الواضح أيضا

= 216, Cols. 430-432; CF. also, J. La Monte, John d'Ibelin, in B., Vol. 12, p. 425.

(١٣٩) Cahen, La Syrie du Nord, p. 617.

(١٤٠) انظر ملحق رقم (١) بنهاية الرسالة ، راجع ايضا :
Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Col. 434.

(١٤١) « نرى البابا يذهب لمنع اغرقة كنيسة انطاكية الى حد أن يكتب رسالة ودية الى سلطان حلب » . انظر :
Grousset, Histoire de Croisades t. 4, p. 259.

(١٤٢) Cahen, La Syrie du Nord, p. 617.

(١٤٣) كان كل بطاركة انطاكية السابقين (فيما عدا رالف دمفرنت Ralph of Domfront قد عينوا بواسطة أمراء انطاكية . أما بطرس الثانى هذا فان بوهيمند الرابع لم تكن لديه السلطات التقليدية لتعيينه . ويبدو أن البابا نفسه قد رشحه لهذا المنصب ، وتم تنفيذ ذلك على أيدى مجلس كهنة انطاكية ، وتحت اشراف بطريرك بيت المقدس بالرغم من اعتزال رئيس المجلس مع اثنين من أعضائه الى قلعة القصير ، ورفضهم العون . انظر :
B. Hamilton, The Latin Church in the Crusader States, p. 219.

انه يحاول المحافظة على توازن القوى بين بوهيمند وليو . فعندما حرم ليو من الكنيسة رسميا ، والزم ملك بيت المقدس بمساعدة الداوية ضده ، كان يعلم أن فى ذلك اطلاقا لأيدى بوهيمند الذى يهمه تثبيت حقه فى الحكم ومركزه فى انطاكية باستمالة العنصر اليونانى فيها على حساب رجال الدين اللاتين . وربما يتحول بعد ذلك الى جانب الداوية والملك ضد ليو ، وفى الحالتين كان سنده الاساسى هو حليفه الملك الظاهر . ولما كان الاخير يساند بوهيمند تحقيقا لمصالحه أيضا، فان مساندته للبطريرك ربما تبعده عن بوهيمند ، وهذا ما سعى اليه البابا وفشل فيه . فلم يكن لخطاب البابا أى تأثير لدى الملك الظاهر . ولم يباعد بين أمير انطاكية وحليفه الظاهر صاحب حلب سوى تعدي بوهيمند دون تفكير على اتباع ملك حلب من الحشيشية الذين كانت لهم نفس القيمة التى يتمتع بهـا بوهيمند كحليف ربما يفيد الظاهر فى مواجهة طموح أى من أفراد أسرته فى بلاد الشـام أو مصر ولو عن طريق الاغتيـال ، ودون المشـاركة العسكرية(١٤٤) . وهكذا ، ففى الوقت الذى حاول فيه انوسنت الثالث ان يحافظ على توازن القوى بين ليو وبوهيمند نجد أن كلا منهما يسعى الى مزيد من التحالفات التى تجعل كفته هى الارجح . فاذا كان ليو قد فقد عطف البابوية ، فانه سعى الى الحصول على التاييد من الحكام المسيحيين الآخرين . فراح يوثق عرى الصداقة بينه وبين أباطرة نيقية البيزنطيين(١٤٥) بعد أن وطدها مع ملك قبرص من قبل(١٤٦) . ثم سعى الى تجديد اتفاقه القديم مع الامبراطورية الالمانية التى لم يبق عاهلها

---

(١٤٤) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٢٩٧ .

(١٤٥) حاول ليو أن يعقد زواجا سياسيا بينه وبين أسرة لاسكاريس فى نيقية الامر الذى فشل بسبب المعارضة الدينية من قبل رجال الدين الارمن . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, pp. 617-618.

(١٤٦) فى ١٢١٠م تزوج ليو الثانى من سيبل «Sibyl» الاخت غير الشقيقة لملك قبرص هيو الاول لوزينان لأبيه عمورى الثانى وايزابيلا ملكة بيت المقدس السابقة . وكان ليو فى ذلك الوقت فى الستين من عمره ولما كانت سيبل فى الثانية عشرة ، وانجب منها ليو ابنة فى عـام ١٢١٥م تدعى أورمانيان «Ormanian» كما دعم ليو هذه الرابطة الاسرية باتمـام زواج ريمـوند روبين بالاخت الثانيـة هيلواس «Heloise» لملك قبرص فى ١٢١١م . انظر : =

على وفاقه مع البابوية(١٤٧) . ولجعل ذلك الاتفاق محل التنفيذ ، فقد تقرب ليو بشكل كبير ، أكثر مما تقرب به بوهيمند ، من ممثلى هذه الامبراطورية فى الشرق ، وهم جماعة الفرسان التيوتون(١٤٨) ، التى

= Sempad, p. 643; Hethoum de Gorigos, p. 482, CF. also, Hill, The History of Cyprus, Vol. 2, p. 76, n. 2.

(١٤٧) نجح أوتو الرابع فى أن يعتلى عرش الامبراطورية الالمانية واقصاء فيليب السوابى شقيق الامبراطور السابق هنرى السادس وذلك فى ١٢٠٩م بعد اغتيال فيليب فى ١٢٠٨م . وتوج البابا انوسنت أوتو امبراطورا (١٢٠٨ - ١٢١٨م) فى ١٢٠٩ . وفى ١٢١٠م ذهب سفراء ليو بعد مقابلتهم للبابا الى اوتو الذى أرسل معهم تاجا لليو فى ١٢١١م وضعه ليو على رأس ريموند روبين وأعلنه وريثا له . بعد ذلك أرسل أوتو تاجا اخر مع ويلبراند اوف أولد نبيرج الى ليو انظر :

Wilbrand of Oldenberg, Peregrinotores, p. 179. CF. also, Cahen, La Syrie du Nord, p. 618.

(١٤٨) ترجع نشأة جماعة الفرسان التيوتون أو فرسان القديسة ماريا الالمان الى عام ١١١٨م ، حين اقام الحجاج الالمان - فى عهد الملك بودلوين الاول - مستشفى صغير وكنيسة ومضيفة المانية لرعاية حجاجهم . وحصل الالمان فى بداية الامر على مساعدة جماعة الاسبتارية وربما حدث اندماج بين الجماعتين حتى أعلن البابا سلستين (١١٤٣ - ١١٤٤م) استقلال التيوتون . وكان مكان المؤسسة الالمانية فى بيت المقدس على الطريق المؤدى من البوابة الجنوبية الغربية للمدينة الى ساحة مسجد عمر بن الخطاب بجوار الحى الارمينى . واعتمدت الجماعة على دعم الحجاج الالمان فقط . ولان المانيا لم تكن مركز هجرات ، فلم تكن جماعة التيوتون فى مثل غنى جماعتى الداوية والاسبتارية . كما أن تقلص مملكة بيت المقدس بعد حطين لم يمنح الجماعة الفرصة للنمو . وظهرت الجماعة بنشاطها فى الحملة الصليبية الثالثة أثناء حصار الفرنج لعكا فى عام ١١٨٩م .فاقام صليبيو مدينتى بريمن ولوبك مستشفى بالواح الخشب واشرعة السفن وحصل كل من فريدريك السوابى واخوه هنرى السادس على اعتراف البابوية بالجماعة فى عهد البابا كليمنت الثالث (١١٨٧ - ١١٩١م) ثم البابا سلستين الثالث (١١٩١ - ١١٩٨م) على التوالى . وبعد موت فريدريك السوابى بقى بعض الالمان فى الشرق ، ولما لم يحضر الامبراطور هنرى السادس الى الشرق ، فقد تحولت الجماعة الى جماعة عسكرية . وفى فبراير ١١٩٩م اعترف بها البابا انوسنت الثالث كجماعة صليبية مقاتلة . وتطورت الجماعة بسرعة لانتظام الامتيازات البابوية للجماعات العسكرية فى بداية القرن ١٢م/٧هـ =

منحها ليو كثيرا من الامتيازات فى قيليقية(١٤٩) أكثر مما منحهم اياه بوهيمند فى املاكه(١٥٠) . ولما شعر ليو بانه قد ازداد قوة بذلك ، لم

= وكان أول مقـــدم لها هو هرمان ســالزا «Herman von Salza» الا أن تطورها وغناها لم يبلغا ما كان للداوية والاسبتارية . ولم تكن قلعتها الرئيسية فى القرين او مونتفورت مثـــل قوة املاك الاسبتارية فى حصن الاكراد أو الداوية فى صفد . ويرجع ذلك الى عدم تمتع التيوتون بشعبية الجماعتين الاخرتين كما كان الامر بالنسبة لمؤيدها الاساسى فريدريك الثانى الذى كرهه الصليبيون فى بلاد الشام . لذا كانت كل أملاك الجماعة (٦٠ قرية) مشتراة . ولم تتعد املاكهم فى انطاكية وطرابلس بعض الطواحين وحقـول الـكروم أو بعض الدخول الثابتـة التى كان يمنحهم اياها أمراء انطاكية . ولم تتمتع الجماعة بالاسـتقلال الذاتى مثـل الداوية والاسبتارية ، لذا لم يلعب التيوتون دورا هاما فى سياسة الشرق اللاتينى لعـدم تدخلهم فى السياسات الصليبية والمكائد السياسية التى تفشت بين الفرنج . انظر :

H. Prutz, Die Besitzungen des Deutchen ordens in Heiligen Lande, Leipzig, 1877, pp. 34, 57; M. Tumler, Der Deutschen orden in Werden, wachsen und Wirken bis 1400, Wien, 1955, pp. 579 ff, M. Perlbach, Die Statuten des Deutshen Ordens, Halle, 1890, pp. 159 ff; Desmond Seward, The Teutonic knights in History today, Vol. 20, pp. 859 ff, J. La Monte, The rise and decline of a Frankish seigneury in Syria, in R.H., Vol. 15, pp. 317 ff, Rey Conderund and G. Masterman, A visit to the ruined Castle of the Teutonic knigts, in P.E.F., 1919, pp. 71 ff; D. Bashford, The Exploration of a crusader fortress-(Montfort) in. J.C.U.L., Vol 22fi pp, 6 ff,

(١٤٩) منذ عام ١١٩٨م،وللتقرب من الامبراطور هنرى السادس ظل ليو يمنح التيوتون عدة امتيازات فى قيليقية . كما أنه اعتبر نفسه أحد أعضاء الجماعة أو اخا للجماعة ومنحهم كثيرا من القرى والقلاع والاراضى الزراعية وحرية التجارة فى أملاكه ، وكانت أهم القلاع التى منحها لهم هى قلعة العمودين التى تتحكم فى الطـريق من جبال الامانوس الى سيس ومنها الى نهر سيحون — وقد منحها لهم فى ابريل ١٢١٢م .

Wilbrand of Oldenburg, pp. 176-179; Strehlke, nos., 46, 47, pp. 37-40.

(١٥٠) فى سبتمبر ١٢٠٩م منح بوهيمند للتيوتون قطعة أرض تمتد من السور الاساسى لبرج طرابلس الشرقى الى حدود أسقفية طرابلس =

يقم وزنا لتوبيخات البابا ، وفي خريف عام ١٢١١م/٦٠٨هـ ، قام فرسان الداوية بحملة ضد ليو لاسترداد حصن بغراس بمساعدة فرقة من انطاكية وخمسين فارسا بعث بهم الملك جان دى برين تنفيذا لتعليمات البابا(١٥١) . وحاصر الداوية حصن بغراس ، ولما شعر ليو بعزمهم على اخذ الحصن ، عرض عليهم الصلح ، ووعدهم بان يسلمه اليهم ، ولم يف بوعده(١٥٢) . وفي عام ١٢١٢م/٦٠٩هـ ، بعث ليو بريموند روبين كى يتلقى تدريبه العسكرى الاول باحتياج سهل انطاكية . واكثر من ذلك ، فقد بدأ ليو باضطهاد رجال الدين اللاتين في قيليقية ، لتطبيقهم قرار الحرمان الصادر ضده(١٥٣) . وبعد كل هذه الاعمال التى اظهرت تمرد ليو تماما ، وفي نهاية ١٢١٢م/منتصف ٦٠٩هـ فاجأ الجميع بسياسة مغايرة . فرد الى الداوية كل ما كان قد استولى عليه من أملاكهم في قيليقية وخليج الاسكندرونة ، واتفق معهم على أن يرد اليهم حصن بغراس بعد أن يستولى على انطاكية ، وكتب الى البابا يعلمه بذلك ، ويطلب منه اجبار بوهيمند على الدخول في مفاوضات جديدة مع ريموند روبين(١٥٤) . فأوقف انوسنت قرار الحرمان الذى صدر ضد ليو وذلك في مارس عام ١٢١٣م/شوال ٦٠٩هـ(١٥٥) ، وكان ذلك بداية لعهدة

= وأرض الداوية في الجهة الغربية من أسوار طرابلس الى جانب ثلاثة أبراج ليقيم فيها فرسان الداوية ــ وكانت هذه المنحة الوحيدة التي قدمها بوهيمند للجماعة حتى قدوم الامبراطور فريدريك الثاني الى الشرق انظر :

Strehlke, no. 44, pp. 35-36; Rotricht, Regesta, no. 839-, p. 224, Prutz, Die Besitzungen, p. 34.

(١٥١) Eracles, p. 417.

(١٥٢) Eracles, p. 137.

(١٥٣) مات أسقف طرسوس اللاتينى في عام ١٢١٢م/٦٠٩هـ الذى طالما عارض سياسة ليو ، فاستولى الاخير على أملاك الكنائس اللاتينية وأعطاها لليونانيين ، واستقبل في قليقية سمعان الثاني بطريرك انطاكية اليوناني ، الذي نجح بطرس الثاني في حمله على مغادرتها ، ولم يبق هذا في قيلقية بل توجه الى نيقية ومات هناك

Cahen, La Syrie du Nord, p. 619; B. Hamilton, The Latin Churche, p. 221.

(١٥٤) Innocent III, Regosta, in P.L. Vol. 216, Col. 747.

(١٥٥) جاء ذلك في رسالة البابا الى بطريرك بيت المقدس في ٢٢/١٥ مارس =

احداث جعلت هذا العام يشهد تغيرا كبيرا فى موقف بوهيمند ، وابعدت عنه كل من تمتع بتأييدهم فى السنوات السابقة ، وفى النهاية أدت تلك الاحداث الى أن يعتلى عرش امارة انطاكية حاكم غير لاتينى — لاول مرة — منذ اقامها بوهيمند الاول منذ ما يقرب من مائة وعشرين عاما قبل ذلك التاريخ . فبالطبع فان البابا — بعد خضوع ليو — لم يعد يؤيد بوهيمند الذى لم يكن يطلق عليه سوى اسم كونت طرابلس(١٥٦) . وبعد فترة قصيرة استدعى بطريرك بيت المقدس من جديد كلا من ليو وبوهيمند للمثول امامه ، وبعد أن رأى بوهيمند يعترض عليه بالرأى غير المتوقع بتبعيته للامبراطورية البيزنطية ، أرسل الى البابا يعلمه بذلك ، وجاء رد البابوية بان هذه خدعة من بوهيمند لا يجب أن يقيم لها البطريرك وزنا(١٥٧) . ومن سوء حظ بوهيمند أنه كان بذلك آخر من عصى ، وأصبح هو السبب فى الا تصل مشكلة انطاكية الى حل أكثر مما وصلت اليه فى اليوم الاول من حدوثها بالرغم من هدوء الموقف بينه وبين ليو لمدة ثلاث سنوات لحرص الاخير على بقاء الامور مع البابوية على ما هى عليه ، فيكون هو التابع المطيع ، ويكون بوهيمند هو الابن المتمرد . ولما كان البابا يستطيع الآن أن يشهد الرحيل الوشيك للحملة الصليبية التى لم يتوقف أبدا عن الاعداد لها منذ انحراف الحملة الرابعة عن الهدف الذى رسمه لها ، وكرس كل سياسته الشرقية لهذا الهدف ، فقد بدأ بتهدئة الامور بين أتباعه فى الشرق ، توفيرا لكل عوامل النجاح لهذه الحملة(١٥٨) . فعمل على مصالحة ليو مع الملك جان دى برين ،

= ١٢١٣ . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 863, p. 232.

وجاءت هذه الرسالة بدون تاريخ فى سجلات البابا انوسنت الثالث . انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216 Cols 792-793.

(١٥٦) لم يطلق البابا على بوهيمند لقب أمير انطاكية ، بل اقتصر على تسميته فى كل رسائله الى الشرق بلقب كونت طرابلس . ولم يطلق عليه لقب أمير الا مرة واحدة ، عندما طلب منه أن يكون لرهبان كنيسة القديس بولس فى انطاكية الحق فى اختيار رئيس لهم بانفسهم انظر :

Innocent III, Regesta, Col. 1792.

(١٥٧) Röhricht, Regesta, no, 868, pp. 533-534.

(١٥٨) خلال الخمسة عشر عاما الاولى من بابويته بعث انوسنت الثالث =

الامر الذى تحقق عام ١٢١٤م/٦١٠هـ ، بزواج الاخير من ستيفانى «Stephannie» ابنة ليو ، والذى تقوى به ليو اكثر(١٥٩) . وهكذا أصبح ليو يتمتع بتأييد البابوية ، وجماعة التيوتون ، والاسبتارية وأخيرا ملك بيت المقدس ، بينما كان قد انهى خلافاته مع الداوية حلفاء بوهيمند ، ونجح بذلك فى تحييدهم فى خلافاته مع الاخير وابعادهم عنه . ولم يبق أمام ليو الا أن يفقد بوهيمند رضاء حلفائه المسلمين . وهذا ما حدث بالفعل . ففى نهاية عام ١٢١٣م/منتصف عام ٦١٠هـ اغتال اسماعيلية الشام ريموند(١٦٠) الابن الاكبر لبوهيمند الرابع فى كاتدرائية انطرطوس(١٦١) . وأراد بوهيمند أن يثأر لهذه الجريمة ، واستغل فرصة هجوم الاسبتارية على حمص وحماة بمساعدة الصليبيين من عكا وقبرص وقيليقية فى أكتوبر ١٢١٤م/جماد ثان ٦١١هـ(١٦٢) ، وهاجم

= بالاف الرسائل التى تخص الدول المسيحية المهددة والتى تدعو الى قيام الحملات الصليبية التى لم يتجاهلها انوسنت أبدا . انظر :
Edward Peters, Christian Society and Crusades (1198-1229), Philadelphia, 1971, p. IX.

(١٥٩) أقرض الاسبتارية ليو ثلاثين الف دينار اسلامى لاتمام هذا الزواج . انظر :ابن واصل مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ ، راجع أيضا :
Hethoum de Gorigos, p. 482; Cartulair, Vol. 1, no. 1426, p. 682, CF. also, Riley Smith, The knights of St. John, p. 158.

(١٦٠) أنجب بوهيمند الرابع من زوجته الاولى بليزانس ابنة هيو حاكم جبيل أربعة أبناء مات ثلاثة وعاش الرابع وهو بوهيمند الذى سيخلفه فى حكم انطاكية ، وكان ريموند أكبر الاربعة ،وعينه بوهيمند ريثما له قبل أن يغتاله الحشيشية . ثم تزوج بوهيمند من ميليسند لوزينان ابنة هيو الاول ملك قبرص وانجب منها ابنتان . انظر :
L. Brehier, The Various Bohemonds Princes of Antioch, in D.H.G.E., Vol. 9, p. 486

(١٦١) شك بوهيمند فى أن الاسبتارية هم الذين دفعوا الحشيشية على مقتل ابنه ، وكان الحشيشية يدفعون الجزية للاسبتارية . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ،جـ٣ ، ص ١٦٦ . راجع أيضا :
Willbrand of Oldenberg, Itinerarium, p. 170.

(١٦٢) رجع الفرنج من حمص وحماة بعد تدخل الملك الظاهر واكتفوا «من الملك المنصور بسبى حمله اليهم» انظر:ابن واصل:مفرج =

املاك الحشيشية ، وهاجم حصن الخوابي(١٦٣) ، وحاصره حصارا شديدا(١٦٤) ، فطلب الحشيشية الذين بالحصن النجدة من الملك الظاهر ، الذي بعث اليهم بمائتين من المشاة وفرقة من الفرسان ، ليدخلوا الى الحصن ويمنعوا الفرنج من الاستيلاء عليه(١٦٥) • ثم أمر الظاهر بخروج فرقة أخرى من حلب بقيادة سيف الدين ابن علم الدين ليشغلوا الفرنج من ناحية اللاذقية ، وبذلك يجعل الفرنج يغيرون من من اتجاههم • الا أن الفرنج عندما علموا بهذه التحركات نصبوا كمينا للمشاة والفرسان الذين كانوا يحرسونهم ، وذبحوا وأسروا أول من وصل منهم ، وأخذوا ثلاثين آخرين وذلك في ١٦ نوفمبر ١٢١٤م/١١ رجب ٦١١هـ(١٦٦) • فخرج المعظم ابن الملك العادل من دمشق بعسكره ، ودخل أراضي طرابلس ، ونهب كل ضياعها ، فرحل الفرنج عن الخوابي(١٦٧) خاصة بعد أن أرسل الظاهر نجدة أخرى اليها ، استطاعت أن تدخل الحصن في وقت غارة المعظم ، وبعث الظاهر الى الفرنج يعلمهم أنه لا يمكنهم من الاسماعيلية فرحلوا الى انطاكية(١٦٨)

= الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣ •
لم يكن من الممكن أن يشارك الارمن في هذا المشروع ، وان كان قد شهد مقدم الاسبتارية حصار بوهيمند للخوابي • انظر :
Riley-Smith, The knights of St. John, p. 139.
وبالطبع لم يشارك القبارصة في هذا المشروع بصفة رسمية ولابدانهم كانوا بعض المرتزقة القبارصة •

(١٦٣) « الخوابي » قلعة على بعد ١٥ ميلا شمالي طرابلس وجنوبي انطرطوس بطريق البحر • انظر : القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ١٤٦ •

(١٦٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ •

(١٦٥) يذكر كل من ابن واصل وابن الفرات على العكس من ابن العديم ، الذي كان اكثر دقة وتفصيلا في سرد أحداث هذه الواقعة ، أن الظاهر خرج بنفسه لنجدة الحصن : انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط تصوير شمسي ، جـ ٧ ، لوحة ٦٠ ، أبن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ص ١٦٦ •

(١٦٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ •

(١٦٧) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة •

(١٦٨) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن الفرات : المصدر السابق ، جـ ٧ ، لوحة ٦٠ •

واطلقوا الاسرى الذين اسروهم من أصحاب الظـــاهر . ولم يبق أمام بوهيمند الا أن يبعث باعتذاره الى الظاهر (١٦٩) ، الا ان الجفاء كان قد حل محل الود بين الظاهر وحليفه بوهيمند . أما عن سكان انطاكية ، الذين أرهقتهم الحرب ، فقد كان واضحا انهم قلقين من ان تحل الحرب مع المسلمين محل الحرب مع الارمن ، وأصبحوا أقل قدرة على الاستمرار فى الدفاع عن أنفسهم ، حتى أن بوهيمند أصبح يفضل الاقامة فى طرابلس الاقل عوزا ، والاحسن مركزا (١٧٠) ، وهجر انطاكية ، وتركها فريسة للارمن . واستطاع ليو أن يستغل كل تلك الظروف ليحيك مؤامرة جديدة داخل انطاكية ، حيث بقى بعض رجال الدين والبارونات اللاتين على ولائهم له « فقد اكتسب ليو بوعده بالعطايا الكبيرة بعضا من كبار القوم بالمدينة ، الذين فتحوا له أبوابها فى أثناء الليل » (١٧١) وكان على رأس هؤلاء أشارى «Acharie» وكيل انطــاكية (١٧٢) ، الذى ارسـل وفدا لاستدعاء ليو ، وفتح للارمن باب القديس بولس الواقع فى الجهة الشمالية من أسوار المدينة فى مسـاء يوم الاحد ١٤ فبراير ١٢١٦م/٢٤ شـــوال ٦١٢هـ (١٧٣) . وقد اتفق كل المؤرخين المسـلمين والصليبيين على هذا

---

(١٦٩) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٦٨ . راجع ايضا :
C. Defrémery, Nouvelle Recherches Sur Les Ismaéliens ou Bathniens de Syrie, in J.A., 1855, pp. 40-41.

(١٧٠) Cahen, La Syrie du Nord, p. 621.

(١٧١) Sempad, p. 643. Cf. also, H.F. Tournebize, Histoire politique de l'Arménie, Paris, 1910, p. 198.

(١٧٢) « اشارى السريمنى » تولى جده اسكيفارد السرمينى «Eschivard de Sarmenia» منصب وكيل انطـــاكية (١١٤٩ — ١١٧٥م) ثم تولاه والده جيرفاس (١١٨١ — ١١٩٩م) واخيرا اشارى الذى اختفى المنصب من انطاكية بعده . انظر :
E.G. Rey, Les Dignitaires, pp. 122-123.

(١٧٣) سبط ابن الجوزى :مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٧٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ، ص ٢٣٣ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، أبو المحاســن : النجـوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢١٣ ، العينى (بدر الدين) : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، جـ ٢٠ ، ورقة ٥٥١ ، ابن كثير (الحافظ بن كثير) البداية والنهـاية ، ١٤ جزء فى ٧ مجلدات ،بيروت ١٩٧٧ ، جـ ١٣ ، ص ٦٩ . راجع أيضا :
Ann. T.S., p. 436; Gestes de Chiprois, p. 665; Sempad, p. 643; =

التاريخ ، الا أن روهرشت وضعه فى ينـاير/فبراير ١٢١٥م/شـوال/ذى القعدة ٦١١هـ(١٧٤) مستندا الى بعض الوثائق التى حررها ريمـوند روبين للجنوية كأمير لانطاكية فى ٣١ مارس ١٢١٥م/٢٨ ذو القعدة ٦١١هـ ويؤكد فيها للاسبتارية امتيـازات بوهيمنـد الثالث لهم(١٧٥) . ونسى رهرشت أن ريموند روبين قد اتخذ لنفسه لقب أمير انطاكية حتى قبل أن يتحقق ذلك بتسع سنوات(١٧٦) .فليس من الغريب اذن أن يتبع ذلك قبل دخوله انطاكية بعام . الى جانب ذلك فانه على عكس الوثائق التى كثيرا ما كانت تواريخها محل نقاش ، فان التاريخ الذى أخذنا به ، والذى جاء على درجة كبيرة من الدقة بحيث تحدد فيه اليوم والشهر الذى سـقطت فيه انطاكية فى أيدى الارمن ، من الصعب التشكك فيه لأن مؤرخنا سـبط ابن الجوزى ، الذى أورده ، كاد يكون شاهد عيان لهذه الوقعة(١٧٧) . وهكذا فمن المؤكد أن يوم الاحد ١٤ فبراير ١٢١٦م/٢٤ شوال ٦١٢هـ ، هو التاريخ الصحيح الذى دخل فيه الارمن انطـاكية . ومهما يكن من أمر،فقد احتلت قوات ليو النقاط الرئيسية فى المدينة،وقبل أن يرى السكان اى شىء ، وعند مطلع الفجر ، كان الارمن هم سادة انطاكية(١٧٨) . فدخل ليو بصحبة ريموند روبين وتوجها الى كنيسة القديس بطرس ، وقدما فروض الولاء والطاعة الى البطريرك اللاتينى الذى أعلن ريموند

= Hethoum de Gorigos, p. 483; Marino Sanudo, p. 206. CF. also, Runciman, Vol. 3, p. 138; Cahen, p. 621.

(١٧٤) ويتفق معه هاملتون أيضا . انظر :

R. Rohricht, Geschichte des konigrechs Jerusalem, 1100-1291, Innsbruck, 1898, p. 716; B. Hamilton, The Latin Church, p. 222.

(١٧٥) Rohricht, Regesta, nos. 877, 878, pp. 236-237.

(١٧٦) عندما منح ريموند روبين مدينة جبلة لاسبتارية فى ١٢٠٧م ، ثم أكد المنحة عندما بلغ سن الرشد فى ١٢١٠م . انظر :

Rohricht, Regesta, no. 820, p. 220, no. 845 p. 226.

(١٧٧) وفيها أخذ ابن لاون انطاكية من الفـرنج يوم الاحد رابع عشرين شوال وكنت فى ذلك اليوم قد جلست عند الملك الظاهر بحلب فى دار العدل ، فلما انقضى المجلس نزلت المنبر فقام الظاهر والتقـانى وأجلسنى الى جانبه ودفع الى بطاقة جاءته من حارم يخبره بذلك انظـر : سـبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٧٢ .

(١٧٨) Eracles, p. 318.

أميرا على انطاكية ، وهو اللقب الذى لم يستطع بوهيمند ان يحصل عليه رسميا حتى ذلك التاريخ . ثم قدم البارونات فروض الولاء الى ريموند كأمير لهم(١٧٩) . ولجأ آخر أتباع بوهيمند مع الداوية الى القلعة ، الا انهم ما لبثوا أن استسلموا ، ربما لشعورهم بفتور حماسة الداوية فى الدفاع عن المدينة ، فى الوقت الذى وصل فيه بوهيمند الى حصن المرقب ، ثم عاد الى طرابلس بعد أن تأكد له سقوط انطاكية فى أيدى خصومه(١٨٠) .

واذا كانت الظروف التى تهيأت امام ليوم ، الذى أحسن استغلالها ، هى التى جعلت بوهيمند يفقد تاييد البابوية ، والاسبتارية ، والتيوتون ، وأخيرا ملك بيت المقدس بفضل جهود ليو . ففى الوقت الذى خسر فيه بوهيمند تأييد كل هؤلاء ، فان ما يثير التساؤل هو امر بقية حلفائه من الداوية ، وسكان انطاكية وبطريركها اللاتينى وفى النهاية الملك الظاهر ملك حلب . فكيف تقاعس هؤلاء عن الوقوف فى صف بوهيمند ، والعمل على عدم سقوط انطاكية فى أيدى الارمن ، والحرص على بقاء بوهيمند اميرا لها فى نفس الوقت ؟ واذا رجعنا الى الوراء قليلا نجد أن ليو قد نجح أيضا فى استمالة الداوية ، وبرجوازية انطاكية وسكانها والبطريرك نفسه ، اما عن الداوية ، فقد وعدهم فى ١٢١٢م/٦٠٨ ــ ٦٠٩هـ باعادة بغراس اليهم بعد استيلائه على انطاكية ، ومن المؤكد أنه كان هناك اتفاق بين الطرفين على عدم تعرض الداوية لقوات ليو عند دخولهم المدينة . والدليل على ذلك سير الاحداث نفسها . فقد دخل الارمن المدينة ولم يعترضهم الداوية ولم يقوموا حتى بأى هجوم مضاد ضدهم كما فى المرات السابقة ، وأخيرا سلم ليو حصن بغراس الى الداوية قبل أن يعود الى بلاده(١٨١) . أما عن سكان انطاكية ، فقد دفع ليو ثمن ولاء قادتهم

---

(١٧٩) ورد ذلك فى رسالة ليو الى البابا والتى يضعها رهرشت فى عام ١٢٠٦م/٦٠٣هـ ، خطأ ، فان اعادة حصن بغراس الى الداوية كما يذكر ليو فى الرسالة لم يتم الا فى ١٢١٦م ٦١٣هـ . انظر :
Rohricht, Regesta, no. 817, pp. 218-219; CF. also, A.W. Lawrence, The Castle of Bagras, in the cilician Kingdom, p. 46.

(١٨٠) Sempad, p. 643. CF, also, Rey, Histoire des Princes d'Antioch, p. 395.

(١٨١) انفرد ابن واصل بذكر هذه الوقعة . انظر ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .

من طبقة البرجوازية ، كما اشار المؤرخ الارميني سمباد من قبل(١٨٢) .
وكان من السهل انقياد السكان الذين أجهدتهم أعباء الحرب ضد الارمن ،
وملوا مساندة بوهيمند(١٨٣) . وكذلك فعل ليو مع البطريرك(١٨٤) .
واذا كان من السهل الاجابة على التساؤل السابق بالنسبة لهؤلاء ، لوضوح
الدلائل عليها ، فان الامر يختلف بالنسبة لاهم مؤيدى بوهيمند ، الا وهو
الملك الظاهر ملك حلب ، فليس هناك اى دليل على تقرب ليو اليه الا
بعد نجاح خطته . وليس امامنا الا الرجوع الى الوراء قليلا للاجابة على
التساؤل الاصلى بالنسبة للملك الظاهر الذى طالما سارع بنجدة بوهيمند .
فمنذ عام ١٢١٣م/٦٠٩هـ ، لم يكن هنــــاك ما يعكر صفو العلاقات بين
الظاهر وعمه الملك العادل الذى كان التوجس منه خيفة هو الدافع وراء
حرص الظاهر على بقاء بوهيمند فى حكم انطاكية . بل انه حدث ما قرب
بين الظاهر والعادل اكثر من ذى قبل . فقد تزوج الظاهر من ابنة عمه
فى ١٧ يونية ١٢١٢م/١٥ محرم ٦٠٩هـ(١٨٥) . ثم جاءت غارة بوهيمند
على املاك الحشيشية فى ١٢١٤م/٦١١هـ(١٨٦) فى الوقت الذى صاروا
فيه من اتباع الظاهر(١٨٧) ، الامر الذى باعد بين بوهيمنـد وبينه ،

---

(١٨٢) Sempad, p. 643.

(١٨٣) « وملك ابن ولان ، ملك الارمن ، انطاكية ، وحسن الى أهلها ، وأظهر فيها العدل وكان الابرنس صاحبها ظالما ، فحسن موقع ابن لاون من أهل انطاكية » ويعتبر هذا النص من أندر الروايات التى تصلنا عن أحوال انطاكية فى القـــرن الثالث عشر الميـــلادى/ السابع الهجرى ، حيث ندرت المعلومات عن لاتين شمال الشام بعد موت وليم الصورى لعدم اهتمام المؤرخين الصليبيين والمسلمين بشمال الشام نظرا لتركز الاحداث بين الفــرنج والايوبيين ومن بعدهم المماليك فى فلسطين ومصر . انظر ابن واصل مفـــرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

(١٨٤) أعاد ليو رجال الدين اللاتين فى قيليقية الى مراكزهم فى أسقفيات المصيصة وطرسوس . كما انهى رعايته لسمعان الثانى بطريرك انطاكية اليونانى الذى اضطر الى الخضوع للبطــريرك اللاتينى لانطاكية ثم اللجوء الى البلاط البيزنطى فى نيقية . انظر :
Hamilton, The Latin Church, pp. 222, 315.

(١٨٥) العسقلانى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط ، لوحة ٦٩ ب ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ١٦٣ .

(١٨٦) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ٢٩٣ .

(١٧٨) فى عام ١٢١٢/٦٠٨هـ أعلن جلال الدين حسن أمام الحشيشية =

فصار الظاهر أقل حرصا على الدفاع عن بوهيمند وزاد من التباعد بين الظاهر وبوهيمند ما قرب بين الاول وعمه . فقد وصلت الانباء عن قرب قيام حملة صليبية جديدة(١٨٨) ، الامر الذى تتلاشى امامه كل خلافات بنى أيوب ، ويجعل الظاهر لا يفرق بين بوهيمند وليو ، أو بين حليفه صليبى وعدو مسيحى(١٨٩) والخلاف بين هؤلاء فى ذلك الوقت بالذات كان يعد كسبا للمسلمين . فبينما كان ليو يدخل انطاكية فى موكب الفاتحين كان الظاهر يرعى مصالح رعاياه(١٩٠) واذا كان الظاهر لم يهب لنجدة انطاكية ، فان ليو أقدم على ما يطمئنه ، ويجعله يجنى أول ثمار سياسته ، ويؤكد له فضل اتباعها(١٩١) . وبذلك نجح ليو فى تحييد

= فى الموت للخليفة ببغداد انه أظهر شعائر الاسلام وأمر رعيته بالحج وصيام رمضان واتباع المذهب السنى على مذهب الامام الشافعى . وارسل الى اتباعه فى بلاد الشام يامرهم بذلك ، وخضعوا للخليفة وللايوبيين ، وخاصة الملك الظاهر . انظر : ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ، ص ١٧٣ ــ ١٣٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢١١ . راجع ايضا : أسامة زيد : الصليبيين واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٢٣٧ . وأيضا :

C. Defrémery, Nouvlles Reeherches, p. 39.

(١٨٨) عقد مجمع اللاتيران الرابع فى ١١ نوفمبر ١٢١٥م ، تحت رعاية البابا انوسنت الثالث الذى كان يتطلع الى ذلك منذ بداية بابويته . وحضر المجمع ٧١ من كبار رجال الدين ماعدا بطريرك انطاكية المريض وكذلك بطريرك الاسكندرية وبعثا بممثلين عنهما . ومن أهم قرارات المجمع هو اعلان قيام حملة صليبية جديدة التى من اجلها فرض السلام لمدة اربعة أعوام بين حكام أوربا ــ ووافق المجمع على ارتقاء فريدريك الثانى عرش المانيا . انظر :

H. Leclercq, Lateran, Councils, in The Catholic Encyclopedia, Vol. 9, pp. 16-19, London, 1910, p. 19.

(١٨٩) « وكان بنو أيوب يتحاربون وتجرى بينهم العداوة ، ثم يجتمع بعضهم ببعض وربما صعد بعضهم الى قلاع بعض ، ثم يفارقه بعد المقام عنده على حال جميلة والعداوة والمنافرة باقية بحالها » انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ .

(١٩٠) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٩٥ ، حاشية رقم ١٧٧ .

(١٩١) « وصل رسول من ابن لاون الى الملك الظاهر برسالة مضمونها : انى مملوك السلطان ، وغرس دولته ... وان كان الابرنس قد خدم السلطان ، فخدمتى اكثر من خدمته ، ... وقد اوصيت ابن اختى الذى نصبته بانطاكية بملازمة خدمته ... وبعث ابن لاون =

الملك الظاهر فى صراعه ضد بوهيمند حول انطـاكية فى الوقت المناسب ليطمئن الى استقرار الامور للحكم الارمينى لانطـاكية دون مقاومة . وهكذا يكون ليو قد استطاع أن ينهى هذا الصراع لصالحه ، ويحقق أهدافه فى السيادة على انطاكية التى كانت هدفه منذ تولى الحكم فى قيليقية ، فقبـل المصاهرة بينه وبين بوهيمند الثالث كخطـوة اولى لتحقيق هذا الهدف . وكان عليه بعد ذلك أن يواجه منافسة بوهيمنـــد الرابع حول انطاكية . وبدأ ليو باستمالة جماعة الاسبتارية المنافسين للداوية حلفـاء بوهيمند ، ثم العمل على الاستحواذ على تأييد كل من كانوا يساندون خصمه ، وتميزت سياسته بحسن التوقيت ، فتصالح مع البابوية فى الوقت الذى عصاها فيه بوهيمند ، واستمال جماعة التيوتون الحديثة العهـد بالمنطقة بعد أن نال تأييد الامبراطور الالمانى نفسه . ثم اشترى تأييـد برجوازية انطـاكية وسـكانها وبطـريركها اللاتينى الذين ملوا مساندة بوهيمند ، وأخيرا استطاع ليو أن يحرم بوهيمند من تأييد أقرب حلفائه . فحيد الداوية بعد أن لوح لهم بالأمل فى رد بغراس ، اهم حصـونهم ، اليهم وأخيرا استغل فرصة التباعد بين بوهيمند والملك الظـاهر الذى فرضته خلافات بوهيمند مع الحشيشية الخاضعين للظـاهر ، وأيضـا الشعور الطبيعى بالتآلف بين الظاهر وعمه الذى فرضته المخـاوف من وصـــول حمـــلة صليبية جديدة الى الشرق ، ليزول الدافع من وراء حرص الظاهر على بقاء بوهيمند كحاكم لانطاكية . وهكذا كانت مشكلة انطاكية هى الشغل الشاغل للصليبيين والمسلمين على حد سواء ، والمتنفس الوحيد للطرفين خلال الفترة التى فشلت فيها أوربا فى ارسال حملة جديدة الى الشرق بعد الحملة الثالثة .

بدأ ريموند روبين فترة امارته فى انطاكية بداية حسنة وهو يتمتع بولاء أتباعه من بارونات انطاكية اللاتين ، وتأييـد رجال الدين وعلى رأسهم بطريرك انطاكية نفسه ، ومساندة جماعات الفرسـان الاسبتارية والتيوتون ، ورضاء جماعة الداوية ، وأخيرا بمساندة البابوية التى جعلته يحصـل على اعتراف جمــاعى ورسمى بشرعيـــة حكمه فى الامارة

= مع هذه الرسالة هدية عظيمة فاخرة فمال الظاهر الى قوله ،وبقى مترددا » . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب،ج ٣،ص ٢٣٥ .

اللاتينية (١٩٢) - كل هذا جعل ليو يطمئن على أحوال ريموند ويرحل الى قيليقية حيث دفع هناك ثمن نجاحه فى شمال الشام (١٩٣) . وفى انطاكية عادت كل الاسماء الكبيرة للنبلاء اللاتين ، والتى لم تكن تتمتع باى حظوة لدى بوهيمند ، الى الظهور فى ايام ريموند ، ولأنهم ساعدوه ، فقد رد لهم اقطاعياتهم (١٩٤) . واذا كان ليو قد أعاد حصن بغراس الى فيرودى باراس «Feraud de Barras» نائب الاسبتارية فى سلوقية ، واكد لهم كل الامتيازات التى منحهم اياها من قبل (١٩٥) . فقد منح ريموند جماعة فرسان التيوتون حرية التجارة والانتقال عبر أملاكه دون دفع اية رسوم أو ضرائب (١٩٦) . كما حصل الداوية على كل أملاكهم فى خليج الاسكندرونة وعادت لهم سيطرتهم على الطريق من بغراس الى جبال الامانوس باستعادة حصن التينات «Callamella» شمالى

---

(١٩٢) لا توجد رسائل فى هذه الفترة لانوسنت الثالث تخص انطاكية سوى رسالة وجهها فيما بين فبراير ١٢١٥م ويوليو ١٢١٦م الى كل من ملك ارمينيا وملك قبرص وامير انطاكية يحثهم على الاستيلاء على سفن المسلمين . ولأن انوسنت لم يلقب بوهيمند ابدا بلقب امير فمن المؤكد أنه يقصد ريموند . انظر :
Potthast, Regesta, Vol. 2, no. 5179, p. 453.

(١٩٣) انتهز عز الدين كيكاوس السلجوقي انشغال ليو فى انطاكية . وهاجم أملاكه فى قيليقية اتفاقا مع الملك الظاهر ، والذى رجع عن هذا الاتفاق بناء على نصيحة عمه الملك العادل الذى كان الظاهر يبغي الحصول منه على اعتراف بابنه العزيز (ابن الظاهر) خلفا له فى حكم حلب ، وتعلل الظاهر بهجوم نصرة الدين صاحب مرعش السلجوقي على اقليم البلاط ليخرق اتفاقه مع كيكاوس الذى اجتاح السهل القليقى كله ، واباد القوة التى أرسلها ليو ، وأسر الكثيرين من الارمن على راسهم قنسطنطين عم ليو ، وكنسطبل المملكة وقدم حاكم حصن بغراس السابق . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٦ ، ابن العديم: زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، راجع أيضا :
Sempad Le Connetable, pp. 644-645; Hethoum, pp. 483-484.
CF. also, Cahen, Pre-Othmann Turkey, p. 123.

(١٩٤) نرى غالبية هذه الاسماء تشهد على وثائق الامتيازات التى حررها ريموند للجنوية والاسبتارية فى ٣١ مارس ١٢١٦م . انظر :
Rohricht, Regesta, nos. 877, 878, pp. 236-237.

(١٩٥) Delaville Le Roulx, Les Hospitalaiers, p. 148.

(١٩٦) فى مارس ١٢١٩م . انظر :
Strelke, no. 51, p. 41.

الاسكندرونة(١٩٧) . أما عن الايطاليين ، فقد منح ريموند للجنوية محكمة خاصة فى انطاكية فى فبراير ١٢١٦م/ذى القعدة ٦١٢هـ(١٩٨) . وفى ابريل ١٢١٦م/محرم ٦١٣هـ منح البيزاوية الذين كانوا على علاقة سيئة ببوهيمند الرابع كل الامتيازات التى تمتعوا بها أيام بوهيمند الثالث(١٩٩) . كما أظهر ريموند احتراما بالغا للبابوية ، وكانت علاقته بالبابا هنوريوس الثالث لا تقل قوة عن علاقته بسلفه البابا انوسنت الثالث(٢٠٠) . فوضعه البابا الجديد تحت حمايته الخاصة ، وأوصى به كل القيادات الصليبية فى بلاد الشام(٢٠١) .وهكذا بدا أن شعار ريموند هو العودة الى عهود بوهيمند الثالث ، والقضاء على عهد بوهيمند الرابع(٢٠٢) . أما عن السياسة الخارجية لريموند روبين ، وخاصة علاقاته السياسية بالمسلمين فليس لدينا ما يثبت أنه قد قام بأى عمل ضد المسلمين ، بالرغم من أن الفرصة قد توفرت له(٢٠٣) بما حل من خلافات

---

(١٩٧) Riley-Smith, Templars and The Teutonick knights, p. 107.

(١٩٨) Rohricht, Regesta, no. 885, p. 238.

(١٩٩) Rohricht, Regesta, no. 886, pp. 238-239.

(٢٠٠) مات البابا انوسنت الثالث فى ١٦ يوليو ١٢١٦م وخلفه هورريوس الثالث (١٢١٦ - ١٢٢٧م) . انظر :

Ann. T.S., p. 436. CF aslo, Runciman, Vol' 3, p 145

(٢٠١) كتب هنوريوس فى ٢٥ يوليو ١٢١٦ الى مقدم الاسبتارية وفى نفس اليوم الى ليو ثم فى ٢٧ يوليو من نفس السنة الى المبعوث البابوى بيلاجيوس ،وفى ٢٩ من نفس الشهر الى شعب انطاكية . وفى كل رسائله يطلب من الجميع تاييد ريموند وحمايته ويوصيهم به وبزوجته وابنتهما. واخيرا فى ١٥ أغسطس ١٢٧١م كتب الى ريموند نفسه يعلمه انه يعترف به ميرا لانطاكية وأنه وضعه تحت حماية الكرسى الرسولى . انظر :

Honorius III, Pope, Regesta Honorii Papae III, ed. p. Pressutti, 2 toms, Rome, 1888-1895, t. I, nos. 676, 677, p. 118; no. 682, p. 119, no. 693, p. 121, no. 707, p. 123

(٢٠٢) Cahen, La Syrie du Nord, p. 639.

(٢٠٣) بعد موت الظاهر استمر الخلاف بين أمرائه وأخواته لمدة أربعة أشهر . وانتهى الامر بأن يخلفه فى الحكم ابنه العزيز (كان عمره قد جاوز العامين) وأن يكون ولى عهده أخوه المنصور (١٢ سنة) وأتابكه شهاب الدين طغرل . انظر : للعسقلانى : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ١٧٠ ، ابن نظيف الحموى ، التاريخ المنصورى ، ص ٧٢ - ٧٣ .

بين المسلمين فى حلب بعد موت الملك الظاهر فى ليلة الثلاثاء ٤ اكتوبر ١٢١٦م/٢٠ جمادى ثان ٦١٣ . كما أنه لم يستغل انشغال الحلبيين فى التصدى لاطماع سلاجقة الروم فى حلب فى العام التالى(٢٠٤) ولانشغال المسلمين فى مصر وبلاد الشام بالتصدى للصليبيين من بوادر الحملة الصليبية الخامسة(٢٠٥) . ويبدو أن حداثة سن ريموند عندما اعتلى عرش انطاكية(٢٠٦) لم تؤهله لأن يحل محل أمرائها السابقين . وبعد ان بدأت امارته تحيطها بشائر السعادة ، فقد تغير الموقف تماما بعد فترة قصيرة . ففى ظروف غامضة ساءت العلاقات بينه وبين ليو الثانى الذى استطاع بمساعدة الداوية أن يهرب من انطاكية قبل ان يعتقله ريموند(٢٠٧) . وربما شعر ريموند بان وصاية عمه عليه قد اثقلت كاهله ، وربما وجد انه من حسن السياسة أمام رعاياه الجدد وغالبيتهم من اللاتين ان لا يبقى تحت وصاية أرمينى ، ارضاء لمشاعر اللاتين الذين كانوا يمقتون النفوذ الارمينى الذى يستشرى فى انطاكية دون أن يجدوا وسيلة لصده(٢٠٨) . وأزاء تنكر ريموند لفضل ليو عليه ، فقد عين الاخير ابنته ايزابيل «Ezabelle» التى انجبها حديثا وريثة له فى قيليقية(٢٠٩) . ومن سوء حظ ريموند أن يفقد تاييد حليف آخر هام له ،

---

(٢٠٤) طمع عز الدين كيكاوس فى حلب بعد موت الظاهر واقتنع الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط ان يشاركه فى ذلك على أن ياخذ الافضل مايفتحون من حلب وياخذعزالدينمايفتحونهفى اقليم الجزيرة من أملاك الاشرف موسى ، الا أن عز الدين لم يف بوعده للافضل وفشل التحالف بانتصار الاشرف على كيكاوس فى الجزيرة . انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، ص ٧٤ .

(٢٠٥) انظر ما تقدم من هذا الفصل ، ص ٣٠٦ وما بعدها .

(٢٠٦) ولد ريموند فى ١١٩٩م . وكان فى السابعة عشرة من عمره عندما اعتلى عرش انطاكية انظر :

Continuation de Guillaume Tyre, pp. 167, 169.

(٢٠٧) أهان ريموند عمه الكبير اهانات بالغة وبقى ليو مريضا ومصابا بالشلل حتى مات ربما بسبب جحود ريموند . انظر :

Eracles, p. 347; Sempad, p. 644.

(٢٠٨) Eracles, p. 347, p. CF. also, E. Rey, Histoire des Princes n'Antioche, p. 397.

(٢٠٩) W.H. Rudt-Collenberg, The Rupenides, Hethumides and Lusignans, The Structure of the Armeno-Cilician Dynasties, Paris, 1963, p. 58 and tables 2.

بموت البطريرك اللاتيني لانطاكية في بداية عام ١٢١٧م وهو الذي كان مستشاره المخلص(٢١٠) . واتسمت الحاشية التي أحاطت بريمـــوند بالجشع وسوء التدبير ، وأمام مطالبها أصبح السخاء الذي أظهره ريموند عبئا ثقيلا على خزانته ، فلجأ الى اجراءات أثارت استياء السـكان ، وافقدته شعبيته ، واصبح متشككا في الجميع ، وراح يبطش برجال الدين والعامة على السواء ، مما عرض تحالفه مع الكنيسة للخطر . وكان من الصعب ان يقف قومون انطاكية في صف ريموند ، الذي فرض ارادته على اعضـــائه ، ما لم يضمن هؤلاء الرخاء ، الامر الذي لم يحدث أبدا ، وأصبحت سلطة ريموند تقع تحت رحمة الصدفة(٢١١) . وهكذا ساء موقف ريموند في انطاكية ، وعادت الفرصة تتهيأ أمام بوهيمند الرابع لاستعادة سلطته فيها في الوقت المناسب . فقبل ذلك لم يكن في استطاعة بوهيمند أن يقوم بعمل مضاد ضد الارمن . ففي البـداية لم تكن قواته وحدها تكفي لمواجهة ليو ، وبعد ذلك كله كان عليه أن يشارك في صليبية ١٢١٧م/٦١٤هـ ، ثم كان عليه في ١٢١٨م/٦١٥هـ أن يدافع عن طرابلس ضد هجمات المسلمين . ثم تقوى بوهيمند في بداية ١٢١٨م/نهاية ٦١٤هـ بما حدث بينـه وبين هيو الاول ملك قبرص(٢١٢) . وأخيرا استرد بوهيمند انطاكية بنفس الطريقة - الخيانة - التي فقدها بها من قبل . فقد تم تنظيم مؤامرة على يد شخص يدعى وليم فارابل «Guillaume Farabier» الذي استدعى بوهيمند من طرابلس ، فظهر الاخير فجـأة في انطاكية ، فهتف سكانها بحياته ، واستطاع ريموند أن ينجو بنفســه

---

(٢١٠) مات بطرس الثاني في ربيع عام ١٢١٧م بسبب المرض الذي لازمه طويلا حتى انه لم يتمكن من حضور مجمـع اللاتيران الرابع في ١٢١٥م واناب عنه أسقف انطرطوس . وبقى كرسي البطريركية شاغرا لمدة عامين حتى شغله بطرس دى كابوا «Pierre de Capoue» لمدة عام واحد (١٢١٩م) . انظر :

Alberic de Trois Fontains, in M.G.H.SS.; Vol. 23 p 903 Robert d'Auxerre, Chronicon, in M.G.H.SS., Vol. 26, p 281 CF also, E. Rey, Les Dignitairer, p. 140. B. Hamilton, The Latin Church, p. 223.

(٢١١) Eracles, p. 317.

(٢١٢) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٧١ ، حاشية رقم ٢٦٣ .

متوجها الى قيليقية ، وعبثا حاول أن يسترد حظوة ليو ، وذلك فى ابريل ١٢١٩م/صفر ٦١٦هـ(٢١٣) .ولم يعد ينافس بوهيمند على انطاكية أحد. وهكذا ، بالرغم من الصراع الطويل والمستمر بين بوهيمند وليو حول انطاكية والاطراف العديدة التى شاركت فيه من اسلامية ومسيحية جريا وراء مصالحها ، فلم تكن امارة ريموند روبين جديرة بأن تكون نتيجة لهذا الصراع المرير فلم تلفت فترة حكمه اليها الانظار . ولم تتعد أعماله القيام بتحرير عدة وثائق منح بمقتضاها الامتيازات لكل الذين ساندوه(٢١٤) ، والذين كانوا هم المستفيد الوحيد من وراء تنوزه بكرسى انطاكية .

وفى الحقيقة لم يكن فى وسع شمال الشام كله ان يلفت الانظار - أو يشهد صراعات بين الصليبيين والمسلمين - منذ ١٢١٧م/٦١٤هـ فى الوقت

---

(٢١٣) كان آخر عمل قام به ريموند فى انطاكية هو تحريره وثيقة فى مارس ١٢١٩م منح بمقتضاها الفرسان التيوتون حرية التجارة فى انطاكية . انظر :

Strelke, no. 51, pp: 41-42; Rohnicht, Regesta, no. 921, p. 242; Eracles, p. 318 Gestes des chiprois, p. 665, Ann. T.S, p. 437; Hethoum, p. 484.

(٢١٤) الى جانب منح ريموند للجماعات الرهبانية المقاتلة مثل الداوية والاسبتارية والتيوتون فقد قام بتقديم المنح للجماعات الدينية الأخرى لكسب ود الكنيسة والرأى العام الصليبى ايضا . ففى ١ سبتمبر من عام ١٢١٦م قدم لجماعة القديس العازر «St. Lazar» والمقيمين فى بيت المقدس منحة عبارة عن ألف ثعبان ماء لاطعام مرضاهم . وقد نشأت جماعة القديس العازر لرعاية المجذومين فى ١١٣٠م وكان مقرها بيت المجذومين «Domus Le Prosorum» فى السور الشمالى لمدينة بيت المقدس . وكان هدف الجماعة هو عزل مرضى الجذام عن المجتمع الصليبى لعدم توفر علاج لهذا المرض فى العصور الوسطى . وعندما كانوا يضطرون للخروج من مقرهم كانوا يدقون جرسا لتحذير الناس ، وفى ١١٤٢م أصبح لهم دير وكنيسة . وفى ١١٥٥م كان لهم مقدم جماعة . وكان لهم منازل فى طبرية وعسقلان وقيسارية وبيروت . ولم يشتركوا فى عمل حربى سوى معركة غزة فى ١٢٤٤م ضد الخوارزمية . وفى عكا كان لهم برج القديس العازر . انظر :

Cartulaire de St. Lazare, (ed. De Masy), in A.O.L., t. 2, no. XXXII, p. 149, CF. also, J. Prawer, The Latin kingdom of Jerusalem, pp. 275-276.

الذى تغيرت فيه السياسة فى الشرق الادنى الاسلامى بعـــد موت الملك الظاهر ثم العادل واخيرا ليو الثانى الارمينى ، ووصول الحملات الصليبية الى فلسطين ومصر ، وازدياد النشاط السلجوقى فى قيليقية والجزيرة . وبينما كانت انطاكية هى التى تشد انتباه الجميع الى شمال الشـــام وتشغل الاذهان ، فى سوريا وبيزنطة وارمينيـــا ومصر وحتى فى روما نفسها ، بمشاكلها وسياسة أمرائها ، أصبح عليها الآن انتشـــارك فى سياسات هؤلاء ، خارج حدودها ، والا ما شعر بها احد ، وكأنها لا تهم . وكان من الممكن الا نرى امارة انطاكية تحتل حيزا من صفحات الحوليات التاريخية لو لم يعد بوهيمند الرابع اليها . فحتى قبل عودته الى الحكم كان عليه أن يشارك فى الجهد الصليبى ضد المسلمين فى الوقت الذى يضع فيه عينه على امارته المسلوبة . فبعد أن انحرفت الحملة الصليبية الرابعة عن الهدف الذى حددته لها البابوية ، وبعد أن آل مصير من قاموا بحملة ١٢١٢م/٦٠٩هـ ، الى الهلاك والعبودية(٢١٥) ، ولأنها لم تكن بالحملة التى يمكن الاعتماد عليها فى الدفاع عن الكيان الصليبى ضـد المسلمين واسترداد ما أخذه صلاح الدين ؛ بعدكل هذا لم تستغرق أوربا وقتا طويلا فى الحزن عليها ، ولم تنشغل البابوية كثيرا فى نعيها للمجتمع الاوربى ،بل انها حثت هذا المجتمع على القيام بحملة جديدة تخضع لسلطتها مباشرة .

---

(٢١٥) ضمت هذه الحملة آلاف الصبية من شمال فرنسا وغرب المانيـا حيث دعا اليها صبى من فرنسا يدعى ستيفن . وفى المانيا دعا اليها صبى آخر يدعى نيقولا . وانتهى مصير الفرنسيين منهم الى أن أخذهم تاجران من مرسيليا فى سفنهم على أن ينقلوهم الى بلاد الشام ولم يدر أحد عنهم شيئا بعد ذلك . أما الالمان فقد بقى بعضهم فى جنوا والباقون منهم توجهوا الى روما حيث قابلوا البـــابا انوسنت الثالث ، ثم عاد جزء منهم الى بلادهم وهلك الباقون فى الطريق . وهناك رواية تشير الى أن الاطفـــــال الفرنسيين قد تم بيعهم كعبيد فى الاسكندرية « بعضهم عاد الى بياكنزا ، وبعضهم عاد الى مرسليا ، ولكن اذا كانوا قد عبروا البحر الى الاراضى المقدسة أو ماذا كان مصيرهم ، فهذا أمر غير مؤكد ، وشىء واحد اكيد ، هو أن من بين الآلاف الذين خرجوا ، لم يعد الا القليلون » انظر :

Chronica Regiae Coleniensis M.G.H.SS., Vol. 27, pp. 17-18, CF. also, Dana Monro, Children Crusade, in A.H.R., Vol. 19, pp. 516-524.

فاصدر انوسنت الثالث القرارات التى تضمن نجاح الحملة المأمولة بالصورة التى تخيلتها البابوية(٢١٦) . ولما مات انوسنت دون أن يشهد تحقيق مشروعه ، لم يكن خلفه هنوريوس الثالث (١٢١٦ - ١٢٢٧م) أقل منه حرصا على قيام الحملة التى تهدف الى الاستيلاء على مصر ، وتقوية المملكة الصليبية المتهالكة(٢١٧) . وأثار البابا حماسة اندرو الثانى «Andrew II» ملك هنغاريا ، وليوبولد السادس «Leopold VI» دوق النمسا ، اللذين وصلا الى عكا فى أكتوبر ١٢١٧م/جماد ثان ٦١٤هـ ، فى الوقت الذى وصل فيه اليها هيو الاول ملك قبرص (١٢٠٥ - ١٢١٨م)(٢١٨).ومن عكا أرسل الصليبيون الى بوهيمند كونت طرابلس ليأتى للمشاركة فى الحملة،ولحق بهم بوهيمند مع كثير من اتباعه(٢١٩). وعقد الفرنج مجلس حرب فى عكا تقرر فيه أن يهاجموا القلعة التى بناها الملك العادل على جبل الطور(٢٢٠) . واسرع العادل من مصر الى

---

(٢١٦) عقد مجمع اللاتيران الرابع فى روما فى نوفمبر ١٢١٥م وأعلن فيه البابا انوسنت الثالث قيام الحملة الصليبية الخامسة التى تقرر لها ان تبحر الى الشرق من صقلية فى أول يونيو ١٢١٧م . ومنح البابا كثيرا من الامتيازات لكل من يشارك فيها . كما هدد بالقطع والحرمان كل من لا يشارك أو يتخلى عن الحملة قبل تحقيق أهدافها . انظر :
Joseph P. Donovan, Pelagius and the Fifth crusade, Philadelphia, 1950, p. 26.

(٢١٧) J. Brundage, The crusades, p. 214.

(٢١٨) Eracles, p. 322., CF. also, Runiciman, Vol. 3, pp. 147-148

(٢١٩) جاء معه كل من جى الاول أمبرياكو حاكم جبيل وشقيقه وليم وجيرار كندسطبل طرابلس . وكان موجودا قادة الاسبتارية والداوية والتيوتون وليم دى شارتر وجارين دى مونت وهرمان دى سالزا ، الى جانب ملك بيت المقدس والبطريرك رادولف وأعضاء اسرة ابلين وجاك دى فترى أسقف عكا . انظر :
Eracles, p. 322.

(٢٢٠) بنى العادل هذه القلعة على جبل الطور بالقرب من عكا لتحرس اقليم الجليل ضد غارات الفرنج . وأمدها بالرجال والسلاح ، فاصبحت خطرا على افرنج عكا ، وتم بناؤها فى ١٢١٢م/ ٦٠٩هـ . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢١٥ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ١٧٦ .

فلسطين ، ولما آثر الحذر في مواجهة الفرنج لقلة قواته(٢٢١) ، فقد ارتد الى بيسان رغم معارضة ابنه المعظم عيسى ، ليرتد عنها الى دمشق خوفا من عدم اكتمال قواته(٢٢٢) التي تركها فريسة للصليبيين الذين استمروا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون فيها(٢٢٣) . ثم اتجهوا الى بانياس وحاصروها ثلاثة أيام وارتدوا الى عكا مرة أخرى(٢٢٤) .وبعد فترة راحة قضاها الصليبيون في عكا بدأوا في حصار قلعة الطور لمدة تسعة أيام (٣٠ نوفمبر - ٧ ديسمبر ١٢١٧م/٢٨شعبان - ٦ رمضان٦١٤هـ) (٢٢٥) . فكان عليهم أن يصعدوا الجبل يوم ولم يكن من الممكن استخدام آلات الحصار لارتفاع موقع القلعة ، وفشلوا في ٣ ديسمبر/٢رمضان في الوصول اليها ، وفي ٥ ديسمبر/٤ رمضان وصلوا الى سوارها الا أن المسلمين تدفقوهم بالنار الاغريقية فارتدوا الى أسفل الجبل ، وبقوا على حصارها ،

---

(٢٢١) يحدد سبط ابن الجوزي الذي كان في حلب في ذلك الوقت عدد قوات الفرنج بحوالي ١٥ الف مقاتل ، بينما يذكر جاك دي فتري أن عددهم « يفوق الحصر » واتفق المؤرخون على قلة قوات العادل حين خرج من مصر للقاء الفرنج : انظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٣ ، ابن واصل: مفرج الكروب جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ، المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ١٨٦ ، العسقلاني : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ أ راجع أيضا :

Jacques de Vitry, Epistolae, ed. R.C.C. Huygens, Leiden, 1960, Letter 3, p. 98.

(٢٢٢) نهر العادل ابنه بالعجمية قائلا « بمن أقاتل ؟ اقطعت الشام مماليكك وتركت أولاد الناس الذين يرجعون الى الاصول » انظر: العسقلاني : شفاء القلوب ، مخطوط لوحة ٦٢ ب .

(٢٢٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٣ . راجع أيضا :

Eracles, p. 324.

(٢٢٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١٤٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ . راجع أيضا :

Eracles, p. 324.

(٢٢٥) لم يحدد بداية حصار الفرنج للقلعة ونهايته سوى سبط ابن الجوزي ، ومؤرخ شفاء القلوب وقد اتفقا على هذا التاريخ . انظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٤ ، العسقلاني : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ب ، ٦٣ أ .

وتكبدوا خسائر كبيرة . الا أن الحامية التى بها اوشكت على الاستسلام للفرنج الذين داوموا على حصار القلعة « وكادوا يملكونها »(٢٢٦) . ولم ينقذها الا فتور حماسة الفرنج ، وعدم قدرة بوهيمند على الاستمرار فى الحصار ، فنادى بالتخلى عن المشروع باكمله ، وعاد الصليبيون الى عكا(٢٢٧) . فهل تم هذا لصعوبة الحصار أوا تفاقا مع المسلمين،أم خوفا على انطاكية ؟ والطبع لم تكن صعوبة الحصار تدفع بوهيمند لأن يظهر بمظهر المتخاذل أمام أقرانه من الصليبيين . كما انه لم يكن من السهل الاتفاق مع المسلمين دون مقابل ، ولن يحدث ما يثبت مساعدة المسلمين لبوهيمند فى تحقيق هدفه المقبل . ولكن يبدو أن الامل فى استعادة امارته قد راوده ، خاصة لوجود ملك قبرص والصليبيين ، وهؤلاء من الممكن الاتفاق معهم على مساعدته . فبعد أن شعر ملك المجر بعدم الرغبة فى الاستمرار فى قتال المسلمين(٢٢٨) ، رغم الحاح بطريرك بيت المقدس(٢٢٩) ، اكتفى باقتناء بعض المخلفات الدينية وكانه استعاد

---

(٢٢٦) لم يضع تاريخا لهذه الاحداث الا المؤرخ العسقلانى . انظر : العسقلانى : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ ب ـ ٦٣ أ ، ابن واصل :مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٥٧ ، سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٥٨٤ ، راجع أيضا :
Paderbonn, Oliver of Historia Damiatana, Trans, by J. Gavigan as (The Capture of Damietta), Philadelphia, 1948, p. 15.

(٢٢٧) يرجع ابن واصل سبب رجوع الفرنج عن الحصار الى موت بعض ملوكهم . انظر : ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٥٧. انظر أيضا :
Eracles, p. 325.

(٢٢٨) قام ابن أخت ملك هنغاريا بالغارة فى اقليم البقاع واغار على صيدا وشقيف ارنون ومرج عيون ، وتعرضت قواته لهجمات سكان الجبال والعواصف الثلجية ولم يعد من الخمسمائة هنغارى غير ثلاثة رجال ، بينما قتل الباقون ومنهم ابن أخت الملك انظر : أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٠٣ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ قسم ٢ ، ص ٥٨٥ . راجع أيضا :
Eracles, p. 324.

(٢٢٩) اضطر البطريرك رادولف أن ينزل قرار الحرمان ضد الملك اندرو ورجاله . ومن المعروف أنه لم يشترك فى حصار قلعة الطور لمرضه . انظر :
Oliver, p. 17.

بيت المقدس نفسها(٢٣٠) • وقرر العودة الى بلاده ، فصحب بوهيمند وهيـــو ملك قبرص الى طرابلس حيث تم زواج بوهيمند من ميلسـند «Melisende» شقيقة هيو الذى مات فجاة بعد حفل الزفاف فى ١٠ يناير ١٢١٨م/١٠ شوال ٦١٤هـ(٢٣١) • أما ملك هنغاريا فقد توجه الى ارمينيا ومنها الى أوربا بعد أنضمن سلامة مروره عبر آسيا الصغرى من عز الدين كيكاوس السلجوقى(٢٣٢) • وربما جعل موت هيو ورحيل الملك أندرو من الصعب التأكد من محاولة بوهيمند الاستفادة بوجودهما لاسـترداد انطاكية مع أن الظروف كانت مواتية لذلك • فالمسلمون مازالوا فى شغل عن شـمال الشـام(٢٣٣) ، وليو فى فراش المرض ، وريموند وحده فى انطاكية • الى جانب أن الحملة على أملاك المسلمين فى فلسطين ومصر لم تكن تهم بوهيمند شانه فى ذلك شان أبيه ، ولا مانع لديه من الاستفادة بجزء من قواتها لصالحه الخاص ، وان لم يكن ، فالبقاء فى شمال الشام يجنبه التعرض لأية خسائر قد تلحق بالحملة التى يشارك فيها • وهذا ما سيثبته موقفه من الحملة الخامسة وعن بعدها السادسة أيضا • وهكذا كانت سياسة بوهيمند الرابع ، واهتماماته الشخصية احد عوامل فشل الحملة الهنغارية التى افتقر قادتها الى التنظيم والى التمويل(٢٣٤) وأخيرا —

---

(٢٣٠) Oliver, p. 15. CF. also, Bridge (Antony), The Crusades, London 1980, p. 225.

(٢٣١) كانت بليزانس زوجة بوهيمند وابنة جى حاكم جبيل قدماتت منذ فترة وجيزة تاركة له أربعة ابناء • ومات هيو وهو فى الثـالثة والعشرين من عمره انظر :
Eracles, pp. 325, 360, Oliver, p. 17, Gestes Chiprios, p. 670; Ernoul, p. 412, Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 99. CF. also, Hill, History of Cyprus, Vol. 2, p. 82.

(٢٣٢) زار أندرو الاسـبتارية فى حصـن الاكراد والمرقب حيث تبرع لاسـبتارية الكرك بمبلغ مائة مارك للدفاع عن الحصـن ، وفى ارمينيا خطب ابنه الثالث لاحدى بنات ليو الثانى ثم توجه الى القسطنطينية ومنها الى بلاده •
Hethoum, p. 484; Jacques de Vitry, Epistolae, III, p. 99.

(٢٣٣) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣١٠ — ٣١١ •

(٢٣٤) يذكر تاريخ هرقل ان ليوبولد دوق النمسا اقترض خمسين الف بيزنط من جى الاول حاكم جبيل حتى يستطيع الاستمرار بقواته فى الشرق • انظر :
Eracles, p. 332. CF. also, E. Rey, Les Seigneurs de Giblet, i R.O.L., Vol. 3, Paris, 1892, p. 403

كما اتهمهم أسقف عكا - بالافتقار الى العزم والشجاعة(٢٣٥) ، وكانت خسائرهم بلا طائل(٢٣٦) . وكان على ملك بيت المقدس أن ينتظر وصول مزيد من الصليبيين من أوربا(٢٣٧) . ولم تكن بوادر الحملة الصليبية الخامسة هى كل ما طغى على الاحداث فى انطاكية ، أو كل ما شغل الايوبيين فى تلك الفترة . فمما ضاعف من خطر هذه الحملة على الايوبيين ، أنها شجعت السلاجقة المتربصين بأملاكهم فى الجزيرة وشمال الشام بدءا من القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى ، الذى يحدد نصفه الاول ، وخاصة عهد عز الدين كيكاوس وخلفه كيقباذ ، ذروة ازدهار دولة السلاجقة فى شبه جزيرة الاناضول(٢٣٨) . فتم اخضاع الاتباع من التركمان ، وازداد النشاط الاقتصادى بشكل لم تعرفه دولة السلاجقة من قبل ، وازدادت تجارتهم مع الغرب الاوربى ، وهى موارد لم تكن تتوفر لدول الارمن فى قيليقية ، ولا البيزنطيين فى نيقية وطرابيزون(٢٣٩) . ومنذ الفتح اللاتينى للقسطنطينية لم تعد هناك دولة تثير مخاوف السلاجقة بشكل جدى ، خاصة بعد أن كونوا جيشا قويا من المرتزقة ، الامر الذى شجعهم على التدخل فى شئون شرقى آسيا الصغرى وشمال الشام(٢٤٠) . وكان أول تدخل سلجوقى فى شمال الشام عشية موت الملك

---

(٢٣٥) Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 98.

(٢٣٦) عندما حاصر الفرنج دمياط أمر العادل ابنه المعظم عيسى بهدم قلعة الطور لصعوبة المحافظة عليها ولاستخدام من فيها من المسلمين للدفاع عن دمياط . انظر أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٠٩ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١٤٨ .

(٢٣٧) حتى وصول الامداد من اوربا قام ملك بيت المقدس بمساعدة دوق النمسا والاسبتارية فى تعمير قيسارية وبناء استحكاماتها ، كما قام الداوية بمساعدة الفرسان التيوتون ببناء قلعة قوية فى عثليت عرفت بقلعة الحجاج Chateau Pélerin انظر :
Oliver, pp. 17-19; Eracles, pp. 325-326.

(٢٣٨) Cahen, Pre Ottoman Turkey, p. 124.

(٢٣٩) ازدهرت الزراعة وتربية المواشى فى دولة السلاجقة مما ساعدها على الاتجار فى النباتات والفاكهة والاصواف ، الى جانب استغلال السلاجقة لمناجم الفضة والحديد . انظر :
Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Graz-Austria, 1965, ch. 143-144. CF. also, Cahen, Pre Ottoman Turkey, pp. 157-168.

(٢٤٠) تكون جيش السلاجقة من التركمان والمرتزقة من الاسرى البيزنطيين الذين أسلموا واللاتين الى جانب العبيد : انظر : =

الظاهر ، طمعا فى حلب ، لولا اسراع الاشرف موسى الذى أجهض محاولة كيكاوس ونال فى مقابل ذلك تبعية حلب له(٢٤١) . ومات كيكاوس فى عام ١٢١٩ م قبل أن يثار لهزيمته بالقرب من البزاعة ، واسرع شقيقه وخلفه كيقباذ الى التصالح مع الاشرف ، حتى تستتب له الامور فى قونية(٢٤٢) . وهكذا كان الخطر السلجوقى فى آسيا الصغرى والخطر الصليبى المتجه نحو مصر هما جل اهتمام الايوبيين ، وايضا المؤرخين ، حتى ارتبط تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين بقدر ارتباطها بسياسة هؤلاء . وصار شمال الشام،وهو يضم بقايا امارة انطاكية وكونتية طرابلس الصليبيتين يعتمد على أثر سياسة الامراء اللاتين فيهما كى يحتل بعضا من صفحات حوليات تاريخ الحروب الصليبية ، وان لم تبلغ ما بلغته فى القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى .

أحسن بوهيمند اختيار الوقت الذى يعود فيه الى عرش انطاكية . فقد مات ليو الثانى غير راض عن ريموند روبين ، وقبل موته حرم ريموند من أن يرثه ، والمسلمون والصليبيون مشغولون بالصراع حول الفوز بدمياط ، ولن يتفرغ الاسبتارية ولا ملك بيت المقدس لمساندة ريموند الآن . فبعد وصول بقية الصليبيين الى عكا(٢٤٣) ، قرر الملك حنا التوجه بهم الى مصر ، هدف الحملة الذى حددته البابوية(٢٤٤) ، حيث

= Cahen, La Syrie du Nord. p. 627; J. Richard, An account of the battle of Hattin, in speculum, Vol. 27, p. 173.

(٢٤١) انظر ما سبق ، ص ٣٠٢ ، حاشية (٢٠٤) .

(٢٤٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٢٤٣) وصل جزء من الاسطول الفريزى الى عكا فى ٢٦ ابريل ١٢١٨م ثم تبعه الجزء الثانى بعد اسبوعين ، ثم تلا ذلك الفرنسيون القادمون من ايطاليا . انظر :
Oliver, pp. 20-21; Ernoul, pp. 414-415; Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 99.

(٢٤٤) يذكر جاك دى فترى أن أوليفر مؤرخ الحملة الخامسة هو الذى نصح الفرنج بالتوجه الى مصر كما حدد مجلس اللاتيران الرابع فى ١٢١٥م بينما ينسب ارنول هذه الفكرة للملك حنا برين . انظر : =

يمكن احراز اكبر المكاسب على حساب المسلمين(٢٤٥) . وبدات الحملة بداية طيبة(٢٤٦) ومات العادل ، وأدى اضطراب أحوال ابنه وخلفه الملك الكامل الى سقوط دمياط في أيدى الفرنج في ٥ نوفمبر ١٢١٩م/٢٦ شعبان ٦١٦هـ(٢٤٧) . مما دفع بالكامل الى عرض الصلح على الصليبيين مانحا اياهم فرصة اعادة تكوين مملكة بيت المقدس الصليبية مقابل الجلاء عن مصر . الا أن عجرفة المندوب البابوى بيلاجيوس(٢٤٨) وجهله باوضاع

= Jacque de Vitry, Epistolae, 3, p. 99; Oliver, pp. 22-23; Ernoul, pp. 414-415.

(٢٤٥) سبق أن نصح ريتشارد قلب الاسد قبل رحيله من الشرق بان توجه المشاريع الصليبية ضد مصر . وكان قادة الحملة الرابعة يعلمون ذلك ، وطبق الاستراتيجية الجديدة قادة الحملة الخامسة ثم من بعدها السادسة والسابعة . انظر :

Geofrey, Villehardouin, p. 11.

(٢٤٦) فى ٢٤ مايو ١٢١٨م/٢٧ صفر ٦١٥هـ رحلت السفن الصليبية من عكا وبعد ثلاثة أيام بدأ الصليبيون فى حصار دمياط ، وفى ٢٤ اغسطس استولوا على برج السلسلة الذى اعتبره المؤرخون المعاصرون « قفل البلاد المصرية » انظر : أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٠٩ ،

Oliver, pp. 23-27, Jacque de Vitry, Epistolae, III, p. 99.

(٢٤٧) مات الملك العادل فى ٣١ أغسطس ١٢١٨م/٧ جمادى الآخرة ٦١٥هـ فى عالقين التى وصل اليها من مرج الصفر ، وكان سبب موته كما اجمع المؤرخون يرجع الى حزنه على سقوط برج السلسلة فى ايدى الصليبيين ، وبعد موته تولى ابنه الكامل حكم مصر ، وابنه المعظم عيسى الحكم فى دمشق ، وابنه الثالث الاشرف موسى الحكم فى بلاد الجزيرة ، بينما كان الملك العزيز ابن الظاهر فى حلب . وبعد موت العادل دبر أحد أمرائه الاكراد المعروف بعماد الدين ابن المشطوب مؤامرة لاحلال الفائز الابن الرابع للعادل محل أخيه الكامل الذى تراجع عن مواجهة الفرنج وفكر فى اللجوء الى اليمن التى يحكمها ابنه المسعود لولا وصول أخيه المعظم عيسى الى مصر . الا أن تراجعه مكن الفرنج من الاستيلاء على دمياط لفرار عسكره بعد انسحابه . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١ ، ص ١٤٩ ــ ١٥٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠ ــ ٢٧٥ ، العسقلانى : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٦٢ب ، ٦٣أ ، ٦٣ ب ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١١١ ــ ١١٢ ، ١١٦ ، ابن تظيف : التاريخ المنصورى ، ص ٧٦ ــ ٧٨ .

(٢٤٨) كان بيلاجيوس أسبانى الاصل . ولا نعرف الكثير عن حياته =

الصليبيين والمسلمين بالشرق ، الى جانب غرور الجماعات العسكرية الدينية الثلاث ، ومصالح الايطاليين الخاصة ، أضاع كل تلك الفرص على الصليبيين(٢٤٩) . وقد منح الكامل الفرصة لأن يستعيد قواه مرة أخرى ، ويمتلك زمام الموقف(٢٥٠) . واضطر قادة الفرنج أن يقبلوا شروط

= الاولى ، عينه البابا انوسنت الثالث كاردينالا فى ١٢٠٦م . وفى ١٢١٣م تولى مهمة تسوية مشكلة الكنائس اليونانية فى الامبراطورية اللاتينية فى بيزنطية ، ثم عينه البابا هنوريوس الثالث مندوبا بابويا وقائدا للحملة الخامسة . وكان متصلب الرأى عديم الكياسة ، الامر الذى جعله يتصادم مع الملك حنا برين بخصوص قيادة الحملة . انظر :
Ernoul, p. 417. CF. also, P.J.P. Donovan, Pelagius and the Fifth Crusade, pp. 1, 4 ff.

(٢٤٩) عرض الكامل على الفرنج أن يعيد لهم كل فلسطين ماعدا اقليم الاردن ، ثم عرض عليهم اعطاءهم القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وسائر ما فتحه صلاح الدين من أملاكهم بعد حطين ماعدا حصن الكرك ، ورفض الفرنج ذلك بالرغم من ميل ملك بيت المقدس الى قبول ذلك العرض . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ص ١٥١ . راجع أيضا :
Eracles, p. 342; Oliver, p. 45; Ernoul, p. 435.
وعن الدراسات التى تتعلق بأسباب فشل الحملة الخامسة راجع: محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ١٩٨٥م ، ص ٣٤٧ — ٣٥٨ .

(٢٥٠) وصل الى مصر الملك الاشرف موسى بصحبة أخيه الملك المعظم عيسى الذى كان قد توجه الى فلسطين لتدمير استحكامات بيت المقدس وغيره من القلاع وتحصين دمشق وتقوى بها الكامل الذى استغل خطأ بيلاجيوس بالزحف على القاهرة فى وقت ارتفاع منسوب مياه النيل ، وفتح المسلمون السدود والجسور التى تحجز مياه الفيضان ، وانحصر الجيش الصليبى بين المياه وبين قوات المسلمين التى قطعت عليه خط الرجعة ، واضطر الفرنج الى طلب الصلح الذى وافق عليه الكامل ، الذى طلب أن يكون بيلاجيوس وملك بيت المقدس بين رهائنهم لديه . كما أن اعتماد بيلاجيوس على وصول فريدريك الثانى كان من أسباب رفضه لكل عروض الملك الكامل السابقة . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١٥١ ، أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٢٩ ، راجع أيضا :
Oliver, pp. 88-90.

الكامل كى يخرجوا من مصر وهم أحياء(٢٥١) ، لتنتهى الحملة الصليبية الخامسة بالفشل التام . واذا كانت احداث هذه الحملة ونتائجها معروفة ، فان ما يهم هنا هو معرفة موقف الانطاكيين منها ، واثر ذلك على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية والمسلمين . فحتى استيلاء الصليبيين على دمياط لم يكن بهم حاجة الى مساعدة أمراء انطاكية ، سواء من ريموند روبين ، أو من بوهيمند الذى اقصاه عنهـا قبـل سقوط دمياط - أول انجازات الحملة - فى أيدى الصليبيين بثمانية أشهر . ولما لم تكن الحملة على مصر تخدم مصالح بوهيمند فانه لم يشترك فيها منذ البداية . كمـا أنه لم يتحرك لصد هجمات الملك الاشرف على أملاك الاسبتارية فى حصن الاكراد وصافيتا ليشغل الفرنج عن دمياط فى يونيو ١٢١٨م/ربيع أول ٦١٥هـ ، ولم ينقذ حصن الاكراد سوى انشغال الاشرف بالتصدى لاطماع السلاجقة فى حلب(٢٥٢) . الا أن الامر قد اختلف بعد أن أصبح بوهيمند حاكما لانطاكية . فنجده يسرع لمساعدة الداوية فى مارس ١٢٢٠م/محرم ٦١٧هـ ، عندما أغار الملك المعظم عيسى شقيق الملك الكامل على مملكة بيت المقدس واستطاع الاستيلاء على قيسارية ، ثم هدمهـا ، فى الوقت الذى كان فيه الملك حنا دى برين قد عاد من مصر الى عكا ولم يستطع عمل شىء(٢٥٣) . وعندما تقدم المعظم الى عتليت معقل الداوية الذين عادوا من دمياط للدفاع عن املاكهم ، أسرع بوهيمند بارسـال النجدات اليهم ، الامر الذى مكنهم من الصمود أمام حصار المعظم لهم ، مما دفعه الى الرجوع عنهم(٢٥٤) . واذا كانت مساعدة بوهيمند للداوية تصديا

---

(٢٥١) عقدت الهدنة لمدة ثمان سنوات ١٢٢١ - ١٢٢٩م على أن يعيد كل طرف ما لديه من الاسرى الى الاخر . انظر : المقريزى : السلوك، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢٥٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ١٨٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .

(٢٥٣) عاد حنا برين الى الشام بقصد التوجه الى ارمينيـا بعـد موت ليو الثانى ليطالب بحق زوجته ستيفانى الابنة الكبرى للملك ليو الذى عين الابنة الصغرى ايزابيل وريثة له . الا أن سـتيفانى ماتت ثم لحق بها ابنها من الملك حنا الذى ضاع أمله بموتهما فى حكم قيليقية . انظر :
Ernoul, pp. 423, 427; Oliver, 62-63; Eracles 349.

(٢٥٤) Ernoul, p. 423; Oliver, pp. 67-68.

للهجوم الاسلامى المضاد ضد الحملة الصليبية ، ودعما لهذه الحملة ، فقد كان الامر كذلك اذا ما اقدم بوهيمند على مساعدة الاسبتارية ضد هجوم الملك الاشرف وهو الامر الذى لم يقدم عليه بوهيمند . وهنا يبرز تساؤل تحدد الاجابةعليه طبيعة موقف بوهيمند الرابع من الحملة الصليبية الخامسة . فمن الواضح — فى الحالة الاولى — أن بوهيمند لم ينس أن الاسبتارية هم حلفاء خصمه ريموند . فلماذا قام بوهيمند بمساعدة الداوية ؟ فى الحقيقة لم تأت مساعدته للداوية عن رغبة تلقائية فى مساعدتهم نتيجة لحماسة صليبية اعترت بوهيمند ، ولكنها كانت فرصة توفرت لبوهيمند كى ينال رضى المندوب البابوى بيلاجيوس ومن ثم يحصل على اعتراف البابوية به كامير لانطاكية .فقدكان بيلاجيوس قد اصدر قرار الحرمان ضد بوهيمند حين اقصى ريموند عن عرش انطاكية(٢٥٥) . وكانت مساعدة بوهيمند للداوية بناءا على طلب المندوب البابوى نفسه كما يذكر اوليفر مؤرخ الحملة الصليبية نفسه(٢٥٦) .فاذا كان بوهيمند أول من لبى نداء بيلاجيوس ، فمن المؤكد انه سينال عفوه ، وبذلك يمكن الاخذ بأن مساهمة بوهيمند الضئيلة فى احداث الحملة الصليبية الخامسة ، التى وجهتها البابوية الى مصر ، والتى لم تكن تخدم مصالح بوهيمند ، جاءت فى الوقت الذى احس فيه بوهيمند بانها ستخدم مصالحه الخاصة . ويطابق موقفه هذا موقف والده بوهيمند الثالث من كل الحملات الصليبية التى عاصرها خلال فترة حكمه لانطاكية .

بعودة بوهيمند الى انطاكية عادت مشكلة انطاكية الى الظهور من جديد ، بمعنى انها عادت الى سيرتها الاولى . فاصبحت الشغل الشاغل للصليبيين والمسلمين والارمن على السواء ، وكان الجميع قد وجدوا فيها وسيلة لتفريغ الطاقات حتى وصول حملة صليبية جديدة الى الشرق . فبعد أن غادر ريموند انطاكية ، ووجد أن ليو قد نأى عنه ، وعين ابنته وريثة له تحت وصاية آدم حاكم بغراس السابق ، فقد توجه الى دمياط

---

(٢٥٥) Oliver, p. 53.

(٢٥٦) طلب بيلاجيوس المساعدة من ملكة قبرص اليس «Alice» أرملة هيولوزينان ، وكذلك من سادة سوريا ، فلبى نداءه كل من بوهيمند والقبارصة وسادة جبيل وحنا ابلين صاحب بيروت .
انظر : Oliver, p. 68.

يطلب المساعدة من بيلاجيوس(٢٥٧) . وبعد موت ليو عاد ريموند الى قيليقية ، واستولى على طرسوس واذنة وبدأ فى حصار المصيصة عندما داهمته قوات قنسطنطين رئيس عائلة هيثوم(٢٥٨) ، الذى استبدله بارونات قيليقية للوصاية على ايزابيل ابنة ليو بدلا من آدم الذى اغتاله الحشيشية ، وقبل وصول نجدة الاسبتارية من دمياط ، كان ريموند وأمه أليس أسرى لدى قنسطنطين حيث مات ريموند بعد فترة وجيزة(٢٥٩) . وكان تقلب الموقف السياسى فى قيليقية خطيرا بسبب مجاورتها لكيقباذ أقوى الحكام السلاجقة(٢٦٠) ، الذى استولى فى ١٢٢١م/٦١٨هـ على الساحل الايزورى غربى قيليقية باستيلائه على القلعة البيزنطية القديمة كالانوروس Calanorus التى حولها الى ميناء نشط تحت اسم العلائية Alaiyya . وسرعان ما اصبحت كل انطاكية على حدود قيليقية الغربية تابعة له ، وانتقلت كل المناطق التى كان ليو وريموند قد استوليا عليها عشية سقوط أسرة كومنين الى ايدى السلاجقة(٢٦١) . كل ذلك جعل بارونات قيليقية يشعرون بفائدة زواج وريثة ليو دون تباطؤ ، وحبذا لو كان ذلك من شخص يوافق على شروطهم ويناسب متطلباتهم . ولما لم يكن هناك تفكير فى الابن البعيد لاندرو ملك هنغاريا الذى خطبها له فى ١٢١٨م/٦١٤هـ عند مروره بارمينيا ، ولما كان العداء المشترك لريموند قد قارب بارونات قيليقية وبوهيمند الرابع ، فقد عرض الارمن على بوهيمند أن يتزوج ابنه فيليب من ايزابيل . وكان فيليب هو الشخص المناسب ، تماما لمثل هذه الزيجة . فالى جانب ان مساعدات الفرنج يمكن أن تكون ذات

---

(٢٥٧) يذكر ابن العبرى أن ريموند بقى مع الجيش الصليبى فى مصر حتى موت ليو . انظر :

Barhebraeus, p. 371.

(٢٥٨) كان قنسطنطين هو كاثوليك الارمن وهو ابن باسيل عم ليو الثانى . انظر :

Bar Hebraeus, p. 380.

(٢٥٩) أفرج قنسطنطين عن اليس Alice أم ريموند الانطاكية بتوسط البابا هنوريوس الثالث وماتت بعد ١٢٣١م . انظر :

Bar Hebraeus, pp. 379-380, Ann. T. S., p. 437; Regesta Honorii papae III, Vol. 1, no. 3495, p. 568; Vol. 2no. 3883, p, 56

(٢٦٠) Cahen La Syrie du Nord, p. 632.

(٢٦١) Bar Hebraeus, p. 385. CF. also, Cahen, Pre Ottoman Turkey, p. 124-125.

نفع(٢٦٢) فان هذا الزوج ـ البالغ من العمر ثمانية عشر عاما ـ زوجا جاهزا للاميرة الصغيرة ، وليس هناك اى احتمال لضم انطاكية الى قيليقية أو العكس لوجود شقيقين اكبر من فيليب فى انطاكية(٢٦٣) . ولما اشترط الارمن أن يحترم فيليب الطقوس الدينية الارمينية وأن يتبع تعـــاليم الكنيسة الجورجية ، فلم يكن من الصعب على بوهيمند الذى كان قد ادخل بطريركا يونانيا الى كنيسة انطاكية ، أن يوافق على ذلك ، وتم الزواج فى سيس فى يونية ١٢٢٢/جماد أول ٦١٩هـ . وافتتح فيليب عهده بان ذهب تحت قيادة ابيه لصد هجوم سلجوقى على قيليقية حيث تمكن بوهيمند من هزيمة السلاجقة والاستيلاء على حصن سبيليا Sibelia الواقع جنوبى قرمان ، ويبـــدو أن بوهيمنـــد قد استغنى عن تحالفه مع السلاجقة(٢٦٤) . الا أن فيليب قد أضاع المجد الذى بدأ به عهده كملك لقيليقية الارمينية . فأحاط نفسه بحاشية فرنجية ، وأساء معاملة اتباعه من الارمن(٢٦٥) . ولا شك ان بوهيمند أيضا كان يريد ان يحصل على بعض المكاسب لامارته الفقيرة من ثروة ابنه الجديدة(٢٦٦) . وأصبح من

---

(٢٦٢) Sempad, p. 647.

(٢٦٣) تزوج بوهيمند الرابع مرتين الاولى من بليزانس ابنة هيو شقيق جى الاول حاكم جبيل ، والثانية من ميلسند ابنة عمورى ملك قبرص . ورزق من زوجته الاولى بأربعة أبنـاء : ريموند الذى قتله الحشيشية فى ١٢١٣م ، ثم بوهيمند الخامس ، ثم فيليب ، وأخـــيرا هنرى الـــذى مات غرقا فى ١٢٦٣م وابنتين همـــا أورجيوزومارى . ورزق من زوجته الثانية بابنتين يضا همـــا هلفيس ومارى التى تزوجت من شارل الاول دى انجو ملك صقلية انظر :
Ducange-Rey, Familles d'Outremer, p. 205; E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 392.

(٢٦٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢١٤ ، راجع يضا : .
Bar Hebraeus, p. 380; Kirakos de Kantzag, Histoire de Arménie, in R.H.C.-Doc Arm. Vol. 1, p. 428; Michel Le Syrien, p.407

(٢٦٥) عزل فيليب السادة الارمن من مناصبهم وعين بدلا منهم أعضـاء حاشيته من الفرنج وبدأ فى اهانة المقاتلين الارمن ، وبدأ يدعوهم بالاجلاف والفلاحين بدلا من المقاتلين . ولم يسمح لهم بالدخول عليه الا بصعوبة أو يشاركونه مائدة طعامه انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢١٤ . انظر أيضا :
Kirakos, p. 428, Vartan, p. 442; Bar Hebraeus, p. 380.

(٢٦٦) Cahen, La Syrie du Nord, p. 633.

الصعب قيام التكافل الفرنجى الارمينى ، فاستغل قنسطنطين السخط الذى اثاره نبا بان فيليب سيرسل الى انطاكية التاج والعرش الملكيين لقيليقية ، وجمـــع اعوانه فى نهـــاية ١٢٢٤م/٦٢١هـ ، وبينمـا كان فيليب فى طريقه الى انطاكية ، مضى الليل فى تل حمدون ، فدخل بعض الارمن الى قيليقية واعتقلوا فيليب الذى وضعه قنسطنطين فى سجن سيس ، ورفض طلب بوهيمند باعادة ابنه دون منصبه ، وبقى فيليب فى حبسه فى القلعة العالية «Partzaperts» (٢٦٧) وهنا تطورت مشكلة انطاكية مرة أخرى ولم يكن أمام الخصمين الا الاستنجاد بالمسلمين فى آسـيا الصغرى ، وفى حلب . فاذا كان بوهيمند قد استرد انطاكية ، فقد فقـد تاييد البابوية والجماعات العسكرية . واثار الفتنة بين الداوية والاسبتارية . فعند خروج ريموند من انطاكية كان قد عهد بحراسة قلعتها الى جماعة الاسبتارية ، وما كاد بوهيمند يدخل الى المدينة حتى انتزعهـــا منهم بالقوة ، وايد المندوب البابوى بيلاجيوس حقهم فى العودة الى احتلالها مع كل المدينة اذا استطاعوا ذلك(٢٦٨) ، واثار العناد حفيظة بوهيمند الذى نـكل بالاسبتارية(٢٦٩) . فجـدد بيلاجيوس قراره بحـرمان بوهيمند من الكنيسة(٢٧٠) . وهو القرار الذى جعلته مشاغله فى دمياط ، أو مساعدة بوهيمند للداوية فى عثليت يتناساه . ولأن حرمان بوهيمند يزيده عنادا ، وربما يدفعه الى القيام بعمل من شانه ان يضر بالصليبيين بصفة عامة ــ كما أحس البابا هنوريوس الثالث ــ فقد رأى البابا ان من الحكمة أن يجعل مندوبه ــ العنيد بطبعه ــ يدرك ذلك . فكتب الى بيلاجيوس فى ٩ يوليو ١٢٢١م/١٦ جمادى ول ٦١٨هـ وهو بمصر ينصحه بان يتعامل مع بوهيمند بحذر ، فان ضياع انطاكية ، كما قال البابا « سيكون اكثر خسارة للعالم

---

(٢٦٧) وهى قلعة على جبل مرتفع على بعد مسيرة يومين من سـيس من جهة الجنوب . انظر :

Kirakos, p. 428; Vartan, p. 442; Michel Le Syrien, p. 407; Samuel d'Ani, p. 460.

(٢٦٨) J. Delaville Le Roulx, Les Hospitaliers, p. 148.

(٢٦٩) استولى بوهيمند على كل أملاك الجماعة فى انطاكية وطرابلس وأعدم اثنين من الاسبتارية ، حرق أحدهما حيا . انظر :

Riley Smith, The Knights of St. John, p. 161;

(٢٧٠) Rohricht, Regesta, no 817, p. 219; Carl Rodenberg, Epistolalae Saculi XIII e Regestis Pontificum Romanorum, 2 Vols, Berlin, 1883-87, Vol. I, no. 291, p. 213.

المسيحى من ضياع أكثر من دمياط واحدة »(٢٧١) . وهنا يظهر البابا هنوريوس الثالث أكثر حرصا على انطاكية من كل الصليبيين فى بلاد الشام ، كما تبدو انطاكية نفسها ، كمعقل صليبى ، وقد زادت أهميتها لدى البابوية بعد أنفشلت الحملة الخامسة كأحدث استراتيجية صليبية ضد المسلمين . ولو لم يكن البابا انوسنت الثالث قد فضل خضوع الكنيسة الارمينية لكنيسة روما على أمن واستقرار أحوال امارة انطاكية الصليبية ، لما بلغت الامارة هذه الدرجة من الضعف الذى اعتراها بسبب كثرة الحروب ، وطول الصراع بين بوهيمند الرابع وليو الثانى الارمينى ، ولتوفر الوقت امامبوهيمند الرابع للعمل فى سبيل تقوية امارته على حساب المسلمين ، الذين انشغلوا فى خلافاتهم بعد صلاح الدين ، الى جانب انشغالهم بالتصدى للحملات الصليبية ضد مصر وفلسطين ، وان لم يكن لكان بوهيمند ــ على الاقل ــ قد ساهم بدرجة أكبر فى المجهود الصليبى ، ولا كان اتخذ نفس موقف ابيه السلبى من الحملات الصليبية ، وهو المعروف بنشاطه وفطنته السياسية لثقافته وحسن ادراكه(٢٧٢) . الا أن ادراك البابا لكل ذلك قد جاء بعد فوات الاوان . فقد كان بوهيمند قد وعد الداوية بمدينة جبلة ليتصالح معهم فى مواجهة الاسبتارية ، ونتج عن ذلك صراع بين الجماعتين حول ملكيتها لم يتوقف الا عندما حكم بيلاجيوس بان تكون جبلة مناصفة بين الجماعتين(٢٧٣) . الى جانب ذلك ، فقد بدأ بوهيمند يستولى على مدخرات الكنائس اللاتينية فى أملاكه لحاجته الملحة الى المال(٢٧٤) . وبذلك دخل فى مشاكل

---

(٢٧١) Rgesta Honorii Papae, Vol. 1, no 3495, p. 568.
راجع يضا ملحق رقم (٢) بآخر الرسالة .

(٢٧٢) يضعه فيليب دى نوفار ، الذى عرفه جيدا واعجب بعلمه وحدة ذهنه ، بين كبار المشرعين الفرنج فى سوريا . انظر :
Philip de Novarre, Livre de form de Plait, in R.H.C. Lois. Vol. 1, p. 570.

(٢٧٣) صدر قرار بيلاجيوس فى اكتوبر ١٢٢١م . ولم يلبث أن شب النزاع مرة أخرى بين الجماعتين حول جبلة فى عام ١٢٣٣م . ثم لم يلبث ان دب النزاع بين الاسبتارية والداوية فى عام ١٢٣٣م فى عهد بوهيمند الخامس .
Rohricht, Regesta, no. 949, pp. 251-252

(٢٧٤) فرض بوهيمند ضرائب على دير سان سيمون فارسل البابا الى بطريرك انطاكية والداوية يأمرهم بمنع بوهيمند من ذلك =

مع رينيه «Rineir» بطريرك انطاكية الجديد(٢٧٥) ٠ فعاد البـابا مضطرا الى اتباع أسلوب سلفه تجاه بوهيمند ، فحـرم على الداوية فى ديسمبر ١٢٢٤م/ذى الحجة ٦٢١هـ رسـميا الاتصـال ببوهيمنـد المحروم من الكنيسة ، ورفض أن يمنحه لقب أمير انطاكية ٠ وفى ديسمبر ١١٢٥م/ذى الحجة ٦٢٢هـ سمح للاسبتارية ان يقاوموا بالسلاح اعمـال العنف التى يقوم بها بوهيمند ، بل حرضهم أيضا على محاولة انتزاع انطاكية منه وذلك فى يناير ١٢٢٦م/محرم ٦٢٣هـ ، كما ان البابا اصدر قرارا بحرمان التجار اللاتين الذين يتوجهون الى انطاكية(٢٧٦) ٠ وهكذا تعقدت الامور مرة أخرى بين بوهيمند والبابوية التى عززت مطـالب الاسبتارية ، والتى حرمته من مساعدة الداوية الذين لم يعد طعم بقرامس يؤثر فيهم(٢٧٧) ٠ وبذلك لم يكن فى وسع بوهيمند أن يتدخل بشـكل فعال فى قيلقية ، فحاول أن يثنى البابا عن عزمه ، والحصول منه على

= مشيرا الى أن بوهيمند يدعى لنفسه بانه أمير انطاكية الامر الذى لا يأخذ به البابا ، وذلك فى ٢٦ يونيو ١٢٢٤م ٠ انظـر :
Regesta Honorii Papae III, Vol. 2, no. 5061, p. 260.

(٢٧٥) مات بطرس الثانى بطريرك انطاكية فى ١٢١٧م ، وبقى كرسيه شـاغرا لمدة عامين ٠ وكان ريمـوند روبين قد رشح لمنصب البطريركية المندوب البابوى بيلاجيوس ، ولما كان البـابا قد اختاره رئيسـا للحملة الخامسـة فقد رفض الطلب فى اغسطس ١٢١٩ ٠ ورشح البابا بطرس كابوا «Peter Capua» اسـتاذ علم اللاهوت فى مدرسة باريس الا انه عينه كاردينالا بعد ذلك ، ولم يشغل بطرس كابوا منصبه فى انطاكية أبدا ٠ وفى ديسـمبر ١٢١٩ كتب البابا الى مجلس كهنة انطاكية يعلمهم بانه اختـار رينيه «Rineir» كبطريرك لانطاكية ٠ وهو توسكانى الاصل وكان مستشارا للبابا انوسنت الثالث وشغل منصب بطـريرك انطاكية منذ عاد فى ديسمبر ١٢١٩م حتى موته فى ١٦ سـبتمبر ١٢٢٥م وهو فى زيارة لروما ٠ انظر :
B. Hamilton, The Latin Church, pp. 224-226.

(٢٧٦) فى ٢٦ يناير ١٢٢٦م كتب البابا هنوريوس الثالث الى أسـاقفة نيقوسـيا وقيسـارية والاسـبتارية يعلمهم بانه من حق الاسـبتارية تولى مهمـة حراسـة انطـاكية كمـا قـرر المندوب البابوى بيلاجيوس ذلك من قبل ٠ انظر :
Regesta Honorii Papae III, Vol. 2, no. 5 908, p. 400.

(٢٧٧) Cahen La Syrie du Nord, p. 634.

اذن للحصول على مساعدة الاسبتارية والداوية لانقاذ ابنه أسير الارمن • الا أنه ـ حسب رواية ابن الاثير ـ فشل فى ذلك ، فقد رد البابا بانهم « أهل ملتنا ولا يجوز قصد بلادهم »(٢٧٨) • فاضطر بوهيمند الى مصالحة علاء الدين كيقباذ سلطان السلاجقة ـ الذى كان يتحين الفرص للتوسع على حساب جيرانه الارمن ـ واتفق معه على مهاجمة الارمن ، فبدأ كيقباذ فى غزو قيليقية معتديا على كل سكان السهل ، واستولى على أربعة حصون ، رغم حصول قنسطنطين على مساعدة الاسبتارية والتيوتون وذلك فى خريف ١٢٢٥م/٦٢٢هـ(٢٧٩) • فارسل قنسطنطين الى بوهيمند كى يأتى لأخذ ابنه من قلعة العمودين ، وعندما وصل الاخير الى تل حمدون أبلغه الرسل بأنه لا جدوى من ذلك فقد أمر قنسطنطين بدس السم لفيليب الذى مات بعد ذلك بقليل(٢٨٠) • فجمع بوهيمند ما استطاع من قواته للذهاب الى قيليقية وتخريبها • ومع أن الداوية لم يساعدوا بوهيمند الا انهم لم يعترضوه أثناء مروره بممرات جبال الامانوس التى يتحكمون فيها •و لم يجد من يلوذ به سوى الحلبيين الذين لم يعد يعنيهم الدفاع عن بوهيمند بعد أن زال السبب فى ذلك بموت الظاهر والعادل ، وانتهاء التوتر فى العلاقات بينهما ، ولم تعد هناك حاجة بالملك العزيز أو بالوصى عليه ـ الاشرف موسى ـ للدفاع عن بوهيمند الذى أصبح يشكل خطرا على حلب اذا ما استولى على قيليقية • كما ألح قنسطنطين الى

---

(٢٧٨) لا توجد أى اشارة فى سجلات البابا هنوريوس الثالث الى هذه الوقائع التى انفرد مؤرخنا ابن الاثير بذكرها ، والتى تتسم بصحتها لتطابقها مع مجرى الاحداث ، ولحصول ابن الاثير على معلوماته « من أحد عقلاء النصارى ممن دخل تلك البلاد وعرف حالها » انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢١٥ •

(٢٧٩) كان الاسبتارية ـ كما ذكر سمباد ـ يمدون قنسطنطين باربعمائة فارس كل عام لمساعدته ضد السلاجقة • وفى ١٢٢٨م أصبح قنسطنطين أخا من اخوة الاسبتارية كما انه أيد فريدريك الثانى فى نزاعه ضد بارونات مملكة بيت المقدس كصديق للفرسان التيوتون • انظر :

Sempad, p. 646. CF. also: Riley Smith, The Knights of St. John, p. 160; Riley Smith, The Templars and The Teutonic Knights, in Cilician Armenia, in The Cilician Kingdom, pp. 144-115.

(٢٨٠) Sempad p. 648; Kirakos, p. 429; Bar Hebraeus, p. 381, 389.

شهاب الدين أتابك حلب الذى بعث بفرقة من جيش حلب هاجمت حصن بغراس ، وبينما لم يستطع بوهيمند عمل شىء ، « ولم يحصل على غرض »(٢٨١) عاد الى انطاكية . وهكذا فبدون مساعدة جماعات الفرسان الرهبان لم تكن قوات انطاكية وحدها تكفى للقيام باعمال عسكرية كبيرة ، كما كان الحال أيام بوهيمند الاول وتنكريد وروجر الانطاكى ، وحتى عهد رينودى شاتيون المعروف فى المصادر العربية باسم ارناط صاحب الكرك . ونتج عن تدخل الحلبيين فى الصراع بين بوهيمند والارمن ، ومهاجمة الحلبيين لاملاك الداوية فى بغراس ، أن ظلت العلاقات متوترة بين الداوية والتركمان فى اقليم العمق شمالى انطاكية ، ونتج عن ذلك اعتداءات متبادلة بين الطرفين (فى ١٢٢٧م/ ٦٢٤هـ) (٢٨٢) . بينما تمكن قسطنطين أن يسيطر على الامور فى قيليقية، فزوج ابنه هيثوم بايزابيل أرملة فيليب الانطاكى بعد أن سلمها له الاسبتارية الذين لجأت اليهم فى حصن سلوقية Selfike . وصار هيثوم ملكا على قيليقية منذ ١٢٢٦م/٦٢٣هـ(٢٨٣) ،واعترف قنسطنطين بتبعيته للبابوية فى روما وللامبراطور الالمانى فريدريك وتصالح مع كيقباذ(٢٨٤) .

---

(٢٨١) يعطينا ابن الاثير الرواية بشكل اكمل ، ولكنه من ناحية الترتيب الزمنى غامض ، ومن الصعب التوفيق بينه وبين ابن العبرى فى سرد التفاصيل . انظر ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥ . راجع أيضا : Bar Hebraeus p. 381; Sempad, p. 648.

(٢٨٢) أسر التركمان المقيمون باطراف حلب أحد فرسان الداوية بانطاكية وقتلوه ، فهاجم الداوية قبائل التركمان فى اقليم العمق ، وقتلوا منهم واسروا الكثيرين ، ونهبوا أموالهم . فارسل شهاب الدين طغرل اتابك حلب الى الداوية بانطاكية يتهددهم بقصد بلادهم ، وقتل عسكر حلب فارسين من الداوية الذين اضطروا الى رد اسرى التركمان واذعنوا بالصلح . وقد انفرد ابن الاثير بذكر هذه الوقعة دون المؤرخين المسلمين والصليبيين انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢١٩ .

(٢٨٣) رفضت ايزابيلا الاقتران بهيثوم الاول ولجأت الى الاسبتارية الذين باعوا الحصن الى قنسطنطين حتى لا يظهروا كانهم سلموا اليه الاميرة التى استجارت بهم ، ويكونوا بذلك جاحدين لفضل والدها عليهم ، انظر :
Sempad, p. 648; Bar Hebraeus, pp. 381, 389; Kirakos, p. 429

(٢٨٤) Bar Hebraeus, p. 389-390; Sempad, p. 468.

واذا كانت مصر ، منذ أن فتحها صلاح الدين الايوبي ، قد صارت هي مركز الثقل بالنسبة للعالم العربي الاسلامي ، والقوة المتصدية للوجود الصليبي في الشرق الاسلامي ، وخطفت الضوء من العراق وشمالي الشام ، واذا لم يكن يجعلنا نشعر بالوجود الصليبي في شمال الشام ـ بعد أن صار الاهتمام فقط بأحوال مملكة بيت المقدس ـ الا مشكلة انطاكية وازدياد القوة السلجوقية ، فانه بدءا من الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري ، قد تحكمت في تاريخ بلاد الشام ظروف كانت خارجية تماما . وتمثلت تلك الظروف في ظهور الخوارزمية من جانب ، وسياسة الامبراطور فريدريك الثاني تجاه كل من البابوية والمسلمين من جانب آخر . واصبح سرد تاريخ امارة انطاكية الصليبية أمرا ثانويا بالنسبة لمؤرخي هذه الفترة صليبيين كانوا أم مسلمين . وكان على حكام امارة انطاكية أن يساهموا في تطور هذه الظروف حتى ولو خارج حدود امارتهم ، حتى يقف المتتبع لتاريخ الحروب الصليبية على ذكر لأحوال الامارة الصليبية ـ التي طالما احتضنت بجزء كبير من هذا التاريخ ـ في حوليات المؤرخين . ففي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري ، قامت على انقاض دولة السلاجقة في فارس امبراطورية شملت تركستان الوسطى (خوارزم) والجزء الاكبر من فارس تحت قيادة علاء الدين محمد (خوارزم شاه)(٢٨٥) . وبدلا من أن يعمل خلفه

---

(٢٨٥) يرجع أصل الخوارزمية الى محمد بن انوش تكين الذي كان ابنا لأحد مماليك السلاجقة . وخدم محمد في الدولة السلجوقية ، وترقى في مناصبها حتى تولى حكم مدينة خوارزم ولقب بخوارزم شاه في ١٠٩٥م/٤٨٩هـ . ويعتبر هو مؤسس الدولة الخوارزمية التي ظهرت على انقاض دولة السلاجقة التي اضعفتها انقسامات خلفاء السلطان ملكشاه ، فامتدت حدود دولة الخوارزمية في عهد السلطان علاء الدين خوارزم شاه (١١٩٩ ـ ١٢١٩م/٥٩٦ ـ ٦١٧هـ) من حدود الهند شرقا الى حدود العراق غربا ، ومن شمال بحر قزوين شمالا الى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوبا . وكان لظهور المغول بقيادة جنكيز خان أثره في أن يهرب علاء الدين الى بحر قزوين حيث مات هناك في ١٢٢٠م/٦١٧هـ . وتولى من بعده ابنه جلال الدين منكبرتي الذي واصل المغول ضغطهم عليه ،فاضطر الى اللجوء الى اقليم الهند ، وبقى هناك حتى عاد جنكيز خان بقواته الى جوف آسيا في ١٢٢٣م/٦٢٠هـ لفرض سيطرته وسيادته على بقية القبائل المغولية . فعاد السلطان جلال الدين منكبرتي الى فارس واستعاد سيطرته على =

جلال الدين منكبرتي على حمـــاية العــالم الاســـلامي من الخطــر المغولي(٢٨٦) ، أو على مساعدة المسلمين في مصر وبلاد الشام للقضاء على الوجود الصليبي ، أو حتى للتصدي للحملات الصليبية المرتقبة ، فانه أصبح عاملا من عوامل ازدياد النزاع والفـــرقة بين أفـراد البيت الايوبي ، بينما أصبحت قواته عاملا من عوامل التخريب والدمار في كل أرجاء الحد الشرقي من الدولة الايوبية(٢٨٧) . فبعد موت الملك العادل دب النزاع بين أبنائه الثـلاثة الكامل والاشرف والمعظـم(٢٨٨) ، الذين

= البـلاد واتخـذ من اصفهان عاصمة له ، في ١٢٢٥م/٦٢٢هـ . ولتامين حدوده ، ضغط منكبرتي على الخليفة العباسي في بغداد ، وأيضا على اقليم جورجيـا ، واقترب بذلك من أملاك الاشرف موسى الايوبي في اقليم الجزيرة . انظر : النسوي (محمـــد بن أحمد بن علي) : سيرة السـلطان جلال الدين منكبرتي ، نشره حافظ حمدي ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١١ ، ابن الاثير : الكامل ، صفحات متفرقة ، راجع ايضا سعيد عاشور : الحـركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ ، أسامة زكي زيد : الخوارزميـــة ودورهم في الصراع الصليبي الاسلامي في عصر بني يوب ، مجلة كلية الاداب - جامعـة الاسـكندرية ، العدد ٣٠ ، الاسـكندرية ١٩٨٢ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٩ . راجع ايضا :
W.E.D. Allen, The History of the History of the Georgian People, London, 1932, p. 110.

(٢٨٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ .

(٢٨٧) C. Cahen, Orient et Occident au temps des Croisades, Paris, 1983, pp. 183, 185.

(٢٨٨) بعد موت العادل استقر ابنه الملك الكامل محمد في حكم مصر على أن يكون رأس البيت الايوبي وصاحب السكة والخطبة في جميع الممالك الايوبية ، بينما كان للمعظم عيسى دمشق وبلادها الى عريش مصر ، وللاشرف موسى البلاد الشرقية في اقليم الجـزيرة وخلاط . وبينما للمظفر شهاب الدين غازي ميافارقين ، وللعزيز عثمان بانياس وعدة مواقع ، وللملك الصالح اسماعيل بصرى . وكان العادل قد ترك ستة عشر ولدا ذكرا سوى البنات . وبدأت الوحشة بين أبنائه المعظم من جهة والكامل والاشرف من جهـة أخرى عندما توجه الاشرف الى الكامل في مصر بعد رحيل الفرنج عن دمياط دون أن يستصحب المعظم الذي هاجم حماة وعاد عنها بناء على طلب أخويه اللذين نقل اليه انهما اتفقا عليه . انظر : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، مخطـوط ، لوحة ٦٢ أ ، ٨٤ ب ، ٨٥ أ ، ابن نظيف الحموي : التـاريخ المنصـوري ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ٩٤ - ٩٥ .

كان اتحادهم هو العامل الرئيسي وراء اندحار الحملة الصليبية الخامسة ، وحماية ما حققه صلاح الدين من مكاسب جعلت ميزان القوى لصالح المسلمين دون الصليبيين • وفي ١٢٢٢ ـ ١٢٢٤م/٦١٩ ـ ٦٢١هـ كان المعظم ـ ودون أن يتدخل تدخلا مباشرا ـ قد حرض شهاب الدين غازي شقيق الاشرف وصاحب أخلاط على الثورة ضد الاشرف بمعاونة مظفر الدين صاحب اربل ، فاعلن شهاب الدين عصيانه لأخيه الاشرف ، ، وهاجم مظفر الدين الموصل ، وتمكن الاشرف بتاييد الملك الكامل من اخضاع شهاب الدين، واخذ كل ما اقطعه اباه في اقليم الجزيرة وترك له ميافارقين فقط(٢٨٩) • وفي ١٢٢٦م/٦٢٣هـ وفي وقت واحد هاجم المعظم حماة وحمص ، وهاجم مظفر الدين حاكم اربل الموصل ، وهاجم الاراتقة بماردين وامد ديار مضر ، وأخيرا هاجم جلال الدين الخوارزمي اخلاط ، وبذلك تعرضت كل أملاك الاشرف وحلفائه لهجوم المعظم وحلفائه(٢٩٠) • وفي مواجهة الاراتقة استدعى الاشرف كيقباذ سلطان سلاجقة الروم الذي هزم مسعودا صاحب آمد ، بينما هاجم الاشرف ماردين • وفتح كيقباذ حصن منصور وعدة حصون أخرى من أملاك الاراتقة ، الأمر الذي دفعهم الى مصالحة الاشرف الذي فشل في حمل السلاجقة على اعادة ما فتحوه من أملاك الاراتقة في اقليم الفرات الاوسط(٢٩١) • وعندما علم الاشرف بهجوم الخوارزمية على أملاكه في أخلاط ، سارع بالتوجه الى دمشق لحث أخيه المعظم على توحيد الجبهة الايوبية في مواجهة الخطر الخوارزمي(٢٩٢) ، الا أن المعظم قام باعتقال أخيه حتى يساعده في الاستيلاء على حماة وحمص ، ثم مهاجمة أخيهما الكامل في مصر • وكما يخبرنا سبط ابن الجوزي ، فان المعظم لم يكن يطمع في أملاك اخيه او

---

(٢٨٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ، ابن شداد (عز الدين محمد بن علي) : الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ٣ أجزاء ، تحقيق يحيى عبادي ، دمشق ١٩٧٨م ، ج ٣ ، قسم ١ ، ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ •

(٢٩٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٠٨ ـ ٢١٤ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٣٤ وما بعدها •

(٢٩١) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١ •

(٢٩٢) كان الاشرف أكثر احساسا بخطر الخوارزمية بحكم متخامة أملاكه في الجزيرة وأخلاط لهم في اقليم جورجيا • انظر : سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٨ •

يعترض على سياسته ضد الخوارزمية ، ولكنه كان يحمى نفسه ضد أى تحالف ربما ينشأبين الكامل والاشرف ضده (٢٩٣) . واظهر الاشرف موافقته على مطالب المعظم الذى أطلق سراحه ليعلن الاشرف عدم التزامه بكل وعوده له . فكاتب المعظم الخوارزمية واتفق معهم على التحالف ضد أخويه الاشرف والكامل (٢٩٤) . وهكذا التهب الموقف فى الشرق الادنى بين المسلمين من بنى أيوب ، مما انذر بحرب اهلية بين المسلمين (٢٩٥) . واذا كان المعظم قد استعان بالخوارزمية لمساعدته ضد أخويه ، فان الكامل قد استعان بالامبراطور فريدريك الثانى الالمانى (١٢٢٠ - ١٢٥٠م) (٢٩٦) . فبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة فى تحقيق اهدافها اصبح امل البابوية معقودا الآن على حملة فريدريك الذى أرجا الوفاء بنذره الصليبى أكثر من مرة ، وعندما قام بحملته كان محروما من الكنيسة (٢٩٧) . وكانت

---

(٢٩٣) اقسم المعظم لسبط ابن الجوزى الذى كان مقيما فى دمشق فى ذلك الوقت بذلك بقوله « والله ما خطر لى ذلك ابدا » انظر : سبط بن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٢٥ .

(٢٩٤) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ١٥٨ . راجع أيضا : Humphreys, From Saladin to the Mongols, pp. 183-184.

(٢٩٥) أرسل جلال الدين الى المعظم خلعة « لبسها وشق بها دمشق ، وقطع الخطبة للملك الكامل » . انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٢٢٢ .

(٢٩٦) يذكر المقريزى : أن الكامل وعد فريدريك بأن يعطيه «بعض مابيد المسلمين من بلاد الساحل » بينمــا يذكر العينى بانه وعد الامبراطور بمدينة بيت المقدس نفسها اذا ما ساعده فى صراعه ضد المعظم . انظر : المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، العينى : عقد الجمان ، مخطوط ، ورقة ١٦٥ - ١٦٧ . راجع أيضا :
T.C. Van Cleve, The Crusade of Frederic II, in Setton, Vol. 2, p. 449; E. Blochet, Relations Diplomatiques des Hohenstaufen avec Les Sultans d'Egypte, in R.H., Vol. 80 (pp. 51-69) 1902, p. 53-54.

(٢٩٧) وعد فريدريك بأن يشارك فى الحملة الصليبية فى عام ١٢١٥م . ولكنه أرجأ ذلك أكثر من مرة . وفى ١٢٢٥م وبعد أن تزوج من يولاند ابنة حنا بريين ملك بيت المقدس جدد وعده بأن يخرج الى الشرق فى ١٢٢٧م . ولكنــه أصيب بمرض الملاريا وبعث ببعض اسطوله الى الشرق فاصدر البابا جريجورى التاسع قرارا بحرمانه لعدم ثقته فيه ، ولكنه خرج بحملته فى ١٢٢٨م رغم قرار البابا . انظـــر :
=

حملة فريدريك تتسم بالغرابة فى كل تفاصيلها بدءا من شخص الامبراطور نفسه كقائد لها وحتى آخر نتائجها فى الشرق . فبينما أعجب المسلمون بثقافته وميله اليهم(٢٩٨) ، وبينما رأى فيه رجل الشارع الاوربى أعجوبة الدنيا «Stupor Mundi» (٢٩٩) ، فقد رأت فيه الكنيسة الغربية وحكام قبرص ومملكة بيت المقدس حاكما مستبدا وابنا عاقا لا يمكن الاعتماد عليه ، بعد أن تجلى لهم هدفه فى ان يكون السيد الاعلى لهم جميعا ، وهوالدافع الحقيقى من وراء قيامه بحملته الصليبية(٣٠٠) . ثم تمتد الغرابة لتشمل الحملة الصليبية السادسة نفسها ايضا . فالى جانب قيام شخص محروم كنسيا بحملة صليبية دون رضاء البابوية ، ثم

= T.C. Van Cleve, The Emperor Frederick II of Hohenstufen, Oxford, 1972, p. 197.

(٢٩٨) يذكر عنه ابن واصل أنه كان « فاضلا ، محبا للحكمة والمنطق والطب ، مائلا الى المسلمين لأن مقامه فى الاصل ومرباه بلاد صقلية » . كما يذكر المقريزى انه كان « عالما متبحرا فى علم الهندسة والحساب والرياضيات » . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص٢٣٤ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١، ص ٢٣٢ .

(٢٩٩) كان فريدريك حاد الذهن ، وفى الوقت الذى كان معظم حكام غرب اوربا تنقصهم الثقافة ، فقد كان فريدريك يتحدث بست لغات بطلاقة ، وهى الالمانية واللاتينية والفرنسية والايطالية واليونانية والعربية . ولديه معلومات كثيرة فى عدة علوم من الفلسفة الى الطب . انظر :
Antony Bridge, The Crusades, p. 234.

(٣٠٠) بعد أن تزوج فريدريك من ابنة ملك بيت المقدس وأنجبت له ابنه كونراد وماتت فى ١٢٢٨م ، أعلن فريدريك نفسه وصيا على المملكة وأقصى عنها حنا برين ، وأرسل مندوبه توماس كونت اكيرا لتنفيذ ذلك . وفى الوقت الذى تخوفت فيه البابوية من ازدياد نفوذ فريدريك فى جنوب ايطاليا وصقلية مما يهدد أملاكها فى ايطاليا ، فرض فريدريك سيادته على جزيرة قبرص وأعلن نفسه وصيا على الملك الطفل هنرى الاول لأن مملكة قبرص كانت قد تاسست تحت سيادة الامبراطور هنرى السادس . كل ذلك جعله يتصادم مع حنا ابلين الوصى على الجزيرة وصاحب بيروت الذى تزعم حركة المعارضة ضد فريدريك فى مملكة بيت المقدس التى توج فريدريك نفسه ملكا عليها فى مدينة بيت المقدس بعد تسلمها . انظر :
Van Cleve, The Emperor Frederick II, pp. 208-223.

. استعانة الملك الكامل به وهو الذى كان من المفروض أن يتصدى لحملته ،ثم عرض عليه ما كان يعد أصلا الهـدف من وراء حملته ـ مدينة بيت المقدس ـ فى مقابل مساعدته له ضد أخيه ، ثم قلة عدد القوات التى جاء على رأسها الامبراطور(٣٠١) ، وأخيراً موت المعظم عيسى نفسه(٣٠٢) ، وزوال سبب استعانة الكامل بفريدريك ، فالى جانب كل ذلك ، فان أهم ما تميزت به حملته عن سابقاتها من الحملات الصليبية أنها دون اراقة قطرة دم واحدة ، استطاع الامبراطور أن يحقق بحملته الغريبة هذه كل ما فشلت فى تحقيقه الحمـلات الصليبية التى خرجت من أوربا بعـد حطين(٣٠٣) . ففى ١٨ فبراير ١٢٢٩م/٢٣ ربيع أول ٦٢٦هـ ، عقدت اتفاقية يافا بين الكامل وفريدريك على أن يكون للفرنج مدينة القـدس نفسها الى جانب الشريط الساحلى من عكا الى يافا ، الى جانب اقليم الناصرة وغربى الجليل بما فيه من حصون مثل تبنين والقرين وما يحيط بصيدا ، وأن يكون للمسلمين المسجد الاقصى وقبـة الصخرة الى جانب حرية التردد اليهما وأداء شعائر الصلاة ، وأن يتم تبـادل الاسرى بين الطرفين ، وأن تستمر الهدنة لمدة عشر سنوات وأربعة أشهر(٣٠٤).واذا كانت اتفـاقية يافا لم تحظ برضـاء المسلمين(٣٠٥) ولا الصليبيين

---

(٣٠١) لم يتعـدد عدد قوات فريدريك خمسمائة فارس وأحد عشر من المشاه . انظر :
R. Rohricht, Geschichte des knoigreichs Jerusalem, p. 777.

(٣٠٢) مات المعظم فى يوم الجمعة أول ذى الحجة ٦٢٤هـ/١٢ نوفمـبر ١٢٢٧م . وتولى حكم دمشق من بعده ابنه الناصر داود . انظر : سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٤٨ .

(٣٠٣) H. Mayer, The Crusades, Trans. by J. Gillingham, Oxford, 1972, p. 228; Brundage, The Crusades, p. 222.

(٣٠٤) سـبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسـم ٢ ، ص ٦٥٣، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٢٣٠ ، العينى : عقد الجمان مخطوط ، جـ ٢١ ، ورقة ٢٢٣ . راجع أيضا :
Ernoul, p. 465; Eracles, p. 374; Gerold (Patriarch of Jerusalem), Letter of Gerold to Pope Gregory IX, in Historia Diplomatica Frederici Secundi, ed. Huillard-Bréholles, 7 Vols in 12 parts, Paris 1852-1861, Vol. 3, pp. 86-87.

(٣٠٥) « ووصلت الاخبار بتسليم القدس الى الفرنج ، فقامت القيامة فى جميع بلاد الاسلام واشتدت العظائم بحيث أنه اقيمت المآتم». =

أنفسهم(٣٠٦) ، فإن ما يهمنا هنا هو موقف بوهيمند الرابع من الحملة السادسة ككل ، وما صاحبها من أحداث ، وأثر ذلك على العلاقات السياسية بين امارة انطاكية وجيرانها المسلمين . ففي البداية كان بوهيمند مواليا لفريدريك تماما ، وفي ١٢٢٧م/٦٢٤هـ ، حقق توماس أكوينو «Thomas Aquino» مندوب فريدريك - الذي لم يكن قد حرم من الكنيسة بعد - قدرا من الاتفاق والمصالحة بين بوهيمند والاسبتارية(٣٠٧) . الى جانب أنه ليس هناك ما يثير مخاوف بوهيمند من الامبراطور وبوهيمند يخضع للامبراطور اللاتيني بالقسطنطينية ، على عكس حكام قبرص الذين قامت مملكتهم تحت سيادة الامبراطورية الالمانية . كما صارت اليس ملكة بيت المقدس والصية على ابنها الملك الطفل هنري الاول في

= فكلف الناصر داود بن المعظم المؤرخ سبط بن الجوزي بأن يجلس بجامع دمشق ويذكر ما جرى على بيت المقدس في مجلس رثاء . بينما رد الكامل بانه لم يتنازل للفرنج الا عن « كنائس وادر خراب ، والمسجد على حاله ، وشعار الاسلام قائم ووالي المسلمين متحكم في الاعمال والضياع » انظر : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان : جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٤ ، المقريزي : السلوك : جـ١ ، قسم ١ ، ص ٢٣٠ .

(٣٠٦) لم يرض الفرنج عن الوسيلةالسلميةالتي استردوا بها بيتالمقدس من المسلمين الذين مازالت لهم أملاك في المدينة . كما أن المنطقة التي عرضها الكامل علىفريدريك سبقأنرفضقبولهامنهقادةالحملة الخامسة لصعوبة الدفاع عن بيت المقدس دون ان ينضم اليها اقليم ما وراء نهر الاردن . كما حقد الداوية والاسبتارية على فريدريك المحروم من الكنيسة . وأخيرا فقد استاء بارونات المملكة والبطريرك من فريدريك الذي توج نفسه ملكا عليهم رغم أنف الجميع فاصدر البطريرك-قرار حرمانه على مدينة بيت المقدس كلها - انظر :

Hermann of Salza (Master of the Teutonic order) Letter of Hermann of Salza to Pope Gregory IX, in Historia Diplomatica Friderici Secundi, Vol. 3, pp. 90-93.

(٣٠٧) انفرد ابن نظيف الحموي بذكر هذه الوقعة وغيرها من الوقائع التي تخص الفرنج في بلاد الشام دون المصادر الصليبية التي اهتمت بما حدث في مملكة بيت المقدس بتفصيل أكثر مما ذكرت به احداث انطاكية وطرابلس ، لذا نلحظ وجود بعض التفاصيل الخاصة بالفرنج في شمال الشام تظهر في كتب المؤرخين المسلمين . انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصوري ، ص ١٥٠ .

قبرص من أشياع الامبراطور(٣٠٨) ٠ وعند اعلان وصول فريدريك الى جزيرة قبرص فقد أبحرت الملكة بصحبة بوهيمند من طرابلس متوجهين الى قبرص ، ولم يكن من قبيل المصادفة ان يمنح بوهيمند في ذلك الوقت عدة امتيازات لجماعة فرسان التيوتون ، الى جانب انه جلب تعزيزا أوليــا للامبراطور في قبرص ، كحليف وليس كتابع(٣٠٩) ٠ ولم يكد بوهيمند يصل الى قبرص ، حتى اكتشف أن فريدريك لم يكن ينظــر الى الامور نظرته اليها ، فقد استطاع الامبراطور ــ بالقوة ــ ان يحصل لنفسه على الوصاية على ملك قبرص من بارونات الجزيرة ، وعندما طلب من بوهيمند أن يؤدى له يمين الولاء والتبعية عن اتباعه في انطاكية وطرابلس ، ولما رأى بوهيمند أنه محروم من الكنيسة ومحروم من المدد أيضا ، فقد ادعى المرض وهرب الى الشام حيث وصــل الى حصن نيفين قبــل أن يجبره الامبراطور على الخضوع له(٣١٠) ٠ وربما انشغل الامبراطور في فرض

---

(٣٠٨) عهدت أليس بحكومة قبرص الى خالها فيليب ابلين الذى استأثر بالسلطة دونها ، فلجأت الى طرابلس وتزوجت من الابن الاكبر لبوهيمند الرابع والذى سيصبح فيما بعد بوهيمنــد الخامس ٠ ولكنها لم تستطع أن تفرضه واليا على بارونات قبرص ، كمــا لم تستطع أن تجعلهم يقبلون بدلا منه عمورى بارليس المناوىء لأسرة أبلين ولجأ بارليس أيضا الى طرابلس التى أصبحت ملجأ لكل خصوم أسرة ابلين الذين عينوا حنا ابلين حاكم بيروت وصيا على ملك قبرص بعد موت شقيقه فيليب ابلين في ١٢٢٧م ٠ وكان زواج أليس من بوهيمند الخامس في ١٢٢٥م ٠ انظر :

Francesco Amadi, Chroniques d'Cypre d'Amadi et de Strambaldi, ed. R. de Mas-Latrie, 2 Vols, Paris, 1891, 1893, Vol. pp. 117, 120, C.F. Also, Hill, The History of Cyprus, pp. 87-88.

(٣٠٩) قدم بوهيمند للامبراطور خدمة ٦٠ فارسا وكثيرا من المقــاتلين الاخف تسليحا من الفرسـان Sergents ٠ كمــا قدم له جى سيد جبيل ٣٠ ألف دينار اسلامى ٠ انظر : ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، ص ١٦٢ ٠ راجع أيضا :

Eracles, pp. 366, 368; Gestes des chiprois, p. 681.

وعن منح بوهيمند للتيوتون انظر ما يتقدم من هذا الفصــل ، ص ٣٣٢ حاشية (٣١٤) ٠

(٣١٠) يذكر فيليب نوفار أن بوهيمند ادعى المرض والبكم وصــاح بشدة : « آه آه آه ٠٠٠٠ وما أن وصل الى نيفين حتى شفى »

«Si contrefist le malade et le muet, et crioit trop surement = Alala! «mais si tost come il fu a Nifin, il fu gary.»

سيادته على قبرص ، وفى مفاوضـاته مع الملك الكامل(٣١١) . لذا لم يتخذ قرارا بشأن بوهيمند الذى نراه فى عكا مرة اخرى بصحبة الامبراطور فى ابريل ١٢٢٩م/جمادى ثان ٦٢٧هـ أى قبـل رحيـل الامبراطور الى بلاده(٣١٢) . ولأن حملة فريدريك لم يتخللها اى عمل عسـكرى ضـد المسلمين ، فلم تكن هناك حاجة لأن يساهم فيها بوهيمند اكثر مما قدمه للامبراطور من مساعدة وهو فى قبرص . وحتى توقيع الاتفـاقية مع المسلمين فان موقف الامبراطور من بوهيمند كان موقفـا عاديا لا غرابة فيه ، الا أن اتفـاقية يافا قد فاجئتنا بعكس ذلك . فقد شمل اتفـاق الامبراطور مع الـكامل أملاك الصليبيين فى فلسـطين فقط دون شمال الشام . أى أن امارة انطـاكية وكونتية طرابلس ، وهى أملاك بوهيمند ، لم تدخل ضمن الهدنة بين الطرفين . ويرى المؤرخ كلود كاهن انه بسبب زيارة بوهيمند للامبراطور فى عكا قبيل رحيل الاخير الى اوربا بشهر واحد ، لم يكن السبب فى عدم دخول أملاك بوهيمند فى الاتفاقية هو عدم خضوعه للامبراطور وهروبه من قبرص دون أن يقسم له يمين الولاء . ولم يعطنا كلود كاهن سببا بديلا لاستبعاد أملاك الامير من اتفـاقية الامبراطور مع المسلمين . وربما كان انشغال كلود كاهن بمعالجة أمور الشرق الادنى ككل فى هذه الفترة سببا فى عدم تفرغه الكامل لمعالجة موقف الامبراطور من بوهيمنـد ، ذلك الموقف الذى لا يقـل غرابة عن موقف

---

(٣١١) = انظر : Gestes des chiprois, p. 682, Eracles, pp. 368-369.

(٣١٢) فى ابريل ١٢٢٩م شهد بوهيمند على وثيقة حررها فريدريك الثانى فى عكا منح فيها لجماعة التيوتون برئاسة هيرمان اوف سالزا عدة أملاك فى تيفين ، ونوربرت « القلعة الجديدة » الواقعة فى قيليقية والتى يملكها الاسبتارية منذ منحها لهم ليو الثانى فى سلوقية فى ١٢١٠م وجاءت منحة فريدريك للتيوتون فى نوربرت بناء على موافقة قنسطنطين والد هيثوم ملك ارمينيـا ، الذى كان يؤيد موقف الامبراطور فى الشرق تماما . أما عن تبنين فقد منحهـا فريدريك للتيوتون لمسـاندتهم اياه ضد بارونات المملكة والداوية والاسبتارية كمـا منحهم معهـا كل ما كان فى حوزة جوسـلين كورتيناى . انظر :
Strehlke, no. 66, p. 54, Rohricht, Regesta, no. 1003, p. 363-264-265, CF. Also, Riey-Smith, The Feudal Nobility and the kingdom of Jerusalem, p. 171.

بوهيمند نفسه من فريدريك بعد اعلان الاتفاق الذى سبق زيارة بوهيمند للامبراطور . ولتوضيح موقف كل من بوهيمند والامبراطور تجاه الآخر لابد من الرجوع الى نص اتفاقية يافا الذى من الواضح أن كلود كاهن لم يرجع اليه البتة . ففى نص الاتفاقية الذى ورد فى كل المصادر الاسلامية لا نجد أى ذكر لأملاك بوهيمند ، وربما يوحى ذلك بأن أملاكه قد دخلت فى الهدنة التى عقدت بشكل عام دون تحديد أملاك معينةللفرنج فى بلادالشام وبذلك تنطبق عليها الهدنة . اماالنص الصليبى ، فان آخر فقراته تبين لنا نية الامبراطور المبيتة على استبعاد املاك بوهيمند من الاتفاقية اى انه من الناحية العملية ، فان أملاكه كانت منطقة مسموح فيها بالاعمال العسكرية للمسلمين . واذا كان الامر كذلك ، فلابد وأن يعتبره بوهيمند عقابا له من الامبراطور على عدم خضوعه له . ومع ذلك نراه يزور الامبراطور ، ويشهد على احدى الوثائق التى حررها الاخير فى عكا قبيل رحيله عن بلاد الشام . وهنا تبدو غرابة موقف بوهيمند الذى كان من المفروض أن ينأى جانبا عن فريدريك الذى لم يضع فى اعتباره كقائد صليبى حماية أملاك الصليبيين فى شمال الشام . ومن المؤكد أن بوهيمند قد أدرك أن أملاكه كان ولابد أن يستبعدها الامبراطور من اتفاقه مع المسلمين حتى ولو كان بوهيمند قد خضع له . فقد استبعد الامبراطور من اتفاقيته مع الكامل ، الى جانب انطاكية وطرابلس ، أملاك الداوية فى انطرطوس وأملاك الاسبتارية فى حصن الاكراد وصافيتا والمرقب(٣١٣) . ولوجود هذه الاملاك كلها فى نطاق أملاك بوهيمند فلن أى هجوم اسلامى تسمح به الاتفاقية على هذه الاملاك الخاصة بجماعتى الداوية والاسبتارية لا يخرج عن كونه هجوما على أملاك بوهيمند نفسها . ولذلك لم يجد بوهيمند بدا من الظهور بمظهر اللامبالى امام فريدريك حتى لا يصيبه منه أكثر مما اصابه . وهكذا كان وجود أملاك الداوية والاسبتارية فى حدود أملاك بوهيمند سببا آخر كى يستبعد فريدريك انطاكية وطرابلس من اتفاقه مع الكامل . أما عن منح بوهيمند عدة امتيازات للتيوتون قبل توقيع الاتفاقية فقد جاء ذلك فى يناير ويونية من عام ١٢٢٨م ، أى قبل أن يغادر فريدريك أوربا متوجها الى الشرق . وربما

(٣١٣) Letter of Gerold Patriarch of Jerusalem to Pope Gregory IX, p. 87.

كان ذلك تقدمة من بوهيمند لشراء رضا الامبراطور(٣١٤) ، ولما لم يجد كل ذلك ، اضطر بوهيمند ان يظهر فى عكا حتى لا يفوته الاجتماع الذى عقده الامبراطور مع بارونات المملكة ، ويعرف ما يسفر عنه ذلك الاجتماع ، أو على الاقل ليظهر تاييده - ولو سرا - للداوية والاسبتارية ضد فريدريك ، الأمر الذى من شانه ان يقرب بينه وبين الكنيسة وبارونات المملكة الذين ربما يحتاج لمساعدتهم بعد ان قرر فريدريك عدم مده بالمساعدة من قبل نوابه الذين تركهم يحكمون فى عكا بعد سفره الى أوربا(٣١٥) وربما كان عدم موافقته على الاتفاقية(٣١٦) يمنحه

---

(٣١٤) فى يناير ١٢٢٨م منح بوهيمند الرابع الفرسان التيوتون فى شخص مقدم الجماعة هرمان أوف سالزا طاحونة هوائية على نهر العاصى خارج اسوار انطاكية بملحقاتها من ريع المياه وبركة الاسماك ومعصرة الكروم ، مع حق التيوتون فى الاحتفاظ بدخل الطاحونة من طحن الغلال فيها ، الى جانب الحديقة التى بجوار الطاحونة . وفى يونية من نفس العام منح بوهيمند لجماعة التيوتون ايضا دخلا سنويا قدره مائة دينار ا تدفع على اربعة اقساط (كل ثلاثة اشهر ٢٥ دينارا) من ريع السوق والسلسلة فى مدينة عكا التى كانت من حق بوهيمند ، وفى ضرائب تفرض على البضائع الواردة الى الميناء . انظر :

Strehlke, no. 61, p. 50, no. 64, p. 53; M. Tumler, Der Deutsche Orden in Werden, Wachsen, und Wirken bis 1400 mite-inem Abriader Geschichte des Ordens bis Zur neuesten Zeit, Montreal-Wien, 1955, no. 8 p. 64; Rohricht, Regesta, nos. 979, 989, pp. 257, 261.

وعن هذه الضرائب انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٢٤٩ ، حاشية (٨) .

(٣١٥) عين فريدريك قبل رحيله فى أول مايو ١٢٢٩م كلا من باليان ابلين سيد صيدا ، وجارنييه الالمانى (مندوب الملك حنا بريين) نائبين عنه فى حكم المملكة وبقى أتو مونتبليارد كندسطبلا للملكة ومتوليا أمر الجيش . أما فى قبرص فقد عين نوابه كلا من عمورى بارليس وجافين شنتيني وعمورى سيد بيسان وهيو سيد جبيل ووليم سيد ريفييه وعهد الى الاربعة الآخرين بشخص الملك الصغير هيو الذى رتب زواجه من اليس مونتفيرات التى كان والدها من مؤيدى فريدريك فى ايطاليا . انظر :

Letter of Gerold Patriach of Jerusalem to Pope Gregory IX, p. 87; Ernoul, p. 466; Eracles, p. 375. CF. also, Hill, A History of Cyprus, pp. 89 ff.

(٣١٦) « لم يوافق على هذه الاتفاقية » الداوية ولا كونت طرابلس =

بعض الهدوء من جانب المسلمين فى دمشق المعارضين - بزعامة الناصر داود - لنفس الاتفاقية . ومهما يكن من امر ، فقد انتهت حملة فريدريك الثانى الصليبية ، وقد حققت الهدف المرسوم لها ، والذى فشلت الثلاث حملات السابقة عليها فى تحقيقه . الا ان سياسة الامبراطور قد زرعت بذور الحرب الاهلية بين الفرنج فى بلاد الشام(٣١٧) . كما ان دبلوماسيته مع المسلمين كوسيلة بديلة عن الحرب لم تكن ترضى جماعتى الداوية والاسبتارية اللتين رأتا أن السلم مع المسلمين فيه تحديد لنشاطاتهما العسكرية فى المنطقة . وكان أن تحقق هدفهما بان استبعدت أملاكهما من اتفاقية فريدريك والكامل الامر الذى عرض أملاك بوهيمند الرابع فى انطاكية وطرابلس لكثير من الاضطراب والخطر فور رحيل الامبراطور . ففى اثناء حصار الكامل والاشرف للناصر داود فى دمشق(٣١٨) ، بعث الكامل بسراياه لمهاجمة الاسبتارية فى حصن الاكراد بينما كان بوهيمند يهاجم الحشيشية الذين يتمتعون بحماية الاسبتارية(٣١٩) الذين حصلوا من البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١م) على تأكيد جديد بحرمان

= His treugis non Consenserunt Templarii nec comes Tripolitanus»

انظر : Annales Dunstaplenses, in M.G.H.SS., Vol. 27, p 508

(٣١٧) لم يؤيد الامبراطور سوى التيوتون والبيزاوية بينما كان على رأس المعارضين بارونات المملكة تحت قيادة الابليين والاسبتارية والداوية . انظر :

Eracles, p. 374.

(٣١٨) اتفق الكامل والاشرف على اقتسام أملاك الناصر داود ابن أخيهما المعظم ، فاستوليا فى ١٢ يوليو ١٢٢٩م/١ شعبان ٦٢٦هـ على دمشق التى أخذها الاشرف وترك املاكه فى اقليم الجزيرة للكامل . بينما عوضا الناصر داود عن دمشق بحصون الكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك ، وسرعان ما تنازل الناصر عن الحصن الاخير لعمه الكامل . انظر : المقريزى السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٢٢٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ، ص ٢٢٤ ، سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٧ .

(٣١٩) كان الحشيشية يدفعون الجزية للاسبتارية ولم تذكر المصادر العربية غارة المسلمين على حصن الاكراد . انظر :

Annales de Waverley, in M.G.H.SS. Vol. XVII, p. 461, Annales Dunstaplenses, in M.G.H.SS. Vol. XVII, p 509

Riley, Smith, the knights of St. John, p. 139.

بوهيمند(٣٢٠) . كما قام الاسبتارية فى سبتمبر ١٢٢٩م/ذى القعدة ٦٢٦هـ بمهاجمة بعرين(٣٢١) . وفى يولية من عام ١٢٣٠م/رمضان ٦٢٧ استغلوا غياب الاشرف موسى عن دمشق ، وانشغاله فى محاربة الخوارزمية فى اقليم الجزيرة(٣٢٢) واتفقوا مع الداوية فى انطرطوس وهاجموا حماة،لاجبار اميرها المظفر تقى الدين محمود على دفع الجزية التى كان يؤديها لهم اخوه قلج ارسلان . الا ان المظفر فاجاهم بهجومه عليهم عند أفنون(٣٢٣) بين حماة وبحرين ، « فلم يثبتوا له ، وولوا منهزمين ، وقتل منخيالتهم ورجالتهم خلق كثيرا ، وأسر جماعة واسترد ما غنموه »(٣٢٤) . ووصل فرسان الاسبتارية اعمالهم العدوانية على املاك المسلمين بان هاجموا مدينة جبلة فى شتاء نفس العام « ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة وأسرى »(٣٢٥) . فارسل شهاب الدين الى طغرل

---

(٣٢٠) اصدر البابا قرار الحرمان ضد بوهيمند فى ٥ مارس ١٢٣٠م . واعلن بطريرك بيت المقدس رجال الدين فى انطاكية بهذا القرار فى ١١ يوليو . انظر :

Riley-smith, The knights of St. John, p. 161.

(٣٢١) كان صاحبها قلج ارسلان بن الملك المنصور بن تقى الدين عمر وبقيت له بعرين بعد أن أخذ منه الكامل حماة واعطاها لاخيه المظفر . انظر : ابن الاثير : الكامل جـ ١٢ ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩ ، ابن نظيف الحموى : التاريخ المنصورى ، ص ١٨٨ .

(٣٢٢) فى ابريل ١٢٣٠م/جمادى الاولى ٦٢٧هـ استولى الخوارزمية على أخلاط فتحالف الاشرف مع علاء الدين كيقباذ السلجوقى ضدهم واستطاع الحليفان أن يهزما جلال الدين الخوارزمى قرب ارنجان ، وفر جلال الدين الى أذربيجان واسترد الاشرف أخلاط وتصالح مع جلال الدين الذى لم يلبث أن قتل فى ١٢٣١م/٦٢٨هـ. وتمزقت دولته وصارت جيوشه تعمل كمرتزقة لدى مختلف حكام المسلمين . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٤ – ٣٠٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ، قسم ٢ ص ٦٥٩ – ٦٦٩ .

(٣٢٣) « أفنون » قرية قرب بعرين تعرف الآن بقفيلون على بعد ٣٥ كيلو مترا من حماة . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٣٠٣ ، حاشية ٣ .

(٣٢٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٣٠٣ .

(٣٢٥) ذكر كل من ابن واصل وابن العديم انهكان فى ذلك العام « للفرنج =

اتابك حلب العسكر » مع بدر الدين الوالى(٣٢٦) واغاروا على ناحية المرقب ، ونهبوا حصن بانياس وخربوه ، وسيروا أسرى الى حلب »(٣٢٧) . ولم يتم التوصل الى الهدنة بين الحلبيين من جهة والداوية والاسبتارية من جهة أخرى الا فى ٢٣ يونية ١٢٣١م/٢٠ شعبان ٦٢٨هـ(٣٢٨) . ولا جدال أن بوهيمند الرابع لم يكن له أى دور فى هذه العمليات . فلم يكن بوهيمند فى سن تسمح له بالقيام بعمليات عسكرية خاصة مشاركة منه للاسبتارية والداوية حتى لا يظهر وكأنه حليف لهما فى الوقت الذى كانت فيه هاتين الجماعتين من المناوئين لريتشارد فلانجيرى «Richard Filanggieri» نائب الامبراطور فريدريك متعاونين فى ذلك مع الابلين فى عكا(٣٢٩) . واكتفى بوهيمند ، مستقلا

حركة » . ولم يذكر انهم هاجموا جبلة غير ابن الاثير الذى اتفق معهما على ذكر هذه الوقعة ضمن أحداث عام ١٢٣١م/٦٢٨هـ . انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢٣٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٣١١ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٣٢٦) كان بدر الدين الوالى أميرا جليلا وكان متوليا قلعة جعبر فى أيام الملك الظاهر الى أن اخذها الملك العادل فولاه الظاهر قلعة حلب الى أن ولاها للاتابك شهاب الدين قبيل وفاته . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٣١١ .

(٣٢٧) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ، ص ٣١١ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣٢٨) لم يذكر هذه الهدنة بين المسلمين والفرنج سوى ابن العديم ، وان لم يحدد لنا مدتها . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢١٠ .

(٣٢٩) فى ٢٣ يولية ١٢٣٠م تصالح فريدريك الثانى مع البابا جريجورى التاسع بمقتضى معاهدة سان جرمان ورفع البطريرك الحرمان عن مملكة بيت المقدس واخذ فريدريك اذنا من البابا بارسال جيش الى الشام لحماية المملكة الصليبية . فبعث ريتشارد فيلانجيرى كمندوب امبراطورى بصحبة ثلاثين سفينة . ولما رأى ريتشارد أن حنا ابلين قد تحصن فى قبرص توجه بالاسطول الى بيروت وحاصرها ، ثم استولى على صيدا وصور ، ثم توجه الى عكا حيث قبله البارونات مندوبا عن الامبراطور ، فصادر ريتشارد أملاك أسرة ابلين الامر الذى دفع البارونات بتشكيل قومون يتصدى لسلطة المندوب الامبراطورى . انظر :

فطنته السياسية بالاستفادة من الخلافات والصراعات بين الابلين وحلفائهم من جهة ، وبين مندوب فريدريك من جهة أخرى ، فى الوقت الذى حرص على أن يظهر بمظهر المحايد بين الطرفين فى صراعهما (٣٣٠) . وبالفعل فقد تمت المصالحة أخيرا بين بوهيمند والاسبتارية والكنيسة . وشهدت السنوات الاخيرة من حكمه نهاية الخلاف ـ الذى استمر طوال فترة

Peter W. Edbury, The Ibelins Counts of Jaffa : a Previously unknown passage from the Lignages d'Outremer; in E.H.R., Vol. 89, 1974, pp. 604-610.

(٣٣٠) سعى الابليون الى ضم بوهيمند الرابع الى جانبهم ضد فلانجيرى الذى كان نائبا bailli للامبراطور فريدريك ، ولتحقيق ذلك سعوا الى المصالحة التى تمت بين بوهيمند والاسبتارية . كما وافق بوهيمند على طلاق ابنه بوهيمند الخامس من اليس ملكة بيت المقدس لأن الزوجين كانا أقارب من الدرجة الرابعة وهو ما تحرمه الكنيسة فى ذلك الوقت وما كان قد اعترض عليه البابا هنوريوس الثالث . وعرض حنا ابلين على بوهيمند ـ تعويضا عن تلك الزيجة ـ أن يتزوج هنرى أصغر أبناء بوهيمند من ايزابيلا شقيقة هنرى الاول ملك قبرص ، الامر الذى يجعل أمير انطاكية يتولى فى النهاية عرش قبرص . وانتظر بوهيمند حتى يرى ماستسفر عنه المفاوضات بين الابليين ونائب الامبراطور . وعبثا راح حنا ابلين يعطى لبوهيمند الوعود باقطاع فى قبرص اذا ما بعث بمساعدة برية وبحرية له لصد نفوذ نواب الامبراطور فى الجزيرة . وبدأ بوهيمند ودودا فى أول الامر . وسرعان ما انتصر فلانجيرى على الابليين فى موقعة قرية ايمبرت بالقرب من صور فى ١٢٣٢م ، فابدى بوهيمند فتورا تجاه بارونات المملكة . وقدم المؤرخ فيليب أوف نوفار الاقطاع لبوهيمند الذى وعده به حنا ابلين من قبل وتم زواج ابنه من ايزابيلا القبرصية . الا أن بوهيمند كان يفضل سيادة الامبراطور البعيدة عنه على سلطة الابليين القريبة جدا . وبدا أكثر اتفاقا مع فلانجيرى ومنح شقيقه لوثير اقطاعا فى انطاكية الا انه أصم أذنيه عن استغاثة فلانجيرى به حين هزمه الابليون فى قبرص التى استعاد هنرى الاول نفوذه فيها . وظهر بوهيمند كمحايد بين الطرفين . انظر :

Eracles, pp. 361, 386-407; Gestes des Chiprois, pp. 673, 700, 708 ff., 719, 735; Amadi, Chroniques d'Cypre, Vol. 1, pp. 123-124; Honorius III, pope, Regesta, t. 2, no. 6271, p. 485; Hill, A History of Cyprus, Vol. 3, pp. 143-154. H.E. Mayer, The Communal movemnt in the Holy Land, in Traditio, Vol 2, p. 444. J. Riley Smith, The Assis Sur La Ligee, in Traditio, Vol. 27, p. 199.

حكمــــه - بين الطـــــرفين . ففى ٢٦ أكتــــوبر ١٢٣١م/٢٨ ذى الحجــــــة ٦٢٨هـ صـــــدق جــــيرولد أوف لوزان Gerold of Lausanne بطريرك بيت المقدس (١٢٢٥ - ١٢٣٩م) على الصلح بين بوهيمنـد والاسبتارية ، واعترفت البـــابوية للمرة الاولى ببوهيمند كامير لانطاكية ، وتنــازل الاسبتارية عن كل الامتيازات التى منحهـــا اياهم ريمـــوند روبين ، واعترفوا لبوهيمنـــد بكل حقوقه الاقطاعية(٣٣١) . وفى ١٠ ابريل ١٢٣٢م/٢٨ جمـــاد ثان ٦٣٠ هـ ، صدق البابا جريجورى التاسع على اتفاقية بوهيمند مع الجماعة ، ورفع قرار الحرمان الصادر ضده(٣٣٢) . ومات بوهيمند قبل أن تصل موافقة البابا على منحه لقب أمير انطاكية(٣٣٣) ، الامر الذى لم يستطع أن يحققه طوال عهده فيها ، والذى كان سببا فى أن يستمر فى صراعه ضد الارمن حولها طيلة عشرين عاما ، مما جعله ينشغل عن المسلمين طوال تلك الفترة ، بل ويتحالف معهم الى جانب السلاجقة الروم ، ضـد الارمن ، دون أن يتفرغ لتحقيق اية مكاسب على حساب المسلمين ، أو حتى يسترد لامارته ما كان قد ضاع من أملاكها على أيدى صلاح الدين بعد حطين . وكل ذلك جعل فترة حكم بوهيمند الرابع تتسم بالهـدوء النسبى فى علاقاته بالمسلمين . ولم يكن الصراع ضد الارمن فقط هو السبب وراء هذا الهدوء ،

---

(٣٣١) لم يحتفظ الاســبتارية الا بحقهم فى مدينة جبلة وبكسرائيـــل Chateau de La Vieille . كما منح بوهيمند الاسبتارية باسم أبنـــائه بوهيمند الخامس وهنرى دخلا سنويا مقداره ٣٦٠ دينارا من كونتية طرابلس ودخلا آخر قدره ٨٧٣ دينارا من امارة انطاكية ، وذلك فى ٢٧ أكتوبر ١٢٣٢م . انظر :
Rohricht, Regesta no. 1032, pp. 269-270, no. 1033, p. 270, Cartulair, t. 2, nos, 1999, 2003, 2048, pp. 427-428.

(٣٣٢) Ann. T.S., p. 439; Gartulair, t. 2, no 2048, p 452

(٣٣٣) مات بوهيمند قبل مارس ١٢٣٣م/جماد ثان ٦٣٠هـ . فآخر ما نجده من أعمال قام بها هو منحتيه للاسبتارية فى ٢٧ اكتوبر ١٢٣٢م/ ١٠ محرم ٦٣٠هـ بينما نجد ابنه وخلفه بوهيمند الخامس يوثق - كامير لانطاكية وكونتا لطرابلس - منحتين للبيزاوية يؤكد فيهما ما منحهم اياه كل من ريموند بواتيه وبوهيمند الثـالث أمراء انطاكية من امتيازات وذلك فى مارس ١٢٣٣م/جماد ثان ٦٣٠هـ . انظر :
Rohricht, Regesta, nos., 1041-1042, p. 272.

بل كانت هناك عوامل اجبرت كلا من المسلمين والصليبيين بصفة عامة على تجنب القيام بأعمال عسكرية أحدهما ضد الآخر . وكان الخلاف بين خلفاء صلاح الدين الايوبى وتخوف كل منهما من الآخر هو دافعهم وراء ذلك . بينما كان فشل الحملتين الثالثة والرابعة فى تحقيق أمن واستقرار الامارات الصليبية ، وانتظار الفرنج فى بلاد الشام للحظة التى يتاهب فيها الغرب الاوربى لنجدتهم ، وفقر المناطق التى أصبحوا يحتلونها فى بلاد الشام وحاجتهم الى المكاسب التجارية التى تتحكم فيها الجاليات الايطالية ، سببا فى أن ينهجوا سياسة سلمية تجاه المسلمين ، وأصبحت الحرب بين بوهيمند الرابع والارمن هى شغل الصليبيين الشاغل . طالما أنه ليس هناك أمل فى وصول حملة صليبية جديدة . واستمر بوهيمند على سياسة سلفه بوهيمند الثالث بالنسبة للحملات الصليبية ، فان لم تكن هذه الحملات ستحقق له أهدافه الخاصة ، فهى - وحتى ما ستحققه لمملكة بيت المقدس - ليست ذات همية بالنسبة له . ولولا مشاركته - خارج حدود امارته - فى سياسات الصليبيين والمسلمين فى آسيا الصغرى وفلسطين ومصر ، لكان من الصعب أن نجد ذكرا لامارة انطاكية فى كتب المؤرخين فى تلك الفترة . ومع ذلك فمن فترة حكم بوهيمند الرابع نخرج بانطباع عنه كرجل نشط ، تارة لا يعرف التردد ، وتارة مخادع وسياسى ماهر ، يضعه فيليب نوفار الذى اعجب بعلمه وحدة ذهنه بين كبار المشرعين الصليبيين(٣٣٤) . وبموت بوهيمند يمكن أن نعتبر أنه قد مات آخر أمير لانطاكية . فسيحمل ثلاثة من خلفائه هذا اللقب ، ولكنهم لن يكونوا أمراء بالفعل لانطاكية التى أفقرتها الحروب الداخلية ، وبعدها مباشرة هجمات التركمان ، ثم ذبول نشاطها التجارى ، فقد عزلها العائق التى كانت تشكله اللاذقية التى يحكمها المسلمون ، والتى لم تعد بالنسبة لانطاكية ذلك الميناء المزدهر ، الذى يعتبر منفذها الى الغرب الاوربى ، ووسيلة اتصالها السهلة بكونتية طرابلس . الى جانب ذلك فقد دارت فى موانى لبنان الجنوبية وقبرص أحداث التاريخ الفرنجى الداخلى والتى كانت تتطلب اهتماما اكبر مما تتطلبه امارة انطاكية فى شمال الشام . ومنذ الغزو المغولى والرد المملوكى عليه ، أصبحت مصر هى أهم بلد اسلامى

(٣٣٤) Philip de Novarre, Livre de Forme de Plait, in R.H.C. Lois, Vol. 1, p. 570.

يجذب الانظار . وخرج شمال الشام على مدى ثلاثين سنة تقريبـــا من التاريخ العام للمنطقة ، وقد ظهر ذلك جليا فى الجزء الاخير من فترة حكم بوهيمند الرابع ، وسيتاكد فى عهد بوهيمند الخامس . ومنذ ذلك الوقت تقريبا ، لم تعد هناك علاقات بين تاريخ امارة انطاكية الصليبية وبين أمرائها انفسهم(٣٣٥) .

(٣٣٥) Cahen, La Syrie du Nord, p. 644.

الفصـل الرابع

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين في فترة التفكك الصليبي والاسلامي (١٢٣٣ ـ ١٢٥٨/٦٣٠ ـ ٦٥٦هـ)

١ ـ امارة بوهيمند الخامس (١٢٣٣ ـ ١٢٥١م/٦٣٠ ـ ٦٤٩هـ) :

ـ تحالف بوهيمند الخامس مع الاسبتارية ضد المسلمين في بعـرين ١٢٣٤م/٦٣١هـ : أسبابه والنتائج المترتبة عليه ٠

ـ تحالف بوهيمند الخامس مع الداوية ضـد أرمن قيليقية ١٢٣٤م/ ٦٣١هـ ، وانعكاسه على العلاقات الانطاكية الاسلامية ٠

ـ موقف بوهيمند الخـامس من الصراع بين الداوية وبين الايوبيين في حلب (١٢٣٣ ـ ١٢٣٧م/٦٣٠ ـ ٦٣٤هـ) : أسبابه ونتائجه ٠

ـ موقف الامير الانطاكي من الصراع بين الخوارزميـة والايوبيين في بلاد الشام (١٢٤١ ـ ١٢٤٤م/٦٣٨ ـ ٦٤١هـ) ٠

ـ سياسة بوهيمند الخامس السلمية تجاه المسلمين : أسبابها ، ونتائجها (١٢٤٤ ـ ١٢٥١م/٦٤٢ ـ ٦٤٩هـ) ٠

٢ ـ امارة بوهيمند السادس (١٢٥٢ ـ ١٢٦٨م/٦٤٩ ـ ٦٦٦هـ) :

ـ الحملة السابعة على مصر ، وآثارها على العـلاقات بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين (١٢٥٢ ـ ١٢٥٤م/٦٥٠ ـ ٦٥٢هـ) ٠

ـ موقف بوهيمند السادس من الحرب الاهلية بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس وأثره على العلاقات السياسية بين امارة انطـاكية والمسلمين (١٢٥٤ ـ ١٢٥٨م/٦٥٤ ـ ٦٥٦هـ) ٠

رحل الامبراطور فريدريك الثاني من عكا(١) « مكروها ، تلاحقه اللعنات والفاظ السباب » لانه حاول فرض سيطرته وسيادته على بارونات مملكة بيت المقدس كحاكم فعلى بينما كان الحاكم الشرعى «de Jure» ـ ابنه كونراد الثالث ـ قاصرا(٢) . ولم يقدر صليبيو الشام انجازات الامبراطور حق قدرها . واعتبروا حملته زيارة قام بها سلطان ايطاليا الى صديقه سلطان مصر(٣) . وقد شغلهم امر التخلص من نفوذ نائب الامبراطور فى المملكة عن الاستفادة بما حققه لهم فريدريك . وبدلا من تحصين مدينة بيت المقدس او التوسع فى الاقاليم التى استردها لهم الامبراطور ، راحوا يدخلون فى صراع ضد نائبه ، وبدا أن الهدف الصليبى القديم لم يعد ذا أهمية لديهم . وبعد أن تكتلوا جميعهم ضد فريدريك ، راح كل منهم يعمل لصالحه الخاص محققا النذر القليل على حساب المسلمين الذين ـ بدورهم ـ شغلتهم عن الصليبيين خلافات أعضاء البيت الايوبى المستديمة ، الى جانب أخطار الخوارزمية ، وأطماع سلاجقة الروم ، واخيرا الخطر المغولى المحدق بالجميع . ولم يسمح للطرفين بالمضى فى تلك السياسة الا الشىء الوحيد الذى استفادا منه وحققته لهم اتفاقية فريدريك مع المسلمين ، الا وهو الهدنة لمدة عشر سنوات . الا ان ذلك لم يكن ينطبق على امارة انطاكية واملاك أميرها فى طرابلس ، وهى المنطقة التى وجد فيها الاسبتارية والداوية مجالا لنشاطهما العسكرى ضد المسلمين ، والتى كانت تحف بها الاخطار التى كانت تتهدد املاك المسلمين من جهة الشرق ، ودفعت باثارها الى اقليم انطاكية كله . وهكذا كان تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين رهنا بالظروف الخارجية ، وليس كما تفرضه سياسة أمرائها كما كان الامر أيام بوهيمند الاول ومن بعده تنكريد ثم روجر الانطاكى . ومهما يكن من أمر فان ظروف بوهيمند الخامس لم

---

(١) رحل فريدريك من عكا فى صباح يوم اول مايو ١٢٢٩م/٥ جماد ثان ٦٢٦هـ ، عندما اجتاز وحاشيته شارع الجزارين قذفه سكان الشارع بامعاء الحيوانات وروثها . انظر :

Eracles, P. 375; Ernoul, p. 466; Les Gestes des Chiprois, pp. 683-684.

(٢) Eracle, p. 374. CF. also, Riley-Smith, The Feudal Nobility, p. 167.

(٣) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 322.

تكن لتسمح له بأن يضع لنفسه سياسة خارجية تعيد لانطـاكية بالنسبة لجيرانها المسلمين ، وضعها الذى تمتعت به فى القرن الثانى الميـــلادى القرن السادس الهجرى . فلم يكن بوهيمند نفســه اميرا قويا ، لذا بدأ يكسب ود البابوية(٤)وأقام فى طرابلس تاركا انطاكية التى لم تكن سلطته نافذة فيها مثلما كانت سلطة القومون الذى سيطرت عليـه الجـالية البيزنطية(٥) . وبدأ بوهيمند يكتسب تاييـد الايطـاليين حتى ينمى موارد خزانته فى طرابلس بعد أن ضعفت موارد انطاكية الاقتصادية(٦) . ولم يكن فى امكانه القيام وحده بأى عمل عسكرى ضد المسلمين . واذا قام بذلك تعاونا مع غيره من الصليبيين ، فقد كان ذلك لضمان التعـاون المشترك فى أوقات الازمة فقط . ولما كانت الهدنة بين الكامل والصليبيين فى فلسطين قد أجبرت جماعات الفرسان الرهبان وهم القوة الصليبيـة التى كان بمقدورها القيام بأعمال عسكرية لانتعاش مواردها(٧) . على

---

(٤) تم اطلاق بوهيمند الخـامس من اليس ملكة قبرص فى ١٢٢٧م بناء على أوامر البابوية لصلة القرابة التى بينهما ، فقد كانا أولاد عمومة من الدرجة الرابعة وهو ما كان يحـرم عليهما الاقتران ببعضهما حسب تعاليم الكنيسة الرومانية .. وفى ١٢٣٥م تزوج بوهيمند الخامس من لوسى دى سينى Lucie de Segni ابنة الكونت بول الاول دى سينى ابن الكونت ريتشارد دوق سورا Richard duc de Sora شقيق البابا انوسنت الثالث والتى رشـحها له البابا جريجورى التاسع انظر :

Pope Gregory IX, Regester, ed. L. Auvray (Bibliothéque des Ecoles Franciases d'Athénes et de Rome, Sér 2), 3 Vols. Paris 1896-1955, Vol. 1, no 10, p. 7; Les Gestes des Chiprois, p. 748.

(٥) Cahen, La Syrie du Nord, p. 659.

(٦) أكد بوهيمند الخامس فور توليه السلطة (فى مارس ١٢٣٣م) للبيزاوية كل الامتيازات التى منحها لهم ريموند الثالث كونت طرابلس وبوهيمند الرابع فى انطاكية وطرابلس . انظر :

Rohricht, Regesta, nos. 1041-1042, p. 272. CF. also, Heyd, Histoire de Commerce, t. 1, p. 323.

(٧) كانت البابوية وحكام غرب أوربا يبعثون بالهبات والمساعدات للجماعات العسكرية الدينية فى بلاد الشام بشكل منتظم منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 660.

التخلى عن مشروعاتهم العسكرية ضد المسلمين فى فلسطين . فقد وجدت جماعتا الاسبتارية والداوية فى أملاك بوهيمند فى انطاكية وطرابلس قاعدة لعمليات عسكرية ضد المسلمين المجاورين . فبعد تولى بوهيمند الخامس الحكم فى انطاكية ، اضطر الى المساهمة فى حملة قامت بها جماعة الاسبتارية ـ من حصن الاكراد ـ ضد أمير حماة المظفر تقى الدين الثانى ، فى محاولة منها لاجباره على الاستمرار فى دفع الجزية التى كانت تجبيها من حماة(٨) . وفى الحقيقة ،كانت هذه الحملة ذات دلالات هامة . وتستحق الدراسة لما تلقيه من ضوء على أحوال كل من الصليبيين والمسلمين فى بلاد الشام . وايضا لما كان عليه موقف مؤرخى الطرفين منها . ففى الوقت الذى لم يذكرها اى من المؤرخين المسلمين بالمرة ، بالرغم من معاصرة بعضهم لاحداثها(٩) ، ولم يذكرها من المؤرخين الصليبيين سوى كاتب حوليات الارض المقدسة ، وتاريخ هرقل(١٠) . الا أن هذين المصدرين لم يضعا تاريخا محددا لهذه الوقعة ، فى الوقت الذى كانت التواريخ التى وردت بهما لها تفتقر الى الدقة . فبينما يعطينا الاول تاريخين لها وهما عامى ١٢٣٥م/٦٣٢هـ و ١٢٣٦م/٦٣٣هـ(١١) ، فيضعها الثانى فى عام ١٢٣٣م/٦٣٠هـ ، وبعد موت بوهيمند الرابع مباشرة(١٢) ، دون أن يحدد اى منهما فى أى وقت من هذه الاعوام قام الاسبتارية بحملتهم ضد صاحب حماة . وهذا جعل دى لافيلارو مؤرخ جماعة الاسبتارية الحديث يجتهد فى تحديد زمن هذه الوقعة ، معتمدا على بعض الوثائق الصليبية . فوضعها فى أكتوبر ١٢٣٣م/محرم ٦٣١هـ(١٣) . الا أن تحليله للاحداث لم يكن قاطعا .

---

(٨) Eracles, p. 403.

(٩) يقرر ابن واصل أنه كان فى دمشق قبل وصول الملك الكامل اليها بعدة يام . وحين وصل الكامل قرب حمص كان ابن واصل فى حماة . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(١٠) Ann. T.S. p. 439; Eracles, pp. 403-405

(١١) Ann. T.S., p. 439.

(١٢) Eracles, p. 403.

(١٣) نقل اغلب المؤرخين الحديثين عن ديلا فيلارو احداث الواقعة واخذوا بنفس التاريخ الذى حدده الاخير لها . انظر : =

فقد أعتمد فى رأيه هذا على أساس وجود حنا ابلين الذى شارك فى الحملة فى عكا فىالتاريخ الذى حدده لها ، بينمــا تواجد فى قبرص فى يوليـــو وأغسطس ثم فى نوفمبر وديسمبر من نفس العام . وبالطبع لا يمنع ذلك أن يعود حنا الى الشام فى العام التالى ، خاصة أنه ليس هنا ما يدل على عدم حدوث ذلك(١٤) . فبـالرغم من اعتمـادنا فى تحديد تاريخ هذه الوقعة ، على نص ورد فى أحد المصادر الاسلامية ، رغم بســاطته ، الا أنه جعلنا نقطع بأن التاريخ الادق لهذه الوقعة هو شــهر يونية ١٢٣٤م رمضان ٦٣١هـ . ولتفصيل ذلك يجدر تتبع الاحداث منذ بدايتها . فعندما رفض المظفر صاحب حماة أن يدفع الجزية التى كان يؤديها سلفه وأخوه قليج ارسلان للجماعة ، جمع جويرين «Guerin» مقـدم الاسبتارية (١٢٣٠ - ١٢٣٦م) خمسمائة فارس وألف وخمســمائة من المشــاة من جماعته وطلب المساعدة من كل الجهات الصليبية ،وسرعان ما انضمت اليه فرقة من الداوية بقيادة مقدمهم ارمان دى بريجــور «Armand de Pérgord» . وأتى من مملكة بيت المقدس ثمانون فارسا بقيادة بيير دى أفالون «Pierre de Avalon» ابن أخت الكندسطبل مونتبليارد ، كما أتى لمشاركة الاسبتارية فى مشروعهم مائة فارس من قبرص بقيــادة حنا ابلين حاكم بيروت وجوتييه دى برين زوج أخت هنرى ملك قبرص. وأخيرا بعث بوهيمند الخامس أمير انطاكية بثلاثين فارسا من انطـاكية

- Delavillo Le Roulx, Les Hospitaliers, pp. 171-172; King, The Knights Hospitallers, p. 214; Riley-Smith, The Knights of St. John, p. 325.

هذاوقد حددكلود كاهن عام١٢٣٤م/٦٣١هـ تاريخا لهذهالوقعة الا أنه اكتفى بذلك دون أن يحـــدد فى أى وقت من السنة قام الاسبتارية بحملتهم . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 650, n. 1.

(١٤) فى هذه الشهور كان حنا ابلين متنقلا بين نيقوسياوفماجوســتا شاهدا على بعض الوثائق التى حررها هنرى الاول ملك قبرص مانحا بمقتضاها بعض الامتيازات التجارية للجنوية ، وعاقدا معهم اتفاقية دفاع مشترك ، الى جانب بعض الامتيازات الاخرى لغيرهم من الفرنج . انظر :

L. de Mase Latrie, Histoire de L'île de Chypre, t. 2, pp. 51-56-58; t. 3, pp. 638-639.

بقيادة أخيه الاصغر هنرى(١٥) . وهكذا تجمـــع من صليبى قبرص وانطاكية ومملكة بيت المقدس الى جانب الاسبتارية والداوية ما يقــرب من ثمانمائة فارس والفين من المشاة كما أحصاهم تاريخ هرقل ، ومن الملاحظ أن معظم هذه القوات كان من جماعة الاسبتارية مما يدل على مدى امكانيات الجماعات العسكرية الدينية التى لم يعد فى مقدور الامراء الصليبين أن يبلغوا ما بلغته هذه الجماعات من قوة بدءا من القــرن الثالث عشر الميلادي/القرن السابع الهجرى(١٦) .وتجمع الصليبيون فى سهل البقيعة جنوبى حصن الكرك(١٧) ، وبعد مسيرة فى الليــل ، وصلوا عند الفجر أمام بعرين ، واحتلوا ضيعتها ونهبوها دون أن يواجهوا أحدا من سكانها الذين تحصنوا بقلعتها . ثم اتجهوا الى قرية ميريامين «Miryamin» على بعد سبعة كيلو مترات جنوب شرقى بعرين(١٨) ، حيث بقوا هناك لمدة يومين وارسلوا فرقا لنهب المنطقة ، وبعد ان نهبوا اقليم بعرين قاموا بنفس الشيء فى قرية السـماقية «Somaquie»(١٩) . وبقى الفرنج ينهبون ويعيثون فسادا فى اقليم بعرين لمدة ثمانية ايام دون أن يخرج لهم المسلمون أو يخضع لهم المظفر صاحب حماة . ولم يعـد الاسبتارية عن أعمالهم العدوانية فى أملاك المظفر الا بقدوم الملك الكامل من مصر على رأس جيش كبير(٢٠) . وكان الملك الكامل متوجها مع كل امراء بنى ايوب فى مصر والشام الى اقليم الجـزيرة لمحاربة علاء الدين كيقباذ سـلطان سـلاجقة الروم(٢١) . وكمـا يذكر تاريخ هرقل ، فان

---

(١٥) Eracles, p. 403-404. CF. also, p. Des Champs, Le Crac des Chevaliers, Paris, 1934; pp. 128-129.

(١٦) Cahen, La Syrie du Nord, p. 660.

(١٧) P. Des Champs, Le Crac des Chevalier, pp. 128-129.

(١٨) Grousset, t. 3, p. 362.

(١٩) ويكتبها ديسو بسماكية «Bismaqiya» وهى على طريق صافيتا فى رفنية .
Dussaud, Topographie historique, p. 311.

(٢٠) Eracles, p. 405.

(٢١) عن الخلافات بين بنى ايوب والسلاجقة فى اقليم الجزيرة انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠ ــ ٣٢٢ ، جـ ٤ ، ص ٧٤ ــ ٧٥ ، النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، ص ١٧ ، ابن العميد : أخبـار الايوبيين ، نشره كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية ،جـ ١٥ ، ١٩٥٥-١٩٥٧م، ص١٣٩ =

الكامل توسط لانهاء الخلاف بين المظفر والاسبتارية ، وقنع المظفر بان يدفع الجزية التى يطلبها الاسبتارية . وبالفعل تم الاتفاق على ذلك فرحل الاسبتارية واعوانهم من الفرنج عن بعرين(٢٢) .ولم يكن يحسم اختلاف المؤرخين حول تاريخ حملة الاسبتارية على بعرين سوى تاريخ وصول الملك الكامل . وبتتبع تحركات قوات السلطان من مصر الى أن وصل الى اقليم حمص حيث قام بالتوسط بين المظفر والاسبتارية ، يمكن تحديد تاريخ وجود الصليبيين فى اقليم بعرين فى الوقت الذى كان فيه الكامل فى سلمية التى بقى فيها حتى خرج الى اقليم الجزيرة . فقد خرج الكامل من مصر « فى ليلة السبت خامس شعبان ٦٣١هـ/٦ مايو ١٢٣٤م »(٢٣) . وبعد أن وصل الى دمشق ليصطحب اخاه الملك الاشرف ، توجهـا معا الى حمص ليرافقهما صاحبها الملك المجاهد اسد الدين ، ووصلا الى سلمية فى يونيو ١٢٣٤م/رمضان ٦٣١هـ.كما حدد كل من ابن واصل والمؤرخ المجهول لبنى أيوب(٢٤) . ولما كان الصليبيون مقيمين فى ذلك الوقت فى اقليم بعرين ، ولم تستغرق حملتهم كلها الثمانية أيام كما حدد تاريخ هرقل(٢٥) ، فيمكن الاخذ بان الاسبتارية قاموا بحملتهم على بعرين فى أواخر مايو/أوائل يونيو ١٢٣٤م/أواخر شعبان/أوائل رمضان ٦٣١هـ(٢٦) . وان دلت رواية تاريخ هرقل عن مدى للامكانيات البشرية العسكرية الرهبانية فى ذلك الوقت ، والتى لم تتوفر للامراء الصليبيين فى بلاد الشام ، فانها أيضا قد ألقت الضوء على سياسة بنى ايوب تجاه الفرنج فى بلاد الشام . ففى الحقيقة ، كان الخطر بالنسبة للاسبتارية وحلفائهم اكبر من خطرهم انفسهم على صاحب حماة . فقد تجمع تحت لواء الملك الكامل « اكثر

= ـ ١٤٢ ، العسقلانى : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٨٦ أ ـ ٨٦ ب .

(٢٢) Eracles, p. 405.

(٢٣) المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ، ص ٢٤٧ .

(٢٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٧٥ ، العسقلانى : شفاء القلوب ، لوحة ٨٦ أ .

(٢٥) Eracles, p. 405.

(٢٦) وضع كاهن عام ١٢٣٤م/٦٣١ ـ ٦٣٢هـ تاريخا لهذه الوقعة دون تحديد شهر لها . انظر :

Cahen, La Syrie du Nord, p. 650.

من مئة عشر دهليزا لستة عشر ملكا ، لم يجتمع مثلهم لملك قبل الملك الكامل »(٢٧)- ومع ذلك فقد فضل الكامل التفرغ لمحاربة السلاجقة على مساندة المظفر ضد الاسبتارية لذا اقنعه بدفع الجزية(٢٨) ، وقد لمس الكامل ضآلة الخطر الصليبي بالمقارنة بالخطر السلجوقي . ولم تكن الجزية عن بعرين بالنسبة له تستحق ضياع اخلاط او غيرها من املاك الايوبيين في اقليم الجزيرة(٢٩) .

واذا كان بوهيمند الخامس قد ساعد الاسبتارية في الحصول على جزيتهم من صاحب حماة ، فانه أيضا قدم المساعدة لجماعة الداوية في حملتهم ضد املاك هيثوم الاول ملك ارمينيا - الا ان مشاركته للداوية في هذه الحملة لم تكن مجرد مساعدة لحلفاء صليبيين فقط ، بل انها كانت بدافع الانتقام من الارمن الذين لم يغفر لهم بوهيمند أبدا اعدامهم لاخيه فيليب من قبل ، وارتقاء الاسرة الهيثومية عرش ارمينيا على حسابه(٣٠) . وهكذا ظلت العلاقات بين انطاكية والارمن متوترة حتى وصول لويس التاسع الى بلاد الشام(٣١) .وفي الحقيقة ، فان الارمن لم يبادروا أبدا بالهجوم على بوهيمند الخامس . فقد كانت سياسة

---

(٢٧) « الدهليز » هي الخيمة التي ترافق السلطان في الحرب،انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ ، حاشية (١) ، المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٢٤٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٧٥ .

(٢٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٢٥ . راجع أيضا :
Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 362.

(٢٩) فشلت الحملة الايوبية ضد السلطان السلجوقي ، ويرجع ذلك الى الداء المستديم الذي أصاب خلفاء صلاح الدين ، وهو الانقسام على انفسهم ، وتشككهم في بعضهم البعض . فقد خشي الاشرف والمجاهد ان ينقل الكامل امراء البيت الايوبي الى بلاد الروم اذا ما تمكن من امتلاكها ويستأثر هو ببلاد الشام ومصر . لذا بدأ التخاذل عليهم . واستوحش كل منهما من الآخر مما ساعد السلاجقة على التصدي لهم . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٧٧ ، وما بعدها ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤١ ، العسقلاني : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٨٦ ب .

(٣٠) Eracles, p. 405.

(٣١) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٩١ .

قسطنطين أكثر تحفظا من سياسة ليو الثانى ، واقل منها انغماسا فى شئون اللاتين . فقد كان عليه أن يؤمن حدود بلاده ضد الخطر السلجوقى الدائم(٣٢) الذى جعل الارمن يبقون على حذر فى كل مكان آخر . أما بالنسبة للداوية فبينما استقبل الارمن فى عام ١٢٣٢م/٦٢٩ — ٦٣٠هـ ريتشارد فيلانجيرى نائب الامبراطور الالمانى فريدريك الثانى ، ولما كان هيثوم تابعا اسميا للامبراطورية ، فقد مال الى دعم جماعة التيوتون الالمانية بمنحها عدة أملاك فى قيليقية ، وفى نفس الوقت كى يضمن مساعدتها له فى حماية حدوده الشرقية ضد السلاجقة . ففى يناير ١٢٣٦م/جمادى الاولى ٦٢٣هـ منحهم حصن الهارونية(٣٣) الذى كان يسيطر مع حصن سرفنتكار(٣٤) على الطرق المؤدية الى مرعش وملطية خلال جبال الامانوس الشمالية ، وهى الطرق المؤدية الى قيليقية من جهة الشرق(٣٥) . وعلى العكس من ذلك فقد كانت علاقته متوترة مع

---

(٣٢) قام علاء الدين كيقباذ بغزو قيليقيا فى ١٢٣٣م وعند موته فى ٣١ مايو ١٢٣٧م/٦٣٤هـ ، تولى الحكم من بعده ابنه غياث الدين كيخسرو الثانى دون أخويه الآخرين عز الدين وركن الدين (من زوجته الايوبية) . ورفض كيخسرو التصالح مع الارمن الا فى مقابل وعد منهم بأن يمدوه بكتيبة عسكرية تعمل فى خدمته عند كل طلب وتتكون من ١٤٠٠ مقاتل . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، ص ١٢٤ . راجع ايضا :

Vincent de Beauvais, Speculum, Libr : XXX, Ch. 144, Lib. XXXI. Ch. 145.

(٣٣) T.S.R. Boase, Gazetteer, in The Cilician Kingdom of Armenia, p. 166.

(٣٤) « سرفنتكار » حصن منيع تحميه صخور كبيرة وتحيط به غابات الصنوبر ذات الاشجار البالغة الضخامة والارتفاع ويقع على الجانب الجنوبى لجبال الامانوس . انظر :

P. Deschamps, Le Chateau de Serventcar en Cilicie, in Syria, Vol. 18, 1937, pp. 379-388.

(٣٥) منح هيثوم التيوتون ايضا كل الاراضى المحيطة بالهارونية ومزارعها وما فيها من كنائس وقلاع صغيرة الى جانب حقهم فى جباية المكوس من قاطنى المنطقة من الارمن كما أعلن هيثوم نفسه « أخا لفرسان التيوتون » . انظر :

Strhelke, Tabulae Ordinis Theutonici, no. 83, p. 65.

الداوية . ففى عام ١٢٣٣م/٦٣١هـ تشكك قسطنطين وابنه هيثوم الاول فى أن الداوية يدبرون مؤامرة ضدهما ، فاعتقل قسطنطين بعض اعضاء الجماعة وأمر باحراقهم احياء وشنق البعض الاخر منهم(٣٦) . وهكذا اجتمعت أحقاد بوهيمند واحقاد الداوية ضد الارمن وقررا معا القيام بحملة ضدهم . وفور انتهاء حملة الاسبتارية ضد بعرين زحف الحليفان على طرسوس،وخرج بوهيمندفىهذهالحملة بقواته بينماقاد الداوية مقدمهم أرماند دى بريجور . وعندما علم قسطنطين بذلك سارع بارضاء الداوية، وقدم لهم بعض التنازلات ، وعقد معهم صلحا منفردا(٣٧) . وهكذا تخلى الداوية عن بوهيمند الذى اضطر الى العودة الى بلاده دون أن يحقق غرضه(٣٨) . وهكذا فى الوقت الذى سعى فيه بوهيمند لمساعدة الداوية على حساب الارمن ، وليتنقم فى نفس الوقت لمقتل أخيه ، نجد الداوية يتخلون عنه حين لوح لهم الارمن ببعض الامتيازات فى قيليقية ، مما يدل على أن الصليبيين كانوا أشتاتا وليسو جماعة ، وذلك منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى/القرن السابع الهجرى . وذهب كل منهم يعمل لصالحه الخاص دون النظر الى الصالح الصليبى العام ، وضاعت وحدة الهدف التى تميزت بها سياستهم حين قدموا الى الشرق الاسلامى أول مرة .

واذا كان بوهيمند الخامس قد ساعد الاسبتارية ضد حماة ، واذا كان قد حاول مساعدة الداوية ضد الارمن ، فانه لم يكن يجازف ابدا بحسن علاقاته مع مسلمى حلب جيران انطاكية الاقربين ، وعمل على بقاء العلاقات الحسنة ـ التى استمرت طيلة خمسة عشر عاما بين والده وبين الملك الظاهر من قبل ـ مع الملك العزيز . وعمل على الا يكون

---

(٣٦) Eracles, p. 405.

(٣٧) منحهم قسطنطين حصن التينات الواقع شمالى ميناء الاسكندرونة . انظر :
Eracles, pp. 405-406. Cf. also, Riley-Smith, The Templars and the Teutonic knights, p. 109.

(٣٨) فى ١٢٣٧م حرم البابا جريجورى التاسع على الجماعات العسكرية وبوهيمند وهنرى ملك قبرص القيام بأى عمل ضد قسطنطين . انظر :
Pope Gregory IX, Registre, t. 2, no. 3597, p. 618; Mas La Trie, Histoire de Chypre, t. 2 p. 60.

لاستبعاد املاكه من اتفاقية السلام بين فريدريك والكامل أى مفصول فى الفترة التى لم تكن موارد انطاكية تسمح له فيها بالدخول فى صراعات مع جيرانها المسلمين . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان بوهيمند لم يكن يتميز بقوة الشخصية كأمير صليبى ، وقنع بالبقاء فى طرابلس ، ولم يحاول استغلال اضطراب أحوال المسلمين فى بلاد الشام ، واستمرار المنازعات بين أعضاء البيت الايوبى ، والتى لم تنته الا بسقوط دولتهم فى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى/أواسط القرن السابع الهجرى . لكل ذلك لم يكن مما يقره بوهيمند أن يستفيد الداوية من اضطراب أحوال المسلمين فى حلب بعد موت الملك العزيز(٣٩) ، وانغماس مسلمى حلب فى الخلاف الذى دب بين كل أعضاء البيت الايوبى ، وأدى الى انقسامهم بصورة لم تحدث من قبل . فقد كانت علاقة الداوية وهم ، يملكون حصن بغراس ، بمسلمى حلب ، وهم يملكون حصن دربساك(٤٠) فى توتر دائم(٤١) واستغل الداوية فرصة موت العزيز

---

(٣٩) مات الملك العزيز ملك حلب فى نوفمبر ١٢٣٦م/ربيع أول ٦٣٤هـ، وتولى الحكم بعده ابنه الناصر يوسف الثانى تحت وصاية عم والده ــ المعظم تورانشاه ــ وجدته لأبيه ضيفة خاتون التى تشككت فى نوايا شقيقها الملك الكامل سلطان مصر وتحالفت ضده مع كل من كيخسرو الثانى السلجوقى والمجاهد صاحب حمص والاشرف صاحب دمشق الذى استمر أخوه الصالح اسماعيل فى هذا الحلف بعد أن خلف الاشرف فى حكم دمشق . واستولى الكامل على دمشق فى يناير ١٢٣٨م/جماد أول ٦٣٥هـ ومات الكامل فى ١٣ مارس ١٢٣٨م/٢٣ رجب ٦٣٥هـ تاركا الاسرة الايوبية كلها منقسمة على نفسها،ومستمرة فى الانقسام الذى لم ينته الا بنهاية حكم الايوبيين فى مصر والشام . انظر : ابن واصل: مفرج الكروب ، جـ ٥ ، صفحات متفرقة ، العسقلانى : شفاء القلوب ، مخطوط ، لوحة ٨٦ ب ــ ٨٨ ب ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤٢ ــ ١٤٤ .

(٤٠) يقع حصن دربساك على المنحدرات الشرقية لجبال الامانوس بين ممرات الامانوس والبوابات الشامية ويشرف على اقليم العمق ، والطريق منه الى مرعش ، وبذلك فهو يتمتع باهمية استراتيجية كبيرة وينافس حصن بغراس فى أهميته خاصة أن المسافة بينهما هى ١٥ كيلو مترا . انظر : T.S.R. Boase, Gazetteer, p. 162.

(٤١) فى عام ١٢٢٦م/٦٢٣هـ قام الملك العزيز بالاغارة على الارمن فى حصن بغراس دون أن يحقق أية مكاسب هامة . وقد انفرد سمباد بذكر هذه الموقعة . انظر : Sempad, p. 648.

لتحقيق مكاسب على حساب التركمان المقيمين فى اقليم العمق ، ظنا منهم ان الحلبيين لن يتدخلوا لصالح التركمان الذين يسببون لهم المتاعب دائما(٤٢) . وفور موت العزيز قام الداوية بالهجوم على جماعات التركمان ، واستولوا على اغنامهم « ومواشى لغيرهم كثيرة »(٤٣) . فخرج المعظم توران شاه على رأس قوات حلب وأسرع بحصار الداوية فى بغراس ، وقام المسلمون بنقب الاسوار ، واستمروا فى حصارهم للداوية حتى نفذ ما لديهم من مؤن وأشرف المسلمون على اخذ الحصن(٤٤) ، فلولا أن سارع بوهيمند بالتوسط لدى الحلبيين ، وأقنعهم بالعدول عن حصار بغراس ، وعقد هدنة مع الداوية ، ولحسن العلاقات بينه وبين حلب ، فقد وافق المعظم على ذلك ورحل المسلمون عن بغراس(٤٥) . وهكذا قام بوهيمند بمساعدة الداوية بالرغم من خذلانهم اياه من قبل فى قيليقية ، ورغم غضبه منهم الا انه شفع فيهم لدى المسلمين(٤٦) . ولولا توسطه هو بالذات لما قبل المعظم الهدنة معهم(٤٧) . واذا كان بوهيمند بتدخله هذا قد دافع عن الداوية وحفظ لهم حصن بغراس الهام ، فانه لاشك أن وجودهم فى هذا الحصن اكثر امنا لانطاكية مما لو كان فى أيدى غيرهم سواء أرمن كانوا أم مسلمين . وفى نفس الوقت فانه ظهر بمظهر المحافظ على حسن علاقاته مع مسلمى حلب . فهو لم يتدخل

---

(٤٢) فى أوائل عام ١٢٣٧م/٦٣٤هـ اغارت جموع التركمان بقيادة أمير منهم يسمى قنغر ونهبوا ضياعا متعددة فى أكثر من مرة . فخرج اليهم عسكر حلب « فكسر ذلك العسكر ونهب » انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣١ ، العينى : عقد الجمان : مخطوط ، ورقة ٣٧٦ — ٣٦٨ .

(٤٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٠ . ومن الملاحظ أن ابن واصل ينقل أحداث هذه الفترة بالكامل من ابن العديم ويورد نفس روايته . انظر ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٣١ .

(٤٤) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ ، ابو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٦٦ .

(٤٥) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ ، ابو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٦٧ .

(٤٦) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .

(٤٧) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ١٦٧ .

عسكريا لصالح الداوية ولكنه توسط فقط بين الطرفين ، وكان من المصلحة للحلبيين فى فترة اضطراب امورهم وخلافهم مع الملك الكامل أن يستجيبوا لطلب بوهيمند بشأن التصالح مع الداوية فى بغراس ، بالرغم من انهم « لو اقاموا عليها يومين آخرين ، لما استطاع من فيها الصبر على المدافعة »(٤٨) . الا انهم لم يأمنوا عواقب الامور بعد ذلك فى حالة ما اذا استعان الداوية بمن لا يحرص على حسن علاقاته بمسلمى حلب من الفرنج غير بوهيمند ، ذلك فى الوقت الذى ربما يبخل فيه الكامل بمساعدتهم . وهكذا رحل المسلمون عن بغراس بعد أن خربوا اقليمها ، وتوجهوا الى دربساك(٤٩) . ولم يكن هذا الدرس كافيا ازاء غطرسة وليم دى مونتفيراتGuillaume de Montferrat قائد الداوية فى انطاكية ، الذى تلقى المساعدة من جى حاكم جبيل — الذى بدأت علاقاته بسيده بوهيمند تسوء — وخرق الهدنة التى سعى بوهيمند لعقدها مع الحلبيين لصالح الداوية(٥٠) . وفى يونيو ١٢٣٧م/ذى الحجة ٦٣٤هـ(٥١) زحف وليم مع قواته من بغراس عن طريق حجر شغلان(٥٢) الى دربساك بغية الاستيلاء على الحصن من المسلمين(٥٣) . وبدأ الداوية فى حصار

(٤٨) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .

(٤٩) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ١٣٣ .

(٥٠) ابن العديم : نفسه ، راجع أيضا :
Matthew Paris, Chronica Majora, ed. H.R. Laurd, in R.S., 7 Vols, London, 1872-1882, Vol. 3, p. 404.

(٥١) بالرغم من أن المؤرخ ابن العديم كان معاصرا لأحداث هذه الفترة ، حيث كان مقيما بحلب ، الا أنه لم يمدنا بتاريخ هذه الوقعة . ولم نقف لها على تاريخ سوى عند المؤرخ الانجليزى متى الباريزى الذى كان يطلع على التقارير التى ترد اليه بلاده عن أحوال الفرنج فى بلاد الشام . وفى الحقيقة فان متى الباريزى يعد من أهم المصادر التى تمدنا بمعلومات عن أحوال انطاكية فى تلك الفترة التى ندرت فيها فى كثير من المصادر المعاصرة . انظر :
Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 406.

(٥٢) « حجر شغلان » هو احد ممرات جبال الامانوس ويمتد حتى حصن دربساك مارا بأسفل قلعة صخرة رسل . انظر :
T.S.R. Boase, Gazetteer, in The Cicilian Kingdom of Armenia, p. 166.

(٥٣) ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣١ .

الحصن ومهاجمته بعد أن أقاموا معسكرهم فى منطقة الاشجار المحيطة به ، وعبثا حاول أسرى الداوية فى داخل دربساك تحذير وليم ورفاقه وحثهم على التراجع واتخـاذ الحيطة من عسكر حلب ، واعلامهم باستعداد المسلمين لهم ، طالبين منهم العودة من حيث أتوا(٥٤) . وبالفعل حاول بعض فرسان الداوية اقناع وليم بالتراجع الى بغراس لحين جمع مزيد من القوات ، الا أنه رفض ذلك ، واتهمهم والاسرى الفرنج الذين حذروهم بالجبن والخيانة ، فما كان من هؤلاء الا أن عادوا الى بغراس ، وتركوه لمصيره(٥٥) . ونزل جماعة من جند دربساك لقتال الداوية وحلفائهم فى ربض الحصن ، الى أن وصل الخيل الى عسكر حلب الذين سارعوا لنجدة الحصن(٥٦) . وعندما وصل عسكر حلب وقد نال التعب من الفرنج « وكلت خيولهم ، فوقعوا عليهم ، فانهزم الفرنج هزيمة شنيعة » على حد قول ابن العديم الذى كان موجودا فى حلب فى تلك الفترة(٥٧) . وهكذا أدت غطرسة قائد الداوية فى انطاكية الى كارثة حلت بالجماعة . فبينما يذكر ابن العديم أنه لم ينج من الداوية الا القليل(٥٨) ، يمدنا المؤرخ الانجليزى متى الباريزى بنص هام يبين لنا حجم الكارثة التى حلت بالداوية ، اذا ما وضعنا فى الاعتبار أن الموارد البشرية وخاصة الفرسان ، كانت هى جل اهتمام الفرنج فى بلاد الشام . فيذكر متى الباريزى أنه قد قتل من الفرنج مائة فارس

---

(٥٤) صاح الفرنج محذرين زملائهم قائلين « اهربوا أيها البؤساء اهربوا . لماذا تندفعون نحو دماركم . انكم جميعا لميتون . ان أعداءكم مستعدين لكم بامر من ملك حلب الذى كمن لكم » .
«Fugite, miseri, Fugite. Quidruitis in mortem propriam ? Mortuieetis omnes. Parati sunt infiniti hostes vostri Cum tota provincia adjacente, in stragem vestram communiter pracparati., praccepto Soldani Halapensis, qui vobis insidias praeparavit». Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 405.

(٥٥) Idem.

(٥٦) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ١٢٣ . راجع أيضا : خريطة رقم (٥) .

(٥٧) ابن العديم : المصدر السابق ، نفس الجزء ونفس الصفحة .

(٥٨) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ .

من فرسان الداوية ، وثلاثمائة من رماة السهام ، الى جانب عدد كبير من الفرنج العلمانيين من جبيل وغيرهم أيضا من مشاة الداوية وحلفائهم ، وكان من بين القتلى وليم مونتفيرات نفسه وحامل لواء الجماعة(٥٩) . الى جانب هذه الخسائر فى الارواح ، فقد افقدت هذه الهزيمة فرسان الداوية شجاعتهم ، ولم يقوموا باى أعمال عدوانية ضد المسلمين فى حلب لسنوات طويلة تالية ، « ولم ينعشوا بعدها ، وكانوا قد استطالوا على المسلمين والفرنج »(٦٠) . وكان للكارثة وقع كبير حتى فى اوربا نفسها . فقام أعضاء جماعتى الداوية والاسبتارية فى أوربا بارسال النجدات لداوية الشام(٦١) . كما اهتم البابا جريجورى التاسع بمصير الاسرى من الداوية وبدفع فديتهم(٦٢) . وبالطبع لم يشأ بوهيمند

---

(٥٩) كان حامل اللواء فارسا من الداوية الانجليز ويدعى رينالد دى ارجنتون Reginaldus de Argentomio ويبالغ متى الباريزى فى تحديد عدد قتلى المسلمين بثلاثة آلاف رجل ، ربما تمجيدا للداوية ولحث المسئولين فى انجلترا على ارسال المساعدات للفرنج فى الشام ، وهو ما حدث بالفعل . انظر :
Mattew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 405; Ann. T.S., p. 439. Albéric des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H. SS., Vol. 23, p. 942.

(٦٠) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ١٣٣ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣، مجلد ٢ ، ص ١٦٧ .

(٦١) حين وصلت أنباء الكارثة التى حلت بداوية الشام ، استعد الداوية والاسبتارية المقيمون فى انجلترا للانتقام لاخوانهم . فبعثت جماعة الاسبتارية بمقدمها الالمانى الاصل ثيودريك دى نوسا «Theodric de Nussax» بصحبة فرقة من الداوية ومبالغ من المال ، كما ذهب معهم كثير من فرسان الداوية من مختلف انحاء اوربا . انظر :
Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, p. 406. CF. also, Addison, The Knights Templars, p. 166, King, The Knights Hospitallers, p. 220; Riley-Smith, The Knights of St. John, p. 173.

(٦٢) فى ٢٣ ديسمبر١٢٣٧م/٣جماد أول٦٣٥هـ كتب البابا جريجورى التاسع الى كل من هنرى الاول ملك قبرص وبوهيمند الخامس امير انطاكية والبرت بطريرك انطاكية وجيرولد بطريرك بيت المقدس يطلب منهم السعى لاطلاق سراح اسرى الداوية وتبادلهم =

فى هذه المرة أن يتدخل لصالح الداوية ، الذين خرقوا الهدنة التى كان له الفضل فى عقدها مع مسلمى حلب ، والتى كان من شأنها أن أبقت لهم على ملكيتهم لحصن بغــراس ، ولا لوم عليه فى ذلك . وهكذا حرص بوهيمند على أن يسود السلام بينه وبين جيرانه فى شمال الشام . ولم يكن لديه مانع أن يساهم فى أعمال الداوية فى ارمينيا . بينما شارك بنصيب ضئيل ـ حسب امكانياته ـ فى مشروعات الاسبتارية فى وسط الشــام . وبذلك يكون قد حرص تماما على مسالمة المسلمين المجاورين لأملاكه التى استبعدتها اتفاقية التكامل وفريدريك التى عمل بوهيمند على أن لا يكون لها تأثير على امارة انطاكية وكونتية طرابلس اللتين يتولى حكمهما . وبالطبع كانت سياسته توافق تماما ظروف المسلمين جيران انطاكية مما ساعد على استقرار الامور بين الطرفين(٦٣) .

بموت الكامل ـ ويمكن القول دون مغالاة أنه بموت صلاح الدين ـ لم يظهر السلطان الايوبى الذى يستطيع توحيد الصف على الجـــانب الاسلامى . وبرحيل الامبراطور فريدريك الثـانى ـ وبالاحرى بمـوت الملك بولدوين الرابع ـ لم يوجد الملك الصليبى الذى يقوم بنفس الدور على الجانب الصليبى . وحتى نهاية الصراع الصليبى الاسلامى ، كانت المنازعات بين افراد الطرفين هى الحاكم الوحيد الذى يشـكل السياسة العــامة لكل منهما . وظهــر هناك عامل آخر كان له دوره فى تشــكيل السياستين معــا ، الا وهو الخطــر المغولى . وفى الحقيقة من الصعب

= مع أسرى من المسلمين على أن يدفع هو فدية البعض منهم . ولم يطلق سراح الداوية الا فى عام ١٢٤١م . انظر

Gregory IX, Pope, Regesta; Vol. 2, nos. 3991, 3992, 3996 4000, p. 833; Alberic des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H.S., Vol. XXIII, p 942; Philip Mousket, Histria rerum Francorum, in R.H.G.F., Vol. XXII, p 62; Annales Colonienses Maximi, in M.G.H.S., Vol. XVII, p 846

(٦٣) حاصر الملك الكامل دمشق واخذها من الصــالح اسماعيل شقيق الاشرف موسى، فى أول عام١٢٣٨م/٦٣٥هـ واستعدت حلب لحصار الكامل لها لتحالفها مع الصالح اسماعيل ضد الكامل ولم يكن أى من المسلمين متفرغا لحرب الفرنج . انظر المقريزى السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٩٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٣٣ .

التعامل مع احد العاملين دون التفكير فى الآخر ، كمـا انه من الصعب معالجة تأثير أحدهما على الجانب الاسلامى واغفـاله على الجـانب الصليبى . فاذا كان التشكك والريبة والانقسام قد شابت العـلاقات بين افراد البيت الايوبى ، وجعلتهم يظهرون بمظهر الخـامل أمام الفوضى الفرنجية ، ملتمسين العذر لاغارات الجماعات العسكرية(٦٤) ، واذا كان عدم محاولتهم استرداد مدينة بيت المقدس خير دليل على مدى انغماسهم فى الخلافات التى أصبحت داءا لم يمنح هذه الاسرة الفرصة لاستكمال مجد مؤسسها صلاح الدين ، تاركين تلك الفرصة وذلك المجد لماليكهم ، اذا كان الامر كذلك على الجانب الاسلامى ، فان الصليبيين انفسهم قد انهكتهم النزاعات المستمرة بين طوائفهم ، وتضارب المصالح الخاصة لكل منهم . واذا كانت النزاعات قد انتهت بين بوهيمند الرابع والاسبتارية والارمن ، ثم بين بارونات الشرق الفـرنجى والامبراطور فريدريك ونوابه من بعده ، فانها لم تلبث أن دبت بين الاسبتارية والداوية ، ثم بين الجنوية والبنادقة ، وأخيرا بين امراء انطاكية واتباعهم من سـادة جبيل . وتدخل المسلمون فى أغلب هذه الخلافات . كما تدخل الفـرنج فى خلافات المسلمين . ولم يكن غير عادى أن نرى الداوية والاسبتارية متحالفين مع المسلمين ضد قوى صليبية أخرى(٦٥) . وبالطبع لم تكن أحوال امارة انطاكية ولا موارد أمرائهـا تسـمح لأى منهم أن يخطط لنفسه سياسة مستقلة ، تبتعد كثيرا عن السياسة العامة التى حددتها كل هذه الظروف . لذلك كانت معالجة تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين ترتبط ارتباطا وثيقا بمعالجة الوضع الشامل فى الشرق الادنى فى تلك الفترة . فقد جاءت وفاة الملك الكامل نذيرا بتفكك الدولة الايوبية وانهيارها(٦٦) لوقوع الخلاف بين امرائها . فبعد موته تولى الحكم فى مصر ابنه الاصغر العـادل الثانى ، كسلطان أعلى للدولة الايوبية ، بينما استولى ابنه الصالح نجم الدين على دمشق

---

(٦٤) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 366.

(٦٥) La Monte, From Crusader Kingdom to commercial Colony, p. 298.

(٦٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٢١ .

من عمه الصالح اسماعيل فى يناير ١٢٣٩م/جمادى الآخرة ٦٣٦هـ(٦٧)، ليستردها الاخير فى سبتمبر ١٢٣٩م/صفر ٦٣٧هـ(٦٨) . فتحالف الصالح أيوب مع الناصر داود صاحب الاردن والكرك واستولى على مصر من أخيه العادل فى ١٩ يونية ١٢٣٩م/٢٤ ذى القعدة ٦٧٣هـ(٦٩) ، ولم يعد امامه من طموح سوى استعادة دمشق مرة أخرى(٧٠) . وهكذا تركز الصراع بين الصالح يوب فى مصر ، وعمه الصالح اسماعيل فى دمشـق . وكما كان الامر مع كثير من أسلاف الصالح اسماعيل من حكام دمشق ، فعند شعوره بالخطر من قبل سلطان مصر ، فقد اضطر الى التقارب مع الفـرنج . وكانت الظروفمواتيـة لذلك ، ففى ١٢٣٩م/٦٣٧هـ انتهت الهدنة التى عقدها الكامل مع فريدريك ، والتى تعد من أطول الهـدن التى عقدت بين المسلمين والصليبيين(٧١) . وكانت قد وصلت الى عكا قوات الحملة التى نظمها البابا جريجورى التاسع بقيادة تيبـالد أوف شمبانيا Tibald of Champagne (٧٢) . وبعد انعقاد مجلس حرب فى عكا ، تقرر البدء بمهاجمة أملاك الصالح أيوب فى غزة وعسـقلان ، ثم

---

(٦٧) ابن واصـل : مفـرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤٦ .

(٦٨) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٦٣٦ ، أبو شسامة: الذيل على الروضتين ، ص ١٦٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٢٣٠ .

(٦٩) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٢٨ — ٧٢٩ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٤٨ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٣ ، ص ٢٤٧ .

(٧٠) « فلما تحقق ما جرى وتوجه نجم الدين أيوب بالعساكر الى مصر واقعه الطمع فى أخذ دمشق » انظر : الصفدى : تاريخ مصر ، مخطوط ، ورقة ٥٩ ب . راجع أيضا :
Cahen, Syrie du Nord, p. 647.

(٧١) Riely-Smith, Peace never established : The Case of The Kingdom of Jerusalem, in J.R.H.S, Vol. 28, p. 100.

(٧٢) كان تيبالد ملكا لنافار ، وخرج استجابة لدعوة البابا جريجورى التاسع الذى بعث برسله الى فرنسا ووصلوا جميعـا الى عكا فى أول سبتمبر ١٢٣٩م/٣٠ محرم ٦٣٧هـ ، انظر :
Eracle, pp. 413-414; Rothelin, Continuation de Guillaume de Tyr de 1229-1261 Dite du Manuscrit de Rothelin, in R.H.C.Occ., Vol. 2, p. 528

مهاجمة دمشق بعد ذلك(٧٣) . وبعد نهب قافلة اسلامية متجهة الى دمشق ، اندفعت جموع الصليبيين الى غزة لتحل بها الهزيمة على ايدى القوات التى بعث بها الصالح أيوب من مصر في ١٣ نوفمبر ١٢٣٩م/١٤ ربيع ثان ٦٣٧هـ(٧٤) . وبعد استيلاء الناصر داود على بيت المقدس عند وصول الفرنج الى عكا(٧٥) ، وبعد تخلى صاحب حماة عن تحالفه معهم(٧٦) ،فقد قبلوا التحالف مع الصالح اسماعيل الذى عرض عليهم ان يسلم لهم بيت المقدس وكل ما قدمه الكامل الى فريدريك من قبل ، واشرف بنفسه على تسليم شقيف ارنون وصفد اليهم بالرغم من ثورة الراى العام الاسلامى في بلاد الشام ضده(٧٧) . كل ذلك ليناصروه ضد الصالح أيوب . وبعد انتصار الفرنج والصالح اسماعيل على الناصر داود الذى انسحب الى الكرك ، وبعد أن تخلت قوات الشام عن الصالح اسماعيل والمنصور ابراهيم صاحب حمص(٧٨) وانضمامها الى قوات الصالح ايوب ، وقعت الهزيمة بالفرنج قرب غزة ، فتراجع الفرنج الى

---

(٧٣) Eracles, pp. 414; Ms. of Rothelin, pp. 531-532.

(٧٤) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٢٩٢ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧٠ راجع أيضا :
Eracles, pp. 414 ff, Ms. of Rothelin, pp. 533 ff.

(٧٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ . راجع أيضا :
Ms. of Rothelin, pp. 529-531; Eracles, p. 416.

(٧٦) طلب المظفر صاحب حماة مساعدة الفرنج ضد الصالح اسماعيل صاحب دمشق وشيركوه صاحب حمص وضيفة خاتون الوصية على حلب . انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٣٦ .

(٧٧) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٢٢ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ص ١٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٣٠١ — ٣٠٤ .

(٧٨) خلف المنصور ابراهيم اباه المجاهد اسد الدين شيركوه الثانى ابن عم صلاح الدين الايوبى . وكان صلاح الدين قد أقطعه حمص فى ١١٨٥م/٥٨١هـ فبقى بها الى أن مات فى الثلاثاء ٢٠ رجب ٦٣٧هـ/١٥ فبراير ١٢٣٩م . وبقى المنصور يحكم فى حمص الى أن مات فى الاربعاء ٢٨ يونية ١٢٤٦م/١١ صفر ٦٤٤هـ . انظر : سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨، قسم ٢ ، ص ٧٣١ ، ٧٦٤ .

عسقلان ليعقدوا صلحا مع الصالح ايوب فى ١٢٤٠م/٦٣٨هـ(٧٩) لترحل الحملة الفرنسية من عكا الى أوربا فى سبتمبر ١٢٤٠م/ربيع ول ٦٣٨هـ ، بعد أن استرد الفرنج بيت المقدس وعسقلان وصفد التى أخذها فرسان الداوية(٨٠) . وكان من شان ذلك أن يثير حسد الاسبتارية الذين يؤيدون سياسة التصالح مع مصر وليس مع دمشق كمـا يرى الداوية ، الا ان ريتشارد كورنوول شقيق هنرى الثالث ملك انجلترا الذى وصل الى عكا فى ١١ أكتـوبر ١٢٤٠م/٢٢ ربيـع أول ٦٣٨هـ على راس قوات من انجلترا(٨١) كان أمهر من ان يميل الى جانب دون الآخر ، واستطاع بحسن سياسته أن يستفيد من الظروف المحيطة به . فعند وصوله توجه من عكا الى عسقلان حيث قابل رسل الصالح أيوب الذى كان يهمه ابعاد الفرنج عن مصر ، فعرض الصلح على ريتشارد الذى الح لرسل الصالح أيوب بما يعرضه عليه الصالح اسماعيل من بلاد ، فاضطر الصالح ايوب الى أن يتنازل لهم عما يفوق ما آثار الرأى العام الاسلامى من قبل ضد الكامل من تنـازلات قدمها للامبراطور فريدريك ، فكان للفـرنج بيت المقدس وبيت لحم ومجدل يافا وعسقلان الى جانب شقيف ارنون واقليم الجليـل بما فيه من حصـون مثـل تبنين وهونين وكوكب والطور وطبرية(٨٢) . ورحل ريتشارد من عكا فى مايو ١٢٤١م/ذى القعـدة ٦٣٨هـ بعد أن حقق للفرنج بعض الاستقرار المؤقت الذى يسمح لهم بالمضى

---

(٧٩) من الغريب أن لا يذكر كل من سبط ابن الجوزى وابن واصـل وابن العديم ، وكلهم من المعاصرين لهذه الاحداث ، شيئا عن وجود حملة تيبالد أو حتى حملة ريتشارد كورنوول التى جاءت بعدها . وربما كان هجوم الخوارزمية على حلب وبلاد الشـام أخطر بالنسبة لهؤلاء من الخطر الصليبى . انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٨ ، ص ٣٠٥ ؛ أبو المحاسن : النجـوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٣٢٣ . راجع أيضا :
Eracles, pp. 414-515; Ms. of Rothelin, pp. 536 ff;

(٨٠) Eracles, pp. 417-418; Ms. of Rothelin, pp. 551-553.

(٨١) Matthew Paris, Chronica Mjora, Vol. 4, p. 139

(٨٢) لم نقف على أى رواية فى المصادر الاسلامية عن حملة ريتشـارد كورنوول أو اتفاقاته مع المسلمين . انظر :
Eracles, pp. 421-422; Matthew Paris, pp. 139-145; Ms. of Rothelin, pp. 555-556.

فى خلافاتهم الداخلية . بعد رحيل الحملة الانجليزية تفجرت الخلافات مرة أخرى بين الفرنج وكان مبعثها تضارب مصـــالح جماعتى الداوية والاسبتارية . فبينما واصل الداوية أعمالهم العدوانية ضـد المسلمين ، ورفضوا مبدأ التصالح مع مصر(٨٣) ، رأى الاسـبتارية عكس ذلك ، وحاول فلانجيرى نائب فريدريك ان يستفيد من ذلك الخـــلاف ليقوى السلطة الامبراطورية فى المملكة الصليبية فاتخذ جانب الاسبتارية ، وفشل فى ربيع ١٢٤٣م/٦٤٠هـ فى الاستيلاء على عكا(٨٤) . وعاد الى ايطاليا بعد أن استدعاه الامبراطور لفشل سياسته فى الشرق . وحلت اليس ملكة قبرص ، والزوجة السابقة لبوهيمند الخامس ، محل فريدريك وابنـه كونراد ـ الملك الشرعى لبيت المقدس ـ الذى وصل الى السن التى تؤهله لتـــولى أمور بيت المقـــدس(٨٥) . وبذلك تنتهى كل آثار السيادة الامبراطورية على مملكة بيت المقدس ، وليبق الفرنج دون قيادة تجمع كلمتهم . واذا كان التخلص من سلطة الامبراطور قد توافق مع مصالح بارونات المملكة وجماعتى الداوية والاسبتارية ، فان الاحداث أثبتت ان

---

(٨٣) أغار فرسان الداوية على مدينة حبرون فى ١٢٤٢م ، فبعث الناصر داود صـاحب الكرك قواته لاعتراض الطريق المؤدى الى بيت المقدس ولجباية ضرائب على التجار الفرنج المارين بهذا الطريق مما أثار حنق الداوية فى صفد ويافا ، فخرجوا من يافا وهاجموا نابلس فى أكتوبر ١٢٤٣م/جماد أول ٦٤١هـ وقتلوا الكثيرين من المسلمين والمسيحيين بها ، « واحرقوا جامعهـا واخذوا منبر الخطيب » انظر : المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم١،ص٣١١ . راجع أيضا :
Ann. T.S., p. 440; Mathew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 197.

(٨٤) لتحالف الجنوية والبنادقة وفيليب مونتفورت صـاحب تبنين ضده . انظر :
Ann. T.S. p. 44f; Eracles, p. 422

(٨٥) بلغ كونراد بن فريدريك الثانى وصاحب الحق الشرعى فى حكم مملكة بيت المقـــدس الخامسة عشرة من عمـره وهى السن التى تؤهله لاعتـلاء عرش المملكة فى ابريل ١٢٤٣م ولكنـه لم يحضر الى الشرق واكتفى بارسال مندوب عنه Bailli وهو توماس كونت أكيرا الذى كان مبعوث أبيه الى الملك الكامل من قبل واستطاعت اليس ملكه قبرص ان تتولى الوصاية على المملكة حتى يأتى كونراد بشخصه الى الشرق . انظر :
Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, pp. 220 f.

ذلك كان بمثابة كارثة على الصليبيين جميعا في بلاد الشام(٨٦) . فسرعان ما دب الخلاف مرة أخرى بين الصالح أيوب في مصر والصالح اسماعيل في دمشق ، وتعاضد الاخير مع الناصر داود صاحب الكرك والحلبيين وصاحب حمص ، كما قد قام الحلفاء بالتفاوض مع الفرنج بشأن تحالفهم جميعا ضد سلطان مصر . كذلك سعى الصالح أيوب الى التحالف مع الفرنج ضد أمراء الشام المسلمين . وكان الفضل لمهارة قادة الداوية في أن عرض كل من الصالح اسماعيل والصالح أيوب على الفرنج التنازل نهائيا عن بيت المقدس بما فيها من أملاك المسلمين (الحرم الشريف) ، وهو ما لم يتنازل عنه الكامل لفريدريك نفسه . وما لم يقبله الفرنج بصفة عامة والداوية بصفة خاصة في ذلك الوقت(٨٧) . وعندما تعارضت اتجاهات الاسبتارية مع سياسة الداوية ، وانتصرت سياسة الداوية ، ووافق بارونات المملكة على التحالف مع الصالح اسماعيل ، حيث يضمن ذلك لهم ولاء أمراء الشام كلهم في حلب ودمشق والاردن(٨٨) . وليضمن أمراء الشام اخلاص الفرنج لهم ، وعدوهم بأن يمنحوهم جزءا من اراضي مصر بعد الانتصار على الصالح أيوب(٨٩) . ولم يجد الصالح أيوب ازاء هذا الخطر الذي يتهدده الا الاستنجاد بحلفائه القدامى من فلول الخوارزمية(٩٠) الذين كان عرضه عليهم -

---

(٨٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٤٢ .

(٨٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٢ ، المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٣١٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٣٢٢ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٥ .

(٨٨) ورد هذا الرأي في خطاب أرمان بريجورد «Armand de Périgord» مقدم الداوية الى الراهب الانجليزي روبرت أوف ساندفورد Robert of Sand Ford في نهاية عام ١٢٤٣م/منتصف عام ٦٤٢هـ . انظر : Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, pp. 289-298.

(٨٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٢ . راجع أيضا : R.S. Humphreys, From Saladin to the Mongols, p. 274; S. Runciman, The Crusader States, 1243-1291; in Setton, Vol. 2, p. 561.

(٩٠) عندما فتح الملك الكامل آمد في ١٢٣١م/٦٢٩هـ ولى ابنه الصالح نجم الدين نائبا عنه فيها وفي بلاد الجزيرة.ولما مات السلطان =

بالنسبة لهم ـ فرصة نادرة تتيح لهم في بلاد الشام ومصر ماوى اكثر امنا من اقليم الجزيرة(٩١) . فسارع الخوارزمية بالاندفاع الى بلاد الشام مدمرة كل ما صادفها في الطريق حتى وصلت الى فلسطين ، وفى ٢٣ اغسطس عام ١٢٤٤م/١٥ ربيع الاول ٦٤٢هـ ، اقتحموا مدينة بيت المقدس وانتزعوها من الفرنج بعد ان بذلوا فيهم السيف ، لتضيع منهم المدينة الى الابد(٩٢) . وفى ذلك الوقت تحركت قوات الفرنج ودمشق وحمص والكرك بقيادة المنصور صاحب حمص والناصر داود من عكا الى

= جلال الدين منكبرتى بعد هجوم التتار على الخوارزمية ، لجأت قواته الى علاء الدين كيقباذ سلطان سلاجقة الروم فتقوى بهم الا أن خلفه وابنه غياث الدين كيخسرو الثانى انقلب عنهم ، فلجأ الخوارزمية الى الصالح أيوب الذى استأذن والده فى عام ١٢٣٦م/٦٣٤هـ فى استخدامهم عنده ولما أذن له الكامل أقطعهم اقطاعات فى اقليم الجزيرة . انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ١٣٣ ـ ١٣٥ .

(٩١) استقر الخوارزمية فى ديار مضر من أملاك الصالح أيوب ودخلوا فى حرب مع الحلبيين الذين هزموهم فى مارس ١٢٤٠م/رمضان ٦٣٨هـ هزيمة فادحة ، ثم تحالف الحلبيون مع المنصور ابراهيم صاحب حمص وأنزلوا بالخوارزمية هزيمة أخرى فى أغسطس ١٢٤٢م/صفر ٦٤٠هـ واستولى الحلبيون على ديار مضر . كما استولى السلاجقة على آمد من تورانشاه ابن الصالح أيوب فى عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ . وعبثا حاول شهاب الدين غازى حاكم ميافارقين الذى كان يتهدده تقدم السلاجقة أن يعيد جميع الخوارزمية وأن يسترد لهم أملاكهم وأملاك تورانشاه ، فمنى بهزيمة ساحقة على أيدى السلاجقة الذين استولوا على غالبية اقليم الجزيرة ولم يتركوا خرتبرت للخوارزمية ويتصالحوا مع الايوبيين هناك الا باستيلاء المغول على خلاط ووصول خطرهم الى الجزيرة والاناضول . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٤ ، ٢٩٢ ـ ٢٩٦ ، ٣٠٤ ـ ٣١١ ، ٣٢٧ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ . راجع أيضا :
Bar Heraeus, Chronography, p. 406.

(٩٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٧ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ١ ، ص ٣١٧ ؛ أمامة زيد : الخوارزمية ، ص ١٦٨ . راجع أيضا :
Chronica de Mailros, ed. A. and M. anderson, London, 1936, pp. 92-93.

غزة ، بينما تجمعت هناك قوات مصر بقيادة الامير المملوكى ركن الدين بيبرس الذى انضمت اليه قوات الخوارزمية . وفى يوم الاثنين ١٧ كتوبر ١٢٤٤م/١٤ جمادى الاولى ٦٤٢هـ نشبت المعركة بين الطرفين ، وانتهت بانتصار قوات الصالح أيوب والخوارزمية وفرار قوات المسلمين الشامية ، وتدمير كل الجيش الصليبى عند قرية الحربية التى عرفت فى المصادر الصليبية باسم La Forbie الواقعة على أميال قليلة شمال شرقى غزة(٩٣) . وكانت هذه الهزيمة تعد أسوأ كارثة حلت بالصليبيين منذ هزيمتهم فى حطين لكثرة ما تكبدوه فيها من خسائر فى الارواح والعتاد ، لذا كانت موقعة غزة جديرة باسم موقعة حطين الثانية(٩٤) ، خاصة

---

(٩٣) قدر سبط ابن الجوزى الذى وصل الى غزة صبيحة اليوم التالى للمعركة عدد قتلى الفرنج بأكثر من ثلاثين الفا ، الى جانب ثمانمائة أسير نقلوا الى مصر . بينما اكتفى مكملو تاريخ وليم الصورى (تاريخ هرقل ومخطوط روتلان) بالقول بان قتلى الفرنج بلغوا اعدادا كبيرة فان العدد الذى أورده سبط ابن الجوزى الذى شهد عملية احصاء قتلى الفرنج هو العدد المقبول بالرغم من أن حولية سالمبين تؤكد أن قتلى الفرنج كانوا ستة عشر الفا فقط . ومهما يكن من أمر فقد كان من بين قتلى الفرنج كما يؤكد تاريخ هرقل ومخطوط روتلان كل من مقدم الداوية ، ورئيس أساقفة صور ، وأسقف الرملة ، ويحنا ووليم سادة البترون ، بينما وقع فى الامر كل من مقدم الاسبتارية الذى مات فى أسره وكونت يافا وكندسطبل طرابلس . ولاذ بالفرار الى عسقلان بطريرك بيت المقدس وفيليب مونتفورت مع ثلاثة من فرسان الداوية وستة وعشرين من فرسان الاسبتارية كما ذكر تاريخ هرقل . بينما ذكر مقدم الاسبتارية الى رئيس الجماعة فى مدينة نيو كاسل بانجلترا كما ذكر متى الباريزى أنه هرب من الداوية ١٨ فارس ومن الاسبتارية ١٦ فارس . انظر : سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٤٤ - ٧٤٦ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٣١٧ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٣٢٣ . راجع أيضا :

Eracles, pp. 429-431; MS. of Rathelin pp. 563; Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, pp. 307-311, Chronica de Moilros, pp. 92-94, 159-160; Cronica Salmbene in M.G.H.SS., Vol. 32, p 177

(٩٤) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 416.

لما تبعها من ضياع املاك كثيرة للفرنج فى فلسطين ، وما حققه الصـالح أيوب من تدعيم لسيادته فى بلاد الشام(٩٥) . ونلاحظ فى هذا العـرض للتاريخ العام للصراع الصليبى الاسلامى مدى ضـالة الدور الذى لعبته القوى الصليبية فى شمال الشام بصفة عامة ، وامارة انطاكية بصفة خاصة فى الصراع الصليبى الاسلامى . واذا كان لابد من تحديد دور بوهيمند الخامس — كامير لانطاكية — فى كل ذلك ، فانه فى الانشقاقات التى وقعت بين الفرنج فى مملكة بيت المقدس لم يقحم نفسه بصورة تعرض أملاكه للخطر — شأنه فى ذلك شأن ابيه — اكثر مما ينبغى(٩٦) . ففى ١٢٤٣م/٦٤١هـ استقبل بوهيمند لوثير Lothair شـقيق ريتشارد فيلانجـيرى الذى طرده بارونات المملكة من صور ، حيث قدم له مسـاعدة بسيطة ، وزوجه من ابنة أحد أثرياء انطاكية التى بقى بها لوثير حتى موته(٩٧) . وبالنسبة للتحالفات الصليبية الاسلامية التى انتهت بدحر الصليبيين فى موقعـة غزة ، لم يقدم بوهيمند اية مساهمة لحملتى تيبالد الرابع وريتشـارد كورنول . الا أنه لم يشأ أن يبدو بمظهر المتخاذل تجاه المشروع الصليبى العـام ، فبعث فى ١٢٤٤م/٦٤٢هـ بابناء عمه حنـا ووليـم سيدى البترون(٩٨) ، وحنا كندسطبل طرابلس مع قوة صغيرة للمسـاهمة

---

(٩٥) بعد موقعة غزة فقد الفرنج كل مكاسبهم الاخيرة فى فلسطين . فقد استولى الصالح أيوب على جزء من أملاك الناصر داود . وفى ١٢٤٧م/٦٤٥هـ انتزع دمشق من الصالح اسماعيل ، ثم قضى على الخوارزمية فى العام التالى بمساعدة أمير حمص . وفى ١٢٤٩م/٦٤٧هـ سلم أبناء الناصر داود حصن الكرك بعد فرار أبيهم الى العراق . وفى ١٢٥٧م/٦٥٥ هـ استولى الصالح أيوب على عسقلان وطبرية من الفرنج . ولم يبق من ينافسه فى بلاد الشام سـوى الناصر الثانى صاحب حلب الذى استولى على حمص فى ١٢٤٨م/٦٤٦هـ . انظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٥٢ — ٧٦٢ ، ٧٦٦ ، ٧٧٠ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٦ — ١٥٧ . راجع أيضا :
Eracles, pp. 432; Ann. T.S., p. 440

(٩٦) Cahen, La Syrie du Nord, p. 651.

(٩٧) Gestes des Chiprois, p. 735.

(٩٨) كان حنا ووليـم أبنـاء بوهيمنـد حاكم البترون الابن الاصغر لبوهيمند الثالث وعم بوهيمند الخامس . وقد تولى بوهيمنـد والد حنا ووليم حكم البترون بزواجه من ابنة بليبانو البيزاوى =

فى التحالف الصليبى مع أمراء الشام المسلمين ضد الخوارزمية والصالح أيوب(٩٩) . وكما كانت الخسارة فادحة لفرنج فلسطين فانهـا كانت تشكل كارثة أيضا بالنسبة لفرسان انطاكية . فقد سقط فى المعركة حنـــا ووليم ابنا عم بوهيمند ، ولم ينج من القتل سوى كندسطبل طرابلس الذى وقع فى الاسر(١٠٠).وجاءت معركة غزة كنقطة تحول فى تاريخ الامارات الصليبية فى بلاد الشـــام بعد خسارتهم الفـــادحة فى الارواح التى لم يعوضوها أبدا . وكانت امارة انطاكية فى أمس الحـاجة الى من يدافع عنها وخاصة من الفرسان(١٠١) . وهكذا لم تساهم امارة انطاكية بدور ملموس فى الصراع الصليبى الاسلامى منذ عام ١٢٣٧م/٦٣٤هـ وحتى عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ . وسار أميرها بوهيمنـــد الخـــامس على سياسة جده وأبيـــه . فلم تكن تهمـــه أية مشاريع صليبية سواء ضد مسلمى مصر أو

«Piebano» الذى تزوج وريثـــة الاقطاع أيام ريمـــوند كونت طرابلس . انظر :

E.G. Rey, Les Seigneurs de Giblet, in R.O.L, Vol. L 3. Paris, 1895, p. 302; C. Ducange, Les Familles d'Outremer, p. 257.

(٩٩) ذكرت حولية سالمبين أن بوهيمند أمد الفرنج بثـلاثمائة فارس وكذلك فعل هنرى ملك قبرص ومات الجميع أثناء المعركة وأخذ بذلك المؤرخ الحديث جروسيه . الا انه من الصعب الأخذ بذلك . فلم تكن موارد بوهيمند تسمح له بايفاد هذا العدد من الفرسان فى ذلك الوقت . كما أن مؤرخى الصليبيين المعاصرين مثل كاتب تاريخ هرقل ومخطوط روتلان لم يذكرا من رجال بوهيمند سوى ابنى عمه وكندسطبله . وبالطبع فهؤلاء كانوا أتبـــاعه فى كونتيـــة طرابلس وليس فى انطاكية . ويؤيد ذلك ما جاء فى حولية مدينة مالروس الاسكتلندية من أن فرنج المملكة الصليبية حاولوا عبثا الاستنجاد ببوهيمند وملك قبرص ضد الخوارزمية حتى قبـــل استيلاء الاخيرين على بيت المقدس . ولكن بوهيمنـــد لم يكلف نفسه حتى بالرد على استغاثة الفرنج . بينما اعتذر ملك قبرص خوفا من التتار . ولنا ان نقبل تلك الرواية لاعتياد وصول التقارير من المملكة الصليبية الى انجلترا عن أحوال الفرنج فى تلك الفترة . انظـــر :

Cronica Salimbene, p. 177; Chronica de Mailros, p. 92. CF. also. R. Grousset, Histoir des Croisudes, t. 3, p. 417.

(١٠٠) Eracles, p. 430.

(١٠١) Cahen, La Syrie du Hord, p. 651.

مسلمى الشام ، ما لم تكن فيها فائدة لأملاكه فى انطاكية وطرابلس . ومن هنا كان دوره فى هذه المشاريع ضئيلا للغاية . وبينما لم يكن لديه أى مانع لمشاركة الجماعات العسكرية الدينية فى مشاريعها ضد المسلمين فى حماة ، أو ضد الارمن فى قيليقية ، فانه حرص كل الحرص على أن يسود حسن الجوار بينه وبين جيرانه المسلمين فى حلب حتى لا يكون هناك تأثير لاستبعاد املاكه من اتفاقية الكامل وفريدريك . وهكذا سادت العلاقات السلمية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانها المسلمين طوال عهد بوهيمند الخامس .

واذا لم يكن ضعف شخصية بوهيمندالخامس(١٠٢)ليسمح له بالقيام بدوره المنتظر كأمير صليبى ، فان أحوال امارة انطاكية نفسها لم تكن لتسمح له - بنفس القدر - بالقيام بنفس الدور . والوقوف على الاسباب التى جعلت بوهيمند الخامس يتخذ سياسة سلمية خالصة ، بشكل لم نعهده بالنسبة لأى من أسلافه ، تجاه جيران انطاكية المسلمين يعتبر من الضرورى بمكان ، خاصة وانه لم يكن هناك ما يحول بين بوهيمند الخامس وبين القيام بواجبه الصليبى . ففى خلال فترة حكمه لم يكن هناك صلاح الدين آخر ليوحد كلمة المسلمين ، ولينتزع من الصليبيين بصفة عامة ، ومن صليبى انطاكية بصفة خاصة ، غالبية أملاكهم كما كان الامر أيام جده بوهيمند الثالث . كما لم يكن هناك صراع دائم بينه وبين الاسبتارية والارمن وحتى البابوية وكنيسة انطاكية ليعرقل جهوده الصليبية كما كان الحال أيام والده بوهيمند الرابع . واخيرا لم يكن ثمة صراع بينه وبين أتباعه ، ولم تكن هناك حرب أهلية بين الصليبيين فى مملكة بيت المقدس لتشده اليها ، لينشغل بكل ذلك عن مناوئة المسلمين كما كان الامر أيام خلفه وابنه بوهيمند السادس(١٠٣) . بل على العكس من ذلك ، فقد انتهت خلافاته وخلافات أسلافه المستديمة مع الارمن

---

(١٠٢)سيطرت زوجته وأقاربها الايطاليين على الامور فى طرابلس وعينت اخاها بول الثانى أسقفا لها . وقربت اليها أقاربها الذين استولوا على المناصب فى طرابلس مما أثار سخط النبلاء اللاتين . كما ضعفت سيطرة بوهيمند على أتباعه فى جبيل . انظر :
E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 400.

(١٠٣) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٩٦ وما بعدها .

بفضل مساعي لويس التاسع(١٠٤) . وقدم له الاخير من المساعدة ما لم تقدمه أوربا كلها لامارة انطاكية فى اى وقت من الاوقات(١٠٥) . ذلك فى الوقت الذى كان فيه المسلمون فى فرقة لم تحـدث بينهم من قبـل ، والخطر المغولى يعوق نشاطهم ضد الفرنج ، وكانت الفرصة مواتية للنيل منهم فى أى وقت وفى أى مكان ، وكان من السهل التحـالف مع الارمن او السلاجقة لتحقيق مكاسب على حساب مسلمى شمال الشـام . الا ان ذلك لم يحدث ابدا ،لذا كان من الضرورى تفقد أحوال امارة انطاكية حتى نقف على الاسباب الحقيقية التى حدت ببوهيمند الخامس الى انتهاج هذه السياسة السلمية تجاه جيرانه المسلمين . واذا بدأنا بظروف بوهيمند نفسه ، نجد أن علاقاته مع جمـاعة الداوية كانت متـوترة بسبب عدم التزامهم بالهدنة التى عقدها لهم مع مسلمى حلب ، ثم عدم رضائه عن اعمالهم العدوانية ضد أملاك الحلبيين فى دربساك وفى اقليم العمق فى عام ١٢٣٧م/٦٣٤هـ ، ثم عدم مساندته لهم ضد قوات حلب عند بغراس فى العام نفسه . وفى نفس الوقت ساءت العلاقات بينه وبين جماعة الاسبتارية ليستمر الخلاف بينهماحتى عام ١٢٤١م/٦٣٨هـ وذلك بسبب النزاع بين الطرفين على ملكية اقطاع مرقية(١٠٦) ، ومساندتهم للحشيشية ، الذين

---

(١٠٤) عندما وصل رسل كل من بوهيمنـد وهيثوم الى لويس وهو فى قبرص وقبل ابحاره الى مصر ، طلب الملك الفرنسي انهـاء كل الخلافات القديمة ، بين أمراء انطاكية وملوك قيليقيـة الارمن وعقد هدنة لمدة سنتين بين الطرفين ، وتم ذلك بالفعل فى يونية ١٢٤٩م/ربيع أول ٦٤٧هـ.وليس من الغريب أن لا يحدثنا أى من مؤرخى الارمن المعاصرين عن هذه الاحداث بعد صمتهم عن كثير من أحداث المنطقة فى تلك الفترة . انظر :
Vincent de Beavais, Speculum Histoirale, Libr. XXX, Ch. 96.

(١٠٥) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٧٦ .

(١٠٦) فى عام ١١٩٨م تنازل بوهيمند الثالث عن هذا الاقطـاع الواقع شرقى طرابلس للاسبتارية . وفى العام التالى اعادوه اليه ليكون قاعدة للهجوم على قلاع الحشيشيةفىالخوابىوالكهف وابو قبيس على أن يعود الاقطاع الى الاسبتارية بعـد موت بوهيمنـد ، وبالطبع لم يرده اليهم خلفه بوهيمند الرابع لمساندتهم لريموند روبين الدائمة ضده . وفى ١٢٣٤م وبعد موت بوهيمند الرابع رفع الاسبتارية الامر الى البابا جريجورى التاسع الذى فوض أسقف بانياس ليحكم فى الامر.ولأن الاخير كان يقيم فى حصن المرقب =

يدفعون الجزية لهم ، ضد بوهيمند(١٠٧) . وهكذا لم يكن فى مقدور بوهيمند أن يركن الى مساعدة جماعتى الداوية والاسبتارية . أما عن جماعة فرسان التيوتون ، فالى جانب عدم استطاعة هذه الجماعة القيام باعمال عسكرية كبيرة ، لقلة امكانياتها بالمقارنة بسابقتيها ، فان علاقة بوهيمند بالتيوتون كانت مرتبطة تماما بعلاقته بالارمن التى مازالت متوترة(١٠٨) . ولذلك لم يكن أمام بوهيمند سوى الاعتماد على موارده الخاصة فى الوقت الذى حرم فيه من مساعدة الداوية والاسبتارية اللتين كانتا مصدر القوة الوحيد فى الشرق اللاتينى فى ذلك الوقت واذا كانت المعلومات الخاصة بصليبيى شمال الشام قد ندرت فى تلك الفترة - بعد انتهاء تاريخ وليم الصورى الجامع الشامل - لاستحواذ مملكتى بيت المقدس وقبرص على اهتمام المؤرخين الصليبيين ، ولعدم ظهور

= مع الاسبتارية لاستيلاء المسلمين على بانياس ، فلم يقبل بوهيمند الخامس حكم الاسقف ، وفى ١٢٤١م كلف البابا بطريرك انطاكية البرت الذى حكم بان يعين بوهيمند نائبا ليدير الاقطاع حيث كان وريث الاقطاع قاصرا على أن يدفع بوهيمند تعويضا للاسبتارية وحين يصل الوريث الى سن الرشد فله أن يقرر من يتبع كسيد له بوهيمند أو الاسبتارية،ولم يعرف هذا القرار وان كان الاسبتارية قد بقوا على علاقات حسنة مع سادة مرقية الى النهاية . انظر :
Riley-Smith, The knights of St. john, p. 452-453.

(١٠٧) فى ٢٠ أغسطس ١٢٣٦ بعث البابا جريجورى التاسع بخطاب الى رئيس أساقفة صور وأسقفى صيدا وبيروت يطلب منهم أن يثنوا الاسبتارية عن مساعدة الحشيشية وعن الحماية التى عرضوها عليهم ضد اخوانهم الصليبيين نظير جزية سنوية يدفعها لهم الحشيشية كما بعث البابا بخطاب مماثل . الى مقدم الداوية . وعن نفس الخطاب وترجمته . انظر :
E.J King, The Knights Hospitallers, pp. 234 235.

(١٠٨) فى ١١ ابريل ١٢٧٣م بعث البابا الى بوهيمند والجماعات العسكرية الرهبانية وهنرى الاول ملك قبرص يطلب منهم عدم القيام باى اجراء ضد قسطنطين . ولما كان بوهيمند فى حاجة الى المعونة من أى جهة فلم يجد ما يمنع أن يشهد على بعض الوثائق التى منح حنا بارليس حاكم بيسان بمقتضاها بعض الامتيازات للتيوتون فى يناير ١٢٣٦م . انظر :
Gregory IX (Pope), Regesta, Vol. 2, no. 3597, p. 618; Strehlke, Tabulae Ordinis Theutonici, nos. 81, 82, pp. 64-65; Rohricht, nos. 10689, 1069, pp. 278-279.

مؤرخ صليبى يفرد تاريخا لانطاكية مثل كاتب الجستا ووالتر المستشار ، فان تتبع النذر اليسير من المعلومات التى وردت فى المصادر الصليبية المعاصرة لبوهيمند ، والرجوع الى ما ورد فى حوليات القرن الثانى عشر الميلادى/القرن السادس الهجرى الصليبية من شانه ، أن يمكننا من الوقوف على امكانيات بوهيمند الخامس العسكرية . فحتى عام ١١١٩م/٥١٥هـ كانت قوات انطاكية تكاد تقترب فى عددها من قوات مملكة بيت المقدس نفسها(١٠٩) ويخبرنا جوتييه المستشار مؤرخ روجر الانطاكى ، والذى رافقه فى القتال ضد ايلغازى الارتقى فى معركة ساحة الدم بان قوات انطاكية قد تكونت من سبعمائة فارسا وثلاثة آلاف من المشاة(١١٠) . ومن المعروف انغالبية هذه القوة قد ابيدت فى المعركة،ولم توفر لانطاكية بعد ذلك نفس القوة العددية ، وعانت الامارة من النقص المستمر فى عدد الفرسان . فنجد المسلمين بقيادة نور الدين محمود يهزمون الانطاكيين بقيادة ريموند دى بواتييه فى موقعة انب عام ١١٤٩م/٥٤٤هـ ، ويقتلون منهم الف وخمسمائة ما بين فارس وراجل ، ويأسرون مثلهم(١١١) .وفى الحقيقة ، فقد كانت خسائر انطاكية فى تلك المعركتين فادحة ولم يكن من السهل تعويضها ، بل أن النقص فى عدد قواتها زاد بهزيمة الفرنج فى حارم عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ أمام نور الدين محمود(١١٢) . وكان عدم ظهور أية مقاومة من افرنج انطاكية لاجتياح صلاح الدين لكل أملاكها بعد حطين خير دليل على فقر مواردها العسكرية . وبحلول القرن الثالث عشر الميلادى/القرن السابع الهجرى استمرت قوات امارة انطاكية العسكرية فى الاضمحلال وخير دليل على ذلك أن بوهيمند الرابع لم يكن فى مقدوره أن يقدم للامبراطور فريدريك حين قابله فى قبرص فى عام ١٢٢٨م/٦٢٥هـ من المساعدة سوى ستين فارسا(١١٣) . بينما تناقص

---

(١٠٩) R.C. Smail, Crusading Warfare, Cambridge, 1956, p. 90.

(١١٠) Walter the Cancellor, Bella Antiochena, p. 88.

(١١١) لم يذكر عدد قتلى الفرنج فى هذه المعركة سوى بدر الدين الدمشقى وابن منكلى . انظر : بدر الدين الدمشقى : الدر الثمين فى سيرة نور الدين مخطوط ، ورقة ٥٧ ، ابن منكلى : كتاب الاحكام الملوكية ، مخطوط ، تصوير شمسى ، لوحة ٥٣ .

(١١٢) انظر ما سبق من الفصل الاول ، ص ١٥٦ .

(١١٣) Eracles, p. 368; Gestes des Chiprois, p. 681.

هذا العدد الى النصف حين قدم بوهيمند الخامس مساعدته للاسبتارية فى حملتهم على بعرين فى عام ١٢٣٤م/٦٣١هـ(١١٤) . وفى عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ لم يستطع بوهيمند ان يبعث لمساعدة الفرنج ضد الخوارزمية فى معركة غزة ، التى كان الفرنج فيها فى اشد الحاجة الى المقاتلين ، سوى ابنى عمه سادة البترون وكندسطبل طرابلس(١١٥) واذا كان بوهيمند قد حرم ، بسبب خلافاته مع جماعات الفرسان الرهبان من مساعدة الداوية والاسبتارية فى الوقت الذى كانت انطاكية تعانى من النقص الشديد فى القوات وبخاصة الفرسان منها ، فقد أصبح من العسير عليه القيام باعمال عسكرية ضد المسلمين . فان تقلص حدود امارة انطاكية منذ فتوح صلاح الدين قد ابقى على هذا النقص فى عدد المقاتلين بها ، اذا ما وضعنا فى الاعتبار أن الخدمة العسكرية الاقطاعية الصليبية كانت تؤدى فى مقابل تملك الارض(١١٦) . وبينما شغل الفرنج فى مملكة بيت المقدس بخلافاتهم التى دبت بين كل طوائفهم ، ولم يعد هناك من ملوك بيت المقدس من يقدم المساعدة لانطاكية كما كانت الحال أيام بولدوين الاول وخلفائه من ملوك القرن الثانى عشر الميلادى ، واصبح على انطاكية أن تعتمد على مواردها الخاصة ، وقل عدد المدافعين عنها ، فانها تعرضت لهجمات مستمرة غير متوقعة من قبائل التركمان . وكان من شان هذه الهجمات والغارات المخربة ان تضر بالامارة الصليبية أبلغ الضرر . فاذا كان الفرنج فى انطاكية قد امنوا جانب المسلمين فى شمال الشام لتصالح بوهيمند الخامس الدائم معهم ، ولانشغال المسلمين أيضا فى خلافاتهم ، فان الخطر جاء من جهة أخرى ، ودفعت به نحو انطاكية ظروف خارجية تماما . ففى ١٢٢٥م/٦٢٢هـ اندفع الخوارزمية نحو اقليم جورجيا(١١٧) وفى ١٢٣٢م/٦٢٩هـ هزموا الجورجيين واخضعوهم

---

(١١٤) Eracles, p. 403.

(١١٥) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٣٦٧ .

(١١٦) P.W. Edbury, Feudal Obligation in The Latin East, in B. Vol. 97, p. 351.

(١١٧) يقع اقليم جورجيا بين البحر الاسود وبحر قزوين وعاصمته تفليس وعرف الجورجيون المسيحية فى القرن الرابع الميلادى ، وكانت كنيستهم أرثوذكسية وتحت التأثير اليونانى ، وكانت تتبع كنيسة انطاكية وتخضع لبطريرك انطاكية . انظر : =

لسلطتهم(١١٨) . وأمام هذه الهجمات اندفعت قبائل التركمان(١١٩) ، الى الاناضول وارمينيا واستقرت هنالك . وفى ١٢٤٠م/٦٣٧هـ ثار تركمان الاناضول بقيادة شخص يدعى بابا اسحق «Papa Ishaq» (١٢٠) واندفعوا داخل اقليم الفرات وجبال طوروس الشرقية لغزو الاناضول الاوسط ، الا أن السلاجقة تمكنوا من اخماد هذه الثورة(١٢١) . الا أن

= M.F. Brosset, Histoire de La Géorgie, St. Petersburg, 1849, pp. 313-316; W.E.D. Allen, A Hisory of The Geogian People, London, 1932, pp. 266-269.

(١١٨) Juvaini (A la-adin Ata Malik). The History of The World-Conqueror, Trans. by J.A. Boyle, 2 Vols, Manchester, L 958, Vol. 1, pp. 438-439. Vincent de Beauvais, Speculum Historialo, Libr. XXX, Ch. 94, 96. CF. Also, Brosset, Histoire de La Géorgie, pp. 504-505; W. Allen, A History of The Georgian People, p. 111.

(١١٩) التركمان عشائر من الرعاة الرحل الوافدين من اواسط آسيا والذين ساقوا قطعان ماشيتهم أمامهم ، واتوا لينصبوا خيامهم أحيانا على هضاب الاناضول السلجوقية واحيانا على أراضى حلب ، واحيانا فى مراعى انطاكية . ويعطينا تاريخ هرقل نتفة ممتازة من « علم وصف السلائل البشرية وعاداتها » «Ethnography»

« هؤلاء التركمان هم اناس متوحشون ليس لديهم مدن أو قلاع ، وهم دائما يعسكرون فى خيام مصنوعة من اللبساد ، ولديهم حيوانات باعداد كبيرة مثل الاغنام والثيران والماعز والابقار ، ويعملون بالرعى ، ولا يقومون بزراعة الارض ابدا » . انظر : Eracles, p. 435.

(١٢٠) ويكتبه فنسنت دى بيفيه باللاتينية كالآتى «Paperoissole» وقد وضعنا الاسم بالانجليزية حسب ما أورده كلود كاهن وجان ريتشارد . انظر :

Vincent de Beavais, Speculum, Libr-XXX, Ch. 140. CF. also, Cahen, Pre Ottman Turkey, p. 136; Jean Richard, An Account of the Battle of Hattin Preffering to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem State, in Speculum, Vol. 22, p. 172.

(١٢١) تمكن السلاجقة من اخماد ثورة « بابا اسحق » الذى أدعى أنه « نبى » بمساعدة المرتزقة الفرنج لدى السلطان كيخسرو . وقد تمكنوا من هزيمة اسحق بالقرب من قيسارية فى اقليم كبادوكيا فى عام ١٢٤١م . انظر :

=

الضغط المغولى قد ازداد على العراق والجزيرة ؛ ولحسن حظ شمال الشام إن تلقت إرمينيا وآسيا الصغرى ـ كما حدث تماما أيام الغزو السلجوقى فى القرن الحادى عشر الميلادى/القرن الخامس الهجرى ـ الموجة الاولى من هذا الغزو(١٢٢) . وفى ٢٦ يونيو ١٢٤٣م/١٣ محرم ٦٤١هـ اندفع المغول الى الجزيرة وملطية وتمكنوا من هزيمة كيخسرو الثانى سلطان السلاجقة ومن انضم اليه من الحلفاء(١٢٣) . وانتقاما من أرمن قيليقية الذين سلموا أم السلطان كيخسرو للتتار ، فقد تحالف كيخسرو مع قنسطنطين دى لامبرون ابن عم قنسطنطين كاثوليك الارمن وابنه الملك هيثوم الاول وذلك فى ١٢٤٥م/٦٤٣هـ . وكادت طرسوس تسقط فى أيدى الحليفين لولا موت كيخسرو فجاة فى ١٢٤٦م/٦٤٤هـ ، اما قنسطنطين دى لامبرون الذى اصبح بلا حليف يسانده فقد خضع لسيطرة التركمان(١٢٤) . وبالرغم من موت كيخسرو فان السيادة

Vincent de Beauvias, Speculum Libr. XXX, Ch. 140; Bar Hebraeus, pp. 405-406. CF. also, J. Richard, An Account of The Battle of Hattin, p. 173.

(١٢٢) C. Cahen, Orient et Occident au temps des Croisdes, Paris, 1983, p. 197.

(١٢٣) كان فى نصرة غياث الدين كخمروا فى هذه المعركة قوات من حلب . وكان بين حلب وسلاجقة الروم تحالف منذ تزوج كيخسرو الثانى بغازية خاتون شقيقة الملك الناصر يوسف الثانى ملك حلب ، وزواج الاخير من ملكة خاتون شقيقة كيخسرو وذلك فى عام ١٢٣٧م/٦٣٥هـ ، وكان المؤرخ ابن العديم هو محرر عقدى الزواج انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، ابن واصل مفرج الكروب ، جـ ٥ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٦ ، ٣٢٦ ـ ٣٢٧ . راجع أيضا :
Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXX, Ch. 147, L 50; Juvaini, The History, Vol. 2, pp. 507-508; Bar Hebraeus, The Chronography, p. 407; Kiracos de Gantzac, Histoire d'Armenie, p. 138.

(١٢٤) Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXX, Ch. 144, Libr. XXX Ch. 29; Kiracos, Histoire d'Armenie, p. 142; Sempad, Chronique, pp. 649-651; Bar Hebraeus, The Chronography, p. 408.

المغولية لم تكتمل لعودة قواتها الى الشرق(١٢٥) تاركة الحرية للتركمان للقيام بكل أنواع الشغب والفوضى ، خاصة وأن الخلافات قد نشبت أيضا بين خلفاء كيخسرو(١٢٦) وهكذا أصبح الميدان خاليا أمام التركمان لعدة سنوات ، ولم ينه هذه الحالة من الفوضى سوى الغزو المغولى فى عام ١٢٦٠م(١٢٧) . وبات محتما أن يكون هناك تاثير لهذه الفوضى ، وقدر لامارة انطاكية أن تكون هى مجال هذا التاثير . فقد مضى وقت طويل على استقرار قبائل التركمان فى اقليم العمق الواقع بين انطاكية وبغراس .

---

(١٢٥) مات الخان اوجوداى «Ogodai» فى ديسمبر ١٢٤١م ثم مات خلفه كيوك «Guyuk» فى ابريل ١٢٤٨م وقامت الخلافات بين الامراء المغول وانتهت بتولى منكو بن جنكيز خان خانا للمغول بمساعدة باطو نائب والده فى غربى آسيا ، وتولى اخوه هولاكو حكومة فارس ، وتولى أخوه الثالث قوبلاى الحكم فى البلاد الشرقية والصين .

Juvaini, The History, Vol. 2, pp. 501-502, 546; Bar Hebraeus, The Chronogrophy, pp. 410-411 CF. also, J.A. Boyle, Dynastic and Political History of the Ilkhans, in CH.H.R., Vol. 5, p. 336.

(١٢٦) ترك كيخسرو الثانى ثلاثة أبناء عند موته . الاكبر هو عز الدين كيكاوس (١١ سنة) من أم يونانية ، والاوسط ركن الدين قلج ارسلان (٩ سنوات) من أم تركية من قونية والاصغر هو علاء الدين كيقباذ (٧ سنوات) من أم جورجية وهو الذى اختاره أبوه لخلافته . الا أن النزاعات قامت بين كيكاوس وقلج أرسلان. بينما تولى كيكاوس الحكم فى قونية ، حكم قلج ارسلان فى الاناضول الشرقى بمساعدة باطو قائد المغول الذى خضع له قلج ارسلان . انظر :

Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXXI, Ch. 26-28; Bar Hebraeus, The Chronography, pp. 412-414.

(١٢٧) فور هزيمة المغول للسلاجقة قام التركمان بنهب اقليم البستان وملطية ، ولم يستطع كيخسرو الانتصار عليهم الا بمساعدة قسطنطين دى لامبرون ابن عم قنسطنطين والد هيثوم الاول . كما نهب التركمان من خرج من الشام وسادت الفوضى المنطقة ما بين الاناضول وشمال الشام . انظر:ابن العديم:زبدة الحلب، جـ٣ ، ص ٢٦٩ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, The Chronography, p. 408; Vincent deBeauvais, Speculum, Libr. XXXXI, Ch. 151. CF. also, C. Cahen, Les Turcuman de Rum, in B., Vol. 1, 1953, p. 15.

ولم تكن هجمات الداوية عليهم سوى هجمات صغيرة لخطف الماشية . ولم يكن وجود التركمان يشكل خطورة على صليبيي انطـاكية ، ولكن بتزايد عدد الفرق التركمانية الوافدة من الاناضـــول وقيليقية ازدادت عمليات النهب التى كانوا يقومون بها ، وكان على انطاكية التى كانت اضعف من حلب أن تعانى اكثر منها من هذه الفوضى . وفى عام ١٢٤٧م/٦٤٥هـ تحقق الفـرنج من حدوث التغيير . فحتى ذلك الوقت كان عدد قليل من الرجال المسلحين يكفى لصد التركمان المتلهفين على الغنـائم وليس على القتال(١٢٨) . ولكنهم الآن لم يعودوا يتجنبون المعارك ، وكانوا يستغلون ثقـة الفـــرنج ، ويباغتونهم ، وشيئا فشيئا اصبحت المناطق الريفية حول انطـــاكية فريسة لهم(١٢٩) فى ١٢٤٨م/٦٤٦هـ ، وبينما كان لويس التاسع راسيا باسـطوله بجزيرة قبرص فى طريقه الى مصر ، طلب منه بوهيمند وبطريرك انطاكية المساعدة ضد التركمان ، فارسل الملك الى انطاكية سـتمائةفارس(١٣٠) ولكن سرعان ما فشلت حملة لويس على مصر ، ولم يكن فى امكانه الا أن يضمنـ بمشقة ـ أمن مملكة بيت المقدس(١٣١) . وبوصول أنباء هزيمة الصليبيين فى مصـر انطلقت جموع التركمان فى ١٢٥١م/٦٤٩هـ لتجتاح ضواحى انطاكية . واخذ التركمان ينهبون المحاصيل ، ويخطفون قطعان الماشية ، ويخربون الحقول ، ويقتلون السكان الذين اضطروا الى الفرار تاركين أملاكهم نهبا للتركمان الذين اعتمدوا على حمـــاية مسلمى حلب لهم(١٣٢) . وفى ١٢٥٢م/٦٥٠هـ واصل التركمان اعتداءاتهم على الفرنج مما دفع بكثـير

---

(١٢٨) Marino Sanude, Liber Secretorum, 218.

(١٢٩) Eracles, p. 435.

(١٣٠) من الغريب أن جوانفيـــل مؤرخ حملة لويس لم يذكر شيئا عن ذلك . انظر :
Vincent de Beauvais, Speculum, Libr. XXXI, Ch. 96.

(١٣١) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٣٩٥ .

(١٣٢) فى الحقيقة لم يكن هناك تحالفا بين بوهيمند والناصر يوسـف ابن الملك العزيز صاحب حلب . فمنذ عقـــد هدنة الداوية فى ١٢٣٧م/٦٣٤هـ كان الناصر تحت وصاية جدته . ولم يمنعه بعد ذلك عن انطاكية سوى الخطر المغولى وهجمات الخوارزمية على حلب ، وسياسة بوهيمند السلمية تجاه المسلمين . انظر :
Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, p. 228.

من سكان انطاكية الى أن يغادروا المدينة بعد ان ضاقت بهم الاحوال ، ولم يترك التركمان من يغادر المدينة ، بل أسروا الكثيرين منهم وهم فى طريقهم الى طرابلس ، وبعثوا بهم الى حلب(١٣٣) . وهكذا وقعت انطاكية تحت طائلة الهجوم التركمانى ، فى الوقت الذى كان بوهيمند الخامس يتوقع مداهمة المغول لاملاكه ، خاصة بعد أن رفض الخضوع لتهديدات بيجو القائد المغولى الذى بعث به الخــان باطو الى غربى آسيا . فبعث الاخير الى بوهيمند - والى هيثوم ملك قيليقية - يامره بالخضوع فى ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ويامره بثلاثة أشياء لم يكن بوسع بوهيمند أن يقوم بأى منها . فكان على بوهيمنــد أن يدمر كل استحكامات مدنه وقلاعه ، ثم عليه أن يرسل الى الخان كل الايرادات - ذهبا وفضة - التى يحصل عليها من امارته ، وأخيرا عليه أن يرسل الى منغوليا بثلاثة آلاف عذراء . الا أن بوهيمند رفض تنفيذ هذه المطالب ، وقرر تحدى أوامر المغول(١٣٤) . ولم يعرف بوهيمند رد فعل تصرفه لدى الخان(١٣٥) . لذا كان يتوقع هجوم التتار على أملاكه ، وربما آثر الاحتفاظ بالقوات التى بعث بها اليه الملك لويس للدفاع عن طرابلس ، ولم يشأ ان يجهدها فى الدفاع عن انطاكية ضد التركمان ، الامر الذى من شانه أن يثير حفيظة مسلمى حلب ضده . وهكذا أصبحت انطاكية فريسة لهجمات التركمان مما كان له أسوأ الاثر على الامارة الصليبية المتهالكة . ففى الوقت الذى اعتمدت فيه الامارات الصليبية على التجارة مع المدن الاسلامية الداخلية فى بلاد الشـــام ، حيث يتوجه المسلمون الى الموانى الصليبية لعقـــد

---

(١٣٣) أمدتنا المصادر الانجليزية التى احتوت على تقارير ورسائل قادة الفرنج الى المسئولين فى انجلترا بمادة نادرة عن أحوال انطاكية والفرنج وعلاقاتهم بالمسلمين كان من الصعب الحصول عليهــا بعد انتهاء كتاب ابن العديم.انظر خطاب امين خزانة الاسبتارية فى عــكا «جوزيف دى كوسى» الى « والتر دى سان مارتى » فى انجلترا الذى أورده متى الباريزى . انظر :
Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 5 pp. 305-306.

(١٣٤) Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, pp. 389-390, CF. also, Jean Richard, The Mongols and the Franks, in J.A.H., Vol. 3, no. 1, p. 48.

(١٣٥) Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 390.

صفقاتهم ، ويدفعون للفرنج ضرائب متنوعة على هذه التجارة الى جانب المكوس التى يجبيها الفرنج نظير مرور السلع من بوابات المدن الصليبية الى المدن الاسلامية(١٣٦) ، فان الفوضى التى سببها التركمان لم يكن يامن معها المسلمون المرور عبر اقاليم انطاكية الى طرابلس ، فقل عدد المسلمين الذين كانت تعج بهم موانى طرابلس والسويدية كما رأى ذلك جاك دى فترى منذ ثلاثين عاما قبل ذلك التاريخ(١٣٧) . وبالطبع كان لذلك تاثير على اقتصاد انطاكية . فلم تكن السفن الايطالية لتاتى الى ميناء السويدية أو حتى طرابلس دون أن يضمن التجار الاوربيون الرواج لسلعهم . وخير دليل على ذلك قلة الامتيازات التى منحها أمراء انطاكية للجاليات الايطالية المتحكمة فى تجارة الشرق خلال القرن الثالث عشر الميلادى/القرن السابع الهجرى . فلا تجد أية امتيازات منحت للبنادقة بدءا من عهدريموندروبين وحتى نهاية عهد بوهيمند السادس(١٣٨) أما عن الجنوية فكانت آخر امتيازاتهم فى انطاكية فى عهد ريموند روبين(١٣٩) . وكذلك كانت آخر امتيازات البيازنة فى انطاكية(١٤٠) . وفى ١٢٣٣م/٦٣١هـ نالوا آخر هبة لهم من بوهيمند الخامس فى

---

(١٣٦) عن أنواع هذه المكوس انظر ما سبق من الفصل الثالث ، ص٢٤٩ ، حاشية ٨ ، ٩ .

(١٣٧) « وحين كنت على مشارف طرابلس خرج للقائى كونت المدينة وامير انطاكية (بوهيمند الرابع) مع كثير من الجنود ، وقضيت شهرا فى تلك المدينة ، ولما كانت اللغة العربية هى اللغة السائدة فى هذه المدينة ، فقد كنت أتحدث غالبا من خلال المترجمين » . انظر :
Jaques de Vitry, Epistolac II, p. 93.

(١٣٨) كانت المنحةالتى حصلوا عليها فى١١٨٣م من بوهيمندالثالث هى آخر ما حصلوا عليه من امتيازات فى انطاكية حتى منحهم بوهيمند السابع فى ١٢٧٧م حرية البيع فى طرابلس . انظر :
Rohricht, Regesta, no. 632, p. 167, no. 1412, p. 366.

(١٣٩) كانت آخر منحة لهم فى انطاكية فى عهد ريموند روبين الذى منحهم فى فبراير ١٢١٦م حق انشاء محكمة خاصة بهم . انظر :
Rohricht, Regesta, no. 885, p. 238.

(١٤٠) أكد ريموند روبين فى ابريل ١٢١٦م للبيزاوية كل المنح التى منحها اياهم بوهيمند الثالث فى انطاكية .
Rohricht, Regesta, no., 886, p. 239.

طرابلس(١٤١) . هذا ، الى جانب أن غارات التركمان ونهبهم للحقول الانطاكية باستمرار وهجرة المزارعين الانطاكيين وسكان المدينة قد أثر على الانتاج الزراعى الوفير الذى اشتهرت به المدينة والذى اندهش له ويلبراند أوف أولدنبرج عند زيارته لها فى عام ١٢١١م/٦٠٩هـ(١٤٢) . وكذلك على الصناعات التى اشتهرت بها انطاكية مثل صناعة الزجاج والنسيج التى رآها الراهب اليونانى - الكريتى - حنا فوقاس رائجة فى عام ١١٨٥م/٥٨١هـ(١٤٣) . وكل ذلك ادى الى اضمحلال الامارة التى نعم سكانها بالرخاء طويلا (١٤٤) . فهجرها سكانها ، بعد أن ضاقت بهم السبل أمام الاخطار المحيطة بهم من جانب جماعات التركمان المغيرين عليهم بصورة مستمرة ، وخوفا من الخطر المغولى المحدق بهم . وكذلك فعل أميرها بوهيمند الخامس الذى آثر البقاء فى طرابلس تاركا انطاكية دون مدافع . واكتفى بوهيمند باتباع سياسة سلمية خالصة تجاه جيران انطاكية المسلمين طوال فترة حكمه للامارة الى أن مات فى عام ١٢٥١م/٦٤٩هـ(١٤٥) .

---

(١٤١) فى مارس ١٢٣٣م أكد بوهيمند الخامس للبيزاوية كل المنح التى حصلوا عليها فى طرابلس فى عهد ريموند الثالث ثم فى عهد بوهيمند الثالث . انظر :

Rohricht, Regesta, nos. 1041-1042, pp. 272.

(١٤٢) كان نهر العاصى وروافده يمد انطاكية بوفرة من المياه تروى الحدائق والبساتين والحقول المتعددة والغنية بأنواع الفاكهة والنباتات المختلفة . انظر :

Willbrand of Oldenburg, Itineraium Terrae Sanctae, p. 172.

(١٤٣) Joanes Phocas, Compendiaria, p. 927.

(١٤٤) « كانت نساء أنطاكية تتزين بالحلى والجواهر ، ويرتدين فاخر الثياب مثل نساء العرب . انظر :

Walter the Cancelier, Bella Antiochena, p. 113.

(١٤٥) اكتفى كاتب حوليات الارض المقدسة بوضع وفاة بوهيمند فى عام ١٢٥١م/٦٤٩هـ . وكان مارينو سانودو أكثر دقة حين ذكر أن موت بوهيمند وقع بعد ذهاب الملك لويس الى قيسارية فى ٢٩ مارس/٤ محرم من نفس السنة . ولا يوجد اى دليل على أن وفاة بوهيمند وقعت فى يناير ١٢٥٢م/ذى القعدة ٦٤٩هـ كما يذهب كل من كاتب حوليات الاراضى وكلود كاهن . انظر :

Ann. T.S., p. 445, Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 220
CF. also, Cahen, La Syrie du Nord, p. 702.

انجب بوهيمند الخامس من زوجته لوسى ابنا يدعى بوهيمند ، تولى الحكم فى انطاكية وطرابلس باسم بوهيمند السادس(١٤٦) . كما انجب بوهيمند الخامس ابنة تدعى بليزانس Plaisance تزوجت فى سبتمبر ١٢٥٠م/شعبان ٦٤٨هـ من هنرى الاول ملك قبرص(١٤٧) . ولم يبد بوهيمند السادس اهتماما كبيرا بشئون انطاكية فى السنوات الاولى من حكمه . لذا تجده يقبع فى طرابلس كما فعل ابوه من قبل . وفى الحقيقة لم تكن الظروف التى دفعت بابيه الى ذلك قد تغيرت كثيرا ، ولم تكن أحوال انطاكية بالتالى قد تحسنت عن ذى قبل ، بل ان كل شىء صار الى أسوأ مما كان . لذلك لم تختلف سياسة بوهيمند السادس عن سياسة سلفه تجاه المسلمين كثيرا . فقد واصل التركمان هجماتهم على اقليم انطاكية فى نفس العام الذى تولى فيه بوهيمند السادس الحكم فى الامارة ولكن فى هذه المرة كانت هجمات التركمان أشد قسوة . فقد هاجموا الاقليم كله ، وقتلوا من وجدوه من السكان ، وأسروا المزارعين ، ونهبوا الماشية واستولوا على البضائع الواردة الى انطاكية والخارجة منها . كما قاموا بحرق المحاصيل وتدمير

---

(١٤٦) اتفق المؤرخون الحديثون على ان بوهيمند السادس قد ولد فى عام ١٢٣٧م/٦٣٤هـ دون تحديد تاريخ دقيق لمولده . ولما جاء فى خطاب البابا انوسنت الرابع والمؤرخ بالسابع من نوفمبر ١٢٥٢م/٣ رمضان ٦٥٠هـ ، والذى أرسله الى كل من بطريرك انطاكية وأسقف طرابلس لمساعدة بوهيمند على تولى أمور الحكم فى انطاكية ، بان بوهيمند قد بدأ بالفعل عامه الخامس عشر ، وانه سيتمه فى أول أغسطس ١٢٥٣م/٤ جماد ثان ٦٥١هـ ، فيمكن الاخذ بأن بوهيمند السادس قد ولد فى أغسطس ١٢٣٧م/ ٧ ذى الحجة ٦٣٤هـ . انظر :

Innocent IV, Pope, Registers, Vol. 3, no. 6070, p. 126. Ducange. Rey. Familles d'Otremer, p. 206.

(١٤٧) انفرد مارينو سانودو بتحديد تاريخ الزواج . وقد مات هنرى الاول ملك قبرص (١٢١٨ — ١٢٥٣) فى ١٨ يناير ١٢٥٣م . وقبل موته بعدة أشهر ، أنجبت له بليزانس ابنه وخلفه هيو الثانى ملك قبرص (١٢٥٣ — ١٢٦٧م) وماتت بليزانس فى سبتمبر ١٢٦١م وهى وصية على مملكة بيت المقدس (١٢٥٨م — ١٢٦١م) . انظر :

Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 220; Eracles, pp. 439,

الحقول وحدائق الكروم ، ودمروا كل ما وجدوه امامهم ، ولم يصبح فى مقدور سكان المدينة الخروج منها بعد ان وصلت هجمات التركمان حتى اسوار المدينة نفسها • ولم يعد باستطاعة الفرنج فى انطاكية مزاولة اى نشاط خارج مدينتهم • وبذلك يكون التركمان قد جعلوا امارة انطاكية لا تتعدى اسوار المدينة بعد ان اصبح كل الاقليم حولها قفرا ، وتابع سكان انطاكية هجرتهم من المدينة التى طالما عمرت بسكانها واشتهرت بكثرتهم وبتعدد جنسياتهم(١٤٨) • وأصبحت انطاكية التى كانت مرآة الشرق Speculum Orientis وعاصمته « مضغة للكلاب » على حد تعبير بوهيمند السادس نفسه حين بعث فى ١٤ مايو ١٢٥٥م/٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ بخطاب الى هنرى الثالث ملك انجلترا (١٢١٦ — ١٢٧٢م) مستغيثا به وطالبا مساعدته العاجلة لانقاذ المدينة من مصيرها المشئوم(١٤٩) • وواصل التركمان هجماتهم على أملاك بوهيمند حتى وصلوا الى كونتية طرابلس نفسها وأحرقوا الكثير من القرى المجاورة لحصن الاكراد ، واخذوا سكانها أسرى الى شيزر(١٥٠) • ولم يجد بوهيمند من يمد له يد المساعدة من صليبى الشام ، فبعث باستغاثته الى هنرى الثالث ملك انجلترا ، الا أن مشاغل الاخير لم تمكنه من نجدة انطاكية(١٥١) • ولم

---

(١٤٨) وجد ولبراند اوف اولدنبرج اثناء مروره بانطاكية الى ارمينيا فى ١٢١١م أن انطاكية تضم بين سكانها عربا وسريان وأرمن ويونانيين ويهودا الى جانب اللاتين الذين كانوا يحكمون الامارة • انظر : Willbrand of Oldenburg, Itinerarium, p. 172.

(١٤٩) Bohemond VI, Letter of Bohemond VI Prince of Antioch to Henry III King of Englan, in Annales de Burton, ed. H.R. Laurd, in Annales Monastici, T, (R.S., 36). London, 1864, pp. 369-371

راجع أيضا ملحق رقم (٣) بآخر الكتاب •

(١٥٠) Mathew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, pp. 305-306.

(١٥١) منذ تولى هنرى الثالث عرش انجلترا (١٢١٦ — ١٢٧٢) أعلن ثلاث مرات عن نذره بالقيام بحملة صليبية وكان نذره الاول فور توليه العرش ، والثانى فى ١٢٥٠م ، والثالث اتابه فى القيام به ابنه الامير ادوارد فى عام ١٢٧١م • وعندما بعث اليه بوهيمند السادس باستغاثته كان هنرى الثالث مشغولا فى حرب أسرة الهوهنشتاوفن فى جزيرة صقلية انظر :

Annales de Burton, p. 371. CF. also, S. Lloyd, Political Cru- =



تتلق الامارة شيئا من المساعدة وكانت كنيستها أوفر حظا وكان الفضل للبطريرك أوبيزودى فيتشى Opizo de Fieschi (١٥٢) ، فى أن تحصل كنيسة انطاكية على المساعدات من البابوية ، وتنال الامارة بعضا من تلك المساعدات(١٥٣) الا ان هذه المساعدات قد استنفدت فى اجراءات بعض التحصينات لقلعة القصير التى صارت للبطريركية الكاثوليكية فى انطاكية منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى(١٥٤) ، لذلك لم تكن كل هذه المعونات تمثل شيئا ازاء جسامة الاخطار التى احاطت بانطاكية وكنيستها معا . فلم تقتصر متاعب امارة انطاكية على خطر التركمان فقط ، بل تعدت ذلك الى ان بوهيمند تولى الحكم تحت وصاية أمه الاميرة لوسى التى أقامت فى طرابلس تاركة انطاكية نهبا للصراعات التى لا تنتهى بين السكان اليونانيين واللاتين فى المدينة . وكان يتولى الحكم نائب ، الى جانب القومون الذى كان من المفروض ان يخضع لسلطة

= sades in England, in Crusades and Settlement, ed. Peter W. Edbury, Cardiff, 1985, p. 113-121.

(١٥٢) مات البرت دى ريزاتو بطريرك انطاكية (١٢٢٧ ـ ١٢٤٦) أثناء حضوره مؤتمر ليون الكنسى الذى عقده البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ ـ ١٢٥٤م) فى فرنسا للاعداد لحملة صليبية جديدة ، وبقى كرسى بطريركية انطاكية شاغرا لمدة عامين حتى عين البابا ابن أخته أوبيزودى فيتشى بطريركا لانطاكية (١٢٤٧ ـ ١٢٩٢م) والذى حضر الى الشرق مع حملة لويس ، ثم عاد الى روما فى ١٢٥٣م وأطلع خاله على أحوال انطاكية وكنيستها بعد أن دمرتها هجمات التركمان . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, p. 232.

(١٥٣) أمر البابا بان تحول دخول أسقفية نيقوسيا بقبرص الى بطريرك انطاكية منذ عام ١٢٥٤م . كما أمر بان يحصل بطريرك انطاكية على دخل سنوى لمدة ثلاث سنوات من كنائس قبرص لتحصين قلعة القصير . وعندما بعث البابا فى ١٢٥٣م بدعم الى الاسبتارية امر بان يكون هذا الدعم للدفاع عن انطاكية واجبر الداوية على عدم تحويل جزء من هذا الدعم لمملكة بيت المقدس . كما تدفقت معونات البابا الكسندر الرابع (١٢٥٤ ـ ١٢٦١م) على انطاكية . انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, pp. 232-233; Cahen, La Syrie du Nord, pp. 97-98.

(١٥٤) Cahen, La Syrie du Nord, p. 697.

البطريرك الكاثوليكى(١٥٥) ٠الاان الاخير تضاءلت أهميته كثيرا منذ ان خضع البطريرك اليونانى للبابوية واقام فى انطـــاكية(١٥٦) ٠ لذلك كان القومون موضع سخط السكان الوطنيين فى انطاكية الذين كانوا يفضلون الحبر الارثوذكسى الذى ما لبث نفوذه أن تفوق على نفوذ نظيره اللاتينى الذى اضطر ــ بعد أن تزعزع مركزه ــ الى الرحيل الى أوربا تاركا أحد القساوسة لينوب عنه (١٥٧) ٠ وهكذا ترك غياب الامير والبطـــريرك الميدان خاليا أمام صراعات الطوائف المختلفة فى انطـاكية ، ومؤامرات السكان الشرقيين الذين كانوا يكنون العداء للعنصر اللاتينى ، وأصبحت انطاكية معرضة للسقوط فى أيدى المسلمين ٠ ولما كانت علاقة بوهيمنـــد الخامس بجماعة الاسبتارية استمرارا للشقاق الدائم بين أمراء انطاكية وهذه الجماعة منذ عهد بوهيمند الرابع ، ولم تتحسن بالرغم من اتفاق الطرفين فى ١٢٥٦م/٦٥٤هـ(١٥٨) ، فلم يتوان بوهيمند عن انتهـــاز

---

(١٥٥) E. Rey. Histoire des Princes d'Antioche, p. 401.

(١٥٦) مات البطريرك البيزنطى لانطاكية سمعان فى ١٢٣٩م وتولى بعده البطـــريركية اليونانى داود (١٢٤٥ ــ ١٢٥٨م) وجاء الى انطـــاكية واقام بهـــا ٠ ثم خلفـــه البطـــريرك ايوثيميوس Euthymius (١٢٥٨ ــ ١٢٧٤م) ٠ وبينما خضع داود للبابا الرومانى ، فقد رفض ايوثميوس ذلك فاوقع به أوبيزو بطريرك انطاكية قرار الحرمان من الكنيسة بناء على أوامر البـــابا انوسنت الرابع ، الا انه بعد خضوع انطاكية للمغـــول ، عاد ايوثاماوس الى انطاكية بناء على رغبة هولاكو ٠فذهب البطريرك أوبيزو الى روما ولم يعد الى انطاكية ٠ انظر :
E. Rey. Histoire des Princes d'Antioche, p. 401; B. Hamilton, Latin Church, p. 325; Chahen, La Syrie du Nord, p. 685.

(١٥٧) أناب عنه كلا من بارثلميو Bartholomew الذى أصبح اســقفا لانطرطوس (١٢٧٢م ــ ١٢٩٢م) ثم كريســتيان الدومنيكانى الذى قتله بيبرس عندما فتح انطاكية فى ١٢٦٨م٠ انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام (هزيمة لويس التاسع فى الاراضى المقدسة) ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ٣٠٦٠

(١٥٨) طلب الاسبتارية من بوهيمند الخامس فى ١٢٥٦م التخلى عن كل المطالب التى اثارها هو وكل اسلافه ولم يستمر هذا الاتفاق ٠ وصادر الامير ممتلكات الجماعة ، وفى ١٢٥٩م وقع الطـــرفان على معاهدة تصالح بينهما ووعد الامير بان يعيد للاسبتارية كل ما صادره من قرى وأراضى ، ومنحهم حرية التجارة المطلقة =

فرصة وجود الملك لويس فى بلاد الشام ليطلب مساعدته التى تعتبر من الانجازات الهامة للملك الفرنسى(١٥٩) . وفى الحقيقة فقد جمعت حملة الصليبية السابعة بين سمات كل الحملات الصليبية السابقة لها . فاذا كان سقوط الرها فى أيدى عماد الدين زنكى فى ١١٤٤م/٥٣٩هـ ، ثم سقوط بيت المقدس فى أيدى صلاح الدين فى ١١٨٧م/٥٨٣هـ ، قد دفع بغرب اوربا الى ارسال الحملتين الثانية والثالثة على التوالى ، فان سقوط بيت المقدس للمرة الثانية على أيدى الخوارزمية فى ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، قد جعل أوربا تسارع بايفاد الحملة السابعة كرد فعل لاستغاثة الشرق اللاتينى(١٦٠) . كما ضمت حملة لويس صليبيين من مختلف بلدان

= دون تحصيل اية رسوم على سلعهم فى كل أملاكه وان يلجأ الطرفان الى التحكيم فى مسألة الضرائب الجمركية التى كانت الجماعة تطالب بها فى انطاكية . انظر :

Inventaire de Piéces de L'ordre de L'Hopital, ed. J. Delaville Leroulx, R.O.L., Vol. III, 1895, no. 305, p 94

(١٥٩) Jean Richard, Saint Louis, roi d'un France Feudale Soutien de La Terre Sainte, Fayard, 1983, p. 250.

(١٦٠) فى نوفمبر ١٢٤٤م ، أى بعد موقعة غزة واندحار الصليبيين على أيدى الخوارزمية ، بعث روبرت أوف نانتيس بطريرك بيت المقدس (١٢٤٠ – ١٢٥٤) بأسقف بيروت جاليران Galerand (١٢٤٤ – ١٢٤٥) كمندوب عنه الى امراء غرب أوربا يطلب نجدتهم ، وسافر معه ألبرت دى ريزاتو بطريرك انطاكية اللاتينى (١٢٢٧ – ١٢٤٦م) . وقد حضر الاثنان مؤتمر ليون الكنسى (٢٨ يونيو – ١٧ يوليو ١٢٤٥م) بفرنسا الذى عقده البابا انوسنت الرابع بشأن اخضاع الامبراطور فريدريك الثانى ، وتعرض المؤتمر لأحوال الفرنج فى بلاد الشام وأوضح جاليران النكبات التى تلاحقت باللاتين ، واعتداءات الخوارزمية عليهم . فاعلن البابا قيام حملة صليبية جديدة مانحا الغفران لكل من يشترك فيها بالرغم من رغبته السابقة فى تجميع ما أمكنه من قوات لحربه ضد فريدريك انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, pp; 430 ff; Ms. of Rothelin, pp; 565-566; Jean de Joinville, Chronicle of the Crusado of St. Lewis, ed. and trans by Frank Marziakr, London, 1965, 163.

راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٤٨ – ٤٩ .

أوربا(١٦١) . ومثل كل حملات القرن الثالث عشر الميلادى/القـــرن السابع الهجرى ، فقد كانت مصر هى هدف الحمـلة الاساسى(١٦٢) . والظروف مهياة لتحقيق هدف الحملة بسهولة لانقسام المسلمين فى مصر والشام وتفرق كلمتهم(١٦٣) . الا أن هذه الحملة فقد اختلفت عن كل

(١٦١) الى جانب شقيقى الملك روبرت كونت أرتوا وشارل كونت انجو وابنى عمه هيو دوق برجنديا وبطرس كونت بريتانى ، فقـد اشترك فى الحملة أمراء من كل أنحاء فرنسا وانجلترا واسكتلندا الى جانب جوانفيل مؤرخ الحملة وصديق الملك . وبالطبع لم يكن للالمان ان يشـتركوا فى هذه الحملة والامبراطور فريدريك محروما من الكنيسة ومناوئا للبابوية . انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, pp. 22-25; Joinville, pp. 163-166. H. Mayer, The Crusade, p. 251; B.Z. Kedar, The Passenger List of a Crusader Ship., 1250; in S.M., Vol. 13, p. 268.

(١٦٢) اقلع لويس من فرنسا فى ٢٥ أغسطس ١٢٤٨م/٤ جماد أول ٦٤٦هـ وتبعه المشتركون فى الحملة . ووصل أسطول الملك الى جزيرة قبرص فى ١٧ سبتمبر ١٢٤٨م/٢٧ جماد أول ٦٤٦هـ . وبعد عقد مجلس للتشاور حضره مقدمو الداوية والاسبتارية فى عـكا ورمل بوهيمند وهيثوم الارمينى تقرر أن تكون مصر هى هدف الحملة . فهى مصدر القوة بثرائها وخصوبتها للعالم الاسلامى ، ومن المعروف أن سلاطينها على استعداد أن يتنازلوا عن بيت المقدس وربما فلسطين كلها فى مقابل جلاء الحمـــلات الصليبية عن مصر . انظر :

Joinville, pp. 167-171; CF. also, C-Cahen, Saint Louis et L'Islam, in J.A. 1970, p. 5.

(١٦٣) رفض الملك لويس راى الداوية بان يستفيد اثناء اقامته فى قبرص من النزاعات التى نشأت بين الايوبيين فى مصر وفى الشام وقرر مهاجمة مصر مباشرة . ففى ذلك الوقت كان الناصر يوسف الثانى ملك حلب قد استولى على حمص من ابن عمه الاشرف موسى فى ١٢٤٨م/٦٤٦هـ فخرج الصالح أيوب من مصر الى دمشق وبعث بقواته بقيادة الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ لاخذ حمص من الحلبيين فحاصرها فخر الدين طوال الشتاء . ولما علم الصالح أيوب أن الخطر الصليبى يتهدد مصر ، وافق على عقد الصلح مع الناصر يوسف الذى بقيت حمص له ، وكان الذى توسط فى الصلح بين الطرفين هو الشيخ نجم الدين البادرائى رســول الخليفة العباسى المستعصم بالله (١٢٤٢ — ١٢٥٨م/٦٤٠ — =

ما سبقها من حملات صليبية أخرى فى عدة أمور • فقد تولى قيادتها ومسئوليتها الملك لويس وحده(١٦٤) ، واتخذت طابعا فرنسيا بحتا(١٦٥) • وأخيرا ، بعد فشل الحملة فى الاستيلاء على مصر(١٦٦) ،

= ٦٥٦هـ) • وعاد الصالح أيوب الى مصر ليحصن دمياط ضد الفرنج • ابن العميد : اخبار الايوبيين ص ١٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٧٠ ، ٧٧٢ • راجع أيضا :
Joinville, p. 172.

(١٦٤) بالرغم من أن البابا انوسنت الرابع هو أول من دعا للحملة الصليبية وبالرغم من أن الملك لويس كان يعرف بمكانة رجال الدين وكان من مبادئه أن الفارس وان كان ملكا فانه اقل درجة من الكاهن ، الا أنه فى حملته ، فان وجود رجال الدين فيها كان لاقامة الصلوات فقط ، وأصبح لويس بمبادئه وحفاظه على التقاليد المسيحية التى بثها فى أوربا البابا جريجورى الاول ، فانه أصبح البطل الوحيد للمشروع الصليبى • انظر :
Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 6, pp. 102, 172. P.A. Throop, Criticism of Papal Crusade Policy in old French and provencal, in speculum, Vol. 13, p. 384; E. Delaruelle, L'Idée de Croisade Au Moyen Age, Torino, 1980, p. 245.

(١٦٥) لم يكن غير لويس التاسع من ملوك أوربا مستعدا للقيام بالحملة الصليبية • فبينما كان هنرى الثالث ملك انجلترا مشغولا فى قمع تمرد كونتاته ، وبينما كانت البابوية والامبراطور فريدريك يشغلان ألمانيا وكل ايطاليا بخلافاتهما وحربهما ضد بعضهما البعض ، جاء نذر لويس بالقيام بحملة صليبية ، اذا ما شفى من مرض الحمى الذى أصابه فى نهاية عام ١٢٤٤م،مزامنا لدعوة البابا للقيام بحملة لانقاذ الكيان الصليبى فى الشرق • ولانفراد لويس بقيادة الحملة ، ولكون غالبية المشتركين فيها فرنسيين ، فقد غلب عليها الطابع الفرنسى البحت • انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٥٣ ، راجع أيضا :
Join Ville, p. 163. Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 397. CF. also, Jean Richard, La Politique Orientale de Saint Louis, La Croisade de 1284, Paris, 1976, p. 197.

(١٦٦) أمضى لويس فى قبرص ثمانية أشهر (سبتمبر ١٢٤٨ ـ مايو ١٢٤٩م/جمادى الاولى ٦٤٧ ـ صفر ٦٤٧هـ) ووصلت الحملة الى دمياط فى ٥ يونيو ١٢٤٩م/٢١ صفر ٦٤٧هـ ، واستولى الفرنج على دمياط فى ٦ يونيو ١٢٤٩م/٢٢ صفر ٦٤٧هـ ـ =

وعلى العكس من كل الزعماء الصليبيين السابقين - ماعدا قادة الحملة الاولى - الذين اضطروا بمجرد انتهاء حملاتهم - سواء بالنجاح أو بالفشل - الى العودة الى غرب أوربا ، فان الملك لويس قد قرر البقاء فى الشرق(١٦٧) . وبقى فى بلاد الشام لمدة اربع سنوات (١٢٥٠ - ١٢٥٤م/٦٤٨ - ٦٥٢هـ) ليس أملا منه فى تولى حكم مملكة بيت المقدس ، ولا لفرض سيادته على بارونات الشرق الفرنجي ، وانما نتيجة للسمات التى اتصف بها والتى كانت تتميز بها شخصيته التى لم يعهد الصليبيون فى أوربا أو الشرق اللاتينى مثلها منذ وفاة صلاح الدين الايوبى(١٦٨) . فقد شعر لويس بأن الهزيمة فى مصر كانت غلطته هو ، وأن عليه أن يكفر عن تلك الغلطة(١٦٩) . وقام خلال مدة اقامته فى بلاد الشام بعدة أعمال تعد تعويضا بسيطا للفرنج عن فشل حملته فى مصر . فالى جانب قيامه بتحصين المعاقل الصليبية فى فلسطين مثل عكا وحيفا

= لهروب المدافعين عنها بعد اعتقادهم فى موت الصالح أيوب (مات فى ٢٣ نوفمبر ١٢٤٩م/١٥ شعبان ٦٤٧هـ) ثم زحف الفرنج على القاهرة الا أن الفشل كان نصيب الحملة كلها . ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها هزيمة قوات روبرت كونت أرتوا فى المنصورة ، وانتشار المرض بين قوات لويس الى جانب تولى المماليك بقيادة بيبرس البندقدارى أمور الدفاع عن المنصورة ،وأخيرا حماسة المسلمين فى القتال . وانتهى الامر بأسر الملك لويس الذى اضطر الى قبول الصلح مع المسلمين والتوجه الى عكا بعد أن أسر المسلمون الكثير من الفرنج . وقد أورد الدكتور جوزيف نسيم تفصيلا لكل هذه الاحداث فى كتابه عن حملة لويس على مصر يعد تاريخا شاملا لهذه الحملة . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر وهزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور ، الاسكندرية ١٩٨٤م . صفحات متفرقة ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٥٨ وما بعدها .

(١٦٧) رحل لويس من مصر الى عكا فى ٨ مايو ١٢٥٠م/٤صفر ٦٤٨هـ انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر ، الملحق الرابع (جدول تواريخ الحملة) ص ٣٢٦ .

(١٦٨) E. Dalarueile, L'Idée de Croisade Au Moyen Age, p. 253.

(١٦٩) على الأقل بتحرير الاسرى الفرنج الذين تركهم فى مصر وكان يشعر بمسئوليته عنهم . انظر :
Join Ville, p. 240 Jean Richard, La Politique Orientale, p. 206.

وقيسارية ويافا(١٧٠) ، فانه حاول تدعيم موقف الصليبيين بدبلوماسيته الفائقة(١٧١) مستغلا الانقسام الذى دب بين المماليك فى مصر والايوبيين فى بلاد الشام ، لتحقيق مكاسب للفرنج على حساب المسلمين(١٧٢) كما

---

(١٧٠) جوزيف نسيم يوسف : العـدوان الصليبى على بلاد الشـام ، ص ٣٠٠ وما بعدها .

(١٧١) C. Cahen, Saint Louis et L'Islam, p. 7, Jean Richard, La Politique Orientale de Saint Loius, p. 207.

(١٧٢) تولت شجر الدر زوج الصالح أيوب مقاليد الامور فى مصر بعد أن أخفت نبأ موته عن الجيش الذى كان يقـاتل قوات الملك لويس ، حتى تولى ابنه المعظم تورانشاه حاكم حصن كيفـا الحكم بعد أبيه . الا أن العلاقات بين تورانشـاه وزوج أبيـه ومماليكه لم تكن على ما يرام ، فقـام المماليك بقتله فى مايو ١٢٥٠م/صفر ٦٤٨هـ لينتهى حكم بنى أيوب فى مصر . وتزوجت شجر الدر من الامير عز الدين أيبك التركمـانى قائد العسـكر واصبح سلطانا لمصر فى يوليه/ربيع ثان من نفس العام ، ليبدأ بحكمه عهد الدولة المملوكية فى مصر ، الامر الذى لم يرض عنه الايوبيون فى بلاد الشام بزعامة الناصر داود صاحب حلب الذى استولى على دمشق ، ورفض الخضـوع للمماليك . واسـتولى المماليك على غزة فى اكتوبر/رجب من نفس السنة وتمكنوا من رد الهجوم الايوبى على مصر وهزموا الايوبيين فى موقعـة العباسة فى ٢ فبراير ١٢٥١م/٩ ذى القعـدة ٦٤٨هـ . وحاول الملك لويس أن يحقق مكاسب على حساب المسلمين المتنافرين . واستغل محاولة الناصر داود وعز الدين أيبك التحالف معه كل ضـد الآخر واستطاع أن يعقـد معاهدة مع المماليك فى مايو ١٢٥١م/صفر ٦٤٩هـ ، على أن يسلموه كل أسرى الفرنج فى مصر منذ موقعة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ ، ويسلموا بيت المقدس للفرنج مقابل تعهده بمشاركتهم فى حملتهم ضد الايوبيين . الا أن توسط الخليفة العباسى المستعصم بالله ، وعقد الصلح بين مسلمى مصر والشام قد أضاع الفرصة على لويس . لمزيد من التفاصيل انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٣٦٤ — ٣٧٥ ، ج ٧ ، ص ١ — ١٠ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٣٤٧ — ٣٨٥ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٩ — ١٦٤ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان : ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٧٥ — ٧٨٩ . راجع أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ١٣٩ — ١٨٧ ، انظر أيضا :
Joinville, Passim; Rotelin, pp. 624-28.

حاول استمالة خصومهم من الحشيشية(١٧٣) والمغول(١٧٤) . وفازت انطاكية بنصيب وافر من جهود الملك الصليبى ، الامر الذى ساعد على استقرار الامور فيها . فالى جانب ارساله بالامدادات العسكرية الى بوهيمند الخامس من قبرص(١٧٥) ، فان وجود الملك نفسه فى بلاد الشام وسياسته الدبلوماسية تجاه المماليك فى مصر والايوبيين فى دمشق قد جعلت الاخيرين ينشغلون – مثل المماليك – فى السعى الى كسب ود الملك أحدهما دون الآخر . فكان لانطاكية ان تنعم بالسلام طالما كان لويس موجودا فى الشرق(١٧٦) . الى جانب ذلك فقد كان للويس مساع ذات نتائج مباشرة فى استقرار الامور فى امارة انطاكية . ففى عام ١٢٥٢م/٦٥٠هـ بلغ بوهيمند السادس الخامسة عشرة من عمره ، وكان من حقه أن يتولى الحكم فى انطاكية حسب قوانين الامارة(١٧٧) ويتخلص من وصاية أمه ، فاستغل وجود لويس فى يافا(١٧٨) ورافق أمه

---

(١٧٣) بعث شيخ الحشيشية فى الشام بمندوبه الى الملك لويس حين قدم من مصر الى عكا طالبا منه أن يدفع ثمن حياد الحشيشية بين لويس والمسلمين وسلامة الملك نفسه كما فعل فريدريك الثانى ، وكما يفعل المسلمين . الا أن الملك الصليبى لم يخضع لهذا التهديد وطلب من رسل الحشيشية العودة اليه بعد خمسة عشر يوما بعد أن عنفهم قادة الداوية والاسبتارية على تهجمهم على الملك . وعاد الرسل الى لويس بكثير من الهدايا من رئيسهم ، وردهم الملك بمثلها مع رسوله . ولم يعف الملك الحشيشية من الجزية التى كانوا يدفعونها للاسبتارية كما طلبوا منه عند زيارتهم الاولى . انظر : Joinville, pp. 248-251.

(١٧٤) انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٤٢٦ وما بعدها .

(١٧٥) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٣٧٦ .

(١٧٦) فى الحقيقة لم يعد لهدنة لويس مع المماليك (لمدة عشر سنوات) فى مايو ١٢٥٢م بعد تصالح الاخيرين مع الايوبيين بعد توسط الخليفة العباسى بين الطرفين اى معنى . ولم يجبر المسلمين والصليبيين على عقد الهدنة لمدة عشر سنوات فى ١٢٥٦م/٦٥٤هـ سوى وصول الخطر المغولى من حدود العراق ، الامر الذى أجبر الايوبيين والمماليك على التصالح فيما بينهما أيضا . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٥٩ . راجع أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١١٠٤ – ١١٠٥ .

(١٧٧) Innocent IV, Pope, Register, Vol. 3, no. 6070, p. 126.

(١٧٨) اقام لويس فى يافا من مايو ١٢٥٠ الى نهاية يونية ١٢٥٣ . =

فى زيارتها للملك . ولما كان بوهيمند يتسم بالذكاء والنشاط كما لاحظ جوانفيل نفسه ، فقد نصبه الملك فارسا وسط التكريم وفى احتفال مهيب(١٧٩) . وما ان حصل على لقب فارس حتى فاتح الملك بشأن توليه أمور الحكم فى انطاكية مبينا له ما تتعرض له امارته من ضعف وانهيار تحت وصاية أمه وبسبب بقائها فى طرابلس واهمالها شئون انطاكية قائلا له كما اورد جوانفيل « يا سيدى ، صحيح أن لوالدتى الحق ان تبقينى تحت وصايتها أربع سنوات اخرى ، ولكن ليس من الحكمة أن تترك أراضى تضيع وتنهار ، اننى انما قول ذلك يا سيدى لأن مدينة انطاكية فى طريقها الى الانهيار على يديها ، لذا التمس من مولاى أن يحثها على امدادى بالمال اللازم كى أستطيع الذهاب لانقاذ شعبى الموجود هناك ومساعدته »(١٨٠) . وبين بوهيمند للملك ان بقاءه مع أمه فى طرابلس لن يعود بالنفع عليه او على املاكه ، بل سيتطلب نفقات باهظة وستضيع الاموال دون طائل(١٨١) . ومن الواضح ان الملك قد تاثر برصانة الامير الصغير وشجاعته السابقة لأوانها فامر الاميرة الام بان تنفذ مطالب ابنها . وبينما بقيت هى فى طرابلس ، فقد توجه بوهيمند الى انطاكية مزودا بالاموال والاسلحة اللازمة لوضع المدينة فى حالة دفاع . ولم ينس فضل الملك الذى نصبه فارسا فأضاف الشعار الفرنسى الى شعار انطاكية ، كما بدأ فى استخدام أسلحة على نمط الاسلحة الفرنسية(١٨٢) . وفى

= انظــر :

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 514.

(١٧٩) « لم يسبق لى أن قابلت صبيا فى مثل عقله وذكائه » .

Joinville, p. 266. Ann. T.S., p 267

راجع أيضا : جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٣٠٧ .

(١٨٠) Joinville, p. 266.

(١٨١) Joinville, p. 267.

(١٨٢) كان شعار فرنسا فى ذلك الوقت هو العلم الخاص بدير القديس دنيس St. Denis ولونه أحمر ، وهو مشقوق من جانبه الطليق ليبدو كالسنة النار عندما يرفرف . وكان فى اول الامر شعارا لرجال الدير ثم اصبح شعارا لملوك فرنسا منذ عهد فيليب اغسطس وابنه لويس الثامن ، بعد ضم مقاطعتى بنتواز وممتت الى الدومين الملكى . كما توجد قطع نقدية ضربها بوهيمند السادس من الذهب والفضة عليها شعار الملك الفرنسى . « المسيح =

مايو/نوفمبر ١٢٥٢م صدق البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) على قرار الموافقة على تولي بوهيمند الحكم في الامارة في سن الخامسة عشرة ، خاصة وأن امرأة - والدته - لا يمكنها القيام باعباء امارة انطاكية وكونتية طرابلس معا ، أو القيام بالواجبات العسكرية الخاصة بالدفاع عن انطاكية ضد المسلمين(١٨٣) . وهكذا تخلص بوهيمند من وصاية امه ، وخطيت انطاكية بوجود أميرها فيها ليرعى شئونها . ومن جهود الملك لويس لمساعدة امراء انطاكية والتي جنى ثمارها بوهيمند السادس هو مساعى الملك الفرنسي لانهاء الخلاف بين بوهيمند الخامس وهيثوم الاول ملك الارمن القيليقي . فحين وصلته رسل بوهيمند وهيثوم في قبرص قبل هجومه على مصر ، فقد توسط الملك لعقد الصلح بين الامير الصليبي والملك الارميني ، وتحسنت العلاقات بين الطرفين(١٨٤) . وبعودة بوهيمند السادس الى انطاكية عمل على التقارب مع هيثوم ، وتوثقت عرى الصداقة بزواج بوهيمند السادس من سيبل Sibylle ابنة هيثوم في سبتمبر ١٢٥٤م/شعبان ٦٥٢هـ أي بعد مغادرة لويس لبلاد الشام بعدة أشهر(١٨٥) . وكان هذا الزواج بداية تحالف انطاكي أرميني راح يقوى على مرالايام (١٨٦) . وكان الفضل في أن يحل الوئام بين الأرمن

يقهر ، المسيح يحكم ، المسيح يهيمن »
«Christus Vincit Christus regnat, Christas imperat»
وهو الهتاف الذي صيح به أول مرة عند تتويج شارلمان امبراطورا في ٨٠٠م والذي اعتيد الصياح به عن تويج الملوك في أوربا بعد ذلك . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٣٠٩ ، حاشية رقم ٢ . راجع ايضا :
Shulmberger, Numismatic des croisades, p. 54; C. Jordan, Louis IX and the Challenge of The Crusades; pp. 132-133; H. Thurston, Acclamations, in The Catholic Encyclopaedia, Vol. 1, pp. 97-99.

(١٨٣) Innocent IV, Pope, Registers, Vol. 3, no. 507, p. 126.

(١٨٤) Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Lib. XXXI, Ch. 96; Marino Sanudo, Liber secretorum, p. 220.

(١٨٥) وتزوجت ابنة أخرى لهيثوم من باليان حاكم صيدا في عام ١٢٥٦م . انظر :
Eracles, p. 412, Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 242.

(١٨٦) Cahen, La Syrie du Nord, p. 702.

وصليبيى انطاكية الى الملك لويس الذى كانت له المبادرة فى قيـام هذه العلاقة الجديدة التى أفادت انطاكية كثيرا . فقد توسط هيثوم لانهاء كل الخلافات القديمة بين جماعة الاسبتارية وامارة انطاكية : وقبل بوهيمند عقد صلح كامل مع هيو ريفل «Hague Revel» مقدم الاسبتارية (١٨٧) ، أعاد بوهيمند بمقتضاه كل الاراضى التى استولى عليها أمراء انطاكية من الجماعة منذ عهد بوهيمند الرابع ، وذلك فى ابريل ١٢٥٩م/جماد أول ٦٧٥هـ(١٨٨) . كما توسط هيثوم بين بوهيمند السادس وأتباعه الثائرين ضده فى طرابلس لانهاء الخلاف بين الطـرفين ولتحقيق خضـوع هؤلاء للامير الانطاكى(١٨٩) . وفى ١٢٦٣م/٦٦١هـ ساعد هيثوم صهره بوهيمند فى التلخص من التهديد باغرقة انطاكية(١٩٠) . واهم من كل ذلك فقد أدخل هيثوم امارة انطاكية وبوهيمند فى التحالف مع المغول الامر الذى - وان جعل من انطاكية هدف المسلمين وعجل بنهايتها - افاد انطاكية فى استرداد بعض أملاكها التى ضاعت منها منذ أيام صلاح الدين(١٩١) .

---

(١٨٧) تم هذا الصلح فى عام ١٢٥٩م بفضل مساعى هيثوم الاول ، وقد تولى هيوريفل منصب مقدما لاسبتارية (١٩ أكتوبر ١٢٥٨ - ١١ ابريل ١٢٧٧م) بعد وليم دى شاتينوف (٣١ مايو ١٢٤٣ - ٢٠ فبراير ١٢٥٨م) . انظر :
Grousset, Historie des Croisades, t. 3, p. 516; Delaville Le Roulxe Les Hospitaliers, p. 214.

(١٨٨) وقع الطرفان على معاهدة تصالح بينهما ووعد بوهيمنـد بأن يعيد الى الاسبتارية كل ما كان قد صـادره من قرى واراضى ، ومنحهم حرية التجارة دون تحصيل اية رسوم على تجاراتهم فى كل أنحاء أملاكه . واتفق الطرفان على اللجوء الى التحكيم فى مسالة الضرائب الجمركية والاعفاء منها فى انطاكية . انظر :
Inventaire des pièces de Terre Saint de L'Ordre de L'Hopital, ed. J. Delaville Le Roulx, in R.O.L., Vol 3, 1895, no 313, p. 95.

(١٨٩) عن هذه الخلافات انظر ما يتقدم من هذا الفصـل ، ص ٤٠١ وما بعدها .

(١٩٠) خلف يوثيميوس بطريرك انطاكية اليونانى ، ونقل الى أرمينيا باتفاق بين بوهيمند وهيثوم انظر :
Runciman, Vol. 3, p. 319.

(١٩١) لم يكن هجوم المماليك على انطاكية بعد انتصارهم فى عين جالوت =

وهكذا فان التحالف الوثيق بين بلاطى انطاكية وسيس ، وتكوين كتلة فرنجية ـ ارمينية على خليج الاسكندرونة يعد أخطر العقبات التى يمكن أن تواجه المسلمين . وكان ذلك من الاعمال التى دامت لسنوات طويلة والتى تعزى الى لويس التاسع .

واذا كانت مساعدات لويس لانطاكية تعد من أهم انجازاته تأثيرا بالنسبة لصليبيى الشام ، واذا كان بوهيمند الخامس لكل الاسباب التى دفعته من قبل الى مسالمة المسلمين ـ وربمـــا لأنه لم يعش طويلا ـ لم يستغل فرصة حصوله على الامدادات الفرنسية فى القيام بعمـل ضـــد المسلمين ، فان بوهيمند السادس لم يأت بجديد . فالى جانب عدم قيامه بأى عمل عسكرى ضدالمسلمين ، فان موقفه تجاه حملة لويس لم يتغـير عن موقف أسلافه منذ بوهيمند الثالث . فهو ـ بوهيمند السادس ـ قد استفاد من وجود الملك الفرنسى فى بلاد الشام . فتمكن من التخلص من وصاية امه ، وتولى الحكم فى امارته ، وحصل على الاسـلحة والاموال اللازمة لتقويتها الى جانب وجود القوات الفرنسية لديه ، وأخيرا تحسن العلاقات بينه وبين الارمن . وبالطبع لم تكن حملة لويس فى حاجة الى مساندة أمير انطاكية . فعندما وصلت الحملة الى مصر لم يكن بوهيمنـد يمتلك من أمره شيئا وهو تحت وصاية امه . الى جانب استمرار الغارات التركمانية على انطاكية ، بينما كان مسلمو حلب تحت حمـاية المغول الذين اقترب خطرهم(١٩٢) . وفى الوقت الذى لم يتمكن فيه بوهيمنـد من أن يحيد عن سياسة أبيه السلمية تجاه المسلمين من جيران انطاكية ، فان من حسن حظه أن المسلمين أنفسهم قد انشغلوا فى الخـلافات التى نشبت بين الناصر صاحب حلب ودمشق ، وبين المماليك فى مصر . ولذلك كله بدا أن قبائل التركمان الرحل هم الذين تولوا مهمة الصراع ضـــد الصليبيين فى شمال الشام نيـابة عن بنى أيوب حتى يأتى الوقت الذى يتولى فيه المماليك المهمة التى لم يتحمل القيام بهـا غيرهم منذ موت صـلاح الدين .

= سوى انتقاما من بوهيمند لتحالفه مع التتار ، ذلك التحـالف الذى جره اليه صهره ملك قيليقية الارمينى هيثوم الاول . انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٤١٤ .

(١٩٢) انظر ما يتقدم من الفصل الخامس ، ص ٤١٤ .

لم تكن قدسية لويس التاسع وورعه ، أو حتى اعادة بناء بعض استحكمات المدن الصليبية التى قام بها ، هى ما كان يحتاجه الصليبيون ، بقدر ما كانوا فى حاجة الى ملك يرعى شئونهم ويوحد كلمتهم . وفى الحقيقة فقد قام لويس ، دون قصد ، بدور الحاكم الفعلى «de Facto» لمملكة بيت المقدس – برضاء كل الفرنج الذين أنكروا ذلك المنصب على الامبراطور فريدريك من قبل – فى غياب حاكمها الشرعى «de Jure» (١٩٣) . فكانت للملك لويس السيادة على كل طوائف الفرنج(١٩٤) . لذا لم يشذ عن السياسة التى اختطها الملك أى من حكام الصليبيين فى بلاد الشام ، وصارت الامور طوال فترة وجود لويس فى الشرق وكان الصليبيين جميعا شعب واحد فى مملكة مغايرة تماما عن تلك التى تركها فريدريك عند رحيله من عكا الى أوربا(١٩٥) . الا أن حملة لويس التاسع ، فبقدر ما قدمت لنا الكثير عن شخصية الملك الذى يبدا

---

(١٩٣) مات هنرى الاول ملك قبرص فى يناير ١٢٥٣م وأصبحت زوجته بليزانس وصية على المملكة وابنها الملك الطفل هيو الثانى . ولما لم تحضر الى عكا ، فلم يعترف بارونات مملكة بيت المقدس بوصايتها على المملكة نيابة عن ابنها الذى يلى كونراد الثانى ملك المانيا فى حق وراثة المملكة ؛ فقد تولى حنا ابلين حاكم ارسوف أمور المملكة ، بينما تولى الملك لويس الادارة الفعلية للحكومة . انظر :

Eracles, pp. 441-442; J. Rliey-Smith, The Feudal Nobility, p. 216, Hill, History of Cyprus, Vol. 2, p. 149.

(١٩٤) خضع له بوهيمند أمير انطاكية كسيد أعلى له ،عندما نصبه لويس فارسا فى يافا . ثم خضع له مقدم الداوية وقبل العقوبة التى وقعها عليه الملك حين تفاوض مع الناصر داود بشأن قطعة أرض كان الداوية يستخدمونها دون مناصفتها مع الناصر . وكان ذلك يمثل علاقة بالفرنج مع ملك دمشق فى الوقت الذى اتفق فيه لويس مع المماليك ضد الاخير . ورأى لويس فى ذلك تعديا على سلطاته فامر بنفى مارشال الداوية من المملكة ولم تشفع له توسلات الملكة مارجريت زوجة لويس ولا حتى ركوع فرسان الداوية ومقدمهم وهم حفاة أمام الملك . انظر :

Joinville, pp. 263-264.

(١٩٥) Jean Richard, Saint Lous, Roi d'un France Féodale, Soutien de la terre Sainte, p. 254.

به فى أوربا عهد جديد ، وسياسة جديدة(١٩٦) ، بقدر ما كانت مشروعا صليبيا فاشلا ، مثل الحملة الثانية ، وان كان أثر الصدمة الناجمة عن فشل حملة لويس قد امتد الى غرب أوربا(١٩٧) . واذا كانت آثار فشل الحملة على أوربا معنوية ، فانها بالنسبة لمملكة بيت المقدس كانت مادية ذات ضرر بالغ ، فقد خسر الفرنج الكثير من المقاتلين(١٩٨) . كما ان دبلوماسية لويس لم تحقق شيئا بالنسبة لصليبيى فلسطين . فقد جعل توسط الخليفة العباسى بين الايوبيين فى دمشق والمماليك فى مصر محاولة لويس للانتفاع بالخلاف بين هؤلاء وتحالفه مع المماليك حبرا على ورق(١٩٩) . ولم يسترد الملك بيت المقدس ، كما لم يكن اتصاله بالحشيشية ذات نفع ، وأخيرا فشلت اتصالاته بالمغول أعداء الاسلام . لذلك كانت مساعداته لانطاكية الى جانب أعمال التحصينات التى قام بها فى بعض مدن مملكة بيت المقدس هى اهم انجازات حملته . الا ان هذه التحصينات لم توحد كلمة الفرنج ، فبرحيل الملك الفرنسى ، ولافتقار من تولوا أمور المملكة الصليبية الى قوة الشخصية ، فقد عادت الفرقة الى صفوف الفرنج ، ودب الخلاف بين كل طوائفهم . وعاد الصليبيون يتناسون الهدف من قدومهم الى الشرق الاسلامى ، وثبت حقا ان الرحلة من اجل « المدينة المقدسة « «Sancta Cuitas» (٢٠٠) لم تكن الا مشروعا خاصا بكنيسة روما وحدها ، بينما أصبحت هذه

---

(١٩٦) تغيرت الاوضاع فى غرب أوربا فى القرن الثالث عشر الميلادى/ القرن السابع الهجرى عن القرن السابق له ، ففى منتصف القرن الثالث عشر كانت النهضة الاوربية الوسيطة قد اخذت تاتى أكلها ، وأدت بالمجتمع الغربى الى التفكير فى آمال جديدة ومثل جديدة ، واهداف جديدة أو حياة جديدة . انظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(١٩٧) كان التساؤل الذى ساد أوربا فى ذلك الوقت هو «كيف تفشل حملة يقودها قديس مثل الملك لويس » وكان من الضرورى البحث عن كبش فداء لهذا الفشل . وتمثل ذلك فى الكنيسة ورجال الدين الذين دعوا لهذه الحملة . انظر :

P.A. Throop, Criticism of Papal Crusading policiy, pp. 400-404.

(١٩٨) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p.

(١٩٩) Jean Richard, La Poltique Orientale des saint Louis, p. 206.

(٢٠٠) Oridric Vitalis, Historia Ecclesiastica, Vol. 5, p. 6.

هذه الرحلة من أجل المصالح التجارية التى أذهبت ريح الفـرنج بسبب الحرب الاهلية التى بدات بين جاليات المدن الايطالية البحرية فى عكا ، وشملت طوائف الفرنج من انطاكية شمالا حتى يافا جنوبا • وفى الحقيقة لم تكن تلك الحرب الاهلية وليدة الساعة ، بل انهـا ترجع الى بداية القرن الثالث عشر الميلادى أوائل القرن السابع الهجـرى • فاذا كانت الموانى الاسلامية فى بلاد الشام ومصر لم تجذب اليها قبل بدء الحـركة الصليبية من تجار أوربا غير تجار مدينـة أمالفى الذين كانوا يقـومون بتنظيم عمليات الحج الى الاراضى المقدسة ، فان الحـروب الصليبية قد فتحت أسواقا رائجة فى الشرق الاسلامى امام تجار بيزا وجنوا والبندقية • وفى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى أواسط القرن السابع الهجرى ، كان الرخاء التجارى للجاليات الايطالية فى الشرق قد وصـل الى اقصى درجاته • فسنوات الســلام بين المسلمين والصليبيين التى سبقت عام ١٢٤٤م/٦٤٢هـ قد سمحت بنمـــو العمليـــات التجــارية بين الشرق والغرب(٢٠١) • وفى نفس الوقت أيضا كانت الامتيازات التى حصلت عليها الجاليات الايطالية ــ المتحكمة فى تجارة الشرق ــ من الحـــكام الصليبيين قد زادت بدرجة من لم يكن من السهل معهـا ان يكون لملوك بيت المقدس انفسهم اية سلطة على قومونات هذه الجاليـات الايطـالية والبروفنسالية والقطلانية • وبتعدد جنسيات التجار الاوربيين فى المدن الساحلية التى يسيطر عليها الصليبيون ، ولتمييز الميـدان التجـارى بشدة المنافسة ، فقد كان لابد وأن تتعارض المصالح ، وتنشأ المنازعات ، ولم يكن من السهل التدخل لفض هذه المنازعات للحكم فيها ، لضعف شخصية الاوصياء على مملكة بيت المقدس من جهة ، ولازدياد نفـــوذ

---

(٢٠١) Jean Richard Colonies marchandies Privilégiees et march Seigneurial, in Moyen Age, Vol. 59, 1935, pp. 325-340; J. Riley-Smith, Government in Latin Syria and the commercial Privileges of foriegn merchants, in Relations between East and West in Middle Ages, ed. Baker, Edinburg, 1973, pp. 116-118; Cahen, Notes Sur L'Histoire des Croisades III, In B. F.L.S., Vol 8, 1951, p 328

وسلطات قناصل وقومونات الجاليات التجارية من جهة أخرى(٢٠٢) . وكان النزاع قد بدأ بين البيزاوية والجنوية فى مارس ١٢٤٩م/ذى الحجة ٦٤٦هـ(٢٠٣) . وفى ١٢٥٠م/٦٤٨هـ نشب القتال بين الجنوية والبنادقة(٢٠٤) . وفى ١٢٥٦م/٦٥٤هـ تجدد النزاع بين الجنوية والبنادقة مرة أخرى فى عكا حول ملكية دير القديس سابا St. Saba الواقع على التل الذى يفصل بين حى الجنوية وحى البنادقة فى المدينة . وادعى كل من الطرفين أحقيته فى امتلاك الدير بناء على قرار من البابا الكسندر الرابع(٢٠٥) . وسارع الجنوية بتملك الدير واندفعوا بمصاحبة البيزاوية الذين تحالفوا معهم الى حى البنادقة وسفنهم ونهبوها جميعا(٢٠٦) . وسرعان ما تحول هذا الشجار الى حرب أهلية شملت كل بارونات الشرق الفرنجى . فتدخل فيليب مونتفورت حاكم صور لصالح الجنوية منتهزا الفرصة لطرد البنادقة من مدينته التى يستحوذون على ثلثها . كما تحالف الجنوية مع حنا ابلين حاكم أرسوف والوصى على مملكة بيت المقدس ، الذى كان ابن عمه حنا سيد يافا سيساند البيزاوية ، وبمساعدة سيد أرسوف هاجم الجنوية برج البيزاوية فى عكا ونهبوه لتحالف الاخيرين مع البنادقة(٢٠٧) . وكانت هذه هى آخر انتصارات الجنوية .

---

(٢٠٢) Jean Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. B, pp. 356-357.

(٢٠٣)* اضطر لويس التاسع أن يؤجل من رحيله من قبرص الى مصر حتى شهر مايو من السنة بسبب ذلك النزاع الذى وقع فى عكا بعد أن نجح حنا ابلين حاكم أرسوف فى عقد الصلح بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات . انظر : Eracles, pp. 436-437.

(٢٠٤) Annale Januenses, in M.G.H.S., Vol. XVIII, p 238

(٢٠٥) Heyd, Histoire de Commerce, t. 1, pp. 244 ff.

(٢٠٦) Eracles, p. 443.

(٢٠٧) فى ١٨ يوليو عام ١٢٥٧م/٤ رجب ٦٥٥هـ عقدت معاهدة بين مدينتى بيزا والبندقية للدفاع المشترك ، وذلك بسبب النزاع الذى قام بين بيزا وجنوا حول مدينة القديسة جيليا «Santa Gilia» فى جزيرة سردينيا . انظر :
Eracles, p. 443. CF. Also, Heyd, Histoire de Commerce, t. 1, p. 346.

فقد أرسلت البندقية أسطولا بقيادة لورنزو تيبولو «Lorenzo Ticpolo» الذى اقتحم السلسلة التى مدها الجنوية لسد الميناء الداخلى ، واستطاع البنادقة السيطرة على الميناء ، وأحرقوا عدة سفن جنوية ، ونزلوا الى الرصيف واستولوا على دير القديس سابا الذى حوله الجنوية الى حصن لهم . وتمكن البنادقة من حرق عدة سفن للجنوية كانت راسية بالقرب من أرسوف ، وأصبحت عكا فى متناول ايديهم بعد أن حوصر الجنوية فى الحى الخاص بهم(٢٠٨) . وبنهاية عام ١٢٥٧م/نهاية ٦٥٥هـ كان كل حكام الشرق اللاتيني قد تورطوا فى هذا النزاع(٢٠٩) . فلم يعد حنا سيد أرسوف يساند الجنوية ، وانضم الداوية والتيوتون والبرفنساليون الى البنادقة والبيزاوية ، بينما ساند الاسبتارية والقطلانيون جانب الجنوية(٢١٠) . وفى ول فبراير ١٢٥٨م/٢٤ محرم ٦٥٦هـ وصل الصراع الى درجة لم يكن من السهل معها عقد اى صلح بين الطرفين ، وذلك بوصول بوهيمند السادس امير انطاكية الى عكا ، بصحبة اخته بليزانس أرملة هنرى الاول ملك قبرص ، وابنها هيو الثانى وريث مملكة بيت المقدس . وحاول بوهيمند الحصول على اعتراف بحق ابن اخته فى الحكم تحت وصاية أمه - وبالطبع قوبل طلبه بالرفض من قبل الجنوية وحلفائهم من الاسبتارية والقطلانيين . وكان بوهيمند قد تم استدعاؤه بواسطة مقدم الداوية وكونت يافا ــ وكلاهما من مؤيدى البنادقة ــ لعقد الصلح ، وقد كان ذلك كافيا لتمسك الجنوية والاسبتارية بحق كونراد الثالث فى حكم المملكة . ولما غضب بوهيمند لذلك التحدى ، عاد مع اخته الى طرابلس بعد أن فازت بالوصاية على المملكة . وأصدر بوهيمند تعليماته لنائب اخته ــ حنا حاكم أرسوف ــ بانه « اذا لم يطلب الاسبتارية والجنوية والقطلانيون العفو ، فعليه ــ سيد ارسوف ــ ان يوقع عليهم اشد العقاب . وعليه الا يدخر اموال الامير ــ بوهيمند ــ لأنه لديه ما يكفيه » وهكذا لم يفتح بوهيمند خزائنه فقط لهذا الغرض ،

---

(٢٠٨) Annales Januenses, p. 240; Eracles, p. 447; Gestes des Chiprois, pp. 742-748.

(٢٠٩) Jean Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. B., p. 365.

(٢١٠) Runciman, The Crusader states, 1243-1291, in Setton, pp. 568-569.

بل أنه أمد جنـــا بثمانمائة جنـــدى فرنسى لدعم موقفه ضد الجنوية وحلفائهم(٢١١) . وفى يوليو ١٢٥٨م/٣ رجب ٦٥٦هـ أصدر البـــابا الكسندر الرابع أوامره لأطراف النزاع بوقف القتال بينهم فى خلال ثلاثة أيام ، وعقد هدنة مباشرة ، ووصل الى سوريا منـــدوب عن كل جاليـــة لتنفيذ أوامر البابا . الا أن جنوا كانت قد ارسلت اسطولا فى يونية من نفس العام حيث توجه الى صور ليصحب بقية السفن الجنـوية الراسية هناك الى عكا ، بينما توجه عبر الطريق البرى فيليب مونتفورت ودارت معركة بين الحلفاء وبين البنادقة فى ٢٤ يونية ١٢٥٨م/٢٠ جمـــاد ثان ٦٥٦هـ ، انتهت بهزيمة الجنوية وفقـدهم لغالبية سفنهم وارتدادهم الى صـور تاركين عكا نهائيا(٢١٢) . وهكذا انقسمت مملكة بيت المقـدس الصليبية الى شطرين متعاديين ، عكا ويسيطر عليها البنادقة ، وصور ويســـيطر عليهـــا الجنـــوية(٢١٣) . وفشـلت مســـــاعى توماس آجنى اسقف بيت لحم ، المنـــدوب البـــابوى الذى وصــل الى عكا فى ابريل ١٢٥٩م/جمادى أول ٦٥٧هـ ، لفض النزاع بعد ان رفض كل من البنادقة والبيزاوية عودة الجنوية الى حيهم فى عكا(٢١٤) .ولم يعوض الجنوية خسارتهم فى بلاد الشام سوى احتـــلالهم مكانة البنـــادقة فى القسطنطينية التى استردها البيزنطيون فى ٢٥ يولية ١٢٦١م/٢٦ شعبان ٦٥٩هـ بمساعدة الجنوية الذين لم يكن يهمهم فى صراعهم مع البنـادقة أن تـكون الخســـارة عــلى الجـــانبين - فى بـــلاد الشـــام وفى بيزنطـــــة - من نصيب الصليبيين(٢١٥) . وبالرغـــم من

---

(٢١١) MS. of Rothelin, pp. 634-635-Ann. T.S., pp 447-448 Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 220.

(٢١٢) Ann. T.S., pp. 448-449; Annales Januenses, p. 240; Eracles, p. 445.

(٢١٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١١١٠ .

(٢١٤) Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 221; Ann. T.S., pp. 248-249

(٢١٥) كان الامبراطور ميخائيل الثامن باليو لوج (١٢٥٩ - ١٢٨٢م) هو آخر أباطرة بيزنطـة فى نيقيـة . ولأن القسطنطينية ، التى استولى عليها صليبيو الحملة الرابعة بمساعدة البنادقة ، كانت تحيط بها المياه من ثلاث جهات وقوية الاستحكامات من الجهة الرابعة ، ولا يمكن مهاجمتها برا ، فقد كان على باليو لوج أن يهاجمها من جهة البحر ، ولم يكن يشكل ماله عقبة سوى حاجته الى =

ذلك لم يقلع الجنوية عن محاولة اســترداد املاكهم فى عكا ، دون أن يستطيع أى من حكام الصليبيين التوسط بين الطرفين(٢١٦) . ولم ينته الصراع بين الطرفين الا فى عام ١٧٢٠م/٦٦٨هـ بفضــل مســاعى الملك لويس التاسع(٢١٧) . واذا نظرنا الى نتائج الحرب الايطالية فى بلاد

= أسطول لمحاربة الاسطول البندقى الذى سيدافع عن القسطنطينية . لذلك لم يكن امام باليو لوج سوى الاستعانة بالجنوية . فعقــد معهم اتفــاقية فى ١٠ يوليو ١٢٦١م ، كان من أهم بنــودها العشرة : أن يكون التحالف دائما بين باليولوج والجنوية لقتال البنادقة ، وأن يمده الجنوية بخمسين سفينة يمونها على نفقته لاسترداد العاصمة البيزنطيــة ، وأن يكون للجنــوية الحق فى التجارة فى كل انحاء أملاك باليو لوج الحالية والتى سيساعدوه فى استردادها من اللاتين ، وأن يعفى الجنوية من دفع اية رسوم على عملياتهم التجارية على أن يعامل التجــار اليونانيون فى جنوا بالمثل . وان يكون للجنوية كنيســة وحمــاما ومنــازل خاصة فى كل مدن الامبراطورية . وأن يحكم الجــالية الجنوية قناصل من جنوا ، وتكون لهم محــاكمهم الخاصة بهم . وأن يقصى التجار من المدن المنافسة لجنوا ـ ماعدا البيزاوية ـ من كل مدن باليــو لوج . وان تحول الى الجنــوية كل امتيــازات وأملاك البنادقة فى القسطنطينية اذا ما تم استردادها . وأخيرا يعتبر الامبراطور البيزنطى أن الجنوية اتباع له . انظر :

Dolger, Regesten, Vol. 3, no. 1890. CF. also, D.J. Geanakoplos, Emperor Michael Palaeologus and the West, Harvard, 1973, pp. 87-89; A. Vasiliev, History of the Byzantine Empire pp. 538-539.

(٢١٦) يذهب البعض الى أن الجنوية عقدوا تحالفا مع السلطان الظاهر بيبرس لمهاجمة البنادقة فى عــكا . ودليلهم على ذلك ظهــور بيبرس امام عكا فى ١٧ ابريل ١٢٦٣م/٥ جمادى الآخرة ٦٦١هـ كماذ كر المقريزى ، الا أنه لا يوجد ما يؤيد ذلك الرأى . فكل من أتى من رسل الفرنج ومنهم رسل فيليب مونتفــورت حليف الجنوية والذى من الممكن أن يتفاوض مع بيبرس نيابة عنهم ، قد جاء بطلب الهدنة مع بيبرس كما يفهم من رواية المقريزى . انظر المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٨٤ ، ٤٨٨ ــ ٤٨٩ ، راجع ايضا : ســعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١١١٠ ــ ١١١١ .

(٢١٧) فى سبتمبر ١٢٦٣م/٢ ذى القعدة ٦٦١هـ حاول البنادقة الاستيلاء على صور فشلوا . ولم ينتج عن ذلك الا حصول الجنوية على =

الشام ، فانها بذرت بذور الخلاف بين كل طوائف الصليبيين فى المنطقة . وأكثر الضرر وقع بمدينة عكا عاصمة الصليبيين ، حيث تهدم الجزء الاكبر من مبانيها واستحكاماتها الى جانب ذلك فقد قتل من الصليبيين ما يقرب من عشرين ألف شخص ، واحرقت ثمانون سفينة فى الميناء حسب احصائية روتلان(٢١٨) . وهكذا فبدلا من تدعيم الجاليات الايطالية لموقف المملكة الصليبية فى الشرق ، فانها مزقتها بسبب المنافسة والمصالح الشخصية المتضاربة ، واوقعت بها ضررا لم يكن فى امكان المسلمين انفسهم أن يوقعوه بها كما يقرر روتلان(٢١٩) . وأهم مظاهر هذا التمزق الذى اصاب صفوف الفرنج جميعا فى بلاد الشام كنتيجة لانغماسهم فى الحرب الاهلية ،هو ما حدث من خلاف بين بوهيمند السادس امير انطاكية ـ بصفته كونتا لطرابلس ـ وبين اتباعه فى جبيل ، ولم يكن هذا الخلاف الا حربا اهلية اخرى نشبت فى كونتية طرابلس ، وكان لها تاثيرها على انطاكية بالطبع . فمن الطبيعى أن ياخذ حكام جبيل ـ وفاءا لاصلهم الايطالى ـ صف الجنوية فى حرب دير القديس سابا(٢٢٠) . وعندما

= كل امتيازات البنادقة فى صور . وفى اغسطس ١٢٦٧م/٢ ذى القعدة ٦٦٥هـ هاجم الجنوية عكا ، واستولوا على برج الميناء واحرقوا سفينتين للبنادقة الا ان الاسطول البندقى استطاع ردهم عن المدينة . انظر :

Heyd, Histoire du Commerce, t. 1, p. 355; Jean Richad, The Latin Kingdom, pp. 368-389.

(٢١٨) MS. of Rothelin, p. 635.

(٢١٩) MS. of Rothelin, p. 635.

(٢٢٠) كانت جبيل قد سقطت فى أيدى الفرنج فى عام ١١٠٩م واخذها برتراند دى تولوز بمساعدة الجنوية . وتنازل كونت طرابلس عن اقطاع جبيل لمدينة جنوا التى تنازلت عنه بدورها لأحد مواطنيها وهو وليم امبرياكو الذى شارك فى الحملة الصليبية الاولى . ونجح ابنه هيو الاول (١١١٧ ـ ١١٣٥م) ثم من بعده وليم الثانى (١١٣٥ ـ ١١٥٧م) فى اقامة اقطاع قوى فى جبيل لا يتبع الا سادة طرابلس . واذا كانت سلالة كونتات طرابلس البروفنساليين موالية للجنوية ، فان أسرة نورماندى ـ بواتييه فى انطاكية التى ورثت الحكم فى طرابلس بعد موت ريموند الثالث قد احتفظت بكل ولائها للبنادقة . انظر :

E. Rey, Les Seigneurs de Giblet, in R.O.L., Vol. 3, Paris, 1906, pp. 399-402.

وصل بوهيمند الى عكا كان الجنوية يسيرون فى احد شوارع المدينة اثناء قتالهم ضد البنادقة ، وتصادف مرور بوهيمند واتباعه من الفرسان الذين كان من بينهم برتراند الثانى ابن عم هنري حاكم جبيل(٢٢١) . وحاول بوهيمند اجبار تابعه على مشاركته فى قتال الجنوية ، ولم يقبل بوهيمند توسلات تابعة كى يعفيه من القيام بذلك ضد بني جلدته ، وعندما أجبره بوهيمند على الاشتراك فى القتال وضع برتراند رمحه خلف ظهره وصاح فى الجنوية « انتى برتراند حاكم جبيل » ولم يشأ أن يقاتلهم ، فاستبد الغضب ببوهيمند(٢٢٢) . ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد فى الخلاف بين بوهيمند وسادة جبيل.بل،ان هنرى حاكم جبيل نفسه الذىلم يكن علىوفاق مع سيده بوهيمند ، واعلن استقلاله عنه بمساعدة الجنوية وذلك فى اكتوبر ١٢٥٢م/شعبان ٦٥٠هـ،لم يكن يستطيع الذهاب الى طرابلس دون الحصول على اذن بالمرور عن طريق مقدم الداوية . كما أن هنرى قد ساعد الجنوية صراحة فى صراعهم ضد البنادقة حلفاء بوهيمند . فقد اتى اليهم فى عكا بامدادات كثيرة مما زاد من هوة الخلاف بين الامير واتباعه(٢٢٣) . وقد استغلت أسرة أمبرياكو توتر العلاقات بين بوهيمند وبارونات طرابلس ، وقاموا بثورة شاملة ضده . ففى طرابلس استوطن كثير من أفراد أسرةالاميرة لوسىأم بوهيمند السادس منالايطاليين،وشغلوا اعلى المناصب فى الكونتية بمساعدة الام(٢٢٤) واثار ذلك سخط البارونات

---

(٢٢١) وهو برتراند الثانى وينتمى الى برتراند الاول ثالث ابناء وليم الثانى حاكم جبيل . انظر :

F. Rey, Les Seigneurs de Giblet, pp. 410-411.

(٢٢٢) Gestes des Chiprois, p. 744.

(٢٢٣) هنرى حاكم جبيل (١٢٥٢ - ١٢٦٢م) ابن جى الاول . انظر :

Gestes des Chiprois, p. 748. CF. also, E. Rey, Les Seigneurs de Giblet, pp. 403-404.

(٢٢٤) شغل شقيقها بول الثانى منصب اسقف طرابلس (١٢٦١ - ١٢٨٥) بعد موت اسقفها السابق أوبيزو Opizo (١٢٤٩ - ١٢٥١م) انظر :

B. Hamilton, The Latin Church, p. 236. E. Rey, Histoire des Prince d'Antioche, p. 400.

الفرنج فى الكونتية ، وكان من بين هؤلاء وليم حاكم البترون(٢٢٥) أحد ابناء عمومة بوهيمند الذى تحالف مع برتراند امبرياكو ، وثار الجميع ضد بوهيمند . وفى ١٢٥٨م/٦٥٦هـ(٢٢٦) حصل الثوار على مساعدة الامبرتارية ، وحاصروا بوهيمند فى طرابلس . وحاول بوهيمند القيام بهجوم من داخل المدينة ، ولكنه انسحب الى مدينته بصعوبة بالغة ، وتبعه برتراند حتى أبواب طرابلس وأصابه بجرح فى كتفه . وبقى بوهيمند محاصرا داخل طرابلس حتى أسعفه حلفاؤه من الداوية بالنجدة التى فكت حصاره . وسعى بوهيمند للانتقام ، فتم اغتيال برتراند اثناء زيارته لاحدى القرى التابعة له(٢٢٧) . واذ شعر بوهيمند بالارتياح ، فان هنرى حاكم جبيل وابن عم برتراند بقى على استقلاله عن سلطة بوهيمند بمساعدة الجنوية ، وتراجع وليم حاكم البترون الى عكا . الا أن العداء لم ينته بين بوهيمند السادس وأسرة امبرياكو الا بانتهاء الامرتين معــا(٢٢٨) . وهكذا شغل كل حكام الصليبيين فى بلاد الشام بالصراع بين الجنوية والبنادقة ، ذلك الصراع الذى أشاع الفرقة بين صفوفهم فى الوقت الذى كانوا فيه فى أشد الحاجة الى الوئام والتآلف ، حيث وصل الخطر المغولى من الشمال ، بينما الخطر المملوكى ينمو فى مصر . ولم تكن امارة انطاكية بمنأى عن التأثر بنتائج هذا الصراع . فقد ترك بوهيمند كل الفرقة الفرنسية ، التى بعث بها لويس التاسع للدفاع عن انطاكية وهو بقبرص ، فى عكا . وبذل من الاموال – لدعم البنادقة ، ولدعم حقوق ملك قبرص فى المملكة الصليبية – ما كانت انطاكية فى أشد الحاجة اليه . وهكذا جاءت فترة حكم بوهيمند الخامس

---

(٢٢٥) ويقع حصن البترون جنوبى طرابلس مباشرة على الساحل . وقد انتقلت سيادة البترون فى ١١٨٠م/٥٧٦هـ الى احد التجار البيزاويين ويدعى بليبانو ، الذى تزوج بوريثة الاقطاع الذى صار ملكا لهذا الفرع من أسرة أمراء انطاكية . وكان وليم هو ابن حنا سيد البترون الذى مات مع أخيه وليم فى معركة غزة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ فتولى حكم البترون بعد والده . انظر :

Eracles, p. 51; Gestes des Chiprois, p. 750, n. a.

(٢٢٦) Gestes des Chiprois, pp. 748-749.

(٢٢٧) Gestes des Chiprois, pp. 749-750.

(٢٢٨) Gestes des Chiprois, p. 750.

والست سنوات الاولى من حكم بوهيمند السادس لتميز فترة شاذة من فترات تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية وجيرانهما المسلمين . وهى فترة سادتها العلاقات السلمية بين الطرفين . فقد اتبع امراء انطاكية فيها سياسة سلمية خالصة تجاه جيرانهم المسلمين . واذا كانت ظروف بوهيمند السادس لم تمكنه من القيام بعمل عسكرى ضد المسلمين فى بلاد الشام لوقوع مسلمى حلب تحت حماية المغول ، ولتورطه هو فيما شجر من خلافات شملت كل طوائف الصليبيين فى المنطقة وشغلته عن واجبه الصليبى ، فان اتباع بوهيمند الخامس لنفس السياسة لم يكن الا لضعف شخصيته ، ثم لقلة موارد امارته فى الوقت الذى حرم فيه من مساعدة جماعتى الداوية والاسبتارية لخلافاته معهما ، وهما المورد الوحيد الذى كان يمكن أن يمد له يد المساعدة . ثم وقوع انطاكية فريسة لهجمات التركمان التى اجهدت سكان المدينة ، فهجروها بعد ان ساءت احوالها الاقتصادية واصبحت لا تجد من يدافع عنها فى الوقت الذى اقترب فيه الخطر المغولى من بلاد الشام ، حيث اصبح على الصليبيين والمسلمين على حد سواء تدبير أمورهم استعدادا للدفاع عن أنفسهم . وكان على انطاكية نفسها ان تتخذ سياسة تحميها من الخطر المغولى من جهة ، ومن الخطر المملوكى من جهة أخرى ، ولم تكن هذه السياسة سوى التحالف مع الارمن ثم مع المغول أنفسهم ، الامر الذى سبب وضع نهاية لتاريخ الامارة الصليبية نفسها . وهذا ما ستكشف عنه الصفحات التالية .

الفصـل الخـامس

سـقوط امارة انطاكية الصليبية

(١٢٥٩ ـ ١٢٦٨م/٦٥٧ ـ ٦٦٦هـ)

١ ـ التحالف الانطـاكي الارميني المغولي ضـد المسلمين (١٢٥٩م/ ٦٥٧هـ) ، وآثاره ٠

٢ ـ سياسة المماليك تجاه انطاكية بعد موقعة « عين جالوت » (١٢٦٠ ـ ١٢٦٨م/٦٥٨ ـ ٦٦٦هـ) ٠

٣ ـ أحوال امارة انطاكية قبل سقوطها فى أيدى المماليك ٠

٤ ـ سقوط مدينةانطاكية وانتهاء امارتها الصليبية (١٢٦٨م/٦٦٦هـ) ٠

٥ ـ أحوال أمراء انطـــاكية فى طرابلس (١٢٦٨ ـ ١٢٨٩م/٦٦٦ ـ ٦٨٨هـ) ٠

فى الوقت الذى كان فيه نجم صلاح الدين الايوبى آخذا فى الصعود فى أنحاء العالم الاسلامى ، كان هناك نيزك يتحرك على بعد سبعة الاف ميل فى أبعد أصقاع آسيا الوسطى واكثرها عزلة ، وكان مقدرا لهذا النيزك ذى الضوء المهلك أن يأخذ فى الصعود حتى يخضع ويرهب الامم من بحر الصين شرقا حتى المحيط الاطلنطى غربا(١) ولم يكن هذا النيزك سوى الطفل « تيموجين » «Temujin» الذى ولد فى فى عام ١١٦٧م/٥٦٣هـ(٢) والذى عرف باسم جنكيز خان «Chingiz — Khan» ، وقد تلقب به حين تزعم كل قبائل المغول فى عام ١٢٠٦م/٦١٢هـ(٣) ، وبعد أن وضع القانون الذى تمكن بمقتضاه من تنظيم ادارة أمور امبراطوريته(٤) ،

---

(١) Bridge, The Crusades, p. 259.

(٢) Juvaini, p. 35.

(٣) وضعت هويلون «Hoelun» طفلها بينما كان زوجها زعيم القبائل المغولية يسوجاى «Yesugi» يقاتل جيرانه من قبائل التتار . ولما عاد الاب بعد انتصاره على التتار وقتل زعيمهم تيموجين ، علم بمولد ابنه فسماه باسم الزعيم التترى المهزوم تفاؤلا بالنصر على التتار . وعن قبائل المغول ومواطنها وعاداتها وتقاليدها انظر : عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ، القاهرة ١٩٨١م ، ص ٩ ، وما بعدها . راجع ايضا :
Juvaini, p. 35; CF. also : Bridge, The Crusades, p. 256; Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 237.

(٤) عرف القانون الذى وضعه جنكيز خان بـ « الياسا » «Ysa» وهو يحدد حقوق وامتيازات زعماء العشائر المغولية وحقوق الخان نفسه من الخدمات التى يؤديها له اتباعه ، والنظام الضرائبى فى الامبراطورية ، ونظام الخدمة العسكرية الى جانب القوانين الاجتماعية والتجارية ، وقد التزم جنكيز خان نفسه بتنفيذ هذه الشرائع حتى يحتذى به فى ذلك كل شعبه وخلفاؤه . وهكذا وضع جنكيز خان دستورا أدى الى ترابط دولة المغول الشاسعة التى لم تكن عاداتها السابقة تفى باحتياجات المجتمع المغولى والدولة المغولية الجديدة ، وكان لاتباع المغول لهذا الدستور أثره فى ترابط دولتهم وتفوقها وبروزها . وعن مواد قانون الياسا انظر : عبد السلام عبد العزيز فهمى : تاريخ الدولة المغولية فى ايران ، ص ٣٣ ـ ٣٧ . راجع ايضا :
Runciman, A History of the Crusades Vol. 3, pp. 241-242.

وبعـــد ان اصبح تحت امرته أضخم جيش عرفه التـــاريخ حتى ذلك الوقت(٥) ، بدأ جنكيز خان فى التوسع ليكون هو الذى دفع بالمغول الى التـــاريخ العالمى(٦) . وحين مات جنكيز خان فى عام ١٢٢٧م/٦٢٣هـ كانت امبراطوريته تمتد من كوريا شرقا الى فارس غربا ، ومن جنـوب روسيا شمالا الى المحيط الهندى جنوبا(٧) . وفى عهد خلفه اقطـــاى

---

(٥) كان نظام الخدمة العسكرية فى الامبراطورية المغولية يشمل الذكور من ســن السادسة عشرة الى سن الستين ، وبلغ عدد القـوات المغولية أرقاما تعد خيالية فى ذلك الوقت ، وان كان المؤرخون الحديثون قد ذكروا الارقام التى وردت فى المصادر المغولية . ففى حملات جنكيز خان على فارس فى الفترة من ١٢١٩م الى ١٢٢٣م/ ٦١٦ــ ٦٢٠هـ) بلغ عدد قواته ما يقرب من ثمانمائة الف رجل كما يذهب مورجان ، ، بينمـــا يذكر مارتن أن جنكيز خان قد زحف على شمال الصين فى ١٢١١م/٦٠٧/٦٠٨هـ ، ومعه ١١٠ الف مقاتل ، وأنه فى ١٢١٧م/٦٠٨هـ بلغ عدد قواته ١٢٩ الف مقاتل . انظر :

David O. Murgan, The Mongols in Syria, in Crusades and Settlement, ed. P.W. Edbury, Cardiff, 185, p. 232; H. Desmond Martin, The Hongol Army, in J.R.A.S., 1943, pp. 46-48.

(٦) لم يكن الفـرنج فى أوربا أو الشرق اللاتينى قد عرفوا شـيئا عن التتار الا بعد مرور ثلاثين عاما من انتخاب جنكيز خان قائدا لكل قبائل المغول فى مجلس المغول الوطنى « قوريلتاى » «Quriltay» الذى عقد فى ١٢٠٦م/٦٠٢هـ . ولم يكن غير بعض التجار المسلمين والمسيحيين النساطرة الذين ذهبوا الى جوف آسيا حتى الصين هم الذين يعرفون هؤلاء المغول دون الشعور بخطـرهم . فقد وصلت السفارات العربية الى بلاد الصين منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وعرف الصينيون بلاد العرب باسم بلاد تاشى «Tachi» وهو اسم مشتق من كلمة طيىء اسم القبيلة العربية المعـروفة . انظر فيصل السامر : السفارات العربية الى الصـين فى العصـور الوسطى الاسلامية ، مجلة الجامعة المستنصرية ، جـ ٢ ، بغـداد ١٩٧١م ، ص ٣٤٤ . راجع أيضا :

Jean Richard, The Mongols and the Franks, in J.A.H., *Vol.* 111, p. 45; Gregory. G. Guzman, Simon of Saint Qintin and the Dominican Mission to the Mongol *Baiju*, in Speculum, Vol. 46, p. 232.

(٧) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 242 ff.

Ogetei (١٢٢٧ _ ١٢٤١م)(٨) تمكنت القوات المغولية من القضاء على دولة الخوارزمية فى فارس واذربيجان فى ١٢٣١م/٦٢٨هـ(٩) بينما قام باطو «Batu» فى ثلاث سنوات (١٢٣٧ _ ١٢٤٠م/٦٣٤ _ ٦٣٧هـ) من فتح روسيا وتدمير مدينة كييف نفسها ، ثم بدأ فى الهجوم على اوربا نفسها ، ففى ٩ ابريل ١٢٤١م/٢٥ رمضان ٦٣٨هـ ، سحق المغول القوات البولندية وحلفاءها من فرسان التيوتون بقيادة هنرى الثانى دوق سيلزيا «Silesia» فى معـــركة ليجنتز «Liegnitz» (١٠) . ثم اتجه باطو الى بلاد المجر وهزم ملكها بيــلا الرابع «Bela IV» فى ابريل ١٢٤١م/ شوال ٦٣٨هـ ، وكان على باطو أن يعود الى قراقوروم حتى يشـترك فى انتخاب زعيم مغولى آخر خلفا لاقطاى الذى مات فى ١١ ديسمبر ١٢٤١م/ ٥ جمـاد ثان ٦٣٨هـ(١١) . وفى ١٢٤٣م/٦٤١هـ ، تمكن بيجو «Baiju» القائد الذى بعث به باطو ، من هزيمة كيخسرو الثانى سلطان سـلاجقة الروم بالقـرب من أرزيـجـان ، والاسـتيلاء على ارزن الروم وملطيـة وسيواس وقيصرية ، وأخضع السلاجقة وقبلوا دفع الجـزية ، ولم يلبث

---

(٨) تولى اقطاى الحكم كخان اكبر للمغول وهو ثالث أبنـاء جنكيز خان ، بينما اكتفى اخوته ، جغطاى وطولى ، بمامنحهم جنكيز خان من اقطاعات شرقى الصين فى منشوريا وحول نهر امور . وبموت الاخ الثـالث جوجى حاز أبنـاؤه باطو وأوردا وبركة وشـيبان الاقاليم الغربية حتى نهر الفولجا . انظر :

Juvaini, pp. 40-42. CF. also, Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, pp. 248-249.

(٩) انظر ما سبق من الفصل الرابع ، ص ٣٦٤ ، حاشية (٩١) .

(١٠) Juvaini, pp. 268-269.

(١١) بموت اقطـاى تولت زوجته تورجين «Toregene» الوصـاية (١٢٤٢ _ ١٢٤٦م/٦٤٠ _ ٦٤٤هـ) على ابنها جيوك «Guyuk» الذى تولى الحكم لمدة ثلاث سنوات (١٢٤٦ _ ١٢٤٨م/٦٤٤ _ ٦٤٦هـ) . انظر :

Juvaini, pp. 270-271; Bar Hebraeus, pp. 410-411; J.A. Boyle, *Dynastic and Political History of the Il-Khans*, in C.H.I. Vol. 5, p. 337.

الارمن فى قيليقية ان حذوا حذوهم(١٢) . وهكذا وصل النفوذ المغولى الى اوربا وحدود أوربا وحدود العراق فى وقت واحد ، تسبقه أنباء القتل والتدمير وسفك الدماء التى اثارت مخاوف العالمين الاسلامى والمسيحى معا .. وبعد فترة هدوء أملتها ظروف المغول انفسهم(١٣) ، كان لهذه المخاوف أن تتحقق . ففى يناير من عام ١٢٥٦م/ذى الحجة ٦٥٣هـ اندفع جيش مغولى بقيادة هولاكو عبر نهر جيحون الى فارس(١٤)، حيث بدأ بالاستيلاء على قلعة الموت مقر الحشيشية ، والقضاء على زعيمهم

---

(١٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٣ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ . راجع أيضا:
Vincent de Beavais, Speulum Hisoriale, Lib XXX, Ch. 147, 150; Bar Hebraeus, Chronography, p. 407; Juvaini, pp. 507-508.

(١٣) مات الخان جيوك فى عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ ، وبمساعدة باطو تم انتخاب منكو Mangu ابن طولى وحفيد اقطاى ، خانا للمغول (١٢٥١ — ١٢٦٠م/٦٤٩ — ٦٥٨هـ) ودارت حرب أهلية بين زعماء المغول الآخرين وبين باطو وأبناء طولى لمدة عام . وأخيرا تم الاعتراف بمنكو الذى عهد الى أخيه قوبيلاى «Kubilin» بفتح شرقى الصين ، وبقى فى منغوليا منكو وشقيقه الاصغر بوقا «Arike-Boken» ، وبقى باطو فى جنوب روسيا حيث أسس القبيلة الذهبية التى سماها المسلمون بالقفجاق وعهد بحكومة فارس الى هولاكو الاخ الثالث لمنكو . انظر :
Juvaini, pp. 261-268, William of Rubruk, Itinearorium, trans by W.W. Rockhill, Hokluyt Society, Ser. 2, Vol. 4, London, 1900, pp. 163-164. CF. also, H. H. Howarth, History of the mongols, 5. Vols London, 1876-1878. Vol. 1. pp 170-ff, J.J. Saunders, the History of mongol Conquest, London, 1971, pp. 99-101.

(١٤) صحب هولاكو فى حملته التى كلفه بها منكو زوجته طقزخاتون Tuguz Khatum ووديه الكبيرين (لم نعرف منهما سوى يشموط) . وانضم اليه فى افغانستان المؤرخ علاء الدين الجوينى الذى كان بمثابة «Bitikchi» مكرتير او ناصح لهولاكو . ومع هؤلاء كان جيش كبير يدل على مبلغ ضخامته أن عدد المكلفين باقامة آلات الحصار فى هذا الجيش قد بلغ الف رجل من الصينيين . انظر :
Juvaini, pp. 596, 607-611 CF. also E. Bretschneider, Mediaeval Researches from Eastern Asiatic sources, 2 Vols, London, 1888, Vol. p. 113.

ركن الدين خورشاه ، وذبح كل اتبـاعه ، وهدم كل أملاكهم ، وذلك في بدايات عام ١٢٥٧م/٦٥٥هـ . واذا كان قضاء هولاكو على باطنية فارس بلسما لجراح المسلمين ، كمـــا يرى علاء الدين الجويني مؤرخ هولاكو المسلم(١٥) ، فان هولاكو لم يلبث أن استعد لجرح المسلمين أشد الجروح ألما ، وذلك بالقضاء على الخلافة العباسية في بغداد ، وتدمير كل مظاهر الحضارة التي اشتهرت بها المدينة ، واجتياح أملاك المسلمين حتى غزة . فقد كانت بغداد هي هدف هولاكو بعد أملاك الحشيشية في فارس . وكان الخليفة العبـــاسي في ذلك الوقت هو المستعصم بالله (١٢٤٢ ــ ١٢٥٨م/ ٦٤١ ــ ٦٥٦هـ) الذي اشتهر بالخمــول وضعف الهمة ، وضعف أحوال الخلافة في عهده . ولم يهتم باقتراب الخطر المغولي من العراق ، وعلى حد تعبير المؤرخ أبي المحاسن فقد « أهمل أمر هولاكو حتى كان في ذلك هلاكه »(١٦) . وبعد أن رفض الخليفـة في بادىء الامر عرض هولاكو عليه بالخضوع لسيادة المغول(١٧) ، لم تشفع له محـاولاته لاسترضاء الاخير(١٨) الذي بدأ في المسير نحو بغداد في نوفمبر ١٢٥٧م/ذي القعدة

---

(١٥) « كان ذلك العمل بلسما لجراح المسلمين ، وعلاجا لخلل الايمان ، اللهم انزله بكل الطغاة » كانت هذه العبارة هي خاتمة كتاب علاء الدين عطا ملك الجويني . ومن أسف أنه لم يستمر في تدوين تاريخ أعمال هولاكو وخاصة ما يخص استيلائه على بغداد . وقد سمح هولاكو للجويني بالاطلاع على ما وجده المغــول من كتب عديدة في مكتبة الحشيشية فاحتفظ الجويني بنسخ القرآن وأحرق كل ما يتعلق بهرطقة الحشيشية . انظر : رشـيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ وما بعدها . راجع أيضا :
Juvaini, pp. 618 ff, 722-725. CF. also, J. Saunders, The history of the Mongol conquest, p. 230, n. 70.

(١٦) لم يهتم الخليفة المستعصم بأمور دولته ، كما أخذ بنصيحة وزيره ابن العلقمي وانقص عدد الجيش من مائة ألف الى عشرين ألفا فقط . كما اتهم المؤرخ أبو المحاسن الوزير بالاتصال بالمغول وتشجيعهم على غزو البلاد في الوقت الذي برأه فيه رشيد الدين الهمذاني . انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٤٧ ــ ٤٨ ، رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ ، م ١ ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ .

(١٧) رشيد الدين : جامع التواريخ : م ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .

(١٨) بعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الى الخليفة يحذره من المغول الذين أمروا لؤلؤ بتجهيز نفسه بالمؤن والسلاح ، الا أن مكاتبة =

٦٥٥هـ . وفى يناير ١٢٥٨م/محرم ٦٥٦هـ ، قضى المغــول على جيش الخليفة الذى خرج لملاقاتهم بقيادة ركن الدين الدوادار(١٩) . واندفعوا الى داخل بغداد فى ٢٧ يناير ١٢٥٨م/٢٠ محرم ٦٥٦هـ(٢٠) ، وقاموا بذبح غالبيــة سـكان المدينــة(٢١) . وأمر هولاكو باشـعال النيران فى انحــاء المدينـة « وخربت بغــداد الخــراب العظيــم ، واحرقت كتب العــلم التى كانت بهــا من سـائر العلوم والفنــون التى ما كانت فى الدنيا »(٢٢) . وكان جل هم هولاكو هو القضاء على الخليفـة العباسى نفسه حتى يقضى على زعامة الامة الاسلامية ورمز وحدتهــا . وتم قتــل الخليفــة المستعصم بالله فى ٢٠ فبراير ١٢٥٨م/١٤ صــفر ٦٥٦هـ(٢٣) بعد ن سلم الى هولاكو كل ما كنت تحويه خزائن الخلافة

= لؤلؤ السرية لم تصل الى الخليفة حيث اخفاها عنه وزيره الشيعى ابن العلقمى ، الذى لم يكن لأحد معه كلام فى تدبير أمر الخليفة . ولما تحقق الخليفة من تحرك التتار نحو بغداد بعث اليهم بشرف الدين ابن الجوزى رسولا يعدهم بأموال عظيمـة الا أن طلبـه قد قوبل بالرفض . انظر : أبو المحاسن:النجوم الزاهرة،جـ٧، ص ٤٨ - ٤٩ .

(١٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ١٤٩ ، ابو الفـدا : المختصر ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٢٠) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٦ .

(٢١) حدد كل من ابى الفدا وأبى المحاسن عدد قتلى المسلمين فى بغداد بثمانمائة الف قتيل ، بينما اكتفى ابن العميد بقوله « وقتلوا أكثر أهلها » فى حين ذكر شانج تى المبعوث الذى أوفده منكو خان من قراقورم الى هولاكو فى عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ أن قتلى المسلمين بلغوا « عشرات الآلاف » . انظــر : ابو المحاسن : النجــوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٥٠ ، أبو الفدا : المختصر ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، ابن العميد : اخبار الايوبيين ، ص ١٦٦ . راجع أيضا :

Chang Te (Sishiki), Record of an embassy to the regions in The West, trans. by E. Bretschnider, in Medicaval Researches, Vol. I, p. 139. CF. Aaso, J. Saunder, The History of the Mongol Conquest, p. 111.

(٢٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٥١ .

(٢٣) اختلفت الروايات حول الطريقة التى قتل بها الخليفة العباسى . فبينما نلمس من روايتى كل من أبى المحاسـن وأبى الفـدا أن الخليفة اما خنق أو وضع فى بساط اورفس حتى مات او اغرق فى نره دجلة ، يذكر ابن العبرى أن المغول قد وضعوا الخليفة فى =

العباسية من ثروات(٢٤) . وكان لسقوط بغداد فى أيدى المغول ، ولأعمال العنف التى قام بها المغول فى المدينة والتى انتهت بمقتل الخليفة العباسى أثره فى اثارة الفزع فى قلوب المسلمين فى البلدان المجاورة(٢٥) مما دفع بهم الى الاجتهاد فى كسب ود هولاكو بالحضور اليه فى بغداد واظهار خضوعهم وتبعيتهم له . فجاء كل من عز الدين كيكاوس الثانى سلطان سلاجقة الروم واخوه قلج ارسلان الرابع(٢٦) . كما بعث الناصر يوسف الثانى صاحب حلب ودمشق بابنه العزيز الى هولاكو ليعلن له خضوع والده للمغول(٢٧) . وهكذا اشترى السلاجقة والناصر يوسف زعيم

= كيس واخذوا فى رفسه باقدامهم حتى مات . الا ان المؤرخين الارمن ، الذين اشترك بنو جلدتهم فى الهجوم على بغداد ، فقد اوردوا رواية أخرى تتفق مع رواية المؤرخ الفارسى ناصر الدين الطوسى ومؤداها أن هولاكو أحضر الخليفة ، وعرف منه أين احتفظ بكنوز الخلافة ، وساله لماذا لم يكن بها جيشا للدفاع عن بغداد ، فرد الخليفة بأن هذه مشيئة الله ، فامر هولاكو بحبس الخليفة فى برج القلعة حتى يموت جوعا أو يأكل من أمواله اذا شاء . وقد اتفق فى ذلك كل من كيراكوس وفارتان ، بينما اتفق هايتون مع ابن العبرى فى روايته . هذا فى الوقت الذى اكتفى فيه رشيد الدين المهذانى بقوله ان المغول « قضوا على الخليفة ، وعلى ابنه الاكبر ، وخمسة من الخدم كانوا فى خدمته » انظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٥٠ ، أبو الفدا : المختصر ، م ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ ، رشيد الدين : جامع التواريخ ، م ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ . راجع أيضا :

Bar Hebraeus, p. 431; Hayton, La Flor des Estoires de La Terre de Orient in R.H.C.-Doc. Arm. Vol 2, p 169, Kirakos de Ganjak, Hisoire d'Arménie (extrait), ed. M. Dulaurier, in J.A., Vol. XI, 1858, p. 488; cf. also, G.M. Wickens, Nasir Ad. din tusi on the fall of Bagdad, in J.S.S., Vol. 7, pp. 23 ff, J.A. Boyle, The death of the Last Abbasid caliph, in J.S.S., Vol. 6, pp; 159-160.

(٢٤) Vartan, Histoire Universelle, Extrait, ed. M. Dulaurier, in J.A., Vol. 16; 1860, p. 291.

(٢٥) سعيد عاشور : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١١٢٠ .

(٢٦) رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(٢٧) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٨ ، رشيد الدين : جامع التواريخ ، م ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

الايوبيين فى بلاد الشام امنهم وسلامتهم بالخضوع لهولاكو . الا أن ذلك لم يكن الا لفترة معلومة . فقد كان فتح بلاد المسلمين فى بلاد الشام ومصر هو غاية المغول . وحتى يحين الوقت المناسب لذلك ، قام هولاكو بالاستيلاء على ميافارقين ، آخر المراكز الاسلامية التى رفضت الخضوع لسلطته فى اقليم الجزيرة(٢٨) . وحاصر ميافارقين لمدة عامين حتى سقطت فى يديهم فى عام ١٢٦٠م/٦٥٨هـ ، « وقتل صاحبها الكامل ابن شهاب الدين غازى ابن الملك العادل ، وكل من فيها »(٢٩) . وبينما بعث هولاكو بجزء من قواته للاستيلاء على ميارقين ، تفرغ هو للاستيلاء على أملاك المسلمين فى بلاد الشام . ولما كان الناصر يوسف قد ارسل ابنه العزيز الى هولاكو من قبل ، تظاهر الاخير بقبول الهدايا التى بعث بها الناصر يوسف ، وبقبوله لخضوع الاخير له ، وبقبول عذره فى عدم الحضور بنفسه لانه « قبالة العدو ، وبلاده فى وسط بلاد الفرنج ، فما يمكنه أن يتركها ويحضر . فاظهر هولاكو قبول العذر وباطنه بخلاف ذلك »(٣٠) ، الا أن فتح الشام قد حان وقته ، وتعلل هولاكو بان الناصر لم يحضر

---

(٢٨) بعث هولاكو بابنه يشموط لفتح ميافارقين . وكان صاحبها هو الملك الكامل ناصر الدين محمد بن شهاب الدين غازى بن السلطان العادل الايوبى ، وقد تولى الكامل الحكم فى ميافارقين بعد موت ابيه فى عام ١٢٤٧م/٦٤٥هـ وقاوم بيجو قائد باطو من قبل ورفض الخضوع للحكم المغولى . انظر : ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، قسم ٢ ، ص ٤٧٤ ، ٤٨٩ ، رشيد الدين : جامع التواريخ م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٠٦ . راجع أيضا :
Vartan. Histoire Universelle, p. 292.

(٢٩) بدأ حصار التتار للمدينة فى يوم الاربعاء ١١ نوفمبر ١٢٥٨م/١٢ ذى القعدة ٦٥٦هـ . ويذكر المؤرخ الارمينى فارتان أن الارمن والجورجيين قاموا بدور فعال فى حصار وسقوط ميافارقين مما جعل المدينة تعانى من مجاعة شديدة بالغ المؤرخ فى وصفها . أما الكامل محمد فقد قطع المغول اجزاء كثيرة من لحمه واجبروه على ابتلاعها حتى مات ، فقطعوا راسه وطافوا بها فى المنطقة حتى يكون عبرة لغيره من حكام المسلمين الذين يفكرون فى عدم الخضوع والاستسلام للمغول . انظر : ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، قسم ٢ ، ص ٥٠٠ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٦ . راجع أيضا : Vartan, p. 293.

(٣٠) ابن العميد : اخبار الايوبيين ، ص ١٦٨ .

بنفسه للقائه وهو ما اعتبره اهانة لشخصه ، وبعث بتهديداته الى الناصر يأمره بسرعة الحضور اليه والدخول فى طاعته(٣١) . فخاف الناصر وبعث باولاده وحريمه الى حصن الكرك(٣٢) . وبعث الى مصر يطلب مساعدة المماليك الذين وعدوه بما طلب(٣٣) . الا ان الوعد لم يكن هو ما يحتاجه الناصر بقدر ما كان يحتاج الى تنفيذه . والى جانب ذلك فقد اوهن من عزيمة الناصر يوسف ما حدث من تآمر بعض عسكره عليه ، وميل وزيره للتتار وتخويفه للناصر من مواجهتهم(٣٤) . كل ذلك جعل الناصر يقيم فى دمشق تاركا حلب فى حراسة ابنه ونائبه المعظم توزانشاه(٣٥) . وهكذا وجد هولاكو الطريق امامه ممهدا للاستيلاء على املاك الايوبيين ، فاندفع بقواته فى سبتمبر ١٢٥٩م/شوال ٦٥٧هـ ، واستولى على دنيسر وآمد ونصيبين واستسلمت له كل من الرها وحران . ولما رفض اهل سروج الاستسلام فتحها هولاكو عنوة وقتل كل اهلها(٣٦). كما استولى المغول على قلعة البيرة واربل ومنبج ، وبذلك يكونوا قد استولوا على كل اقليم الجزيرة واخضعوه لسيادتهم(٣٧) . ولم يبق أمام هولاكو سوى فتح أملاك المسلمين فى بلاد الشام حتى يدخل مصر بعد ذلك. وهنا وصل اليه هيثوم ملك قيليقية الارمينى وهو فى مدينة الرها يستعد لدخول الشام . ونصحه بالبدء بالاستيلاء على مدينة حلب التى يسيطر

---

(٣١) المقريزى : السلوك : ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤١٥ - ٤١٦ .

(٣٢) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٨ .

(٣٣) أبو المحاسن : النجوم ، ج ٧ ص ٧٢ - ٧٣ ؛ ابن العميد : أخبار ، ص ١٧٠ .

(٣٤) اتفق بعض عسكر الناصر مع المغيث صاحب الكرك على أخذ دمشق من الناصر ، الا أنه تمكن من اخماد الفتنة ورد المغيث الى الكرك ، بينما فر المتآمرون الى غزة . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ؛ ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٧٤ ، الهمذانى : جامع التواريخ ، م ١ ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٣٥) أبو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٧٤ .

(٣٦) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٠ ؛ ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، قسم ١ ص ١٠٩ ، الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ج ١ ، ص ٣٠٦ ؛ ابو المحاسن : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٧٤ . راجع أيضا : Bar Hebraeus, p. 435.

(٣٧) Bar Hebraeus, p. 435.

صاحبها الناصر على كل سوريا ، وهى عاصمته الاصلية التى ستؤدى سقوطها الى فتح بقية المدن الاسلامية فى بلاد الشام ، وبعدها يمكن استعادة الاراضى المقدسة من أيدى المسلمين . وعرض هيثوم على هولاكو مساعدته ومساعدة قواته التى بلغت ١٢ الف رجل(٣٨) . ويبدو ان هولاكو قد اقتنع بفكرة هيثوم وسر لمساعدة الارمن له . فبادر بالمسير الى بلاد الشام وبدأ فى حصار حلب فى ١٨ يناير ١٢٦٠م/٩ صفر ٦٥٨هـ ، وبعد حصار دام أسبوعا ، تمكن المغول والارمن من اقتحام المدينة التى رفض المعظم بن صلاح الدين أن يسلمها لهم دون قتال(٣٩) . وكما حدث فى كل المدن الاسلامية التى فتحها المغول من قبل ، فقد قاموا بنهب المدينة ، وقام الارمن بمهمة ذبح سكان حلب بينما قام ملكهم هيثوم باشعال النيران فى مسجد حلب بنفسه(٤٠) . وأسر المغول من سكان حلب من بقى على قيد الحياة ، حيث تم بيع هؤلاء كرقيق فى « بلاد الارمن وبلاد الفرنج »(٤١) . ثم هاجم المغول قلعة حلب فى ٢٦ يناير ١٢٦٠م/١٠ صفر ٦٥٨هـ واستولوا عليها وأسروا من فيها(٤٢) . وهكذا سقطت

---

(٣٨) Hayton, La Flor de Estoires, p. 170.

(٣٩) ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٧٧ ؛ الهمذانى : جامع التواريخ ، ص ٣٠٦ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٤٠) أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧١ ؛ رشيد الدين الهمذانى ، جامع التواريخ ، م ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ . راجع أيضا :
Bar Hebraeus, pp. 335-336; Hayton, La Flor de Les Estoires, pp. 170-71.

(٤١) قتل المغول كما يذكر ابن العميد ، الذى كان فى دمشق فى ذلك الوقت ، من مسلمى حلب ومن هرب اليهما من مسلمى المدن الاخرى عددا لايحصى حتى قيل ان«ما قتل فى بغداد ولا فى مدينة من مدائن العجم مثلها وامتلأت الطرقات والاسواق من القتلى بحيث كانت عساكر التتار يمشون عليها بخيولهم لكونهم لا يجدون موضعا خاليا من مقتول » ومن رواية المقريزى يمكن التأكد من انه نقل عن ابن العميد هذه الاحداث . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧١ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٢ .

(٤٢) يذكر ابن العميد : أن هولاكو لم يبق الا على المعظم تورانشاه =

المدينة التى طالما تصدت لهجمات البيزنطيين والصليبيين من قبل . وتم احترام كل الكنائس المسيحية فى حلب والمعبد اليهودى ، بينما قام المغول والارمن باجتياح أماكن العبادة الاسلامية وحرقها(٤٣) . وتم بعد ذلك اخضاع الملحقات الغربية لحلب - فتم فتح حصن حارم الذى رفضت حاميته التسليم الا بضمان رجل مسلم ، وقام المغول بذبح أفراد الحامية عن آخرهم مع نسائهم واطفالهم(٤٤) . وكان لكل ذلك صدى مخيفا فى أنحاء بلاد الشام جعل الجميع من مسلمين وصليبيين يسارعون الى معسكر هولاكو لاعلان خضوعهم له . فاسرع الاشرف موسى صاحب حمص الى هولاكو معلنا له ولاءه وخضوعه ، فاقره الاخير على ما بيده من أملاك على أن يكون تابعا له(٤٥) كما فر الى مصر المنصور بن المظفر صاحب حماة باهله تاركا أهل حماة يسارعون بطلب الامان من هولاكو الذى اجابهم الى مطلبهم وبعث اليهم بنائب مغولى ليحكم المدينة(٤٦) . وأخيرا فر الناصر يوسف من دمشق بعد أن علم بما حدث فى حلب ، واتجه الى مصر فى يوم الجمعة ٣١ يناير ١٢٦٠م/١٥ صفر ٦٥٨هـ بصحبة امرائه واهله تاركين دمشق خالية من المدافعين عنها « واهلها على الاسوار يشتموهم ويدعون عليهم ويقولون تركتمونا طعما للتتار لا كتب الله عليكم السلامة »(٤٧) . وبهروب الناصر يوسف من دمشق تنقضى مملكته فى الجزيرة وحلب وتنقضى معها فى ذلك النهار دولة بنى أيوب

= لكبر سنه وبسالته فى القتال . انظر : ابن العميد : اخبار الايوبيين ، ص ١٧١ ، رشيد الدين المهذانى جامع التواريخ : ص ٣٠٧ ، بو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢١١ . انظر ايضا :

Vartan, Histoire Universelle, p. 293.

(٤٣) Bar Hebraeus, p. 336; Hayton, La Flor des Estoires, p. 171.

(٤٤) لم يترك المغول احدا ممن كان من المسلمين فى حارم الا وقتلوه ، ولم ينج الا رجل واحد وبالطبع لم يكن مسلما . فقد كان صائغا أرمينيا . انظر : رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ٣٠٧ .

(٤٥) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٣ .

(٤٦) كلف المنصور صاحب حماة أحد نوابه ويدعى شجاع الدين مرشد يتولى أمور المدينة ،«وأوصاه بمداراة التتار فداراهمولميتعرضوا لحماه ولا لاحد من المدينة البتة » . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٣ .

(٤٧) أشار مراء الناصر عليه بلن يراسل قطزفىمصر ليتفقا معاعلى =

فى بـــلاد الشـــام(٤٨) . ولم يـكن بنـو ايـوب وحـــدهم هـــم الذين دفعهم الفزع الذى أثاره الغزو المغولى للشرق الادنى الى الخضوع للمغول أو الى الهرب والتخلى عن بلادهم ، فقـد شعر بنفس الفـزع الصليبيون انفسهم . ولما كان الخطر المغولى قد وصل الى حلب ، فان أول من شعر بهذا الخطر من الفرنج هم أهل انطاكية ، فسارع أعضـاء قومون انطاكية وقدموا فروض الولاء والطاعة الى المغول بعد ان تولاهم الفزع عندما رأوا جحافل التتار تجتاح حدود انطاكية مدمرة المنـــاطق الريفية — بالرغم من حاجة التتار الدائمة للكلأ — وممتولية على بلاطنس وحصن صهيون . وسبق ذلك أهل انطـــاكية أميرهم فى الخضـــوع

= لقاء هولاكو . فأخذ الناصر اهله وحاشيته معه وتوجه الى غزة . وهناك تردد فى دخول مصر خوفا من قطز ، واكتفى بارســال زوجته شقيقة علاء الدين كيكاوس سلطان السلاجقة وابنه منهــا وبعض أمرائه الى مصر ،حيث ظن قطز أنها مكيدة من الايوبيين لدخول مصر واخذها منه ،فأمر بمصادرة كل ما مع أهل الناصر من أموال وبعث الى السلاجقة بزوجة الناصر وابنها منه . وعاد الناصر الى الشام حيث قبض عليه كتبغا قائد قوات هولاكو وبعث به ومن معه لهولاكو الذى أكرم وفادة الناصر فى البداية ووعده بان يرد اليـه كل بلاده الى أن علم بهزيمة قواته فى عين جالوت ومقتل كتبغا فأمر بقتل الناصر وحاشيته ، فأخذهم بعض التتار الى جبال سلماس فى بلاد العجم وقتلوا الناصر وأخاه الظـــاهر والصالح صاحب حمص ومن معهم . ولم ينج من القتـل سـوى العزيز ابن الناصر الذى شفعت فيه طقـز خاتون زوجة هولاكو . ولقد أخذنا هذه الرواية عن ابن العميد الذى كان معاصرا للاحداث حيث هرب من دمشق الى صور عقب خروج الناصر منها خوفا من المغول كمــا أن الروايات الأخرى التى وردت فى المصادر لم تكن بتمام رواية ابن العميد . انظر : ابن العميد : أخبـــار الايوبيين ، ص ١٧٢ — ١٧٦ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ قسم ٢ ، ص ٤١٠ ، أبو المحاسـن : النجـوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ٧٧ ، رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، جـ ١ ، ص٣٠٨ . راجع أيضا :

Hayton, La Flor des Estoires, p. 171.

(٤٨) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٢ .

للمغول(٤٩) . وقد تصور الانطاكيون أن النتيجة الوحيدة لخضوعهم للتتار هى دفع الجزية ، الا أن الاحداث اثبتت غير ذلك ، فقد خضعت انطاكية للاهانة الدينية . فقد كان يوثيميوس Euthymius بطريرك انطاكية اليونانى ، الذى طرده بوهيمند من المدينة وقطعه من الكنيسة البطريرك اللاتينى أوبيزو من قبل ، قد وصل الى هولاكو واعلن خضوعه له ، فما كان من الاخير الا ان قرر اعادة البطريرك اليونانى الى منصبه فى انطاكية(٥٠) . وفى الحقيقة لم يكن بوهيمند فى حالة تسمح له بمقاومة الغزو المغولى ، فحذا حذو رعاياه فى انطاكية وأعلن خضوعه للتتار بكل ممتلكاته فى انطاكية وطرابلس . وبالرغم من ضمانات الامن التى طلبها بوهيمند ، فان المغول استمروا فى الاعتداء على أملاك انطاكية ، وذبح رعايا بوهيمند ونهب ممتلكاته ، فما كان من الاخير الا أن استغل دعوة صهره هيثوم بالتوجه الى هولاكو بنفسه ، وذهب بوهيمند الى القائد المغولى والقى بنفسه تحت اقدامه واعلن خضوعه له(٥١) . ولم يكن

---

(٤٩) بعث توماس أجنى أسقف بيت لحم ، ومندوب البابا فى الاراضى المقدسة وسادة الفرنج بها من علمانيين ورجال دين بخطاب الى شارل كونت أنجو شقيق لويس التاسع فى ٢٢ ابريل ١٢٦٣م/٩ جماد أول٦٥٨هـ يصفون له أخطار الزحف المغولى على بلاد الشام ويطلبون مساعدته . انظر :

Lettre des Chrétiens de Terre Saint a Charles D'Anjou (ed. De laborde), in R.O.L., Vol. 2, Paris, 1894, pp. 213-214

(٥٠) تولى يوثيميوس منصب بطريرك انطاكية (١٢٥٨ - ١٢٧٤م) بعد البطريرك داود (١٢٤٥ - ١٢٥٨م) . انظر ملحق رقم (٦) باخر الرسالة . راجع أيضا :

Lettre à Charles d'Anjou, p. 213.

(٥١) ذهب بوهيمند الى هولاكو باعتبار الاول صهر الملك الارمينى وليس باعتباره أميرا لاتينيا . انظر :

Hayton, La For, p. 171. Lettre à charles d'Anjou, pp. 213-214; Letter of Thomas Agni the Papal Legate to all kings, Princes, Archbishops, etc. (1 Mar. 1260), Menkonis Chronicon, in M.G.H.S., Vol. 23, pp. 547-549; Letter of Thomas Berard Master of the Temple to Amadeus preceptor of the Temple in England (4 Mar. 1260), in Annales Burtonensis, pp. 491-495; Bar Hebraeus, The Chronography, p. 436.

تصرف بوهيمند يعد قدوة للفرنج فى عكا . فلما انحصر هؤلاء فى عكا وصور وفى أملاك الداوية فى صفد وعتليت ، وفى املاك التيوتون فى القرين ، فانهم جميعا قرروا — بالرغم من المخاوف التى انتابهم — الاستعداد والمقاومة . ولادراكهم أن مقاومتهم لن تطول،فانهم بعثوا الى شارل كونت انجو شقيق الملك الفرنسى لويس التاسع يطلبون مساعدته الفورية لهم(٥٢) . وقد دأب المؤرخ الفرنسى رينيه جروسيه على توجيه اللوم الى صليبيى المملكة الصليبية لاضاعتهم على أنفسهم فرصة ذهبية لن تعوض بعدم تحالفهم مع هولاكو ضد المسلمين فى مصر وبلاد الشام ، فى الوقت الذى كانت حملة هولاكو فيه « حملة نسطورية » «Une Croisade Nestorienne» ضد المسلمين(٥٣) . وجه جروسيه لومه الى الصليبيين فى فلسطين على مساعدتهم للمماليك بالبقاء محايدين بين الاخيرين وبين التتار ، وعدم التعرض لقوات المماليك وهى فى طريقها امام عكا لملاقاة المغول فىعينجالوت(٥٤) .كما مدح بعض من تأثروا برأى جروسيه ، الملك الارمينى — الذى أصبح تابعا للمغول — لبعد نظره

---

(٥٢) Lettre à charles, d'Anjou, p. 214.

(٥٣) كانت قطز خاتون زوجة هولاكو مسيحية من النساطرة ، وكذلك كانت أمه سورقتانى «Sorqotani» ، كما كان كتبغا قائد قوات هولاكو من النساطرة ايضا . وبقى هولاكو على بوذيته . وبالرغم من تأثير امه وزوجته وقائده الواضح عليه فى تعامله مع المسيحيين الشرقيين فى المدن التى فتحها من فارس الى بلاد الشام ، الا أن حسن معساملة المغول لهؤلاء المسيحيين وحتى للمسلمين كان مرتبطا بمدى خضوع هؤلاء للسيادة المغولية . فاذا كان الغزو المغولى قد احترم الكنائس الشرقية ، فاننا نجد ام هولاكو نفسها قد أقرت بتاءمدرستينفىبخارى(المدارسالمسعودية)اكراماللمسعود بن محمد حاكم اقليم كاشغر المسلم الذى عينه فى منصبه الخان اقطاى ، وكانت المدرستان لتعليم العلوم الاسلامية (على المذهب الحنفى) انظر : رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، م ١ ، ج ١ ص ٢٢٠ . راجع أيضا :

Juvaini, pp. 97 n. 3; 108 n. 31, 109; CF. also, A.S. Atiya, The Crusade in the Late Middle Ages, London, 1938, p. 245; R. Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 525-30, 580-606.

(٥٤) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٤٤١ — ٤٤٢ .

بالمقارنة بصليبيي مملكة بيت المقدس محـــدودى التفكير(٥٥) . وفى الحقيقة فان هناك بعض الحقائق التى تجعل من الصعب قبـــول هذا الرأى . ويعد تفصيل ذلك من الاهمية بمكان ، ليس فقط للرد على رأى جروسيه وغيره من المؤرخين ، بل لأنه يلقي الضوء على حقيقة العلاقات التي سادت بين بوهيمنـد السادس والمغول بعد خضـوعه لهم ، وعلى الدوافع التى حملته على ذلك . وهذا يتطلب العودة الى الوراء قليـلا لتتبع تطور العلاقات بين المغول وبين الصليبيين والمسلمين معـا . فان الفرنج ــ سواء كانوا فى أوربا أو بلاد الشام ــ ولم يعرفوا شيئا عن التتار وخطرهم الا بعد مرور ثلاثين عاما من اختيار جنكيز خان زعيما للمغول (١٢٠٦م/٦٠٣هـ) ، وكان الفارون من جنوب روسيا حين غزاها باطو فى ١٢٧٣م/٦٣٥هـ هم أول من قدم المعلومات عن الخطـر المغولى الى غـرب أوربا ثم توالت وسـائل التحـذير من الخطـــر المغـولى الى اوربا فى عام ١٢٤١م/٦٣٩هـ حين اجتاح التتار جورجيا وارمينيا(٥٦) .

---

(٥٥) Denis Sinor, Les relations entre les Mongols et L'Europe jusqu'a la mort d'Arghon et de Béla IV, in J.W.H., Vol. 3, 1956, pp. 49-50.

(٥٦) بعث الملك بيلا «Bella» الرابع ملك المجر (١٢٣٥ ــ ١٢٧٠م) باكثر من مبعوث الى الشرق قبل الغزو المغولى لبلاده . واكثر من عرف من هؤلاء المبعوثين كان الراهب الدومنيكانى جوليان «Julian» الذى سافر فى١٢٣٦/١٢٣٧م عنطريق القسطنطينية،ثم شمالا حتى نهر الفولجا حيث وجد التتار . وقدم جوليان تقريرا عن رحلته فى خطاب الى الاسقف ساليفوس اوف بيروجيـــا «Salivus of Perugia» المندوب البابوى فى بلاد المجر . انظر :
Denis Sinor, Un Voyageur du Treiziéme Siécle : Le Dominican Julien de Hongrie, in B.S.O.A.S., Vol 14, 1958, pp 589-602; Jean Richard, The Mongols and Franks, in J.A.H., Vol. 3, 1969, p. 45.
ويذكر متى الباريزى انه قد أشيع فى أوربا أن زعيم الحشيشية فى فارس قد بعث برسله الى ملكي انجلـترا وفرنسا فى ١٢٣٨م/٦٣٦هـ يعرض عليهما التحالف ضد المغول الذين اجتاحوا أوربا وغربى آسـيا وتميزوا بالعنف والهمجية . وفى اوربا عرف الجميـع أن الخوف من المغول هو الذى منع امير انطاكية بوهيمند الخامس فى سنة ١٢٤٤م/٦٤٢هـ من الانضمام الى الفرنج ضد الخوارزمية فى معركة غزة . انظر :

ونتيجة لذلك ، فقد قام البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣ ــ ١٢٥٤م) الذى كان بالفعل يستعد للدعوة الى حملة صليبية جديدة ، بوضع « علاج ضد الخطر المغولى « «Remediums Contra Tartaros» فى جدول أعمال مؤتمر ليون الكنسى عام ١٢٤٥م/٦٤٣هـ(٥٧) وفى نفس العام بعث البابا بثلاث سفارات الى المغول ، الاولى منهما ضمت راهبين من جماعة الفرنسيسكان(٥٨) حمل كل منهما رسالة من البابا الى خان المغول

= Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 3, pp. 488-489; Vol. 4, pp. 76-78, 131-132, 389-390.

(٥٧) P. Pelliot, Les Mongols et La Papauté, in R.O.C., Vol. 23, 1922-23, pp. 238-240. Gregory G. Guzman, Simon of Saint-Quintin and the Dominican Mission, The Mongol Baiju : A Reppraisal, in Speculum, Vol. 46, 1971, p. 233; J. Richard, The Mongols and The Franks, p. 47; W. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton, Vol. 5, Wisconsin, 1985, p. 471.

(٥٨) كان لفساد نظام الاديرة البندكتية الذى نشأ فى أوربا فى أواخر القرن الخامس الميلادى أن قامت حركة الاصلاح الكولونى فى أواخر القرن العاشر الميلادى ، وكان من النتائج التى ترتبت على الاصلاح الكولونى ان الديرية أصبحت لها مكانة بارزة فى المجتمع الاوربى الغربى الوسيط ، وفى الكنيسة اللاتينية ، ولما كانت اديرة كولونى لا تتسع للعدد الهائل من من الذين اعتنقوا الرهبانية فقد فكر الكثيرون فى انشاء جماعات جديدة تحتضن الفائض من الناس، ولاستكمال مشروعات كلونى والقيام بمشروعات جديدة ، ومن أهم هذه الجماعات كانت جماعة الاخوان الفرنسيسكان التى انشاها فرنسيس الاسيزى Francis of Assisi وهو ايطالى من مدينة اسيزى ، أسس جماعته فيما بين عامى ١٢٠٨م و ١٢٢٦م ، ولم يكن يستهدف من نظامه أن يعيش الرهبان داخل اديرتهم للعبادة فقط ، وانما الاندماج فى الحياة العامة للوعظ والتبشير ، وقد انتشرت تعاليم هذه الجماعة ، وغيرها من الجماعات التى قامت بدور كبير فى حركة التبشير المسيحية التى انتعشت بدءا من منتصف القرن ١٣م/٧هـ ، مثل جماعة الدومنيكان والسترشيان واخوان جراند مونت والاخوان الكارثوذيان ، انظر : جوزيف نسيم يوسف : تاريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٠ — ١٧٧ .

يدعوه فيها الى اعتناق المسيحية على المذهب الكاثوليكي ، واحلال السلام محل الحرب بين الغرب والتتار(٥٩) . وكان المبعوث الاول من هذين السفيرين هو لورنس البرتغالي «Lawrence of Portugal» الذي لا يوجد أى تقرير عن عودته من الشرق أو حتى عن رحلته الى المغول(٦٠) . والثاني كان جون أوف بلانوكاربيني «John of Plano Carpini» (٦١) وكان أن قابل كاربيني جيوك خان وحضر حفل تتويجه فى قراقورم (٢٤ أغسطس ١٢٤٦م).واكرم الخان وفادة مبعوث البابا بها الا أن الرد المغولي على مطالب البابا كان يطابق القاعدة التى وضعها جنكيز خان ليحدد بها علاقة المغول مع سائر حكام العالم ، وهى أنه « هناك اله واحد فى السماء ، وعلى الارض يوجد سيد واحد فقط هو جنكيز خان » وطلب الخان المغولي من البابا خضوعه هو وسائر الملوك المسيحيين للسيادة المغولية(٦٢) . وكانت سفارة البابا انوسنت

---

(٥٩) كما كلف البابا رسوله بجمع المعلومات الممكن جمعها عن هذا الشعب الغامض والوسائل المناسبة للتصدى له . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٥٨ . راجع أيضا :
J. Richard, The Mongols and the Franks, *p.* 47.

(٦٠)جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٥٨ . راجع ايضا :
Guzman, Simon of Saint Quentin, p. 234.

(٦١) غادر كاربيني مدينة ليون فى ١٦ ابريل ١٢٤٥م بصحبة بندكت البولندي كمترجم له ورفيق رحلته بعد أن مرض كلاوس البوهيمى الذى كان من المفروض أن يصاحبه الى الشرق . وكان خطاب البابا الى الخان يحمل تاريخ ١٣ مارس ١٢٤٥م . كاربيني الى بولندا ثم روسيا ، ومن آسيا الوسطى اتجه الى منغوليا حيث عاد الى أوربا فى نوفمبر ١٢٤٧م . وقد نشر رودنبرج النص اللاتيني لخطاب البابا الى خان المغول جيوك.وللمزيد عن رحلة كاربيني . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام ، ص ٢٥٨ ـ٢٥٩ . راجع أيضا :
Rodenberg, *Episolae Saeculi, in M.G.H.*, Vol. 2, no 105; W.W. Rockhill, The Journey of Frair John of Plan De Carpine, as narrated by Himself, Hakluyt Society, *Ser.* 2 Vol. 4, London 1900, pp. 1-33. CF. also, A.S. Atiy, The Crusades in the Later Middle Ages, pp. 238-239.

(٦٢) ورد النص الاصلى لخطاب جيوك الى البابا فى حولية سالمبين . =

الثالثة الى المغول تضم رهبانا من جماعة الدومنيكان(٦٣) . وراس هذه السفارة أسلين اللمباردى Ascelin (٦٤) ولكن المهمة التى أوكلت الى أعضاء هذه السفارة اختلفت عن مهمة سابقتيها . وقد حددها لنا سيمون أوف سان كوينتين فى تقريره عن الرحلة . فقد أمر البابا مبعوثه أن يصل الى أول جيش مغولى تصادفه البعثة فى فارس ، وأن يحض قائد هذا الجيش على أن يمتنع عن نهب الناس وخاصة المسيحيين منهم ، وأن يعتنق المسيحية ، وأن يتوب عن خطاياه(٦٥) . وكان أول من قابلته البعثة من قادة التتار هو بيجو الذى بعثه باطو ، زعيم القبيلة الذهبية التى كانت قد فتحت جنوب روسيا ، الى غربى آسيا فصادفته البعثة وهو فى تبريز فى ٢٤ مايو ١٢٤٧م/١٧ محرم ٦٤٥هـ(٦٦) . وكان رد بيجو

= انظر :
Cronica de Salembene, in M.G.H.S., Vol. 32, Vol. 32, pp 207-208. Cf. also, Pelliot, Les Mongols et La Papautt, in R.O.L., Vol. 23, 1922-23, pp 6-30

(٦٣) مؤسس هذه الجماعة راهب من اصل أسبانى يدعى القديس دومنيك «St. Dominic» وكان تاسيسها فى عام ١٢١٥م بقصد مكافحة تيار الهرطقة الذى بدا واضحا فى الكنيسة وخارجها فى اخريات القرن الثانى عشر واوائل القرن الثالث عشر الميلاديين . وأساس تعليم هذه الجماعة هو الوعظ والارشاد بين الناس حتى اشتهر اعضاؤها باسم الاخوان المبشرين «Fratres Praedicatores» انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ١٩٤ ، حاشية رقم ٥ .

(٦٤) صحب أسلين فى هذه الرحلة ثلاثة من الدومنيكان وهم الكسندر والبرت وسيمون أوف سان كوينتين الذى كتب كل شىء عن هذه الرحلة فى كتابه الذى وضع له عنوانا « تاريخ التتار » «Historia Tartarorum» والذى ضمنه فنسنت دى بيفييه فى موسوعته مرآة التاريخ «Speculum Historiale» واحتل عمل سيمون الكتابين الاخيرين من موسوعة فنسنت«Libre 31-32» وقد رحل أسلين من ليون فى مارس - ابريل من عام ١٢٤٥م وعاد الى أوربا فى سبتمبر - أكتوبر ١٢٤٨م وقد عبر أسلين ورفيقه أوربا الى أرمينيا وسوريا وجورجيا . انظر :
Vincent de Beauvais, Speculum, Historiale, Lib, 32, Ch. 50. CF, also, Guzman, Simon of Saint Quintin, p. 240.

(٦٥) Vincent de Beauvais, Lib. 32, Ch. 40.

(٦٦) بقيت البعثة فى معسكر بيجو حتى ٢٥ يوليو ١٢٤٧م،أى أنها =

على البابا أن خطاباته وكلمات المبعوث البابوى قد أدت اليه النصيحة بعدم القتل والتدمير ، ولكنه رفض دعوة البابا باعتناق المسيحية ، وكرر ان ارادة الله أن يحكم المغول العالم • ثم أصدر القائد المغولى أوامره الى البابا بان يحضر بشخصه اليه وأن يعلن خضوعه أمامه ، وان لم يفعل فانه سيعتبر عدوا للمغول(٦٧) • وهكذا فشلت محاولات البابوية فى اجتذاب المغول الى صف المسيحية ضد المسلمين ، ومع ذلك فقد كان المطلب الوحيد للمغول هو خضوع البابا التام ، مع ملوك أوربا ، للسادة

= مبت فى المعسكر تسعة أسابيع فقط • انظر :
Vincent de Beauvais, Lib. 32, Ch. 48.

(٦٧) عادت السفارة بخطاب بيجو المؤرخ فى العشرين من يوليو ١٢٤٧م وأرسل بيجو مع مبعوثى البابا سفيرين من اتباعه المسيحيين الاول هو أيبك «Aibeg» والثانى يدعى سارجيس • وبينما يذكر متى الباريزى أن البابا استقبل مبعوثين مغوليين فى عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ الا انه لم يذكر أى شىء يخص المهمة التى جاء من أجلها هذين المبعوثين ، بينما يسجل سيمون ان بيجو بعث بسفيرين الى البابا بصحبة مبعوثه أسلين • وقد ورد اسم السفيرين فى خطاب بيجو الى البابا • وبقى السفيرين فى ليون حتى موت الامبراطور فريدريك الثانى فى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ وعودة البابا الى روما • ومن المؤكد أن مهمة هذين المبعوثين كانت التجسس لمعرفة مدى قوة كل من البابوية ودول غرب أوربا لتحديد موقف المغول من الغرب الاوربى على ضوء المعلومات التى تصل اليهم • ومن المؤكد ايضا أن الاوربيين شعروا بذلك بعد أن عقد معهم البابا انوسنت الرابع عدة اجتماعات لمعرفة مدى استعداد الخانات لتقبل الدخول فى المسيحية الكاثوليكية • والدليل على ذلك أن كلا من وليم روبرك رفض أن يصطحب معه أى سفير مغولى الى أوربا حين ذهب لمقابلة منكو خان فى عام ١٢٥٣م/٦٥٠هـ • بحجة أنه ليس له ان يقبل ذلك دون اذن من الملك لويس التاسع وهو مجرد مبعوث بسيط • ويرى بليوت أن مبعوثى بيجو لم يكونا من التتار فالاول يدل اسمه على أنه تركى والثانى من المسيحيين النساطرة • انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٢٦٠ - ٢٦١ • راجع ايضا :

Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Lib. 32, Ch. 49-51; Mattew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, p. 37. CF. also, Pelliot, Les Mongols et La Papaute, in R.O.L., Vol. 4, 1924, p. 237.

المغولية(٦٨) . واذ تغاضت البابوية عن محاولاتها في استمالة المغول ، فقد كان للسلطة العلمانية الاوربية ان تحاول النجاح فيما فشلت فيه السلطة الدينية . وكان أن عادت المفاوضات بين المغول وبين أوربا حين بعث جغطاي خان بسفارة الى الملك لويس التاسع وهو في قبرص ، قبل توجهه الى مصر(٦٩) يدعوه فيها للقيام بعمل مشترك ضد المسلمين واستعادة الاراضي المقدسة منهم(٧٠) . وقد شجع هذا الملك الصليبي ودفعه الى الرد على سفارة جغطاي بسرعة مغتنما الفرصة لاكتساب المغول الى جانبه(٧١) . وعادت البعثة التي أوفدها لويس الى خان

---

(٦٨) اذا كانت بعثة أسلين الى المغول قد فشلت في تحويل الخان وشعبه الى المسيحية وهي مهمتها الاساسية ، فانها نجحت في مجال آخر ، فقد كانت سببا في وجود تاريخ سيمون أوف سان كوينتين الذي أمدنا بتفصيل دقيق عن البعثة نفسها ، ومعلومات وفيرة عن الشعب المغــولي وعاداته ، وعن غزو المغول لأوربا الشرقية والشرق الادنى الاسلامي ، في الوقت الذي تصادمت فيه المصالح المغولية الصليبية الاسلامية بشكل مصيري . انظر :
Guzman, Simon of Saint Quintin, p. 249.

(٦٩) جغطاي هو ابن كاشيوم «Qashiun» شقيق جنكيز خان ويأخذ اسمه في تاريخ الجويني أشكالا مختلفة منها «Ayletay, Eljigidei» وكان جغطاي قائدا لقوات المغول في تبريز التابعة لباطو رئيس القبيلة الذهبية التي فتحت جنوب روسيا والمجر وبولندا ، وبعد ذلك سيتولى جغطاي قيادة القوات المغولية شمالي اقليم الجزيرة . وكانت السفارة تتكون من نسطوريين احدهما يدعى داوود والآخر مرقس .
Juvaini, p. 184, Joinville, p. 168. CF. also, Baldwin, Missions, p. 476.

(٧٠) بالرغم من أن لهجة رسالة جغطاي الى لويس كانت أكثر ودا من تلك التي وصلت الى البابوية ، فان الغرض منها كان ايجاد تاثير طيب لدى الملك الفرنسي ، الامر الذي من شأنه أن يجنب المغول أية مواجهة مع جيوش لويس اذا تقدم التتار نحو بغداد . انظر : جوزيف نسيم يوسف:العدوان الصليبي على بلادالشام، ص ٢٦٢ - ٢٦٥ . راجع أيضا :
Baldwin, Missions, p. 476; p. 476; Atiya, The Crusades, pp. 241-242.

(٧١) غادر المبعوثان المغوليان قبرص في ٢٧ يناير ١٢٤٩م ومعهما بعثة من قبل لويس تتكون من ثلاثة من الدومنيكان هم أندرو دي =

التتار ، تحمل نفس الرد الذى تلقته البابوية من قبل ، وكان أيضا على الملك الفرنسي أن يرسل جزيته الى قراقورم كل عام(٧٢) ورغم ذلك — وكما فعل البابا من قبل — لم ييأس الملك الصليبى من النجاح فى التحالف مع المغول بعد حملهم على اعتناق المسيحية الكاثوليكية (٧٣) . فبعث بسفارة أخرى (٧٤) عادت تحمل ردا مغوليا أعنف مما جاءت به

— لونجيميو ومعه شقيقه وليم الذى كان يحسن التحدث باللغة العربية ثم يوحنا الكركسكونى . وبعث لويس معهم هدايا كثيرة لخان المغول عبارة عن خيمة من القماش القرمزى على هيئة كنيسة صغيرة ، ومعها كل ما يلزم لاقامة القداس المسيحى . ووصلت البعثة الى جغطاى الذى أرسل أعضاءها الى قراقورم حيث مات كيوك خان المغول وقابلت زوجته قلقميش «Qulqamis» البعثة ثم قدمتها الى ابنها منكو الخان الجديد . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٢٦٦ — ٢٦٨ . راجع أيضا :

Joinville, p. 253-258; CF. also, Baldwin, Missions, p. 477.

(٧٢) بعد أن عدد منجو للملك لويس فى رسالته البلاد التى فتحها وأسماء الملوك الذين أخضعهم التتار لسلطانهم أضاف « لذلك فنحن ننصحك بأن ترسل الينا عام بعام بشىء من ذهبك وفضتك وهكذا تبقينا اصدقاء ، فان لم تفعل ذلك فاننا سندمرك انت وشعبك كما دمرنا الملوك المذكورين » . وقد وصلت البعثة الى لويس وهو فى قيسارية بعد فشل حملته على مصر (١٢٥١م) . انظر :

Joinville, pp. 2558-259.

(٧٣) جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٢٧٠ .

(٧٤) تكونت هذه السفارة من وليم روبروك احد الرهبان الفرنسيسكان ، وراهب آخر هو برتليمو الكريمونى ، وتابع يسمى نيقولا . وخرجت السفارة من عكا فى ١٢٤٢م الى القسطنطينية ومنها الى معسكر سارتاق «Sartak» احد قادة المغول بالقرب من نهر الفولجا حيث ابدى وليم تشككه فى مسيحية سارتاك . ثم توجهت السفارة الى معسكر باطو قائد القبيلة الذهبية الذى كان مقيما شرقى نهر الفولجا فى مدينة اردو . ثم وجه باطو السفارة الى قراقورم لمقابلة منكو خان حيث وصل وليم هناك فى ٢٧ ديسمبر ١٢٥٣م وفى أغسطس ١٢٥٤م غادرت السفارة منغوليا حيث وصلت الى عكا فى مايو ١٢٥٥م ، وكان الملك لويس قد وصل الى فرنسا . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشام ، ص ٢٧٢ . وما بعدها . راجع أيضا :

—

سابقتها(٧٥)٠وهكذاعندما حاولت السلطات الدينية والعلمانية الصليبيةان تجتذب الى صفها العنصرالمغولى ضد المسلمين فى مصروبلاد الشام،وبعثت السفارات الى بلاد المغول لاستمالتهم وللتجسس عليهم ، وجدت أن عليها أن تخضع للمغول كسادة العالم ، فى الوقت الذى حمل رد المغـول الى البابا لويس التاسع سفراء مغوليين بعثوا اصلا للتجسس أيضا ، ولمعرفة مدى قوة اوربا وجيوشها الصليبية(٧٦) ٠ ولم يكن عرض المغول على الصليبيين بالقيام بعمل مشترك ضد المسلمين لاستعادة الاراضى المقدسـة للمسيحية الا رخصة يصل بها جواسيسهم الى الجيوش الصليبية للوقوف على مدى قوتهـا واسـتعدادها لهجوم خانات المغول الذى لن يفرق بين مسـلم ومسيحى ٠ وبينمـا فشلت السلطات الصليبية فى مسعاها ، نجح المغـــول فى التمويه على حـــكام المسيحية الذين ملأهم الامل الكاذب بالتحـــالف مع من راوهم اعداء للمسلمين فقط(٧٧) ٠ ومما يثبت أن

= William Rubruck, Itinerarium, Passim. CF. also, Haworth, History of the Mongols, Vol. 1, pp. 170 ff.

(٧٥) « اذا عرفت اوامرنا واطعتنا ابعث الينـــا بمعوثيك ٠ واذا لم تطعنا فلا تقل لنفسك ان بيننا وبينكم بحار وجبال ، فستعرف ما فى مقدورنا القيام به » ٠ انظر :
William Rubruck, Itinerarium, pp. 250-251.

(٧٦) كما كان النجاح الوحيد الذى حققته سفارات البابا الى خانات المغول يتمثل فى التاريخ الذى وضعه سيمون أوف سان كوينتين ، فان نجاح سفارات لويس تمثل فى وصف الرحلة الى الشرق الذى تركه لنا وليم روبروك والذى يعد دليلا على الارتحال فى أعماق آسيا وسجلا نادرا عن عادات وتقاليد المغول ٠ وفيما عدا ذلك فان سفارات البابوية والملك لويس لم تؤت ثمارها ٠ انظر : جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على بلاد الشـام ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، ٢٧١ ٠ راجع أيضا :
Baldwin, Missions, p. 479; A.S. Atiya, The Crusades, p. 243.

(٧٧) يذكر متى الباريزى أن أنباء اعتناق جنغطـــاى للمسيحية كانت تبعث على التفاؤل فى الاوساط الاوربيـــة ٠ ولم يكتشف احد ان المغول لا يحبون أن ينادوا بالمسيحيين بل يفضلوا ان ينـــادوا بالمغول «Moal» وتأكد أن سارتاك مسيحيا كما كان يعتقد الملك لويس ٠ انظر :
Mathew Paris, Chronica Majora, Vol. 5, p. 87; William Rubruck, Itinerarium, pp. 107, 123.

المغول لم يتخلوا أبدا عن خضوع الصليبيين لهم ، الخطاب الذى بعث به هولاكو الى الملك لويس التاسع بعد موقعة عين جالوت (سبتمبر ١٢٦٠م/ رمضان ٦٥٨هـ) مباشرة والذى تم اكتشافه حديثا(٧٨) ،ويحاول فيه هولاكو أن يقنع اللاتين بالهجوم على المسلمين من جهة البحر ، بينما يقوم المغول بالهجوم عليهم برا ، ويصبح من السهل التغلب على المسلمين فى مصر وبلاد الشام بضربة صليبية مغولية واحدة(٧٩) . الا أن هولاكو بالرغم من دحر قواته على أيدى المماليك ، وبالرغم من اضطراب أحواله فى بلاده(٨٠) واحتمال حاجته للتحالف مع الملك الفرنسى ضد المماليك ، الا انه اعقب عرضه هذا بتهديد الملك الفرنسى بانه « اذا لم تصل مساعدته قريبا فانه اى (لويس) سيجرب المصير الذى حاق بالعاصين لأوامر المغول »(٨١) . وهكذا يتضح من كل ردود المغول على البابوية والملك لويس ، أن خانات قراقورم لم يعرضوا على

---

(٧٨) اكتشف هذا الخطاب بول ميفيرت «Paul Meyvaert» ضمن صفحات مخطوط بالمكتبة الاهلية بمدينة فيينا . والمخطوط يتحدث عن حياة القديسين اللاتين . ويحتل الخطاب آخر صفحة بالمخطوط.ومن محتويات الخطاب يمكن التاكد من أنه قد كتب بعد موقعة عين جالوت مباشرة (سبتمبر ١٢٦٠/شوال ٦٥٨هـ). انظر :

Paul Meyvaert, An Unknown Letter of Hulagu, Il-Khan of Persia to King Louis IX of France, in Viator, Vol. 11, 1980, pp. 245-261 (the Letter in pp. 252-259).

(٧٩) Paul Meyvaert, An Unknown Letter, p. 259.

(٨٠) مات الخان منجو شقيق هولاكو فى ١١ اغسطس ١٢٥٩م/٢٠ شعبان ٦٥٧ هـ ، فاضطر هولاكو الى سحب جزء من قواته وتوجه الى شرقى فارس حتى يرقب ما ينتج عن الصراع الذى نشأ بين شقيقيه قبيلاى واريق بوقا الذى أخضعه قبيلاى فى١٢٦١م/٦٥٩هـ. وتولى الحكم فى منغوليا . كما قام النزاع بين هولاكو وبركة خان القبيلة الذهبية الذى كان يميل الى المسلمين ، وهزم هولاكو فى منطقة القوقاز الفاصلة بين أملاكهما فى ١٢٦٩م/٦٦٧هـ ، وترك هولاكو مع كتبغاعشرة آلاف مقاتل فى سوريا.انظر : رشيدالدين المهذانى : جامع التواريخ ، ص ٣٠٨ ؛ راجع أيضا :

Hayton, La Flor, p. 173; Bar Hebraeus, p. 439; CF. also, Howorth, History of the Mongols, Vol. 3, p. 151.

(٨١) Paul Meyvaert, An Unknown Letter, p. 249.

الصليبين الا الخضوع وليس التحالف . وبالطبع لم يكن لصليبيى مملكة بيت المقدس أن يتخلصوا من خطر المماليك ـ الذين لم تكن احوالهم قد استقرت فى مصر بعد ـ بالخضوع لسطوة المغول التى لا ترحم . واذا كان هيثوم الاول ملك قيليقية الارمينى قد انتابه الخوف من المغول عندما رآهم يخضعون سلاجقة الروم فى عام ١٢٤٣م/٦٤١هـ ، وتأكد من وصول الخطر المغولى الى بلاده ، فسارع بايفاد شقيقه المؤرخ سمباد فى ١٢٤٨م/٦٤١هـ الى بلاط جيوك خان يعرض على الاخير خضوعه وولائه(٨٢) ، واذا كانت سفارة سمباد قد ملأت المسيحيين قاطبة بأمل كاذب فى استمالة المغول الذين ضمنوا لهيثوم ـ المسيحى ـ سلامة ووحدة بلاده(٨٣) ، اذا كان الامر كذلك فان الزيارة التى قام بها الملك هيثوم بنفسه الى بلاط الخان منكو فى عام ١٢٥٤م/٦٥٢هـ(٨٤) قد زادت من أوهام العالم المسيحى فى امكانية اجتذاب المغول ضد المسلمين(٨٥) .وربما كان لما أورده المؤرخ الارمينى هايتون أثر كبير فى ازدياد الامل لدى الحالمين من الصليبيين فى حسن نوايا المغول تجاه قضيتهم ، وأيضا فى دفع رينيه جروسيه وغيره من المؤرخين الحديثين الى لوم الصليبيين فى مملكة بيت

---

(٨٢) توجه سمباد الى منغوليا فى عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ وعاد الى ارمينيا فى عام ١٢٥٠م/٦٤٨هـ ، Sempad, p. 561.

(٨٣) كانت الرسالة التى بعث بها سمباد الى زوج شقيقته هنرى الاول ملك قبرص عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ والتى كتبها فى مدينة سمرقند وهو فى طريقه الى قراقورم تحمل انباءا عن ازدياد انتشار المسيحية فى آسيا وخاصة بين المغول ، الامر الذى زاد من تفاؤل الاوربيين وأملهم فى دخول المغول الى حظيرة كنيسة روما . انظر :
William of Nangis, Vie de Saint Louis, in R.H.G.F. Vol. XX, pp. 361-363, Hayton, La Flor, p. 163.

(٨٤) عاد هيثوم الى سيس فى نهاية يوليو ١٢٥٥م/جمادثان ٦٥٣هـ. وقد قام كثير من المؤرخين الحديثين بترجمة الجزء الخاص برحلة هيثوم الى قراقورم من المخطوط الخاص بتاريخ كيراكوس الارمينى الذى لم يذكر اية تفاصيل عن اتفاقية هيثوم مع خان المغول . انظر :
Bretschneider, king Haithon's journey to Mongolia, in Medieval Researches, pp. 163-171; J.A. Boyle, The Journey of Hetum 1; King of Litte Armenia, to the court of the Great khan Mongke, in C.A.J., Vol. 9, 1964, pp. 175-189.

(٨٥) Peter Jackson, The Crisis in the Holy Land, 1260; in E.H.R., 1980, p. 486.

المقدس على عدم محاولتهم التحالف مع المغول(٨٦) . فقد ذكر هايتون أن الملك الارميني قد طلب من منكوخان المغول سبعة طلبات وافق عليها منكو دون تردد . وكان أهم هذه الطلبات اثنان : الاول منهما ان يقبل الخان المغولي الدخول هو وشعبه في المسيحية ، وثانيهما انه على منكو أن ينتزع الاراضي المقدسة من ايدي المسلمين ويردها الى حوزة المسيحية(٨٧) . الا أن التمعن في رواية هايتون وتتبع سير الاحداث بعد ذلك ، يثبت أن التحالف بين المغول والصليبيين كان مستحيلا قيامه . فرواية هايتون التي كتبها في فرنسا ١٣٠٧م/٧٠٥هـ(٨٨) ليس لها ـ اذا كانت رواية صادقة ـ نظير في كتابات مؤرخ معاصر مثل كيراكوس الذي كتب رواية مفصلة عن رحلة هيثوم الى بلاط الخان . كما لم يذكر عنها شيئا المؤرخ الارميني سمباد شقيق هيثوم نفسه عند حديثه عن رحلة أخيه الى قراقورم . الى جانب ذلك ، فان هيثوم قد توجه لمقابلة منكو كتابع يملأه الخوف وليس كحليف وند . فعندما اعتلى منكو العرش « ارسل باطو الى الملك هيثوم يامره بالذهاب الى بلاط منكو خان ، فرحل هيثوم الذي كان يخشى الخان »(٨٩) . وهكذا يمكن تحديد نتائج محاولة هيثوم لتلافي الخطر المغولي بخضوعه التام للتتار وليس تحالفه معهم ،

(٨٦) مع أن التاريخ الذي وضعه هايتون (كتبه في ١٣٠٧م/٧٠٥هـ في فرنسا) يعد مسحا تاريخيا للشرق ، الا انه في حقيقته كان مجرد دعاية سياسية للارمن . انظر :
A.S. Atiya, The Crusades in The Later Middle Ages, pp. 62-63; Peter Jackson, The Crisis, p. 485.

(٨٧) كانت بقية طلبات هيثوم السبعة هي كالآتي: أن يعيد المغول كل ما فتحوه من أملاك هيثوم، وأن يحصل على مساعدة قوات المغول القريبة من بلاده في الوقت الذي يطلبها فيه ، وأن يعيد المغول الى الارمن كل الاراضي التي استولى عليها المسلمون من قبل وانتقلت الى حوزة التتار . واخيرا أن يكون لهيثوم الحق في الاحتفاظ بكل ما يغنمه من اراضي المسلمين دون أن يعارضه المغول . وقد أورد مارينو سانودو هذه الرواية بالنص . انظر :
Hayton, La Flor, pp. 164-166; Marino Sanudo, Liber Secretorum, pp. 236-237.

(٨٨) Hayton, La Flor, pp. XXV-XLVI.

(٨٩) Bretschneider, King Haithon's Journey p. 166; J. Boyle, The Journey of Hetu'm I, p. 178.

وبامكانية خضوع أمير انطاكية ـ صهر هيثوم ـ الصليبى لهم ، الامر الذى لابد وأن حدثهم به هيثوم الذى لم يكن يعبر ، عند زيارته للخان المغولى ، عن سياسته الشخصية ووجهة نظره فحسب،بل عن سياسة صهره بوهيمند السادس ايضا(٩٠) .ومن كل ما سبق يتضح لنا أن الصليبيين فى مملكة بيت المقدس كان عليهم أن يعلنوا خضوعهم التام للسيادة المغولية ، وفرق كبير بين الخضوع وبين التحالف الذى لامهم على عدم تحقيقه كثير من المؤرخين الغربيين الحديثين . ويتأكد ذلك بتتبع موقف المغول من الفرنج فى بلاد الشام منذ فتح التتار لاقليمى جورجيا وارمينيا وانتصارهم على سلاجقة الروم ، وحتى تصادمهم مع المماليك فى عين جالوت . فقد رأينا فيما سبق(٩١) . أن بيجو قد طلب من بوهيمند الخامس الخضوع له وارسال جزية سنوية لم يكن بمقدور الامير الصليبى الوفاء بها . وبعد استيلاء هولاكو على حلب (يناير ١٢٦٠م/صفر ٦٥٨هـ) تلقت حكومة عكا الصليبية انذارا من هولاكو يطلب فيه أن تخضع له(٩٢) . وعندما

(٩٠) فى الحقيقة لم نقف على نص تاريخى يثبت ذلك ولا يسمح لنا بالاخذ بهذا الرأى الذى يتفق عليه كل من الدكتور سعيد عاشور والدكتور السيد عبد العزيز سالم سوى امكانية وقوف هيثوم على أحوال امارة انطاكية وأميرها صهر الملك الارمينى ، والتى لا تسمح لبوهيمند أن يقاوم الخطر المغولى المحدق بالجميع . انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١١٢٣ ــ ١١٢٤م ، السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٣ .

(٩١) انظر ما سبق من الفصل الرابع ، ص ٣٧٧ .

(٩٢) كتب توماس أجنى أسقف بيت لحم ومندوب البابا فى المملكة الصليبية فى أول مارس ١٢٦٠م الى ملوك وأمراء أوربا ورجال الدين فيها ، يخبرهم فيها بانذار هولاكو للفرنج والذى اعتبره توماس دليلا على كفر هولاكو بقوله :

«Etenim idem Rex Tartarorum nobis Litteras blasfemiae Plenas in Deum Viventem in audite superbie destinavit ..Dominus Deus Israel,.. inclina aurem tuam, et Audi Omnia verba regis Tartarorum, qui misit, ut exprobaret nobis Deum Viventem, dicens, tuum posse esse in celis, Mangakan vero in terris.»

« حقا ان نفس ملك التتار قد ارسل الينا خطابات مليئة بالكفر ضد الرب الحى بكبرياء لم يسمع به ... يا رب اسرائيل ، ... انصتوا جيدا واسمعوا كل كلمات ملك التتار التى بعث بها كى =

اضطر هولاكو الى الرحيل عن بلاد الشام بعد موت الخان الكبير ترك قائده كتبغا على رأس جزء من قواته وبعثه « الى دمشق والشام واوصاه بأهلها ويحفظ البلاد وأن يكون قبالة الفرنج »(٩٣) . وعندما استسلمت دمشق للمغول « خافت الفرنج منهم خوفا كثيرا ، وحصنوا بلادهم وحملوا الى كتبغا التقادم والهدايا الكثيرة فطلب منهم أن يخربوا الاسوار التى على مدنهم وقلاعهم ، فلم يوافقوه على ذلك »(٩٤) . وبالطبع لم يكن هدم وتخريب أملاك الفرنج شرطا يطلبه من يريد التحالف معهم . واذا كان كل ذلك يعد دليلا على عدم امكانية قيام التحالف بين الفرنج فى مملكة بيت المقدس والمغول ضد المسلمين ، فانه فى ذات الوقت يثبت أن كل ما كان يريده المغول من الصليبيين هو الخضوع المسيحى التام لسلطة الخان العظيم،وهو نفس الخضوع الذى ابداه كثير من بنى أيوب المسلمين للمغول . وبذلك لم يكن يهم المغول أن يكون التابع مسلما أو مسيحيا . ومهما يكن من أمر ، فقد كان على بوهيمند السادس أن يدفع ثمن السلام الذى منحه اياه المغول . فبعد أن سجد أمام هولاكو مثل العبيد(٩٥) ، وافق على اعادة البطريرك اليونانى الى منصبه فى بطريركية انطاكية ، مضحيا بذلك بوحدة الكنيسة اللاتينية فى الشرق(٩٦) . وبالطبع لم تكن مصالح الكنيسة تهم بوهيمند ، الذى حرص مثل أسلافه من أمراء انطاكية ـ بدءا ببوهيمند الثالث ـ على مصالحه الشخصية دون النظر الى الصالح الصليبى العام . وتلقى بوهيمند من المغول فى المقابل ثمن خضوعه لهم . فقد سلم له المغول كل أملاكه فى وادى نهر العاصى والتى كانت بحوزة المسلمين مثل دركوش وكفردوبين وكفر بليمس وكشفهان التى بقيت فى حوزته حتى سقوط انطاكية فى أيدى المماليك فى عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ(٩٧) . كما استولى بوهيمند فى نفس

= يفترى على الرب الحى قائلا ، سلطتك فى السماء وسلطة منكو خان على الارض » : انظر :

Letter of Thamas, Agni, p. 548.

(٩٣) ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٣ .

(٩٤) ابن العميد : نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٩٥) Letter of Thomas Berard, p. 492-493.

(٩٦) Peter Jackson, The Crisis in The Holyland, p. 494.

(٩٧) يذكر ابن عبد الظاهر أن استيلاء بوهيمند على هذه الاماكن قد =

الوقت على اللاذقية(٩٨) وجبلة(٩٩) . وهكذا استغل بوهيمند الفوضى التى اثارها الغزو المغولى فى أملاك المسلمين، واستطاع ربط كونتية طرابلس بامارة انطاكية بعد انفصال دام ثلاثة ارباع القرن(١٠٠) . وكان على

= وقع عند أخذ المغول لحلب ، ونفس الرواية ذكرها ابن الفرات . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص ٣٢٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط تصوير شمسى ، مجلد ١٢ ، لوحة ٢٩ .

(٩٨) يذهب كلود كاهن الى أن استيلاء بوهيمند على اللاذقيـة كان بمساعدة الداوية والاسبتارية دون أن يقدم ما يثبت ذلك . وفى الحقيقة ليس هناك ما يؤكد اشتراك الجماعتين مع بوهيمند فى أخذ اللاذقية . وقد ذكر بيبرس فى خطابه الى بوهيمند السابع فى ١٢٨٥م/٦٧٣هـ يلومه على ان والده (بوهيمند السادس) قد استولى على اللاذقية دون وجه حق . ومن المرجح أن بوهيمند استغل فترة الفوضى التى سببها الغزو المغولى بين صفوف المسلمين وسارع بالاستيلاء على اللاذقية لاهميتها فى ربط أملاكه فى انطاكية وطرابلس الى جانب كونها ميناء أنطاكية الرئيسى . واول اتفاق بين بوهيمند والاسبتارية بخصوص اللاذقية كان فى الاول من مايو ١٢٦٢م/٩ جماد ثان ٦٦٠هـ حيث منح بوهيمند نصف اللاذقيـة للاسبتارية . واخذ الداوية نصفها الآخر.انظر:ابن عبد الظاهر الروض الزاهر : ص ٤٤٥ . راجع ايضا :
Cartulaire, Vol. 2, no. 3022, p. 29; Inventaire des Piéces de Terre Sainte de L'Ordre de L'Hopital, ed. J. Delaville le Roulx; in R.O.L., Vol. 3, 1895, nos. 325-326, p. 98 CF. also, Cahen, La Syrie du Nord, p. 706.

(٩٩) يفهم من رواية ابن عبد الظـاهر أن الداوية والاسـبتارية قاما بمسـاعدة بوهيمنـد فى استرداد جبلة من المسلمين ، وتقاسمت الجماعتان المدينة بينهما ونفس الشىء ذكره ابن الفرات.انظر: ابن عبد الظـاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٠ ــ ٣٣١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مجلد ١٢ ، لوحة ٣٢ .

(١٠٠) بعد أن هرب الناصر من دمشق اتفق الوزير الحافظى مع أهلها على تسليمها لنواب هولاكو الذى عين بها حاكما مغوليا يساعده ثلاثة من الفرس ، وأمر بحسن معاملة أهلها ، ثم أصدر مرسوما للاشرف موسى صاحب حمص بان يكون نائبه فى دمشق وبلاد الشام . انظر : ابن العميد : أخبـار الايوبيين ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤ ؛ المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦ .

بوهيمند بعد ذلك أن يشارك المغول فى دخول دمشق(١٠١) . وتم دخول المدينة دون مقاومة من أهلها فى أول مارس ١٢٦٠م/منتصف ربيع أول ٦٥٨هـ(١٠٢) بينما رفض والى قلعة دمشق تسليم القلعة وقرر مقاومة قوات كتبغا ، واستمر فى مقاومة هجوم المغول لعـدة ايام ثم سلمها بالأمان(١٠٣) . وفى دمشق ، وكما كان الامر فى كل المدن الاسلامية التى استولى عليها المغول من قبل ، حصل المسيحيون على حق الاحتفال علانية بسيادة عقيدتهم . فأمر بوهيمند الذى رافق كتبغا وهيثوم بأن يحول مسجد دمشق الجامع الى كنيسة ، ولم تسلم أماكن العبادة الاسلامية فى المدينة من الاعتداءات(١٠٤) وتلا سقوط دمشق سلسلة من الهجمات المغولية على بقية المدن الاسلامية استولى المغول فيها على ماردين(١٠٥)،وخربوا بانياس وبعلبك ووصلوا الى غزة(١٠٦) . ولكن

---

(١٠١) رشيد الدين الهمذانى جامع التواريخ ، م ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

(١٠٢) ابن العميد : تاريخ الايوبيين ، ص ١٧٤ .

(١٠٣) كتب الزين الحافظى الى هولاكو بما حدث فأمر بقتل الوالى محمد بن قريجاه الذى قاوم المغول وقتله الزين الحافظى بنفسه حسب اوامر هولاكو . انظر : ابن العميد : اخبار الايوبيين ، ص ١٧٤ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٦ ، أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢١٢ .

(١٠٤) أمر بوهيمند بأن يقام القداس فى المسجد وأن تدق الاجراس ، كما أمر رجاله ان يسكبوا الخمر على جدران سائر المساجد فى دمشق، وأن يدخلوها مع مواشيهم وأن يأكلوا فيهـا لحم الخنزير وأن يتفوهوا بالالفاظ البذيئة .وكلف بوهيمند عشرة من رجالهبالقيام بذلك تشفيا فى المسلمين . انظر : اليونينى (قطب الدين) : ذيل مرآة الزمان ، جزءان حيدر آباد ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢ . راجع ايضا : Gestes des Chiprois, p. 751.

(١٠٥) يذكر ابن العميد أن المغول أمروا عليها الملك المظفر ابن الملك السعيد بعد موت أبيه اثناء حصارهم للمدينة ، وبعد أن خضع لهم المظفر ، قتل المغول كل أمرائه وأمروه بتخريب أسوار المدينة . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ .

(١٠٦) ويذكر ابو المحاسن ان بوهيمند قد ساعد التتار فى فتح بعلبك وكان ينوى طلبها من كتبغا لنفسه . انظر : ابو المحاسن : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ٣ أجزاء ، ورقة ٣٨٢ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٦ .

السؤال الذى يطرح نفسه الآن : هل بعد أن وصل المغول فى مد سلطانهم على أملاك المسلمين حتى حدود مصر ، كان على الفرنج فى مملكة بيت المقدس أن يعاودوا المحاولة للتحالف معهم ؟ فمازال رينيه جروسيه يلقى باللوم على صليبيى المملكة لعدم اسراعهم بموالاة المغول ، ويبين المؤرخ الفــــرنسى كيف فاز هيثوم الارمينى وبوهيمند بكل املاكهم التى كانت بحوزة سلاجقة الروم وبنى أيوب قبـــل الغزو المغولى مكافأة لهما على خضوعهما لهولاكو(١٠٧) . ويرى أن سجود بوهيمند واذلاله امام هولاكو أمرا طبيعيا مادام صار صنيعا وحليفا لهولاكو(١٠٨) .فهل كان الصليبيون فى عكا سيقبلون استعادة مدينة بيت المقدس ـ التى صارت عكا كمينـاء تجارى لديهم أهم كثيرا من اى أثر دينى ـ وكل أملاكهم السـابقة تحت السيادة المغولية بعد أن رفضوا استعادتها تحت السـيادة الالمانية ؟ وفى الحقيقة فان كل ما حدث كان يمنع قيام التعاون المشترك بين الطرفين . فالفرنج فى عكا منقسمون على أنفسهم بعد الحرب الاهليـة التى نشبت بينهمجميعا .ولم يكن منالسهلتوحيدكلمتهمبشانالتعاونمعالمغول(١٠٩) . ولم يكنفىوسع البنادقةان يجازفوا بتجارتهم معمصربعدأنخسروا صداقة بيزنطة التى اكتسبها الجنوبية فى الوقت ذاته . وايضا بعد أن تحولت تجارة الشرق الاقصى ، التى كانت تجتاز الطريق الى الخليج العـربى والبحر الاحمر ، الى البحر الاسود حيث وطد الجنوبية مركزهم بتحالفهم مع البيزنطيين(١١٠) .كما كانت الكنيسة اللاتينية فى المملكة الصليبية وفى روما نفسها مازالت تعانى من أثر الصدمة التى سببتها عودة البطـريرك اليونانى الى بطريركية انطاكية بفضـل النفوذ المغولى على بوهيمنـد

---

(١٠٧) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 585-586.

(١٠٨) Grousset, Histoire des Groisados, t. 3, p. 586.

(١٠٩) Cahen La Syrie du Nord, p. 708.

(١١٠) بالرغم من موافقة ميخائيل باليو لوج امبراطور بيزنطة اليونانى على اعادة الاتفاق مع البنادقة فى ١٢٦٨م/٦٦٦هـ واعادة امتيازات البنادقة اليهم فى عاصمته ، وكذلك موافقته على عودة التجـار البنادقة فى حيهم فى القسطنطينية فى ١٢٧٧م/٦٧٥هـ الا أن اعادة فتح القسطنطينية كان قد قضت على احتكار البنادقة لتجارتها انظر :
Louise Buenger Robert, Venice and the Crusades, in Setton, Vol. 5, pp. 438-444.

السادس . كما كان كثير من اللاتين فى المملكة معـادين للمغول بسبب التاثير الارمينى فى الوقت الذى لم يستفد فيه من الغزو سوى المسيحيين الارثوذكس ، ولم يكن الفرنج قد نسوا كيف عامل المغـول المسيحيين فى أوربا واخيرا بسبب السمعة الرهيبة التى كانت تسبق المغول فى كل مكان ، فقد كان هذا هو التـاثير الذى احدثه المغـول الذين لهم عادات بربرية جدا(١١١) بدا معها أنهم يقصدون ابادة الحضارة كلها . أما عن تسهيل الفـرنج لمأمورية الجيش المملوكى فى عبـور الاراضى الصليبية لملاقاة المغول ، والذى يعتبره جروسيه تحالفا مع المسلمين ضد المغول حلفـاء المسيحيين ، ويلوم الفرنج عليه(١١٢)؛فان التحالف الصليبى الاسلامى لا يعتبر امرا مشينا فى مواجهـة المغـول الا اذا كان مشينا فى مواجهة الخوارزمية(١١٣) . والى جانب ذلك فان ما اغفله جروسيه (حين أقام دعوته) ، وما يعبر عن الموقف المسيحى الصليبى النهائى تجاه المغول ، هو حرمان بوهيمند السادس وقطعه من الكنيسة لموالاته للمغـول الامر الذى يعد أبلغ رد على دعوى جروسيه(١١٤) . واخيرا فانه من المؤكد

---

(١١١) أكد سيمون أوف سان كونتين أن العنف واثارة الرعب فى القلوب كانا تكتيكا عسكريا يتبعه المغول تجاه أعدائهم . فأحيانا دون داع لاثارة الفزع فى قلوب أهالى المدن التى سيتوجهون لفتحها فانهم يقومون بأكل لحوم الاناث من أهالى آخر مدينة فتحوها . وكانوا يتبعون ذلك مع المدن التى تقاومهم ولا تخضع لهم دون قتال . ويعدد سيمون الوسائل التى ملكها المغول فى قتل سكان مدينة الدربند التى تقع على شاطىء بحر قزوين بالقرب من تفليس والتى فتحوها فى عام ١٢٣٩م كما أطلق متى الباريزى فى أكثر من مناسبة اسم أكلة لحوم البشر على المغول . انظر : Vincent de Beauvais, Speculum, Lib XXX, Ch. 77, 83; Matthew Paris, Chronica Majora, Vol. 4, p. 76, Vol. 6, p. 77. CF; also, Gregory G. Guzman, Simon of Saint Quentin as Historian of the Mongols and Seljuk Turks, in M.H. (new series), Vol. 3, 1972, p. 160.

(١١٢) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 525-530, 580-606.

(١١٣) Cahen, La Syrie du Nord, p. 708.

(١١٤) فى ٢٦ مايو ١٢٦٣م/١٦ رجب ٦٦١هـ ، أصـدر البـابا أوربان الرابع قرار الحرمان ضد بوهيمند السادس لخضوعه للمغـول واحلاله بطريركا يونانيا أرثوذكسيا فى كرسى بطريركية انطاكية محل البطريرك اللاتينى الكاثوليكى.وبعث البابا بذلك فى خطاب =

أن كلا من بوهيمند وهيثوم اذا كانا يعرفان أن هولاكو سيعود بجزء كبير من قواته الى الشرق ، وأن المماليك فى مصر قد استعدوا للقاء المغول ، وأن النفوذ المغولى سينتهى من بلاد الشــام فى أسرع وقت ، وأن الاميرين الانطاكى والارمينى سيكونا هدف الانتقام الاسلامى ، ما كانا تحالفا مع المغول . وهكذا كان على انطاكية ان تدفع ثمن خضوع أميرها للمغول ، وثمن تحسن علاقاتهــا بالارمن . وهكذا بعد أن بدا ان الملك لويس هو العون الفعال ، وارتكن الارمن على الامل فى نجاحه فى فتح مصر ، اذ بحملته تفشل تماما ، فى ضمان اى أمن للمسيحيين الصليبيين والارمن فى مواجهة المسلمين من أيوبيين وسلاجقة . فاضطر هيثوم الاول الى البحث عن سند آخر ولم يكن ذلك سوى التتار . فخضع لهم وتحالف معهم ـ فقد كان هو أكثر المستفيدين من الغزو المغولى للشرق الادنى الاسلامى ـ ، بينما خضع بوهيمند أمير انطاكية للسيادة المغولية بحــكم الضرورة ، وليتجنب وامارته المتهالكة مغبة عصيانه لانذارهم الذى تجاهله أبوه من قبل(١١٥) . أما عن الصليبيين فى عكا ، فبينما كانت قوات كتبغا تندفع الى داخل دمشق ، كان بارونات عكا فى اجتماع ليناقشوا الموقف . فاما ان يخضعوا للمغول واما يعانوا ما عاناه المسلمون من قوات كتبغا . وقد رأوا ان يستبعدوا فكرة الخضوع لانهم ادركوا ان عليهم بالرغم من خضوعهم للمغول دفع جزية ضخمة عينا ونقدا وهو أمر لم يكن بمقدورهم القيــام به(١١٦) . ولما اجتاح المغول بعض القرى الفرنجية ، ولما لجأ بعض المسلمين الفارين من الغزو المغولى الى القلاع الصليبية مفضلين الاسر الفرنجى على الموت بوسائل المغول ، فقد كان على الفرنج أن يحسبوا حســاب الغزاة الجدد . ولما لم يكن بينهم ملك يقرر أمورهم ، ورفضوا من قبل زعامة بوهيمند السادس ، ولم يكن المندوب البابوى توماس اجنى رجل دولة بارع ، الى جانب عدم درايته بسياسة الشرق ، فقد رحل البطريرك جيمس

= الى بولس أسقف طرابلس . انظر :
Urban IV, Pope Ricgestres d'Urban iv, ed. M.J. Guiraud, 4 Vols, Paris, 1892-1929, Vol. 2, no. 292, p. 133.

(١١٥) B. Hamilton, The Armenian Church and The Papacy at the time of the Crusades, in E.C.R., Vol. X, 1978, p. 81.

(١١٦) Jean Richard, The Latin Kingdom, Vol. B, p. 388.

بانتليـــون «James Pan Taléon» - البـــابا أوربان الرابع فيمـــا بعد - (١١٣) الى رومافىنهاية ١٢٥٨م/٦٥٦هـ(١١٨)٠ويعكس خطابهم الى شـــارل كونت انجو مدى ذهولهم لما حدث حولهم فى المنطقـة من تطورات ، حتى أنهم ندموا على اندحار أعداء الامس «الايوبيين»(١١٩) لكل ذلك لم يكن أمام الفرنج سوى الاستعداد داخل معاقلهم حتى تصلهم النجدة من أوربا(١٢٠) ٠ الا انه حدث ما غير سياسة الفـرنج وسـاعد على تغيير ظروف بلاد الشام تماما ٠ ففى الوقت الذى بدا فيه كتبغـــا تعاطفا مع المسيحيين ومضطهدا للمسلمين ، قام جوليان حاكم صيدا(١٢١) بما افسد العلاقة الفرنجية المغولية الجديدة ٠ فلم ير جوليان فى اندحار المسلمين امام المغول سوى فرصته فى الاغارة على املاك المسلمين حوله ،

---

(١١٧) شغل بطريرك بيت المقدس (١٢٥٥ - ١٢٦١م) منصب البابوية لمدة أربع سنوات (١٢٦١ - ١٢٦٤) بعد موت البـابا الكسندر الرابع (١٢٥٤ - ١٢٦١م) فى مايو ١٢٦١م ٠ انظر :
Eracles, pp. 445-446; CF. also, B. Hamilton, The Latin Church, p. 270.

(١١٨) يذكر هرقل ان البطريرك رحل الى أوربا حتى لا يأخذ الاوامر من مطـارنته ، وترقى أسـقف بيت لحم توماس آجنى ، الى وظيفة المندوب البابوى فور رحيل جيمس ٠ انظر :
Eracles, p. 446.

(١١٩) Lettre a Charles d'Anjou, p. 207.

(١٢٠) يذكر كل من روتلان ومارينو سانودو ان الفرنج استعدوا للحصار بأن قطعوا اشجار البساتين المحيطة بعكا وهدموا ما بنــوه من ابراج فى هذه البساتين ، ومن المقبرة أخذوا الحجارة لاستخدامها كقذائف ضد الات حصار المغول ٠ انظر :
Ms. of Rothelin, p. 636; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 221.

(١٢١) خلف جوليان فى حكم صيدا اباه باليان ابلين وظل جوليـان فى حكمها (١٢٤٧ - ١٢٧٥م) دون أن يتمتع بقرارات أبيه وأحواله السـياسية وتزوج فى ١٢٥٢م من أيوفيمى «Euphemie» ابنــة هيثوم الارمينى ٠ وفى ١٢٦٠م باع صيدا والشقيف للداوية لعدم استطاعته الدفاع عنهما بعد تدمير المغول لاسوار صيدا ٠ ومات جوليان فى ١٢٧٥م تاركا زوجته الارمينية وثلاثة أبنـاء جون وباليان ومارجريت ٠ انظر :
John L. La Monte, The Lords of Sidon, in B., Vol. 17, 206-209.

فقام بغارة على مرج عيون وعاد بأسلابه الى الشقيف . ولم يكن ابن اخت كتبغا المسئول عن المنطقة التى تتاخم صيدا ليطيق صبرا على هذا التعدى الفرنجى .فخرج لعقاب جوليان، الا أن الاخير هزمه وقتله ، فبعث كتبغا الذى ملأه الغضب بقوة أغارت على صيدا وقوضت الاسوار ، وقتلت من وجدته من الفرنج . الا أن المغول لم يهاجموا القلعة التى وصل اليهـا جوليان على سفينة جنوية كانت فى طريقها من صور الى أرمينيا ، كمـا لم يهاجموا المدينة كلها . ولم يعد كتبغا يثق فى الصليبيين الذين لم ينسوا بدورهم نهب المغول لصيدا(١٢٢) . حدث ذلك فى الوقت الذى فتح فيه المماليك باب المفاوضات مع الفـــرنج . فبعد أن تحـــدى سيف الدين قطز(١٢٣) . الانذار المغولى(١٢٤) . وخرج بـجيش مصر فى ٢٧ يولية

---

(١٢٢) يذكر اليونينى أن المغول اخذوا من صيدا ثلاثمائة أسيرا . انظر : اليونينى (قطب الدين) : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٠. راجع ايضا :
Ann. T.S., p. 440. Hayton, La Flor, p. 174, Eracles, pp. 444-445.

(١٢٣) كان قطز مملوكا لشخص يدعى ابن الزعيم فى دمشق ، وهنـاك رواية تقول بانه ابن اخت خوارزم شاه ، وانتهى به الحال بعد قضاء التتار على الخوارزمية الى الرق ، ثم صار احد مماليك عز الدين أيبك التركمانى زوج شجر الدر بعد موت الصـالح نجم الدين أيوب . وكان قطز من أخص مماليك أيبك وقادته . وهو الذى قتل فارس الدين اقطـاى منافس أيبك على عرش مصر . وبعد موت أيبك وشجر الدر ، صار قطز أهم شخصية فى بلاط المنصور نور الدين ابن أيبك الذى تولى السلطنة فى ١٢٥٧م/ ٦٥٥هـ ، وكان عمره خمسة عشر عاما . لذلك استفحل أمر قطز وصار هو المشار اليه بديار مصر . ولما وصل الخطر المغولى الى غزة ادرك قطز أن السلطان المنصور ليس اهلا للقيام باعبـاء الجهاد ضد المغول فقرر خلعه وتمت مبايعة قطز فى ٦ نوفمبـر ١٢٥٩م ١٧ ذى القعدة ٦٥٧هـ باسم السلطان سيف الدين قطز . وبقى المنصور معتقلا حتى تولى بيبرس البندقدارى الحكم فى مصر ونفاه وامه وأخاه الى نيقية . انظر أبو المحاسن : النجوم الزاهـرة ، ج ٧ ، ص ٤١ ، ٥٥ ، ٨٤ ، وما بعـدها ، ابن عبد الظـاهر : الروض الزاهر ، ص ٧٨ — ٧٩ ، المقـريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ،

(١٢٤) عندما بعث هولاكو برسله الاربعة الى قطز يطلبون منه الاستسلام ويهددونه بخراب مصر ان لم يخضع لهولاكو أمر قطز بقتل =

١٢٦٠م / ١٥ شعبان ٦٥٨(١٢٥) ؛ استولت مقدمة جيشه بقيادة الامير بيبرس البندقدارى على غزة بعد فرار نائب كتبغا منها(١٢٦) ؛ واقتربت قوات مصر من عكا ، وحتى يأمن قطز جانب الفرنج ، فقد بعث اليهم يطلب حيادهم بينه وبين المغول ، وأن لا يعترضوا طريقه أثناء المرور فى اراضيهم . وهكذا ضمن قطز عدم قيام اى تحالف بين المغول والفرنج فى الوقت الذى كان يعرف فيه أن هولاكو قد عاد الى فارس،ولم يكن مع كتبغا القوات المغولية الكبيرة كالمعتاد(١٢٧) . ولما جاءت مبادرة قطز فى وقت لم يكن قد نسى فيه الصليبيون اعتداء المغول على صيدا ، فقد أبدوا استعدادهم للتعاون معه لولا أن نصيحة مقدم جماعة التيوتون قد حددت هذا التعاون بمجرد السماح لقطز بالمرور عبر الاراضى الفرنجية واظهار روح الود تجاه

= الرسل وعلقت رؤوسهم على باب زويلة . انظر : المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ، ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(١٢٥) اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، جـ ١ ، ص ٣٦٥ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ص ٤٢٩ ، ابن ايبك (الدوادارى) : الدرة الزكية فى اخبار الدولة التركية (وهو الجزء الثامن من كنز الدر وجامع الغرر) تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١م ، ص ٤٩ .

(١٢٦) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٠ ، رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، جـ ١ ، ص ٣١٣ .

(١٢٧) برحيل هولاكو كان لابد وأن يتناقص عدد المغول فى الشام . وقد اختلف المؤرخون حول عدد القوات التى تركها هولاكو مع كتبغا . فبينما اتفق كل من فارتان وكيراكوس الارمينيان على أن كتبغا دخل المعركة ومعه عشرون الف مقاتل بما فيهم من أرمن وجورجيين ، فان تاريخ هرقل يحدد قوات كتبغا بمائة الف مقاتل . بينما اتفق ابن العبرى وهايتون على انهم فقط عشرة الاف . ويبدو أن العدد الذى أورده فارتان وكيراكوس هو الاقرب الى الدقة . انظر :

Eracles, p. 444; Vartan, Histoire Universelle, p. 294; Kirakos de Gan Jack, Histoire d'Arménie, p. 498; Hayton, La *Flor, p. 172-173*; Bar Hebraeus, The Chronography, p.437. CF. also, Peter Thorau, The Bttle of Ayn Jalut : a Re-Examined, in Crusade and Settlement pp. 236-237.

المماليك(١٢٨) . وهكذا تفرغ قطز لملاقاة كتبغا وقواته ، ووصل قطز الى عين جالوت(١٢٩) فى يوم الخميس ٢ سبتمبر ١٢٦٠م/٢٤ رمضان ٦٥٨هـ . فخرج كتبغا من حمص ووصل الى عين جالوت فجر اليوم التالى الجمعة ٣ سبتمبر ١٢٦٠م/٢٥ رمضان ٦٥٨هـ حيث التقى الجمعان وانتهى الامر بانتصار المسلمين ومقتل كتبغا وغالبية قواته وأسر ابنه مع بقية التتر(١٣٠) . واذا كان المؤرخون قد اتفقوا على أن موقعة عين جالوت كانت احدى المعارك التاريخية الحاسمة(١٣١) ، وأن انتصار المسلمين — وهزيمة المغول — فى هذه المعركة قد غير ما كان بدائه مقدر للشرق الادنى الاسلامى ، من شكل تاريخى يشبه ما قدر لشرق آسيا وشمالها ؛ الى الشكل التاريخى الذى ضاع الامل فى تحقيقه بموت صلاح‌الدين الايوبى ، والذى نجح المماليك فى تحقيقه والعمل على استمراره لمدة تقترب من الثلاثمئة عام(١٣٢) ، اذا كان الامر كذلك فانه من الأحرى الوقوف على أسباب انتصار المسلمين الحقيقية

---

(١٢٨) يذكر المقريزى أن الفرنج خرجوا لمقابلة قطز « بتقادم وارادوا أن يسيروا معه نجدة فشكرهم » بينما يذكر ابن عبد الظاهر أن بيبرس دخل عكا للتفاوض مع الفرنج وعرف أحوالهم وأراد أن يحث قطز على‌اخذها أولا لولا رفض الاخير للفكرة.وذكر روتلان أن مقدم التيوتون كان يرى أن المسلمين سيوجهون جهودهم ضد الفرنج حالما يتلخصون من التتار . ويبدو أن مصالح التيوتون فى أرمينيا كانت تتفق ومصالح المغول حلفاء الارمن . انظر : المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٠ ، ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر ، ص ٦٤ . راجع أيضا :
Ms. of Rothelin, p. 637, Gestes des Chiprois, pp. 752-754.

(١٢٩) مدينة صغيرة بين بيسان ونابلس . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٧٦٩ .

(١٣٠) يذكر ابن العميد أن المماليك أسروا « قطلواقيمش ولد كتبغا وقيجق اخو كتبغا وزوجة كتبغا وانهزم بيدرا ومعه جماعة من التتار ومضوا الى هولاكو . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٠ — ٤٣١ ؛ رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ج ١ ص ٣١٣ — ٣١٥ .

(١٣١) Cahen, La Syrie du Nord, p. 710; Ruciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 313.

(١٣٢) Peter Thorau, The Battle of Ayn Jalut, p. 236.

فى هذه المعـركة . فلا شك ان حيـاد الفرنج الذى حققه قطـز قد جنب المسلمين القتال على الجهتين فى وقت واحد ، وضمن للمسلمين عدم قيام تحالف بين المغول والفرنج فى الوقت الذى وقف فيه قطز على مدى قوة المغول(١٣٣) . الى جانب ذلك ، فان عدد القوات التى خاض بها قطز المعركة ، كان على الاقل لا يقل عدد قوات كتبغا(١٣٤) كما ان تكون قوات الطرفين كانله اكبر الاثر فى انهزام المغول أمام قوات قطز . فبينما كان جيش قطز يضم بين صفوفه القوات المملوكية المصرية الى جانب من « وصل الى مصر من عسكر الملك الناصر ومن اجتمع عنده من التركمان والشهرزورية »(١٣٥) وكلهم ممن يكرهون التتار ، فقد تكون جيش كتبغا من التتار ومن والاهم من أمراء مسلمى الشام . وكان من بين هؤلاء من اشتد فى قتال المسلمين مثل الملك السعيد صاحب بانياس(١٣٦) . ومنهم

---

(١٣٣) بالرغم من معرفة قطز برحيل هولاكو مع غالبية قواته ، الا انه حتى وصوله الى عين جالوت كان يخشى قوة المغول ، ولم يؤكد له قلة أعدادهم عن المعتاد سوى الرسالة التى بعث اليه صـارم الدين أزبك مملوك الاشرف صاحب حمص الذى جاء مع سـيده بصحبة المغول الى مكان المعركة ، والتى أوردها قيرطاى العزى . انظر ابن أيبك الدوادارى : الدرة الزكيـة ، ص ١٥٧ ، راجع أيضا :

G. Levi della vida, L'invasion dei Tartari in Siria nei 1260 nei record di un testimone Oculare, in Oriantalia, Vol. 4, 1935, 253-276; Cahen, La Chroniq que de Kirtay et Les Francs, in J.A., Vol. 229, 1937, pp. 140-145.

(١٣٤) يرى بعض المؤرخين أن عدد قوات المماليك فى معركة عين جالوت كان ضعف قوات المغول . انظر :

Peter Thorau, The Battle of Ay Jalut, p. 237.

(١٣٥) « الشهروزورية » نسبة الى شـهر زور ، وهى احدى جهـات كردستان ، وفر أهلها الى الشام ، ومصر من وجه التتار ، وتزوج بيبرس من هؤلاء وحالفهم . انظـر : ابو المحاسـن : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص ١٠١ ، حاشية ١ ، ابن العميد : أخبـار الايوبيين ، ١٧٥ ؛ اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، جـ ١ ص ٣٦٥ .

(١٣٦) كان السعيد صاحب بانياس والصبيبة هو ابن العادل الثانى . وبقى محبوسا بالشام حتى موت الصالح أيوب وابنـه تورانشـاه ، واخرجه التتار من حبسه فى قلعة البيرة فصار معهم . ولما انهزم المغول حاول التقرب من قطز الذى أمربقتله . انظر:اليونينى: =

من قام بدور كبير فى مساندة قطز وهزيمة المغول مثل الملك الاشرف(١٣٧) ، واخيرا مملوك الاخير صارم الدين ازبك (١٣٨) . ومن رواية ازبك والتى أوردها المؤرخ قيرطاى كما رواها له ازبك ؛ نقف على طبيعة الدور الذى لعبه الاخير والاشرف موسى فى هزيمة المغول ، وايضا على حقيقة ما حدث فى تلك المعركة . فغالبية المؤرخين يذهبون الى ان قطز كلف بيبرس بأن يذهب ببعض قواته لمناوشة المغول والانسحاب أمامهم لجرهم الى مكان يكمن فيه قطز لهم مع الجزء الاكبر من جيشه ، ثم ينقض عليهم ويباغتهم . ووقع المغول فى كمين المماليك بالرغم من انهم كانوا يألفون أسلوب القتال هذا . لذلك فاننا نميل الى الاخذ برواية قيرطاى ، الى جانب أن من أخبره بتفاصيلها كان مشاركا فى هذه الاحداث . فقد وصل صارم الدين من الموصل الى معسكر كتبغا وهو على نهر الاردن فى طريقه لمواجهة جيش قطز ، وبعث صارم الدين بغلام لديه ، على انه جاسوس للمغول ، الى قطز وبيبرس ليعرفهم « أن التتار لا شيء فلا تخافوا منهم ، وان تكون ميمنة المسلمين قوية بالخيل والرجال ، وأن التتار فى عسكر قليل ، وأوصيته ان يوصى المسلمين أن يكون الملتقى عند طلوع الشمس . وانا والملك الاشرف فى ميسرة التتار ، فاذا رأيتم رنكى (علمى) احملوا على ولعى أصحابى وأنا والملك الاشرف ننهزم بين

= ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ؛ ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ .

(١٣٧) كان الاشرف موسى صاحب حمص قد وصل الى حلب لمقابلة هولاكو الذى منحه مرسوما بان يكون نائب التتار فى دمشق وبلاد الشام بعد أن توسط له مملوكه صارم الدين ازبك الذى تقرب من هولاكو وصار يتظاهر بالخضوع له . انظر : ابن ايبك الدواداري : الدرة الزكية ، ص ٥٥ - ٦٦ ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ص ١٧٣ ، ١٧٤ . راجع ايضا :

Levi della Vida, L'invasione dei Tartari, pp. 362-363; Cahen, La Chronique de Kirtay, p. 145.

(١٣٨) كان صارم الدين أحد مماليك الاشرف موسى صاحب حمص ، وحين هاجم المغول حلب تخفى بزيهم وتقرب من هولاكو بحسن حديثه وسرعة بديهيته . انظر : ابن أيبك الدرة الزكية ، ص ٥٣ ، وأيضا :

Levi della Vida, L'invasione dei Tartari, p. 359.

أيديكم(١٣٩) • وهكذا فبالاضافة الى العوامل السابقة ، فان انسحاب صاحب حمص ومماليكه من بين صفوف التتار كان هو السبب المباشر فى كسر ميسرة الجيش المغولى الذى لاقى المسلمين بعد المسير طوال الليل ، وبعد أن اشتد الحر بعد طلوع الشمس ، ونال من المغول التعب فى الوقت الذى انقض عليهم قطز بقواته الاكثر عددا أو الاكثر راحة • ولم تكن هزيمة المغول فى عين جالوت هى النتيجة الوحيدة لهذه المعركة ، بل تلاها انتهاء السيادة المغولية فى بلاد الشام • واسترد المسلمون دمشق(١٤٠) وحلب(١٤١) • وخضع للسيادة المملوكية كل من حاكمى حمص وحماة الايوبيين(١٤٢) • وهكذا عادت الوحدة الاسلامية لتضم

---

(١٣٩) يبدو من رواية قيرطاى أن كتبغا كان لديه الوقت الكافى ليسأل صارم الدين مملوك الاشرف عمن يخصه كل علم من أعلام الجيش المملوكي وذلك قبل أن يشتبك مع المسلمين ، مما يدل على أن وقوع التتار فى كمين اعده المسلمون لهم كان أحد الاعذار التى أوردها رشيد الدين الهمذانى لكتبغا خاصة وان ابن عبدالظاهر مؤرخ بيبرس لم يذكر شيئا عن هذا الكمين • انظر : ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ٥٧ ، ابن عبد الظاهر : ، ص ٦٣ — ٦٤ ، رشيد الهمذانى : جامع التواريخ م ٢ ، ج ١ ، ص ٣١٣ • وأيضا: Levi della Vida, L'invasione dei Tartari, p. 366.

(١٤٠) هرب زين الدين الحافظى وزير الناصر يوسف فى دمشق ونواب التتار من دمشق بعد يومين فقط من هزيمة كتبغا ، أى فى ٤ سبتمبر ١٢٦٠م/٢٧ رمضان ٦٥٨هـ ودخلها قطز فى ٩ سبتمبر/ ٢ شوال من نفس العام • انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ؛ المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ،ص—٤٣٢•

(١٤١) لميذكر أى من المؤرخين عن استرداد المسلمين لحلب من التتار شيئا سوى تعيين قطز لعلاء الدين ابن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كنائب عنه فى حلب • ولم يزد على ذلك سوى بيبرس الدوادارى الذى ذكرانقطزارسلالىحلب منالعسكر من يحفظها وذلك بعد دخوله دمشق • ويذكر ابن عبد الظاهر أن قطز حين أناب علاء الدين بحلب سماه بالملك السعيد لانه يشاركه فى اسمه (المظفر) • انظر : بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة النبوية مخطوط بمكتبة البودليان ، ج ٩ ، لوحة ١٧٦ أ، ١٧٧ ب ، ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٦ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٣ ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٦ •

(١٤٢) أعاد قطز كل ملاك المنصور صاحب حماة اليه ، كما أنه أقر =

مصر وبلاد الشام الامر الذى كان يشكل خطرا داهما بالنسبة للصليبيين فى بلاد الشام ، وكانت امارة انطاكية هى أول من يداهمه هذا الخطر .

« لقد زحف علينا فى الماضى ملك فرنسا ، وملك انجلترا ، وملك المانيا وامبراطور الرومان . وقد مروا كسحابة بددتها الرياح . فلياتوا ، فليأت الملك شارل ، فليأت ومعه اليونانى والمغولى ، سنغتنى من كنوزهم ، وفى الحرب سيكتب لنا المجد كمنتصرين » هذه الكلمات ينسبها وليم الطرابلسى(١٤٣) الى السلطان بيبرس(١٤٤) . واذا كانت هذه

= الاشرف صاحب حمص على أملاكه « ولم يعارضه فى شىء بالجملة » وكان الاشرف قد توجه الى تدمر بعد هزيمة التتار ثم ارسل قطز يطلب امانه فامنه قطز . مما يدل على رضاه عنه بعد انسحابه من بين صفوف التتار فى عين جالوت الامر الذى يؤكد صدق رواية قيرطاى ، والا كان قطز قد قتله كما فعل بالسعيد بن العزيز صاحب بانياس الذى استمر فى مساندة التتار فى عين جالوت . انظر : ابن العميد : أخبار الايوبيين ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ؛ بيبرس الدوادارى : زبدة الفكرة ، مخطوط ، لوحة ١٧٥ ب ، ١٧٦ أ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٣ .

(١٤٣) كان وليم الطرابلسى احد اعضاء جماعة الرهبان الدومنيكان فى عكا ، وواحدا ممن بعثوا بتقاريرهم الى البابا جريجورى العاشر (١٢٧١ - ١٢٧٦م) بناء على طلب الاخير للوقوف على أصلح السبل لاحياء الروح الصليبية . انظر :

William of Tripoli, Tractatus de Statu Saracenorum, ed. Hans Prutz, in Kulturgeschichte der Kreuzzuge, Berlin, 1883, p. 587.

(١٤٤) بعد ان رتب قطز امور الشام عاد الى مصر وقتل بتدبير من الامير بيبرس البندقدارى . ولقد اختلف المؤرخون حول سبب مقتل قطز والوسيلة التى قتل بها وأيضا حول تاريخ مقتله . فقد اتفق كل من المقريزى واليونينى وابوالمحاسن وبيبرس الدوادارى على ان بيبرس ضمر لقطز لعدم موافقته على منحه حلب ، وأنه قتله عند دخولهم مصر عند الصالحية اثناء عملية صيد ، واشترك بيبرس مع أمراء قطز فى مقتل الاخير . بينما اتفق كل من ابن عبد الظاهر وشافع بن على وابن العميد على ان سبب مقتل قطز هو تغيره ناحية بيبرس وتخوف كل منهما من الآخر ، وان كان ابن عبد الظاهر يجعل من بيبرس القاتل الوحيد .وكان =

الكلمات تعكس مدى استعداد بيبرس للتصدى لملوك اوربا ، فانها دليل واضح على أنه ركز سياسته للقضاء على الكيان الصليبى المتداعى فى بلاد الشام ، وأنه أعد نفسه لتنفيـذ هذه السـياسة . وفى الحقيقة فان كل الانجازات التى حققها بيبرس تدل على أنه كان يتميز بالذكاء وحسن السياسة والشجاعة والحس الدبلوماسى المرهف . ويعتبر بيبرس من الشخصيات النادرة فى التاريخ الاسلامى ، ولولا قسوته تجـاه أعدائه لما ضـاهاه صلاح الدين فى عظمة شخصيته(١٤٥) . وقبل أن يبـدأ بيبرس مشروعه ضد الصليبيين ، اتخذ سلسلة من الاجراءات الداخليـة فى مصر ، كان من شأنها تدعيم مركزه داخليا وخارجيا . فبدأ باكتساب أهل مصر الى جانبه(١٤٦) . ثم تلا ذلك بسلسلة من أعمال التحصينات لكل خطـوط دفاعه فى مصر وبلاد الشام . ولدعم قواته العسكرية قام بتجديد الاسطول

= مقتل قطز يوم السبت ٢٤ اكتوبر ١٢٦٠م/١٧ ذى القعدة ٦٥٨هـ . كما ذكر ابن عبد الظاهر وليس ٢٥ أكتوبر/١٥ ذى القعدة كمـا ذكر ابن العميد ، وان كان السـبت يوافق ٢٣ أكتـوبر/١٦ ذى القعدة . ودخل بيبرس مصر واعترف به الامراء سلطانا وتلقب بالملك الظاهر . انظر : المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٥ ؛ اليـونينى : ذيل مرآة الزمان ، ج ٤ ، ص ٣٧٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٨٣ ــ ٨٤ ، بيبرس الدواداري : زبدة الفكرة ، مخطوط ، لوحة ١٧٧ ب ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٧٦ ــ ٦٨ ؛ شافع بن علي : حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، مخطـوط بدار الكتب المصرية ، تصوير شمسى لوحة ٨ ، ابن العميد : أخبـار الايوبيين ، ص ١٧٦ . راجع أيضا : جمال الدين سرور دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤١ .

(١٤٥) جاء فى تقرير وليم الطرابلسى الى البابا أن بيبرس لم يكن أفضل من يوليـوس قيصر فى الامور العسـكرية لكنه كان أسوأ من نيرون الامبراطور الرومانى فى شروره . انظر :
William of Tripoli, Tractatus de Statu Saracenorum, p. 587.

(١٤٦) رفع بيبرس كل الضرائب التى كان قطز قد فرضها على أهل مصر استعدادا لقتال المغول ، فاطمأن الناس بعد أن كانوا يخشـون عودة المماليك البحرية وسوء مملكتهم وجورهم . انظـر : شافع بن علي : حسن المناقب ، لوحة ١١ ؛ المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٣٧ ــ ٤٣٨ ؛ جمال الدين سرور : دولة الظـاهر بيبرس ص ٤٦ .

المصرى الذى أهمل أمره منذ أيام صلاح الدين(١٤٧) . وأخيرا أقام نظاما بريديا على درجة كبيرة من الكفاءة أتاح له — وهو الذى كان يتحين الفرص لمفاجئة خصومه — أن يقف على كل ما يجرى على حدوده البعيدة وفى كل أنحاء دولته(١٤٨) . ثم وجه بيبرس جهوده للقضاء على كل أشكال التمرد بين أمرائه(١٤٩) . وأضاف صفة الشرعية على حكمه بأن جعل القاهرة مقرا للخلافة العباسية التى أقرت حكمه بامتنان(١٥٠) .

---

(١٤٧) وصل عدد سفن بيبرس الى الاربعين سفينة ، وأعاد ترميم سور الاسكندرية وكل القلاع التى هدمها المغول عند فتحهم لبلاد الشام . وقد أورد ابن عبد الظاهر قائمة بكل أعمال التحصينات التى قام بها بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٠ — ٩٣ .

(١٤٨) أقام بيبرس نظاما بريديا دقيقا.فكان الخبر يصل الى دمشق فى أربعة أيام . ولا يبقى الخطاب فى مدينة من المدن أكثر من مدة كتابته ، ومكن هذا بيبرس من ترتيب أمور الشام وقلاعه ومدنه . كما مكنه ذلك من الوقوف على أحوال الصليبيين فى بلاد الشام . الى جانب ذلك ،فقد جند بيبرس الكثير من السكان المسلمين القاطنين على حدو أملاك الفرنج أو المغول فى أعمال التجسس على هؤلاء ، مما ساعد على معرفة تحركاتهم ونواياهم تجاهه. وكان من أهم جواسيسه على الفرنج ، البحتريين فى لبنان . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٥ ؛ صالح ابن يحيى : تاريخ بيروت ، نشره لويس شيخو ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٦٧ — ٦٩ . راجع أيضا :

Cahen La Chronique de Kirtay, p. 144; Kamal Salibi, The Buhturids of the Garb, in Arabica, Vol. 8, 1961, p. 87.

(١٤٩) بعد أن قضى صاحبا حمص وحماةعلى محاولةالمغول لاسترداد حلب فى ديسمبر ١٢٦٠م/٦٥٩هـ ، تمرد الامير علم الدين سنجر الحلبى فى دمشق بعد مقتل قطز ولم يعترف بحكم بيبرس وأعلن نفسه سلطانا فى دمشق وتسمى بالملك المجاهد ، الى أن بعث بيبرس بالامير علاء الدين البندقدارى الى الشام وتمكن من قمع حركة سنجر فى ١٧ يناير ١٢٦١م/١٣ صفر ٦٥٩هـ ، كما أخضع بيبرس تمرد الامير شمس الدين انوشى البرلى نائب بيبرس فى نيسان الذى خرج الى حلب طامعا فيها ثم هرب الى سنجار حيث بقى مع التتار . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٩٤ — ٩٨ ، ١١٣ — ١١٤ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ،لوحة ٢٣ ؛ بو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٧، ص ١٠٤ — ١٠٨ .

(١٥٠) كان احياء الخلافة العباسية واعترافها بحكم بيبرس يعد سندا شرعيا له وتعويضا للمسلمين عما فقدوه عند غزو المغول لبغداد التى أصبحت القاهرة حاضرة الخلافة بدلا منها.منذ استقبل =

وهكذا انفرد بيبرس بحكم دولة تمتد من شمال الشام حتى بلاد النوبة ، وكانت كل السلطات في يده هو . وتميزت الادارة في دولته بانها كانت أكثر مركزية وأكثر تنسيقا ، وأكثر فاعليـــة من الادارة الايوبية(٥١) . كل ذلك مكن بيبرس من القيام بمشروعه ضد الصليبيين في بلاد الشام . الا انه قبل تنفيــذ مشروعه هذا قام باتخاذ الاجراءات لتدعيم مركزه أمام الفرنج والمغول أيضا . فنجده يوطد علاقاته ببركة، خان القبيلة الذهبية ،

= بيبرس أحد أبناء البيت العباسي ويدعى أحمد بن الخليفة الظاهر بن الناصر واعترف به خليفة للمسلمين باسم المستنصر بالله . ثم سيره بيبرس بصحبة ألف فارس الى العراق لاسترداد بغداد من المغول الا نه قتل . فارسل بيبرس من أحضر اليه من بغـــداد أبا العباس أحمد الملقب بالامام الحـاكم وهو ابن خمس عشرة سنة الى مصر والتقاه بدمشق وسيره الى مصر وكانت مبايعتـه له في عام ١٢٦٢م/٦٦٠هـ . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، شافع بن علي حسن المناقب ، لوحة ١٥ ؛ الصفدي (الحسن) : تاريخ مصر ، مخطوط ، بمكتبـة المتحف البريطاني ، لوحة ٦٤ أ - ٦٤ ب ؛ النعيمي : أرجوزة في الخلفاء والسلاطين أمراء المؤمنين ، مخطوط بمكتبـة المتحف البريطاني ، لوحة ٧٢ أ . وللمزيد عن مشروع بيبرس لاحيـاء الخلافة العباسية وأهدافه ونتائجه . انظر : جمال الدين سرور : دولة الظاهر بيبرس ، ص ٥٠ وما بعدها . راجع أيضا :

John Andrew Boyle, The death of the Last Abbasid Calif in J.S.S., Vol. 6, 1961, pp. 145-161; G.M. Wickens, Nasir, AD-Din Tusi on the fall of Baghdad, in J.S.S., Vol. 7, 1962, p. 23-35.

(١٥١) كانت الدولة الايوبية عبارة عن اتحاد بين امارات مستقلة تربط بينها العلاقات الاسرية لحكامها . بينما كانت الدولة المملوكية عبارة عن دولة مركزية . وكانت بلادالشام بالنسبة لمصر الايوبية امارات مساوية لها ، بينما كانت بالنسبة للمماليك مقـــاطعة مصرية . وبينما كان نظام الوراثة هو المبدأ الاساسي في دولة بني أيوب فان الانتخاب (ماعدا في حالات قليلة) هو مبدأ المماليك. وبينما كانت الجيوش الايوبية تخضع أولا للحكام المحليين ، فقد كان الجيش المملوكي هو الدولة نفسها انظر :

R.S. Humphreys, The Emergence of the Mamluk Army, in S. I, Vol. 14, 1977, pp. 67-99; P.M. Holt, The Position and Power of the Mamluk Sultan, in B.S.O.A.S., Vol. 38, 1975, pp. 237-249.

الذين اعتنق الاسلام وصار معاديا لهولاكو ·وللتضييق على المغول وحلفائهم الارمن ، قدم بيبرس المساعدة الى عز الدين كيكاوس السلجوقى · كما تحسنت علاقات بيبرس بميخائيـــل الثـــامن امبراطور نيقيـــة - ثم القسطنطينية - البيزنطى(١٥٢) وللوقوف على حقيقة نوايا غرب أوربا تجاه مصر ، وللحصول على المعلومات بشأن كل مساعدة تهدف أوربا الى ارسالها للصليبيين فى بلاد الشام ، فقـد أقام بيبرس ، علاقات ودية مع مانفريد «Manfred» حاكم صقلية(١٥٣) ·وكان ذلك دافعا لشـارل كونت انجو ، عدو مانفريد اللدود ، لأن يبعث بسفارة ودية الى القاهرة ينشد فيهـــا صداقة بيبرس(١٥٤) · وهكذا حقق بيبرس هدفه فى عزل الامارات الصليبية فى بلاد الشام ، فى الوقت الذى كانت قوة الصليبيين قد استهلكتها خلافاتهم الداخلية ، التى لا تكاد تنقطع والحروب الاهلية بين الجاليات الايطالية ، وفى الوقت الذى استعد فيه بيبرس لتوجيه ضرباته اليهم ، كان القتـل والنهب والخـلاف من الروتين اليـومى لصليبيى

---

(١٥٢) نرى سفراء هؤلاء فى بلاط بيبرس فور توليه الحكم · انظـر : ابن عبد الظـــاهر : الروض الزاهر ، ص ٨٧ - ٨٩ ، ١١٦ ، ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٢٨ ·

(١٥٣) مات الامبراطور فريدريك الثانى فى ١٢٥٠م وخلفه ابنه كونراد الرابع ، بينما تولى الحكم فى صقلية مانفريد الابن الغير شرعى لفريدريك على أن يحكمها باسم أخيه كونراد · وفشـل البـابا انوسنت الرابع فى أخذ صقلية من مانفريد الذى استمرت العداوة بينه وبين البابوية حتى قتل فى يناير ١٢٦٦م فى معركة ضد شارل كونت انجو شقيق لويس التاسع ، والذى جندته البابوية لتحقيق أهدافها ضد أسرة الهوهنشتاوفن · الا ان شارل حل محل الاباطرة الالمان فى طموحاتهم لتحقيق المكاسب على حساب البابوية فى ايطاليا وصقلية وحتى الدولة البيزنطية · انظر :

M.M. Ziada, The Mamluk Sultans to 1293, in Setton, Vol. 2, pp. 748; Rohricht, Les Derniers Temps du Royaume de de Jerusalem, p. 368.

(١٥٤) وصل رسول شارل الى القاهرة فى يولية ١٢٦٤م/رمضان ٦٦٢هـ ومضمون كتابه المحبة والمشايحة · « ووصل كتاب أستاذ داره بأن مخدومه أمره بأن يكون أمر السلطان نافذا فى بلاده وأن أكون نائب السلطان كما أنا نائبه » · انظر : عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٠١ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ص ٥١٣·

عكا(١٥٥) الذين دفعتهم متاعبهم الداخلية الى طلب الصلح من بيبرس فى عام ١٢٦١م/٦٥٩هـ ، ثم فى عام ١٢٦٢م/٦٦١هـ . وفى المرتين فرض بيبرس شروطا لم يكن الفرنج يقبلونهـا أو يتحملون قبولها ، وفشلت مساعيهم ، وكان ذلك ما يريده هو(١٥٦) . واذا كان ذلك هو حال الفرنج فى فلسطين ، فان عدوه الاول لم يكن سوى بوهيمند السادس أمير انطاكية وهيثوم الاول ملك قيليقية الارمينى خاصة وان أملاك هؤلاء كانت قريبة من حلفائهما مغول فارس . ومن هنا كان مصدر خطرهما على حدود بيبرس الشمالية ، خاصة على حلب التى تقع بالقرب من انطاكية وكل الاقليم الارمينى الذى يسيطر عليه هيثوم ، والذى قدمه له هولاكو ثمنا لخضوعه له ويضم برج الرصاص ومرزبان ودربساك،وأصبح فى مقدور هيثوم أن يدخل بسهولة الى سهل انطاكية ومقاطعة حلب(١٥٧) . لذلك

---

(١٥٥) تجدد القتال بين الجنوية والبنادقة فى عكا فى ١٦ أغسطس ١٢٦١م/١٥ رمضان ٦٥٩هـ حين هجم لوتشيو جريمالدى قائد الاسطول الجنوى على المدينة واستولى على البرج البحرى ثم توجه الى صور ليظهر أسطول البنادقة ويدمر عدة سفن ، جنوية ، وانسحبت السفن الجنوية الباقية الى صور . انظر :
Eracles, pp. 455-456. CF. also, Heyd, Histoire du Commerce, t. 1, p. 354.

(١٥٦) حضر حنا ابلين صاحب يافا الى بيبرس وهو على العوجا فى طريقه الى دمشق فى ١٢٦١م/٦٥٩هـ وأمنه بيبرس على بلاده . ثم لما وصل بيبرس الى دمشق جاءه رسل الفرنج من عكا يطلبون الهدنة فاشترط عليهم بيبرس شروطا كثيرة لم يقبلوها فزجرهم وطردهم ، وعندما أغار المسلمون من بعلبك على الفرنج جاء الاخرون يطلبون الهدنة ، فقبل بيبرس ذلك لغلاء الاسعار فى الشام « وان كثرة الجلب انما يكون من بلاد الفرنج » وتقرر الصلح على ما كان الامر عليه أيام الناصر يوسف وان يطلق سراح أسارى المسلمين . ولما تأخر الفرنج فى ذلك استخدم بيبرس أسارى الفرنج الى دمشق واستعملهم فى العمائر » وفى ١٢٦٣م/٦٦١هـ جاء رسل الداوية والاسبتارية يطلبون الصلح فطردهم بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١١٧ — ١١٨ ، ١٥١ — ١٥٧ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٣٦٤ ، ٤٨٤ — ٤٨٧ .

(١٥٧) وتمكن هيثوم بتأييد المغول من هزيمة قلج ارسلان السلجوقى فى عام ١٢٥٩م/٦٥٧هـ كما تمكن من اخضاع التركمان الذين استقروا على الحدود الغربية لقيليقية وجرح قائدهم قرمان وحرر من سطوتهم اقليم سلوقية فى ١٢٦٣م/٦٦١هـ انظر : =

كله أصبح الارمن وصليبيو انطاكية هما هدف بيبرس الاول . واخيرا فان موالاة هؤلاء للمغول واعتداءاتهم على المسلمين بصورة متكررة فى دمشق وحلب جعلت منهم هدف انتقام بيبرس ، وخاصة هيثوم الذى اصبح فى نظر المسلمين هو السبب فى جلب جحافل المغول الى العراق والشام . ولم يكن تهديد حلب وأملاك المسلمين فى شمال الشام هو السبب الوحيد الذى جعل من قيليقية وانطاكية مصدر خطر بالنسبة للمسلمين ، وانما كان للعامل الاقتصادى أيضا أثره فى ذلك . فان الغزو المغولى لغربى آسيا قطع طرق التجارة البرية بين آسيا وغرب أوربا ، الامر الذى زاد من اهمية طريق البحر الاحمر ومصر التى انتعشت تجارتها واستطاعت أن تحتكر تجارة البحر المتوسط(١٥٨) . الا أن المغول شجعوا ــ بعد استقرارهم فى جنوب روسيا وفارس ــ التجار على اجتياز الطرق البرية من الصين الى موانى البحر الاسود أو الى اياس فى قيليقية (١٥٩) . ولم تعد مصر تقع على أرخص طريق تجارى بين شرق آسيا وغرب أوربا(١٦٠) . ولزيادة الاهمية التجارية لميناء اياس ــ التى سيطر الجنوية على تجارتها وتجارة البحر الاسود ــ قام بوهيمند بمنح البنادقة امتيازات تجارية فى بلاده فى عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ . واصبح ميناء اياس أهم منافذ السلع الشرقية الى البحر المتوسط بعد أن سيطرت مصر على موانى الشام وفلسطين(١٦١) . الا أن ذلك النشاط التجارى الارمينى هدد

= Cahen, Quelques textes négligés concernant les Turcomans de Rum, in B, Vol. 14, 1939, pp. 133-134; S. Der Nersessian, The Kingdom of Armenia, in Setton, Vol. 2, p. 653.

(١٥٨) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٥٤ .

(١٥٩) Heyd, Histoire du Commerce, t. 2, p. 70.

(١٦٠) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 350-360.

(١٦١) وصف الايطالى ماركو بولو ميناء اياس فى عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ وهو فى طريقه الى الصين بقوله أنه « مدينة حسنة وعظيمة ولها تجارة عظيمة .. وكل التوابل والاقمشة الحريرية والمذهبة والصوفية تأتى الى هذه المدينة » . انظر :
Marko Polo, The Description of the World, ed. A. C. Moule and Paul Belliot, London, 1938, p. 94. CF. also, Heyd, Histoire du Commerce, t. 2, pp; 73 ff.

احتكار مصر للتجارة بين الشرق والغرب وجعل من قيليقية هدفا لحملات المماليك(١٦٢) بعد أن اصبح الارمن أخبث عدو للاسلام(١٦٣) ٠ ومع أن ازدياد تجارة آسيا أدى الى ازدهار ميناء اياس الارميني وقلل من قيمة الموانى الصليبية ، الا ان فائض هذه التجارة استمر فى التدفق الى عكا واللاذقية التى درج تجار حلب المسلمين على النزوح اليها بسلعهم ٠ وكان من الضرورى أن يعود هذا المركزالتجارىالىأيدى المسلمين(١٦٤)٠ وكى يقوم بيبرس بتنفيذ سياسته تجاه الارمن ثم الصليبيين ، كان من الضرورى الفصل بينهما وعزل قيليقية عن بلاد الشام ٠ ولم يكن ذلك يتأتى الا بالاستيلاء على انطاكية نفسها ٠ وقبل كل ذلك كان لابد وأن يؤمن بيبرس خطوط مواصلاته بين مصر ودمشق وحلب ٠ ولقد بدأ بيبرس بمناوشة الفرنج فى انطاكية أولا حيث أغارت القوات التى بعث بها بيبرس ، ضد شمس الدين البرلى فى ١٢٦١م/٦٥٩هـ،على أملاكانطاكية، ووصلت هذه القوات حتى ميناء السويدية واحرقت عدة مراكب كانت بالميناء وخربوه(١٦٥) ٠ وفى يوليو ١٢٦٢م/رمضان ٦٦٠هـ كلف بيبرس كلا من الامير شمس الدين سنقر الرومى مقدم عسكر حلب ، والمنصور صاحب حماة ، والاشرف صاحب حمص بالاغارة على انطاكية وتوجه المسلمون الى الاقليم الواقع بين انطاكية والساحل ونهبوا ميناء السويدية ، وأحرقوا بعض المراكب الراسية فيه ، وأسروا من الفرنج ما يقرب من ثلاثمئة أسيرا(١٦٦) ٠ وفى يوليو ١٢٦٤م/ذى القعدة ٦٦٢هـ توجه هيثوم

---

(١٦٢) Ziada, The Mamluk Sultans, p. 655.

(١٦٣) سعيد عاشور : سلطنة المماليك ومملكة ارمينية الصغرى ، ص١٥٠

(١٦٤) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 360.

(١٦٥) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١١٣ ٠

(١٦٦) اخطأ ابن عبد الظاهر حين ذكر أن المسلمين اخذوا ميناء السويدية فى هذه الغارة ٠ فحسب رواية شافع بن على فان المسلمين قد اكتفوا بالاغارة على الميناء دون أخذه ٠ ويتاكد ذلك من رواية ابن عبد الظاهر نفسه عن حصار بيبرس لانطاكية فى عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ حين يذكر أن قسما من جيش بيبرس قد توجه الى السويدية لمنع وصول المساعدات الى انطاكية مما يدل على أن الميناء كان لايزال فى أيدى الفرنج حتى سقوط انطاكية ٠ ولم يذكر أبو الفدا بصراحة ميناء السويدية فى روايته عن هذه الغارة ٠ كما حدد عدد أسرى الفرنج بأكثر من ثلاثمئة اسير بينما حدده كل من ابن عبدالظاهروشافع بن على بمائتين وخمسين أسيرا٠ =

وبوهيمند السادس الى معسكر هولاكو فى تبريز حيث طلبا منه المساعدات الفورية ، وبفضل توسط هولاكو استطاع هيثوم أن يعقد صلحا مع قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم ، وبذلك أمن جانب السلاجقة(١٦٧) . فجمع قواته فى سرفنتكار فى أواخر عام ١٢٦٤م/أوائل ٦٦٢هـ بقصد الهجوم على أملاك المسلمين فى شمال الشام . وكان بيبرس يقظا لتحركات هيثوم فامر بخروج قوات حمص وحماة للقيام بهجوم مضاد حيث تم صد الارمن، فاستدعى هيثوم المغول الموجودين لدى السلاجقة (٧٠٠ فارسا) ، وفرسان انطاكية (١٥٠ فارسا) والبسهم ملابس المغول لاحداث التأثير المطلوب فى نفوس المسلمين . وتوجه الارمن وحلفاؤهم الى حارم ، ونهبوا جبل ليلون والفوعة ومرمين والجزر واقليم العمق ، وتعقب قوات الحشيشية من مرمين الارمن الذين افسد مشروعهم سقوط الامطار والثلوج ، « وانقطعت عنهم الميرة ، فخافوا ، وتاخروا راجعين »(١٦٨) . ولقد

= ويذكر كل من كاتب تاريخ اعمال القبارصة ، وكاتب تاريخ هرقل أن المسلمين عادوا عن انطاكية لحضور هيثوم الذى استنجد بهولاكو وقوات التتار لانقاذ انطاكية ، بينما لم يذكر المؤرخون المسلمون شيئا عن هذه النجدات الارمينية المغولية . ويبدو أنه قد حدث خلط لدى مؤرخى اللاتين بين مجىء هيثوم وحملته ضد حلب بعد زيارته لهولاكو فى عام ١٢٦٤م/٦٦٢هـ ، خاصة وأن مؤرخى الارمن قد حرصوا على تسجيل كل مساعدات المغول لهيثوم فى كتاباتهم . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٣٠، ٣٠٧ ، شافع بن على : حسن المناقب ، لوحة ٧٢ ، أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ . راجع أيضا :
Eracles, p. 446; Gestes des Chiprois, p. 755.

(١٦٧) يرجع الفضل فى الوقوف على هذه الاحداث للرواية الدقيقة التى أوردها ابن عبد الظاهر عن رحلة هيثوم الى هولاكو ، والتى جاءت اكثر تفصيلا من رواية المؤرخ الارمينى فارتان الذى كان فى بلاط هولاكو حين وصل الى هناك كل من بوهيمند وهيثوم ، ويبدو أن الحديث عن كرم هولاكو لفارتان ورجال الدين الارمن قد شغل الاخير عن الاهتمام بوجود سيده هيثوم وما تم له . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٩١ . راجع أيضا :
Vartan, Histoire Univeressale, p. 300.

(١٦٨) يضع اليونينى هذه الاحداث فى عام ١٢٦٣م/٦٦١هـ خطـأ ، ويتحدث عن نجاحات الارمن والحشيشية فقط ، بينما يورد =

اتبع بيبرس سياسة المناوشة نفسها تجاه الصليبيين فى فلسطين(١٦٩) . الا أنه بموت هولاكو فى ٨ فبراير ١٢٦٥م/٢٠ ربيع ثان ٦٦٣هـ ، زال الخطر المغولى وأصبحت بلادالشام‌مفتوحة‌امام‌أعمال‌بيبرس‌الثارية(١٧٠). فحمل بيبرس على الفرنج فى فلسطين ، واستولى فى شهرين (فبراير - مارس ١٢٦٥م/ربيع ثان - جماد ول ٦٦٣هـ) على قيسارية وحيفا ، ودمر عتليت بعد مقاومة الداوية بالقلعة ، ثم أرسوف وقتل كل من فيها من الاسبتارية ، وفى العام التالى فتح صفد وقتل كل من فيها من الداوية ، ثم تبنين وهونين(١٧١) . ولما أصبح بيبرس واثقا من عدم حدوث ما يثير

= ابن عبد الظاهر انجازات المسلمين فقط فى الوقت الذى ذكر شافع بن على الاحداث فيه باختصار شديد . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٤١ - ١٩٢ ، شافع بن على : حسن المناقب ، ص ٧٥ ، اليونينى : ذيل مرآة الزمان ، ج ١ ، ص ٥٣١ ، النويرى : نهاية الارب فى فنون الادب ، مخطوط ، تصوير شمسى ، بدار الكتب المصرية ، ج ٢٨ ، لوحة ٧٩ .

(١٦٩) بدأ بيبرس بمهاجمة عكا فى ١٥ ابريل ١٢٦٣م/٤ جمادى الاخرة ٦٦١هـ،ولمدة يومين كما هاجمت قواته عتليت وقيسارية . انظر: ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(١٧٠) مات هولاكو فى مدينة أذربيجان فى ٨ فبراير ١٢٦٥م/٢٠ ربيع ثان ٦٦٣هـ ، وتولى حكم مغول فارس بعده ابنه أباقا الذى يسميه المؤرخون المسلمون أبغا.وماتت طقزخاتون‌بعد وفاةزوجها بثلاثة اشهر ، ولم يكن فى استطاعة أباقا الذى اتبع نفس سياسة أبيه أن يقوم بأية محاولة ضد المسلمين فى بلاد الشام أو مصر ، وذلك لانشغاله فى استكمال حروب أبيه ضد مغول القبيلة الذهبية فى جنوب روسيا بقيادة بركة خان المسلم وحليف بيبرس الذى هزم أباقا فى العام التالى ، وادى فرض الصلاة فى كل ما استولى عليه من أملاك أباقا . ومات بركة فى نفس العام ليستمر النزاع بين حلفائه وأباقا . لذا لم يتمكن اباقا من الاشتراك فى جهد ضد المسلمين بالرغم من تحالفه مع ميخائيل الثامن باليولوج امبراطور بيزنطة الذى زوج أباقا من ابنته بعد موت هولاكو مباشرة . انظر : رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٣٤١ ، ابن الوردى (زين الدين عمر) : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جزءان ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، بيروت ١٩٧٠م ج ٢ ، ص ٣١٢ . انظر :

Vartan, Histoire Universselle, pp. 307 310, Bar Hebraeus, The Chronography, pp. 444-445.

(١٧١) تم فتح قيسارية فى٢٧فبراير ١٢٦٥م/٩جمادى الاولى ٦٦٣هـ، =

قلقه على خطوط مواصلاته بين مصر وشمال الشام ، فقد استطاع أن يوجه ضرباته الى انطاكية وقيليقية حيث عدواه بوهيمند السادس وهيثـــوم الاول(١٧٢) . وكان أن بدأ بيبرس بالهجوم على أملاك بوهيمند . ففى ١٩ نوفمبر ١٢٦٥م/٨ صفر ٦٦٤هـ ، قام بوهيمند بجمع قواته مع امدادات من الداوية والاسبتارية من طرابلس للهجوم على حمص . وتصـدت له قوات علم الدين الباشقردى نائب بيبرس فى حمص وحالت دون عبـوره نهر العاصى والاقتراب من المدينة . ولما فشل بوهيمند فى عبور النهر من مكان آخر ، اندفعت اليـه قوات المسلمين ، فتراجع الفـــرنج يتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون منهم الكثيرين ، أما بوهيمند فقد « قنع من الغنيمة بالاياب ، وكان له أمل فخاب »(١٧٣) . وكان عليه أن يستعد لتلقى هجمات بيبرس المتوالية على املاكه . وفى الحقيقة فان الفـرنج جميعا كان عليهم أن يستعدوا لنفس المصير . فقد كان عام ١٢٦٦م/٦٦٤هـ من الاعوام التى زخرت بفتوح بيبرس فى كل أنحاء الشرق الادنى . ولأنه كان يعد للقيام بمشروع كبير ضد كل أعدائه من أرمن وصليبيين ، فقد قام بالاعداد لهذا المشروع بصورة تدل على حسن تدبيره(١٧٤) فقد أمر باقامة جسر على نهر الفرات بالقرب من الرحبة ، وأمر ببناء « مراكب بدمشق ،

= وارسوف فى ٢٩ ابريل/١١ رجب من نفس السنة ، وصفد فى ٢٣ يونيو ١٢٦٥م/١٨ شوال ٦٦٤هـ . انظر : ابن عبد الظـاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٣٠ – ٢٦٣ . راجع أيضا :
Ann. T.S., pp. 451-452, Eracles, pp. 450, 484-485 CF. also, Rohricht, Les derniers Temps, pp. 377-384.

(١٧٢) Cahen, La Syrie du Nord, p. 715.

(١٧٣) ويذكر العينى أن بوهيمند هزم عند مخاضـــة بلالة التى حاول عبور نهر العاصى منها الى حمص . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٢٤٥ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ، لوحة لوحة ٨١ ؛ العينى : عقد الجمان ، مخطـوط ، ج ٢٢ ، ورقة ٢٦٨ .

(١٧٤) أحسن بيبرس اختيار هذا الوقت للقيام بمشروعه ضـد الارمن والصليبيين لانشغال أباقا خان مغول فارس فى القتال ضد بركة خان مغول روسيا حتى ينفرد بيبرس بالارمن حلفاء المغول دون أن يخشى وصول المغول لمساعدة هيثوم ، انظر :
Michael Prawdin, L'Empire Mongol et Tamerlan, Paris, 1937, p. 153.

وجهزت الى البيرة »(١٧٥) . كل ذلك لايهام المغول بأن خطوته التالية ستكون ضدهم ، فى الوقت الذى بدا يعد للتمويه على الفرنج . فقد خرج بيبرس من مصر فى ٨ مايو ١٢٦٦م/أول شعبان ٦٦٤هـ . وفى ١٠ مايو/٣ شعبان(١٧٦) وصل الى غزة حيث قسم جيشه الى قسمين . وبعث بالقسم الاول ويقوده الامير سيف الدين قلاوون الى حمص دون أن يعرف هؤلاء الى أين ستكون وجهتهم التالية قبل وصولهم الى حمص(١٧٧) . وكانت هذه عادة بيبرس فى تحرى السرية التامة فى تحركات قواته وتحركاته هو؛ مما ساعده كثيرا على نجاح قواته فى انجاز المهام الموكولة اليها دائما فى الوقت الذى كان هو حريصا فيه على مراقبة تحـركات أعدائه لحظة بلحظة(١٧٨) .لذلك كانت المهمة التى كلف بها قلاوون قواته ناجحة بعد كل هذه التدابير . ففى الوقت الذى اتجه فيـه بيبرس الى عكا زاد من التمويه على الفرنج ، فوزع القسم الثانى من قواته فى مواقع شتى . فتوجه الامير علاء الدين البندقدارى الى صور ، بينمـا توجه الامير بدر الدين القيمرى وبدر الدين بيسرى الى حمص والقرين معقل فرسان التيوتون ؛ فى الوقت الذى توجه فيه فخر الدين الحمصى الى جبل عاملة حيث قلاع الحشيشية ، وتوجه ناصر الدين القيمرى الى جهة عتليت(١٧٩) . وبذلك يكون بيبرس قد شغل الفرنج جميعا فى وقت واحد دون أن يعرفوا أى من مواقعهم سيكون هدفا لهجمات المسلمين . وهنا أصدر أوامره الى قلاوون

---

(١٧٥) شافع بن على : حسن المناقب السرية ، مخطوط ، لوحة ٨١ .

(١٧٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٠ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ، مخطوط لوحة ٨٥ .

(١٧٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٠ .

(١٧٨) كان بيبرس يستخدم سـكان الشام المسـلمين فى التجسس على الفرنج والمغول . فنراه يعلم بتحركات بوهيمند قبـل هجـوم الاخير على حمص . لذا استعدت له قوات حمص ولم تمكنه من الاقتراب من المدينة « فاحترز منه وجعل عليه عيونا » انظر : شافع بن على : حسن المناقب ، مخطوط ، لوحة ٨١ .

(١٧٩) استقر الحشيشية فى ثمـان قلاع حول طرابلس وهى مصياف والكهف والعليقات والقدموس والخوابى والمنيقة والرصـافة وابو قبيس . انظر :
C. Defrtmerp. Nouvelles, Rechecbes p. 48.

بالهجوم على نواحى طرابلس ، وكما يذكر ابن عبد الظاهر أن الهجمة كانت مفاجئة للفرنج ، فتمكن قلاوون من فتح حصون حلبا وعرقا والقليعات(١٨٠) . وبذلك سيطر المسلمون على الطريق بين طرابلس وحمص(١٨١) . ولما خرج الفرنج من صافيتا الى حصن الاكراد تمكنت قوات قلاون من ابادة خمسين من رماة السهام الصليبيين الذين خرجوا تمهيدا لهجوم مضاد على المسلمين(١٨٢) . فخرج بعض فرسان الداوية للاغارة على جامعى الكلأ المسلمين ، فانقضت عليهم قوات الحرامية الاسلامية وقضت عليهم واسرت بعضهم(١٨٣) . وهكذا فى أسبوع واحد (٢ يونية — ٩ يونية ١٢٦٦م/٢٧ شعبان — ٤ رمضان ٦٦٤هـ)(١٨٤) . تمكن قسم منقوات بيبرس من فتح ثلاثة حصون صليبية وأسر الكثيرين من الفرنج واخذ ما كان لديهم من مؤن وعتاد(١٨٥) . هذا ، بينما كان

---

(١٨٠) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ ؛ شافع بن على : الحسن المناقب ، مخطوط لوحة ٨٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١١ لوحة ٩٩ — ١٠٠ ؛ النويرى: نهاية الارب ، مخطوط ، جـ ٢٨ ، لوحة ٨٧ . راجع أيضا :
Ann. T.S., p. 452.

(١٨١) Cahen, La Syrie du Nord, p. 715.

(١٨٢) اعتبر مارينو سانودو أن هذه الحملة كانت كارثة بالنسبة للصليبيين فى شمال الشام ، انظر : شافع بن على : حسن المناقب ، مخطوط ، لوحة ٨-١ ، النويرى : نهاية الارب ، مخطول ، جـ ٢٨ ، لوحة ٨٧ . راجع أيضا :
Marino Sanado, Liber Secret orum, p. 222.

(١٨٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٢ ، النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، جـ ٢٨ ، لوحة ٨٧ .

(١٨٤) يضع مارينو سانودو ظهور قلاوون امام طرابلس فى ٢ يونيو/٢٧ شعبان ، ويحدد ابن عبد الظاهر نهاية الحملة بيوم ٩ يونيو/٤ رمضان . ولم يضع أى من بقية المؤرخين تاريخا لهذه الحملة . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٥٢ . راجع ايضا :
Marino Sanudo, Liber, p. 22.

(١٨٥) استسلم للمسلمين جماعة من الفرنج بالقرب من حصن الاكراد وهرب كل من كان من الفرنج فى حلبا وعرقا ، كما أمر المسلمون بعض من داوية صافيتا وقتلوا البعض الآخر ووجد المسلمون فى حلبا « كثيرا من نحاس وصناديق وسكر وغيره » كما وجدوا فى عرقا من الغلات شيئا كثيرا والمزروعات شيئا كثيرا » انظر : =

بيبرس قد هاجم عكا واستولى على صفد وتبنين وسيطر بذلك على اقليم الجليل(١٨٦) . وكانت مكاسب بيبرس فى حملته هذه كثيرة . ويكفى أن نعرف حدود هذه الحملة التى حددها بدقة ابن عبد الظاهر حتى نقف على طبيعة هذه المكاسب « وقد توالت المكاسب وعمت الغارة بلاد الفرنج من حدود طرابلس الى قريب أرسـوف »(١٨٧) . وفى الحقيقة لم يدرك الخطر المحدق بالصليبيين فى تلك الفترة سوى جماعة الاسـبتارية الذين سارعوا بطلب الصلح من بيبرس(١٨٨) . فبعث مقدم الاسـبتارية الى دمشق برسول لمقابلة بيبرس ولطلب الصلح على أملاك الاسبتارية من جهة حمص وحماة وقلاع الحشيشية(١٨٩) . ولم يقبل بيبرس عقد الهدنة مع الاسبتارية الا بعـد تنازلهم عن كل ما كانوا يجبونه من جزية على حمـاة وحمص وقلاع الباطنية وعلى أن يكون لبيبرس حق خرق الهدنة وقتمـا شاء(١٩٠) . وهكذا اشترى الاسبتارية أمنهم وسارعوا باسترضاء بيبرس وسرعان ما أدرك الداوية أنه من الحكمة أن يحذوا حذو الاسبتارية . فبعد

(=) ابن عبـد الظـاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١١ ، لوحة ٩٩ – ١٠٠ .

(١٨٦) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, 321.

(١٨٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٢ .

(١٨٨) كان الاسبتارية قد بعثوا برسولهم وبيبرس على حصار صفد ولكنه « اهتم بأمر صفد لأنها الغصة فى حلق الشـام والشجا فى صـدر الاسلام » انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٥٣ .

(١٨٩) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٦٦ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ، مخطوط لوحة ٩١ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١٢ ، لوحة ٦ .

(١٩٠) حرص المؤرخون على ذكر قيمـة الجـزية التى تنـازل عنهـا الاسبتارية . فقد اتفق كل من ابن عبد الظاهر وشافع على أنهـا كالآتى : أبو قبيس ثمانمائة دينار وقلاع الدعوة ألف ومائتى دينار الى جانب خمسـين ألف مد حنطة ومثلها من الشـعير ، وعلى حمص وحماة أربعة آلاف دينار . بينما أضاف كل من النويرى وابن الفرات جزية عينتاب وشيزر وهى خمسمائة دينار للأولى وستمائة للثانية . انظـر ابن عبد الظـاهر : الروض الزاهر ، ص٢٦٦ ؛ شافع بن على : حسن المناقب ، مخطوط ، لوحة ٩١ ؛ النويرى : نهـاية الارب ، مخطـوط ، جـ ٢٨ ، لوحة ٩١ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١٢ ، لوحة ٦ .

سقوط صفد في أيدي المسلمين سارع مقدم الداوية الى استرضاء بيبرس عندما علم بنزول قلاوون على طرابلس ، لعله يحمي املاكه في صافيتا وانطرطوس • واحضر معه ثلاثمائة أسير من المسلمين ليظهر حسن نواياه للسلطان(١٩١) • ولم يقبل بيبرس منحه الامان الا بعد أن تنازل مقدم الداوية عن نصف مدينة جبلة التي يشارك فيها الاسبتارية ،وتسلم علاء الدين بن القاضي وحسام الدين الجلدكي نواب بيبرس مايخص الداوية في جبلة ،ورفض الاسبتارية التخلي عن نصيبهم في المدينة ، فاعتدوا على نواب الظاهر بمساعدة بوهيمند ، وقتلوا بعض رجالهم ، فأمر بيبرس بقتل من كان بحمص من الاسبتارية(١٩٢) - واذا كان الداوية والاسبتارية وكل حكام الفرنج(١٩٣)قدسعوا لاسترضاء بيبرس ، وفي مقابل بعض التنازلات قد حصلوا على الهدنة معه ، فكان هذا لعدم وجود سبيل آخر امامهم • أما بوهيمند وهيثوم ، فقد اعتقدا ان أسلم طريق لتفادى خطر بيبرس هو طلب النجدة من المغول ، خاصة بعد أن رفض بيبرس التصالح مع هيثوم، واتضحت نيته على الانتقام من الاثنين معا(١٩٤) • الا أن طلب المساعدة من المغول كان من شأنه أن يزيد من عداء بيبرس لهما ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فانهما لم يفطنا حتى الآن الى أن أحوال مغول فارس

---

(١٩١) كان مقدم الداوية في ذلك الوقت هو توماس بيرار «Thomas Berard» (١٢٥٦ — ١٢٧٣م) وسماه ابن عبد الظاهر افرير ما هي صافاج • انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٦ •

(١٩٢) ذكر ابن عبد الظاهر ومن نقل عنه من المؤرخين هذه الاحداث حين حديثهم عن سقوط انطاكية في عام ١٢٦٨م/٦٦٦هـ • انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٠ ، شافع بن على : حسن المناقب ، المصرية المنتزعة من السيرة الظاهرية تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦ ، ص ١٣٧ ؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، ج ١٢ ، لوحة ٣٢ •

(١٩٣) وصلت رسل الفرنج من صور وبيروت وصهيون تطلب الصلح مع بيبرس • انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٥٥ — ٢٥٦ •

(١٩٤) في عام ١٢٦٣م/٦٦١هـ بعث هيثوم برسله الى مصر للاتفاق مع بيبرس بشأن الصلح « واحضروا معهم الهدايا النفيسة ، فلم يتفق له صلح ، لتعذر ما التمسوه » وقد انفرد شافع بن على بذكر هذه الوقعة من بين كل المؤرخين • انظر : شافع بن على : حسن المناقب ، ص ١٠٢ •

بعد موت هولاكو لم تكن تمكن ابنه أباقا من الامراع بتقديم يد العون الى بوهيمند وهيثوم لصد خطر المماليك ، البعيد عنه ، وترك خطـر بركة الذي اعتنق الاسلام وخطره أشد على املاك اباقا . ومهما يكن من أمر ، فقد ذهب هيثوم الى المغول يطلب المســاعدة وترك ولديه ليو وثوروس يتوليان أمور قيليقية اثناء غيــابه(١٩٥) . ولما علم بيبرس بذلك بادر بارسال اوامره بخروج المنصـور صـاحب حماة على رأس القوات التى أغارت على طرابلس ومعه قلاوون والتوجه الى قيليقية . وفى ٨ أغسطس ١٢٦٦م/٥ ذى القعدة ٦٦٤هـ ، خرج المنصور بقواته(١٩٦) . الى دربساك وبغراس وظن الارمن أن المسلمين لن يستطيعوا الوصــول اليهم(١٩٧)

---

(١٩٥) فى الحقيقة لم نعثر على أى دليل فى روايات المؤرخين على وصول هيثوم الى تبريز عاصمة اباقا ، أو مقابلته له . ويبدو أن أباقا لم يكن لديه الوقت لمقابلة الملك الارمينى لانشغاله بحرب بركة خان فى ذلك الوقت . ولقد انفرد جريجور اوف اكانك بتحديد المكان الذى وصل اليه هيثوم بأنه معسكر مغولى تابع لأباقا فى اقليم البستان حيث طلب من قائد المعسكر امداده بفـرقة من المغول وعاد بعد يومين . انظر :

Grigor of Akanc, History of the Nation of the Archers (The Mongols), Ed. and trans. by R.P. Blake and R.N. Frye, in H.J.A.S., Vol. 12, 1949, p. 357; Vahram Rabuni, Chronicle of the Armenian kingdom in Cilicia, ed. and trans. by C.F. Neumann, in Translation; from the Chinese and Armenian, London. 1831, pp. 50-51. Hayton, La Flor, 177; Vartan, Histoire Universselle, p. 311.

(١٩٦) حدد شافع بن على خروج المسلمين الى بلاد الارمن فى شـــهر سبتمبر/ذى الحجة.ولما كان بيبرس معتادا على اصدار أوامره لقواته بالتحرك فى اللحظة الاخيرة قبل تنفيذ مشروعاتها ، ولما كان عنصر المفاجأة الذى حرص عليه بيبرس دائما يحتم خروج هذه القوات فور صدور اوامره اليها فاننا أخذنا بالتاريخ الذى اورده ابن عبد الظاهر،والذى يتفق مع أبى الفدا فى تحديد هذا التاريخ لبدء الحملة (وان كان أبو الفدا لم يحدد يوم التحرك) وقد أصدر بيبرس اوامره بالتحرك فى الاول من أغسطس/السابع والعشرين من شوال من نفس السنة . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٦٣ ، ٢٧٠ ؛ شافع بن على : حسن المناقب السرية ص ١١١ ، ١١٥ ؛ أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، جـ ٤ ، ص ٣ ؛ المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، قسم ٢ ، ص ٥٥٢ .

(١٩٧) أرسل قلاوون رسولاالى ليويطلب منه الاستسلام والدخول تحت =

لوعورة الممرات الى قيليقية . الا أن المسلمين نجحوا فى مباغتة الارمن بعد القيام بحركة التفاف سريعة،وأسر ليو بن هيثوم وقتل أخوه ثوروس وعمه سمباد وكندسطبل المملكة(١٩٨) ،وانتشرت القوات الاسلامية فى سهل قيليقية ودمروا كل ما صادفوه من حقول وقرى فى اقاليم سرفنتكار وتل حمدون ، وأحرقوا من املاك الداوية حصنى العمودين والتينات بعد فتحهما وأسر من فيهما.ورحل المسلمون الى سيس عاصمة هيثوم،وخربوها وأحرقوا كنيستها ، ووصلت هجماتهم الى المصيصة وأذنة وطرسوس وميناء اياس وعادوا الى حلب وقد غنموا « مالا يعبر عنه من الجواهر والمواشى والاسرى »(١٩٩) حيث قابلهم بيبرس فى ١٥ سبتمبر١٢٦٦م/١٣ ذى الحجة ٦٦٤هـ ، واحسن معاملة ليو ابن هيثوم(٢٠٠) الذى عاد الى بلاده ليجدها خرابا ، ويعانى من الحزن على موت احد ولديه ، وأسر الثانى ، وضياع كل جهوده فى اعلاء شان مملكته التى لم تقم لها من بعد

= المراحم السلطانية فاعتقل الرسل وقيدهم ولم يعط سمعا ولا طاعة . انظر : شافع بن على : حسن المناقب السرية ، ص ١١٥ .

(١٩٨) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٧٢٠ ، شافع بن على : حسن المناقب ، السرية ، ص ١١٥ . راجع ايضا :

Grigor of Akanc, The History of the Nation of Archers, p.535; Hayton, La Flor, p. 177; Vartan, Histoire Universelle, p. 311; Vahram d'Edesse, Chant Populaire Sur La Captivite de Leon Fils du Roi Héthoumi, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1, pp. 540; Vahram Rahuni, Chronicle, pp. 50-51; Le Roi Héthoum II, Poéme, in R.H.C.-Doc. Arm, Vol. I, pp. 551-552. Sempad, p. 652; Bar Hebraeus, The Chronography, pp. 445-446.

(١٩٩) كانت مغانم المسلمين فى هذه الحملة تعد اضخم ما غنمته جيوش اسلامية منذ وقعة حطين . ويحدد المؤرخ الارمينى فارتان عدد الاسرى الذين اخذهم المسلمون بحوالى أربعين الف اسير : انظر:

Vartan, Histoire Universselle, p. 311.

(٢٠٠) Grigor of Akanc, The History of the Nation of Archers, p. 573.

ذلك قائمة(٢٠١) . وهكذا كان ارتباط انطاكية بالسياسة الارمينية منذ سعى لويس التاسع الى تحسين العلاقات بين بوهيمند الخامس وهيثوم الاول(٢٠٢) ، كان هذا الارتباط وبالا على انطاكية التي جرها هيثوم الى الخضوع للمغول ومشاركتهم في كل ما ارتكبوه من جرائم في حق الاسلام والمسلمين في بلاد الشام ، الامر الذى جعل من بوهيمند وهيثوم أول الاعداء الذين خطط بيبرس للانتقام منهم لموالاتهم للمغول . وبينما كانت الدلائل تشير الى انه لم يكن من السهل قيام تحالف بين الصليبيين في عكا والمغول ؛ فقد الزمت احوال انطاكية والخوف من التهديد المغولى – بوهيمند السادس – بالدخول في طاعتهم عله يستفيد من غزوهم لبلاد المسلمين . وفي الوقت الذى اعتبر الصليبيون في عكا وفي روما ان بوهيمند قد تحالف مع أعداء المسيحية ، فقد تم حرمانه من الكنيسة اللاتينية وكان عليه أن يستعد لهجمات بيبرس المتلاحقة على امارته . واذا كان هيثوم بتحالفه مع المغول ومنافسة بلاده لمصر في المجال التجارى يعد أخطر من بوهيمند ، فان فتح بلاده كان يحتم فتح انطاكية اولا . وهكذا أصبحت انطاكية هدف بيبرس الذى بدا بتوطيد مركزه في مصر ، وعلاقاته بحكام غرب اوربا ومغول روسيا حتى يتمكن من عزل الفرنج في بلاد الشام ، وشغل مغول فارس بتحالفه مع مغول روسيا الامر الذى حرم الارمن وانطاكية من مساعدتهم . وبدأ في توجيه ضرباته التمهيدية الى انطاكية بعد أن آمن طريق مواصلاته بين مصر وحلب ، بالاستيلاء على معاقل

---

(٢٠١) اشتد حزن هيثوم على ضياع كل جهوده ، وكان حزنه على موت ابنه ثوروس وأسر ابنه ليو أشد ، فترهب وعاش بقية حياته في أحد الاديرة تحت اسم « مقار » حتى مات في ١٢٦٩م/٦٦٧هـ بعد فك أسر ابنه . أنظر :

Grigor of Akanc, The History of the Nation of Archers, p. 573; Vahram Rabuni Chronicle, p. 53.

(٢٠٢) كانت مساعى لويس في ذلك الشان تتوافق مع احساس من الارمن وافرنج انطاكية أنهما أمام أخطار مشتركة – في عهد بوهيمند السادس وهيثوم توشك أن تعصف بهما ، ولم يكن هناك أى أمل في أية مساعدة من داخل بلاد الشام او من خارجها ، في الوقت الذى اقترب الخطر المغولى من جهة وخطر المماليك من جهة أخرى .

الفرنج فى اقليم الجليل استعدادا لتوجيــه الضربة النهــائية الى امارة انطاكية الصليبية .

ذهل الصليبيون عندما رأوا أسوار انطــاكية وضخامتها فى عام ١٠٩٧م/٤٩١هـ(٢٠٣) ، ولم يستطيعوا اقتحامها الا بعد حصار دام أكثر من سبعة أشهر(٢٠٤) . وعندما وصل صلاح الدين امام أسوارها فى عام ١١٨٨م/٥٨٤هـ ، آثر عقد الهدنة مع بوهيمند الثالث لتعب قواته بعــد فتوحه التى تلت انتصاره فى حطين ، ولادراكه لصعوبة الاستيلاء على انطاكية ذات الحصانة والمنعة(٢٠٥) . أما بيبرس فقد جاء الى انطاكية « وحاصرها واخذها دون مقاومة » . كان هذا ما أورده كل من تاريخ هرقل وتاريخ أعمال القبارصة وماريتو سانودو والذين لم تتعد رواية أى منهم عن سقوط انطاكية فى ايدى بيبرس الاربعة أسطر(٢٠٦) . والمقارنة بين ما حدث فى الثلاث مناسبات التى هوجمت فيها انطــاكية توحى بما كانت عليه أحوالها قبيل سقوطها فى ايدى المماليك . فقد كان بوهيمنــد السادس مقيما فى طرابلس ، وعهد بحكم المدينة وادارتهــا للكندسطبل سيمون مانسل «Simon Mansel» (٢٠٧) . واذا كان الغزو المغــولى

---

(٢٠٣) Raimond d'Agiles, Historia Francorum, p. 242.

(٢٠٤) بدأ حصار الصليبيين لانطاكية فى ٢١ أكتوبر ١٠٩٧م/٢٨ شوال ٤٩١هـ ، وسقطت المدينة فى أيديهم فى ٣ يونية ١٠٩٨م/١ رجب ٤٩١هـ . انظر : ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ١٣١ ، ١٣٤ . راجع أيضا : Gesta Francorum, p. 28, 46.

(٢٠٥) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٩٤ .

(٢٠٦) جعلت سرعة سقوط انطاكية المؤرخين اللاتين يتغاضون عن ذكر المقاومة الواهنــة التى ابداها صليبيو المدينــة امام المسلمين . انظر : Eracles, p. 456; Gestes des Chiprais, p. 771; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 223.

(٢٠٧) كان سيمون مانسل هو آخر من شغل منصب كندسطبل انطاكية ، وهو ابن روبرت مانسل الذى شغل نفس المنصب فى عهد ريموند روبين ، وكان روبرت من اقارب سمباد كندسطبل ارمينية القيليقية والذى اوصل اليه مجموعة قوانين انطاكية ليترجمها سمباد الى الارمينية . انظر :
E. Rey, Les Dignitaires de La Principaute d'Antioche, pp. 119-120.

لبلاد الشام قد منح انطاكية فترة راحة من هجمات التركمان ، واعاد الطمانينة الى سكان انطاكية رعايا بوهيمند حليف المغول . فقد نتج عن ذلك أن جذبت انطاكية مرة أخرى عددا كبيرا من سكانها الذين هجروها أمام غارات التركمان ضدها(٢٠٨) .كما تم ربط انطاكية بطرابلس بعودة ميناء اللاذقية الى حوزة بوهيمند أثناء فترة اضطراب المسلمين التى أعقبت اقتحام المغول لبلاد الشام . الا ان ميناء اللاذقية لم يكن مفيدا من الناحية التجارية لانطاكية كما كان فى القرن السابق . فقد جذبت موانى البحر الاسود وميناء اياس الارمينى تجارة شرق آسيا عبر الطريق البرى، ولما كانت جنوا قد احتكرت تجارة هذه الموانى وتجارة القسطنطينية التى ساعدت البيزنطيين فى استردادها ، واستمرت فى الاتجار مع مصر ، فقد حرصت البندقية على حسن علاقاتها بمصر ، ولم يكن الخاسر فى هذا الميدان سوى موانى الصليبيين فى بلاد الشام . ولم يكن لهذه الموانى أن تزدهر الا بعودتها الى أيدى المسلمين(٢٠٩) . وهكذا كانت موانى البحر الاسود ، واياس والقسطنطينية والاسكندرية تعفى التجار الاوربيين من اعطاء أهمية كبرى لعكا واللاذقية(٢١٠) . ولما وصلت هجمات قادة بيبرس الىميناء السويدية فان منافذ امارة انطاكية البحرية لمتعد محطا لتجار حلب الذين لم ينسوا بعد اعتداءات المسيحيين عليهم تحت حماية المغول . وهكذا بقيت انطاكية على وضعها الاقتصادى المتهالك منذ عهد بوهيمند الخامس . اما عن الوضع الاستراتيجى لانطاكية فلم يكن قد بقى لها من املاكها سوى ميناء السويدية واللاذقية العقيمين ، الى جانب عدة قلاع استولى عليها بوهيمند أثناء فترة وجود المغول فى بلاد الشام(٢١١)

---

(٢٠٨) يتضح ذلك من عدد أسرى الفرنج لدى بيبرس حين فتح المدينة . انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٤٧٣ ، حاشية (٢٤٧) .

(٢٠٩) دابت الاساطيل الجنوية على نقل الرقيق من موانى البحر الاسود الى مصر . انظر :

Runciman, A History of The Crusades, p. 360.

(٢١٠) Eugene H. Byrne, The Genoese Colonies in Syria, in The Crusades and Other Historical Essays Presented to Dana C. Munro, ed. Louis J.J. Paetow, New York, 1928, p. 180; Cahen, Notes Sur L'Histoire des Croisades III, p. 343.

(٢١١) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٤٣٣ – ٤٣٤ .

هذا ، بينما يقبع المسلمون فى جبلة مناصفة مع الاسبتارية . وفى الجنوب كان استيلاء بيبرس على عرقا وحلبـا والعليقة وخضـوع الحشيشية له(٢١٢)قداغلقا طريق الاتصال بين انطاكية وطرابلس.ومن حمص وحماة وحلب كانت الجهة الشرقية لانطاكية حتى اسوارها تحت سيطرة المسلمين. أما الجهة الشمالية فباستيلاء المماليك على دربساك ١٢٦٦م/٥٦٤هـ كان قد تم غلق الاتصال بين انطاكية وحلفائها الارمن وتم عزلها تمـاما . واكتملت حلقة الحصار حولها من كل جهة(٢١٣) . وهذا عن انطاكية ، اما عن أميرها نفسه ، فقد عزلته الظروف أيضا عن كل حلفائه . فقد تاكد من انشغال المغول تماما فى حروبهم ضـد أبنـاء عمومتهم حتى انهم لم يقدموا لهيثـوم المسـاعدة التي تمكنـه من انقـاذ مملكته من أيدى المسلمين(٢١٤) . وهذا الاخير صهر بوهيمنـد والمسبب فى جره الى فلك المغول ، كان غارقا فى احزانه ، ولم يكن ليجازف باغضاب بيبرس ، الذى يحتفظ بابنه الوحيد أسيرا ، لديه ، بمساعدة صهره الفـرنجى(٢١٥) . أما عن الاخوة الصليبيين ـ خاصة الداوية والاسبتارية ـ فلم تكن أحوالهم أحسن حالا . فقد تقلصت حدودهم تماما،ولم تتعدالشريط الساحلى الضيق الممتد من بيروت شمالا الى أرسوف جنوبا بعدان فتح المسلمون يافا وشقيف أرنون(٢١٦) .فسارع الفرنج فى بيروت بايفاد رسول يهادن بيبرس(٢١٧) .

---

(٢١٢) فى فبراير ١٢٦٧م/جماد ثان ٦٦٥هـ وصل رسـل الحشيشية الى القـاهرة « وقالوا هذا المال الذى كنا نحمله قطيعة للفـرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين لينفق فى المجـاهدين » انظـر : المقريزى : السلوك ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٥٧ .

(٢١٣) Rohricht, Etudes sur les Derniers Temps du Royaume de Jerusalem, pp. 390-391.

(٢١٤) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٤٦١ حاشية (١٩٥) . راجع أيضا :
Grigor of Akanc, The History of The Nation of Archers, p. 357.

(٢١٥) فى ديسمبر ١٢٦٦م/ربيع أول ٦٦٥هـ أى بعد أسر ليو بن هيثوم بحوالى اربعة أشهر وصل رسول من قبل هيثـوم الى القـاهرة ليتفاوض مع بيبرس بشان اطلاق سراح ليو الذى لم يطلق سراحه الا بعد سقوط انطاكية . انظر ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٧١ – ٢٧٢ .

(٢١٦) انظر ما يتقدم من هذا الفصل ، ص ٤٦٨ .

(٢١٧) فى ابريل ١٢٦٨م/شعبان ٦٦٦هـ وصل رسول من بيروت الى بيبرس =

وتلاه رسول من اسبتارية حصن الاكراد(٢١٨) واخيرا رسول من الداوية يطلب الامان لأملاك الجماعة فى صافيتا وانطرطوس(٢١٩) . وهكذا اتى الصليبيون ليتملقوا بيبرس حتى يضمنوا أن تظل أراضيهم فى مأمن من الحرب ، وهكذا ترك بوهيمند السادس وحده ليواجه انتقام بيبرس فى الوقت الذى راحت فيه الجماعات العسكرية التى كانت تحرس الطريق بين انطاكية وطرابلس - والتى كثيرا ما حصلت على امتيازات من أمراء انطاكية كان من شأنها أن تدعم موقفها فى الشرق اللاتينى - تطلب السلام من بيبرس(٢٢٠) الذى قدر له أن تكون نهاية مائة وسبعين عاما من الوجود الصليبى فى شمال الشام على يديه هو .

كان آخر ما أوصى به هولاكو صارم الدين أزبك مملوك الاشرف صاحب حمص(٢٢١) قبل أن يغادر هولاكو ليلحق بكتبغا الذى توجه للقاء قطز على عين جالوت هو قوله « يا صارم اذا وصلت الى كتبغا وبيدرا ساعدهم على فتح بخش الفار ، يعنى بذلك الديار المصرية ، فانى أمرتهم أن يفتحوا مصرا »(٢٢٢) . وهكذا ظلت مصر منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادى/أوائل القرن السابع الهجرى الهدف الاساسى لكل من كان يسعى الى السيطرة على الشرق الادنى الاسلامى . وبعد ان أصبح الاستيلاء على مصر هو الضمان الوحيد لاسترداد الصليبيين لمملكتهم

= بعد ان استولى على شقيف أرنون « بهدية وجماعة من المسلمين، كانوا اخذوا فى البحر » انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٢٩٩ ؛ المقريزى : السلوك ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦ .

(٢١٨) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٢١٩) « واحضر الاسارى الذين عنده من المسلمين وكانوا مقدار ثلاثمائة أسير » انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٠٦ .

(٢٢٠) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 640.

(٢٢١) كان صارم الدين أزبك بصحبة هولاكو فى الموصل قبل أن يغادرها الاخير الى فارس . انظر :

Levi della Vida, La Chronique de Qirtay, p. 365.

(٢٢٢) « ان التتار مثل مصر عندهم مثل بخش الفار اذا عبر من مكان لا يخرج الا منه لمضيق المسلك » انظر :

Levi della vida, La Chronique de Qirtay, p. 365.

التى قضى عليها صلاح الدين الايوبى ، فقد اصبحت مصر الهدف الاستراتيجى لكل من الحملات الصليبية الخامسة والسادسة والسابعة ، وظلت مصر تمثل نفس الهدف بالنسبة للتتار . فمن مصر ، وبموارد مصر ، خرج صلاح الدين وقضى على مملكة الصليبيين . ومن مصر وبمواردها ايضا ، قدر للمماليك ان يقضوا على بقايا الاحتلال الصليبى لبلاد الشام(٢٢٣) ، وكان أول ما سقط هو امارة انطاكية . وكعادته دائما فى اتخاذ التدابير التى تضمن نجاح مشروعاته ضد الصليبيين ، قام بيبرس بعدة عمليات عسكرية كان من شانها ن تجعل من انطاكية مدينة معزولة محرومة من كل مساعدة ممكنة ، وهدفا سهلا لقواته . فقد خرج بيبرس من مصر فى ١٩ فبراير ١٢٦٨م/٣ جمادى الآخرة ٦٦٦هـ ، ووصل الى غزة ، ومنها الى يافا التى سلمها أهلها اليه فى ٦ مارس/٢٠ جمادى الآخرة(٢٢٤) . وفى ٥ ابريل/١٩ رجب بدأ فى حصار شقيف أرنون وضربها ستة وعشرون منجنيقا . وبعد أسبوع فتح المسلمون احدى قلعتيها ، ثم سقطت القلعة الثانية بعد اثنى عشر يوما من بدء الحصار(٢٢٥) . وبفتح بيبرس ليافا والشقيف ، لم يبق للفرنج جنوبى عكا سوى قلعة عتليت التى يمتلكها الداوية(٢٢٦) . وبعد أن استقبل بيبرس رسل بيروت الذين جاءوه يطلبون الامان ، رحل الى بعلبك ، ومنها الى طرابلس ، وظهر أمام المدينة فى ٣٠ ابريل ١٢٦٨م/١٥ شعبان ٦٦٦هـ حيث فتح رجاله برجا خارج المدينة وقتلوا من فيه من الفرنج ،

---

(٢٢٣) J.J. Saunders, Aspects of the Crusades, p. 35.

(٢٢٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ ؛ شافع بن على:حسن المناقب السرية،ص ١٢٤ — ١٢٥ ، مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد والدر الفريد ، نشره بلوشيه فى بترولوجيا الشرق ، جـ ١٢ ، ١٩١١ ، ص ٥٠٣ — ٥٠٤ ، راجع أيضا :
Eracles, p. 456; Gestes des Chiprois, p. 771.

(٢٢٥) كان بالشقيف ٤٨٠ مقاتل أرسلهم بيبرس الى صور بصحبة الامير بدر الدين بيسرى . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ ؛ مفضل ابن بى الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٠٧ ؛ شافع بن على : حسن المناقب السرية ، ص ١٢٥ — ١٢٦ . راجع أيضا :
Eracles, p. 456, Gestes des Chiprois, p. 771.

(٢٢٦) Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, p. 324.

واغار بيبرس على طرابلس « واخرب قراها ، وقطع اشجارها ، وغور مياهها وانهارها »(٢٢٧) . وهكذا قام بيبرس بتهديد بوهيمند في طرابلس ، في الوقت الذى سارع مقدم الداوية بايفاد رسله الى بيبرس يطلب الامان لاملاك جماعته في صافيتا وانطرطوس(٢٢٨) . وبعد أن طلب الاسبتارية في حصن الاكراد أمان السلطان(٢٢٩) ، لم يبق من الفرنج من يخشى جانبه أثناء مهاجمة انطاكية.فرحل بيبرس من أمام طرابلس في ٩ مايو/٢٤ شعبان(٢٣٠) دون ان يطلع أحدا من قواده على وجهته حتى يحقق عنصر المفاجأة الذى كان يحرص على الاستفادة به دائما . ووصل الى حمص ، ومنها الى حماة حيث قسم جيشه الى ثلاثة أقسام : الاول ويقوده الامير بدر الدين الخازندار ، والثانى ويقوده الامير عزالدين ايغان ، والثالث ويقوده بيبرس بنفسه (٢٣١) . وكان هدف بيبرس من

---

(٢٢٧) ويضيف ابن عبد الظاهر الى قول مفضل ابن أبى الفضائل « وقطعت الاشجار وهدمت الكنائس ، وقين المياه ، وقناتها الرومانية ، وهى بناء عظيم لم ير مثله » انظر : مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٠٧ ، ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٥ ، شافع بن على : حسن المناقب السرية ، ص ١٢٧ .

(٢٢٨) ابن عبد الظاهر الروض الزاهر ، ص ٣٠٦ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦ ، العينى : عقد الجمان ، مخطوط ، جـ ٢٢ ، ورقة ٢٨١ .

(٢٢٩) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٥ ، مفضل ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨ ، الكتبى (محمد بن شاكر) : عيون التواريخ ، مخطوط ، تصوير شمسى ، جـ ٢ ، لوحة ٢٩١ .

(٢٣٠) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١٢ ، لوحة ١٦ .

(٢٣١) أورد ابن عبد الظاهر تفصيلا لتقسيم بيبرس لجيشه ، ولم يذكر شافع ابن على سوى أن السلطان،قام بتوزيع قواته دون تفصيل. بينما نقل رواية ابن عبد الظاهر كل من ابن الفرات والنويرى. الا أن العينى لم يذكر أن الفرقة التى توجهت الى ميناء السويدية كانت تحت قيادة الامير سيف الدين قلاوون الالفى ، وقد نقل العينى ذلك عن بيبرس الداوادار في حين أن الاخير ذكر فتح انطاكية في اختصار شديد مثله في ذلك مثل مفضل ابن أبى الفضائل واليونينى والكتبى. انظر:ابن عبد الظاهر:الروض الزاهر ، =

وراء تقسيم قواته هو تحقيق أمرين في وقت واحد . أولهما ان يموه على الفرنج داخل انطاكية ، وعلى بوهيمند في طرابلس كما يذكر شافع بن علي(٢٣٢) فلن يتمكن الفرنج من تحديد هدف بيبرس خاصة بعد أن توجهت قواته الى ثلاث مناطق مختلفة . فقد توجه القسم الاول الى الساحل حيث ميناء السويدية حيث تم قطع الاتصال بانطاكية عن طريق البحر ، وتوجه القسم الثاني شمالا الى دربساك حيث تم غلق المداخل القيليقية في وجه اي مساعدة ربما يجازف هيثوم بارسالها لانطاكية . واخيرا توجه القسم الثالث من جيش المسلمين ، ويقوده بيبرس نفسه ، الى انطاكية من الجهة الجنوبية بعد مروره بافامية ، ثم الثغر وبكاس(٢٣٣) . وهكذا تم احكام الحصار حول انطاكية وهو ثاني اهداف بيبرس من وراء تقسيم قواته . وفي يوم الاربعاء ١٥ مايو ١٩٦٨م/أول رمضان ٦٦٦هـ وصل بيبرس الى انطاكية(٢٣٤) .وبعد يومين كانت كل

= ص ٣٠٧ ؛ شافع بن علي : حسن المناقب ، ص ١٢٧ ؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ، جـ ١٢ لوحة ٢٦ ، النويري نهاية الارب ، مخطوط ، جـ ٢٨ ، لوحة ٩٤ ، المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٦٧ ؛ العيني : عقد الجمان ، مخطوط ، جـ ٢٢ ، ورقة ٢٨ ،بيبرس الدودار:زبدةالفكرة ، مخطوط ، جـ٩ ، لوحة ٩١ أ ، مفضل ابن أبي الفضائل ، النهج السديد ص ٥٠٨ ؛ الكتبي: عيون التاريخ ، مخطوط ، جـ ٢٠ ، لوحة ٢٩١ — ٢٩٢ ؛ اليونيني : ذيل المرآة الزمان ، جـ ٢ ، ص ٣٨٢ ؛ ابن أيبك الدوادار : الدرة الزكية ، جـ ٨ ، ص ١٢٦ .

(٢٣٢) شافع بن علي : حسن المناقب ، ص ١٢٧ .

(٢٣٣) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٧ . راجع أيضا خريطة رقم (٦) .

(٢٣٤) يضع كل من رنسيمان وجروسيه وصول بيبرس الى انطاكية في ١٤ مايو/٣٠ شعبان . وهذا يتعارض مع تاريخ سقوط المدينة (١٨ مايو/٤ رمضان) الذي اتفقت عليه المصادر الاسلامية ، وايضا الذي ياخذ به جروسيه ورنسيمان . وقد أخذنا تواريخ حصار انطاكية وسقوطها من خطاب بيبرس الي بوهيمند السادس الذي أخبره فيه بسقوط مدينته في أيدي المسلمين . والذي أورده من المسلمين كل من ابن عبد الظاهر ، وابن الفرات ، والعيني وشافع ابن علي والنويري . انظر : ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٠٩ — ٣١٢ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١٢ ، لوحة ٢٧ — ٢٨ ؛ العيني : عقد الجمان ، =

قواته تحيط بالمدينة(٢٣٥) . وخرج الكندسطبل سيمون مانسل بجماعة من عسكر انطاكية فى اتجاه قوات بيبرس ، واشتبك بفرقة يقودها الامير شمس الدين آقسنقر فى قتال انتهى بأسر الكندسطبل على أيدى أحد غلمان آقسنقر ، وتم احضاره بين يدى السلطان الذى كلفه بالعودة الى انطاكية ،ليسال أهلها الاستسلام لبيبرس الذى لم يشأ أن يهاجم المدينة قبل اعطاء الفرصة لمن فيها من الفرنج ليسلموها بالامان(٢٣٦) . وترك سيمون ابنه رهينة لدى بيبرس ، ودخل هو الى المدينة ، وعاد بصحبة عدد من رجال الدين الذين أخذوا يترددون بين المدينة ومعسكر بيبرس لمدة ثلاثة أيام دون أن ينجحوا فى اقناع من بداخل انطاكية من الفرنج بالتسليم(٢٣٧) . ولما كان يوم السبت ١٨ مايو/٤ رمضان بدأ بيبرس فى شن الهجوم على أسوار المدينة من كل جانب(٢٣٨) . وتمكن المسلمون من تسلق الاسوار من الجهة الجنوبية بالقرب من القلعة حيث ترتفع الارض خارج السور ، وتدفقت قوات بيبرس الى الجزء الاعلى من المدينة « دون مقاومة » على حد تعبير المؤرخين اللاتين(٢٣٩) . ويرى المؤرخ الفرنسى ريتيه جروسيه أن سرعة حدوث الكارثة بالنسبة للفرنج قد أوقعت المؤرخين الصليبيين فى الخطأ ، اذ قالوا ان انطاكية لم تقاوم الهجوم الاسلامى . ويرى جروسيه ان سكان انطاكية قد قاتلوا قتالا شديدا قبل أن ينجح المسلمون فى اقتحام الاسوار من جهة القلعة(٢٤٠) . ويستشهد

= مخطوط ، جـ ٢٢ ، ورقة ٢٨٣ — ٢٨٦ ؛ شافع بن على : حسن المناقب السرية ، ص ١٢٨ ١٣٢ ، النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، جـ ٢٨ ، لوحة ٩٥ . راجع ايضا :
Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 641; Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, p. 324.

(٢٣٥) النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، جـ ٢٨ ، لوحة ٩٤ ؛ المقريزى: السلوك ، جـ ١ قسم ٢ ، ص ٥٦٧ .

(٢٣٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٧ .

(٢٣٧) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ .

(٢٣٨) ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ٣١١ .

(٢٣٩) Eracles, p. 456, Gestes des Chiprois, p. 771. Marino Sanudo, Liber, p. 223.

(٢٤٠) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 641.

جروسيه بما ذكره كل من ابى الفدا والمقريزى وابن الفرات(٢٤١) . الا أن هؤلاء قد نقلوا عن ابن عبد الظاهر نصا أضافه الاخير ربما تمجيدا لجهد المسلمين فى اقتحام أسوار المدينة ، حيث أن عساكر بيبرس « طافت بالمدينة والقلعة على اتساعها وقاتل أهلها قتالا شديدا »(٢٤٢) واذا كان سكان انطاكية قد قاوموا المسلمين وقاتلوا قتالا شديدا ، فهل كانت انطاكية تسقط فى نفس يوم الهجوم عليها ؟ ثم ان المصادر لم تشر الى اية خسائر لقوات بيبرس ، ولم يذكر أى من المؤرخين المسلمين أن بيبرس قد استخدم منجنيقا واحدا لضرب أى جزء من أسوار انطاكية كما حدث بالنسبة لشقيف أرنون التى سقطت بعد أكثر من عشرة أيام من حصار المسلمين لها وضربها بستة وعشرين منجنيقا(٢٤٣) . فهل كانت تحصينات الشقيف وأسوارها حتى أسوار عكا نفسها أقوى من أسوار انطاكية ؟ واذا كان هناك خطأ فى روايات المؤرخين اللاتين ، فانه يقع فقط بالنسبة للتاريخ الذى أوردوه لسقوط انطاكية(٢٤٤) . وهكذا اقتحم المسلمون أسوار انطاكية من الجهة الجنوبية « وشرعوا فى النهب والقتل والاسر ، وما رفع السيف عن رجل فى المدينة »(٢٤٥) .ولجأ الى القلعة ثمانية الاف من السكان بينما أحاط أمراء بيبرس بأبواب المدينة حتى لا يفر منها أحد(٢٤٦) . ولما لم يكن بالقلعة ما يكفى الفرنج من مؤن ، فقد بعثوا

---

(٢٤١) أبو الفدا : المختصر ، مجلد ٢ ، جـ ٤ ، ص ٤ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٧ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١٢ ، لوحة ٢٦ . راجع أيضاً :
Grousset, Histoire des Groisades, t. 3, p. 461.

(٢٤٢) ابن عبد الظاهر . الروض الزاهر ، ص ٣٠٨ .

(٢٤٣) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٦٥ .

(٢٤٤) يضع كاتب تاريخ هرقل سقوط انطاكية فى ٢٧ مايو ، بينما يضعه كاتب مآثر القبارصة فى ١٩ مايو،فى حين وضعه مارينو سانودود فى ٢٩ مايو . انظر :
Eracles, p. 457; Gestes des Chiprois, p. 771; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 233.

(٢٤٥) يذكر ابن عبد الظاهر أنه كان بانطاكية « فوق المئة ألف حسب ما عده نائب التتار » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٨ .

(٢٤٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٨ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ص ٥٧٦ .

الى بيبرس يطلبـون الامان لانفسهم فى يوم الاحـد ١٨ مايو ١٢٦٨م/٥ رمضان ٦٦٦هـ ، فامنهم بيبرس ، وتسلم المسلمون القلعـة وأسروا من فيها(٢٤٧) وأطلق بيبرس سراح الكندسطبل سيمون مع أهله وأقاربه ، فتوجه بهم الى سيس(٢٤٨) . وبقى بيبرس لمدة يومين يباشر تقســيم الغنائم على أمرائه وجنوده ، وأحرق قلعة انطـاكية ، « وعم الحـريق انطاكية ، واخذ الناس حديد أبوابهـا ، ورصاص كنائسـها ، وأقيمت الاسواق بظاهرها ، فقصدها التجار من كل جهة »(٢٤٩) . وتلا سقوط انطاكية استسلام سكان دركوش وكفر دوبين وكفر تلميس ، وهى القلاع التى استولى عليها بوهيمند السادس غداة سقوط حلب فى أيدى المغول ، فتسلمها نواب بيبرس فى ٢٤ مايو/١١ رمضان من نفس السنة(٢٥٠) . وأخيرا تسلم بيبرس نصف أعمـــال قلعة القصـــير التابعة لبطـــريرك انطاكية(٢٥١) . وبسقوط انطاكية وكل ما حولها من قلاع ، ولما استكان

---

(٢٤٧) حددت المصادر اللاتينية عدد قتلى الفـــرنج بسبعة عشر ألف شخص ، وعدد الاسرى بما يزيد على المائة ألف . بينما لم تحدد المصادر الاسلامية عدد القتلى لكثرتهم وذكر ابن عبد الظـاهر أنه « لم يبق غلام الا وله غلام ، وتقاسم الناس النسوان والبنات والاطفال » . انظـر : ابن عبد الظـــاهر ، الروض الزاهر ، ص ٣٠٩ . راجع أيضا :

Eracles, p. 457; Gestes des Chiprois, p. 771; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 223; Bar Hebraeus, The Chronography, p. 448.

(٢٤٨) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر : ص ٣٠٩ .

(٢٤٩) بيع الصبى من الفرنج باثنى عشر درهما ، والفتـاة بخمســة دراهم ، واستغرق المسلمون يومين يجمعون المغانم وظل بيبرس حتى غروب الشمس يباشر قسمتها على رجاله . فقد « أحضـــر القبان لوزن الاموال والمصاغ . والذهب والفضـة وطال الوزن فقسمت النقود بالطاسات » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٣ .

(٢٥٠) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٤ — ٣٢٥ .

(٢٥١) كان بطريرك انطاكية اللاتينى فى أوربا ولم يعد الى الشرق الا فى ١٢٨٠م/٦٧٨هـ وأناب عنه فى القصير قسيس يدعى وليم بقى على حسن علاقته بالمسلمين . ويذكر ابن عبد الظاهر أن بيبرس لم يشأ أن يأخذ القصير لأن رجال الدين اللاتين بها « زعمـوا أن بأيديهم خطا من عمر بن الخطاب رضى الله عنه » . انظر : =

الارمن ، خشى الداوية فى حصن بغـــراس مغبة الحيـــاة وسط أملاك المسلمين ، فتركوا القلعة وعدة قلاع صغيرة حولها ، فأسرع شمس الدين أقسنقر باحتلالها فى يوم السبت ٢٦ مايو/١٣ رمضان « ووجدها المسلمون عامرة بالحواصل والذخائر وكل ما يدخر فى مثلها من الحصون ، وصارت فى حوزة الاسلام بغير تعب »(٢٥٢) • ولم يعـــرف بوهيمند ما حدث لبلاده ، وتكفل بيبرس بنفسه باخباره بالكارثة التى أحاقت به فى رسالة مليئة بالسخرية والتهديد أملاها السلطان على كاتبــه المؤرخ ابن عبــد الظاهر(٢٥٣) • وبينما كان بوهيمند السادس يقرأ خطاب بيبرس اليه ، كان الاخير يعود بالحدود الشمالية للدولة المملوكية الى ما كانت عليــه ايام صلاح الدين • فبينما كان بيبرس يقضى فترة راحة فى انطاكية ، وصل اليه رسل الملك هيثوم الارمينى يعرضون عليــه عقــد اتفاق أعاد الارمن بمقتضاه كل ما كانوا قد أخذوه من المسلمين اثناء الغزو المغولى لبــلاد الشام ، مثل بهنسا ودربساك ومرزبان ورعبان والزرب وشيح الحــديد وبذلك عاد النفوذ الاسـلامى يمتد حتى مداخل قيليقيــة(٢٥٤) • الى

= ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٥ • راجع أيضا :
Hamiton, The Latin Church, p. 235, 237; Cahen, La Syrie du Nord, p. 717

(٢٥٢) سلم الداوية أيضا قلاعهم فى صخرة رسل وحجر شغلان وميناء الفرنج «Port Bonnel» ولم يترك الداوية فى بغراس سوى امرأة عجوز • وتسلمها المسلمون فى يوم السبت ٢٧ مايو ١٢٦٨م ١٣ رمضان ٦٦٦هـ • انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٥ • شافع بن على : حسن المناقب ، ص ١٢٥ — ١٣٦ ، راجع أيضا :
Eracles, p. 457; Gestes des Chiprois, p. 771.

(٢٥٣) يعتبر هذا الخطاب ثبتا دقيقا لاحداث حصار انطاكية وسقوطها فى أيدى المسلمين الى جانب كونه تهديدا لبوهيمند السادس ، الامر الذى حرص بيبرس على اتباعه حتى كان له اثره فى عزل بوهيمند داخل طرابلس حتى موته فى الوقت الذى أخذ بيبرس من طرابلس ما أمكنه من أملاك • انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٠٩ — ٣١٢ •

(٢٥٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ • راجع أيضا :
Hayton, La Flor, p. 178; Bar Hebraeus, The Chronography, p. 448.

جانب ذلك ، فقد أعاد هيثوم الى بيبرس الامير سنقر الاشـقر الذى أسر بيبرس على عودته اذا ما أراد الملك الارمينى فك أسر ابنه ليو(٢٥٥) . وعاد ليو الى قيليقية حيث مات أبوه وتولى هو الحكم فيها . واذ خضعت أرمينيا ، وضاعت انطاكية ، وتخلى الداوية عن بغراس ، يكون بيبرس بذلك قد أعاد شمال الشام الى حوزة المسلمين ، وعاد بحدود المنطقة الى ما كانت عليه حين قدوم الصليبيين الى الشرق منذ مائة وسـبعين عاما . ولم يتبق من امارة انطاكية الصليبية شىء سوى ميناء اللاذقية الذى أصبح جيبا معزولا ، وقلعة القصير التى أدارها نائب البطريرك لمدة سبع سنوات على أنه أحد اتباع السلطان(٢٥٦) . واذا كان استيلاء الصليبيين على مدينة انطاكية فى ١٠٩٧م/٤٩١هـ يمثل ظهور أول وجود صليبى فى بلاد الشام ، فان استرداد بيبرس لها يحدد نهاية الاحتلال الصليبى لشـمال الشام . ولم تنهض مدينة انطاكية مرة أخرى ، فبعد أن فقدت أهميتهـا التجارية(٢٥٧) ، وفقدت أيضا أهميتها الدينية . فقد أدرك المسيحيون المحليون حقيقة الاوضاع الجديدة وعادت المسيحية الشرقية الى الحياة فى ظل التسامح الاسلامى القديم ، فانتقلت الكنائس الارثوذكسية واليعقوبية

---

(٢٥٥) انفـرد المؤرخ الارمينى جريجور بذكر رواية تبين سبب اصرار بيبرس على استرداد الامير سنقر الاسقر وان كان قد حدد مكان حدوثها بغداد بدلا من حلب كما يذكر ابن عبد الظاهر . فحينما دخل المغول حلب (بغداد عند جريجور) فقد هرب منها بيبرس وسنقر ، ولما كان بيبرس يمتطى جوادا ضعيفا فقد آثر سنقر أن يترك جواده القوى لبيبرس حتى يتمكن من الهرب ، بينما وقع سنقر فى قبضة المغول . ولذلك لم ينس بيبرس صنيع سـنقر . وقد ذهب هيثوم الى أباقا يستجديه أن يسلمه سنقر حتى يسترد ابنه أسير بيبرس . ويذكر ابن عبد الظاهر أن هيثوم اقسم على الاتفاقية فى ٣١ مايو ١٢٦٨م/٧١ رمضان ٦٦٦هـ ، بينما أقسـم عليها بيبرس فى ٣ شوال/١٦ يونية من نفس العام وتوجه ليو الى ارمينية بعد ثمانية أيام . انظر : ابن عبـد الظـاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ . راجع أيضا :

Grigor of Akanc, History of The Nation of the Archers, *pp. 355, 357, 359, 369-371.*

(٢٥٦) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٤٤٤ . راجع أيضا :
Runciman, Ahistory of the crusades, Vol. 3, pp. 326-327.

(٢٥٧) انظر ما سبق من هذا الفصل ، ص ٤٦٥ ــ ٤٦٦ .

الى دمشق(٢٥٨) . واقتصرت حدود بطريركية انطاكية الكاثوليكية على خمس مدن ساحلية هى جبيل وطرابلس وانطـــرطوس وبلنيـــاس واللاذقية(٢٥٩) وبالطبع كانت أهم مراكزها الدينية فى طرابلس ، الا ان السلطة الدينيـة تركزت فى قبضـة بارثلميـــو «Bartholomew» أسقف انطرطوس (١٢٧٢ - ١٢٩٢م) الذى شغل منصب وكيـل البطـريرك اللاتينى الغائب(٢٦٠) . ولم تكن أحوال البطريركية وأسقفياتها بخير ، فالبطريرك غائب فى أوربا ، وضياع أملاك كنيسة انطاكية اضر بدخل كنيستها كثيرا(٢٦١) . ولم تعد انطاكية مدينة الله(٢٦٢) . أما عن أهمية المدينة الاستراتيجية والعسكرية ، فقد عادت حلب هى المعقل الاسـلامى الاول الذى يحمى شمال الشام من الخطر الوحيد فى ذلك الوقت ، وهو الخطر المغولى فى الاناضول(٢٦٣) . ولم تعد انطاكية سوى مدينة اسلامية يقطنها

---

(٢٥٨) Runciman, A History, Vol. 3, p. 326.
راجع أيضا : خريطة رقم (٧) .

(٢٥٩) Hamilton, The Latin Church, p. 237.

(٢٦٠) بقى البطريرك أوبيزو فى أوربا ، ولم يكن لديه اى رغبة فى العودة الى الشرق . وتولى بارثلميو ادارة كنيسة انطاكية نيـابة عنه حتى خلى كرسى أسقفية انطرطوس فشغله بارثليمو فى ١٢٧٢م . انظر :
B. Hamilton, The Latin Church, p. 237.

(٢٦١) الى جانب ضياع كثير من املاك انطـاكية فقد كان ريع جبلة واللاذقية منذ ١٢٦٠م/٦٥٨هـ مناصفة مع المسلمين . وبينما كانت اللاذقية تضم من الفرنج عددا يمنح الكنيسة دخلا منتظما ، فقد كانت جبلة فى انهيار وسيطرة الفرنج على ما حولها من اراض غير مقررة ، فقد قرر البابا كلمنت الرابع نقل أسقف جبلة الى أسقفية بوتنزا «Potenza» بايطاليا لأن ريع أسقفيته فى جبلة لم يكن كافيا له . انظر :
B. Hamilton, The Latin Church, p. 287.

(٢٦٢) أمر بيبرس باحراق وهدم كل الكنائس الموجودة داخل مدينة انطاكية انتقاما من بوهيمند على تعديه على المساجد فى دمشق حين دخلهـا مع المغول . وقد كتب بيبرس تفصيلا لما حدث فى انطاكية حين فتحها وذلك فى خطابه الى بوهيمند السادس .
انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣١١ - ٣١٢ .
النويرى : نهاية الارب ، مخطوط ، ج ٢٨ ، لوحة ٩٥ .

(٢٦٣) Robricht, Etudes sur Les dernier temps du Royaume de Jerusalem, p. 403.

المســـلمون ومن خضـــع لهـــم من المســـيحيين الشرقيين من مختلف المذاهب(٢٦٤) . وبعد أن دمر بيبرس استحكاماتها لم يبق سوى بقـايا أسوارها حتى القرن ١٩م/١٣هـ(٢٦٥) .

عندما حلت الكارثة بالصليبيين على أيدى صـــلاح الدين ، نهض الغرب الاوربى . لانقاذ ركائزه فى بلاد الشام . ووصل تهديد الحمـــلة الثالثة - حتى قبل تحرك قادتها من أوربا - الى صلاح الدين وهو على أبواب انطاكية(٢٢٦) . وعندما حلت نفس الكارثة بالصليبيين على أيدى بيبرس اختلف الامر . فلم يكن فى مقدور أوربا أن تبعث بنجدتها للكيان الصليبى المتداعى فى الشرق. فقد كانت الخلافات متفجرة بين كل قادة الغرب . فالبابوية فى صراع ضـد حلفاء فريدريك الثـانى ، وهؤلاء فى صراع ضد شارل كونت أنجو الذى استعانت به البابوية لمساندتها فى هذا الصراع . وملك انجلترا فى صراع ضد نبلائه الثائرين فى مقاطعة ويلز . وأطماع شارل كونت أنجوفى ايطالياوصقليةوبيزنطةاعاقت قيامجهدمشترك بين روما وبين القسطنطينية حليفة المغول وحليفة الجنوية اعداء كونت أنجو الذى دأب على مهادنة بيبرس(٢٦٧) . وهكذا جاءت كل الجهود التى بذلتها أوربا لنجدة الصليبيين فى بلاد الشام جهودا بالية خاصة بعد أن فترت الحماسة الصليبية فى الغرب الاوربى . وحتى يحين وقت القيام بهذه الجهود ، فقد اكمل بيبرس اقتلاع ما امكنه اقتـلاعه من المعـاقل الصليبية الباقية . وكانت معظم جهوده فى ذلك مركزة ضد امراء انطاكية القابعين فى طرابلس . فبعد أن فرغ من أمر انطاكية ، توجه الى دمشق

---

(٢٦٤) عندما زار بوركارد انطاكية فى ١٢٨٣م/٦٧١هـ ذكر أن بها كثيرا من المسلمين والسوريان واليعاقبة والمسيحيين والفرس واليونانيين والمصريين والاثيوبيين والجورجيين والارمن . انظر :

B. urchard of Mount sion, Description of the Holy Land, in P.P.T.S., Vol. 12, p. 19.

(٢٦٥) E.G. Rey, Etudes sur Les Monuments de L'architecture militaire des croisades, p. 183.

omuments de L'architecture militaire des croisades, p. 183.

(٢٦٦) انظر ما سبق من الفصل الثانى ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢٦٧) F.M. Powicke, King Henry III and The Lord Eduard, 2 Vols, Oxford, 1947, Vol. 2, pp. 599-601.

حيث استقبل رسل الفرنج فى بيروت(٢٦٨) ، ورسل ميخائيل الثامن امبراطور القسطنطينية(٢٦٩) ، وأخيرا رسل شارل كونت أنجو(٢٧٠). وكانت ردود بيبرس على كل هذه السفارات تبين حسن نواياه تجاه هؤلاء ، وهكذا اطمأن بيبرس الى استمرار عزل الصليبيين فى بلاد الشام ، وركن هو الى الراحة حتى شتاء ١٢٦٩م/٦٦٧هـ(٢٧١) . أما عن بوهيمند السادس ، فلم يطلب الهدنة من بيبرس المتربص به كما فعل سائر قادة الفرنج فى بلاد الشام ، وذلك على أمل أن يتمكن من الحصول على مساعدة خارجية . وفى الواقع كان كل ما يحدث يمتحه الامل فى ذلك . ففى عكا ، هدأت خلافات الفرنج ، وتم انتخاب هيو الثالث ملك قبرص وصيا ثمملكا لمملكة عكا الصليبية ، فسعى الاخير الى توحيد قوى الصليبيين فيها(٢٧٢) . الى جانب ذلك ، فقد تواترت الانباء عن وصول

---

(٢٦٨) مات حنا ابلين سيد بيروت فى ١٢٦٤م/٦٦٢هـ وانتقلت ملكية بيروت الى ابنته ايزابيلا التى مات هيو الثانى ملك قبرص قبل أن يتم زواجه منها وهى التى بعثت الرسل الى بيبرس « بهدية وأسارى مسلمين » ، انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٨ . راجع ايضا :

Runciman, A History of the Crousades, Vol. 3, p. 329.

(٢٦٩) عرض الامبراطور ميخائيل على بيبرس ان يتدخل الاول لعقد الصلح بين أباقا قائد مغول فارس وزوج ابنة الامبراطور من جهة وبين بيبرس وحلفائه مغول القبيلة الذهبية فى روسيا من جهة أخرى ولم يجبه بيبرس صراحة الى ذلك . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٤ .

(٢٧٠) بعث كونت أنجو برسول الى بيبرس يوصيه بالفرنج فى بلاد الشام ورفع السيف عنهم فقبل السلطان شفاعته فيهم . وجدير بالذكر أنه وصل مع رسول شارل رسول البابا كليمنت الرابع الذى جاء متخفيا ليعرف نوايا بيبرس . وليس أدل على اختلاف رد فعل انتصارات بيبرس لدى حكام اوربا عن رد فعل انتصارات صلاح الدين ، وعدم اهتمامهم بضياع انطاكية ، اكثر من وصول هذه السفارات الى بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٣٦ .

(٢٧١) ذهب بيبرس الى الحجاز لاداء فريضة الحج فى يولية ١٢٦٩م/ ذى القعدة ٦٦٧هـ . وعاد الى بلاد الشام فى نهاية أغسطس/نهاية ذى الحجة من نفس السنة . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .

(٢٧٢) مات هيو الثانى ملك قبرص فى ديسمبر ١٢٧٦م/ربيع ثان =

حملة صليبية جديدة الى الشرق يقودها لويس التاسع وادوارد ابن هنرى الثالث ملك انجلترا ، وجيمس الاول ملك آرجون ، الى جانب مساعى البابا كليمنت الرابع للحصول على مساهمة مغول فارس فى ذلك الجهد الصليبى.وكل ذلك اثار قلق بيبرس،فمنح الفرنج فى عكا هدنة مؤقتة(٢٧٣). الا أن الامل الذى راود بوهيمند لم يلبث ان انقشع . فالحملة الاراجونية لم تكن سوى كوكبة من الفرسان لا اهمية لها(٢٧٤) . واتجهت حملة ملك فرنسا الى تونس ،وانتهت بموته وبموت الروح الصليبيـة الاوربيـة معه(٢٧٥).وتأخرت حملة ادوارد الامير الانجليزى،كل ذلك اتاح لبيبرس

= ٦٦٦هـ ، فخلفه فى الحكم الوصى هيو لوزينان باسم هيو الثالث. وتم تتويج الاخير ملكا لمملكة عكا فى مدينة صور فى ٢٤ ديسمبر ١٢٦٩م/ ٢٤ ذى الحجة ٦٦٤هـ ، وتقارب هيو مع فيليب مونتفورت سيد صور.وزوج أخته مرجريت من يوحنا ابن فيليب . كما عمل على اتمام زواج همفرى الابن الثانى لفيليب من ايشيفا ابنة حنا ابلين الثانى سيد بيروت الذى مات فى ١٢٦٤م/٦٦٢هـ ، وترك بيروت لابنته الكبرى ايزابيلا . انظر :

Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, pp. 643-646.

(٢٧٣) بعث هيو برسله الى بيبرس وتم الاتفاق على أن تكون الهدنة خاصة بعكا وضياعها ، وأن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع وبقية بلادها مناصفة وكذلك بلاد الكرمل ، وان يكون للفرنج عثليت ومعها خمس قرى ، والبـاقى مناصفة ، والقرين وله عشر قرايا والباقى للسلطان ، وصيدا للفرنج ، واتفق على الصلح بالنسبة لجـزيرة قبرص . الا أن هيو طلب أن يكون لقبرص صلحا منفـردا وأن يـكون الصلح دائمـا ما لم تصـل نجـدة من أوربا ، وأن لا يدخـل الباطنيـة فى الهـدنة ، وكان ذلك عكس ما اشـترطه بيبـرس فـلم يتـم ابرام الهدنة لذلك واصل المسلمون اغاراتهم على عكا وصـور . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ص ٣٢١ - ٢٣ ، ٣٤٧.

(٢٧٤) أبحر ملك اراجون من برشلونة فى سبتمبر ١٢٦٩م/ محرم ٦٦٨هـ الا أنه عاد الى بلاده بعد هبوب عاصفة على اسطوله،ووصل الى عكا ولديه فرناندو وبدرو فى نهاية السنة . الا انهما لم يفعـلا شيئا بعد أن علما بوقوع الحامية الفرنسية التى تركهـا لويس التاسع تحت قيادة سارجينس فى عكا فى أيدى المسلمين . انظر : ابن عبد الظـاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ . راجع ايضـا :

Eracles, pp. 457-478 Ann. T.S.P. 454.

(٢٧٥) استعانت البابوية بشارل كونت انجو شقيق الملك لويس للقضاء على اسرة الهوهنشتاوفن فاستولى شارل على صقلية فى ١٢٦٥م/ =

حرية الحركة دون تحسب لوصول أية مساعدات الى فرنج الشام . فشرع فى اكمال مشروعه ضد بوهيمند السادس ، وكان ذلك على حساب الصليبيين فى كونتية طرابلس سواء كانوا من الجماعات العسكرية او بوهيمند نفسه . فخرج بيبرس من مصر فى ٢٥ يناير ١٢٧١/١٠ جماد ثان ٦٦٩هـ ، وسرعان ما راح يجتـاح المناطق المحيطة بطرابلس(٢٧٦) . . وفى ٢٠ فبراير/٨ رجب ٦٩هـ من نفس السنة بدأ فى حصار قلعة صافيتا التى يملكها فرسان الداوية ، والتى سارع اهلها بتسليمها الى المسلمين ورحلوا بالامان الى انطرطوس(٢٧٧) . وفى ٣ مارس/٩ رجب بدأ فى حصاره لحصن الاكراد الذى يملكه فرسان الاسبتارية ؛ والذى يعتبر من أمنع الحصون الصليبية الباقية فى وسـط بلاد الشـام ، وتسلمه من الاسـبتارية فى ٧ ابريل/٢٤ شعبان(٢٧٨) . وكان سقوط هذا الحصن ـ الذى لم يستطع صلاح الدين

= ٦٦٢هـ من مانفـــريد ابن فريدريك الثـانى ، ثم هزم خليفته الامبراطور كونراد وأعدمه واصبح سيدا على جنوب ايطاليـــا وصقلية ،واخيرا كان له دوره فى التاثير على الملك لويس فى توجيه حملته الى تونس حيث أوهمـــه بان المســتنصر بالله الحفصى (١٢٤٩م ـ ١٢٧٧م/٦٤٧ ـ ٦٧٥هـ) يرغب فى التحـول الى المسيحية فى الوقت الذى هدف شارل الى فتح تونس التى ساعد اميرها المتمردين من نبلاء صقلية ضد كونت انجو .وابحر لويس فى يولية ١٢٧٠م/ذى القعدة ٦٦٨هـ من فرنسا ووصل الى قرطاجنة فى ١٨/ يولية/٢٧ ذى القعدة من نفس السنة الا أن المرض تفشى بين افراد الحملة ومات معظمهم وكان من بين الموتى الملك لويس نفسه . ووصل شارل الى تونس فى أغسطس ١٢٧٠م/ذى الحجة ٦٦٨هـ حيث قدم له المستنصر بالله مبلغا من المال كجـزية له . انظر : ابن عبد الظــاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٣ . راجع ايضا :

Joiville, pp. 319-324. CF. also, Joseph R. Strayer, The Crusades of Saint Louis, in setton, Vol. 2. p.

(٢٧٦) ابن عبد الظـــاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٤ ؛ المقـــريزى : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٢ ، ص ٥٩٠ .

(٢٧٧) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٤ ، راجع أيضا :
Eracles, p. 640; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 224.

(٢٧٨) صاحب بيبرس فى حملته على حصن الاكراد كل من المنصـــور صـــاحب حمـــاة وسيف الدين صاحب صهيون ونجم الدين ابن الشعراء ، وابنه شمس الدين وهم قادة الباطنية فى بلاد الشام =

وهو في قمة انتصاراته ان يفتحه - يعني تحكم بيبرس في الطرق المؤدية الى طرابلس ، وحصر بوهيمند السادس فيها . وبعد تلقي هيودى ريفيل مقدم الاسبتارية لرسالة بيبرس التي يبشره فيها بسقوط حصن الاكراد ، سارع هيو الى طلب الهدنة من بيبرس(٢٧٩) . وحذى حذوه مقدم الداوية في انطرطوس ، الذى ارتجف للاحتفاظ بالهدنة التي سبق ومنحه اياها بيبرس(٢٨٠) . وفي ٢٩ ابريل ١٢٧١م/١٧ رمضان ٦٦٩هـ بدأ بيبرس في حصاره لحصن عكار من املاك بوهيمند ، وتسلمه في ١١ مايو/آخر رمضان ، وسمح لحاميته بالانسحاب الى طرابلس(٢٨١) . وبعد فتح المسلمين لهذه الحصون التي كشفت مدينة طرابلس أمام بيبرس ، تمدنا المصادر الاسلامية بسلسلة المراسلات التي تم تبادلها بين السلطان وبين بوهيمند السادس ، والتي تؤكد لنا استمرار بيبرس في كراهيته لبوهيمند تابع المغول ، وتهديد السلطان المستمر له للضغط عليه عساه أن يسلم طرابلس او على الاقل يطلب مهادنة السلطان . وفي نفس الوقت فان هذه المراسلات تبرز لنا المعالم التي لم تمدنا بها المصادر الصليبية لشخصية بوهيمند السادس . فنراه بالرغم مما يحدق به من أخطار ، لم يفقد الامل في وصول المساعدات الاوربية حتى آخر وقت . ونراه ذا عزيمة وبأس شديدين ، وان كان بائسا ، فان بأسه كان بطوليا اعاد الى الذاكرة صلابة

= وكان بيبرس قد اخضعهم وأخذ قلاعهم وعوضهم عنها بأملاك في مصر . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧١ - ٣٧٥ ، ٣٧٦ ؛ مفضل بن ابي الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩ . راجع أيضا :
Eracles, p. 460; Marino Sanudo, p. 224.

(٢٧٩) اتسمت كل مكاتبات بيبرس الى الفرنج بالسخرية والتهديد حتى يدفعهم الى طلب الهدنة كي يتفرغ للهجوم على غيرهم من الصليبيين . فقد كتب بيبرس الى هيو يعلمه بفتحه لحصن الاكراد « الذى حصنته وبنيته وخليته ، وكنت الموفق لو اخليته ، واتكلت في حفظه على اخوتك فما نفعوك ، وضيعتهم بالاقامة فيه فضيعوه وضيعوك » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٧٦ .

(٢٨٠) اشترط بيبرس على الداوية في انطرطوس أن يتنازلوا عن مناصفات البلاد للمسلمين . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر : ص ٣٧٨ .

(٢٨١) Grousset, Histoire des Croisades, t. 3, p. 657.

بوهيمند الاول وتنكريد وروجر الانطاكى(٢٨٢)وفى نفس الوقت فان هذه المراسلات توضح بجلاء الحال التى أصبح عليها بوهيمند السادس فى طرابلس(٢٨٣) . وفى الوقت الذى استعد فيه بيبرس للهجوم على طرابلس ، وصلته الانباء بوصول الامير ادوارد الى عكا . ولم يشأ بيبرس ان يغفل أمر ادوارد ، فأجاب بوهيمند الى طلب الهدنة لمدة عشر سنوات(٢٨٤) . ثم قام بيبرس بتدبير أمر عمارة حصنى عكار والاكراد ، ثم توجه الى مصر . وفى طريق عودته اليها لم يشأ أن يترك حصن القرين «Montfort» فى أيدى فرسان التيوتون والواقع بين صفد والساحل ، فبدأ فى حصاره فى ٥ يونية ١٢٧١م/٢٤ شوال ٦٦٩هـ ، واستسلم من فيه من فرسان التيوتون بعد أسبوع من حصار بيبرس لهم ، وأمر بيبرس بهدم

---

(٢٨٢) أورد ابن عبد الظاهر الرسالة التى هدد فيها بيبرس عدوه بوهيمند بقوله « كتابنا هذا يبشرك بان علمنا الاصفر نصب مكان علمك الاحمر ... فتعرف كنائسك وأسوارك أن المنجنيقات تسلم عليها الى حين الاجتماع عن قريب .. فليجهز القومص مراكبه ومراكب أصحابه والا فقد جهزنا قيودهم وقيوده ». بينما أورد مفضل ابن ابى الفضائل حوارا آخرا دار بين بيبرس وبوهيمند بعد فتح حصن الاكراد . فعندما قال بيبرس لبوهيمند « أنى تروح منى ، والله لابد أن آخذ قلبك من جسدك ، وما ينفعك ابقا ابن هولاون » فأخذ بوهيمند يحترس على نفسه ولا عاد يركب ولا يتصيد خوفا من الاسماعيلية لئلا يقتلوه ، ولما علم بيبرس ذلك سير اليه غزلانا مذبوحة ورسالة يقول فيها « لما اتصل بنا امتناعك من التصرف خوفا على نفسك وهجرانك للصيد الذى هو غاية مرامك ، بعثنا اليك نصيبا من الاجحاف بك والميل عليك » فبعث بوهيمند يسأل عن سبب مجىء السلطان الى طرابلس ، فرد بيبرس بقوله « لأرعى زرعكم وأخرب بلادكم واعود انشاء الله فى السنة الآتية اليكم لآخذ أرواحكم » . فامتنع بوهيمند عن تنفيذ شروط السلطان لعقد الهدنة التى طلبها الامير بقوله « لما أخذ منى انطاكية بالسيف كان عذرى مبسوط عند الفرنج .. وأنا اعلم أنى لا اقدر به لكننى لا يحسن أن أسلم اليه من غير قتال حتى لا يكون على عتب من ملوك الفرنج » . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٠ - ٣٨١ ؛ مفضل ابن ابى الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

(٢٨٣) « فبقى فى مدينته فى حبس بل فى رمس » انظر : ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر ، ص ٣٨٣ .

(٢٨٤) مفضل بن أبى الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٢٣ - ٥٣٥ .

الحصن (٢٨٥) . وفي نفس الوقت كان قد أرسل الى مصر يأمر ابن حسون قائد الاسطول بمهاجمة جزيرة قبرص حتى يشغل الفرنج عنه ليتمكن من الوصول الى مصر دون الاحتكاك بالصليبيين في عكا ، خاصة بعد أن علم بوصول الملك هيو واجتماعه بادارد في عكا . الا أن عاصفة بحرية حطمت احدى عشرة سفينة بالقرب من ميناء النمسون في الوقت الذى تمكن فيه بيبرس من الوصول الى مصر استعدادا لمواجهة ادوارد (٢٨٦) . ولم تكن حملة الاخير اكثر من سابقتها الاراجونية نجاحا ، فالى جانب قلة قواته (٢٨٧)

---

(٢٨٥) يذكر ابن عبد الظاهر أن حصن القرين كان « من أمنع الحصون وأضرها بصفد » . بينما ذكر ابن شاكر أن بناء الحصن كان من الحجر الصلد وبين كل حجرين عامود حديد ملزوم بالرصاص لذلك قرر بيبرس للحجارين عن كل حجر ألف درهم . كما يذكر ابن عبد الظاهر وابن الفرات . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ؛ ابن الفرات تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١٢ ، لوحة ٨١ ؛ ابن شاكر الكتبى : عيون التاريخ ، مخطوط ، جـ ٢٠ ، لوحة ٣٣٠ .

(٢٨٦) خرجت سبع عشرة سفينة من مصر في مايو ١٢٧١م/شوال ٦٦٩هـ وعادت ست سفن فقط وبقى بحارة السفن التى غرقت من المسلمين في أسر الفرنج في قبرص حتى أفرج عنهم فيما بعد . وأمر بيبرس ببناء عشرين سفينة جديدة ، ولم يتأثر بهذه الخسائر ، ورأى أن فقدانه لعدة سفن أفضل من فقدانه لحصن أو قلعة . ورد على رسالة ملك قبرص التى بعث بها الى بيبرس يتشفى فيها من المسلمين « وما العجب أن نفخر بالاستيلاء على حديد وخشب ، الاستيلاء على الحصون الحصينة هو العجب .. وفي يوم ننشىء عدة قطائع ولا تنشأ لكم من حصن قطعة ، ونجهز مئة قلعة ولا يتجهز لكم في مئة سنة قلعة .. وخيولكم المراكب ومراكبنا الخيول » وقد أبحر ادوارد من انجلترا في صيف ١٢٧٠م/٦٦٨هـ ، ووصل الى تونس في ٩ نوفمبر ١٢٧٠م/٢٣ ربيع أول ٦٦٩هـ أى بعد موت الملك لويس بشهرين ، ثم توجه الى صقلية وأبحر منها الى قبرص ثم عكا التى رسا في مينائها في ٩ مايو ١٢٧١م/ ٧٢ رمضان ٦٦٩هـ حيث لحق به بوهيمند السادس والملك هيو الثالث . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٣ ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٦ ـ ٣٨٨ . راجع أيضا :
Eracles, pp. 460-461. CF. also, Powicke, king Henry III and the Lord Edward Vol. 2, p. 599.

(٢٨٧) حدد ابن عبد الظاهر عدد قوات ادوارد بثلاثمئة فارس « وثماني بطس وشواني ومراكب تكملة ثلاثين مركبا » . ويرى المؤرخ =

فان ما لمسه ادوارد من تفكك بين صفوف الفرنج في بلاد الشام قد أكد له عدم امكانية القيام بعمل كبير ضد المسلمين . فقد وجد أن البنادقة على علاقات حسنة بمصر ، لما توفره لهم موانيها من تجارة نشطة بمقتضى تصريح من محكمة عكا يمنحهم حق الاتجار مع المسلمين (٢٨٨) . كما أن ملك قبرص لم يكن له السلطة الكافية على باروناته الى الحد الذى يلزمهم معه بالبقاء فى بلاد الشام لمشاركته فى مشروعاته من أجل مملكته فى عكا (٢٨٩) . كل ذلك كان من شأنه أن يقلل من الدعم الذى كان يتوقعه ادوارد . ولم يبق أمامه سوى التعاون مع قوة أخرى يكون لديها الاستعداد للمشـاركة فى عمل ضد المسلمين . ولم تكن هذه القوة سوى المغول ، فشرع فى استئناف محاولات البابوية والملك لويس التاسع لجذب المغول الى الصراع الصليبى الاسلامى ، وساعده فى ذلك بوهيمند والملك هيو (٢٩٠) . الا أن ادوارد لم يكن أكثر نجاحا من سابقيه من حكام أوربا فى ذلك المجال ، فقد كانت القوات المغولية التى ارسلها أباقا هى جزء من حامية الاناضول ، وكانت مدعمة بقوات سلجوقية ، وقامت بنهب شمال الشام ، ولكنها لم تكن من القوة بحيث تجازف بالدخول فى معركة كبيرة ضد بيبرس . وعندما تقدم بيبرس نحو الشمال ، تراجع المغول مكتفين بما نهبوه من أسلاب (٢٩١) .

= الانجليزى بويك أنه كان بصحبة ادوارد ما يقرب من ألف مقاتل بينهم خمسون بارونا . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٨٣ . راجع أيضا :

Powiche, King Henry III, Vol. 2, p. 605.

(٢٨٨) واجه النائب البندقى ادوارد بامتياز صدر من محكمة عكا الصليبية يمنح البنادقة حق الاتجار مع مصر فى الصيد وآلات الحرب دون العمل بما يصدره البابا أو أى مجلس كنسى فى الشرق فى هذا الصدد من محظورات . انظر :

Dandolo, Chronicon, in R.I.S., Vol. 12, p. 380.

(٢٨٩) Eracles pp. 462-464. CF. also, La Monte, Feudal Monarchy, p. 198.

(٢٩٠) Powicke, King Henry III, Vol. 2, p. 602.

(٢٩١) يضع ابن عبد الظاهر غارة التتار على شمالى الشام فى ٢٢ أكتوبر ١٢٧١م/١٥ ربيع أول ٦٦٩هـ . وقد أغار المغول على عين تاب ووصلوا الى اقليم حارم وتجاوزوا حلب حتى افامية ، وكان يقودهم القائد المغـولى صمغار ومعه معين الدين سـليمان الوصى على السلطان السلجوقى القاصر غياث الدين ويلقب الوصى بالبرناواة =

لذلك اثر ادوارد الرجوع الى عكا بعد أن أدرك أن ما لديه من قوات قليلة لن يمكنه من فتح حصن اسلامى صغير(٢٩٢) . الا ن الحامية المغولية الصغيرة اثبتت أن الشام الاسلامية لم يكن لها أن تكون آمنة طالما تواجد المغول فى الاناضول ، وكان طردهم منها هو آخر المشاريع العظيمة لبيبرس(٢٩٣) . ولتحقيق ذلك كان عليه أن يعقد صلحا مع صليبيى الشام ــ عن طريق وساطة شارل كونت انجو الذى أصبح سيدا على

= « الحاجب » . وكان معين الدين كما يذكر بيبرس الدوادار قد اتفق مع التتر المقيمين بالاناضول على قتل ركن الدين قلج ارسلان السلجوقى . فقتل الاخير وتحكم معين الدين فى البلاد بعد أن أصبح وصيا على غياث الدين الذى لم يتجاوز الرابعة من العمر . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٩٥ ــ ٣٩٦ ؛ بيبرس الداودار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، جـ ٩ ، لوحة ١٩١ ب ؛ ابن أيبك الدودار : الدرة الزكية ، ص ١٦٤ ــ ١٦٥ . راجع ايضا :
Eracles, p. 461.

(٢٩٢) استغل ادوارد انشغال المسلمين فى صد المغول واغار على حصن قاقون وفشل فى أخذه ، وانسحب ، وقبل وصول قوات بيبرس . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٩٦ ؛ ابن أيبك الدوادار : الدرة الزكية ، ص ١٦٦ . راجع ايضا :
Eracles, p. 461; Gestes des Chiprois, p. 77f.

(٢٩٣) خرج بيبرس من مصر فى ١ نوفمبر ١٢٧٥م/٣ شعبان ٦٧٣هـ ، وفى نهاية مارس/نهاية رمضان بدأ فى الهجوم على مملكة الارمن فى قيليقية واغارت قواته على المصيصة واذنة وطرسوس وميناء أيامس وسيس عاصمة الارمن . وقام المسلمون باحراقها وتخريب المدن الارمينية وقتلوا واسروا الكثير من الارمن دون أن يتعرض لهم ليو الثالث ملك قيليقية الارمينى . وفى ١٨ ابريل ١٢٧٧م/١٣ ذى القعدة ٦٧٥هـ ، هاجم بيبرس المغول المقيمين فى الاناضول وهزمهم بالقرب من ابلستين واحتل مدينة قيصرية فى ٢٣ ابريل/١٨ ذى القعدة من نفس السنة واخذها من أيدى المغول وجلس على تخت بنى سلجوق ، حيث خضع له معين الدين سليمان البرناواة الوصى على سلطنة السلاجقة . وعاد بيبرس الى دمشق فى ٢٩ مايو ١٢٧٨م/٥ محرم ٦٧٧هـ . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٤٣٢ ، وما بعدها ؛ ابن ايبك الدوادار : الدرة الزكية ، ص ١٧٧ ــ ١٧٨ ؛ بيبرس الداودار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، جـ ٩ ، لوحة ١٧٤ ب . راجع أيضا :
Bar Hebraeus, pp. 456-459 CF. also, Howorth, History of the Mogols, Vol. 3, p. 252-256.

صقلية ، واعاد من جديد سياسة فريدريك الثـــانى ـ تم فى ٢٢ ابريل ١٢٧٢م/٢٢ رمضان ٦٧٠هـ-تم عقدت الهدنة بين بيبرس وهيو الثالث لمدة عشر سنوات وعشرة شهور وعشرة أيام(٢٩٤) . فنعم بوهيمند السادس بثلاث سنوات ، من الامن حتى مات فى ١١ مارس ١٢٧٥م/١٢ رمضان ٦٧٣هـ ، وكان آخر من شاهد انطاكية من أمرائها(٢٩٥) . وترك بوهيمند عند موته ابنا يدعى بوهيمند ، فى الرابعة عشرة من عمره ، وطفلة تدعى لوسى «Lucy» . ولم يرث بوهيمند الصغير عن أبيـه من امارة انطـاكية سوى لقب الامير الذى منحه اياه بقاء اللاذقيـة وحصن المرقب فى ايدى فرسان الاسبتارية . واذا كانت بقايا امارة انطاكية القديمة فى اللاذقيـة وحصن المرقب ـ التى كانت تخص الاسبتارية المستقلين ذاتيا ـ قد عاشت لمدة اثنتى عشرة سنة بعد سقوط الامارة ـ وهى فترة لا تحسب من عمر الامارة ـ أمام قيليقية وقبرص اللتين انحصرت فيهما كل الحيوية الصليبية المتبقية(٢٩٦) ، فان وجود من يرث بوهيمند السادس ووجود بقـــايا

---

(٢٩٤) تم توقيع الهدنة فى ٢٢ ابريل ١٢٧٢م/٢١ رمضان ٦٧٠هـ ، كما حدد ذلك ابن عبد الظاهر ، وحوليات بيت المقدس ، بينمـــا يضعها مارينو سانودو فى ٢١ ابريل/٢٠ رمضان . انظر : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٣٩٨ . راجع أيضا :
Ann. T.S., p. 455; Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 224.

(٢٩٥) يضـــع كاتب حوليات الاراضى المقدســـة موت بوهيمند فى عام ١٢٧٣م/٦٧١هـ .
Eracles, p. 466; Ann. T.S., p. 455.

(٢٩٦) رزق بوهيمند السادس من سيبلا الارمينية بابنتين أخرتين هما ايزابيلا التى ماتت دون أن تتزوج ، وايزابيلا التى تزوجت من نيقولا دى سان برتين ، وأخيرا لوسى التى تزوجت من نارجوت الثالث دى تومى ، قائد الاسطول الصقلى ، ابن نارجوت الثانى دى توسى الوصى عـلى القسطنطينية عنـــدما كان الامبراطور بولدوين الثانى يلتمس مساعدة أوربا . وعند سقوط القسطنطينية فى ايدى باليو لوج ، تراجع نارجوت الى نابولى حيث اعطـاه شارل كونت انجو مقاطعة «Laterza» فى اقليم أوترانتو الايطالى الى جانب لقب قائد الاسطول . ورزقت لوسى بابن يدعى هيو «Hugues» الذى حمل لقب أمير انطاكية استنادا الى نسب أمه .ويبدو انه مات دون أن ينجب أطفالا ، وفى القـرن الرابع عشر الميلادى عاد لقب أمير انطاكية الى الظهور فى العـائلة المالكة فى قبرص وحمله منذ ١٣٤٠م/٧٣٨هـ عدة أفراد من هذه =

امارته فى أيدى الصليبيين يحتم مواصلة الحديث ، ولو بايجاز ، عن أحوال أمراء انطاكية فى طرابلس حتى استرداد المسلمين لهذه المعاقل . وفى الحقيقة لم تكن أحوال بوهيمند الصغير أكثر استقرارا من أحوال والده . ولم يكن هناك سوى الهدوء الذى منحه اياه اتفاقية بيبرس مع والده ، وانشغال السلطان فى مشروعاته فى الاناضول ، ثم موت بيبرس نفسه(٢٩٧) الذى خلص الفرنج من أخطر عدو لهم فى الوقت الذى اضطربت فيه أمور المسلمين فور موت بيبرس وحتى استقرار سيف الدين قلاوون فى عرش السلطنة(٢٩٨) . ومع ذلك استغل الفرنج هذه الفترة

= الامرة . انظر :

. Gestes des Chiprois, p. 780, n.e, CF. also, E. Rey, Histoire des Princes d'Antioche, p. 407.

(٢٩٧) أخذ بيبرس حصن القصير من وليم نائب البطريرك اللاتينى لانطاكية ، فقدكان رهبان القصير ادلاء التتار عندما هاجموا شمال الشام فى عام ١٢٧١م/٦٦٩هـ . كما دابوا على مخالفة أوامر السلطان بعدم بيع الخمور للمسلمين . وكان بيبرس قد أخذ الحصن وهو عائد من حملته الاخيرة ضد الارمن . ومات بيبرس فى دمشق فى يوم الخميس ١ يولية ١٢٧٧م/٢٧ محرم ٦٧٦هـ بعد مرض دام ثلاثة عشر يوما ، حدده شافع بن علي بأنه دوسنتاريا كبدية ، بينما ذكر بيبرس الدوادار أنه شرب فى كوب مسموم كان قد أعده للقاهر بن الناصر داود الايوبى أمير الكرك . انظر : شافع بن علي : حسن المناقب السرية ، ص ١٦٣ ؛ ابن عبد الظاهر الروض الزاهر ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، جـ ٩ ، لوحة ٧١٥ أ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ص ٣٢١ .

(٢٩٨) اقام فى مصر السعيد بركة ابن بيبرس سلطانا ثم ابنه الثانى السعيد سلامش مكانه وكان فى السابعة عشرة من عمره . وسرعان ما خلعه الامير سيف الدين قلاوون الالفى واستقر فى السلطنة مكانه . وكان قلاوون أحد مماليك الصالح نجم الدين ايوب وبقى تابعا لشجر الدر وفخر الدين أيبك . ثم كان من مؤيدى قطز ثم بيبرس الذى قربه وجعله من أكبر قادته ومستشاريه وزوجه بيبرس من ابنة سيف الدين كرمون أحد قادة هولاكو الذى دخل فى الاسلام ، ولجا الى بيبرس . وزوج بيبرس ابنه السعيد بركة من ابنة قلاوون . ولما تولى قلاوون السلطنة باسم السلطان المنصور ثار سنقر الاشقر فى دمشق ، واعلن نفسه سلطانا فى ابريل ١٢٧٨م/ محرم ٦٧٧هـ . انظر شافع بن علي : الفضل المأثور فى سيرة =

لمعاودة التقاتل فيما بينهم(٢٩٩) وبدأ عهد بوهيمند السابع بدخوله فى خلافات مع الملك هيو الذى حاول فرض سلطته على الامير وأملاكه(٣٠٠). ثم مع فرسان الداوية الذين ايدوا تمرد تابعه جى الثانى امبرياكو حاكم جبيل ، مما أعاد الحرب الاهلية فى طرابلس الى النشوب من جديد . واستمر الصراع بين بوهيمند واتباعه فى جبيل وحلفائهم من الداوية لمدة خمس سنوات ٦٧٥ — ٦٨٠هـ/١٢٧٧ — ١٢٨٢م(٣٠١) . ولم ينقذ بوهيمند

= السلطان الملك المنصور ، مخطوط بمكتبة البودليان رقم ٤٢٤ تصوير شمسى ، لوحة ٣ أ — ٦ ب ؛ العمرى (ابن فضل الله) : مسالك الابصار ، جـ ٢٧ ، فى ٤ مجلدات ، مخطوط ، تصوير شمسى بدار الكتب المصرية ، قسم ٤ ، لوحة ٣٤٥ — ٣٤٦ .

(٢٩٩) لم يقبل الداوية الانصياع لحكم هيو ملك قبرص فى عكا ، بينما ضعف شان الاسبتارية بضياع حصن الاكراد ، فلم يستطع الاعتماد على تاييدهم له ، ولم يخضع له ايضا قومون عكا ، فرحل الى قبرص دون أن يعين نائبا له ، فى الوقت الذى اشترى شارل كونت انجو كل حقوق مارى الانطاكية فى مملكة عكا ، واتخذ شارل لقب ملك بيت المقدس فى ١٢٧٧م/٦٧٥هـ وبعث بروجر أوف سان سفيرنيو نائبا عنه فى عكا . وبينما ساند الداوية التجار المسلمين فى عكا فقد ساند الاسبتارية التجار النساطرة واعترف بوهيمند السابع بروجر نائبا لكونت أنجو ضد رغبة نبلاء عكا . انظر :
Runciman, A History of the Crusades, Vol. pp. 344-346.

(٣٠٠) حضر هيو ملك قبرص الى طرابلس فور موت بوهيمند السادس مطالبا بالوصاية على بوهيمند السابع لأنه ابن عمه ، ورفض نبلاء طرابلس ذلك بزعامة بارثلميو اسقف انطرطوس الذى ساعد سبيلا أرملة بوهيمند السادس فى تولى الوصاية على ابنها انظر :
Eracles, pp. 406-409; Gestes des Chiprois, p. 780.

(٣٠١) كان جى امبرياكو هو أقوى البارونات الذين أيدوا مطامع لوسى ارملة بوهيمند الخامس وحزبها من الايطاليين ضد بوهيمند السابع وأمه سبيلا . وراسل جى السلطان المنصور قلاوون وعرض عليه أن يقتسم معه طرابلس اذا ما ساعده فى أخذها من بوهيمند السابع . وحاول جى الاستيلاء على طرابلس بمساعدة مسلمى حصن الاكراد فى ١٢٨٢م/٦٨١هـ . وانتهى الامر بفشل المؤامرة واعتقال صاحب جبيل الذى مات فى سجنه ، ثم استولى بوهيمند على جبيل وللمزيد عن صراع بوهيمند واتباعه فى جبيل . انظر : عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ، ص ٢٨١ — ٢٨٣ . راجع ايضا :
Runciman, Vol. 3, pp. 388-390.

او الفرنج فى عكا من مشروعات قلاوون ضدهم سوى اخطر هجوم مغولى عرفته بلاد الشام منذ ١٢٦٠م/٦٥٨هـ والذى قاده الخان اباقا بنفسه فى عام ١٢٨١م/٦٧٩هـ(٣٠٢) . فاضطر قلاوون الى مهادنة الاسبتارية وبوهيمند للتصدى للمغول(٣٠٣) . الا ان محاولة الاسبتارية للاستفادة من الهجوم المغولى لاسترداد حصن الاكراد ، جعلت من بقايا أملاك بوهيمند فى امارة انطاكية الهدف الاول لقلاوون من بين أهدافه لتدمير بقايا الوجود الصليبى فى بلاد الشام . فبدأ بالاستيلاء على حصن المرقب فى ٢٥ مايو ١٢٨٥م/١٩ ربيع أول ٦٨٤هـ(٣٠٤) . ولاستمرار المنازعات بين الصليبيين فى بلاد الشام(٣٠٥) ، ولفشل محاولات المغول فى جذب غرب أوربا الى الاشتراك

---

(٣٠٢) حاول اباقا خان مغول فارس استغلال فرصة اضطراب أحوال قلاوون التى سببتها ثورة الاشقر ، الذى اطلع أباقا على ما بين المسلمين من اختلاف الكلمة ، فهاجم المغول شمال الشام فى نهاية سبتمبر ١٢٨٠م/جماد ثان ٦٧٩هـ واستولوا على عينتاب وبغراس ودربساك ونهبوا حلب وعادوا الى اقليم الجزيرة . انظر : المقريزى : السلوك، ج ١ ، ص ٦٨٢ .

(٣٠٣) كانت مدة الهدنة لكل من الاسبتارية وبوهيمند عشر سنوات . وتبدأ هدنة الاسبتارية فى ٣ مايو ١٢٨١م/٢٢ محرم ٦٨٠هـ وهدنة بوهيمند فى ١٥ يولية/٢٧ ربيع أول من نفس السنة . انظر : ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، المقريزى : السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٦٨٥ - ٦٨٦ ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ، مخطوط ، لوحة ١٠٤ وما بعدها .

(٣٠٤) بعث قلاوون بقائده سيف الدين بلبان نائب حصن الاكراد للهجوم على الاسبتارية فى المرقب بعد انسحاب المغول فى ١٢٨١م/٦٧٩هـ. ولم يستطع بلبان أن يفعل شيئا بعد أن هزمه الفرنج وقتلوا مائتين من رجاله . انظر : شافع بن على الفضل المأثور ، مخطوط ، لوحة ١٠ أ - ١٠٧ ب ؛ ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور ، ص ٩٧ - ٨١ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص٣٣٢ - ٣٣٣ ؛ مفضل ابن أبى الفضائل : النهج المديد ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ؛ العمرى : مسالك الابصار ، مخطوط ، ج ٢٧، قسم ٤ لوحة ٣٥٧ . راجع أيضا :

Ano. T.S., p. 458, Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 229, CF. also, Caheo, La Syrie du Nurd, p. 720.

(٣٠٥) مات شارل كونت أنجو فى أكتوبر ١٢٨٥م/جماد ثان ٦٨٤هـ ، وانتهت مملكته فى عكا . وتولى حكم المملكة الصليبية هنرى =

معهم فى هجوم شامل ضد المسلمين فى بلاد الشـام ومصر(٣٠٦) ، فقـد استطاع قلاوون اقتلاع اللاذقية من أيدى الصليبيين لينتهى بذلك تاريخ امارة انطاكية الصليبية وثانى مستعمرة لاتينية فى الشرق الادنى الاسلامى وذلك فى ٢٠ ابريل ١٢٨٧م/٥ ربيع أول ٦٨٦هـ(٣٠٧) . وبموت بوهيمند

= الثانى ملك قبرص (١٢٨٥ ـ ١٣٢٤م/٦٨٤ ـ ٧٢٣هـ) ، الذى توج ملكا فى صور فى ١٢٨٦م/٦٨٥هـ ، بالرغم من معارضـة نواب شارل كونت أنجو . وعاد هنرى الى قبرص بعد أن عين خاله بولدوين ابلين نائبا عنه فى عكا . وفور رحيله شب الصراع بين البيازنة والجنوية . فقد أرسل الجنوية أسطولا ذهب جزء منه بقيادة توماس سبينولا الى مصر لضمان حياد قلاوون ، بينما شرع الجزء الثانى من الاسطول بقيادة أورلاندو أشيرى فى مهاجمة كل السفن البيزاوية التى يصادفها فى مياه الساحل السورى،ثم توجه الى صور استعدادا للهجوم على عكا ، بينما استعد البنادقة والبيزاوية لهجوم الجنوية الذين حاصروا الميناء . ولم ينتـه النزاع الا بتدخل الداوية والاسبتارية وممثلى النبـلاء المحليين وذلك فى يونيو ١٢٨٧م/جماد أول ٦٨٦هـ . انظر :
Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, pp. 396-397, 402-403.

(٣٠٦) مات اباقا خان مغول فارس فى ٢١ ابريل ١٢٨٢م/٢٠ ذى الحجة ٦٨٠هـ وتولى الحكم ابنه أرغون بعد أن قتل أخاه تكودار الذى اعتنق الاسلام باسـم احمد . وبعث فى ١٢٨٥م/٦٨٤هـ ، رجل الدين ربان سوما الى غرب أوربا يعرض على حكامه القيام بعمل مشترك ضد المسلمين . ولكن الخلافات كانت منتشرة بين كل حكام الغرب ،فرنسا ضد آراجون فى سبيل الاستيلاء على صقلية التى تمردت على الفرنسيين ، وادوارد ملك انجلترا مشغول باخضاع اتباعه فى يلز واسكتلندا ، وصدم ربان سوما لما رآه من انشغال حكام غرب أوربا عن أمور الاراضى المقدسة ، ولم تفلح مسـاعى ارغون التى قام بها فى عام ١٢٨٩م/٦٨٨هـ ، حين بعث برسول جنوى الى ملوك فرنسا وانجلترا والبابا نقولا الرابع (١٢٨٨ ـ ١٢٩٢م) ولم يكن هذا المبعوث أكثر نجاحا من سابقه انظـر : الهمـذانى : جامع التـــواريخ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٨٥ ـ ٩٢ . وأيضا :
Runciman, A History of The Crusades, Vol. 3, pp. 398-402.

(٣٠٧) لم نقف على أى ذكر مفصل لاحداث فتح المسلمين للاذقية سوى عند ابن عبد الظاهر ، الذى أورد تفصيلا لحصار المسلمين للمدينة بقيادة الامير حسام الدين طرنطاى الذى توجه لأخذ اللاذقيـة بعد استيلائه على برزية وصهيون ، وأخضع سنقر الاشقر الذى =

السابع دون أن يترك ذرية ترثه(٣٠٨) ، فقد سقطت طرابلس فريسة للخلافات الفرنجية التى سادت تاريخ الامارات الصليبية طيلة القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى ، ولم تتمكن أخته لوسيا من السيطرة على أمور طرابلس وسط المصالح المتضاربة لباروناتها من جهة والصراع بين البنادقة والجنوية من جهة أخرى ، الامر الذى مهد السبيل أمام قلاوون لانتزاعها من أيدى الفرنج فى ٢٠ ابريل ١٢٨٩م/١٤ ربيع ثان ٦٨٨هـ(٣٠٩) . ولم يكن موت سيف الدين قلاوون مشكلة بالنسبة =

= كان متمردا على السلطان قلاوون . وقد استغل حسام الدين حدوث زلزال وقع جهة اللاذقية مع ليلة السبت ٢٢ مارس ١٢٨٧م/٥ صفر ٦٨٦هـ وسقوط جزء من برج المدينة الواقع فى مياه البحر ، وكان هذا البرج « مالك عصمتها أو روح حرمتها ، فهدمت الزلزلة منه ربعه ، وكان ذلك من الاسباب التى سهلت فتحه ومردت صرحه » . وعندما رأى الفرنج الذين داخل اللاذقية أن المسلمين قد نصبوا المجانيق حول المدينة من كل جهة « عند ذلك سقط فى ايديهم ، ورأوا أنهم يضلون أن استمروا فى تماديهم .... فسلموا وطلعت سناجق مولانا السلطان عليها فى يوم الاحد الخامس من شهر ربيع الاول » . انظر : ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور ص ١٥١ — ١٥٣ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ ؛ العمرى : مسالك الابصار ، مخطوط ، جـ ٢٧ ، قسم ٤ ، لوحة ٣٦٠ ؛ ابن حبيب (الحسن بن عمر) : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، جـ ١ ، تحقيق محمد محمد أمين القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ١٠٨ ، راجع أيضا :
Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 229.

(٣٠٨) مات بوهيمند السابع فى ١٩ أكتوبر ١٢٨٧م/١٠ رمضان ٦٨٦هـ . انظر :
Marino Sanudo, Liber Secretorum, p. 229.

(٣٠٩) بعد موت بوهيمند لم يبق من يرثه سوى شقيقته لوسى ، الا أن قومون انطاكية الذى يرأسه بارثليمو امبرياكو سليل الاسرة الحاكمة فى جبيل والتى تحمل الضغائن لبوهيمند السادس لقتله وليم امبرياكو شقيق بارثلميو ، ثار ضد الاسرة الحاكمة فى انطاكية ورفض عودة أرملة بوهيمند السادس سبيلا الارمينية وكذلك رفض القومون حكم لوسى التى حضرت الى طرابلس فى أوائل عام ١٢٨٩م/٦٨٨هـ ، ووضع القومون مدينة طرابلس تحت حماية الجنوية الذين قبلوا ذلك لتحقيق مصالحهم التجارية فى الشرق لمنافسة البنادقة فى عكا . فقد ساند الداوية والتيوتون البنادقة ضد جنوا . ولما أرسل بارثليموا الى قلاوون يطلب مساندته له ليفوز بحكم طرابلس،مال القومون الىصف =

للمسلمين ، فقد ترك وريثا لا يقل عنه عزما وجلدا (٣١٠) فاستطاع ابنه الاشرف خليل أن يفتح عكا للمسلمين في ١٨ مايو ١٢٩١م/١٧ جماد أول ٦٩٠هـ (٣١١) لينتهي بذلك الوجود الصليبي في الشرق الادنى الاسلامي . واذا كان استرداد مدينة بيت المقدس هو هدف الحملات الصليبية والصليبيين الاول ، واذا كان خروجهم من المملكة التي اقاموها باسم

= لوسي التي لم تشأ أن تتحالف مع سكان طرابلس ضد الجنوية ، وحضر أمير البحر الجنوي بنتيو الى طرابلس وتم الاعتراف بلوسي كونتيسة على طرابلس ، فبعث بارتلميو الى قلاوون يطلب تدخله والا استولت جنوا على طرابلس ولم يكن قلاوون في حاجة الى دعوة البنادقة أو غيرهم للهجوم على طرابلس وكل ما في الامر أنه كان يتحين الفرصة ، وخرج قلاوون من مصر في ١٥ يناير ١٢٨٩م/١٥ محرم ٦٨٨هـ وبدأ في حصار طرابلس في ١٧ مارس/مستهل ربيع الاول بعد أن نصب عليها تسعة عشر منجنيقا،وكان عدد الحجارين الزراقين ألفا وخمسمائة نفر وكانت مدة حصاره لها أربعة وثلاثين يوما ، وفتحت طرابلس في يوم الثلاثاء ٢٠ ابريل ١٢٨٩م/١٤ ربيع الآخر ٦٨٨هـ . وهربت لوسي الى قبرص ومات بارثليموا امبرياكو . انظر : شافع بن علي : الفضل المأثور ، مخطوط ، لوحة ١١٣أ– ١١٦ ب ، بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، مخطوط ، جـ ٩ ، لوحة ٢١١ – ٢١١ ب ، ابن أيبك الدوادار : الدرة الزكية ،ص ٢٨٣؛المقريزي: السلوك ، جـ ١ ، قسم ٣ ص ٧٤٧ –٧٤٨ ؛ ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوط ، جـ ١٣ ، لوحة ٥٨ ؛ النويري : نهاية الارب ، مخطوط ، جـ ٢٩ ، لوحة ١٣ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٣٣٥ ؛ أبو المحاسن : المنهل الصافي ، مخطوط ، جـ ٣ ، ورقة ٣٥ – ٣٧ . راجع أيضا :
Marino Sanudo, Liber Secretorum, 230-231. CF. Also, Runciman, A History of the Cursades, Vol. 3, pp. 403-408.

(٣١٠) مات المنصور سيف الدين قلاوون في يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٢٩٠م/٧ ذي القعدة ٦٨٩هـ . انظر : ابن أيبك : الدرة الزكية ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ ؛ شافع بن علي : الفضل المأثور ، مخطوط ، لوحة ١٢٩ ب ؛ المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، قسم ٣ ، ص ٧٥٧ .

(٣١١) شافع بن علي : الفضل المأثور ، لوحة ١٣١ أ – ١٣٣أ ب ؛ ابن أيبك : الدرة الذكية ، ص ٣٠٨ – ٣١٠ ؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ . راجع أيضا :
Marino Sanudo, Liber Secretorum, pp. 230-231. CF also, Runciman, A History of the Crusades, Vol. 3, pp. 412 ff.

الدين قد تم فى ١٢٩١م/٦٨٩هـ ، فان الذى انتهى فى هذا العـام لم يكن سوى المصالح المادية المستترة وراء الدين ، والتى دفعت بكل طوائف الغرب الاوربى الى الهجوم على الشرق الادنى الاسلامى . ولم تمت مملكة بيت المقدس الصليبية فى هذا العام ، لانها كانت قد ماتت بالفعل فى عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ بضربة قاسـمة على يد صـلاح الدين الايوبى(٣١٢) .
وبخـروج الفـرنج من عكا تنتهى فترة من التفكك الصليبى الذى دفع بالصليبيين فى بلاد الشام وفى غرب اوربا الى جعل الحركة الصليبية حركة عالمية بعد أن كانت حلقة من حلقات الصراع الطويل الممتد بين الشرق الاسلامى والغرب الاوربى ، وذلك بمحاولة قادة الصليبيين فى بلاد الشام وأوربا لاستقطاب المغـول الى دائرة صراعهم ضـد المسلمين .
وقد أسهمت امارة انطـاكية بنصيب وافـر فى جذب المغـول الى دائرة الصراع بعد ن دخلت انطاكية نتيجة وساطة لويس التاسع فى فلك السياسية الارمينية ، الامر الذى جعل من انطاكية وأمرائها هدفا لانتقام كل من بيبرس وخلفائه من اسرة قلاوون . فلكى يضمن بيبرس امن بلاد الشام كان عليه القضاء على قوة أرمن قيليقية الذين خضعوا تماما للحماية المغولية . ولتحقيق ذلك كان على بيبرس ان يعـزل قليقيـة عن صليبيى الشام حتى يؤمن ظهره . وكان ذلك يتطلب منه القضـاء على امارة انطاكية.وبذلك اصبحت الامارة الصليبية هى أول أهداف المسلمين أثناء تداعى الفكرة الصليبية وفتور الحماسة الدينية لها فى الغرب.وبعد سقوط مدينة انطاكية استمر بيبرس فى اقتلاع املاك بوهيمند السادس وتهديده له حتى تم حصر الامير الصليبى فى طرابلس التى اخذ بيبرس الحصون التى تحميها ، مثل حصن المرقب وحصن الاكراد . ولم ينقذ طرابلس من السقوط فى قبضة بيبرس أمل بوهيمند فى وصول نجدة من الغرب بعد أن فقد الامل فى وصولها من فارس حيث نجح بيبرس فى شغل المغول فى الصراع ضد بنى عمومتهم مغـول روسيا الذين اعتنقوا الاسلام . وبموت بيبرس أكمـل سيف الدين قلاوون المشروع الاسلامى ضد أمراء انطاكية فى طرابلس ففتح حصن المرقب واللاذقية . هذا بينما مات بوهيمند السادس ومن بعده ابنه

---

(٣١٢) John L. La Monte, From A crusader kingdom to a commercial colony, p. 299.

بوهيمند السابع لتبقى طرابلس الهدف الاول للاشرف خليل بن قلاوون ، ومن بعدها عكا لينتهى الوجود الصليبى فى بلاد الشام بعد ان مهـــدت لسقوطه الخلافات بين قادة الفرنج انفسهم وجاليات الايطالية . ولتعود الاراضى المقدســة ـ مرة أخرى ـ الى السيادة الاســلامية ، ولتعود بلاد الشام وفلســطين الى المسلمين ،ولم يكن قد تبقى من الروح الصليبيــة الاســتعمارية سوى عدة محاولات انطلقت من قبرص التى اتخــذها الصليبيون قاعدة لهم لتهديد الشرق الادنى الاســلامى(٣١٣) . وفشلت المحاولة ، وفشلت خطط اوربا ضد بلاد المسلمين خلال الفترة المتبقية من العصور الوسطى تاركة المهمة للعصور الحديثة .

---

(٣١٣) لم يعد للحملات الصليبية اية قواعد فى بلاد الشام بعد سقوط عكا ، ولم يكن امام الفرنج الذين طردوا من الاراضى المقدسة ســـوى جزيرة قبرص ، ومنذ فتح الاشرف خليل لعكا وحتى عام ١٣٦٥م/ ٧٦٧هـ ، لم تستطيع البابوية أن تجد حلفاء لها للقيام بحمـــلة صليبية من أجل استعادة الاراضى المقدسة . فلم يكن هناك من يقتنع بدعاوى بطرس الناسك القديمة التى قبلها بسذاجة مفرطة المجتمع الاوربى الغربى منذ ثلاثة قرون مضت من بدء الحـركة الصليبية . ولم يكن ملوك انجلترا وفرنســا وأراجون متفرغين لقضية المسيح بقد تفرغهم للدخول فى صراعات من أجل مصالحهم الخاصة ومصالح دولهم . كما أن الارباح التجارية وتنوع طرق التجارة أبعدت المدن الايطالية البحرية عن الهدف الصليبى تماما . ولم يكن سوى بطرس الاول لوزينـــان ملك قبرص (١٣٥٩ ـ ١٣٦٩م/٧٦١ ـ ٧٧١هـ) . الذى استهوته فكرة استرداد الاراضى المقدســة من المسلمين منذ صغره . وقاد حملته المشهورة عــلى الاسكندرية متبعا نفس الفكرة التى أخذ بها الصليبيون منذ الحملة الخامسة وهى احتلال مصر حتى يتنازل السلطان المصرى عن بيت المقدس نظير تحرير بلاده من أيدى الفرنج . وقاد بطرس حملته على الاسكندرية فى ٩ اكتوبر ١٣٦٥م/ ٢١ محرم ٧٦٧هـ، ولم تتعد حملته كونها عملية نهب للمدينة التى آلرتها تجارة المماليك . واضطر بطـــرس مع عدم قدرته على الســيطرة على جنوده المتعطشين للدماء والاسلاب للعودة الى قبرص فى ١٦ أكتوبر/ ٢٨ محرم من نفس السنة أى بعــد أسبوع واحد من وصــوله الى الاسكندرية . وانتهت بمغامرة بطرس وما تلاها من مغـــامرات كانت آخرها حملة نيقوبوليس الصليبية عام ١٣٩٦م (٧٩٨هـ) محاولات الصليبيين لاسترداد الاراضى المقدسة . وللمـــزيد عن حملة بطرس لوزينان على الاسكندرية ونهاية الحركة الصليبية انظر :

Atiya, The Crusades in the Later Middle Ages, Passim; Runciman, A History of the Crusades, pp. 427-468.

الخاتمـــــة

١ ـ الخطوط العريضة للعلاقات السياسية بين امارة انطـاكية الصليبية وجيرانها المسلمين ، ومواقفها حيال مـختلف القوى التى تعاملت معها

٢ ـ أهم القضـــايا التى تعـرض لهــا موضــوع البحث ، والآراء والاستنتاجات التى تم التوصل اليها .

فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى/الخامس الهجرى نشأت امارة انطاكية الصليبية ـ اول امارة صليبية فى بلاد الشام وثانى مستعمرة صليبية فى الشرق الادنى الاسلامى بعد كونتية الرها ـ نتيجة الجهد المشترك لكل رجال الحملة الصليبية الاولى . وعلى العكس من مملكة بيت المقدس الصليبية ، فقد تكونت امارة انطاكية من اراضى كانت بالأمس بيزنطية ، وكان الهدف من انشائها فى الاصل مزدوجا . فعندما كونها مؤسسها النورماندى الايطالى بوهيمند الاول ، اعتبرها مركزا نورمانديا جديدا لشن الحرب على بيزنطة عدوة النورمان القديمة ، ومحل اطماعهم الدائمة . كما كانت انطاكية بالنسبة لبوهيمند ، الامارة التى لم يتوفر له اقطاع مثلها فى ايطاليا خاصة بعد فشل حربه هو وأبيه روبرت جويسكارد ضد الكسيس كومنين فى البلقان ، وقد سمحت له الفوضى التى كانت سائدة فى العالم الاسلامى بصفة عامة ، وفى بلاد الشام بصفة خاصة ، من أن يتوسع فى أملاكه ـ على الرغم من قلة قواته ـ حتى أبواب حلب ، ويقاوم كل ردود الفعل البيزنطية ضده . وترك بوهيمند الامارة ، بعد التاكد من استحالة المد الصليبى شرقى حلب ، وفصل العراق عن شمال الشام . وانهى عهده بمنح البيزنطيين الفرصة لدحره واخضاعه ، ولكن دون اخضاع امارته التى تولى أمرها من بعده تنكريد الذى نبذ فكرة الخضوع لبيزنطة كما رفض الاعتراف بحقوقها فى انطاكية ، وفقا لاتفاقية القسطنطينية المعروفة فى مايو ١٠٩٧ ، واسترد ما أخذه البيزنطيون عشية اندحار بوهيمند من أملاك الامارة . وهكذا حافظ تنكريد على تركة خاله واستمر فى التوسع على حساب المسلمين والارمن ، وسلمها لنورماندى آخر هو روجر الانطاكى الذى وصل بحدود الامارة الى أقصى اتساع لها . فامتدت فى عهده من أبواب حلب شرقا الى ساحل البحر غربا ، ومن موانى قيليقية شمالا حتى حدود كونتية طرابلس جنوبا ، وذلك من خلال انتصاراته على نواب السلاجقة فى حلب والعراق . ولم يتورع فى ذلك عن التحالف مع مسلمى الشام ضد مسلمى العراق لتصل علاقات انطاكية السياسية بالمسلمين الى ذروة التناقض بين تحالف وصراع . ولكن بدءا من عهد عماد الدين زنكى عاد المسلمون الى التماسك من جديد اثر الصحوة الاسلامية فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ونجحوا فى صد الفرنج على نهر العاصى ، فى الوقت الذى انشغلت فيه بيزنطة عن حقوقها فى انطاكية بالتصدى للمد السلجوقى فى آسيا الصغرى . وكيف فرنجة انطاكية

أنفسهم مع الخطر الاقل تهديدا فى مواجهة الخطر الآخر . ولم يبق الامارة على قيد الحياة ، وبالرغم من توحد غالبية بلاد الشام تحت قيادة نور الدين محمود ، سوى دخولها تحت الحماية البيزنطية والعودة الى الاعتراف بسلطة الامبراطور البيزنطى فى عهد ريموند بواتيه ، وتاكد ذلك فى عهد خلفه رينو دى شاتيون (أرناط) . وكان السبب الآخر الذى ساعد على تحرر امارة انطاكية من الضغط الاسلامى هو تحويل الطاقات المتنافسة للصليبيين والمسلمين الى الجنوب ، فبدلا من قيام كل المعارك الحاسمة التى جرت فى بداية القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى على الجبهة الشامية العراقية ، نشب فى العقد السادس من القرن١٢م/٦هـ صراع حتى الموت من أجل فتح مصر أثناء احتضار الخلافة الفاطمية . وخرجت الوحدة الاسلامية من هذه الازمة وهى اكثر قوة مما كانت عليه قبلئذ منذ قرن من الزمان . فبانتهاء الصراع الصليبى الاسلامى حول مصر تغيرت كل الظروف فى كل منطقة الشرق الادنى . وبدأ ذلك بانتهاء الانقسام فى العالم الاسلامى بعد اختفاء الدولة الفاطمية وتولى صلاح الدين مقاليد الامور فى مصر . وساد المذهب السنى بلدان الشرق الادنى الاسلامى . وبدأ صلاح الدين ، واضعا يده على بيت الداء ، وبرؤيا جديدة ومبادىء جديدة يحقق الوحدة الاسلامية الشاملة توطئة للقضاء على الوجود الصليبى فى بلاد الشام . وفى نفس الوقت اختفت بيزنطة من على مسرح الاحداث ، وانتهى معها شعور الانطاكيين بالسيادة البيزنطية ، فى الوقت الذى طالت فيه مدة نسيان أوربا لمستعمراتها فى بلاد الشام بسبب مشاكلها الخاصة ، فى الوقت الذى حل فيه العنصر الفرنسى محل العناصر النورماندية فى انطاكية والالمانية فى مملكة بيت المقدس التى أضعفتها الانقسامات الفرنجية . ولم يعبأ بوهيمند الثالث بالصالح الصليبى العام فى سبيل نجاح مغامراته على حساب التقاليد الكنسية الكاثوليكية والاستراتيجية الصليبية العامة . فاستطاع صلاح الدين من اكمال ضم العراق . ومدن الشام تحت لوائه ، واكمال الحلقة التى حاصر بها املاك الفرنج كلها ، ثم القضاء على مملكة بيت المقدس التى حرمها بوهيمند الثالث من مساعدات حلفائها فى قبرص وبيزنطة وأرمينية . وانتهى الامر بالنسبة لانطاكية بأن نزلت على يد صلاح الدين الى درجة المقاطعة الصغيرة،ولم تتعد حدودها أسوار مدينة انطاكية نفسها.ولم يشارك أمير انطاكية (بوهمند الثالث) فى رد الفعل الصليبى الاوربى المتمثل فى

الحملة الصليبية الثالثة والذى لم يحقق الاستقرار لفرنج الشام • وبحلول القرن الثالث عشر الميلادى/السابع الهجرى خضع تاريخ العلاقات الصليبية الاسلامية لتغيرات جديدة • فحلت مصر محل بيت المقـدس كهـدف للاستراتيجية الصليبية الاوربية بعد ان صارت هى مركز الجهاد الاسلامى ضد الوجود الصليبى فى بلاد الشام • ولم يعد لبيت المقدس من قيمـة سوى كونها اثرا دينيا مسيحيا • بينما راى صليبيو الشام الجدوى فى حسن الجوار مع خلفاء صلاح الدين ، وانعاش العلاقات الاقتصادية مع المدن الاسلامية الداخلية فى الشام • فى الوقت الذى فضل فيه الايوبيون — الذين شغلهم تشككهم فى نوايا بعضهم البعض وانقسامهم على بعض عن استكمال جهد مؤسس دولتهم — الا يدفعوا بالوجود الصليبى الى نهايته ، ووجدوا فائدتهم فى تنمية العلاقات الاقتصادية السلمية مع جيرانهم الفرنجة الذين أصبحوا بالنسبة للمسلمين غير عدوانيين • وهكذا ساد الهدوء النسبى الصراع الصليبى الاسلامى • بل ان مساعدة أمير حلب الايوبى الظـاهر غازى ابن صـلاح الدين لأمير انطـاكية بوهيمنـد الرابع سمحت للاخير بمقاومة الدولة المسيحية التى رجحت كفتها فى الزاوية الشامية الاناضولية، وهى دولة أرمن قيليقية، لمدة ستة عشر عاما نتيجة لرؤيا الظاهر الذى وجد فى أمير انطاكية حاجزا بينه وبين أطماع أبناء عمومته فى مصر ودمشق • وبموت الملك الظاهر انتهى التحـالف الانطاكى الحلبى لتسقط مدينـة انطاكية فى أيدى الارمن وتبقى فى أيديهم لمدة ثلاث سنوا ت، بينما صارت طرابلس قاعدة خلفية لامراء انطاكية وقت الازمات طوال هذا القرن • وهكذا اصبحت مشكلة انطاكية هى المتنفس الوحيـد لكل من الصليبيين والمسلمين خلال فترة فتور الحماسة الصليبيـة فى أوربا • وعنـدما بدأ الجهد الصليبى الاوربى فى النشاط حال الحرص على عودة السلطة اللاتينية الى انطاكية دون مساهمة بوهيمنـد الرابع فى الجهـد الصليبى الا بالدرجة التى لا تعرض املاكه للخطر ، ، أو تحقق له ولامارته مصلحة خاصة ، بينما جذبت امارة انطاكية فى العـلاقات الارمينية السـلجوقية الايوبية بحكم طبيعة الجوار • ولم تتغير السياسة الانطاكية فى عهـد بوهيمند الخامس سوى انه شارك فى الجهـد الصليبى ضـد المسلمين فى شمال الشام ووسطه تستترا خلف جماعات الفرسان الرهبان ليبدو جارا مسالما لمسلمى حلب بالذات • ولم يكن يمنعه من المشاركة — علنا — بقدر ملحوظ فى الجهد الصليبى العام او حتى لصالح امارته على حسـاب

المسلمين ، سوى تدهور أحوال مدينة انطاكية بفعل هجمات قبائل التركمان عليها ، واقتراب التهديد المغولى ، الى جانب تدهور اقتصادها وعزوف أمرائها عن الاقامة فيها ، وبدت عاصمة الشرق مهجورة . واستمر الحال على ما هو عليه حتى دخلت انطاكية فى فلك السياسة الارمينية بفضل المساعى الفرنسية التى كانت جزءا من تعويض لويس التاسع البسيط لفرنج الشام عن فشله على ضفاف النيل . وبينما استمرت انطاكية فى الاندفاع ـ بفعل قوة الاشياء ـ فى المشاركة فى الاحداث خارج حدودها ، فقد شارك اميرها بوهيمند السادس بنى جلدته جميعا فى الحرب الاهلية تاركين الصدام ضد المسلمين لطرف جديد جذبته الى مسرح الاحداث المساعى الصليبية الاوربية الواهمة فى الحصول على مساعدة بعيدة المنال ضد المسلمين . فبوصول الغزو المغولى الى بلاد الشام دخلت انطاكية ـ خضوعا وليس تحالفا ـ فى كنف الغزاة المعادين للاسلام مدفوعة بالشفاعة الارمينية . وباسترداد الاسلام لنشاطه السابق من مصر ، وبدحر الغزو المغولى وعودة السيادة الاسلامية الى بلاد الشام ، أصبحت انطاكية هدفا استراتيجيا فى سبيل عزل ارمن قيليقية عملاء المغول عن صليبيى فلسطين أعداء المسلمين الاصليين . وخضعت امارة انطاكية الصليبية بغير رحمة لضربات المماليك ، وانتهى الوجود الصليبى فى شمال الشام ، وقبع أمراء انطاكية فى قاعدتهم الخلفية ـ طرابلس ـ انتظارا للمصير المحتوم الذى آلت اليه كل المستعمرات الصليبية فى بلاد الشام ، لتنتهى حلقة من حلقات الصراع بين مفهوم تستر وراء الدين ومفهوم نبع من الدين ، ولتنتهى فترة من العلاقات بين الشرق والغرب ناءت بحملها العصور الوسطى ، ولم تقال الكلمة الفاصلة فيها بعد ، فمازالت فى حاجة الى المزيد من الدراسات الجادة التى تنشد الحقيقة التاريخية الكاملة .

وخلال هذه المحاولة ـ معالجة تاريخ العلاقات السياسية بين امارة انطاكية الصليبية والقوى الاسلامية المجاورة ـ تعرض هذا العمل لعدة قضايا لم تتعرض لها الدراسات التاريخية الحديثة ، وفرضها على البحث المنهج الذى اتبع فى معالجة هذا الموضوع ، والمادة التاريخية التى أمكن الحصول عليها . ومن أهم هذه القضايا دور امارة انطاكية الصليبية فى تدعيم موقف جماعات الفرسان الرهبان والمدن التجارية الايطالية فى منطقة الشرق الادنى ، والآثار المترتبة على ذلك . فقد اعتاد المؤرخون

الحديثون على احصاء المنح والهبـــات والامتيـازات التى قدمها أمراء انطاكية لهذه الطوائف والاشارة اليها فقط فى معرض حديثهم عن المصالح المتبادلة بين أمراء انطاكية وأفراد هذه الطوائف الصليبية، أو لتحديدتاريخ وقعة معينة ساهم فيها أحد أمراء انطاكية ، خاصة اذا ما تعلق الامر بعمل عسكرى صليبى مشترك ضد المسلمين • الا أن الامر لم يقتصر على ذلك ، فقد كان لامارة انطاكية الصليبية ـ بما قدمه امراؤها من منح وامتيازات وهبات لهذه الطوائف ـ النصيب الاكبر فى تدعيم موقف هذه الطـوائف فى منطقة الشرق الادنى ، الامر الذى ترتب عليه تدعيم الكيان الصليبى ككل وبشكل غير مباشر • ولم تحظ المنح ، التى قدمها أمراء انطاكيـة لهذه الطوائف ، والتى لم يرتبط منحهم اياها بالقتال ضـد المسلمين ، باهتمام كل المؤرخين الحديثين • لذا كان لابد ـ لتقييم دور انطـــاكية هذا ـ من اخضاع هذه المنح وتلك الامتيازات التى قدمها امراء انطاكية لهـذه الطوائف للدراسة والفحص • ومن تتبع تطور هذه المنـح وتلك الامتيازات اتضح أن أمراء انطاكية لم يكتفوا ـ مثل بقية حكام الشرق الفرنج وخاصة ملوك بيت المقدس ـ بمنح هؤلاء الاقطاعات الصغيرة أو بعض العقارات والابنية فى مدن وبلدان وقرى الامارة مثل المنازل والآبار والطواحين والشوارع ، أو تخفيض بعض الضرائب على سلع هؤلاء ، بل تعدى الامر ذلك الى منحهم الاستقلال الذاتى لجماعتى الداوية والاسبتارية وجاليات المدن التجارية الايطالية ، الامر الذى لم يتمتع به هؤلاء فى مملكة بيت المقدس نفسها • ويكفى انه صار فى نهاية الامر لجماعة الاسبتارية أن يكونوا فى حل ممايعقده الامير الانطاكى من معاهدات وهدن مع المسلمين، فى الوقت الذى عليه هو أن يلتزم باتفاقات الاسبتارية مع جيرانه المسلمين• كما صار من حق التجار الايطاليين من جنوية وبيزاوية وبنادقة التقـاضى أمام المحاكم الخاصة بهم دون محكمة الامير • وهكذا توفر الاسـتقلال الذاتى ، وحرية التصرف لهذه الطوائف فى شمال الشـام ووسـطه ـ فى انطاكية وطرابلس ـ الامر الذى مكن جماعات الفرسان من حماية أملاكهم والتصدى للمسلمين ، حتى أصبحوا فى أواسط القرن ١٣م/٧هـ هم مصدر القوة الوحيد فى الشرق الفرنجى بما توفر لديهم من قوى بشرية لم تعـد تتوفر للامراء والملوك الصليبيين • كما استطاعت الجاليات الايطالية ، بما توفر لديها من استقلال ذاتى ، أن تبقى على مصالحها التجارية مع المسلمين دون مراعاة للصالح الصليبى العام ، الى جانب نمو تأثيرها

السياسى فى الشرق الفرنجى واشتراكها مع الجماعات العسكرية الرهبانية فى تحديد مسار السياسة الصليبية العامة ، الامر الذى أدى فى النهـــاية الى ازدياد الشقاق بين صفوف الفرنج فى المملكة الصليبية ، والذى انتهى باشتعال فتنة الحرب الاهليـة التى اضعفت من قوة الصليبيين فى الوقت الذى استعاد فيه الجانب الاسلامى نشاطه السابق ـ أيام صلاح الدين ـ بقيادة المماليك توطئة لتوجيه الضربة القاضية للكيان الصليبى المتداعى فى الشرق .

ومن القضايا الهـامة التى تعـرض لهـا هـذا البحث ، والتى لم تثرها الدراسات التاريخية الحديثة السابقة هى تحديد الوقت الذى انتهت فيه الحماية البيزنطية ـ المقرونة بالسيادة ـ على امارة انطاكية الصليبية ، لما لذلك من أثر كبير على العلاقات السياسية بين الصليبيين والمسلمين . فقد اعتاد المؤرخون الحديثون على تحديد نهاية فترة الحماية البيزنطية على انطـــاكية بموت الامبراطور البيزنطىمانويل كومنـين فى عـــام ١١٨٠م/٥٧٦هـ ، على اعتبـار أنه بموت الامبراطور فمن الطبيعى أن تنتهى علاقة بيزنطة بالامارة الصليبية ، خاصـة وأن ظروف بيزنطـة الداخلية بعد مانويل لم تكن تسمح لاباطرتها بان يفرضوا سيادتهم ولا حمايتهم على امارة انطاكية . الا أن هذا الرأى يشوبه القصـور . فمن الطبيعى أن يبقى الامبراطور البيزنطى واضعا فى اعتباره استمرار سيادته وحمايته على انطاكية منذ اعترف بذلك أميرها رينو دى شاتيون فى عام (١١٥٨م/٥٥٣هـ) وحتى موت مانويل نفسه ، الا أن هذه النظرة للامور تتسم بالقصور.فمن غير الطبيعى أن نضع فى اعتبارنا ـ فىمجال العلاقات بين انطاكية وبيزنطة ـ وجهة النظـر البيزنطيـــة دون الصليبيـــــة . لذلك كان من الضرورى تحـديد متى شعر الانطــــاكيون أنفســـــهم بعدم فاعلية التـــأثير البيزنطى عليهم ، وأنهم تحـرروا من السيادة البيزنطية . وبتتبع أحوال كل من الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين وبوهيمند الثالث أمير انطاكية ، تم التوصل الى أن الحماية البيزنطيـة على امارة انطاكية قد انتهت بالفعل فى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ أى قبل موت الامبراطور مانويل كومنين بحوالى ثلاث سنوات .

وكانت أحوال امارة انطاكية فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى/ السابع الهجرى من القضايا التى لم تحظ باهتمـام المؤرخين الحديثين .

وربما رجع ذلك الى اهتمام المؤرخين المعاصرين وخاصة الصليبيين منهم باحوال مملكة عكا الصليبية دون أحوال الفرنج فى شمال الشام . فقد كان الوجود الصليبى بالشام يعانى آلام الموت البطىء ، وكانت انطاكية بالذات أشبه بالطائر المذبوح الذى يرفرف بجناحيه من آلام الموت ، فلم يكن فى تاريخها عندئذ ما يسترعى انتباه المؤرخ ، وقد أصبح تاريخها مجرد منازعات وصراعات وخلافات . فلا أقل من الاهتمام بقلب ذلك الكيان وهو عكا ، رغم ان ضربات ذلك القلب كانت قد أوشكت على التوقف وقد صارت مصر هى مركز المقاومة الاسلامية ضد الوجود الصليبى ، وصارت ايضا ـ مصر ـ الهدف الاول للحملات الصليبية التى قامت فى ذلك القرن . وامكن خلال محاولة معرفة الاسباب التى دفعت ببوهيمند الخامس الى انتهاج سياسة سليمة تجاه جيرانه المسلمين ، الوقوف على حقيقة حال امارة انطاكية الصليبية فى تلك الفترة ، والتأكد من ضعفها وتدهور احوالها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بعد ان هجرها اميرها الى طرابلس ، وايضا سكانها . وفقدت مدينة انطاكية اهميتها السابقة كمعقل صليبى هام فى شمال الشام ، بعد ان فشلت فى استرداد ما ضاع من املاكها منذ أيام صلاح الدين .

ومن اهم القضايا التى تناولها هذا البحث بالدراسة على الاطلاق ، هى قضية التحالف الصليبى الارمينى المغولى واثره على علاقة انطاكية بالمسلمين . فقد دأب مؤرخو الحروب الصليبية الحديثون وفى مقدمتهم المؤرخ الفرنسى رينيه جروسيه ، على الاخذ بامكانية قيام تحالف بين الصليبيين فى بلاد الشام وبين المغول ضد المماليك فى مصر ، وتوجيه اللوم الى الصليبيين فى مملكة عكا لعدم انتهازهم الفرصة النادرة لعقد هذا التحالف مع المغول كما فعل هيثوم الاول ملك قيليقية الارمينى وبوهيمند السادس أمير انطاكية الصليبى . الا انه بتتبع موقف المغول من المسلمين والاسلام بصفة عامة من جهة ، ومن الصليبيين والمسيحية فى أوربا وبلاد الشام من جهة أخرى ، أمكن التوصل الى استحالة قيام تحالف بالمعنى الصحيح ، بين المغول والصليبيين ضد المسلمين ، وان ما تم بين بوهيمند السادس والمغول لم يتعد خضوع الاول للاخيرين ، الامر الذى جعل منه ومن امارة انطاكية هدفا استراتيجيا للمماليك لعزل الارمن أعداء المماليك

عن الصليبيين فى مملكة عكا ، توطئة لاخضاع قيليقية قبل توجيه الضربة القاضية للكيان الصليبى المتداعى فى بلاد الشام .

والى جانب هذه القضايا ، تم التوصل ـ على امتداد البحث ـ الى عدة استنتاجات تاريخية هامة القت الضوء على كثير من النقاط التى شابها الغموض ، والتى وقفت امامها الدراسات التاريخية الحديثة دون الاخذ برأى قاطع فيها ، أو التزمت حيالها الصمت التام . ومن اهم هذه الاستنتاجات كان تحديد تاريخ غارة بوهيمند الثالث وكونت الفلاندرز على حارم (١٨ نوفمبر ١١٧٧م/٢٣ جمادى الاولى ٥٧٣هـ) الامر الذى لم تحدده كافة المصادر التاريخية المعاصرة . ثم تاريخ غارته على مدينة شيزر (٩ مايو ١١٧٩م/آخر ذى القعدة ٥٧٤هـ) أثناء انشغال صلاح الدين بالاغارة على حصن بيت الاحزان . ثم غارة الامير نفسه على حارم (مايو ١١٨٩م/ربيع ثان ٥٨٥هـ) أثناء انشغال صلاح الدين ايضا بحصار حصن كوكب . كما أمكن التوصل الى ان سياسة بوهيمند الثالث كانت السبب فى حرمان الصليبيين بصفة عامة من مساعدة حلفائهم فى قيليقية وقبرص وبيزنطة ضد صلاح الدين فى موقعة حطين . وردا على تساؤل المؤرخ الفرنسى كلود كاهن (هل كان بوهيمند الرابع يدفع للملك الظاهر غازى ملك حلب ثمنا لحماية الاخير له ؟) أمكن التوصل الى ان التعاون المشترك بين كل من بوهيمند الرابع والظاهر غازى كان ضرورة سياسية أملتها ظروف كليهما . فبالنسبة لبوهيمند كان يكفيه أن يرد عنه الظاهر اطماع الارمن فى امارته . وبالنسبة للظاهر كان وجود بوهيمند فى حكم انطاكية ـ كحليف له ـ أكثر امنا بالنسبة لحلب من وجود ليو الثانى الارمينى فى الحكم الى جانب أن بوهيمند يمكن ان يسبب المتاعب ـ من طرابلس ـ لأى من بنى عمومة الظاهر فى حمص ودمشق ، اذا ما انقلب أحدهم ضد الظاهر . وثبت أن هذا التحالف بين بوهيمند الرابع والظاهر قد تم بناء على اتفاق بين بوهيمند ونواب الظاهر عند المرقب فى عام ١١٩٧م/٥٩٣هـ .

ومن خلال تتبع تطور مشكلة انطاكية والصراع الذى نشب حولها بين بوهيمند الرابع وريموند روبين الارمينى ، امكن التوصل الى ان هذه المشكلة كانت هى المتنفس الوحيد لكل أطراف الصراع فى بلاد الشام خلال فترة الجمود الصليبى فى أوربا ، والتى فشلت فيها اوربا فى ارسال قواتها

الصليبيةالى الشرق الادنى الاسلامى ، وهى الفــترة الواقعة فيما بين الحملتين الثالثة والخامسة الصليبيتين. فقد شغلت مشكلةانطاكيةكل اطراف الصراع الصليبى الاسلامى ، وجذبت اليها كلا من المسلمين فى بلاد الشام ومصر ، وسلاجقة آسيا الصغرى، الى جانب صليبيى مملكة عكا والطوائف العسكرية الرهبانية وحتى البابوية نفسها .

كما أمكن التوصل من خلال البحث الى التاريخ الصحيح لغارة ليو الثاني الارمينى على سهل انطاكية (التى وضعها كاهن فى عام ١٢٠٨م/ جمــادى ثان ٦٠٤ – جمــادى ثان ٦٠٥هـ) وهو خريف عام ١٢٠٩م/ ٦٠٥هـ . وتاريخ حملة السلاجقة والحلبيين ضد ليو (يضعها كلود كاهن فى ربيع ١٢٠٩م/٦٠٥هـ) وهو شتاء عام ١٢٠٩م/٦٠٥هـ .

كما تم التوصل الى السبب الذى دفع البــابا انوسنت الثــالث الى مراسلة الملك الظاهر غازى صاحب حلب الايوبى (فى ٧ يونيو ١٢١١م/ ٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ)يطلب منه حماية بطريرك انطاكية وكنيستها،وهو احداث التباعد بين بوهيمند الرابع وحليفه الملك الظاهر حتى لا يكون التحالف بينهما ميزة تخل بميزان القوى – لصالح بوهيمند – بين ليـو الارمينى وبوهيمنــد الرابع ، الامر الذى يمكن بوهيمنــد من الاطاحة بسلطات الكنيسة اللاتينية بأنطاكية .

وهناك استنتاج آخر تم التوصل اليه من خلال البحث ، وهو أن حرص البابا هنوريوس الثالث على مهادنة بوهيمند الرابع ، عن طريق بيلاجيوس منــدوب البابا ، يكشف عن حرص هذا البــابا على وجود انطاكية فى حوزة الصليبيين ، باعتبارها اهم من دمياط التى ضاعت من أيدى قادة الحملة الصليبية الخامسة . كما كشفت سياسة هونوريوس ازاء بوهيمند الرابع عن ازدياد اهمية انطاكية لدى البــابوية أيام هنوريوس الثالث عنها فى أيام انوسنت الثالث الذى ضحى باستقرار الامور فى انطاكية فى سبيل دخول الكنيسة الارمينية الى كنف كنيسة روما .

ومن أهم الاستنتاجات التى تم التوصل اليها ، أيضا ، كان الوقوف على سبب استبعاد أملاك بوهيمند الرابع من اتفاقية يافا التى عقــدت بين فريدريك الثانى والملك الكامل (١٨ فبراير ١٢٢٩م/٢٣ ربيع أول

أول ٦٢٦هـ) . وكان هذا السبب هو وجود غالبية أملاك وحصون جماعتى الداوية والاسبتارية ـ مناوئى فريدريك ـ فى نطاق أملاك بوهيمند الرابع . ولم يكن السبب هو هروب بوهيمند من قبرص ، وعدم اعلانه الخضوع للامبراطور الالمانى حين تواجد الاخير بالجزيرة الامر الذى لم تحسمه دراسة المؤرخ الفرنسى كلود كاهن من قبل .

كما أمكن التوصل الى ان تاريخ الغارة التى شارك فيها بوهيمند الخامس جماعة الاسبتارية على بعرين هو يونية ١٢٣٤م/رمضان ٦٣١هـ وليس عام ١٢٣٥م/٦٣٢هـ ، ولا العام الذى يليه كما يضعها كاتب حوليات الارض المقدسة ، ولا فى عام ١٢٣٣م/٦٣٠هـ ، كما يضعها كاتب تاريخ هرقل .

وأخيرا امكن من خلال البحث تحديد بداية حصار بيبرس لمدينة انطاكية بيوم الاربعاء ١٥ مايو ١٢٦٨م/أول رمضان ٦٦٦هـ وليس بيوم ١٤ مايو/٣٠ شعبان كما يذهب كل من رنسيمان وجروسيه .

وعلى عكس ما يذهب اليه جروسيه من أن اهالى انطاكية قاتلوا المماليك قتالا شديدا قبل أن تسقط مدينتهم فى أيدى المماليك ، فقد امكن التوصل الى أن المماليك قد فتحوا المدينة دون مقاومة تذكر .

وبذلك ، وامتنادا الى ما جاء فى المصادر المعاصرة ـ صليبية كانت ام اسلامية ـ فقد أمكن ، من خلال هذا البحث ، تناول بعض القضايا التاريخية بالدراسة والمناقشة ، والاخذ فيها برأى جديد ، والتوصل الى كثير من الاستنتاجات التى تعد ردا على بعض التساؤلات التى طرحتها بعض الدراسات التاريخية الحديثة ، أو تحقيقا لما أغفلته بعض هذه الدراسات ، أو تصحيحا لبعض وجهات النظر التى وردت فيها ، الامر الذى كان له أكبر الاثر فى القاء الضوء على كثير من نقاط البحث التى شابها الغموض حينا والاضطراب أحيانا ، وكان الهدف هو محاولة الاتيان بجديد فيما يخص موضوع البحث سعيا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة .

الملاحـق

الملحق الاول : خطاب البابا انوسنت الثالث الى الظاهر غازى ملك حلب ، ٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧ هـ انظر :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Col. 434.

الملحق الثانى : خطاب البابا هنوريوس الثالث الى المندوب البابوى بيلاجيوس ، فى ٩ يوليو ١٢٢١م/١٦ جماد أول ٦١٨هـ ، انظر :

Regesta Honorii Papae, Vol. 1, no; 2495, p. p. 568.

الملحق الثالث : خطاب بوهيمند السـادس أمير انطاكية وكونت طرابلس الى هنرى الثالث ملك انجلترا فى ١٤ مايو ١٢٥٥م/٥ ربيـع ثان ٦٥٣هـ ، انظر :

Bohemond VI, Letter of Bohemond VI Prince of Antioch and Count of Tripoly to Henry III king of England, in Annales de Burton, pp. 369-371.

الملحق الرابع : قائمة الوثائق المتضمنة المنح والامتيـازات التى قدمها امراء انطاكية الى جاليات المدن التجارية الايطالية فى بلاد الشام ، وقبالة كل وثيقة المصدر المستقاه منه ٠

الملحق الخامس : قائمة باسماء أمراء انطاكية والاوصياء عليهـا من ملوك بيت المقدس ، وتواريخ حكمهم بالتقويمين الميلادى والهجرى ابان الفترة الزمنية موضوع البحث ٠

الملحق السادس : قائمة باسماء بطاركة انطاكية اللاتين واليونانيين واليعاقبة ، وتاريخ بطريركية كل منهم ٠

تتصل هذه الملاحق اتصالا وثيقا ومباشرا بموضوع البحث ، وتلقى كثيرا من الضوء على بعض جوانبه ، وتكشف الغموض عن بعض قضاياه . فهى تتضمن نصوصا ووثائق حررها شاهدو عيان لبعض أحداث الفترة موضوع البحث وشارك بعضهم فيها . فقد شارك اثنان منهم فى صنع السياسة الصليبية العامة ، وكان لهم دورهم فى تحديد طبيعة هذه السياسة تجاه المسلمين ، وهما البابا انوسنت الثالث والبابا هونوريوس الثالث ، اللذان عاصرا مشكلة انطاكية والصراع حولها بين بوهيمند الرابع وريموند روبين الارمينى ، والثالث هو بوهيمند السادس آخر من حكم من اللاتين فى انطاكية .

والملاحق الثلاثة الاولى هى رسائل تم تبادلها بين قادة الحركة الصليبية فى أوربا وبلاد الشام . وهى مازالت بلغتها الاصلية (اللغة اللاتينية) ولم تنشر بأى لغة حديثة بعد . أما الملحق الرابع فهو قائمة بالمنح والامتيازات التى قدمها امراء انطاكية لجاليات المدن التجارية الايطالية فى بلاد الشام . والملحق الخامس هو قائمة بأسماء وفترات حكم امراء انطاكية والاوصياء عليها من ملوك بيت المقدس ابان الفترة موضوع الدراسة والملحق السادس والاخير عبارة عن قائمة بأسماء بطاركة انطاكية اللاتين واليونانيين واليعاقبة .

اما عن الملحق الاول فهو نص الرسالة التى بعث بها البابا انوسنت الثالث من المقر البابوى بايطاليا فى ١٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ الى الملك الظاهر غازى ملك حلب الايوبى يوصيه خيرا ببطريرك انطاكية اللاتينى بطرس الثانى أوف افريا (١٢٠٩ ـ ١٢١٧م/٦٠٦ ـ ٦١٤هـ) . ويبدأ الخطاب بتلميح من البابا عن علاقة الظاهر بلاتين انطاكية الكاثوليك واستحسان البابا لذلك ، وتوقعه لحسن جزاء الظاهر على ذلك . ثم يلى ذلك ثناء البابا على بطرس بطريرك انطاكية اللاتينى ، ثم طلب البابا من الظاهر بحماية البطريرك وحماية كنيسته اللاتينية وسط الصراعات حول انطاكية ، بين بوهيمند الرابع وليو الثانى ملك قيليقية الارمينى . ثم ذكر البابا لحسن الجزاء الذى سيناله الملك الظاهر اذا ما نفذ طلبه .

وترجع أهمية هذا الخطاب الى ما له من دلالات هامة . فالبـــابا يطلب من ملك حلب المسلم الذى كان حاميا للسلطة الزمنية اللاتينية فى امارة انطاكية ـ متمثلة فى شخص بوهيمند الرابع ـ ضد الارمن ، أن يكون حاميا للمسيحية الكاثوليكية فى انطاكية ضـد من يحـاول فرض سلطته عليهـا . ولم يـكن ـ فى ذلك الوقت ـ غير بوهيمنـد الرابع الذى يخشى البابا أن يكون فى حرمان ليو من كنيسـة روما اطلاقا لأيدى بوهيمند فى أملاك كنيسةانطاكية . وهذا يحدد هدفين أراد البـابا أن يحققهما معا . الاول وهو أن يباعد البابا بين بوهيمنـد وحليفه الملك الظاهر ، الامر الذى يضعف من موقف بوهيمند فى صراعه ضد الارمن ، ويوازن بين كفتى بوهيمند وليو فى هذا الصراع ، وهو الهدف الثانى من اهداف البابا . ولم يكن استقرار أحوال امارة انطاكية الصليبية يفوق ـ لدى البابا ـ دخول كنيسة الارمن فى كنف كنيسة روما أهمية ، كمـا لوح ليو للبابا .

اما الملحق الثانى فهو الخطاب الذى بعث به البابا هنوريوس الى المندوب البابوى بيلاجيوس فى ٩ يوليو ١٢٢١م/١٦ جمـاد أول ٦١٨هـ بشأن مشكلة انطاكية ذاتها . ويطلب فيه البابا من مندوبه أن يحسـن التصرف ويتخلى عن صلفه المعهود ، الذى تسبب به بيلاجيوس فى افشال الحملة الصليبية الخامسة ،وان يتوخى الحذر والحـرص فى معالجـة مشكلة انطاكية وفى معاملة بوهيمنـد الرابع ، وفى الحقيقة يرتبط هذا الملحق ارتباطا وثيقا بسابقه ، ولا يقل عنه اهمية . فموضوعه الاساسي هو نفس موضوع سابقه ، وهو مشكلة انطاكية . كما يتعلق هذا الملحق بموقف البابوية من نفس المشكلة . الا أن خطاب البابا الى مندوبه كانت له دلالاته الخاصة . فهو من جهة يكشف عن اختلاف موقف البابوية من مشكلة انطاكية زمن هنوريوس الثالث عن موقفها من نفس المشكلة زمن انوسنت الثالث . فبينما حرص الاول على تحقيق سلطة كنيسته عـلى كنائس ارمينيا مضحيا باستقرار الامور فى امارة انطاكيـة الصليبية ، حرص الاخير على بقاء انطاكية كمعقل صليبى فى شمال الشام عنـدما طلب من مندوبه أن يكون حذرا فى معاملته مع بوهيمند الرابع بعـد التاكد من موت منافسه ريموند روبين فى حبسه فى قيليقية ، والا اقـدم

بوهيمند ، الذي استرد انطاكية من الارمن ، على شيء من شأنه ان يضر بالكيان الصليبي في بلاد الشام اذا ما ضغط عليه بيلاجيوس . فربما سلم بوهيمند انطاكية الى المسلمين أو ربما ارتمى في أحضـــانهم . وضياع انطاكية من أيدي الفرنج - بالرغم مما حققوه من نجاح حتى ذلك الوقت في مصر - يعد بالنسبة للبابا خسارة أفدح من ضياع دميــاط وأكثر من دمياط مما استولت عليه قوات الحملة الخامسة في مصر . فدخولها في كنف المسلمين يعد تهديدا لفرنج فلسطين من جهة الشرق وشمال الشام ، بينما مازال الخطر الاسلامي يتهددهم من جهة دمشق ومن مدن الشام الاسلامية الأخرى ، ومازال مصير ونجاح الحملة في مصر غير مضمون أو أكيد . ومع أن كلا من انوسنت وهنوريوس لم يعترف ببوهيمند الرابع اميرا لانطاكية ، بل كونتا لطرابلس ، الا أن البابوية لم تبدأ في تحسين علاقاتها بوهيمند الا بعد التأكد من موت منافســه الارميني . ولم يكن حق انطاكية هو الفيصل في موقفها من مشكلة انطاكية .

أما عن الملحق الثالث ، فهو الخطاب الذي بعث به بوهيمنـــد السادس أمير انطاكية الى هنري الثالث ملك انجلترا في ١٤ مايو ١٢٥٥م/ ٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ ، يطلب فيه المساعدة العاجلة من الملك الانجليزي . ويعد هذا الخطاب من أهم الوثائق الصليبية المتعلقة بموضــوع البحث . وترجع أهميته الى أنه اهم مصادر المعلومات التاريخية المتعلقة بأحوال امارة انطاكية في اواسط القرن ١٣م/٧هـ . ففي هذه الفترة لم يكن لدينا من مصادر المعلومات التاريخية الصليبية المعاصرة والمدونة في بلاد الشام سوى تاريخي هرقل وروتلان الى جانب مآثر القبارصة . وكلها انصب اهتمامها على ذكر احوال الصليبيين في فلسطين دونهم في شمال الشام - الا بالنزر اليسير -الامر الذي جعل من الصعب الوقوف على حقيقة أحوال امارة انطاكية الصليبية في تلك الفــترة . هذا ، في الوقت الذي شــغل المؤرخون المسلمون - عن ذكر ما يتعلق بعلاقاتهم بانطاكية - بذكر ما يتعلق بعلاقاتهم بفرنج فلسطين وأوربا وبالخطر المغولي القادم من فارس . واذا كان الخطاب يوضح أحوال امارة انطاكية ، ومدى تدهورها بوقوع مدينة انطاكية وسكانها فريسة لهجمات قبائل التركمان التي تسببت في هجر الانطاكيين لمدينتهم بعد ان هجرها امراؤها وقبعوا في طرابلس ،

مما كان له أبلغ الاثر فى الاضرار بأحوال انطاكية الاقتصادية والاجتماعية، وفى فقدانها لاهميتها كمعقل صليبى قوى ؛ اذا كان الامر كذلك ، فان خطاب بوهيمند الى ملك انجلترا يكون قد أمدنا بالمعلومات التى تساعد على الوقوف على الاسباب الحقيقية التى دفعت بوهيمند السادس الى انتهاج سياسة سلمية خالصة تجاه جيرانه المسلمين . والى جانب كونه قد أوضح حقيقة أحوال انطاكية فى أواسط القرن ١٣م/٧هـ الامر الذى لم توضحه الدراسات التاريخية الحديثة السابقة .

والملاحق الثلاثة الاخيرة عبارة عن قوائم : القائمة الاولى خاصة بالوثائق المتضمنة المنح والامتيازات التى قدمها امراء انطاكية الى جاليات المدن الايطالية فى بلاد الشام وهى البنادقة والجنوية والبيزاوية(١) ، وتشتمل على بيان كل وثيقة وتاريخ تحريرها والمصدر الذى استقيناها منه وهى تبين ــ بشكل مباشر ــ مدى السلطات التى تمتعت بهـا هذه الجاليات فى امارة انطاكية الصليبية وانعكاس ذلك على علاقات الامارة بجيرانها المسلمين . أما الملحق الخامس فهو قائمة بأسماء أمراء انطاكية والاوصياء عليها من ملوك بيت المقـــدس وتواريخ حكمهم بالتقويمين الهجرى والميلادى ابان الفترة الزمنية موضوع الدراسة . والهدف منـه تحديد تسلسل الحكم اللاتينى فى انطاكية . أما الملحق السادس والاخير فهو عبارة عن قائمة بأسماء بطاركة انطاكية اللاتين واليونانيين واليعاقبة وتاريخ كل منهم . وأهميتها تكمن فى دور كنيسة انطاكية اللاتينية بطبيعة خاصة كقوة على مسرح الاحداث السياسية فى بلاد الشام .

---

(١) سبق أن نشر لامونت هذه القائمة . انظر :

J.L. La Monte, Feudal Monarchy, Appendix D. pp. 261-273.

الملحق الاول

خطاب البابا انوسنت الثالث الى الظاهر غازى ملك حلب الايوبى
فى ٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ نقلا عن :

Innocent III, Regesta, in P.L., Vol. 216, Col. 434.

Nobili Viro Soldano De Alapia, Ad Veritatis Pervenire Notitiam, Et In Ea Salubriter Permanere. Commendat ei Patriarcham Antiochenum (Laterani, VII Idus Junii.)

Sicut Veridica multorum relatione didicimus, etsi nondum Christianae religionis susceperis sacramenta, fidem tamen catholicam venereris, in multis Christi fidelibus deferendo. Unde de illius immensa Pietate confidimus quod te suae visitationis radiis illustrabit, ut gratia divinae cognitionis accepta, ad cultum aeterni et veri Dei, qui pro salute hominum factus est temporaliter verus homo, devotus aspires. Quapropter, in nomine Jesu Christi te attentitus exhortamur quatenus justitiam excolas et diligas veritatem, quae in salutis semitam dirigent gressus tuos, et venerabilem fratrem nostrum Antiochenum patriarcham, quem suae probitatis intuitu inter caeteros fratres et coepiscopos nostros sincera diligimus in Domino charitate, habens ob reverentiam nostram propensius commendatum, ipsum et Ecclesiam ejus non permittas, quantum in te fuerit, ab aliquibus indebite molestari, quinimo eidem exhibeas auxilium et consilium opportunum, ut per hoc divinae majestatis gratiam et apostolicae sedis favorem tibi valeas comparare.

Datum Laterani, VII Idus Junii, Pontificatus nostri anno quarto decimo.

الترجمـــة العربيـــة

الى الرجـل النبيـــل سـلطان حلب(١) من أجل الوصول الى معرفة الحقيقة ، والاستمرار من خلالهـا فى الطـريق الصحيح ، يوصيه (البابا انوسنت الثالث) خيرا ببطريك انطاكية(٢) .

بما أننا علمنا بحقيقة علاقة الكثيرين ، فانك حتى اذا لم تكن قد اضطلعت للآن بقسم ولاء للديانة المسيحية ، فانك مع ذلك مستصل الى الطريق القويم للايمان ضمن الكثيرين الذين آمنوا بالمسيح(٣) . ومن ثم فاننا نثق بتقوى وورع انه (المسيح) سيغمرك بأنوار زيارته . وعلى هذا فاننا نحرص على حثك باسم يسوع المسيح ان ترعى العدل وتحمى الحق اللذين سيسددان خطاك فى طريق الامان ، فلديك أخانا المبجـل بطريرك انطاكية الذى نوقره بسبب فطرته المخلصة فى التوفيق بين بقية الاخوة وبين أساقفتنا ، فادخلناه فى رحمة الرب واحســانه ، وحظى باحترامنا وحسن تقديرنا له . فلا تسمح لأحد بالمســاس به أو بكنيسته بدون وجه حق ، طالما بقى معك ، ولتوفر له فرصة العون والمشورة ، وكل ذلك بفضل العناية المقدسة ، ولتقارن انت فضل سـكينة واطمئنان الاتباع (الحواريين) الذى حظيت به .

فى السابع من يونية من السنة الرابعة عشر من بابويتنا(٤) .

---

(١) المقصود به الظاهر غازى ابن صلاح الدين ، ملك حلب (١١٨٦ - ١٢١٦م/٥٨٢ - ٦١٣هـ) .

(٢) المقصود به بطرس الثانى أوف أفريا (١٢٠٩ - ١٢١٧م/٦٠٦ - ٦١٤هـ) .

(٣) هذه هى النغمة التى سادت فى الغـرب ابان تلك الفـترة من الزمن . ولا غرو ، فقد كان أحد أهداف الحركة الصليبية التبشير بالمسيحية عـلى المذهب الكاثوليكى بين المسـلمين فى الشرق الادنى وتنصيرهم .

(٤) ٧ يونيو ١٢١١م/٢٣ ذى الحجة ٦٠٧هـ .

الملحق الثـــانى

خطاب البابا هنوريوس الثالث الى المندوب البابوى بيلاجيوس فى ٩ يوليو ١٢٢١م/١٦ جماد ول ٦١٨هـ ، نقلا عن :

Regesta Honorli Papc, Vol. 1, no. 3495, p. 568.

«Pelagio Albanensi episcopo Apostolice Sedis Legato». Cum Civitas Antiochena in eo statu existat quod de ipsius sit gravi periculo metuendum, mandat ut caute procedat in facto comitis Tripolitani et nihil sinistri de eadem civitate christianitati contingat, in cuius amissione, sicut dicitur, plus damni et ignominiae sustineret populus christianus quam si plures perderet Damiatas; super facto ergo ipsius Comitis est maxime subsistendum quia de nobili viro Rupino qui captus fuit minime dubitatur et nunc publice fertur eumdem carnis debitum exsolvisse. Laterani VII Id, Iulii anno quinto.

الترجمـــة العربيـة

اللاتيران ٩ يوليو(١)

« الى بيلاجيوس أسقف ابانو(٢) ومندوب السدة البابوية » •

لأن مدينة انطاكية فى هذه الحالة تمر بموقف يبعث على الخوف بسبب الخطورة التى تتعرض لها ، (فان البابا) يامر (بيلاجيوس) بان يتناول مسالة كونت طرابلس بحرص حتى لا يقع بالمسيحية مكروه فى تلك المدينة(٣) التى بفقدانها ، كما يقال ، سيتحمل الشعب المسيحى خسارة ودمارا أفدح مما لو فقد أكثر من دمياط ، ومن ثم ينبغى معاونة

---

(١) فى ذلك الوقت كانت قوات الحملة الصليبية الخامسة تقيم خارج مدينة دمياط استعدادا للتقدم نحو المنصـورة (فى ١٧ يوليـو عام ١٢٢١م/٢٥ جماد أول ٦١٨هـ) بعد أن نجحت فى الاستيلاء على دمياط • انظر : محمود سعيد عمران ، الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٣٦٧ ، ٣٧١ •

(٢) احدى مدن البرتغال •

(٣) المقصود بها مدينة انطاكية •

الكونت ذاته باقصى طاقة لان هناك قليل من الشك فيما يخص الرجل النبيل (ريموند) روبين الذى تم اعتقاله ، والآن يقال على الملأ انه قد تخلص من قيد الجسد(٤) ٠

(٤) بعد موت ليو الثانى الارمينى (ابريل ١٢١٩م/صفر ٦١٦هـ) اصبح قسطنطين رئيس الاسرة الهيثومية وصيا على عرش قيليقية واعتقل ريموند روبين الذى هاجم املاك خاله المتوفى حيث مات ريموند فى حبسه بعد فترة وجيزة ٠ انظر ما سبق من الفصل الثالث ٠

الملحق الثـــالث

خطاب بوهيمند السادس أمير انطاكية الى هنرى الثـــالث ملك انجلترا فى ١٤ مايو ١٢٥٥م/٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ ، انظر :

Bohemond VI, Letter of Bohemond : VI Prince of Antioch and Count of Tripoly to Henry III King of England, in Annales de Burton, pp. 369-371.

«Excellentissimo domino Henrico Dei gratia illustri regiAngliae, B [oemundus] eadem gratia princeps Antiochiae et comes Tripolitanus, salutem et reverentiam domino debitam et devotam.] Illa devotionis sinceritas quam in *Zelum nominis Jesu Christi illustrissimum* genus vestrum habuit ab antiquo, in majestatem vestram geminatis virtutibus derivatur, quem eximium regum terrae summa provisio benedixit, et magnificis semper actibus profuturum statuit in sublim ut per vos brachium Regis regum, nomen ipsius ad laudem ejus et gloriam, et confusionem hostium crucifixi, jugiter exaltetur. Ille quidem athleta Christi fortissimus, inclitus rex Ricardus patruus vester memoriae recolendae cujus nomen resonat toti mundo. Zelum sincerum quem habuit egregiis actibus demonstravit, dum exponens omnem suam suorumque potentiam seque morti, ad funiculum haereditatis Domini redimendum de faucibus paganorum, personaliter provinciam cismarinam. Terram Sanctam, a crucis hostibus occupatam, triumphali gladio liberavit. Caeterum ad vos regem Christianissimum, succedentem eidem non solum jure haereditario sed virtute, tanto devotius Christiani terrae pradictae cum anxietate suspirant, quanto decus omne a vestris antecessoribus virtuose peractum, in personam vestram caelesti munere uberius est effusum. Verum Antiochena terra eo magis subsidium vestri culminis cum suspiriis praestolatur, quod plus caeteris provinciis Orientalibus flagellatur ab hostibus Crucifixi, quoniam etiam omnis persecutionis instantia quae in provincia cismarina concussorit universos, in Antiochiam infelicem specialiter est conversa cismarina Insurrexerunt etenim contra ipsam a longis temporibus, Turcumanii, qui Dei et hominum inimici, sibi Antiochiam haereditationem meam, miserabilem elegerunt in praedam, et eam sic inhumaniter afflixerunt quod interemptis civibus, terrarum cultoribus captis, cunctis animalibus destructis, vineis, arboribus, villis, casalibus, atque maneriis bonisque omnibus desolatis, usque ad civitatis

maenia, per eosdem feraliter undique debacchantes in caedibus, incendiis, et in praedis, illustrissimam civitatem, speculum Orientis, in spectaculum converterunt, et ad exaninitionem ultimam deduxerunt. Unde fit quod Turcumanii praedicti haeredi tatem meam incessanter affligunt et obsessis per eos itineribus civitatis, ne aliqua portentur in ipsam, neve habitatores exeant ab eadem. milites superstites et burgenses deserunt civitatem jam quasi pomerii custodiam remansuram. Ha Deus ! quid sibi vult quod civitas supradicta, ubi Christianum nomen primitus est assumptum, a principibus Christianis sit penitus derelicta, cum tamen contra loca Christianitatis convalescentibus persecutoribus paganorum, principum mundi atque fidelium caeterorum devotio saepius affuerit in succursum. Infelix vero Antiochia, quae caput fuerat Orientis, sic est oblivioni tradita, quod relinquitur in ridiculum canibus devoranda. Mitto autem ad pedes regiae majestatis nobilem virum Conradum de Duce militem et fidelem nostrum, et Gwarennum presbyterum et capellanum nostrum, latores praesentium, quibus vestra serenitas benignam audientiam et exauditionis gratiam largiatur, Datum Tripolis XIV. die mensis Maii, anno Domini MCCLV».

الترجمة العربية

الى السيد المعظم هنرى ، بفضل الله ، ملك انجلترا المبجل ، يرسل بوهيمند بفضل الله ، أمير انطاكية وكونت طرابلس ، التحيات والتبجيل الى سيده (الملك) . لقد انتقل الى شخص جلالتكم وبقوة مضاعفة ، ذلك الاخلاص الدينى ، الذى توفر لدى أسرتك المبجلة منذ قديم الزمن ، فى الحماسة من اجل اسم المسيح الذى بشرت به النبوءة العظمى سيدا للملوك الارض ، والذى رفع اعماله العظيمة عاليا ، من أجل المستقبل ، وحتى يكون من خلالك أنت ، يا ساعد ملك الملوك ، الثناء والمجد لاسم الرب ، والذل لاعداء المسيح . بجلت للابد(١) .

(١) كانت هذه هى صيغ المكاتبات فى الغرب وقتذاك فى ظل تزمت الكنيسة اللاتينية الشديد .

وأن أشجع رفاق المسيح ، الملك النبيل ريتشارد(٢) عمك خالد الذكر ، الذى يدوى اسمه فى كل أرجاء العالم ، قد برهن على الحماسة الصادقة ، التى توفرت لديه بأعماله الغير عادية . وبينما عرض كل قواته ، وقوات رجاله ، ونفسه للموت ، كى يخلص ارض ميراث الرب المستضعفة من (أيدى المسلمين) فقد حرر بنفسه وبسيفه الظافر مقاطعات ما وراء البحر ، والارض المقدسة التى احتلها أعداء الصليب . ولكن أتباع السيد بالسابق ذكره(٣) يتلهفون عليك ، بمزيد من الايمان ، وفى قلق بالغ ، كملك أكثر مسيحية ، وخلفا له ليس فقط بحق الميراث ولكن ايضا بالفضيلة ، حيث ان كل الكرامة التى حققها أسلافك بعقه تظهر أكثر كمالا فى شخصك وبخدماتك السماوية .

ففى الحقيقة فان أرض انطاكية تنتظر بلهفة كل المساعدة من سموك ، لان اقليمها أكثر من أقاليم الشرق الأخرى قد نكل به أعداء المسيح . فبينما وقعت حالات الاضطهاد بكل مقاطعات الشرق ، فقد أصابت انطاكية البائسة بصفة خاصة لان التركمان قد دأبوا على غزوها لفترة طويلة الآن ، ووقع اختيار أعداء الرب والبشرية على انطاكية ، ميراثى التعس ، كمجال للسلب ، وضايقوها بلا شفقة وبقتلهم للسكان ، وبأسرهم للفلاحين وبتدميرهم لكل الحقول ، وبتخريبهم للكروم ، والحقول والمزارع والقرى والبلدان والبضائع حتى أسوار المدينة ، فقد حولوا هذه المدينة السامية ، مرآة الشرق ، الى اثر (بعد عين) باجتياحهم كل مكان بوحشية ، وبارتكاب أعمال القتل والحرق والسرقة واعادوها الى أدنى حدود لها . لذلك فان هؤلاء التركمان السابق ذكرهم قد قوضوا ميراثى وباحتلالهم الطرق المؤدية الى المدينة ، فلا شيء يمكن القيام به مع وجودهم فيها . فليس فى استطاعة السكان الخروج من المدينة ، ولقد هجر المدينة الفرسان والبرجوازية الذين على قيد الحياة ، او بقوا لحراسة أحجار فقط . أواه يا ربى ، هكذا مشيئتك أن يهجر

---

(٢) المقصود به ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا (١١٨٩ ـ ١١٩٩م/ ٥٨٥ ـ ٥٩٥هـ) .

(٣) المقصود به ريتشارد قلب الاسد .

الامراء المسيحيون المدينة التى اتخذ فيها لقب « مسيحى » لأول مرة(١) ومع اضطهاد (المسلمين) المتزايد للاماكن الدينية المسيحية ، فان نسك أمراء العالم والمؤمنين غالبا ما كان فى حاجة الى العون • لذلك ، فان انطاكية التعمة ، التى كانت عاصمة الشرق ، قد مضت الى الظلام وتركت فى احتقـــار • • • • • • • • • • • • •
• • • • • • • • • • • • • •
• • • • • • • • • • • • • •
• • • • • • • • • • • • •(٢)

وابعث الى جلالتكم الرجل النبيل كونراد دى حوسى وهو فارس تابع لى ، وجارنيير كاهنى الخاص ، حاملى هذه الرسائل اللذين ربما يحظيان بفضل وحسن استماع سموكم لهما •

سلم فى طرابلس فى ١٤ مايو ١٢٥٥م(٣) •

---

(١) تلقب تلاميذ عيسى عليه السلام « بلقب مسيحيين » لأول مرة فى انطاكية بعد أن كان يطلق عليهم لقب « نصارى » وجاء فى العهد الجديد « ودعى التلاميذ مسيحيين فى انطاكية أولا » انظر : العهد الجديد : سفر أعمال الرسل (١١ ، ٢٦) •

(٢) يلى ذلك حوالى ١٨ سطرا يعدد فيها بوهيمند افضـــال الملك هنرى الثالث وأسلافه تمهيدا لطلب مساعدته لانطاكية •

(٣) ١٤ مايو ١٢٥٥م/٥ ربيع ثان ٦٥٣هـ •

الملحق الرابع

قائمة بالمنح والامتيازات التى قدمها امراء انطاكية الى جاليات المدن التجارية الايطالية فى بلاد الشام(١)

١ — البنـــادقة

بوهيمند الاول : وثيقة مفقودة تاريخ تحريرها ١٠٩٨ — ١٠٩٩م/٤٩٢ — ٤٩٣هـ .

انظـــر : Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 27.

تنكـــريد : وثيقة مفقودة تاريخ تحريرها ١١٠٣م — ١١١٢م/٤٩٧ — ٥٠٦هـ .

انظـــر : Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 31.

بوهيمند الثانى : الوثيقة مفقودة ، تاريخ تحريرها ١١٢٦ — ١١٣١م/٥٢٠ — ٥٢٥هـ .

انظـــر : Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 42.

ريموند بواتييه : وثيقة نصها : يمنح ريموند بواتييه امير أنطاكية للبنادقة حرية التجارة وتخفيفا فى التعريفة الجمركية وحمـــاية سفنهم الغارقة ، وحق التقاضى فى محكمة الامير بالقـــانون الخاص بهم ، تاريخ تحريرها : مايو ١١٤٠م/رمضـــان ٥٣٤هـ . انظـــر :
Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 46; Rohricht, Regesta, no. 197; p. 49.

رينودى شاتيون : وثيقة نصها : يؤكد رينو دى شاتيون أمير انطـــاكية وزوجته كونستانس للبنادقة كل المنح التى قدمها كل من بوهيمند الاول وتنكريد وبوهيمند الثـــانى وريمـــوند بواتييه . ويمنح الامير والاميرة أهل البنادقة تخفيضـــا اضافيا فى التعريفة الجمركية ، ومحكمـــة خاصـــة بهم فى انطاكية تخضع لاشراف قضاتهم . ، تاريخ تحـــريرها : مايو ١١٥٣م/ذى القعدة ٥٣٤هـ . انظر :
Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1, no. 55; Rohricht, Regesta, no. 282; p. 72.

---

(١) نقلا عن :
J.L. La Monte, Feudal Monarchy, Appendix D., pp. 261-273.
وقد أضفنا بعض الوثائق ومصادرها .

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يرفع بوهيمند الثالث أمير انطاكية عن التجار البنادقة نصف قيمة الضرائب المقـــررة عليهم فى مدينة انطاكية . ويؤكد لهم المنحة التى أجيز لهم بمقتضاها انشـــاء محكمة خاصة بهم فى المدينة نفســـها ، وتاريخ تحريرها : ١١٦٧م/٥٦٣هـ .

Tafel-Thamas, Urkunden, Vol., 1 no. 61; Rohricht, Regesta no. 434 p. 113.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمنـــد الثالث امير انطـاكية للبنادقة حق المثول أمام محكمتهم الخاصة في انطاكية فى القضايا التى يكون طرفاها من البنادقة ويعدهم بسرعة البت فى قضاياهم التى تنظر فى محكمتـــه الخاصـــة ، تاريخ تحريرها ١١٦٩م/٥٦٥هـ .

Rohricht, Reggesta, no. 471, p. 124, no. 680 pp. 181-182.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث للبنادقة حقهم فى كل المنح والامتيازات التى حصلوا عليها من قبل داخل نطاق امارة انطاكية ، تاريخ تحريرها : ١١٨٣م/٥٧٩هـ .

Tafel-Thomas, Urkunden, Vol. 1 no. 68; Rohricht, Rogesta, no. 632, p. 167.

٢ ـ الجنـــوية

بوهيمند الاول : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الاول أمير انطاكية كنيسة القديس يوحنا وثلاثين منزلا فى مدينة انطاكية واعفاءا من كل المكوس والرسوم والعوائد المقررة على من هم سواهم أو التى سوف تقرر فى مدينة انطـاكية أو مجاورتهـا ، وتاريخ تحريرها : ١٤ يوليو ١٠٩٨م/١١شعبان ٤٩١هـ .

Hagenmyer, Epistolae, p. 155, Rohricht, Regesta no. 12 p.

تنكـــريد : وثيقة نصها : يمنح تنكريد « الوصى » على امارة انطاكية لكنيسة القديس لورانس بجنوا ثلث دخل ميناء السويدية ، ونصف دخل ميناء اللاذقية ، وشـارع وكنيسـة باللاذقية وارض فى جبلة ، وذلك عندما يتعين فتح هذه الاماكن ، تاريخ تحريرها : ١١٠١م/٥٩٧هـ .

Rohricht, Regesta, no. 35, p. 5.

بوهيمند الثانى : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثانى أمير انطاكية المنحة التى قدمها والده للجنوية من قبل ، تاريخ تحريرها : ديسمبر ١١٢٦م/ذو الحجة ٥٢١هـ .

Rohricht, Regesta no. 119, pp. 29-30.

ريموند بواتييه : وثيقة نصها : يؤكد ريموند بواتييه أمير انطاكية وزوجته الاميرة كونستانس للجنوية المنح التى قدمها لهمفى أوقات سابقة كل من بوهيمند الاول وتنكريد وبوهيمند الثانى ، تاريخ تحريرها : ١١٤٤م/٥٣٩هـ .

Rohricht, Regesta, no. 288, p. 57.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث أمير انطاكية للجنوية كل الامتيازات التى يتمتعون بها فى انطاكية فى الوقت الحالى ويعدهم بسرعة البت فى قضاياهم التى ينظر فيها فى محاكمه الخاصة ، تاريخ تحريرها ١١٦٩م/ ٥٦٥هـ .

Rohricht, Regesta, no. 471, p. 124.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الثالث امير انطاكية للجنوية محاكم خاصة بهم فى مدن انطاكية واللاذقية وجبيل ، تاريخ تحريرها : ابريل ١١٨٩م/ربيع أول ٥٨٥هـ .

Rohricht, Regesta, no. 695, pp. 181-182.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الثالث أمير انطاكية الجنوية حرية التجارة دون أية ضرائب ، تاريخ تحريرها : سبتمبر ١١٩٠م/شعبان ٥٨٦هـ .

Rohricht, Regesta, no. 695, p. 185.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث امير انطاكية للجنوية حقهم فى انشاء محاكمهم الخاصة بهم فى مدينة انطاكية وميناء اللاذقية ، تاريخ تحريرها : ابريل ١١٩٩م/ جماد ثان ٥٩٥هـ .

Rohricht, Regesta, no. 753, p. 200.

بوهيمند الرابع : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الرابع امير انطاكية وكونت طرابلس للسيد هنرى المالطى والجنوية حق البيع ومحكمة فى مدينة طرابلس فى مقابل ثلاثة آلاف بيزنط ، وامدادهم له بسفنتين حربيتين وثلاثمائة مقاتل ، تاريخ تحريرها : يوليو ١٢٠٥م/محرم ٦٠٢هـ .
Rohricht, Regesta, no. 807, p.p. 215-216.

ريموند روبين : وثيقة نصها : يمنح ريموند روبين امير انطاكية الجنوية الحرية والامن فى مدينة انطاكية ، تاريخ تحريرها : فبراير ١٢١٦م/ذو القعدة ٦١٢هـ .
Rohricht, Regesta, no. 885, p. 238.

٣ ـ البيزاوية

تنكريد : وثيقة نصها : يمنح تنكريد امير انطاكية للبيزاوية حيا من احياء انطاكية وآخر فى اللاذقية ، تاريخ تحريرها : ١١٠٨م/٥٠١هـ .
Rohricht, Regesta, no. 53, p. 11

ريموند بواتييه : وثيقة نصها : يمنح ريموند بواتييه أمير انطاكية وزوجته الاميرة كونستانس للبيزاوية قطعا من الاراضى فى مدينة انطاكية وميناء اللاذقية ، تاريخ تحريرها : ١١٥٤م/ ٥٤٩هـ .
Rohricht, Regsta, no. 292, p. 74.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الثالث امير انطاكية للبيزاوية كل الامتيازات التى يتمتعون بها فى مدينة انطاكية ومجاوراتها ، تاريخ تحريرها : يناير ١١٩٤م/ربيع أول ٥٩٠هـ .
Rohricht, Regesta, no. 478, pp. 125-126.

بوهيمند الثالث : وثيقة نصها : يمنح بوهيمند الثالث أمير انطاكية للقومون البيزاوى فى عكا ثلث عائد ميناء طرابلس واعفاء من الضرائب فى مقابل خمسمائة بيزنط ، تاريخ تحريرها يناير ١١٩٤م/ربيع أول ٥٩٠هـ .
Rohricht, Regsta, no. 718, p. 192

بوهيمند الرابع : وثيقة نصها : يعقد بوهيمنـــد الرابع كونت طرابلس
اتفاق السلام مع البيزاوية مقابل تسعة آلاف بيزنط ، مع
التعهد بعدم اعتقـــال البيزاوية الموجودين فى طرابلس
المسئولين عن الاضرار التى الحقها بنو وطنهم بالمدينة ،
تاريخ تحريرها : ٢٦ اغسطس ١١٩٩م/٢ ذى القعدة ٥٩٥.

Rohricht, Regsta, no. 769, p. 205.

بوهيمند الرابع : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الرابع امير انطاكية وكونت
طرابلس للبيزاوية كل الامتيازات التى منحتهم اياها الاميرة كونستانس ،
ويمنحهم أيضا اعفاء من نصف قيمة الرسوم الجمركيـة
المقررة على السلع فى مدينة انطاكية ، تاريخ تحريرها :
١٢٠٠م/٥٩٦هـ .

Rohricht, Regsta, no. 769, p. 205.

ريموند روبين : وثيقة نصها : يؤكد ريموند روبين أمير انطاكية للبيزاوية
كل المنح التى قدمها اليهم كل من بوهيمنـــد الثـــالث
وكونستانس ، تاريخ تحريرها : ابريل ١٢١٦م/محـرم
٦١٣هـ .

Rohricht, Regsta, no. 886, pp. 238-239.

بوهيمند الخامس : وثيقة نصها : يؤكد بوهيمند الخامس أمير انطاكية
وكونت طرابلس للبيزاوية المنح التى قدمها اليهم من قبل
ريموند الثالث كونت طرابلس وبوهيمند الرابع ، تاريخ
تحريرها : مارس ١٢٣٣م/جماد أول ٦٣٠هـ .

Rohricht, Regsta, no. 1041-1042, pp. 272.

الملحق الخـــامس

قائمة باسماء امراء انطاكية

والاوصياء عليها من ملوك بيت المقدس وتواريخ حكمهم بالتقومين الميلادى والهجـــرى ابان الفترة الزمنية موضـــوع البحث .

١ — بوهيمند الاول	(١٠٩٨ — ١١٠٠م/٤٩٢ — ٤٩٤هـ)
٢ — تنكريد (وصى)	(١١٠٠ — ١١٠٣م/٤٩٤ — ٤٩٧هـ)
٣ — بوهيمند الاول	(١١٠٣ — ١١٠٤م/٤٩٧ — ٤٩٨هـ)
٤ — تنـــكريد	(١١٠٤ — ١١١٢م/٤٩٨ — ٥٠٦هـ)
٥ — روجر دى سالرنو	(١١١٢ — ١١١٩م/٥٠٦ — ٥١٢هـ)
٦ — الملك بولدوين الثانى (وصى)	(١١١٩ — ١١٢٦م/٥١٣ — ٥٢٠هـ)
٧ — بوهيمند الثانى	(١١٢٦ — ١١٣٠م/٥٢٠ — ٥٢٥هـ)
٨ — الملك بولدوين الثانى(وصى)	(١١٣٠ — ١١٣١م/٥٢٥ — ٥٢٦هـ)
٩ — الملك فولك الانجوى(وصى)	(١١٣١ — ١١٣٦م/٥٢٦ — ٥٣١هـ)
١٠ — ريموند بواتييه	(١١٣٦ — ١١٤٩م/٥٣١ — ٥٤٤هـ)
١١ — الملك بولدوين الثالث (وصى)	(١١٤٩ — ١١٥٣م/٥٤٤ — ٥٤٨هـ)
١٢ — رينودى شاتيون	(١١٥٣ — ١١٦٠م/٥٤٨ — ٥٥٥هـ)
١٢ — الملك بولدوين الثالث (وصى)	(١١٦٠ — ١١٦٢م/٥٥٥ — ٥٥٨هـ)
١٤ — الملك عمورى الاول (وصى)	(١١٦٢ — ١١٦٣م/٥٥٧ — ٥٥٨هـ)
١٥ — بوهيمند الثالث	(١١٦٣ — ١٢٠١/٥٥٨ — ٥٩٧هـ)
١٦ — بوهيمند الرابع + كونتية طرابلس	(١٢٠١ — ١٢١٦م/٥٩٧ — ٦١٣هـ)
١٧ — ريموند روبين الارمينى	(١٢١٦ — ١٢١٩م/٦١٣ — ٦١٦هـ)
١٨ — بوهيمند الرابع + كونتية طرابلس	(١٢١٩ — ١٢٣٣م/٦١٦ — ٦٣٠هـ)
١٩ — بوهيمند الخامس + كونتية طرابلس	(١٢٣٣ — ١٢٥١م/٦٣٠ — ٦٤٩هـ)
٢٠ — بوهيمند السادس + كونتية طرابلس	(١٢٥٢ — ١٢٦٨م/٦٤٩ — ٦٦٦هـ)

الملحق السـادس

قائمـة بأسماء بطاركة انطاكية

نقلا عن :

Bernard Hamilton, The Latin Chruch in the Crusader states, The Secular Church, London, 1980, pp. 373-375.

١ - بطاركة انطاكية اللاتين (الكاثوليك)

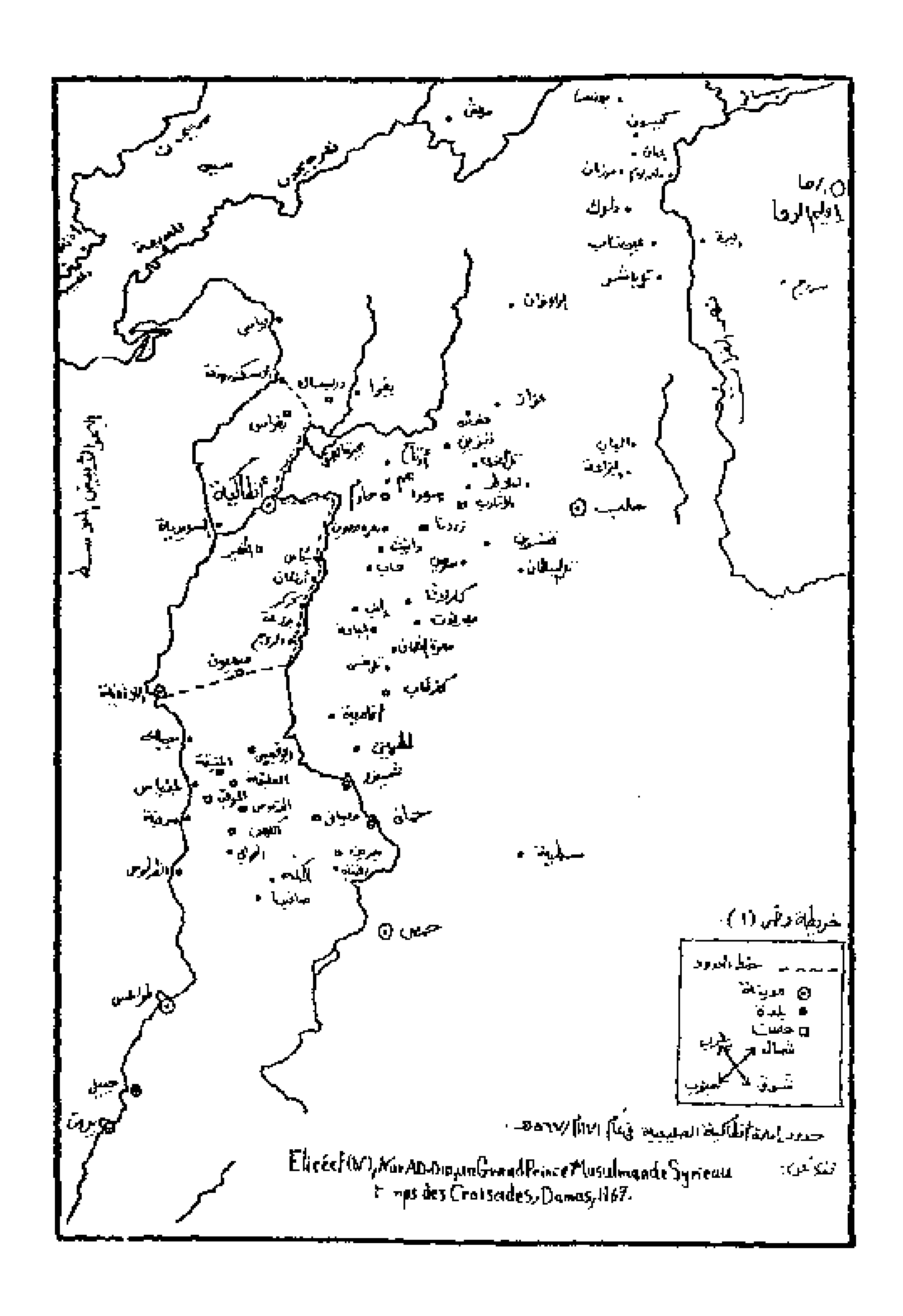
١ - برنارد أوف فالنس (١١٠٠ - ١١٣٥م)
٢ - رالف أوف دمفرنت (١١٣٥ - ١١٤٠م)
٣ - ايمرى أوف ليموج (١١٤٠ - ١١٩٣م)
٤ - رالف الثانى (١١٩٣ - ١١٩٦م)
٥ - بطرس الاول اوف انجوليم (١١٩٦ - ١٢٠٨م)
٦ - بطرس الثانى أوف افريا (١٢٠٩ - ١٢١٧م)
٧ - بطرس اوف كابوا (بطريرك منتخب) (١٢١٧ - ١٢١٩م)
٨ - رينييـه (١٢١٩ - ١٢٢٥م)
٩ - البرت أوف ريزاتو (١٢٢٧ - ١٢٤٦م)
١٠- اوبيزو دى فيتشى (١٢٤٧ - ١٢٩٢م)

٢ - بطاركة انطاكية اليونانيين (الارثوذكس)

١ - حنا الرابع (١٠٨٨/١٠٩١ - ١١٠٠م)
٢ - حنا الخامس (١١٠٦ - ١١٣٤م)
٣ - لوقـا (١١٣٧/١١٣٨ - ١١٥٦م)
٤ - سوتريكوس بانتيوجينوس (بطريرك منتخب) (١١٥٦ - ١١٥٧م)
٥ - اثناسيوس الثالث (١١٥٧ - ١١٧٠م)
٦ - سيريل الثانى (١١٧٣ - ١١٧٩م)
٧ - تيودور الرابع بالزامون (١١٨٩ - ١١٩٥م)
٨ - سمعان الثـانى (١٢٠٦ - ١٢٣٩م)
٩ - داود (١٢٤٥ - ١٢٥٨م)
١٠ - يوثيميوس الاول (١٢٥٨ - ١٢٧٤م)
١١ - ثيودوسيوس الخامس اوف فيلها ردوين (١٢٧٨ - ١٢٨٣/١٢٨٤م)
١٢ - ارسـنيوس (١٢٨٣/١٢٨٤ - ١٢٨٦م)
١٣ - سيريل الثالث (١٢٨٧ - ١٣٠٨م)

٣ ــ بطـاركة انطـاكية اليعـــاقبة

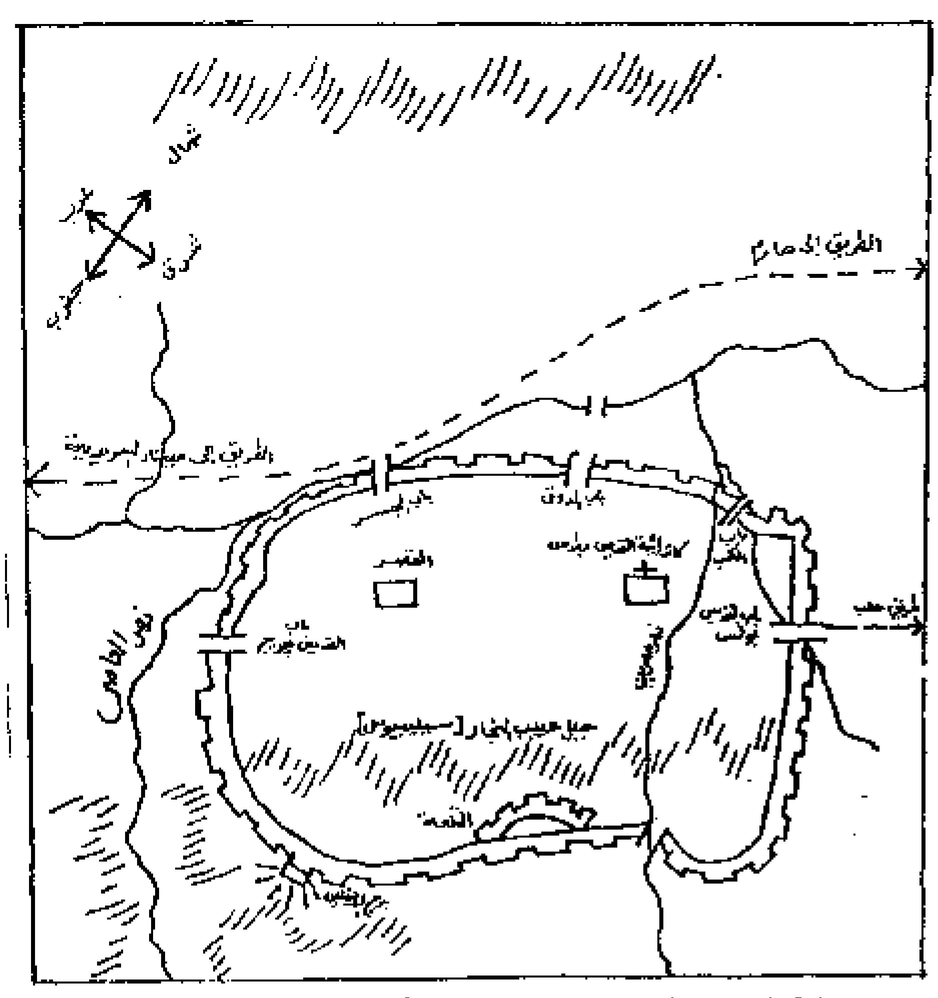
١ ــ اثناسيوس السابع	(١٠٩٠ ــ ١١٢٩م)
٢ ــ حنا الثانى عشر	(١١٣٠ ــ ١١٣٧م)
٣ ــ اثناسيوس الثامن	(١١٣٨ ــ ١١٦٦م)
٤ ــ ميخائيل الاول المريانى (المؤرخ)	(١١٦٦ ــ ١١٩٩م)
٥ ــ اثناسيوس التاسع	(١١٩٩ ــ ١٢٠٧م)
٦ ــ حنا الرابع عشر	(١٢٠٨ ــ ١٢٢٠م)
٧ ــ اجناتيوس الثانى	(١٢٢٢ ــ ١٢٥٢م)
٨ ــ ديونيسيوس السابع	(١٢٥٢ ــ ١٢٦١م)
٩ ــ حنا الخامس عشر	(١٢٥٢ ــ ١٢٦٣م)
١٠ــ اجناتيوس الثالث	(١٢٦٤ ــ ١٢٨٢م)
١١ــ اجناتيوس الرابع فيلوكسينوس	(١٢٨٣ ــ ١٢٩٢م)



حدود إمارة أنطاكية الصليبية في عام ١١٧١م/٥٦٧هـ.

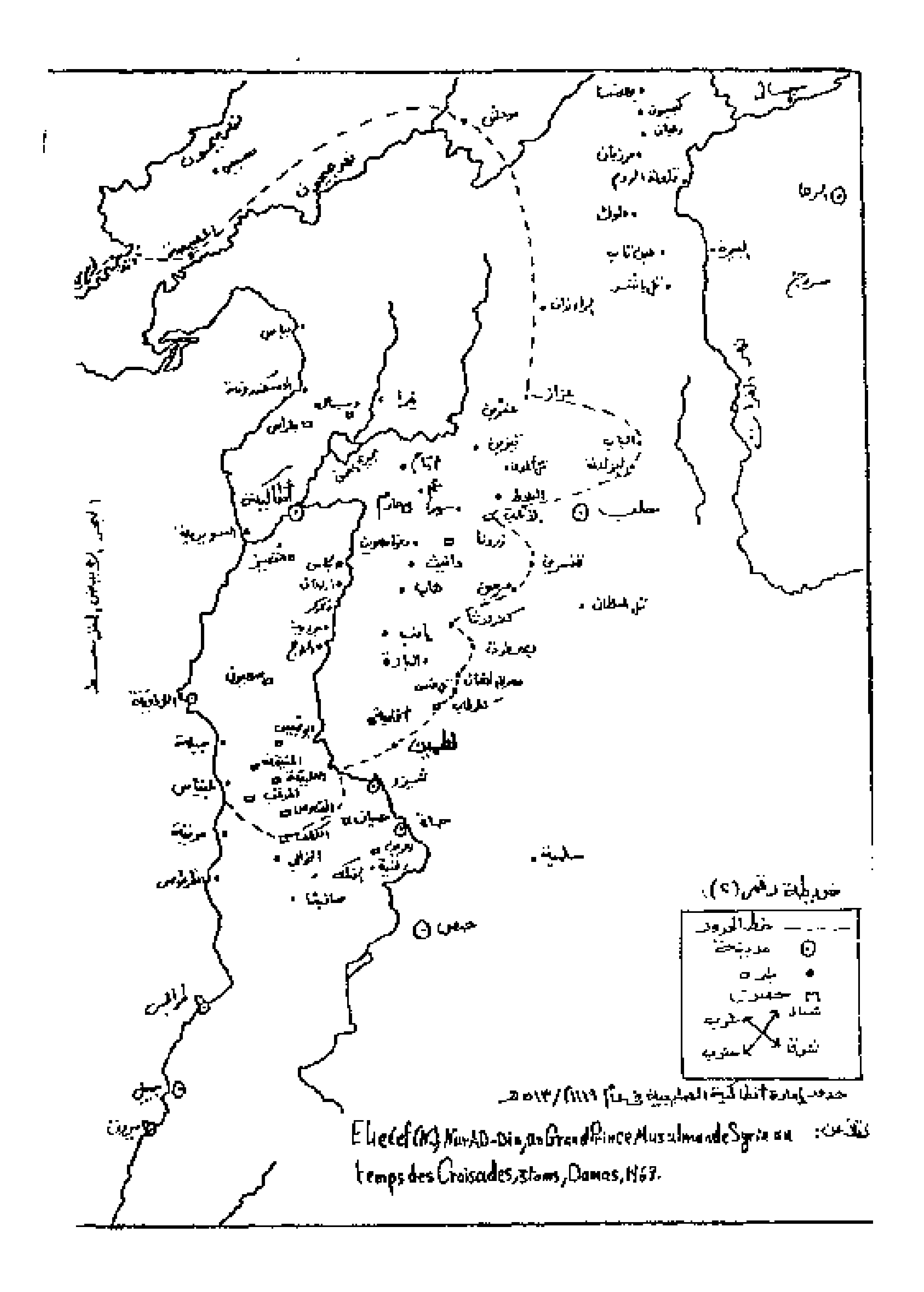
نقلا عن: Elicéef (N.), Nur AD-Din, un Grand Prince Musulman de Syrie au temps des Croisades, Damas, 1967.

رسم رقم (١)



رسم تخطيطي لمدينة أنطاكية في العصر الصليبي (١٠٩٨-١٢٦٨م/٤٩١-٦٦٦هـ).

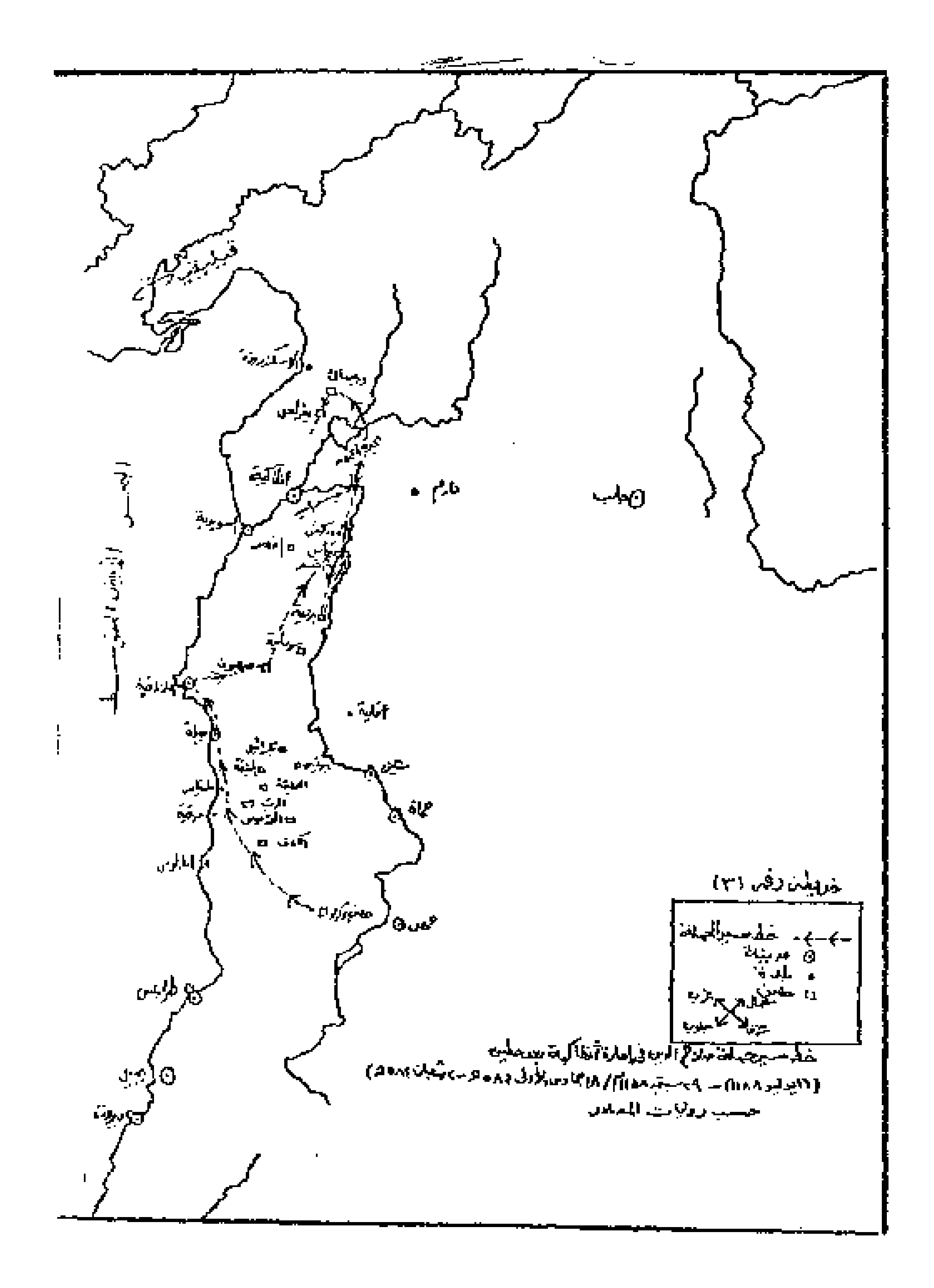
نقلاً عن: Oman (Ch.) A History of the Art of War in the Middle Ages, vol.1, p.285.

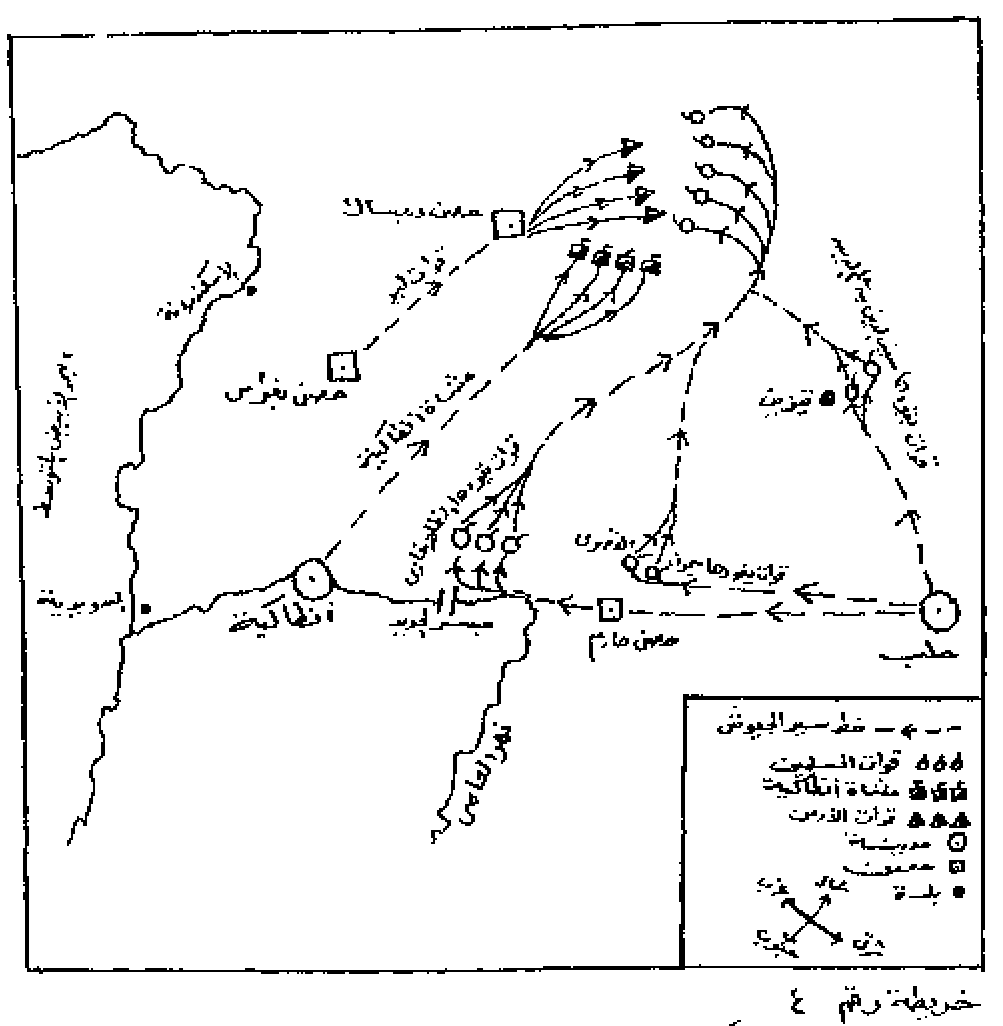


خريطة رقم (٢).

حدود إمارة أنطاكية الصليبية في عام ١١١٩م/٥١٣هـ

نقلاً عن: Elieeef (N.) Nur AD-Din, un Grand Prince Musulman de Syrie au temps des Croisades, 3 toms, Damas, 1967.


خريطة رقم (٣)
خط سير الحملة
مدينة
بلدة
حصن
حلب
حماة
حمص
طرابلس
خط سير حملة صلاح الدين في إمارة أنطاكية بعد حطين
حسب روايات المصادر



خريطة رقم ٤

تصدي قوات حلب وأنطاكية للأرمن للدفاع عن حصن دربساك.

أبريل ١٢٠٦م/شعبان ٦٠٢هـ.

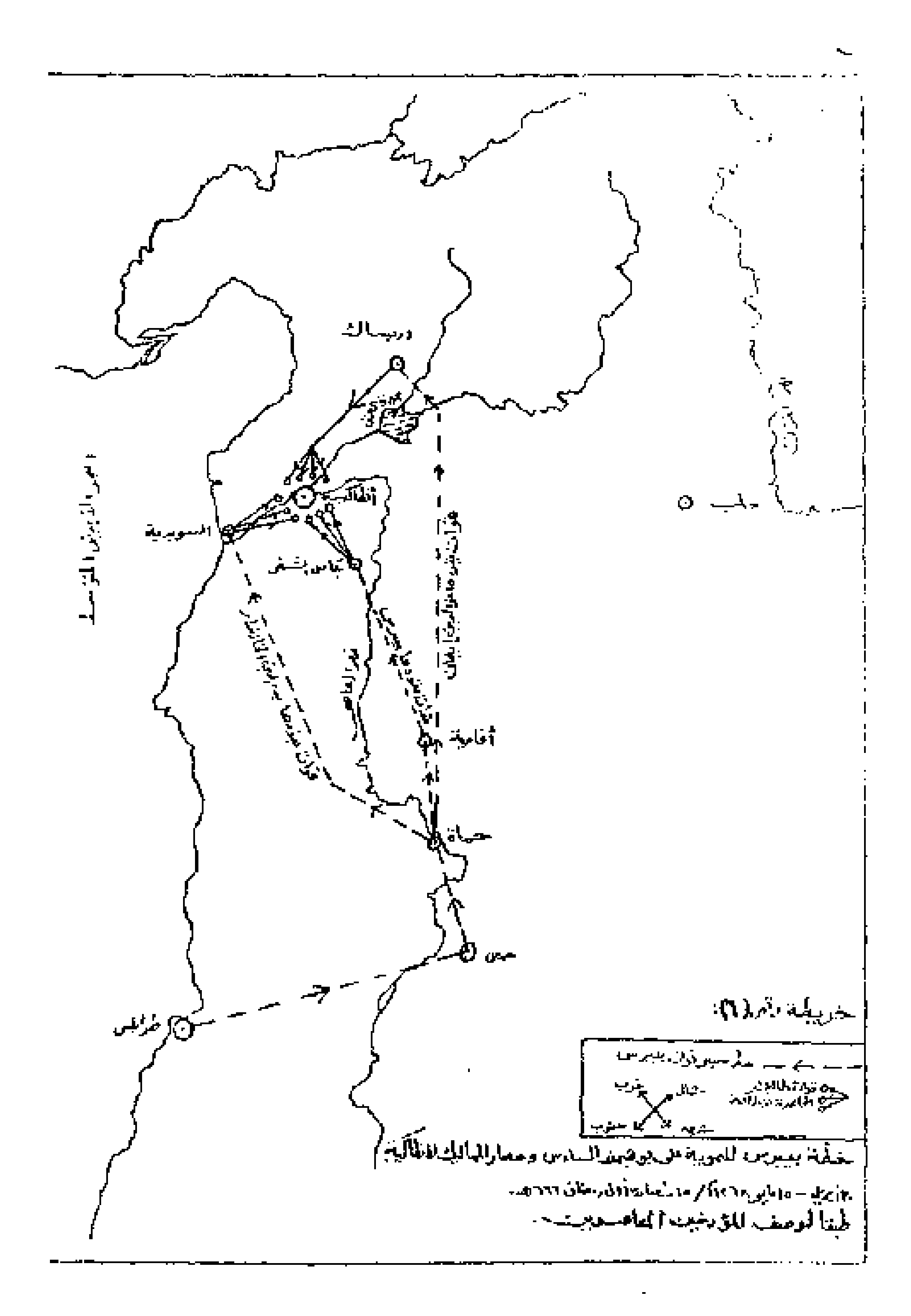
طبقاً لوصف المؤرخين المعاصرين.

خريطة رقم (٥)

هزيمة الداوية خارج دربساك ومقتل وليم مونتفيرات قائد الداوية بأنطاكية.

يونيه ١٢٣٧م/ ذو الحجة ٦٣٤هـ.

طبقاً لوصف المؤرخين المعاصرين.

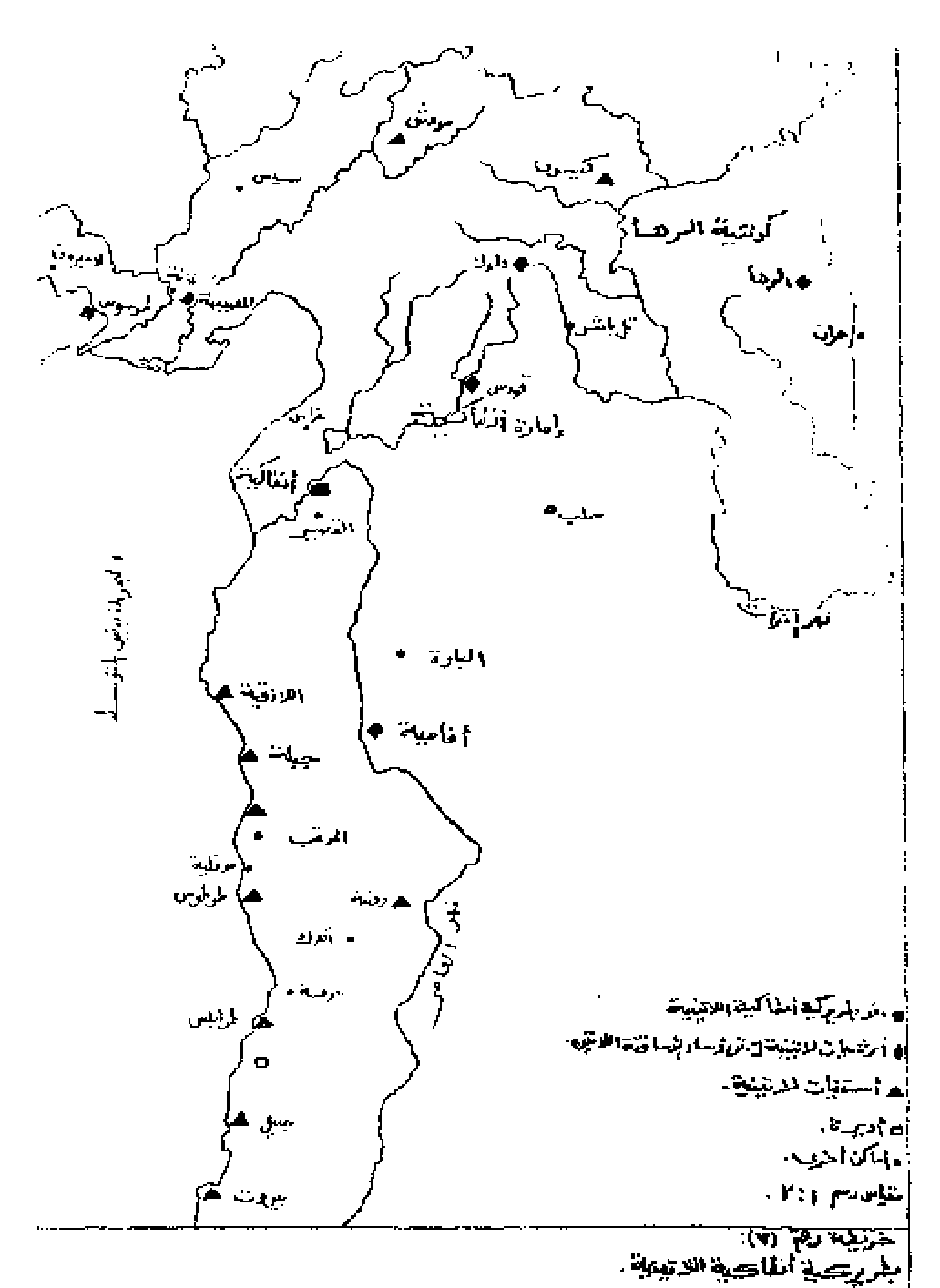


خريطة رقم (٦):

خطة بيبرس للهجوم على بوهيموند السادس وحصار المماليك لأنطاكية

١٠ إبريل – ١٥ مايو ١٢٦٨م / ٢٠ جمادى الأولى – رمضان ٦٦٦هـ

طبقا لوصف المؤرخين المعاصرين.



خريطة رقم (٧):
بطريركية أنطاكية اللاتينية.

نقلاً عن: Bernard Hamilton, The Latin Church in The Crusader States. The Secular Church, London, 1980, p.393.

ثبت المراجع

بيـــان بالمختصرات

١ ـ مجمـوعات الحـروب الصليبيـة

٢ ـ المخطوطات والمخطـوطات المصـورة

٣ ـ المصـادر الاصليـة الاوربيـة

٤ ـ المصـادر الاصليـة العربيـة

٥ ـ المراجـع الثـانوية الاوربيـة

٦ ـ المراجـع الثـانوية العربيـة

بيــان بالمختصرات

A.B. — Analecta Bolandiana.
A.O.L. — Les Archives de L'Orient Latin
A.H.R. — American Historical Review
Ann.T.S. — Annales de Terre Sainte.
A.R.A.H.A. — Annual Reports of The American Historical Association.
B. — Byzantion.
B.E.O. — Bulletin des Etudes Orientale.
B.F.L.S. — Bulletin de La Faculté des Lettres de Strasbourg
B.I.H.R. — Bulletin of the Institute of Historical Research.
B.J.R.L. — Bulletin of John Rynalds Library.
B.S.O.A.S. — Bulletin of School of Oriental and African Studies.
B.P.I.A.S.A. — Bulletin of the Polish institute of Arts and Science in America.
C.A.J. — Central Asian Journal.
C.E.H. — Cambridge Economic History.
C.H.J. — Cambridge Historical Journal.
C.H.R. — The Catholic Historical Review.
Chron.Anon.Syr. — Anonymous Syriac Chronicle.
C.S.H.B. — Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae.
D.O.P. — Dumbarton Oaks Papers.
D.H.G.E. — Dictionnaire d'Histoire et de Gégraphie ecclésiastiques.
D.T.C. — Dictionnaire de Theologie Catholique.
E.C.R. — Eastern Church Review.
E.H.R. — English Historical Review.
G.D.F. — Bongars, Gesta Dei Per Francos.
H.J.A.S. — Harvard Journal of Asiatic Studies.
I.C. — Islamic Cultur.
J.A. — Journal Asiatique.
J.A.H. — Journal of Asian History.
J.A.O.S. — Journal of the American Oriental Society.
J.E.H. — The Journal of Ecclesiastical History.
J.E.S.H.O. — Journal of Economic and Social History of the Orient.
J.J.S. — Journal of Jewish Studies.
J.M.S. — Journal of Medival Studies.
J.R.A.S. — Journal of Royal Asiatic Society.

J.S.	—	Journal des Sauvants.
J.S.S.	·	Journal of Semetic Studies.
M.G.H.SS.	—	Monumenta Germaniae Historica, Soriptores.
M.H.	—	Mediaeval History.
M.S.	—	Mediaeval Studils.
P.E.F.	—	Palestine Exploration fund.
P.G.	—	J.P. Migne, ed, Patrologia Graeca.
P.L.	–	J.P. Migne, ed, Patrologia Latina.
P.O.	–	Patrologia Orientale.
P.P.T.S.	—	Palestine Pilgrims Texte Society.
Q.J.E.	—	Quarterly Journal of Economics.
R.H.	—	Revue Historique.
R.H.C.Doc.Arm.	—	Recueil des Historiens des Croisades, Documents Armeniens.
R.H.C.6Lois	—	Recueil des Historiens des Croisades, Les Assises de Jérusalem.
R.H.C.-H.Occ.	–	Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.
R.H.E.	—	Revue d'Histoire Ecclesiastique.
R.O.C.	–	Revue de L'Orient Chrétien.
R.O.L.	—	Revue de L'Orient Latin.
R.S.	—	Rolls Series.
S.C.H.	—	Studies in Church History.
S.G.	—	Studia Gratiana.
S.E.	—	Sacris Erudiri.
S.I.	–	Studia Islamica.
S.M.	—	Studia Medivalia.
S.V.	—	Studi Venziani.
T.R.H.S.	—	Transaction of the Royal Historical Society.

١ ـ مجموعات الحــروب الصليبيـة

— Bongars, J. (ed.), Gesta Dei Per Francos, rive Orientalium a Peditionum et regni Francorum Hierusalimitani historia (ab a. 1095 ad 1220) avoriis sed illius aevi scriptoribus. litteris. 2 t. Hanover. 1612.

— Bouquet t. M. (ed.), Recueil des Historiens des Gaules et de la France, 24 Vols. Paris. 1738-1904.

— Recueil des Historiens de Croisades-Document Arméniens. 2 tomes, Paris. 1869-1906.

— Recueil des Historiens des Croisades-Historiens Occidentaux, 5 tomes, Paris, 1844-1895.

— Recueil des Historiens des Croisades-Louis, 2 tomes, Paris, 1841-1843.

— Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, 160 Vols, Bonne, 1828-97.

— Les Archives de L'Orient Latin, Publiée Par La Société de L'Orient Latin, 2 Vols, Paris, 1881 et 1887, Textes, inventaires, et études Originales.

— Palestine Pilgrims Texts Society, 13 Vols. and general Index. London, 1887-1897.

— Revue de L'Orient Latin. Publiée Sous La direction de MM. Le Marquis de Vogué et Ch. Schefer, Paris, 1893-1911.

— Revue de L'Orient Chrétien, dirigée Par R. Graffin et F. Nau. Paris, 1906-1924.

٢ ـ المخطوطات والمخطوطات المصورة(١) والميكروفيلم

ابن الجوزى (سبط) (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف ابن قزاؤغلى :

« مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » ـ ج ٨ ـ مكتبة بلدية الاسكندرية ـ رقم ١٧٨ ب .

ابن الفرات (ت ٩٠٧هـ/١٥٠١ ـ ٢م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على :

« تاريخ الدول والملوك » ـ ١٨ مجلدا ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٣١٩٧ تاريخ ـ « تصوير شمسى » .

ابن منكلى (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦ ـ ٧م) محمد بن منكلى :

« كتاب الاحكام المملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر » ـ مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ـ رقم ٩م « تصوير شمسى » .

أبو المحاسن (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى :

« المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ـ ٣ ج ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٣٥٥ تاريخ .

بدر الدين الدمشقى (عاش فى القرن الثانى عشر م/القرن السادس هـ) بدر الدين الدمشقى :

« الدر الثمين فى سيرة نور الدين » مكتبة بلدية الاسكندرية ـ رقم ١٣٣٦ .

---

(١) أشرنا للمخطوط بـ (ورقة) والى المصور بـ (لوحة)

بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) الامـــير ركن الدين بيـــبرس المنصـورى :

« زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة النبوية » ـ ج ٩ ـ ويبدأ بأحداث عــام ٥٥٩هـ ، وينتهى بأحداث عــام ٧٤١ هـ ، ويقع فى ٢٥٣ صفحة ـ مكتبة البودليان باكسفورد رقم٣٢٤ ـ ميكروفيلم .

شافع بن على (ت ٧٣٠هـ/١٢٣٠م) ناصر الدين شافع بن على بن عباس ابن اسماعيل بن عساكر الكنانى المصرى :

١ ـ « حســن المنــاقب السرية المنتزعة من الســيرة الظاهرية » ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٢٢٢٤ ـ تاريخ .

٢ ـ « الفضل المنثور فى سيرة الملك المنصور » ـ مكتبـــة البودليان باكسفورد ـ رقم ٤٢٤ ـ ميكرو فيلم .

الصفدى (عاش فى القرن الثامن الهجرى/القرن الرابع عشر الميلادى)

« تاريخ مصر » مكتبة المتحف البريطانى ـ رقم ٥٥١٢ ـ « ميكرو فيلم » .

الاصفهانى (ت ١٢٠١/٥٩٧م) عماد الدين محمد بن حامد :

« البرق الشامى » ـ ٣ ج ـ مكتبة البودليان باكسفورد ـ تصوير شمسى .

العسقلانى (ب ٨٧٦هـ/١٤٧١م) أبو البركات عز الدين احمد ابن ابراهيم بن نصرة الله الكنانى العسقلانى المصرى :

« شفاء القلوب فى منــاقب بنى ايوب » مكتبـة المتحف البريطانى ـ رقم ٥٤٤٩ ـ « ميكرو فيلم » .

العمـــرى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) ابن فضل الله :

« مسالك الابصار فى ممالك الامصار » ـ ج ٢٧ فى ٤ اقسام ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٥٦٠ ـ معــــارف عامة ـ « تصوير شمسى » .

العينى (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) بدر الدين ابو محمد محمود بن أحمد بن موسى :

« عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » - ٢٣ ج - دار الكتب المصرية ، رقم ٨٢٠٣ح .

الكتبى (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن أحمد عبد عبد الرحمن فخر الدين :

« عيون التواريخ » - ١٦ مجلد ا يهمنا منها مجلد مكتوب عليه أنه الجزء العشرون ، ويبدأ من ٦٤٥هـ وينتهى الى ٦٧٠هـ - دار الكتب المصرية رقم ١٩٤٧ تاريخ - « تصوير شمسى » .

النعيمى (عاش فى القرن ١٠م/١٦هـ) .

« ارجوزة فى الخلفاء والسلاطين امراء المؤمنين » - مكتبة المتحف البريطانى - رقم ٥٨٢٣ - « ميكرو فيلم » .

النويرى الكندى (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ابن محمد :

« نهاية الارب فى فنون الأدب » - ٥٥ مجلدا - دار الكتب المصرية - رقم ٥٤٩ معارف عامة - « تصوير شمسى » .

٣ ـ المصادر الاصلية الاوربية

— Aegido Aureavallensis, Gesta Episcoporum Leodiensium, in M.G.H.SS., Vol. XV.

— Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana, in R.H.C.-H.Occ., Vol. IV.

— Albéric des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H.S., Vol. XXIII,

— Amadi, Chroniques d'Cypre d'Amadi et de Strambaldi, ed., R. de Mas Latrie, 2 Tomes Paris, 1891-1893.

— Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, Trans from the Old French by Merton Jerome Hubert, with notes and documentation by J.L. La Monte, New-York, 1941.

— Andrew Marchianensis, Historia Regum Francorum, in M.G.H.SS., Vol. XXVI.

— Annales Colonienses, in M.G.H.SS., Vol. XVII.

— Annales de Burton, ed. H.R. Laurd, in Annales Monastici, I (R.S. 36), London, 1864.

— Annales Danstaplia, in M.G.H.SS., Vol. XVII.

— Annales Marbacenses, in M.G.H.SS., Vol. XVII.

— Annales Placentini, in M.G.H.SS., Vol. XVIII.

— Annales Stadenses, in M.G.H.SS., Vol. XII.

— Annales Weverley, in M.G.H.SS., Vol. XVII.

— Anne Commen, The Alexiad, English trans; by Elezabeth Dawes, London, 1928.

— Anonymi Gesta Francorum Hierosolimitanorum (ed. by Rosalind Hill, as The Deeds of The Francs and The other Pilgrims to Jerusalem), London, 1962.

— Anonymous Syriac Chronicle (ed. by A.S. Tritton) in J.R. A.S. London, 1933.

— Ansbert, Expeditio Friderici, in Quellen sur Geschichte des Kreuzzuges Kaiser Friedrichs I, ed. A. Chroust, in M.G.H., Berlin, 1892.

— Anselm of Ribemont, Letter of Anselm to Manases Archbishop of Reims, in Hagenmeyer (H.), Die Kreuzzugsbriefe, Heidelberg, 1901, pp. 156-160.

-- Arnold of Lubock, Chronica Slavorum, in M.G.H.SS., in Usum Scholarum, Hanover, 1868.

— Bar Hebraeus, The Chronography, ed. and trans. by E.A. Wallis Budge, 2 Vols; Oxford, 1932.

— Benedict of Peterbrough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed. W. Stubbs, 2 Vols, in R.S., London, 1867.

— Beshada (Gregory), Chanson d'Antioche en Provençal, French trans by P. Meyer, in A.O.L., Vol. I.

— Bohemond VI (Prince of Antioch), Letter of Bohemond VI Prince of Antioch to Henry III King of England (14 May, 1255), in Annales de Burton, pp. 369-371.

— Boso, Life of Alexander III ,Trans. by G.M. Ellis, Oxford, 1973.

— Burchard of Mount Sion, Description of the Holy Land, English trans, by M.A. Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. XII, London, 1896

— Caffaro de Cashifelone, De Liberatione Civitatum Orientis Liber, in R.H.C.-H.Occ., Vol. V.

— Annales Januensis, in M.G.H.SS., Vol. XVIII.

— Chang Te (Si Shiki), Record of an Embassy to the regions in the West, trans. by E. Bretschnider, in Meicaval Researches, Vol. I, London 1888.

— Cartulaire de St. Lazzare, ed. De Masy, in A.O.L., t, 2.

— Charles D'Anjou, Lettre des Chrétiens de Terre Saint à Charles d'Anjou (22 April, 1260), ed. Delaborde, in R.O.L. Vol. 2, Paris, 1894.

— Chronica de Mailros, ed. A and M. Anderson; London, 1936.

— Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H.SS., in Usum Scolarum, Hanover, 1880.

— Cinamus (John), Epitome Historiarum, in C.S.H.B., Bonn, 1836.

— Deeds of John and Manuel Comnenus, trans by Charles M. Brand, New York, 1976.

— Continuation de Guilliaum de Tyre, ed. M.R. Morgan, (in Documents Relatifs a L'Histoire des Croisades), Paris, 1982.

— De Expognatione Terrae Sanctae Per Saladinum Libellus, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1871.

— De Vitry (Jaques), History of Jerusalem, English trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. IX, London, 1897.

— Lettres de Jacques de Vitry (1160 : 70-1240), évêque de Saint-Jean d'Acre, ed. R.B.C. Huygens, Leiden, 1960.

— Ekkhard of Aura, Hierosolymita, in R.H.C.-H.Occ., Vol. V.

— Epistolae de Morte Friderici Imperatoris, in Quellen Geschichte des Kreuzzuges Kaiser Friderici I, ed. A. Chroust, in M.G.H., Berlin, 1892.

— Eracles, L' Estoire d'Eracles, empereur et la conqueste de La Terre d'Outremer, in R.H.C.-H.Occ, Vol. 1, 11.

— Fulcher of Chartres, Gesta Francorum Iherusalem (ed. by Frances Rita Rayan as A History of the Expedition to Jerusalem), Tennessee, 1969.

— Gerold, (Patriarch of Jerusalem), Letter of Gerold to Pope Gregory IX (18 Feb. 1229), in Historia Diplomatica Friderici Secundi, Vol. 3, pp. 86-90.

— Gesta Regis Recardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1967.

— Gregory IV D'gha (Catholicus), Elegy on the Fall of Jerusalem, in R.H.C-Doc. Arm., Vol. 1.

— Gregory The Priest, Continuation of Matthew of Edessa's Chronicle, in R.H.C.Doc. Arm. Vol. 1.

— Gregory IX, Pope, Les Registres. ed. L. Auvray (Bibliothéque des Ecoles françaises d'Athénes et de Rome, sér. 2, 3 Vols. Paris, 1896-1955.

— Grigor of Akanc, History of the Nation of the Archers (The Mongols), ed. and trans. by R.P. Blake and R.N. Frye, in H.J.A.S., Vol. 12, 1949.

— Hayton, La Flor de Estoire de La Terre d'Orient, in R.H. C.-Doc. Arm., Vol. 2.

— Table Chronologique, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

— Hermann of Salza (Master of the Theutonic Order), Letter of Hermann of Salza to Pope Grigory IX (21 Mar. 1229), in Historia Diplomatica Friderici Secundi, Vol. 3, pp. 90-93.

— Héthoum II le Roi, Poéme, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

— Historia Diplomatica Friderici Secundi, (ed. J.L.A. Huillard-Breholles), 7 Vols, Paris, 1851-1862.

— Histoire des Patriarches d'Alexandrie, Extraites ed. Blochet. in R.O.L., Vol. XI, Paris, 1908.

— Honorius III, Pope, Regesta Honorii Papae III, ed. P. Pressutti, 2 Vols. Rome, 1888-95.

— Hulegu. An Unknon Letter of Hulegu, IL-Khan of Persia to King Louis IX of France, ed. Paul Meyvaert, in Viator, Vol. 11, 1980, pp. 245-261 (The Letter pp. 252-259).

— Innocent IV, Pope. Registres, ed. Berger, (Bibliothéque des Ecoles Françaises d'Athénes et de Rome, sér. 2) 4 Vols., Paris 1884-1921.

— Innocent III, Pope, Regesta, in P.L. Vol. 214-217.

— Itinerarium Peregrinorum et gesta regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1865.

— Joannes Phocas, Comperdiaria Descriptic Castrorum et Urbium ab Urbe Antiochio Usque Hierosolymam nec non Sacrorum Locorum Syriae, Phoeniciae, et in Palaestina. in P.G., Vol. 133.

— John of Pian De Carpine, The Journey of Frair John of Pain De Carpine as narrated by Himself, ed. and trans. by W.W. Rockhill. Hakluyt Society, Ser. 2, Vol. 4, London, 1900.

— Joinville (Jean de), Chronicle of the Crusade of St. Lewis, ed. and trans, By Frank Marzials, London 1965.

— Juvaini (Ala-adin Ata Malik), The History of the world Conquerors, trans. by J.A. Boyle, 2 Vols, Manchester, 1958.

— Kirakos de Ganjak, Histoire d'Arménie (Extrait) ed. M. Dulaurier, in J.A., Vol. LXI, 1858.

— Histore d'Arménie, in R.H.C.-Doc. Arm. Vol. 1.

— Le Raulx (D.), ed., Inventaire de Piéces de L'ordre L'Hopital, in R.O.L., Vol. 3, Paris, 1895.

— ed., Cartulair général de L'ordre des Hospitliers de St. jean de Jerusalem (1100-1310), 4 Vols, Paris, 189-19066.

— Les Gestes des Chiprois, in R.H.C.-Doc. Arm.

— Magnus Presbyterus, Chronica, in M.G.H.SS., Vol. XVII.

— Magnus Rotulus Pipae de Anno Vicesimo Quinto Regis Henrici Secundi (1178-1179), in Pipe Rolls Collection, Vol. 28, London, 1906.

— Makhaeras, Recetal Concerning the Sweet Land of Cyprus, entitled Chronicle (ed. and trans. by Dawkins), 2 Vols, Oxford, 1932.

— Marino Sanudo-Sanuto, Liber Secretorum fidelium Crucis, ed. J; Bongars, in G.D.F., Vol. 2.

— Marko Polo, The Description of the world, ed. A.C. Moule and Paul Pelliot, London, 1938.

— Matthew of Edessa, Chronicle, in R.H.C.-Doc. Arm. Vol. 1.

— Matthew Paris, Chronica Majora, ed H.R. Laurd, in R.S., 7 Vols, London, 1872-1882.

— Michel Les Syrien, Chronique, ed. en Français, Par J.B. Chabot, 4 tomes, Paris, 1899-1924.

— Mousket, Historia rerum Francorum, in R.H.G.F., Vol. XXII.

— Neophytus, de Calamitatibus Cypri, (in Preface to Itinerarium Regis Recardi) in R.S., London, 1871.

— Nersses Shnorhali (Catholicus), Elegie Sur la Prise D'Edesse, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

— Nicetas Coniates, Historia, in C.S.H.B., Bonn, 1836.

— Odo of Deuil, De Profectione Ludovici VII in Orientem trans by V.G. Berry, New York, 1948.

— Oliver of Paderborn, Historia Damiatana, trans. by J. Gavigan as The Capture of Damietta, Phildelphia, 1948.

— Otto of Fresing. Chronicon Continuatio Sanblasiana, in M.G.H.SS., Vol. XX.

— Orderic Vitalis Historia Ecclesiastica, ed. and trans. by M. Chibnall, 6 Vols, Oxford, 1969-1978.

— Philip of Novara, Le Libre de forme de Plait, in R.H.C. Lois, Vol. 1.

— Potthast, C.A.S., ed. Regesta Pontificum Romanorum, 2 Vols., Berlin, 1873-1875.

— Radulph of Caen, Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expeditione Hierosolymitana, in R.H.C.-H.Occ., Vol. III.

— Radulph of Diceto, Opera Historica, ed. W. Stubbs, in R. S. 2, Vols., London, 1876.

— Raimond d'Agiles, Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem, in R.H.C.-H.Occ., Vol. III.

— Ralph Niger, Chronica Universali, in M.G.H.SS., Vol. XXVII.
— Chronica Anglica, in M.G.H.SS., Vol. XXVII.

— Richard of Devizes, De Rebus Gestis Ricardi Primi, 3 (in Chronicles, ed. Hollett, 4 Vols) in R.S., London 1885-1890.

— Rigord, Gesta Philippi II Augusti, in M.G.H.SS., Vol., XXVI.

— Robert d'Auxerre, Chronicon, in M.G.H.SS., Vol. XXVI.

— Robert of Clary, The Conquest of Constantinople, trans. by F.H. Mc Neel, New York, 1966.

— Roger of Hoveden, Chronica, 4 Vols, ed. W. Stubbs, in R.S. London, 1868-1871.

— Rohricht (R.), ed., Regesta Regni Hierosolymitani, 2 Vols; Innsbruck, 1893-1904.

— Rothelin, Continuation de Guilliaum de Tyr de 1229 à 1261, dite du manu'crit de Rothelin, in R.H.C. H.Occ. Vol. 2.

— Samuel D'Ani, Chronographie, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 11.

— Sempad Le Connétable, Chronique, in R.H.C.-DOc. Arm. Vol. 1.

— Sicard of Cremona, Chronicon, in M.G.H.SS., Vol. 31.

— Stephen of Blois, Letter of Stephen of Bllois, in Hagenmyer (H.), Die Kreuzzugsbriefe, Heidelberg, 1201, pp. 149-152.

— Tabulae Ordinis Theutonici, ed. Ernest Strehlke, Berlin, 1869.

— Tafel (G.L.) and Thomas (G.M.), Urkunden Zur alteren Handels und staatsgeschichte der Republik venedig, 3 Vols, Vienna, 1856-1857.

— Thomas Berard, Letter of Thomas Berard Master of the Temple to Amadeus Preceptor of the Temple in England, (4 Mar. 1260), in Annales de Burton, pp. 491-495.

— Thomas Agni, Letter of Thomas Agni the Papal Legate to all kings, Princes, archbishops, etc., (April 1260), in Menkonis chronicon, in M.G.H.SS., Vol. XXIII, pp. 547-549.

— Urban IV, Pope, Registres, ed. J; Guiraud, (Bibiothéque des Ecoles Fraçaises d'Athénes d et de Rome, ser. 4 Vols., Paris, 1901-1929.

— Vahram Rabuni, Chronique Rimée des Rois de La Petite Arménie, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

— Chronicle of the Armenian Kingdom in Cilicia, ed. and trans. by C.F. Neumann, in Translations ' from the Chinese and Armenian. London, 1831.

— Vahram d'Edesse, Chant Populaire sur la Captivite de Léon Fils du Roi Héthoum I, in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

— Vartan Le Grand, L'Histore Universsélle in R.H.C.-Doc. Arm., Vol. 1.

— Histoire Universselle (extrait), ed. M. Dularier, in J.A., Vol. 16, 1868.

— Villehardouin (Geofrey), The Chronicle of the Fourth Crusade, trans. by F. Marzials, London, 1908.

— Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Graz-Austria, 1965.

— Wibrand of Oldenberg, Itinerarium Terrae Sanctae, ed. J.M. Laurent, in Peregrinatores medii aeviquatuor, 2nd ed., Leipzig,1873.

— Walter The Chancellor, Bella Antiochena, in R.H.C.-H.Occ., Vol. V.

— William of Malmesbury, Gesta Regum Anglorum, 2 Vols, ed. W. Stubbs, in R.S., London 1889.

— William of Nangis, Vie de Saint Louis, in R.H.C.F., Vol. XX.

— William Rubruk, Itinerarium, trans. by W.W. Rockhill, Hakluyt Society, Ser. 2, Vol. 41, London, 1900.

— William of Tripoli, Tractatus de Status Saracenorum, ed. Hanz Prutz, in Kulturgeschichte der Kreuzzuge, Berlin, 1883.

— William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the sea, 2 Vols, trans. and annotated by Emily Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

٤ ـ المصــادر الاصلية العربية

ـ ابن ابى الفضائل (ت فى منتصف القرن ٨هـ/منتصف القــرن ١٠م) مفضـــل :

« النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ». نشره مع ترجمة فرنسية بلوشيه . انظر :

Moufazzal Ibn Abil-Fazail, Histoire des Sultans Mamlouks, Texte Arabe Publié et Traduit en Francais, Par E. Blochet, in P.O., toms. XII, VIX, Paris, 1911-1912.

ـ ابن الاثير الجــزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) أبو الحسن بن ابى الكرم الملقب عز الدين :

ـ « الكامل فى التاريخ » ـ ١٢ جـ ـ القاهرة (المطبعــة الازهرية) ١٣٠١هـ .

ـ « التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية بالموصل » ـ تحقيق عبد القادر طليمات ـ القاهرة ١٩٦٣ م .

ـ ابن ايبك الدوادار (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٣م) ابو بكر من عبد الله :
« الدرة الزكية فى اخبار الدولة التركية » ـ وهو الجــزء الثــــامن من « كنز الدر وجامع الغرر » ، تحقيق أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١م .

ـ ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله :
« تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » ـ جزءان ـ القاهرة ، ١٩٥٨م .

ـ ابن الجوزى (سبط) (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ابو المظفر شمس الدين :
« مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان » ـ جـ ٨ فى ٣ اقســام ـ حيدر آباد ـ ١٣٧٠هـ/١٩٥١م .

ـ ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) الحسن بن عمر :
« تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه » ـ الجزء الاول ، تحقيق : محمد محمد امين ، مراجعة د . سعيد عاشور ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٧٦م .

- ابن خرداذبة (ت فى حدود ٣٠٠هـ/٩٠٩م) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله :

« كتاب المسالك والممالك » - ليدن (مطبعة بريل) ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م .

- خواندمير (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م) غياث الدين بن همام الدين الحسينى:

« دستور الوزراء » - ترجمة وتعليق حربى أمين سليمان - القاهرة ، ١٩٨٠ .

- ابن الشحنة (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) محب الدين ابو الفضل محمد ابن الشحنة الحلبى : « الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب » - نشره الياس مركيس (مطبعة الآباء اليسوعيين) بيروت ١٩٠٩م .

- ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٨ - ١٢٣٩م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف رافع بن تميم :

« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » - تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٤م .

- ابن شداد (ت ٦٤٨هـ/١٢٨٥م) عز الدين محمد بن على :

« الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة » - ٣ ج - تحقيق يحيى عبادة - دمشق ١٩٧٨م .

- ابن الفقيه (ت أواخر القرن ٣هـ/أوائل القرن ١٠ م) ابو بكر أحمد بن محمد المهذانى :

« مختصر كتاب البلدان » - ليدن ، ١٣٠٢م .

- ابن ناصر (عاش فى القرن ٥هـ/القرن ١١م) صدر الدين ابو الحسن على :

« أخبار الدولة السلجوقية » - نشره محمد اقبال - لاهور ١٩٣٣م .

– الراوندى (تاريخ الوفاة غير معلوم) محمد بن على :
« راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية »
نقله من الفارسية ابراهيم أمين الشواربى وآخرون ، القاهرة
١٩٦٠م .

– رشيد الدين الهمذانى (ت ٧١٨هـ/١٣١٩م) رشيد الدين بن عماد
الدولة أبى الخير الملقب بالهمذانى :
« جامع التواريخ » – الجزء الاول ، المجلد الثانى ،
ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون ، القاهرة ١٩٦٠م .

– ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) محيى الدين :
– « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر » – تحقيق
عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦م .
– تشريف الايام والعصور فى سيرة الملك المنصور – تحقيق
مراد كامل ، القاهرة ١٩٦١م .

– ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون
الملطى :
« تاريخ مختصر الدول » – بيروت (المطبعة الكاثوليكية
للآباء اليسوعيين) ١٩٥٨م .

– ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبةالله
بن أبى جرادة :
« زبدة الحلب من تاريخ حلب » – ٣ جـ – تحقيق سامى
الدهان – دمشق – ١٩٥١م .

– ابن العميد (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) جرجس أبو عبد الله بن أبى اليسر
الملقب بالمكين :
« تاريخه » نشره كلود كاهن تحت عنوان « تاريخ
الايوبيين » انظر :
Cahen (Claud), La Chronique des Ayyoubides d'Al-Makin B. Al-Amid, in B.E.O., Vol. 15, 1955-57, pp. 109-184.

- ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) الحافظ بن عساكر :
« التاريخ الكبير » - ٦ أجزاء فى ثلاث مجلدات - دمشق (مطبعة الشام) ١٣٢٩ - ١٣٤٩م ٠

- ابن القلانسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد الدين بن على بن محمد :
« ذيل تاريخ دمشق » - بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨م ٠

- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر القرشى :
- « تفسير القرآن العظيم » - ٨ أجزاء ، القاهرة (مطبعة دار الشعب) ١٩٧١م ٠
- « البداية والنهاية » - ١٤ جزء فى ٧ مجلدات - بيروت ١٩٧٧م ٠

- ابن منقذ (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد :
« الاعتبار » - تحقيق فيليب حتى - برنستون ١٩٣٠م ٠

- ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م) محمد بن على بن يوسف بن جلب :
« أخبار مصر » جزءان - نشره هنرى ماسيه - القاهرة (مطبعة المعهد العلمى الفرنسى) ١٩١٩م ٠

- ابن نظيف (عاش فى القرن ٧هـ/القرن ١٣م) أبو الفضائل الحموى :
« التاريخ المنصورى » وهو تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان » ، تحقيق أبو العيد دودو ، دمشق ١٩٨١م ٠

- ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليم :
« مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب » - ٥ ج - ج ١ ، ٢ ، ٣ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٦٠م ، ج ٤ ، ٥ ، تحقيق الدكتور حسنين ربيع - القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ ، ٠

ـ ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر عمر بن محمد :
« تتمة المختصر فى أخبار البشر » ـ جزءان ـ تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، بيروت ١٩٧٠م .

ـ أبو شامة (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين :
ـ « كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية » ـ ٢ ج فى مجلد واحد ـ القاهرة (مطبعة وادى النيل) ١٢٨٧ ـ ١٢٨٨م .
ـ تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ـ نشره السيد عزت العطار ـ بيروت الطبعة الثانية) ١٩٧٤م .

ـ أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل :
« المختصر فى أخبار البشر » ـ ٤ ج ـ القاهرة (المطبعة الحسينية) ، ١٣٢٥هـ .

ـ أبو المحاسن (ت ٨٧٤/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى :
« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ـ ٩ ج ـ القاهرة (مطبعة دار الكتب المصرية) ١٣٤٨ ـ ١٣٦١هـ/ ١٩٢٩ ـ ١٩٤٢م .

ـ أبو اليمن العليمى (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م) عبد الرحمن بن محمد بن مغير الدين :
« الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ـ النجف (المطبعة الحيدرية) ١٩٦٨م .

ـ الاصطخرى (عاش فى القرن ٤هـ/القرن ١٠م) أبو اسحق ابراهيم بن محمد :
« مسالك الممالك » ـ طبعة ليدن ١٩٢٧م .

ـ البلاذرى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر :
« فتوح البلدان » ـ القاهرة ١٣١٩هـ/١٩٠١م .

ـ البندارى (ت فى النصف الاول من القرن ٧هـ/النصف الاول من القرن ١٣م) ، الفتح ابن على بن محمد الاصفهانى :
« تاريخ دولة آل سلجوق » ـ القاهرة ١٩٠٠م .

ـ السيوطى (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر :
ـ « حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة » جزءان ، تحقيق أحمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨م .

ـ الاصفهانى (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد :
« الفتح القسى فى الفتح القدسى » ـ تحقيق محمد محمود صبح ـ القاهرة ١٩٦٥م .

ـ صالح بن يحيى (تاريخ الوفاة غير معلوم) .
« تاريخ بيروت » ـ نشره الأب لويس شيخو ـ بيروت ١٩٢٧م .

ـ الطرطوسى (عاش فى القرن ٦هـ/١٢م) مرضى بن على :
«تبصرة الباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونشر أعلام الاعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الاعداء » ـ نشره مع ترجمة فرنسية كلود كاهن . انظر :
Cahen (Claud), Un Traité D'Armurerie Composé Pour Saladin in B.E.O., 1947-1948, pp. 103-163.

ـ القلقشندى (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله:
« صبح الاعشى فى صناعة الانشا » ـ ١٤ جـ ـ القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩٢٣م .

ـ القفطى (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٣م) جمال الدين بن يوسف :
« تاريخ الحكماء » ليبزج ١٩٠٣م ٠

ـ مؤرخ مجهول (عاش فى نهاية القرن ٦هـ/نهاية القرن ١٢م) :
« البستان الجامع لجمع تواريخ الزمان » ـ نشره مع ترجمة فرنسية كلود كاهن ٠ انظر :

Cahen (Claud), Un Chronique Syrien de VIe Siécle : «Le Bustan Al-Jami li-Jami. tawarih az-zaman», in B.E.O., Vol. VIII, 1938, pp. 113-158.

ـ المقدسى (عاش فى القرن ٤هـ/القرن ١٠م) شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالبشارى :
« أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » ـ ليدن (الطبعة الثانية) ١٩٠٣م ٠

ـ المقريزى (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) تقى الدين أبو العباس أحمد :
١ ـ « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » ـ ٢ ج ـ بولاق ١٢٧٠هـ ٠
٢ ـ « السلوك لمعرفة دول الملوك » ـ الجزء الاول فى ثلاثة اقسام ـ نشره محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة ١٩٣٤م ـ ١٩٤٢م ٠
٣ ـ « اغاثة الامة بكشف الغمة » ـ نشره بدر الدين السباعى ـ حمص ١٩٥٦م ٠

ـ النسوى (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) شهاب الدين محمد بن عبد الواحد المنشىء النسوى :
« سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى » ـ نشره حافظ حمدى ـ القاهرة ١٩٥٣م ٠

ـ ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين :
« معجم البلدان » ـ ٤ ج وفهرست ـ ليبزج ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠م ٠

ـ يحيى الانطاكى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) يحيى بن سعيد الانطاكى :
« تاريخه » ـ وهو ما ذيل به على التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق لسعيد بن البطريق ـ نشره لويس شيخو ـ بيروت ١٩٠٩م ٠

ـ اليونينى (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) قطب الدين موسى بن محمد :
« ذيل مرآة الزمان » ـ ٢ ج ـ حيدر آباد ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م ٠

ه ـ المراجع الثانوية الاوربية

— Ahrweiler (Helen). Byzance et La Mer, Paris, 1966.

— Allen (W.E.D.), The History of the Georgian People, London, 1932.

— Alishan (L.M.), Léon Le Magnifique, Premier roi de Sissouan ou de L'Armene Cilicie, trans. by G. Bayar, Venice, 1888.

— Angold (M.), Byzantine Empire, New York, 1984.

— Gransden (A.), Historical Writing in England, C. 550 to C. 1307, 2 Vols, London, 1974.

— Atiya (A.S.), The Crusade in the Later Middle Ages, London, 1938.

— The Crusade, Histroigraphy and Bibliography, Bloomington, 1962.

— Baldwin (M.W.), Raymond III of Tripoli and the fall of Jerusalem, Princeton, 1963.

— Bashford (D.). The Exploration of a Crusader Fortress (Montfort), in J.C.U.L., Vol. 22.

— Blochet (E.), Relations diplomatiques de Hohenstaufen avec les Sultans d'Egypt, in R.H., Vol. 80.

— Boas (T.S.R.), Kindgdoms and strongholds of the Crusaders, London, 1971.

— (ed.), The Cilician Kingdom of Armenia, London, 1978.

— Bouchier (S.), A short History of Antioch, Oxford, 1921.

— Boyle (J.A.), Dynastic and Political History of the Ilkhans, in C.H.I. Vol. 6.

— The death of the last Abbasid Caliph, in J.S.S., Vol. 6.

— The Journey of Hetum I, King of Little Armenia, to the Court of The Great Khan Mongke; in C.A.J., 1964.

— Boyle (J.A.), Rashid Al-Din : The First World Historian, in I.C., Vol. 44, 1970; pp. 9-17.

— Brand (Charles M.), The Byzantines and Saladin in 1185-1192, Opponents of the Third Crusade, in Speculum, Vol. 37.

— A Byzantine Plan for the Fourth Crusade, in Speculum, Vol. 43.

— Brehier (B.), The Various Bohemonds Princes of Antioch, in D.H.G.E. Vol. 9.

— Bretschneider, King Haithon's Journey to Mongolia, in Medieval Researches, 2 Vols. London, 1888.

— Bridge (Antcay), The Crusades, London, 1980.

— Brundage (James), The Crusades : A Documentary Survey, Wisconsin. 1976.

— An errant Crusader, Stephen of Blois, in Traditio, Vol. 16, 1959.

— Byrne (E.H.), The Genoese Colonies in Syria, in the Crusades and other essays Presented to Dana Munro, ed. by Peatow, New York, 1928.

— Genoese Trade with Syria, in A.H.R., Vol. 25.

— Cahen (Claud), La Chronique de Kirtay et les Francs, in J.A.,1937.

— Quelques textes négliges concernant les turcomans de Rum, in B., Vol. 14, 1939.

— Notes Sur L'Histoire des Croisades, III, in B.F.L.S., no. 8,1951.

— Pre Ottoman Turkey, Trans. by J. Jones Williams, London, 1968.

— Un Famille Byzantine au service des Seldjuqides d'Asie Mineur, in Variorum, London, 1974.

— Orient et Occident au temps des Croisades, Paris, 1983.

— La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la principaute Franque d'Antioche. Paris, 1940.

— Saint Louis et L'Islam, in J.A., 1970.

— Chalandon (F.), Histoire de La Premiére Croisade, Paris, 1925.

— Colienberg (W.H. Rudt), The Rupenides, Hethumides and Lusignans, The Structure of the Armeno-Cilician Dynasties, Paris, 1963.

— A Fragmentary Copy of an Unknown recension of the Lignages d'Outre-Mer in the Vatican Library, in B.H.R., Vol. 98.

— Conder (R.) and Masterman (G.), A visit to the ruined Castle of the Teutonic Knights, in P.E.F. 1919.

— Constable (G.), The second Crusade as seen by contemporaries, in Traditio, Vol. IX, 1953.

— Davis (R.H.C.). William of Tyre, in Relation between East and West in the Middle Ages, ed. by Derek Baker, Edinburgh, 1973, pp. 64-76.

— De Frémery (C.), Nouvelle Recherches sur les Ismélions ou Bathniens de Syrie, in J.A., 1855.

— De Laruelle (E.). L'Idée de Croisade Au Moyen Age, Torino, 1980.

— De Laville le roulx, Les Hospitaliers en Terre Sainte et à Chypre (1100-1310), Paris, 1904.

— De Schamp (P.). Le Crac des Chevaliers, Paris, 1434.

— Desmond (M.H.), The Mongol Army, in J.R.A.S., 1943.

— Dolger (Franz), ed. Regesten der Kaiserurkunden des Ostromischen Reiches, Corpus der griechishen Urkunden des Mittelaters und der neurenzit, 3 Vols, Munich — Berlin, 1924-32.

— Donovan (Joseph P.). Pelagius and the Fifth Crusade, Philadelphia, 1950.

— Duc De Castries, La Conquête de la Terre Sainte Par Les Croisés, Paris, 1973.

— Ducange (C.), Les Familles d'Otremer, ed. by G. Rey, Paris, 1869.

— Duggan (Alfred), The story of the Crusades, London, 1969.

— Dussaud (R.), Topographie historique de La Syrie antique et médiévale, Paris, 1927.

— Edbury (Peter W.) and Rowe (J.G.), William of Tyre and the patriachal election of 1180, in E.H.R., Vol. 366, 1978.

— Edbury (Peter W.), Feudal Obligation in the Latin East, in B., Vol. 97.

— ed. Crusade and Settlement, Cardiff, 1985.

— Ehrentreutz (A.S.), Avabic Dinars Struck by the Crusaders, in J.E.S.H.O., 1964.

— The Place of Saladin in the Naval history, in J.A.O.S., Vol. 75.

— Elisséef (Nikita), Nur Ad-Din un Grand Prince Musulman de Syrie au Temps des Croisades, Damas, 1967.

— Fedden (R.), Krak of the Knights, in History, Vol. 2.

— Fedden (R.), and Thomson (J.), Crusader Castles, London, 1957.

— Fink (H.), Fulcher of Chartres, Historian of thelatin kingdom of Jerusalem, in S.M., Vol. 5, 1975, pp. 53-69.

— Finucane (R.C.), Soldiers of the Faith, London, 1983.

— Flahiff (G.B.), Deus Non Volt. A Critic of the Third Crusade, in M.S., Vol. 9.

— France (J.), The departure of Tatikos from the Crusader army, in B.I.H.R., Vol. 44, no. 110, 1971.

— Geanakopolos (D.J.), Emperor Michael Palaeologus and West, Harvard, 1973.

— Gill (J.), Franks, Venetians and Pope Innocent III, in S.V., 1970.

— Gregoire (H.), The Question of the diversion of the Fourth Crusade, in B., Vol. 15.

— Grousset (R.), Histoire des Croisade et du Royaume France de Jerusalem, 3 toms, Paris, 1934-36.

— Gutsch (M.R.), A twelfth Century Preacher, Fulk of Neuilly, in Crusades and other Historical Essays Presented to Dana Monro, ed. L.J. Pactow, New York, 1925.

— Guzman (G.), Simon of Saint Quentin and the Dominican Mission to Mongol Baiju. A Reppraisal, in Speculum, Vol. 46., 1971.

— Simon of Saint Quentin as Historian of the Mongols and Seljuk Turk, in M.H., Vol. 3, 1972, pp. 155-178.

— The Encyclopedist Vincent of Beauvais and his Mongol Extracts from John of Plano Carpini and Simon of Saint-Quentin, in Speculum, Vol. 49, pp. 287-302.

— The Cambron Manuscript of Speculum Historiale, in Manuscripta, Vol. 13, 1969, pp. 95-104.

— Krey (A.C.), Urban's Crusade success or Failure, in A.H.R., Vol. 53, 1947-48.

— Krey (A.C.), William of Tyre, The Making of An Historian in the Middle Ages, in speculum, Vol. 15, no. 2, 1941, pp. 149-166.

— La Monte (J.L.), The Communal Movement in 13th Century, in Haskins Anniversary Essays, Boston, New York, 1929.

— to what Extent was the Byzantine Empire the Suzerain of the Latin Crusading States, in B., Vol, 7, 1932.

— Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jeruslam, New York, 1970.

— The rise and decline of a Frankish Seigneury in Syria, in R.H., Vol. 15.

— From Crusading kingdom to Commercial Colony, in B.P.I.A.S.A., Vol. 3., 1944-45.

— Taki Eddin Prince of Hama, in M.W., Vol. 31.

— The Lords of Sidon, in B., Vol. 17.

— The Lords of Caesarea in the Period of the Crusades, in Speculum, Vol. 22., 1947.

— The Significance of the Crusaders' States in medieval history, in B., Vol. 15, 1940-41.

— John Ibelin The Old Lord of Beirut., in B., Vol. 12., 1937.

— Leclercq (H.), Lateran Councils, in Catholic Encyclopedia, Vol. 9, London, 1910.

— Levi della Vida (G.), L'invasion dei Tartari in Siria nel 1260 nei recordi di un testimone Doctorine, in Orientalia, Vol. 4, 1935.

— Lopez (R.S.), The Trade of Medieval Europe, the South, in C.E.H., Vol. 2, 1952.

— Back to Gold, in E.H.R., Vol. 9, 1957.

— Luchier (A.), Innocent III, La Question d'Orient, Paris, 1911.

— Lyons (M.C.) and Jakson (P.E.P.) Saladin, The Politics of the Holy War, Cambridge, 1982.

— Hagnemeyer (H.), Die kreuzzugsbriefe, Heidelberg, 1901.

— Hamilton (Bernard), The Elephant of Christ, Reynald of Châtillon, in S.C.H., Vol. 15, London, 1978.

— The Armenian Church and the Papacy at the time of the Crusades, in E.C.R., Vol. X, 1978.

— The Latin Church in the Crusader States, The Secular church, London, 1980.

— Haskins (C.H.), The Normans in European History, Cambridge, 1915.

— Glaesener (H.), Raoul de Caen, Historien et Ecrivain, in R.H.E., Vol. 46, 1951, pp. 5-21.

— Heyd (W.), Histoire du Commerce du Levant, 2 tomes, Leipzig, 1936.

— Hill (G.A.), A History of Cyprus. 3 Vols, Cambridge, 1948.

— Holt (P.M.), The Position and Power of the Mamluk Sultan, in B.S.O.A.S., Vol. 38, 1975.

— Howorth (H.). History of the Mongols, 5 Vols, London, 1876-1888.

— Humphreys (R.S.). The Emergence of the Mamluk Army, in S.I., Vol. 14, 1977.

— From Saladin to The Mongols, London, 1980.

— Huygens (R.B.C.) Guillaume de Tyre étudiant, Un Chapiter (XIX, 12) de Son Histoire retrouvé, in Latomus, t. 21, 1962, pp. 84-829.

— Editing of William of Tyre, in S.E., Vol. 27 1984, pp. 461-473.

— Jackson (Peter), The Crisis in the Holy Land, 1260; in E.H.R., 1980.

— Jordan (C.), Louis IX and the Challenge of the Crusades, London, 1979.

— Kedar (B.Z.), The general Tax of 1183 in the Crusading Kingdom of Jerusalem, in E.H.R., Vol. 89.

— The Passenger List of a Crusader Ship, 1250, in S.M. Vol. 13.

— King (E.J.), The knights Hospitallers in the Holy Land, London, 1931.

— Mas-Latrie (M.L.de), Histoire de L'ile de Chypre sous Le régne des Princes de La Maison de Lusignan, 3 Vols, Vol. 1, Histoire, Vols. 2-3, Documentes, Paris, 1852-1861.

— La Patriarches Latins d'Antioche, in R.O.L. Vol. 2, Paris, 1894.

— Mayer (H.), The Crusades, English trans. by John Gillingham, Oxford, 1972.

— Studies in the history of Qeen Melisende, in D.O.P., Vol. 26.

— Michaud (J.F.), The crusades, English trans. by Robson, 3 Vols., London, 1852.

— Morgan (David), The Mongols in Syria, in Crusade and Settlement, Cardiff, 1985.

— Morgan (R.), The Chronicle of Ernoul and the continuation of William of Tyre, Oxford, 1973.

— Morris (C.), Geoffrey de Villehardouin and the conquest of constantinople, in History, Vol. 35, 1968, pp. 24-34.

— Munro (Dana), The children Crusade, in A.H.R., Vol. 19, 1914.

— Munz (Peter), Frederick Barbarossa, A Study in Medieval Polities, London, 1969.

— Nesbitt (J.W.), The rate of March of Crusading Armies in Eruope, in Traditio, Vol. 19.

— Nicholson (R.L.), Joscelyn III and the fall of the Crusader States, Leiden, 1973.

— Norgate (K.) Richard the Lion Heart, London, 1924.

— Nowell (Ch. E.), The Oldman of the mountain, in J.M.S., Vol. 22.

— Oman (Ch.), A History of the Art of War in the Middle Ages, 2 Vols, London, 1924.

— Ostrogorsky (G.), History of the Byzantine State, Englisch trans. by J. Hussey, Oxford, 1956.

— Paris (Gaston), Les Memoires de Philippe de Novare in R.O.L., Vol. 9, Paris, 1902, pp. 164-205.

— Pelliot (P.), Les Mongols et La Papauté, in R.O.C., Vols. 3-4, 1922-1924.

— Peltier (Henry), Vincent de Beauvais in D.T.C., Vol. 15, 1950. Cols. 3026-3033.

— Perlbach (M.), Die statuten des deutschen Ordens, Halle, 1890.

— Peter (E.), Christian Society and the Crusades (1198-1229), Philadelphia, 1971.

— Pirenne (H.), Medieval Cities, English trans. by F.D. Halsey, Princeton, 1948.

— Powicke (F.M.), King Henry III and the Lord Edward, 2 Vols, Oxford, 1947.

— Pradwin (M.), L'Empire Mongol et Tamerlan, Paris, 1937.

— Prawar (J.), The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem, 1972.

— Crusader Institutions, 1980.

— Prestwich (J.O.), Richard Coeur de Lioni : Rex Bellicos, (Ricardo cuor di leone nella storia e nella legenda). (=Accademia nazionale dei lincei no. 253), Rome, 1981.

— Prutz (H.), Kulturgeschichte der Kreuzzuge, Berlin, 1883.

— Die Besitzungen des Deutschen Ordens in Heiligen Lande, Leizig, 1877.

— Rabie (Hassanein), The Financial System of Egypt, London 1972.

— Ramsay (W.M.) The Historical Geography of Asia Minor, London, 1890.

— Rey (E.G.), Etude sur les Monuments de L'architecture militaire des croisades en Syrie et dans L'ile de Chypre, Paris, 1871.

— Résume de L'Histoire des Princes d'Antioche, in R.O.L., Vol. IV, Paris, 1896.

— Les Dignitaires de La Principauté d'Antioche in R.O.L., Vol. VIII, Paris, 1900-1901.

— Les Seigneurs de Giblet, in R.O.L., Vol. 3, Paris, 1893.

— Richard (J.) Colonies merchandes privilégiées et march seigneurial, in Moyen Age, Vol. 59, 1953.

— An account of the battle of Hattin reffering to the Frankish mercenaries in Oriental Moslem state, in Speculum, Vol. 27.

— La Polotique Orientale de Saint Louis, La Croisade de 1248, Paris, 1976.

— The Mongols and the Franks, in J.A.H., Vol.

— The Latin kingdom of Jerusalem, trans. by J. Sheriley 2 Vols, Oxford, 1979.

— Raymond d'Aguilers, Historien de La Première Croisade, in J.S., 1971, pp. 206-212.

— Rohricht (R.), Geschichte des konigreichs Jerusalem, (1100-1221), Innsbruk, 1898.

— Etudes sur les dernier temps du Royaume de Jerusalem, in A.O.L. 2, Paris, 1884.

— Runciman (Steven), The Holy Lance Found at Antioch, in B., Vol. 68, 1950.

— The Eastern Schism and the Eastern churches during the XIth and XIIth Century, Oxford, 1955.

— A History of the Crusades, 3 Vols, Cambridge, 1968.

— Salibi (Kamal), The Buhturids of the Garb, in Arabica, Vol. 8, 1961.

— Saunders (J.J.), The History of the Mongol Conquest, London, 1971.

— Aspects of the Crusades, Newzeland, 1961.

— Schlumberger (G.), Campagens du Roi Amaury 1er de Jérusalem en Egypte, Paris, 1906.

— Setton (K.M.), A History of the Crusades, 5 Vols, 1958-11985.

— Seward (D.), The Teutonic Knights, in History today, Vol. 20.

— Sinor (Denis), Les relations entre les Mongols et L'Europe jusqu à la mort d'Arghon et de Bella IV, in J.W.H., Vol. 3, 1956.

— Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and the Holy Land, U.S.A., 1973.

— Crusading Warfare, Cambridge, 1976.

— Smith (Johnathan Riley), The knights of St. John in Jerusalem and Cyprus (1050-1310), London, 1967.

— Government in Latin Syria and the Commercial privileges of foreign merchants, in Relations between East and West in Middle Aages, ed. D. Baker, Edinburgh, 1973.

— Peace never established : The Case of the kingdom of Jerusalem, in J.R.H.S., Vol.

— Tatcher (O.), Critical work on the sources of the first Crusade, in A.R.A.H.A., Vol. 1, 1900; pp. 501-509.

— Thorau (Reter), The Battle of Ayn Jalut, a Reexamined, in Crusade and Settlement, Cardiff, 1985.

— Thurston (H.), Acclamations, in The Catholic Encyclopaedia, Vol. 1.

— Tournebize (H.F.), Histoire Politique et religieuse de L'Arménie, Paris, 1910.

— Tumler (M.), Der Deutschen Orden in Werden Waschen, Und Wirken bis 1400, Wien, 1955.

— Tyerman (C.J.), Marino Sanudo Torsello and the Lost Crusade : Lobbying in the Fourtheenth Century, in T.R.H.S., Vol. 32, 1982, pp. 57-73.

— Van Cleve (T.C.), The Emperor Frederic II of Henstaufen, Oxford, 1972.

— Vasiliev (A.A.), History of the Byzantine Empire, University of Wisconsin Press, 1961.

— The Foundation of the Empire of Trabizond, in Speculum Vol. XI, 1936.

— Vaughan (R.), Matthew Paris, Cambridge, 1958.

— Vessey (D.W.T.C.), William of Tyre and the art of Histriography, in M.S. Vol. 35, 1973, pp. 433-455.

— Wolf (Lee R.), Baldwin of Flanders and Hainaut, First Emperor of Constantinople, in Speculum, Vol. 27.

— Yewdale (R.B.), Bohemond I, Prince of Antioch, Priceton, 1924.

٦ ـ المراجع الثانوية العربية والمعربة

ـ اسامة زكى زيد (دكتور) :
ـ الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية ، الاسكندرية ، ١٩٦٨م ٠
ـ الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبى الاسلامى فى عصر بنى أيوب ، مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ٣٠ ، الاسكندرية ١٩٨٢م ٠

ـ السيد الباز العرينى (دكتور) :
« مؤرخو الحروب الصليبية » ، القاهرة ١٩٦٢م ٠

ـ السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :
ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى حتى الفتح العثمانى ، الاسكندرية ١٩٦١م ٠
ـ طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٦م ٠
ـ التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ م ٠

ـ جمال الدين سرور (دكتور) :
ـ النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، القاهرة ١٩٥٧م ٠
ـ دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠م ٠

ـ جوزيف نسيم يوسف (دكتور) :
ـ الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبى، الاسكندرية ١٩٦٦م ٠
ـ العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الاولى ، الاسكندرية ١٩٦٧م ٠
ـ العدوان الصليبى على مصر ، الاسكندرية ١٩٨٤م ٠
ـ العدوان الصليبى على بلاد الشام ، الاسكندرية ١٩٨٤م٠
ـ تاريخ أوربا العصور الوسطى وحضارتها ، الاسكندرية ١٩٨٤م ٠

- حسنين محمد ربيع (دكتور) :
« بحر الحجاز فى العصور الوسطى » ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ، الجزء الاول .

- حسين امين (دكتور) :
« العراق فى العصر السلجوقى » ، بغداد ١٩٦٥م .

- حسين محمد عطية :
« امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الاسلامية المجاورة » (١٠٩٨ - ١١٧١ م / ٤٩٢ - ٥٦٧هـ) رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الاسكندرية ١٩٨١م .

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :
- قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧م .
- سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٦٨م .
- الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٥م .

- صلاح الدين المنجد :
أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ، بيروت ١٩٧٨م .

- عباس العزاوى :
التعريف بالمؤرخين فى عهد المغول والتركمان ، بغداد ١٩٥٧ .

- عبد السلام عبد العزيز فهمى :
تاريخ الدولة المغولية فى ايران القاهرة ١٩٨١م .

- عبد المنعم ماجد (دكتور) :
نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جزءان ، القاهرة ١٩٧٣م .

ـ عمر كمال توفيق (دكتور) :
« المؤرخ وليم الصورى » ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ٢١ لسنة ١٩٧٠م ، مطبعة جامعة الاسكندرية ـ ١٩٦٩ م.

ـ لسترانج (جى) :
بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤م .

ـ محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :
الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها (١٠٩٧ ـ ١١٤٤م) ، الاسكندرية ١٩٧١م .

ـ محمود سعيد عمران (دكتور) :
ـ السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطور مانويل الاول كومنين ، الاسكندرية ١٩٨٥م .
ـ الحملة الصليبية الخامسة ، حملة جان دى برين على مصر ، الاسكندرية ، ١٩٨٥م .

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

تم بحمد الله

رقم الايداع بدار الكتب ٨٨/٧٨٤٩